المركبيل المرشاور في المركبيل المراكبير المحاربي المحاربية مركبيل المحاربية

تصنيفت

ولغلَّامَةَ لَكُنْيَعْ بِحَدَقْقِ لَلْرَيْدِ بَهِ بَحَدْ لَكُفَّا لَحُزُولِ لَكُلُكِ

مرعت ملكنه تعادي

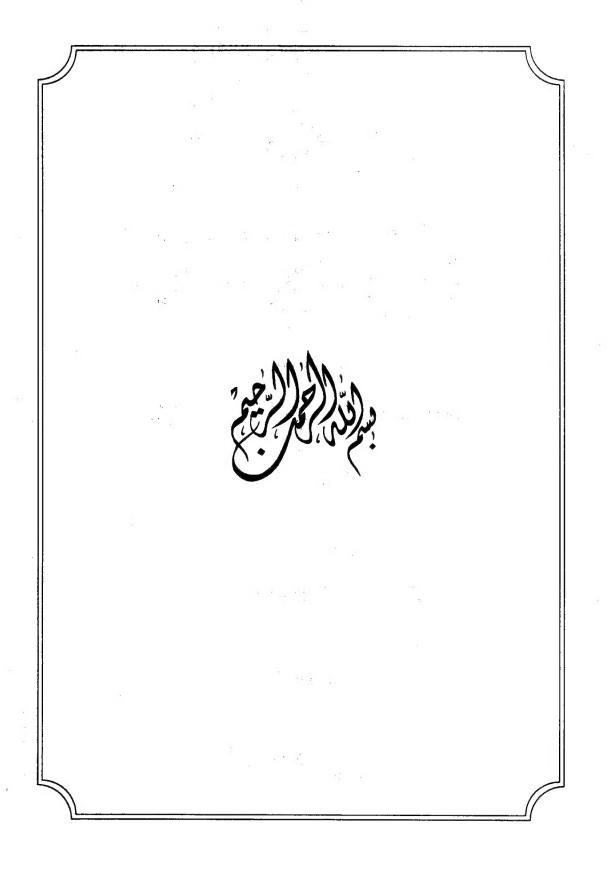
(۱۳۱۱ - ۲۰۶۱ هـ)

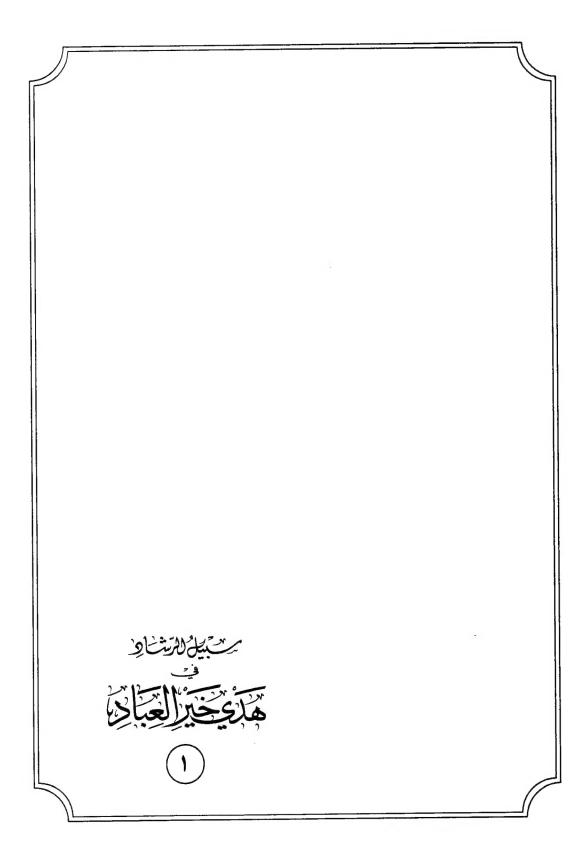
(TPAY - 1A9Y)

قرَّه وَعَلَّوْعَكُ وَقَامَ لَهُ وَخَرَى أَكُادِيْنَهُ أَبُوعِبْ بِيرَةُ مِينِهُ وُرِبْ حَسَنَ ٱلْ يُكِلِمُانَ

الجئزء آلأولك

البرازالاثنيي





جَمَيْتُ كُلُ كُفُونِ مَحْفَقَ مَ الطَّبُعَ تَلَالاً وَلَمِ نَّ الطَّبُعَ اللَّا وَلَمِ نَّ المَّابُعُ اللَّا وَلَمِ نَّ



عستمان ـ الأردن ـ تلفاكس: ٢٥٦٥٨٤٥ ـ الأردن ـ ١١١٩٠٠ منب : ٩٢٥٥٩٥ ـ الرمزالبرَيْدِي : ١١١٩٠٠ خلوئي : ٩٦٥ منب : ٩٢٥٥٩٥ ـ الرمزالبركثري : alatharya1423@yahoo.com





~ -00000000000000-



قالوا عن الكتاب

* هذه نعمة عظيمة كنت أتمناها على الله تعالى منذ عشرات السنين.

المؤلف الهلالي في «سبيل الرشاد» (٣٠٦/٦)

* الغرض من تأليف هذا الكتاب إقامة البراهين على وجوب اتباع الكتاب والسنّة وترك التفرُّق والتحرُّب بشكل مذاهب أو طرائق أو أحزاب.

المؤلف الهلالي في «سبيل الرشاد» (١٤٤/٣)

* أنا الآن أؤلّف كتاباً، سمّيته «سبيل الرشاد»؛ إن يسّر الله إتمامه وطبعه، فسيغني كل مؤمن حنيف عن غيره من كتب الوعظ، فأدعو الله أن يعينني على إتمامه ونشره.

الهلالي في «العيون الزلالية» (ق٣٦)

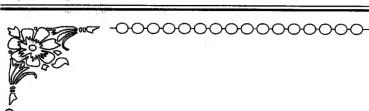
* أهم أمور الدين: توحيد الله تعالى في ربوبيته، فلا رب غيره، وفي عبادته فلا يعبد غيره، وفي أسمائه وصفاته فلا يشاركه فيها غيره، وفي الاتباع فلا يتبع إلا وحيه، وهو القرآن والحديث الثابت، وعلى هذه الأربعة نويت أن أؤلف هذا الكتاب، وقد بدأته وتمامه على الله، فاتباع توحيد الله بأنواعه الأربعة فرض على كل مسلم، والإعراض عن المشركين بمخالفتهم والبراءة منهم واجب حتم.

المؤلف الهلالي في «سبيل الرشاد» (٣٦١/١)

* كان الهلالي سلفي العقيدة، لو قرأت كتابه في التوحيد _ يعني: «سبيل الرشاد» _ لعلمتَ منه أنه لا يعرف في التوحيد الذي في القرآن مثله.

العلَّامة حماد الأنصاري في «المجموع» (٦١٧/٢)

* إذا قرأت سبيلاً للرشاد فعن ذلك السبيل من الأغواء تبتعدُ تلميذه محمد بنعبود من قصيدة نشرها في جريدة «الإصلاح» المغربية، العدد السابع





قالوا عن المؤلف

* كان العلّامة الألباني يعد الهلالي ضمن حمسة لم يرَ مثلهم البتة في العلم والتحقيق، وهم: ابن باز، تقي الدين الهلالي، وعبد الرحمن المباركفوري، بديع الدين السندي، الشنقيطي ـ رحمهم الله تعالى أجمعين ـ.

العلامة الإمام محدث الديار الشامية الألباني

المحدث العلامة حماد الأنصاري

إن محمد تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق،
 فأرجو أن تستفيدوا منه.

العلَّامة محمد رشيد رضا للملك عبد العزيز آل سعود

* الهلالي من أفاضلنا الذين أجمع على الاعتراف بفضلهم الشرق والغرب، والعرب والعجم، والمسلمون وغير المسلمين، فهو في الحجاز نار على عَلَم شهرةً وفضلاً، وفي الهند تبوّأ منصة التدريس في أرقى جامعاتها، وفي العراق معروف بدؤابه على خدمة هذه الأمة، وحرصه على خيرها، وهو الآن في ألمانيا موضع الحرمة من أركان جامعة (بُن) التي يتولى التدريس فيها. فالأستاذ الهلالي رجل عالمي، واسع النظر، واقف على أحوال الشرق والغرب.

العلامة محب الدين الخطيب

* للغرب الإفريقي ابن عالم بار، نسله بنو هلال، وأنجبه المغرب الأقصى، هو العلّامة الأستاذ محمد تقي الدين الهلالي المدرّس بالهند، لهذا الأستاذ شهرة علمية إصلاحية عظيمة بالشرق، ومقالات رنّانة في صحفه.

العلّامة عبد الحميد بن باديس



براييدارحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا كتاب يكاد يكون دُرَّةً فريدة في المكتبة الإسلامية، إذ فيه عرض للمعتقد مرتباً على أنواعه حسب وروده في القرآن الكريم، وأقامه الشارح على القرآن أصالة، وذكر تحت الآيات الأحاديث التي تناسبها، والآثار التي تلائمها، ونصر فيه عقيدة السلف بلغة سهلة، وحجة قوية، ولم يتعرض إلا للشبه السيّارة الموجودة في هذا العصر، وأكثر من النقل عن كتب أئمة السلف قديماً وحديثاً (۱).

⁽١) انظرها تحت (طريقة تأليف الكتاب ومصادره فيه).

	 Đ					. ·	- MT
			12° y				
						· ·	
		al _y		4.2			
		:3	1		(* l±)		
							,
				ţ.	Đ		
11 21				47			







نسبة كتاب «سبيل الرشاد» ومدحه وثناء العلماء عليه

كتاب «سبيل الرشاد» ثابت النسبة للهلالي، فقد طبع جلّه في حياته (١٠)، وأملاه من حفظه، مع مراجعات ونقولات من كتب عديدة، يأتي ذكرها.

نعم، لم يذكره الهلالي ضمن قائمة مؤلفاته فيما كتب به للمجذوب(٢)، ذلك أن تأليفه لهذا الكتاب كان متأخّراً، فهو من أواخر ما كتب، وأحبّ كتبه إليه، وأكثرها فائدة، وأوسعها علماً، وأكبرها حجماً، ووجدته يذكره في فتاواه المسماة «العيون الزلالية» (ق٣٦١)، وسيأتي كلامه بحروفه قريباً.

وممن ذكره له العلّامة الإمام فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز كَلَلْهُ قال: «ومن مؤلفاته الأخيرة «سبيل الرشاد»(٣).

وتلميذ المصنف الأستاذ عمر محسن في مقدمته للكتاب(٤)، وعنه الترجمة

⁽۱) وجدت في مقالة نشرت في صحيفة «الميثاق» المغربية، العدد (١٣٨) السنة (٢٤) بتاريخ فاتح ذي القعدة ١٤٠٧هـ تحت عنوان (وفاة الدكتور تقي الدين الهلالي): «ومن آخر ما ألف كتاب «سبيل الرشاد» في عدة مجلدات، أخرج منها اثنين».

⁽۲) ونشره المجذوب في كتابه القيم "علماء ومفكرون عرفتهم"، وسرد (۳۷) مؤلفاً، وفاته الشيء الكثير، ذلك أن الذي كتبه الهلالي قديم، واعتمد كثير من المترجمين ولا سيّما في مسرد المؤلفات على ما عند المجذوب فحسب، ففاتهم هذا الكتاب، مثل: نزار أباظة ومحمد رياض المالح في كتابهما "إتمام الأعلام" (۳۶٦)، والمستشار عبد الله العقيل في كتابه "من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة" (٤٩٤ _ ٤٩٥)، وأصل ترجمته مقالة نشرها في مجلة "المجتمع" الكويتية، العدد (١٢٩٨)، محرم ١٤١٩هـ - ٥/ ممرم ١٩١٩م (ص٢٥ ـ ٨٤).

 ⁽٣) التحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان»، أرسل لي الأخ الباحث النابه محمد زياد التكلة ما يخص الهلالي من هذا الكتاب، وهو يقوم بتحقيقه، ولم يطبع بعد.

⁽٤) أبقيناها في مقدمة طبعتنا هذه أيضاً.



التي نشرت للهلالي في مجلة «الفرقان»^(۱)، العدد العاشر، سنة ١٩٨٧م (ص ٤ - ٨) بعنوان (العالم الجليل الدكتور الهلالي في ذمة الله)، وذُكر له أيضاً في مقالة مجلة «المنهل» العدد (٩٩٤)، المجلد (٥٤)، الربيعان ١٤١٣ه، سبتمبر، أكتوبر ١٩٩٢م، ضمن مقالة بعنوان (أعلام عابرون) (ص ٢١٤) وفي التعريف به في أول مقالته المنشورة في مجلة «البحوث الإسلامية» العدد الثامن، ذو القعدة، ذو الحجة، عام ١٤٠٣ه، محرم - صفر عام ١٤٠٤ه، أغطس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر عام ١٩٨٣م (ص ٢٠٠٠).

وذكره له مخلص السبتي في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب، تقي الدين الهلالي رائداً» (ص٤٧)، وصديقنا البحّاثة أحمد العلاونة في «ذيل الأعلام» (ص١٧٠).

وفات ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات الهلالي عدد (٢) ممن ترجم له! مع أنه أحب كتب المؤلف إليه، بل هو أُمنيَّة حقّقها الله له قبل وفاته، قال ـ رحمه الله تعالى ـ عن تأليف الكتاب: «وهذه نعمة عظيمة كنت أتمنّاها على الله تعالى منذ عشرات السنين» (٢).

وذكر _ قبل _ أمنيّته في الإتمام بقوله: "وهو _ سبحانه _ قادر على أن يبلغنا أمنيتنا في تمام "سبيل الرشاد" وانتفاعنا به قبل الموت، وهو الغني الكريم" (٤).

وقال في فتاواه «العيون الزلالية» (ق٣٦): «أنا الآن أوَّلُف كتاباً سمَّيتُه «سبيل الرشاد»؛ إنْ يسر الله إتمامه وطبعه، فسيغني كل مؤمن حنيف عن غيره من كتب الوعظ، فأدعو الله أن يعينني على إتمامه ونشره».

وأعجب العلماء والباحثون والمطلعون على هذا الكتاب أيما إعجاب، وتطلبه العلماء قبل الطلبة النبهاء، وأذكر أن الشيخ بكر أبو زيد _ حفظه الله _ كان يتطلبه ويسأل عنه، وقال العلامة الشيخ حماد الأنصاري _ رحمه الله تعالى _ فيما

⁽١) وظفرت بالترجمة نفسها منشورة في مجلة «الاستجابة» السودانية، السنة الثالثة، العدد التاسع، رمضان ١٤٠٨هـ (ص٤٢ ـ ٤٣).

⁽٢) ممن فاته ذكر هذا الكتاب الأستاذ إدريس خليفة في كتابه «الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال» (٦٦٦ - ٦٦٦)، وعبد الله بن العباس الجراري في كتابه «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» (ص١٢٣ - ١٢٤).

⁽۳) «سبيل الرشاد» (۳۰٦/٦). (٤) «سبيل الرشاد» (۳/ ١٥٦).



نقل عنه ابنه وصديقنا عبد الأول: «سمعته يقول: إن كتاب «سبيل الرشاد» للشيخ تقي الدين الهلالي أهداه لي لما التقيتُ به في دولة المغرب، ثم أرسل إليّ نسخة أخرى، وأنا بالمدينة النبوية، وهذه النسخة أهديتها للشيخ بكر أبو زيد»(١).

ومدح العلّامة الأنصاري هذا الكتاب بقوله عن مؤلفه: «كان سلفيّ العقيدة، لو قرأت كتابه في التوحيد الذي في القرآن مثله» (٣).

وقال تلميذ الهلالي الشيخ محمد بن عبود _ حفظه الله ورعاه _، مادحاً المؤلف وذاكراً هذا الكتاب:

(دكتورنا) الرجل الصنديد مفخرة لسانه الصارم المقوال عدته إذا قرأتَ سبيلاً للرشاد فعن هذا الرثاء ولكن لا مبالغة هي الحقيقة لا أعدو الحقيقة في رحماك ربي لروح أنت قابضها

عزيزة كلما يستذكر العددُ يراعه المنتجُ السيال والمددُ ذاك «السبيل» من الأغواء تبتعدُ ولا غلو بما في القول ينتقدُ قولي، فلا قَلَقٌ فيها ولا فَنَدُ أنت الرحيم لها الغفاريا أحدُ(٤)

والحاجة إلى مثل هذا الكتاب ماسة، فهو يكاد يكون في طريقة عرضه، وسهولة أسلوبه، وغزارة مادته، وربطه بالمخالفات العقدية والأمور الكلية التي شاعت وذاعت في كثير من الصقاع والبقاع دُرَّة فريدة، وجوهرة عزيزة أو عديمة!.

* تأريخ تأليف الكتاب ومدة تأليفه:

تأليف هذا الكتاب كان_كما قلنا_أمنيّة عزيزة عند المصنف، وحقّق الله على الله على عند المصنف، وحقّق الله على المنيّة على وجه التمام والكمال في أحسن صورة، وأبهج حلّة.

⁽۱) «المجموع في ترجمة العلّامة المحدث الشيخ حماد الأنصاري كَلَلْهُ وسيرته وأقواله ورحلاته» (۲۳۲/۲) رقم (۲۲۷).

⁽٢) يريد «سبيل الرشاد» (هذا الكتاب).

⁽٣) «المجموع في ترجمة العلّامة المحدث الشيخ حماد الأنصاري وسيرته وأقواله ورحلاته» (٢/٧١٧) رقم(١٥٢).

⁽٤) جريدة «الإصلاح» جريدة نصف شهرية مغربية، العدد السابع.



أما عن تأريخ فكرته فهو قديم قديم، فأصغ إلى الهلالي وهو يقول: "لم أزل منذ عهد الشباب أتمنّى أن يوفّقني الله تعالى إلى جمع آيات التوحيد بأنواعه وتفسيرها بأحاديث النبيّ الكريم، وبأقوال الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين»(١).

وأما البدء الفعلي للكتاب، فاستغرق مدة من الزمن، فمؤلفه كَاللهُ جعله في أقسام ثلاثة (٣):

- فرغ من (القسم الأول) منه وينتهي بالجزء الثاني من المطبوع -: يوم الجمعة، سابع عشر، صفر، سنة ١٣٩٥ه (٤)، بمدينة فاس، بحي النزهة.
- فرغ من (القسم الثاني) وينتهي بالجزء الرابع من المطبوع -: بعد ظهر يوم السبت الخامس عشر من رمضان سنة ١٣٩٥هـ.
- فرغ من (القسم الثالث) والأخير وينتهي بالجزء السادس من المطبوع -: يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلون من شهر محرم الحرام سنة ست وتسعين وثلاث مئة وألف.

ومنه يعلم أن مدة تصنيف الكتاب ناهزت السنة أو قاربتها، وأن نشره كان بعد فراغ المصنف منه بإحدى عشرة سنة، ولعلّ سبب هذا التأخير كبر مادة

⁽١) «سبيل الرشاد» (٥/٥).

⁽٢) مقدمة «سبيل الرشاد» (٨٧).

⁽٣) انظر ما سيأتي قريباً تحت عنوان (التعريف بموضوع الكتاب ومادته).

⁽٤) صرّح فيه (٢/ ١٠٨) ـ وهو ضمن القسم الأول ـ أنه «في هذه السنة» وحددها بـ(١٣٩٤هـ) وذكر قصة جرت له.



الكتاب، إذ هو أوسع كتاب له، فجُلّ مصنفاته رسائل صغيرة، نشرها على حلقات في مجلات، ثم جمعها ونقّح بعضها وزاد عليها، ونشرها على هيئة كتيبات.

* هل تم تأليف الكتاب؟:

كان في بال مؤلفه طريقة نوى تأليف الكتاب على وفقها، أفصح عنها بقوله: «أهم أمور الدين توحيد الله تعالى في ربوبيّته، فلا ربّ غيره، وفي عبادته، فلا يعبد غيره، وفي الاتباع، فلا يتبع إلا وحيه، وهو القرآن والحديث الثابت» قال:

"وعلى هذه الأربعة نويت أن أؤلّف هذا الكتاب، وقد بدأته وتمامه على الله، فاتباع توحيد الله تعالى بأنواعه الأربعة فرض على كل مسلم، والإعراض عن المشركين بمخالفتهم، والبراءة منهم واجب حتم»(١).

وكان الهلالي ـ رحمة الله عليه ـ يخشى من عدم إتمام الكتاب، ويتضرع إلى الله أن يمنّ عليه بإكماله، فها هو يسأل ويقول:

«وقد أعانني الله سبحانه على إتمام هذا (الجزء الأول)، فلله الحمد والمنّة، وإياه أسأل، وبأسمائه وصفاته أتوسل، أن يعينني على إتمام الجزئين الباقيين»(٢).

وقال في أول (الجزء الثالث) (ص٥): "لقد منّ الله عليّ وأعانني على إنجاز (القسم الأول) من كتاب "سبيل الرشاد" وهو في (توحيد الربوبية والعبادة)، فجاء في جزئين، يشتمل على ثمان مئة وخمسين صفحة (٣) تقريباً، وها أنذا أقف خاضعاً ذليلاً بباب الغني الكريم، وأسأله من فضله أن يعينني على تأليف القسم الثاني ثم القسم الثالث، والقسم الثاني في توحيد الاتباع كما هو معلوم. والمراد اتباع الكتاب والسنة في جميع أمور الدين، من عقيدة وأعمال وأخلاق ومعاملات". وكرر فيه هذا المعنى، فقال: "وهو قادر على أن يبلغنا أمنيتنا في إتمام "سبيل الرشاد" وانتفاعنا به قبل الموت، وهو الغنى الكريم" (٤).

وقال في آخر (الجزء الرابع) _ وهو تمام (القسم الثاني) من الكتاب _: «لقد

⁽۱) «سبيل الرشاد» (۱/ ۳۲۱). (۲) «سبيل الرشاد» (۱/ ۱۳۰).

⁽٣) وبنحوه أيضاً في هذه الطبعة، مع زيادة التخريج والتوثيق.

⁽٤) «سبيل الرشاد» (٣/١٥٦).



منّ الله عليّ وأعانني على ختم هذا (القسم)، وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبمحبتنا واتباعنا لحبيبه وخليله محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يعينني على (القسم الثالث). . . »(١).

وكأني بالمصنف كالله يخشى أن يداهمه صارف، أو أن يعوقه عائق، أو أن تفجأه مصيبة الموت، فيحول دون إتمامه للكتاب، ولذا لما أتم (القسم الثالث) _ وهو الأخير _ منه، قال ما نصه: «تمّ بحمد الله وحسن عونه» وقال:

«وكان الفراغ منه يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلون من شهر محرم الحرام سنة ست وتسعين وثلثمائة وألف من هجرة النبيّ الأكرم، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وبمحبتي واتباعي لنبيك الكريم وإن كنت مقصراً أن تعينني على ما بقي وهو وضع (فهرست) وافي للقسم الثاني وأن تنفعني به في الدنيا والآخرة وتنفع به خلقاً كثيراً»(٢).

فالمؤلّف ـ رحمه الله تعالى ـ فرغ من كتابه، وجعله (ثلاثة أقسام)، مع أنه سبق عنه في أول هذا المبحث أنه نوى أن يؤلف كتابه على (أربعة أنواع) من التوحيد! فلماذا هذا التغيير، وما هو سببه، وهذا ما يجيبنا عنه المؤلف فيما سيأتي قريباً ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الكلام على (الغرض من تأليف الكتاب ومنهجه فيه).

بقي التركيز وإلقاء بعض الضوء على قوله: «أن تعينني على ما بقي وهو وضع (فهرست) وافي للقسم الثاني...».

الناظر في الكتاب يجد أن (فهرست) (٣) للموضوعات، موجود في آخر كل جزء من (الأقسام الثلاثة)، وليست هناك فهرسة لكل قسم على حدة، ويوجد (فهرست) في آخر الجزء الثالث والرابع (٤)، فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن المعتني بنشر الكتاب أو مصححه هو الذي كمّل هذا الفراغ وأتمّه، ولعلّه كان في بال

⁽۱) «سبيل الرشاد» (۵/٥). (۲) «سبيل الرشاد» (۳۰۷/٦).

⁽٣) الأصوب في نظري أن يقال: الموضوعات والمحتويات، أو قائمة الموضوعات، إذ لا علاقة بين محتويات الكتاب وطرق الفهرسة المعروفة سواء على الحروف الأبجدية أو الهجائية!

⁽٤) هذان الجزءان هما القسم الثاني من الكتاب.



المصنف شيء خاص من هذا القسم، ولم يتيسّر له صنعته، والله أعلم.

* طريقة تأليف الكتاب ومصادره فيه:

كان المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ قد أصيب بمرض في عينيه، وعمل على الاستشفاء والمعالجة منه قديماً (١)، وضعف بصره في أواخر سني حياته، فكان مضطراً في تأليف هذا الكتاب ـ وهو من كتبه المتأخرة (٢) ـ إلى مساعدة غيره من تلاميذه وأحبائه، وصرح المصنف فيه (٣) أنه فرغ من (القسم الأول) منه بدار السلفي الصالح الحاج (٤) محمد العلالي بمدينة فاس.

وقال في آخر (القسم الثالث) منه (٦/٣٠٧):

"وكان الكاتب لختام هذا الجزء رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري رزقه الله العلم النافع والعمل الصالح وجعله من الأئمة الداعين إلى الله على بصيرة، وهداه وهدى على يديه خلقاً كثيراً». وقال: "وقرأ عليَّ هذا الكتاب وتولى تصحيحه حسب ما أمرته ابني البرُّ ختني عبد الغني بوزكري وفقه الله لخدمة الإسلام والمسلمين وأطال بقاءه وختم له بالسعادة والغفران. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين».

واعتمد المصنف على مجموعة من الكتب، وذكر أهمَّها وأشهرها في (ديباجة الكتاب)، فقال (١٣٢/١):

«واعتمدت على «تفسير الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي» المتوفى سنة (٧٧٤هـ) ـ رحمة الله عليه ـ؛ لأني ما رأيت أحداً من المفسرين يعتني بالتوحيد مثله (٥) وقد أشير بـ(الكاف) إلى «تفسير ابن كثير»،

 ⁽۱) ذكر في «سبيل الرشاد» (۲٤٩/۲) أنه كان في (مستشفى العيون) عند وجوده في مدينة
 (بون) بجرمانية، وكان هذا قبل أكثر من ثلاثين سنة من مرضه ووفاته.

⁽۲) انظر ما قدمناه (ص۹). (۳) (۳۷۲/۲).

⁽٤) يكثر المصنف في غير مقالة وكتيّب من إطلاق هذه اللفظة، وتجنّبها أولى، فالحاج كالمصلي والمزكي، فلا داعي لها، ولا سيّما أن بعض الجهلة ممن يحجون إن لم تُقَل لهم؛ يغضبوا!

⁽٥) للمصنف عناية شديدة بهذا التفسير، ونقد طبعاته، فها هو يقول في «سبيل الرشاد» (١/ ٢٣٥) عن طبعة منه كتب على طرتها: «قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية، وصححها نخبة من العلماء». وهي مطبوعة في طبعة الاستقامة بالقاهرة =



وب(الجيم) إلى «تفسير ابن جرير»، وب(القاف) إلى ما اتفق عليه البخاري ومسلم من الحديث، وب(الخاء) إلى ما انفرد به البخاري، وب(الميم) إلى ما انفرد به مسلم، وب(الدال) إلى «سنن أبي داود»، وب(التاء) إلى «جامع الترمذي»، وب(النون) إلى «سنن النسائي»، وب(الحاء والميم أو الألف المهموزة) إلى «مسند الإمام أحمد». انتهى.

قال أبو عبيدة: رمز الهلالي أيضاً بحرف (خك)^(۱) لاختصار شيخنا محمد نسيب الرفاعي ـ رحمة الله عليه ـ لتفسير ابن كثير، المسمى بـ تيسير العلي القدير»^(۲)، وأكثر من النقل عنه، وتارة ينقل عباراته ويعزو لـ (ك)!

سنة ١٣٧٧هـ، الطبعة الثانية: «سبحانك هذا بهتان عظيم. كيف تتفق عدة نسخ خطية على إسقاط ثلاث وعشرين كلمة من الحديث؟ وكيف جاز على نخبة من العلماء أن لا يتفطنوا إلى هذا الخلل؟ والحقيقة أن الكتب التي يطبعها التجار مضيعة، فلا مقابلة فيها ولا تصحيح، وبذلك يقع التغيير والتبديل والحذف...».

وقال فيه (١/ ٣٣٥) عن الطبعة نفسها: «فيها أخطاء كثيرة وبتر ونقص، وفي هذا الموضع ترك تفسير آية بأكملها، وقد فزعت إلى طبعة بيروت لعلّي أجدها سالمة من ذلك الداء، فإذا بها مسروقة من الطبعة المذكورة: إنا لله وإنّا إليه راجعون!، على فساد الكنوز التي خلفها لنا السلف، فصارت بأيدي التجار الفجار يطبعونها لأجل الربح الدنيوي ولا يبالون بما يرتكبونه من الجرائم في حق طلبة العلم، وعلوم الإسلام يتيمة كعلوم اللغة العربية، ليس لها جماعة تشرف على طبعها ونشرها وتأذن في ذلك لمن يكون له أهلاً، وتضرب على هؤلاء التجار الفجار وليس للتجار ضمائر ولا مروءة تحملهم على المحافظة على هذا التراث وعلى أن لا يصدر من مطابعهم ما يشين سمعتهم، وهذا جزء من الشقاء الذي يعانيه المسلمون في هذا الزمان...».

وقال في (٣/ ٩٥) بعد كلام: «هذا تحريف وبتر من الناشرين المجرمين، وما أكتشره في الطبعات المتعددة لـ الفسير ابن كثير».

ومن شدة عناية المصنف بهذا «التفسير» أنه كاد أن يختصره، فها هو يقول في تقريظ «تيسير العلي القدير» لشيخنا محمد نسيب الرفاعي بعد مدحه له: «وكم عزمت على القيام بهذا العمل (الاختصار)، وبدأتُ فيه فعلاً، ولكن لم يقدّر لي الاستمرار فيه...»! ويقول في (٢/ ١٢٥): «إن كثيراً من أهل هذا الزمان الذين لم يقتلوا «تفسير ابن كثير» درساً وبحثاً، يخيّل لهم أن فيه خرافات إسرائيلية، تكدّر صفوه، فيجب حذفها، فأقول لهم: على رسلكم! ومن ذا الذي حرّم علينا ذكر الإسرائيليات وروايتها إذا كانت فيها فائدة...» إلخ ما قال.

 ⁽۱) انظر _ على سبيل المثال _ (۳/ ۱۲۰) ۱۳۷، ۱۳۷.

⁽٢) للهلالي تقريظ لهذا الكتاب منشور في أوله، ومما قال فيه عن مؤلِّفه شيخنا الرفاعي =



* مصادره في التفسير:

ومما تجدر الإشارة إليه أنه نقل من كتب أخرى في التفسير غير «تفسيري ابن جرير وابن كثير»، مثل:

«فتح البيان في مقاصد القرآن» لصديق حسن خان، و«محاسن التأويل» للقاسمي، و«تفسير البيضاوي» و«جامع البيان في تفسير القرآن» لصفي الدين بن معين الدين، «فتح القدير» للشوكاني، و«الدر المنثور» للسيوطي، و«درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكافي، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج، و«تفسير السمرقندي»، و«تفسير الرازي»، و«تفسير ابن أبي حاتم» ـ ولعل النقل عنه بواسطة «الدر» أو «تفسير ابن كثير» ـ و«الكشاف».

ومن التفاسير التي صرح بالنقل منها أيضاً (١):

«معالم التنزيل» للبغوي، و«المحرر الوجيز» لابن عطية، و«تفسير القرطبي»، و«تفسير أبي السعود»، و«تفسير النسفي»، و«زاد المسير»، و«تفسير الجلالين»، و«حاشية الصاوي» عليه، «حاشية الجمل» المسماة «الفتوحات الإلهية»، و«روح البيان» للبروسوي.

ونقل أيضاً من كتاب في الوقف والابتداء، وهو «المكتفى» لأبي عمرو الداني.

أكثر المصنف من النقل عن بعض هذه التفاسير، واقتصر في كثير من المواطن على النظر في تفسير واحد منها، ولكنه في مواطن قليلة ينظر في جميعها، فأصغ إليه وهو يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَالِيَةُ أَكَادُ أَخْفِياً﴾ [طه: ١٥]:

«طالعت كل ما عندي من التفاسير؛ لأجد تفسيراً تطمئن نفسي إليه، فلم أحصل على طائل» (Υ) .

ونقل المصنف في كتابه هذا من كتب له في التفسير، مثل: «فتح الرحمٰن

رحمه الله تعالى _: «أخونا العالم السلفي المحقق الأستاذ الشيخ محمد نسيب الرفاعي،
 رفع الله في الدارين درجته، وأجزل فيها مثوبته». وقال عن (اختصاره): «جاء (اختصاره)
 طبق ما يؤمله كل طالب علم، موزوناً بقسطاس مستقيم».

⁽۱) لعله نقل من بعضها بالواسطة، فقد صرح في (۲/ ۳۹۲) أنه راجع كل التفاسير التي عنده، قال: «وهي خمسة»!!

⁽٢) «سبيل الرشاد» (٢/ ٤٩).



في تفسير أمّ القرآن» وكذا من تفسيره في سورة الأنعام، المسمى «الإلهام والإنعام».

ونقل في (الجمع بين الوصل والوقف) و(القراءة بصوت واحد) من كتاب محمد التهامي بن الطيب السجلماسي، المسمى «نصرة الكتاب» وقال في المبحث نفسه (٣/ ١٧٣):

«شرع أخونا حسن وجاج في تأليف كتاب يقيم فيه البراهين القاطعة على بدعة ما يسمى عند المغاربة بالحزب، ويحدد تاريخ وصولها إلى المغرب، وما فيها من المفاسد، وهو عمل مشكور، نرجو أن ينفع الله به من شاء من عباده، حتى يُقضى على هذه البدعة التي أُصيب بها المغاربة وحدهم دون جميع المسلمين، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل».

والظاهر أن الهلالي يريد تقديمه لمنظومة أبي عمرو الداني «المنبّهة» فإنه قد فصل فيها هذه المسألة، وهي أطروحته للدكتوراه (١١).

* مصادره في الحديث والتراجم والتاريخ:

ذكر الهلالي اعتماده على ما في «الصحيحين» أو ما انفرد به أحدهما، وعلى «جامع الترمذي» و«سنن أبي داود» و«سنن النسائي» و«مسند أحمد»، وذكر (۲) رمزاً لكل كتاب من هذه الكتب، ولم يذكر «سنن ابن ماجه»، وقد عزى له الكثير من الأحاديث، وكذلك نقل من «السنن الكبرى» للبيهقى.

ونقل من مصادر أخرى صرح بها، ولكن لعله وقعت له بالواسطة، فصرّح ـ مثلاً _ بأسماء: البزار وأبي يعلى _ ولكل منهما «مسند» مطبوع _ ومن «شرح معانى الآثار» للطحاوي، و«صحيح ابن حبان» و«موطأ مالك».

وصرّح بالنقل من كثير من كتب الحديث وشروحه ورجاله، فهو ينقل ـ مثلاً ـ ويكثر من «جامع العلوم والحكم» لابن رجب، ونقل أيضاً من عدة شروح مثل: «نيل الأوطار»، و«سبل السلام»، و«مرقاة المفاتيح» لعلي القاري، و«شرح الطيبي على المشكاة» («أ)، و«شرح الزرقاني على الموطأ»، و«فتح الباري»، و«القبس شرح على الموطأ»، و«فتح الباري»، و«القبس شرح

⁽١) انظر تعليقنا على كلام الهلالي السابق في (١٧٣/٣).

⁽٢) فيما مضى قريباً من كلامه.

⁽٣) لعل النقل منه بواسطة، إذ طبع لأول مرة بعد وفاة الهلالي.

الموطأ»(۱) لابن العربي المالكي، و«فيض القدير» للمناوي، و«معالم السنن»، و«أعلام الحديث»(۲) كلاهما للخطابي، و«حاشية الشيخ أحمد على بلوغ المرام»، ومن «حاشية حسن المدابغي على شرح الهيتمي على أربعي النووي» نقل منه، ووقع العزو لـ«شرح الهيتمي»: انظر (٢١٩/٤)!

وينقل من كتب الغريب، ويعتمد كثيراً على «النهاية» (٣) لابن الأثير، وورد عنده ذكر لـ«غريب الحديث» (٢) للحربي.

وينقل كثيراً من الآثار والأشعار من «جامع بيان العلم» لابن عبد البر، وهناك ذكر لعدة من كتب التراجم، مثل: «تاريخ دمشق»^(۲) لابن عساكر، وفيه أيضاً إحالة على «العقد الثمين» للفاسي ، ونقل من «الطبقات الكبرى» لابن سعد، و«معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي».

وأظهر في الكتاب مجموعة من الكتب التي ترجمت للأصحاب _ رضوان الله عليهم _، مثل: «الاستيعاب» لابن عبد البر، و«الإصابة» لابن حجر، و«أسد الغابة» لابن الأثير.

واعتنى ببعض كتب السيرة والتأريخ، فنقل من بعضها مثل: «السيرة النبوية» لابن كثير، و«الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام» للسهيلي، ونقل أيضاً من بعض كتب البلدان، وسبق ذكر الدمشقيين والشناقطة وأنه نقل من مصنفات خاصة بهم، ونقل في تراجم المكيين زيادة على ما ذكرناه (3) من «مثير الغرام» لابن الجوزي، ونقل في تاريخ المدينة من «الدرة الثمينة» لابن النجار، ومن الكتب التي نقل منها «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى».

* مصادره في الفقه وأصوله:

نقل الهلالي من عدة كتب في الفقه وأصوله، فورد ذكر لكتاب «المدونة»، و«التاج والإكليل»، و«مختصر خليل»، وكلها من كتب المالكية.

⁽١) لعل النقل منه بواسطة.(٢) لعل النقل منه بواسطة.

⁽٣) قال عنه في (٢/ ٢٦٩): «كنت أظن أن ابن الأثير سلفي العقيدة بريء من التعطيل والتّجهّم لأني رأيت المتأخرين من المشتغلين ينقلون من كتابه شرح غريب الحديث، ولما رأيت شرحه لأسماء الله الحسنى وجدته من شرار الجهمية المعطلة، . . . ».

^{· (}٤) أعني: «العقد الثمين» للفاسي، فهو خاص في المكيين.



ونقل من جملة كتب فقه المذاهب، فنقل ـ مثلاً ـ من مجموعة كتب للشافعي، للشافعي، ومن «الأم» للشافعي، للشافعي، ومن «شرح الكنز» للزيلعي، و«فتاوى قاضي خان» وهما من كتب الحنفية، أما كتب الحنابلة، فقد نقل من «المغني» و«الكافي» كلاهما لابن قدامة، ونقل أيضاً من كتاب «المحلّى» لابن حزم.

"وسأنقل ذلك من كتاب "كشف الغمة عن جميع الأمة"، لأني وجدته أحسن ترتيباً وأسهل على القرّاء من "سيرة ابن هشام" وغيرها ممن جمع تراجم الأزواج الطاهرات، ولا ينقصه إلا عدم عزو الأحاديث، وذلك لا يضر؛ لأن أكثر ما ذكر هنا مروي في كتب الحديث المعتبرة"(٢).

وأشار المصنف ـ كثيراً ـ إلى مسألة قبض اليدين في الصلاة (٣)، وذكر كتاب «إبرام النقض في تقرير السدل وإبطال القبض» لمحمد الخضر بن مايابا الشنقيطي، وذكر أن الله هيأ له عالماً شنقيطياً من أهل بلده فألف كتاباً في الرد عليه، سمّاه «الصوارم والأسنّة في الذب عن السنّة (٤)، قال:

"وتبرع بطبعه المجاهد الأكبر في المغارب كلها، الذي أنقذ الله به أهل المغرب الأكبر من حدود السنغال إلى حدود مصر من ربقة الاستعمار وظلمته إلى حرية الاستقلال ونوره، ألا وهو الملك محمد الخامس ـ رحمة الله عليه ـ» قال:

«ومن أجل المكارم أن شريكه في الجهاد الملك الحسن الثاني ـ أطال الله بقاءه، وأدام ارتقاءه ـ لما نفذت نسخ هذا الكتاب أمر بطبعه ثانية، أجزل الله ثوابه، وجزاه أحسن الجزاء، ومؤلف هذا الكتاب هو العلامة السلفي المحدّث الأصولي المفسّر الأديب الشاعر المتفنن محمد بن أبي مدين الأستاذ في معهد بوتيلمت من بلاد شنقيط، وهذا الرجل نادرة زمانه، يحتاج إليه أساتذة الأزهر

⁽١) مع أن الكتاب في فقه الخلاف. (٢) السبيل الرشاد، (٦/ ٢٣٧).

⁽٣) انظر ما كتبناه عنها في التعليق على (١٦/٣)، ١٨).

⁽٤) نقل بواسطته من «إيقاظ الوسنان».



وأساتذة الجامعة الإسلامية بالمدينة، وكل جامعة عربية، لا أقول: الطلبة بل الأساتذة، ومن سوء حظ العرب في هذا الزمان عموم الجهل والتقليد فيهم، وسيرهم على صراط معوج؛ لأنهم لا يعتبرون العلم، وإنما يعتبرون الشهادات المزيفة، التي يحصل عليها كثير من الدواب، فيتسلَّمون أعلى المراتب في الجامعات، وهم صمَّ بكمٌ عميٌ، فوالله الذي لا إله إلا هو، لو ظفر بهذا الرجل أساتذة الجامعات في أوروبة، لاستفادوا من علمه، وبذلوا النفس والنفيس في خدمته، ولكن كما قلنا من ضلالات العرب أنهم يتركون العين ويطلبون الأثر باعتمادهم على الشهادات»(١) قال:

«فمن أراد أن يعرف تحريف المقلّدين المتعصبين إلى أي حدّ بلغ في الإسفاف، فليقرأ هذين الكتابين، فيرى الأول ظلمة، ويرى الثاني نوراً» (٢٠).

ومن الكتب التي أكثر من النقل عنها: "إعلام الموقعين" ($^{(7)}$), وهنالك بعض النقول مأخوذة منه وهي طويلة جداً، ونقل الهلالي أيضاً من "الإحكام" ($^{(3)}$) لابن حزم، و"إرشاد الفحول" للشوكاني، و"الاعتصام" ($^{(6)}$) للشاطبي، و"الباعث على إنكار البدع والحوادث" ($^{(7)}$) لأبي شامة المقدسي، و"البدع" لابن وضاح، و"الحوادث والبدع" للطرطوشي، و"الموافقات" ($^{(7)}$) للشاطبي، ومن "حاشية محمد الخضر حسين عليه"، و"قواعد الأحكام" ($^{(A)}$) للعز بن عبد السلام، و"الرد على من الخضر حسين عليه"، و"قواعد الأحكام" ($^{(A)}$)

⁽۱) «سبيل الرشاد» (۱۸ / ۱۸ ـ ۱۹). (۲) «سبيل الرشاد» (۳/ ۱۹).

⁽٣) حققته _ ولله الحمد _ معتمداً على عدة نسخ خطية، وهو من منشورات دار ابن الجوزي، الدمام، في سبعة مجلدات.

⁽٤) فرغت من مقابلته على نسختين خطيتين، وتخريج أحاديثه وآثاره، وسيرى _ إن شاء الله تعالى _ النور قريباً.

⁽٥) نشرته على نسختين خطيتين في أربع مجلدات في طبعة مجوّدة مخرّجة مفهرسة، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

⁽٦) نشرته على نسخة شستربتي، وطبع ولم أراجعه، وسأعمل على طبعه من جديد، مزيداً منقّحاً، اللهم يسّر ذلك بمنّك وكرمك.

⁽٧) طبع بتحقيقي ـ ولله الحمد ـ في سنة مجلدات، وحاز قبول ورضى النبهاء من طلبة العلم، والمنصفين من العلماء.

⁽٨) حصلت ثماني نسخ خطية تمهيداً لتحقيقه، وفرغت من تنكيتات عليه للسراج البلقيني، سماها «الفوائد الجسام» أملاها على تلميذه الكرماني، وهي بخطه في نسخة فريدة، خطّها صعب غاية.



أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض» للسيوطي.

والملاحظ أن مباحث التقليد والاجتهاد لها نصيب كبير من هذه النقول، بل بعض الكتب السابقة مفردة في هذا الموضوع، وأكثر الهلالي من التركيز على ذم التعصب والتمذهب والتقليد وعدم الاتباع، وهذا الذي اضطره للنقل من بعض الكتب السابقة، ووقع له كثيراً في هذا الباب النقل بالواسطة، مثل نقله من كتاب المواق «سنن المهتدين»، والعمدة _ عنده _ على «الصوارم والأستة».

* كتب اللغة:

أكثر الهلالي من النقل من مجموعة من المعاجم العربية، وبرز في كتابه النقل من «لسان العرب» لابن منظور، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي، وورد ذكر لكتاب «الكتاب» لسيبويه، و«الصحاح» للجوهري، و«تهذيب اللغة» للأزهري، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس، وكان النقل من آخر كتابين بالواسطة.

* كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم:

من النقولات الظاهرة، والمؤلفات الباهرة، التي أكثر المصنف من النقل عنها: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، مثل (۱): «اقتضاء الصراط المستقيم»، و«مجموع الفتاوى»، و«الإيمان»، و«الرسالة المدنية»، «شرح حديث النزول»، و«الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان».

ونقل أيضاً _ وأكثر _ من كتب الإمام ابن القيم (١) ، فنقل من «الكافية الشافية» وشرحها «توضيح المقاصد» لأحمد بن عيسى، ومن «الجواب الكافي»، و «بدائع الفوائد»، و «مختصر الصواعق المرسلة»، و «زاد المعاد»، و «حادي الأرواح»، و «إغاثة اللهفان»، و «روضة المحبين»، و «مدارج السالكين»، وأكثر جداً من النقل عن «اجتماع الجيوش الإسلامية» و لا سيّما في (الجزء الخامس) من الكتاب.

* كتب التوحيد:

التوحيد هو لبّ القصيد في كتابنا هذا، فمباحثه وأنواعه وتقريراته هي قطب الرحى، وكتبه التي نقل منها المصنّف ليست بتلك الكثرة، إلا أن الهلالي اختار

⁽١) وقع النقل من بعضها بالواسطة!



منها فأجاد وأفاد، وساقها في سياق قوي، وعلّق عليها بما يوضح المراد منها، وجُلّ النقول جاءت في معرض التقرير، وأما الردّ فجاء بما يناسب الغرض من درء الشّبه، والرد على كلام يردده المبطلون والمشغّبون، وله أثر في عقول الناس وقناعات بعضهم، فهو ينقل زيادة على ما ذكرناه من كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم من كتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب «التوحيد»، وأورد منه ومن شروحه _ مثل: «فتح المجيد» و«تيسير العلي القدير» _ نقولات طويلة، ونقل أشعاراً في مدح دعوة الإمام، ولا سيّما من «دالية الصنعاني»، ولعله كان يحفظها.

وهنالك نقولات من كتب أخرى، فأكثر من النقل من «الدين الخالص» لصديق حسن خان، ونقل من «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، ومن «الإبانة في أصول الديانة» كلاهما لأبي الحسن الأشعري^(۱)، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث»، و«عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي»، و«العقيدة السفارينية»، و«العلو للعلي العظيم»، وأكثر جداً من النقل من «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي، و«الكواشف الجلية شرح العقيدة الواسطية» لعبد العزيز السلمان، ومن «المجموعة المفيدة» نقل منها في آخر (الجزء السادس) وقال عن صاحبها: «جمع العالم السلفي الشاعر الأديب علي بن سليمان القصيمي المتوفى بالدورة في جنوب العراق في نحو سنة ١٣٤١ه».

ونقل من بعض كتب أهل البدع، وساقها للرد عليها، مثل كتاب «الرماح» لعمر بن سعيد الفوتي، قال عنه (٣٤/٣):

«قال صاحب «الرماح» _ وهو عمر بن سعيد الفوتي _ أخبرني محمد الغالي أن الشيخ التجاني قال: صاحبي لا تمسه النار، ولو قتل سبعين روحاً إذا تاب بعد ذلك . . . » وذكر هذه القولة لهدم كلام آخر نقل عنه يعارضه، حتى جعل الهلالي يقول: «وهذه معضلة يجب على التيجانيين أن يحلّوها، ولن يستطيعوا لحلها سبيلاً»!

وأكثر الهلالي في كتبه بعامة من ذكر التيجانيين، وكشف بواطيلهم

⁽١) وصرح في (٦/ ٢٩٢) أنه نقل أيضاً من كتاب «الموجز» له، لكن بواسطة «الجيوش الإسلامية» لابن القيم، وقال عن «الموجز»: «ولم أطلع عليه».



وألاعيبهم، ولذا نقل في كتابه هذا بعض ما يخصهم من كتابه الخاص في الردّ عليهم، وهو «الهدية الهادية».

وتعرض أيضاً لشبه المجوّزين للاستغاثة والتوسل البدعي، مما اضطره للنقل من «الصارم المنكي» لمحمد بن عبد الهادي، وأحال على «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان» للشيخ بشير السهسواني الهندي.

وذكر ألاعيب الشياطين ببعض المتكسبين بدينهم، مما اضطره للنقل من «تلبيس إبليس» لابن الجوزي.

وذكر أحوال الأديان المحرفة، والفِرَق الباطلة، مما اضطره للإحالة على كتابه «البراهين الإنجيلية على أن عيسى الله الخلال العبودية ولاحظ له في الألوهية»، ونقل أيضاً من كتاب «إظهار الحق» لرحمة الله الهندي، ومن كتاب «أديان الهند الكبرى» للشلبى.

هذه جُلّ مراجع الهلالي في كتابه هذا (٢)، عدا ما في ذاكرته من نقول وحكم وأمثال وأشعار، وقصص وحكايات.

* الغرض من تأليف الكتاب ومنهجه فيه:

ذكر العلامة الهلالي (الغرض) من تأليف كتابه هذا، فقال:

«لما كان الغرض من تأليف هذا الكتاب إقامة البراهين على وجوب اتباع الكتاب والسنّة وترك التفرُّق والتحرُّب بشكل مذاهب أو طرائق أو أحزاب لم أرد أن أتوسع فيما يرد أثناء البحث من المسائل الأُخرى»(٣).

وهذا الغرض الذي تكلم فيه إنما هو محصور في (قسم) من (أقسامه الثلاثة) وهو (توحيد الاتباع)، وقد صرّح بذلك في قوله فيه (٤/٤ ـ ٢٥) موضحاً معاني بعض الآيات:

⁽۱) اقترح الهلالي على زهير الشاويش في رسالة وجهها إليه بتأريخ ٢٧/٣/ ١٣٩١ه أن يطبع هذا الكتاب، قال: «ولكم أن تجعلوا عنوان ـ مثلاً ـ: «البراهين الإنجيلية على أن عيسى بشر...».

⁽٢) عدا ما صرّح به من كتب ألفت باللغة الإنجليزية، فقد صرّح في (٣٦٨/٢) بالنقل من «مختصر تاريخ أوروبة» وهو مقرر للمدارس الثانوية ببريطانيا، ومن كتاب «عصر العقل» لتوماس بين، ومن (ougesol) وقال أيضاً: «له مقالات بالإنجليزية مشهورة».

⁽٣) «سبيل الرشاد» (٣/ ١٤٤ _ ١٤٥).



«قال محمد تقي الدين: أخبر الله على مؤكداً بالقسم وغيره من المؤكدات أن محمداً ﷺ من المرسلين وأنه على صراط مستقيم، كل من اتبعه سعد، وكل من خرج عنه شقى. وأخبر سبحانه أنه أنزل هذا القرآن على رسوله لينذر به أهل الأرض، كلهم عامة والعرب خاصة، إذ لم يرسل إليهم نذير من قبله، ولا كان عندهم كتاب يرجعون إليه، ولا سنّة نبي يتمسّكون بها، فهم لذلك في غاية الغفلة والجهالة والظلمة، ولما كذبوا الرسول وكفروا بما أنزل إليهم من ربهم وجحدوه ظلماً وعلواً، حقت عليهم كلمة الله وسدّت عليهم أبواب الهداية، وتحتم عذابهم وشقاؤهم، وحيل بينهم وبين الإيمان بسبب إعراضهم وطغيانهم، ثم أخبر على أن الذين ينتفعون بالإنذار هم الذين يستمعون القرآن ويتبعونه ويمنعهم خوف الله تعالى من مخالفة القرآن والرسول ﷺ، فأولئك بشَّرهم الله بمغفرة ذنوبهم وبالأجر العظيم والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، وصدق الله وعده فانتصروا على أعدائهم واستولوا على مشارق الأرض ومغاربها، وأذعنت لهم أمم الأرض وشعوبها ومضوا على ذلك قروناً طوالاً حتى نبذوا القرآن والسنّة، فسلبهم الله ما وهبهم وجعلهم عبرة لأولي الأبصار. ولا يزال باب التوبة مفتوحاً أمامهم لو رجعوا إلى رشدهم وأنابوا إلى ربهم، ولما كان التقليد والتعصب والتفرّق والتمذهب، واتباع الطرائق القدد، والأحزاب البدد، والقوميات والوطنيات والأهواء والعادات من أعظم أسباب شقائهم التي سدّت عنهم أبواب الخير، وفتحت لهم أبواب الشقاء، عزمت في هذا القسم من «سبيل الرشاد» أن أبذل كل جهد في التحذير من هذه الطرق المعوجّة وأنقل كلام الأئمة مصحوباً بالحُجَّة».

وسبق آنفاً (۱) إيراد كلام للهلالي أنه نوى أن يجعل كتابه على أربعة أقسام، كل قسم في أنواع التوحيد الثلاثة، ثم توحيد الاتباع، إلا أنه صرح في تقديمه للكتاب أنه دمج توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية في نوع واحد، فلنسمع إليه وهو يقول:

«يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الكبير المتعالي محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي ـ عفا الله عنه ووققه للعمل الصالح المتوالي ـ: خطر ببالي منذ مدة أن أؤلف كتاباً لنفسي ولمن شاء الله بعدي، أشرح فيه أنواع التوحيد

انظر کلامه (ص۱۳).



الأربعة (١) التي أولها: توحيد الربوبية، وثانيها: توحيد العبادة، وثالثها: توحيد الاتباع، ورابعها: توحيد الأسماء والصفات، ثم رأيت أن آيات توحيد الربوبية في كتاب الله كثيرة لو استوعبتها مع ما يتعلق بها من الأحاديث النبوية وكلام علماء السلف، لعظم حجم الكتاب جداً لكثرتها، فجعلت الأقسام ثلاثة:

الأول: في توحيد العبادة ممزوجاً بما يحتاج إليه من آيات توحيد الربوبية. والقسم الثاني: يشتمل على آيات توحيد الاتباع ـ أعني الكتاب والسنة ـ.

والقسم الثالث: يشتمل على آيات توحيد الأسماء والصفات وهي الآيات التي وصف الله بها نفسه سبحانه وما يتعلق بها من الأحاديث النبوية وأقوال أثمة السلف، وقد أعانني الله سبحانه على إتمام هذا (الجزء الأول) فلله الحمد والمنة، وإياه أسأل، وبأسمائه وصفاته أتوسل، أن يعينني على إتمام الجزءين الباقيين، وسميت هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة «سبيل الرشاد». أسأل الله تعالى أن يجعل النفع به كثيراً، وأن يجعله من الأعمال الباقية، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم»(٢).

فاستقر الكتاب على ثلاثة (أقسام) أو (أنواع) كلية، وكان كل نوع في جزئين من المطبوع.

وأراني هنا مضطراً للتركيز على بيان وإبراز حرص العلامة الهلالي ـ رحمة الله عليه ـ على التوحيد الصحيح، والاتباع السليم، فأقول وبالله سبحانه أصول وأجول:

* حرص الهلالي على التوحيد^(٣):

كان الهلالي ـ رحمه الله تعالى ـ داعياً إلى التوحيد، وله في نصرته جولات وصولات، وجاهد في صيانة جنابه في جميع البلاد التي حل بها، وترك آثاراً

⁽١) أنواع التوحيد في الحقيقة ثلاثة؛ لأن الثالث وهو الاتباع داخل في الثاني ولكنني جعلته قسماً لكثرة خلاف المقلدين لما جاء به الرسول ﷺ (منه).

⁽٢) «سبيل الرشاد» (١/ ١٣١). وللهلالي في «العيون الزلالية» (ق٤٠٢ ـ ٤٠٤) كلمة موجزة عن الأنواع الأربعة المذكورة من أنواع التوحيد.

⁽٣) للأخ عبد الرحمٰن العميسان أطروحة ماجستير سجلت في (الجامعة الإسلامية)، وهي بعنوان: «جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين» ما زالت قيد الإعداد.



جليلة في إظهار عقيدة أهل السنّة والجماعة، عقيدة السلف الصالح.

ولم تخل هذه المهمة العظيمة التي حملها الهلالي على كاهليه أحسن حمل من مفارقات وابتلاءات ومفاجآت، وجرّت عليه في بعض البلاد بعض المشكلات.

ومدحه غير واحد من عارفيه وملازميه بالمعرفة والحرص على العقيدة السلفية، حتى إن إمام الدنيا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز كان يقول عن هلالنا: «شيخي في التوحيد»(١)، وقال عنه العلامة حماد الأنصاري _ وسبق ذلك عنه _:

«كان سلفي العقيدة، لو قرأت كتابه في التوحيد _ يعني «سبيل الرشاد» _ لعلمت أنه لا يعرف التوحيد الذي في القرآن مثله».

ووظّف الهلالي مواهبه ومعارفه في سائر ضروب العلوم نصرةً لعقيدة السلف والذبّ عنها، فنظم الشعر في هجاء مخالفيها، ودعا فيه الناس إلى التمسك بما عليه أسلافهم، وأن عزهم ومجدهم لا يتحقق إلا بذلك، ونشر أيضاً كثيراً من «المقالات»(۲) في الأديان والفرق والمذاهب الضالة، وعرّى أصحاب الدَّجل، والخرافة، وسمّاهم، وجرّد عليهم سيف الحق والدليل والبرهان الناصع، وجهد في نصح العامة والدهماء ودعوتهم، ولاقى ألاقي وتحمّل المصاعب والمشاق في سبيل ذلك.

وأما الكتب التي أفردها في التوحيد، فبلغت ثمانية عشر كتاباً، وحشّى على ثلاثة كتب: اثنان للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وواحد لشيخ الإسلام

⁽۱) قال تلميذ العلّامة ابن باز الشيخ محمد شطو _ وفّقه الله وأكرمه _ عن هذه المقولة: «مشهورة عندنا؛ نقلها أخونا خالد الزهراني في أطروحة الماجستير: «تقي الدين الهلالي وجهوده في الدعوة إلى الله» (ص٥٧ _ مرقومة على الآلة الكاتبة)، ثم سمعتها من الشيخ شطو بنفسي في سحر الليلة الأخيرة من رمضان سنة ١٤٢٥ه، فالعهدة فيها عليه!

 ⁽٢) جمعت كثيراً من مقالاته في سائر ضروب وألوان العلوم، وبوّبتُها وعملت على تنضيدها، وستصدر قريباً في مجموعة، يسر الله ذلك بمنّه وكرمه.



ابن تيمية، وسيأتي ذكر ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ مفصلاً عند الحديث عن (مبحث ترجمته).

وأكثر ما تظهر شدة الهلالي عند دفاعه على العقيدة السلفية، فها هو تلميذه الشيخ محمد زحل يقول عنه:

«كان في طبعه حدة وكان متشدداً في كل ما يتعلق بالعقيدة، قال له شخص يوماً وقد جاءه بولد يدعو له: إنه ليس لي إلا ربي وهذا الولد، فادع له، فلم يكن من تقي الدين إلا أن يجيبه أطلب الله أن (يطيّره) لكي يبقى لك الله وحده»(١).

وهذه الشدّة التي فيه كانت من حرصه وغيرته على التوحيد، وإلا فهو ـ كما قال عنه تلميذ آخر ـ: «التزم المنهج السلفي، وصار من دعاته النشيطين، ولكنه كان متفتحاً غير متزمت، ومجتهداً غير مقلّد» (٢). وقال عنه أيضاً: «وكان منهجه في التعليم والتربية الحرص على غرس التوحيد، والالتزام بالأركان، والعمل بالأصول» (٣).

وهاك مثالاً عمليّاً، وقصة واقعية حكاها الهلالي عن نفسه في كتابنا هذا «سبيل الرشاد» (٣٤/٢ ـ ٣٥) فيها دعوة الهلالي بالرفق والحكمة، ومراعاة حال المخاطب، والفحص عن استعداده وتهيئته لقبول الحق، وتحويله من المخالفة الشركية إلى العبادة الشرعية، قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

"ولما حججت أول حجة سنة ١٣٤١هـ في زمان الشريف حسين، لقيت رجلاً من بلادنا، فيلالياً من الغرفة، فدعاني للعشاء، وكان بواباً للملك حسين، فجاءني بطعام ملكي رفيع، وقال لي: يا ولد احفظ دينك وعقيدتك، فإن بلاد المشرق فيها عقائد كثيرة، وأكثرها ضلال، أما بلادنا المغرب فعقيدتنا واحدة على مذهب أهل السنة والجماعة، ومن أغرب هذه الفرق وأعجبها فرقة تسمى الوهابية، وهم: في شرق مملكة الحجاز، مجاورون لهذه المملكة، فهؤلاء يكرهون النبي، ولا يحبون أن يسمعوا اسمه، وإذا سمعوه غضبوا وقتلوا من ذكره لهم، وهم لا يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله كما نقول نحن، بل يقولون

⁽١) «السلفية الوهابية في المغرب» (ص١٣٤).

⁽٢) (من أعلام الحركة الإسلامية) (ص٤٩١).

⁽٣) المرجع نفسه (ص٤٩١).



بدل محمد رسول الله، لا إله إلا الله مالك يوم الدين، فأظهرت له التعجب ولم يدر أنني من هذه الفرقة، وبعد ذلك بقليل استولى الملك عبد العزيز بن سعود على الحجاز، ولما حججت الحجة الثانية سنة ١٣٤٥هـ، أنزلني الملك عبد العزيز - رحمة الله عليه ـ في دار الضيافة، فبحثت عن ذلك الرجل الفلالي، فوجدته ودعوته إلى دار الضيافة الخاصة بي، فتغدى معي، فعرف حينئذ أنه لما كان ينصحني كان مخطئاً مغفلاً، فسكت وكتم ما في نفسه، فلما تغدينا ذهبنا إلى المسجد الحرام، فوجدنا الشيخ عبد الظاهر أبا السمح جالساً على الحصباء، وهو إمام المسجد الحرام وخطيبه، وسلمت عليه وجلست معه، فلما جلس رفيقي قال: يا رسول الله، فقال الشيخ عبد الظاهر: قل: يا الله، فقال: ما أقول إلا يا رسول الله، يا رسول الله، يا رسول الله، اقطع رأسي إن قدرت، أنا قلت: يا رسول الله أمام الأمير محمد أخي الملك عبد العزيز، ثم التفت إلي وقال: هذا الشر كله ما أصابني إلا بسببك، لا أرافقك أبداً، فتبعته وصرت أتلطف معه لعلّ الله أن يهديه، فهرب ولم أره بعد ذلك، وحدثني الشريف محمد من أهل مكة في تلك السنة نفسها سنة ١٣٤١هـ، قال لي: كنت مسافراً من المدينة إلى مكة، وكان صاحب البعير الذي أركبه نجدياً وهابياً، فركب خلفي ليستريح فتنهدت وقلت: يا رسول الله، فلطمني لطمة أفقدتني صوابي وكدت أسقط من ظهر البعير، وقال لي: يا حمار ما تقول: يا الله، قال: فسكت على مضض.

ولما وصلت إلى مكة ودخلت بيتي تركته على الباب ينتظر الكراء، فجاءني أولادي يسلِّمون عليَّ، فقلت لهم: يا أولادي، إن هذا النجدي الذي عند الباب لطمني لطمة ما أصبت بمثلها في عمري كله، لا معلم المكتب، ولا والدي، ولا أحد لطمني مثل تلك اللطمة، فأحضروا عصياً، وقالوا له: ادخل، فلما دخل ضربوه حتى طاب خاطري وكففتهم عنه، فقلت له: أيها الشرقي هذا جزاء اللطمة التي لطمتني، وينبغي أن أنبه هنا على أن ذلك الأخ النجدي مع حسن نيته ارتكب خطأ فهو يعلم أن الملك حسيناً كان يعادي أهل نجد، وقد منعهم من الحج اثنتي عشرة سنة، فكان ينبغي له أن يتلطف مع ذلك الرجل ويقول له: يا أخي صل على النبي واسأل حاجتك من الله واستغث به وحده، وتوسل إلى الله بمحبة النبي واتباع النبي والصلاة على النبي، فإن الله لا يرضى أن يدعى معه غيره، والنبي الله يرضى بذلك، قال تعالى في آخر سورة النحل: ﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْمِكْمَةِ وَاللّهِ يَالُمُ كَالُمْ وَاللّه يغفر لنا وله».



ودعوة الهلالي للتوحيد قديمة، منذ أن عرّفه الله الحق، وأرشده إلى العقيدة السّنيّة السّنيّة، فامتنّ الله عليه بالهداية من ضلالات التجانيّة التي مكث معتقداً إياها ملازماً أورادها، متشبثاً بتعاليمها تسع سنوات^(۱)، ووصل فيها إلى أعلا الدرجات (درجة الخليفة)^(۲)، وذكر قصة خروجه منها في مقالات نشرت في بعض المجلات^(۳)، وأجمل ذلك في كتابه «سبيل الرشاد»^(٤)، فقال بعد كلامه على التقليد:

"وهذا ما وقع لنا معشر الحنفاء الموحدين فأنا مثلاً وجدت والدي مقلداً للمذهب المالكي ومنتسباً إلى الفرقة الأشعرية ومتمسكاً بالطريقة الدرقاوية الشاذلية، فلم يكن لي بد من اتباعه، ثم انتقلت من الدرقاوية إلى التيجانية وبقيت فيها مدة تسع سنين حتى لقيت شيخنا العلامة الداعي إلى الله على بصيرة محمد بن العربي العلوي في مدينة فاس سنة ١٣٣٨ه في ربيع الأول في اليوم (١٢)، منه وهو الذي يحتفل به المبتدعون وعبّاد القبور أجمعون، وكان عمري حينئذ (٢٨) سنة، وقد قرأت القرآن وحفظته وجوّدته، وقرأت عبادات خليل، ومن علم النحو درست: «الآجرّومية»، و«ملحة الإعراب»، و«ألفية بن مالك» ومع ذلك كله بقيت على عقيدة أبي وأمي، ففتح أستاذي بإذن الله عين بصيرتي وعلمت أني كنت في ظلمات بعضها فوق بعض، وتبت إلى الله من عقيدة الأشعرية المتأخرين ومن التقليد ومن الطريقة.

إذا اصطفاك لأمر هيأتك له يد العناية حتى تبلغ الأملا وهذا يبين لك شؤم التفرق في الدين وأنه سبيل الهالكين".

وأراني في هذا المقام مضطراً لذكر ما جرى له بالتفصيل في قصة رجوعه من الضلالة إلى الهداية، ومن ظلمات البدع إلى نور السنة، وقد فصل ذلك في كتابه «الهداية الهادية» (٥) وسأنقل منه باختصار وتصرف يسير، قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

⁽۱) «الهدية الهادية» (ص٩).

⁽٢) سمعت ذلك من الشيخ زهير الشاويش ـ حفظه الله ـ.

⁽٣) أفاد في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص٧٧ ـ ٧٤) أنه نشر في صحيفة «الحرية» المغربية ثلاث مقالات بعنوان: (كيف خرجت من الطريقة التيجانية) قال: «ذكرتُ فيها قصة خروجي وتوبتي من هذه الطريقة، وأقمت البراهين على بطلانها».

⁽٤) (١٢٦ ـ ١٢٦). (٥) (ص١٢ ـ ٢٢).



"لقد كنت في غمرة عظيمة وضلال مبين، وكنت أرى خروجي من الطريقة التيجانية (١) كالخروج من الإسلام، ولم يكن يخطر لي ببال أن أتزحزح عنها قيد شعرة. وكان الشيخ عبد الحي الكتاني عدواً للطريقة التيجانية. . . ففي ربيع الأول من سنة أربعين من هذا القرن الهجري سافرت إلى فاس ودعيت في اليوم السابع منه لحضور حفل على الطريقة الكتانية، فامتنعت من مشاركتهم؛ لأن من شروط التيجاني المخلص (٢) أن لا يذكر مع أهل طريقة أخرى ذكرهم وأن لا يرقص معهم، ولكن الجماعة ألحوا علي وجروني جرّاً حتى أوقفوني في حلقتهم، فرأيتُ أفواها مفغورة من وجوه بعضها في لحية سوداء، وبعضها فيه لحية خطها الشيب، وبعضها أمرد ليس له لحية من الغلمان الذين لم يلتحوا بعد، وسمعت أصواتاً تنبعث من تلك الأفواه، ليس لها معنى في أي لغة كانت بعضها آ آ آ، وبعضها آ آ آ، وبعضها أم أ أ أ أ وبعضها أح أ أ أ أ أ ستنكرت تلك الهيئة وقلت في نفسي: إن الله لا يرضى بهذه الحالة أن تكون عبادة له لبشاعتها، ثم ندمت على ذلك ندامة الكسعي (٣). . .

وقلت في نفسي: كيف يسوغ لي أن أنكر شيئاً حضر مثله خاتم الأولياء

⁽۱) الطريقة التيجانية طريقة صوفية أسسها أحمد بن محمد بن المختار، وقد عاش ما بين (۱۰۰ ـ ۱۲۳۰هـ) وولد في قرية عين ماضي بالجزائر وأنشأ طريقته التيجانية عام ١١٩٦هـ في قرية أبي سمعون بفاس وأصبحت فاس هي المركز الأول لنشر هذه الطريقة في العالم، ومن بعض معتقداتها يزعمون أن مشايخهم يُكشف عن بصائرهم وأن أحمد التيجاني قد التقى بالنبي على لقاءً حسياً مادياً، وأنه قد كلّمه مشافهة، وأنه قد علّمه صلاة الفاتح لما أغلق، وأن النبي على أخبره أن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن ست مرات، ومن معتقداتهم أنهم يجيزون التوسل بالنبي على وهذا من الشرك الصريح. انظر: «الموسوعة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٤).

⁽٢) وصف الهلالي نفسه في غير كتاب من كتبه بهذا الوصف، فها هو يقول عن نفسه في «سبيل الرشاد» (٩٢/٣) عند مناقشة رجل له في وقت الظهر ومخاصمته له وشتمه إياه، قال: «فأخذت سبحتي وأنا يومئذ تيجاني مخلص في الطريقة أشد الإخلاص من فرط جهلي وشقائي، فوجهت سبحتي كالبندقية إلى خيمته طلباً للانتقام منه، فخاف خوفاً شديداً، وانصرف، وفي ذلك اليوم ضلت له أحسن ناقة من إبله، فجاءني في الغد خاشعاً ذليلاً، وقال لي: يا سيدي محمد! إنك قطعت في خويدمك؛ أي انتقمت منه بلا رحمة...» إلخ ما قال...

⁽٣) هذا مثل مشهور، انظر قصته في: «مجمع الأمثال» (٣/ ٣٩٨ _ ٣٩٩).



القطب سيدي أحمد التيجاني فتبتُ من ذلك الخاطر، ولكن جاءني امتحان آخر أن الشيخ عبد الحي الكتاني قال لي منتقداً: إن الطريقة التيجانية مبنية على شفا جرف (١) وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتمسك بها.

فقلت له: والطريقة الكتانية التي أنت شيخها؟ فقال لي: كل الطرائق باطلة وإنما هي صناعة للاحتيال على أكل أموال الناس بالباطل وتسخيرهم واستعبادهم.

قال الهلالي: إذن أنت تستحل أموال الناس بالباطل وتسخرهم وتستعبدهم؟ قال: أنا لم أؤسس الطريقة، وإنما أسسها غيري وهذه الأموال التي آخذها منهم أنفقها في مصالح لا ينفقونها هم فيها.

ثم قال الهلالي له: وما حملك على الطعن في الطرائق وما دليلك على بطلانها!؟ فقال لي: ادعاء كل من الشيخين أن النبي على يحضر بذاته وظيفة أصحابه حين يذكرونها، وهذه قلة حياء منهما^(۱) وعدم تعظيم للنبي على كيف تكلفونه أن يخرج من قبره، ويقطع هذه المسافات من البر والبحر، ليجلس أمامكم، فأنتم تبسطون له ثوباً أبيض، ليجلس عليه، وأصحابنا يقومون ويذهبون إلى الباب ليتلقّوه.

فقال الهلالي: إذن أنت لا تعتقد صحة طريقتك؟ فقال الكتاني: لا أعتقدها أبداً، وقد أخبرتُك أنها صناعة لأكل أموال الناس بالباطل، وأزيدك على ذلك: إن اعتماد طريقتكم على كتاب «جواهر المعاني» الذي تزعمون أن شيخكم أحمد التيجاني أملاه على على حرازم مسروق، فأحد المجلدين _ وهو الأول _ مسروق بالحرف، وهو تأليف لمحمد عبد الله المدفون بكذا وكذا بفاس، وسمى ناحية نسيها الهلالي. قال الكتاني: وأنا قابلت الكتابين من أولهما إلى آخرهما، فوجدت المجلد الأول من «جواهر المعاني» مسروقاً كله من كلام الشيخ المذكور...

⁽۱) هذا حق أكيد، ومحاولة محمد بن محمد الصغير الشنقيطي التشيتي في كتابه «الجيش الكفيل بأخذ الثار ممن سلّ على الشيخ التيجاني سيف الإنكار» فاشلة، لا وزن لها في التحقيق العلمي، والمنهج السلفي، وهي كالماء لا تشدّ اليد بها البتة!

⁽٢) انظر هذه (الأكذوبة) وتفصيل ردّها في كتابي «قصص لا تثبت» (الجزء الثالث) (ص١٩٨) وما بعد.



وهكذا بدأ التفكير المُلِح لدى الهلالي للخروج من الطريقة التيجانية، وشاء الله أن يجالس الهلالي الشيخ عمر بن الخياط بائع كتب بقرب القرويين وناقشه في الموضوع نفسه، فما كان من البائع إلا أن أرشده إلى العالم الكبير الشيخ محمد بن العربي العلوي ـ رحمه الله تعالى ـ فذهب إليه وقابله واستضافه الشيخ في بيته (۱)، فلما رأى الشيخ محمد بن العربي إحجام الهلالي قال له: ما سبب انقباضك؟ قال: سببه أنكم تطعنون في الطريقة التيجانية وأنا تيجاني ولا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه الطعن في شيخي وطريقته.

فقال لي: لا بأس عليك أنا أيضاً كنت تيجانياً فخرجت من الطريقة التيجانية لما ظهر لي بطلانها، فإن كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد، فلك علي أن لا تسمع بعد الآن في مجلسي انتقاداً لها، أو طعناً فيها، وإن كنت تريد أن تسلك مسالك أهل العلم فهلم إلى المناظرة، فإنْ ظهرتَ عليً رجعتُ إلى الطريقة، وإنْ ظهرتُ عليك، خرجت منها كما فعلتُ أنا.

قال الهلالي: فأخذتني النخوة، ولم أرضَ أن أعترف أني أتمسّك بها على جهل، فقلت: قبلتُ المناظرة.

ثم قال ابن العربي: أنا أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت، ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت، بطلت الطريقة كلها.

قال الهلالي: ما هي؟ قال ابن العربي: ادعاء التيجاني أنه رأى النبي على الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي على يقظة لا مناماً وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل، فإن ثبتت رؤيته للنبي على يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل، والرجوع إلى الحق حق، وإن بطل ادعائه ذلك فأنا على حق، وأنت على باطل، فيجب عليك أن تترك الباطل، وتتمسك بالحق، ثم قال: تبدأ أنت أو أبدأ أنا؟ قال الهلالي: ابدأ أنت.

قال ابن العربي: عندي أدلة كل واحد منها كافٍ في إبطال دعوى التيجاني. قال الهلالي: هات ما عندك وعلى الجواب، فقال:

الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي على كان بسبب

⁽١) ذكر الهلالي في «الهدية الهادية» (ص١٦ ـ ١٧) تفصيلاً واستطراداً حذفناه طلباً للاختصار.



الخلافة، قالت الأنصار للمهاجرين: منا أمير ومنكم أمير، وقالت المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش، ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي على فبقي ثلاثة أيام بلا دفن ـ صلاة الله وسلامه عليه ـ، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم، ويقول: الخليفة بعدي فلان، فينتهي النزاع؟!! كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحداً يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصلح بينهم، وذلك أهم من ظهوره للتيجاني بعد مضي ألف ومائتي سنة ولماذا ظهر؟ ظهر ليقول له: أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالده وأولاده وأزواجه إلى الحفدة. فكيف يترك النبي على الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور، ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم.

فقال الهلالي: قد أجاب الشيخ عن هذا الاعتراض في حياته فقال: إن النبي على كان يلقى الخاص للخاص والعام للعام في حياته، أما بعد موته انقطع لقاء العام وبقي لقاء الخاص للخاص...

فقال ابن العربي: أنا لا أسلّم أن في الشريعة خاصّاً وعامّاً؛ لأن أحكام الشرع خمسة وهذا الورد وفضائله إن كان من الدين، فلا بدّ أن يدخل في الأحكام الخمسة لأنه عمل أعدّ الله لعامله ثواباً، فهو إما واجب أو مستحب، ولم ينتقل النبي على الرفيق الأعلى حتى بيّن لأمته جميع الواجبات والمستحبات، فلم يستطع الهلالي أن يجيب بجواب مقنع، ثم قال الهلالي: الشيخ التيجاني عالم بالكتاب والسنة.

قال ابن العربي: احفظ هذا، ثم قال:

الأمر الثاني: اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة الزهراء على الميراث، فلا يخفى أن فاطمة طلبت من أبي بكر ميراث أبيها. . . فقال لها أبو بكر: إن النبي على قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة»(١). وقد حضر ذلك جماعة من الصحابة، فبقيت فاطمة الزهراء مغاضبة لأبي بكر حتى ماتت بعد ستة أشهر بعد وفاة أبيها على .

⁽۱) أصل الحديث عند البخاري (۲۹۲٦)، ومسلم (۱۷۵۷)، وانظر تحريف بعض أهل البدع له في «شرحي على الورقات» للجويني (ص٢٤٦ ـ ٢٤٧)، وهو ـ الله الحمد ـ مطبوع عن دار الإمام مالك في الإمارات العربية.



فهذان حبيبان لرسول الله ﷺ. . . وهذه المغاضبة التي وقعت بين أبي بكر وفاطمة تسوء النبي ﷺ، فلو كان يظهر لأحد بعد وفاته لغرض من الأغراض لظهر لأبي بكر الصديق، وقال له: إني رجعت عما قلته في حياتي، فأعطها حقها من الميراث، أو لظهر لفاطمة، وقال لها: يا ابنتي لا تغضبي على أبي بكر، فإنه لم يفعل إلا ما أمرتُه به.

فقال الهلالي: ليس ما عندي من الجواب إلا ما سمعت.

قال ابن العربي: احفظ هذا، وقال:

الأمر الثالث: الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة، وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى واشتد النزاع بينهم حتى وقعت حرب الجمل، في البصرة فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين وعقر جمل عائشة، فكيف يهون على النبي على سفك هذه الدماء ووقوع هذا الشر بين المسلمين بل بين أخص الناس به، وهو يستطيع أن يحقن هذه الدماء بكلمة واحدة وقد أخبر الله في آخر سورة التوبة برأفته ورحمته بالمؤمنين وأنه يشق عليه كل ما يصيبهم من العنت وذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوكُ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزُ عَلَيْهِ مَا عَنِيتُمْ وَلِيمُ عَنَاكُمُ مَا يَعَالَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ مَا عَنِيمُ وَلَكُ قَولِهُ اللهِ اللهُ اللهُ

فقال الهلالي: ليس عندي من الجواب إلا ما سمعت وظهوره وكلامه للشيخ التيجاني فضل من الله، والله يؤتي فضله من يشاء. قال: احفظ هذا وفكر فيه.

الأمر الرابع: خلاف علي مع الخوارج، وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر النبي ﷺ لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقنت تلك الدماء.

فقال الهلالي: الجواب: هو ما سمعت، فقال لي ابن العربي: احفظ هذا وفكّر فيه، فإنى أرجو أنك بعد التفكير ترجع إلى الحق...

والأمر الخامس: النزاع الذي وقع بين على ومعاوية، وقد قتل في الحرب التي وقعت بينهما خلق كثير، منهم عمار بن ياسر، فكيف يترك النبي على الظهور الأفضل الناس بعده وفي ظهوره هذه المصالح المهمة من جمع كلمة المسلمين وإصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم، وهو خير المصلحين العاملين بقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُن اللَّهُ مِنُونَ إِخُوا أَا اللَّهُ مِنُونَ إِخُوا أَن اللَّهُ مِنُونَ إِخُوا أَن اللَّهُ مِنُونَ إِخُوا أَن اللَّهُ مِنُونَ إِخُوا أَنْ اللَّهُ مِنُونَ إِخُوا أَنْ اللَّهُ مِنُونَ إِخُوا أَنْ اللَّهُ مِنُونَ إِخُوا أَن اللَّهُ مِنُونَ الْمُوا اللَّهُ مِنُونَ اللَّهُ مِنُونَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الل



بَيْنَ أَخُويَكُمْ الحجرات: ١٠] ثم يظهر للشيخ التيجاني في آخر الزمان لغرض غير مهم وهو في نفسه غير معقول؛ لأنه مضاد لنصوص الكتاب والسنة فلم يجد عند الهلالي جواباً غير ما تقدم، ولكنه لم يسلّم له.

فقال ابن العربي له: فكّر في هذه الأدلة وسنتباحث في المجلس الآخر، فعقد الهلالي وابن العربي بعد هذا المجلس سبعة مجالس كل منها كان يستمر من بعد صلاة المغرب إلى ما بعد العشاء بكثير. وحينئذ أيقن الهلالي أنه كان على ضلال، ولكن أراد أن يزداد يقيناً فقال له: من معك من العلماء هنا في المغرب على هذه العقيدة؟ وهي أن كل مسألة في العقائد أو في الفروع يجب أن نعرضها مع قصر باعنا وقلة اطلاعنا على كتاب الله وسنة رسول الله على فما ظهر لنا أنه مخالف رددناه.

فقال ابن العربي: يوافقني على هذا أكبر مقدم للطريقة التيجانية في المغرب كله وهو الشيخ الفاطمي الشرادي، فكاد الهلالي أن يكذبه، قال: لأن المشهور في جميع أنحاء المغرب أن هذا الرجل من كبار العلماء، وهو أكبر مقدم للطريقة التيجانية...

فتوجه صاحبنا الهلالي إلى الشيخ الفاطمي كَلْلُهُ وكان الوقت ضحى، وقد أوصاه محمد بن العربي أن لا يسأله إلا في خلوة فوجده الهلالي عنده جماعة فانصرف بعضهم، وجاء آخرون وبقي ينتظر أن يخلو به حتى صليا الظهر، وجاء الغداء فلم يستطع الهلالي أن يخلو به، وكان ثلاثة ممن كانوا في مجلسه حاضرين، فقال الهلالي له: إن الشيخ محمد بن العربي العلوي يقول: يجب علينا أن نعرض جميع المسائل أصولاً وفروعاً على كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق في نظرنا القاصر قبلناه وما خالف رددناه؛ ولو قال به الإمام مالك أو الشيخ أحمد التيجاني، فأشار الفاطمي إلى الهلالي بيده يستمهله، وكان جلوس الهلالي عنده قد طال فانصرف العلامة الفاطمي إلى مدرسة الشراطين حيث كان نازلاً قبل غنده قد طال فانصرف العلامة الفاطمي إلى مدرسة الشراطين حيث كان نازلاً قبل فقاء الهلالي بالشيخ العلوي.

وفي ذلك اليوم بعد صلاة العشاء جاء الهلالي بوابُ المدرسة وقال له: إن الشيخ الفاطمي الشرادي أرسل إليك عبده وبغلته يطلب أن تزوره، فتعجب الهلالي كثيراً لأمرين: أحدهما: أن الوقت ليس وقت زيارة، وثانيهما: أنه لم تجر العادة أن كبار العلماء الطاعنين في السن، يبعثون الدابة للركوب إلا لمن هو

مثله في السن والعلم، وهو شاب، فركب البغلة وسار العبد أمامه حتى وصل إليه وسلّم عليه فرد أحسن رد ورحب بالهلالي وقال له: يا ولدي أنا رجل كبير طاعن في السن، ليس لي قدرة على القتال، أما سيدي محمد بن العربي العلوي فهو شاب مستعد للقتال وأنت سألتني أمام الناس عن مسألة مهمّة لا يسعني أن أكتم جوابها ولا أستطيع أن أصرح به أمام الناس. فاعلم أن ما قال لك سيدي محمد بن العربي العلوي هو الحق الذي لا شكّ فيه وقد أخذت الطريقة القادرية وبقيت فيها زماناً، ثم أخذت الطريقة الوزانية وبقيت فيها زماناً، ثم أخذت الطريقة الوزائية وبقيت فيها زماناً، ثم أخذت الطريقة الوزائية وبليب فيها المربي على الكتاب الطريقة التيجانية والتزمتها حتى صرت مقدماً فيها فلم أجد في هذه الطرائق فائدة وتركتها كلها ولم يبق عندي من التصوف إلا طلب الشيخ المربي على الكتاب والسنة علماً وعملاً، ولو وجدته لصاحبته وصرت تلميذاً له وأنت تريد أن تسافر إلى الشرق، فإن ظفرت بشيخ مربّ متخلق بأخلاق الكتاب والسنة علماً وعملاً فاكتب إليّ وأخبرني به حتى أشد الرّحال إليه.

قال الهلالي: فازددت يقيناً بالنتيجة التي وصلت إليها في مناظرتي مع الشيخ العلوي.

وقال أيضاً: ولو كان عندي من العلم مثل ما عندي الآن لقلت له: إن ضالّتك المنشودة هي أقرب إليك من كل قريب، فإن هذا الشيخ الذي تطلبه وتريد أن تشدّ الرّحال إليه ولو بعدت الدار وشط المزار هو أنت نفسك، بشرط أن يكون عندك العزم التام على العمل بالكتاب والسنّة وطرح التقليد جانباً كيفما كان الأمر، فجزاهم الله خيراً وتغمّدهما برحمته.

قال الهلالي: وبعد ذلك بعشرين سنة اجتمعت مع الشيخ عبد العزيز بن إدريس من علماء تطوان وهو أحد تلامذة الشيخ الفاطمي ذكرت له الحكاية السالفة، فقال لي: وأنا أيضاً وقع لي ما يشبه هذا، فإني بعد إتمام دراستي في جامع القرويين ذهبت إليه وهو أفضل شيوخي فقال له: أيها الشيخ أريد أن أرجع إلى وطني تطوان فأريد أن تزوّدني بدعاءك الصالح وأن تلقنني ورد الطريقة التيجانية، فقال لي: يا أسفاً عليك أن تحفظ كتاب الله وقد درست العلوم الإلهية التي تمكّنك من فهم كتابه وسنة رسوله ولم يكفك ذلك كله حتى تطلب الهدى في غيره والطريقة لا شيء، فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهي الهدى في غيره والطريقة لا شيء، فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهي الهدى في غيره والطريقة لا شيء، فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهي الهدى في غيره والطريقة لا شيء، فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى الله وسنة رسوله الهدى الهدى في غيره والطريقة لا شيء، فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى الهدى في غيره والطريقة لا شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى في غيره والطريقة لا شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى في غيره والطريقة الله شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى في غيره والطريقة لا شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى في غيره والطريقة لا شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى في غيره والطريقة لا شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى في غيره والطريقة لا شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله الهدى في غيره والطريقة لا شيء في فيره والم المؤلية الهدى في فيره والطريقة لا شيء في فيره والمؤلية المؤلية المؤلية والمؤلية المؤلية والمؤلية والمؤ

قال الهلالي بعد ذكره هذه المناظرة: «كشف الله عنى بفضله ظلام الشرك



والبدعة وفتح لي باب التوحيد والاتباع فله الحمد والمنة، نسأله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه الهادي إلى الصراط المستقيم».

وقال أيضاً مبيّناً تحوّله من ظلمات البدع إلى أنوار التوحيد والاتباع، وهي منعطف خطير في حياته تجاه الاستقامة والدين الحق:

«هذا سبب خروجي من الطريقة التجانية الذي لم يكن يخطر ببالي، وإنما اضطرني إليه البرهان اليقيني الذي لا يترك شكاً ولا ريباً في أن هذه الطريقة كما هي في كتب أهلها وفي اعتقادهم لا يمكن الجمع بينها وبين اتباع كتاب الله وسنة رسوله على البتة»(١).

وهكذا أصبح الهلالي إماماً في التوحيد والسنّة، وله فيها مؤلفات ومقالات، وجهود ومواقف (٢). أسأل الله أن يتقبّلها منه، ويجعلها في ميزان حسناته.

وحصل له بسبب هذا التحوُّل ابتلاءات وإيذاءات، فها هو تلميذه الأستاذ محمد بن عودة (٣) يقول عن شيخه الهلالي بعد استطراد:

«ولنعد إلى تقي الدين، إن تشبّنه بدعوة الناس إلى العقيدة الصافية، وتشدُّده في ذلك قد كاد يدخله السجن، حتى بعد الاستقلال، ذلك أنه كان له أشياع كثيرون، وكان في مكناس حيث تكثر الطرق، فدأب هو على الطعن في أربابها مما أثار الطرقيين فبدأوا يثيرون الفتنة، وكان من نتائج ذلك أن كاد بنهيمة يلقي عليه القبض لولا أن تريث في الأمر وكتب إلى وزارة الخارجية، فأخبر أنه من كبار العلماء الوطنيين، فأكبر شأنه ولم يؤذه»(٤).

ومن أوائل من عارضه عند رجوعه بعض شيوخه، بل خالفه أيضاً مريدوه وأحباؤه وتلاميذه، ممن اشتروا الضلالة بالهدى، وآثروا الطريقة الخلفية البدعية على المنهج السنى القويم، وأقتصر على ذكر مثالين:

أحدهما: لشيخه أحمد سكيرج، قال الهلالي في «سبيل الرشاد» (١١٩/٢): «ولما خرجت من الطريقة التيجانية على يد شيخنا محمد بن العربي العلوي

^{(1) «}الهدية الهادية» (ص٢٢).

⁽٢) سنذكر _ إن شاء الله تعالى _ لاحقاً قصصاً ونماذج من حياته في الدعوة إلى التوحيد.

⁽٣) الموظف في وزارة الخارجية، القسم القانوني، الرباط.

⁽٤) «السلفية الوهابية في المغرب» (ص١٣٢).

- رحمة الله عليه - في فاس في ربيع الأول سنة ١٣٣٨ هو ورجعت إلى وجدة، حيث كنت معلماً عند الشيخ أحمد سكيرج، لابنه عبد الكريم وابن أخيه عبد السلام، وكان يجلّني ويكرمني، وكنا في الهوى سواء، هو مقدم كبير في الطريقة التيجانية، وأنا مريد، فلما علم أني نبذت الطريقة التيجانية نبذ النوى، أظهر الحزن، وجمع عليَّ علماء وجدة، فناظروني فظهرت عليهم بالحجج القاطعة، فخوّفوني من انتقام الشيخ، وذكروني بما نسب إلى الشيخ أحمد التيجاني، أنه قال: من ترك طريقته وأخذ طريقتنا فلا خوف عليه لا من الله ولا من شيخه أيّا كان، من الأحياء أم من الأموات، أما من أخذ طريقتنا هذه الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التيجانية وتركها، فإنه يحل به البلاء دنيا وأخرى، ولا يموت إلا كافراً قطعاً، وبذلك أخبرني سيد الوجود عليه لا مناماً، فقلت لهم: دعوني من هذا الوعيد الذي لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ولا قام عليه دليل بل هو مضاد للدليل كما أخبرتكم بالأدلة في سنة رسول الله ولا قام عليه دليل بل هو مضاد للدليل كما أخبرتكم بالأدلة القاطعة، فغضبوا وقالوا للشيخ أحمد سكيرج: (هذا مفلّس) لا تنفع فيه النصيحة، والمفلس - بفتح اللام وتشديده وضم الميم وتسكن تخفيفاً في اللغة المغربية - هو الذي بلغ غاية الضلال»(١٠).

والآخر: تلميذه محمد بناني، فاسمع إليه وهو يقول عن شيخه الهلالي بعد توبته من التيجانية:

«كان لتقي الدين لساناً حادًا، يهجو كل العلماء الذين يخالفونه في الرأي، ويكتب فيهم «المعلقات»، كتب في الفقيه المرير، والفقيه الفرطاخ، والفقيه

⁽۱) واستطرد قائلاً: «ووقع لي مثل ذلك في تطوان لما أصابني مرض الربو، زعم المشركون أن الشيخ السعيدي هو الذي أصابني بذلك المرض، لأني قلت لهم: لا تذبحوا له وتطلبوا منه حاجة، فإنه لا يضر ولا ينفع وكنت أعلم أن سبب المرض هو التعرض للبرد بعد الخروج من الحمام، وعلمت بعد ذلك بالتجربة أن هذا النوع من الربو دواؤه: الانتقال من قرب البحر إلى الأماكن التي هواؤها جاف خال من الرطوبة، لأني إذا كنت في البلاد البعيدة من البحر، كسجلماسة، ومدينة مراكش، ومدينة النبي على ومكة، وشمال العراق، لا يصيبني أبداً، فأين غضب السيد السعيدي وانتقامه مني حين أكون في البلاد البعيدة من البحر، وهل سيدي السعيدي يرضى أن يعبده الناس، لو كان كذلك لما كان صالحاً، إذ لا يرضى بعبادة الناس له إلا شيطان أو طاغوت، فما أسفه عقول المشركين!!».



الرهوني، والفقيه الحداد، وكان الصدر الأعظم عند العلماء في تطوان، فقلت له يوماً: هل كان الناس في نظرك لا يصلحون؟

إن الدكتور قد سلب فأحرم من الفيوضات الربانية - التي يتمتع بها كل صوفي - لما خرج من الطريقة التيجانية، أتيت له يوماً على ذكر مولاي عبد السلام، فقال لى: أنت المثقف تقول مولاك عبد السلام؟!!!

ولم يكتفِ التلميذ بهذا، بل دفعه بغضه له للافتراء والكذب عليه، لما قال: «كان تقى الدين يقول بزواج المتعة»(١)!!

وهذا شأن المصلحين والموققين، فمن سنة الله التي لا تتخلف فيهم، وجود المادحين والقادحين، ومن هؤلاء: الهلالي، ولا سيّما أنه عاش في عصر غربة العقيدة، إذ اتخذ الناس _ آنذاك _ الأضرحة وقدّسوها، وكانوا يشدون الرّحال إليها، ويصنعون الطعام الخالي من الملح ويقدمونه لها، فعمّت آنذاك الجهالة، وظهرت الخرافات والانحرافات ووصل الأمر إلى أن بعض الناس أن طافوا بالأشجار والأحجار في المناطق النائية.

قال العلّامة عبد الله كنون عن صديقه الشيخ الهلالي: إنه لم يكن ليتوانى لحظة عما أنذر نفسه له، وأنه كَنْلُهُ كان حرباً على (الكفار) لم يكن يكني أو يستعير، بل يصرّح بالكفر الصراح على كل من عبد (قبراً)(٢).

وقد صرّح الهلالي بعداوة الطرقيين وأصحاب الخرافة، وقلبهم ظهر المجن له حين نبذهم ومال إلى قفو الكتاب والسنّة، فأصغ إليه وهو يقول ضمن قصيدة طويلة:

⁽١) «السلفية الوهابية» (ص١٣٣).

⁽٢) انظر: «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص١٢٩).

ولحا أبان الله لي نور دينه أولئك قوم بدّلوا الدين بالردى وأبغضني الأقوامُ حين نبذتُهم وقد قلّبوا ظهر المجنّ وخشنت وقد زعموا هجري وشتمي قربة وقد جزموا أني أموت على الردى أماني حمق تضحك الثاكل التي نبذتهم نبذ النوى وتركتهم وما لي ولي أو رفيق مصاحب عليه اعتمادي لا على أحد سوا وما طلب المال الذي هو زائل

وأنقذني من طرق أصحاب خرقة وقد مرقوا من هديه شر مرقة وملت إلى قفو الكتاب وسنّة صدورهم لي واستعدوا لمحنتي وكل جليس لي سيردى بسرعة وأخلد في النيران من أجل رجعتي بواحدها سارت ركاب المنية وهاجرت كي أحظى بسؤلي ومنيتي ولا ناصر إلا إلىه السيريسة ولا ناصر إلا إلىه السيريسة مفهو قدير أن يجود ببغيتي سوى بلغة لا بدّ منها لخلتي (1)

وهذه الحقيقة مسلّمة لا شية فيها عند الهلالي، فها هو يقرر ويذكر أن أول داع إلى الإسلام تلبّد عليه أعداء الإسلام وتألبوا عليه، قال: «وهكذا كل داع يدعو إلى اتباعه في زمان غربة الإسلام»(٢).

ونعمة الدعوة إلى التوحيد والتزامه كانت عند الهلالي من أعظم النّعم، فها هو يشكر الله عليها بقوله: «اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا، وأخرجتنا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان» (٣).

ومن تمام شكر الهلالي نعمة الله عليه عند توبته من هذه الطريقة، أنه جهد في فضح أصحابها، وكشف سوءاتهم، وخصهم بتأليف مفرد (٤)، وكتب عنهم مقالات (٥)، وجرى ذكرهم في جلّ كتبه في معرض التحذير والتنفير، بل لم يقتصر

الدعوة إلى الله (ص١٣٩).

⁽۲) «سبيل الرشاد» (۲/ ۳٥٨)، ويقول أيضاً فيه (۲/ ۷۷): «فالتوحيد الصحيح لا يقوم إلا على الحب في الله، والبغض في الله، والولاية لله، والعداوة لله». قلت: وتحقق الولاية والعداوة على التوحيد هو من أقوى آثار الإيمان الصحيح الذي تحلّى به صاحبنا الهلالي، والله حسيبه، ولا نزكّى على الله أحداً.

⁽٣) «سبيل الرشاد» (٩٢/٣).

⁽٤) هو «الهدية الهادية». وسيأتي ذكره في ترجمته.

⁽٥) نشرها في جريدة «الحرية»، كذا قال في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص٧٣ ـ ٧٤)!



على النثر في معركته معهم، فتعدّاه إلى الشعر^(۱)، ولم يخلص منه أصحابه الذين عرفهم وهو في هذه الطريقة، فوصلهم خيرُه ونهيه وأمره، ذكر ذلك في مقالة له نشرت في صحيفة «الصراط المستقيم» الجزائرية، السنة الأولى، العدد (١٦) بتاريخ ١٥ رمضان، سنة ١٣٥٢هـ (ص٣ _ ٤)، قال تحت عنوان (هنيئاً هنيئاً) ما نصّه:

"تلقيت بسرور عظيم خبر تعيين المكرم السيد محمد بن زيان الصمغوني أميراً لبلد أبي صمغون، وتكلل مساعي أصدقائنا الصمغونيين بالنجاح للصداقة القديمة التي بيني وبين أهل هذا البيت الكريم، وقد اشتمل هذا النبأ على شيء آخر كان فرحي به أعظم وجذلي به أتم، ألا وهو كون الصديق الكريم الحميم السيد الطاهر بن زيان ركناً من أركان الإصلاح في ذلك البلد، فقد كان هذا الأخ الكريم من خالص أحبائي في زمان الانحراف عن المحجة البيضاء، وأظن أنني بعدما اهتديت إلى توحيد ربّ العالمين واتباع حجة الله على العالمين محمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه، كتبت إلى جميع أصدقائي في تلك النواحي ومنهم السيد الطاهر، ونصحت لهم بالرجوع إلى الجادة، وبلغني أن كثيراً منهم سبّوني وشتموني ولم آسف لذلك وإنما أسفت لبقائهم محرومين من بركة ونعمة اتباع الرسول والسلف الصالح، لما جاءني البشير بأن السيد المذكور تخلص مما أتباع الرسول والسلف الصالح، لما جاءني البشير بأن السيد المذكور تخلص مما أصدقائي هناك أتحفوا بهذه النعمة الكبرى:

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم نسأل الله أن يجمع كلمة إخواننا أهل المغرب على الهدى ويؤيد بهم

الإسلام كما صنع بأسلافهم إنه على ذلك قدير تحية ودعوة من الشمال الشرقي الهند إلى الغرب فيه، وربنا أكرم من أن يردها».

ويذكر الهلالي أثره على الناس في مدينته مكناس، وأنها تغيّرت وتحوّلت بما أعانه الله عليه، ووفّقه إليه، فقال:

«ومدينة مكناس هذه كانت قبل خمس عشرة سنة، هي مركز الشرك والبدع،

⁽١) جمعت شعره من جميع كتبه ومقالاته، وألحقته بالترجمة المفردة التي كتبتُها له، يسر الله إتمامها ونشرها.



ولكن الله الكريم بارك في دعوتي التي بدأتُها وحدي، فاستجاب إليها كثير من الناس، فأينما ذهبت في أنحاء المدينة تجد أنصار التوحيد، إخوان من وحد الله، ولا تزال دعوة التوحيد تنتشر وتنتصر يوماً بعد يوم، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنّا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، فلك الحمد، ولك الشكر»(١).

ويرى الهلالي أن التوحيد ومعرفة معاني الشهادتين والعمل بمقتضاها هو السبيل الوحيد لعلاج واقع الأمة الأليم، قال ـ رحمه الله تعالى ـ عن أثر التوحيد في العرب قديماً: «فدانت العرب لقريش، وملكوا بها العجم، وسرها لا يزال فيها كما كان، فكل من أخذها بصدق في كل زمان ومكان ملك العالم». ثم عرج على حال العرب وتخبطهم اليوم، فقال:

"وهؤلاء العرب الذين يتخبطون في محنتهم الحاضرة، ويبحثون عن حلّ لمشكلتهم وغسل العار عنهم، فواؤهم حاضر في غاية السهولة، وهو في أيديهم، ولا يحتاجون أن يسافروا إلى (موسكو)، ولا (بكين)، ولا (واشنطن)، ولا (باريس)، ولا (لندن)، وإنما يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويعتقدون معناهما، ويعملون بمقتضاهما، فيملكون العالم مرة أخرى، وبدون هذا الحل الذي هو الشفاء الوحيد، سيبقون يئنون من مرضهم العضال إلى الأبد، وما أحسن ما قال الشاعر، وهو منطبق عليهم أتم انطباق:

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الحبيب وما إليه سبيلُ كالعيس في البيدا يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ (٢)

وأكّد في كثير من المواطن على هذا المعنى، وأن قيام هذه الأمة ونصرها مناط بالتوحيد، وهذه نقولات عنه تؤكد ذلك^(٣):

⁽۱) «سبيل الرشاد» (۲/۲۱۲)، وقال فيه (۲/ ۳۲۱) عن أهل (ريمون) من مديرية أسيوط بمصر: «وقد مضى عليهم أربع وخمسون سنة، لم تستطع فتنة الاشتراكية أن تنال من عقيدتهم مثقال ذرة...، وإذا رسخت عقيدة التوحيد في القلوب لا يستطيع أحد أن يزلزلها».

⁽۲) «سبيل الرشاد» (۲/۲۱۷)، وبنحوه فيه (٤/ ١١٥).

 ⁽۳) اقتصرنا على اليسير منها، وانظرها في «سبيل الرشاد» (۳/ ۱۲۱ _ ۱۲۲، ۱۲۲، ۱۲۲، ۱۲۲، ۱۲۲، ۱۲۲، ۱۲۸)
 ۸۲۱، ۱۳۲، ۲۲۸ _ ۲۲۰، ۳۳۰، ۳۳۰، ۳۶۰ و ۲۷۸، ۹۹، ۱۹۲).



قال في «سبيل الرشاد» (٢/ ٦٩):

"إن نصر الله للموحدين وإهلاكه للمشركين سنة الله التي قد خلت من قبل (١)، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فإذا لم ينتصر الموحدون، فطال عليهم زمان غلبة أعدائهم فاعلم أن توحيدهم ضعيف، وإيمانهم ناقص، فإن الله وعد كل من نصر دينه الحق بالنصر، فقال تعالى في سورة محمد على: ﴿إِن نَصُرُوا الله يَصُرُكُمُ وَيُثَيِّتُ أَقْدَامَكُمُ وَاللَّهَ يَصُرُكُمُ وَاللَّهَ يَصُرُكُمُ اللَّهَ مَا لَكُمُ وَاللَّهُ اللَّهُ المعالى من نصر دينك ونصرته».

وقال (٢/ ٨٣):

« إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوْةِ اللَّذَيْنَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿ ﴾. وقد فعل الله من نزول هذه الآية إلى يومنا هذا، وسيفعل ذلك إلى يوم القيامة، فكل هزيمة أصابت المؤمنين، فهي من ضعف إيمانهم، وعدم قيامهم بالواجبات».

وقال (٢/ ٨٤):

«قال على: ﴿ النَّينَ إِن مَّكَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَفَامُواْ الصَّلَوْةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوَةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَواْ عَنِ ٱلْمُنكَرِّ وَلِلَّهِ عَلِقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿ إِنَّهِ عَلِقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُ الْمُعُرُونِ وَنَهُواْ عَنِ ٱلْمُنكِرِ وَلِلَّهِ عَلِقِبَةُ الْمُؤْمِرِ ﴾ أي: نتائجها، فمن أحسن عصنت عاقبته، ومن أساء ساءت عاقبته، فعاقبة التوحيد فوز، وعاقبة الشرك خسران».

وهذه سنن شرعية كونية ثابتة مستمرة مستقرة حاكمة لا تتبدل ولا تتخلف.

* شكواه من مظاهر الكفر والشرك:

مثّل على ذلك كثيراً بأهل المغرب. ومما قال: «لما حصر الفرنسيون مدينة فاس في عهد السلطان عبد الحفيظ، استنصر الجهّال بالإمام إدريس بن عبد الله كَثَلَثُه، فعاقب الله جميع المغاربة بالخذلان والهزيمة، وانتصر عليهم

⁽۱) قال في «سبيل الرشاد» (۳/ ۱۱۱): «وقد رأينا تاريخ الإسلام وتتبعناه من أوله، فرأينا المسلمين حين كانوا يخافون الله نصرهم الله في كل معركة وفي كل مكان، فلما قل خوفهم من الله، قل انتصارهم، وفي هذا الزمان انعدم انتصارهم، وصاروا عبرة لأولي الأبصار، وأصيبوا بذلِّ لم ير التاريخ مثله» ونحوه في (٤/ ٧٣).



الفرنسيون، وحكموا بلادهم ثلاثاً وأربعين سنة، وهذا جزاء من يستنصر بغير الله (١٠).

وقال أيضاً:

"تقدم في مواضع أخرى أن معنى إله: معبود، ولذلك كان مفتاح الإسلام «لا إله إلا الله» فقائلها بالصدق يشهد على نفسه ويعاهد ربه أنه لا يعبد إلا الله، ولكن أكثر من يقولها في هذا الزمان لا يعرفون معناها ولا يفكرون فيه، ولا يبحثون عنه، فتكون أقوالهم وعقائدهم وأفعالهم مضادة لـ «لا إله إلا الله»، ويكونون أعداءها وهم لا يشعرون، فالمغربي حين يقول: «يا فكاك الوحائل، يا مناع الرحايل، يا غياث أصحابه في الضيقات، يا مولاي عبد القادر الجيلاني» معناه: يا من ينقذ من استغاث به في الشدائد ويغيث من التجأ إليه عند الضيق يا مولاي يا عبد القادر الجيلاني، فهذا يهدم «لا إله إلا الله» ويقضي عليها قضاء تاماً؛ لأن تلك الصفات التي جعلها أولئك الجهّال لعبد من عباد الله هي خاصة بالله تعالى، فمن جعلها لغيره فقد كفر به» (٢).

وذكر أيضاً أنه إذا قيل: ادعوا الله وحده، وتوجهوا إليه، واتركوا أولياءكم، يقولون: (الله ورجاله)، ثم مثّل على عبارة أهل المغرب، فقال: «وبعبارتهم الخاصة: (رب برجالو) يعنون: إن الله لا يكفيهم ولا تُقضى حاجاتهم إلا إذا أشركوا به رجالاً مخلوقين، فأفّ لهم»(٣).

وذكر ساحراً خسيساً في تطوان، ونوّه ببعض ألاعيبه، فقال:

"ومن مصائب هذا الزمان أن الناس مفتونون بالخوارق فصاروا بذلك فريسة للدجالين والمحتالين يوقعونهم في حبائلهم بأدنى الأسباب، وقد كان في تطوان شيخ ضال يدّعي التصوف وكان يمخرق على الناس بسحر خسيس، وذلك أنه يدعو شخصاً من المغفلين فيملأ كأساً من الماء ويأخذه المغفل في يده فيتكلم الشيخ الضال بكلام من السحر مما يسمونه (استحضار الأرواح)، فلا يزال كذلك حتى تهتز الكأس في يد المغفل، وذلك علامة على أن شيطانه قد حضر فيسأل حاجته منه، وقد دعا أحد المفتونين صاحبنا الشيخ الزبير التفروتي لمشاهدة هذه

⁽۲) «سبيل الرشاد» (۳۰۲/۲ ـ ۳۰۷).

 ⁽۱) «سبیل الرشاد» (۲/۲۰۲).

⁽٣) «سبيل الرشاد» (٢/ ٨٣).



الكرامة بزعمه وناوله الشيخ الضال الكأس مملوءة بالماء، وأحذ يتكلم بالسحر حتى اهتزت الكأس في يد الشيخ الزبير فألقاها في الأرض فانكسرت وأريق ماؤها، فقال الشيخ الزبير للسحار: هل تستطيع أن ترد الكأس صحيحة وترد لها ماءها ولو أنك استطعت ذلك ما آمنت بسحرك فبطل كيد الساحر وافتضح.

والجهال المحرومون يستدلون بمثل هذه المخارق على استقامة فاعلها وصلاحه وولايته لله وإن طريقته مقبولة عند الله (١٠).

وقال أيضاً:

وقال أيضاً شاكياً من مظاهر الشرك، ذاكراً السبيل للقضاء عليها، فقال: «من سوء حظنا في هذا الزمان أننا نرى أوثاناً لها بيوت وأفنية يذبح لها ويطاف بها، وتقبل ويتمسح بها بقصد التبرك أكثر مما كان عند العرب، ونحن عاجزون عن هدمها؛ لأن عبادها لا يزال عددهم كثيراً، ولكننا نستطيع القضاء عليها إذا وفقنا الله تعالى بدعوة الناس إلى هجرها والكفر بها، فيطول عليها الزمان فتتهدم من تلقاء نفسها، ويستريح الناس من شرها»(٣).

واستطاع الهلالي من خلال رحلاته، وإلمامه بكثير من اللغات أن يعرف مظاهر الكفر في سائر أرجاء المعمورة، فاسمع إليه واصفاً مَنْ يعبد الشمس من دون الله مسفّها أحلامهم:

⁽۲) «سبيل الرشاد» (٦/ ١٩٥).

⁽۱) «سبيل الرشاد» (٣/ ٢٣٦).

⁽٣) «سبيل الرشاد» (٢/ ٣١١).



«لما كانت الشمس أعظم المخلوقات التي نشاهدها افتتن بها قوم من الذين يغترون بالظواهر، ولا ينظرون ما وراءها فاتخذوها إلهاً يعبدونها من دون الله، ومن بقاياهم الشعب الياباني، فإنهم يعتقدون أن ملكهم المسمى عندهم (مكدو) هو ابن الشمس، فهم يعبدونه من دون الله، ويوجد في شمال بلاد (نرويج) قوم من أهل البادية يسكنون الخيام في تلك الأراضي القطبية الشديدة البرد، فإنها في وقت شتائها تغيب عنها الشمس ثلاثة أشهر، ولكن القمر يبقى ظاهراً فهم يعبدونه، وأما أهل المدن فإنهم نصاري كسائر الأوروبيين، ولو كانت الشمس هي التي أوجدت نفسها، وهي التي تدير نفسها، ولها علم وإرادة تسير باختيارها، لكان هنالك العذر لمن يعبدها، ولكنها مخلوقة لها أجل محدود لم تكن من قبل ثم كانت، وإذا انقضى أجلها تفنى، وقد قدر علماء الفلك في هذا العصر حسب حدسهم وتخمينهم عمر الشمس بعشرين ألف مليون سنة، وزعموا أن نصف هذه المدة قد مضى، ونصفها باق، وهو عشرة آلاف مليون سنة، ولا يوجد أحد منهم في هذا الزمان يدّعي أن الشمس أزلية، ولا أنها تطلع باختيارها وتغرب باختيارها، وتعطى الضوء والحر من تريد، وتمنعهما ممن تريد، وعبّاد البقر في الهند أقل حماقة من عبّاد القبور، فلا ينبغي أن يعبد إلا ربّ العرش العظيم، وهو على كل شيء قدير»(١)

وقال واصفاً بعض المخالفات العقدية التي فيها شرك في الألوهية ويفعلها بعض جهلة المصريين والمغاربة، واستطرد في بيان صنيع أهل نجد في هذا الباب قبل دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب، فقال:

"إن الذبح بقصد التعظيم عبادة، فمن ذبح على قبة، أو قبر، أو شجرة، أو حجر، أو عين ماء، أو ذبح للجنية عائشة قنديشة، أو لزميلتها مسعودة، أو للشيخ جمعة _ وهو اسم جنيّ يعبده جهّال المصريين _، أو لميمون بن شمهروش _ وهو من معبودات المغاربة _، أو ذبح للجن بدون تعيين بعد نهاية بناء دار لئلا يؤذوه، أو ذبح على أهل بيت ليزوّجوه ابنتهم، كل ذلك شرك وكفر، وأكل تلك الذبيحة حرام؛ لأن كل ذلك مما أهل به لغير الله وإن ذكر اسم الله عليها؛ لأن الأعمال إنما هي بالنيات وهم قد قصدوا تعظيم تلك البقعة بالذبح».

⁽۱) «سبيل الرشاد» (۲/ ۱۲۶ _ ۱۲۰).



ثم استطرد في بيان مظهر شركي يُعْرف بـ(قرعة الأنبياء)، وآخر بـ(الخط بالرمل)، وفصل في فضح أصحابه وبيّن دجلهم، فقال:

«الاستقسام بالأزلام موجود عند الشعوب الجاهلة بما جاء به الأنبياء والمرسلون من توحيد الله تعالى، واعتقاد أنه لا يعلم الغيب غيره والمجرمون المحتالون يستغلون جهل الشعوب فيستقسمون لهم بالأزلام بطرق مختلفة، منها ما ذكر في تفسير هذه الآية، ومنها في هذا الزمان شيء يسمى (قرعة الأنبياء) وهو جدول كل بيت من بيوته فيه اسم نبي، فيجيء الجاهل أو الجاهلة إلى الكاهن فيضع له الجدول ويقول: غمض عينيك وضع أصبعك، فيضع أصبعه، فإن أصابت سهم آدم أو نوح أو إبراهيم أو موسى يقرأ عليه ما كتب من القصة، فيخبره بأنه سيجري عليه من المصائب أو النعم تقريباً مثل ما جرى على ذلك فيخبره بأنه سيجري عليه من المصائب أو النعم تقريباً مثل ما جرى على ذلك النبي، ويزد في ذلك ويزخرف القول ويجعل النبيجة حسنة والعاقبة حميدة، فيأخذ منه شيئاً من الدراهم على هذا التكهن، وبعضهم يستعمل خط الرمل وبعض الكهّان يبيتون».

وفصل في ذلك لما عرج على بلاد شرقى الحجاز، فقال:

«ولما زرت بلاد شرقي الحجاز وأوائل نجد وجدت عندهم كاهنات إذا أراد شخص أن يتزوج أو يسافر أو يتجر في شيء يأتي إلى الكاهنة ويقدم لها الحلوان ولا يكون أقل من بعير فتبيت له، وفي الصبح تخبره وتأمره بالإقدام أو الإحجام، وهؤلاء القوم من أهل البادية لم تبلغهم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فدعوتهم إلى توحيد الله وسنة رسول الله وكان معي أحد أمراء تلك النواحي ماجد بن موكد أمير النخيل».

وفصَّل في أسماء (المقامات) التي تشد إليها الرّحال، ويعظمها الدهماء، ويقصدونها بأعمال شركية في كثير من بلاد الدول العربية، وأكثر من ذكر مدن العراق لإقامته بها نحو ثلاثين سنة، فقال في مقالة نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد (السادس عشر)، العدد (الثاني)، ربيع الآخر، ١٤٠٤هـ (ص٣ _ 3) فقال:

«إن الأصنام أحجاراً، أو رخاماً، أو ذهباً، أو شمساً، أو قمراً، أو ناراً، أو ماءً، أو قبوراً، أو قباباً، أو أشجاراً، أو أكواماً من الحجارة، أو أشخاصاً أحياءً، أو أمواتاً، أو دواب، وإنما لبَّسَتْ عليهم الشياطين فأوهمتهم، ثم أقنعتهم

أن تلك الأشياء قد حلّ فيها سر الألوهية، وهو ما يسميه المغاربة (بركة) فهذا السر عندهم يجوز أن يحلّ في كل شيء، ومتى حلّ في شيء وجب تقديسه وعبادته وأصبح يضر وينفع، فلو أن سادناً أخذ أحجاراً من جبل وبني بها قبة وضريحاً على قبر، سواء أكانت فيه جثة أم لا، وسواء أكانت تلك الجثة جثة صالح أو طالح أو حيوان. فإذا وضع على ذلك الضريح تابوتاً وستاراً من حرير، وعلَّق المصابيح الثمينة والثريات، وفرش أرض القبة بالزرابي، وملأ جوَّها طيباً بالبخور وغيره، وتزيّا بزيّ المشايخ بتفخيم العمامة وتكويرها، وإطالة اللحية وشعر الرأس، ولبس الثياب الفضفاضة، وأخذ يحكى حكايات تثبّت أن ذلك المدفون له كرامات وأنه يقضى الحاجات، يتهافت عليه عبّاد الأوثان، ويأتونه من كل مكان بما شاء من هدايا ونذور وشمع وبخور وثيران تخور، ومواسم يختلط فيها الرجال بالنساء والحابل بالنابل. وهذا أصل عبادة الأصنام والأوثان قديماً وحديثاً، وبعض المضلين من الذين يسمون أنفسهم أو تسميهم العامة علماء يزيدونهم ضلالاً، فيسمون ذلك الشرك كرامات الأولياء، ويسمون كل وثن ولياً، وينسبون ذلك الوثن إلى اسم نبي، كمقام النبي جرجيس في الموصل، والنبي بولس بقرب الموصل في خرائب نينوي، والنبي شيث في كركوك. والتحقيق أنه لا يوجد قبر نبى معلوم إلا قبر نبينا محمد ﷺ. وأما قبر الخليل إبراهيم فليس بمعلوم بالتعيين، إلا أنه دفن بقرب المكان المنسوب إليه في الأردن. ومن هذا القبيل ضريح النبي زكريا في قلب جامع بني أمية بدمشق، فإنك ترى المصلين يصلون وإلى جانبهم العابدين والعابدات والطائفين والطائفات بذلك الوثن المنسوب كذباً إلى ذلك النبي. ولو فرضنا أنه مدفون هناك ما جاز أن يتخذ قبره وثناً، ولا يُبنى عليه، ولا يطاف به، ولا ينذر له، ولا يعبد بأي نوع من أنواع العبادة».

ولم تقتصر معرفته ودعوته لعابدي القبور والأنصاب، بل فصل في عبادة (الأشجار) و(الأحجار) و(المياه) و(الحمير)! وذكر بعض القصص التي وقعت له، ولنرخي عنان القلم للهلالي ليحدثنا في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص٢٠ ـ ٢٢) عن ذلك، قال وهو بصدد حديثه عن عبادة الأشجار:

«فقد حدثت من عهد بعيد، فقد ذكر ابن أبي شامة في كتاب «البدع»(١) له

⁽۱) المسمى «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص١٠١ ـ بتحقيقي).



أن شجرة كانت تعبد في دمشق في زمانه، وأما في هذا الزمان فحدّث عن البحر ولا حرج، فقد شاهدت شجرة عظيمة وافرة الأغصان تعبد في مصر وأخبرني الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة أنه همّ بقطعها وأخذ فأساً واشتغل طول الليل الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة أنه همّ بقطعها وأخذ فأساً واشتغل طول الليل إلى أن كاد الفجر يطلع، فلم يستطيع أن يقطع إلا جزءاً يسيراً من أغصانها، فجاء عبّادها في الصباح بالنذور فوجدوا بعضها مقطوعاً، فغضبوا غضب العابد لمعبوده واتهموا الشيخ المذكور، ورفعوا شكوى إلى العمدة، فطالبهم بالبينة فقالوا: لا يوجد أحد في هذه الناحية يشنع على المتبركين بها إلا هذا الرجل، فقال العمدة: إنني لا أستطيع أن أعاقبه بهذه الحجة التي لا تتجاوز الظنون، وأخبرني الحاج محمد أجانا _ وهو رجل قضى عمره في البدع حتى بلغ السبعين، ثم هداه الله إلى التوحيد بدعوتنا _ أن له شجرتين يعبدهما الفلاحون، إحداهما اسمها أبو بكر، والأخرى نسيت اسمها، وإن الفلاحين يضعون أدوات الحرث وغيرها مما يثقل عليهم حمله إلى جانب إحدى الشجرتين فلا يتجرأ أحد أن يسرق شيئاً من ذلك مع أنهم سرقوا حصر المسجد، ولو ذهبنا نعدد وقائع عبادة الأشجار لطال بنا الكلام».

وقال: "وأما عبادة الأحجار فهي كثيرة أورد بعض وقائعها، فمن ذلك: حجر كبير ناشز في جبل بالصعيد في مديرية أسيوط، أخبرني أصحابنا أنه كان يسمى الشيخ دغارا، وأن جماعة منهم ذهبوا ذات ليلة بمعاولهم واشتغلوا طول الليل فتركوا الشيخ دغارا أثراً بعد عين، ومنها أن صخرة في مرسىٰ مدينة طنجة داخل البحر تسمى سيدي ميمونا يعبدها أهل تلك الناحية، وسبب اطلاعي على عبادتها أني كنت راكباً في سيارة حافلة من طنجة إلى تطوان سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى وأتباعهم، وكان إلى جانبي رجل معه امرأة فسلم علي وقال لي: أنا ممن يحضر دروسك في الجامع الكبير، وقد هداني الله إلى التوحيد بسبب ذلك ولكن زوجتي هذه لا تزال متمسكة بالشرك، فأرجو من فضلك أن تعظها لعل الله يهديها بوعظك كما هداني أنا، وذكر لي قضية اشتد فضلك أن تعظها لعل الله يهديها بوعظك كما هداني أنا، وذكر لي قضية اشتد نزاعهما فيها تتعلق بعبادة الصخرة البحرية المسماة بسيدي ميمون.

وحاصلها: أنهما لا يعيش لهما أولاد إذا بلغ الصبي سنة يموت، فنذرت زوجته أن تذبح عن ولدها في كل سنة شاة لسيدي ميمون، وقد حانت نهاية السنة الأولى من عمر الصبى قال: فامتنعت أنا من الوفاء بهذا النذر وقلت: إن عمر



الصبي بيد الله وميمون صخرة لا تضر ولا تنفع، فلم تقبل، فوعظتها من طنجة إلى تطوان مدة ساعة، ولا أدري هل انتفعت بوعظي وتابت من الشرك أم بقيت على شركها. وأكتفى بهذا القدر من الشواهد على عبادة الأحجار.

ومن عبادة المياه: أن بئراً بالقصر الكبير يعبدها السفهاء ويسمونها سيدي ميمونا، ويزعمون أن ابن أمير الجن شمهروش كثيراً ما يحضرها، خبرني بذلك غير واحد في البلد المذكور وشاهدت حوادث أخرى من عبادة المياه فلا أطيل بذكرها.

وأما عبادة الحمير: فأذكر فيها قصتين: إحداهما وقعت في طرابلس الغرب على ما حدثني به ثقة، وذلك أنه كان في تلك الديار شيخ متصوف اسمه عبد السلام الأسمر، كان يرقص مع أصحابه ويضربون بالدفوف حتى يخروا صرعى على الأرض، ويعتقدون أن الدف الذي كان يضرب به الشيخ عبد السلام نزل من الجنة وكان يضرب به علي بن أبي طالب للنبي، والشيخ عبد السلام والمريديون المنقطعون للعبادة معه لم يكونوا يكتسبون معيشتهم؛ لأنهم كانوا بزعمهم متوكلين، وكان للشيخ المذكور حماراً يطوف على بيوت البلد وحده كل صباح ومساء وعليه خرج، فكلما وقف بباب بيت يضع أهله شيئاً من الطعام في ذلك الخرج فيرجع إلى الشيخ والمريدين بطعام كثير غدوة وعشية، فلما مات الشيخ وتفرق المريدون به إلى أن مات فدفنوه وعكفوا على قبره يعبدونه.

والقصة الثانية في المغرب الأقصى: قرأت في سنة ستين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى في (صحيفة العلم) مقالاً لمعلمة اسمها خديجة النعيمي من الدار البيضاء، قالت خديجة: خرجت مع نسوة جاهلات نتجول خارج المدينة فمررنا بكوم من حجارة، فأخذت النسوة يقبّلن تلك الحجارة ويتمسّحن بها قائلات: (أنتاع الله لله يا للا حمارة) معناه: نسألك متاع الله؛ أي ما أعطاك الله من الكرامة يا سيدتنا الأتان، قالت: فأنكرتُ صنيعَهن، وقلت لهن: ويحكن تتخذن أولياء حتى من الحمير؟ فقلن لي: اسكتي إنك لا تعرفين قدر هذه الولية، فكم قضت من حاجات ونخاف عليك أن تضربك ضربة يكون فيها حتفك، فسلمي للفارغ لكي تنجي من العامر. قلت: وهذا مثل يضربه المغاربة لمن اعترض على عبادة شخص وقال: إنه لا ينفع ولا يضر يقول له عباده: (سلم للخاوي تنجي من العامر) معناه: هب أنه فارغ من الولاية فخير لك أن لا تعترض عليه وأن لا تنكر



ولايته؛ لأنك إن استمررت في الإنكار يخشى عليك أن تصادف ولياً حقيقياً فيصيبك بشرِّ، ثم وجهت الكاتبة المذكورة دعوة إلى العلماء، وقالت: يا علماء الدين اتقوا الله، وعلموا الناس توحيد الله وشعائر دينهم، فإنكم ضيعتم الأمانة التي حملكم الله إياها حتى وصل الناس إلى عبادة الحمير دون الله. فكتبت ثلاث مقالات تلبية لدعوتها ونشرت في صحيفة «العلم»(۱)، ولم يُلبِّ دعوتها أحد غيري من قرّاء صحيفة «العلم» وهم يعدون بالآلاف، وأظن أن هذا القدر يكفيك إن كنت منصفاً ويقنعك إن كنت متعسفاً».

وأفلح الهلالي في دعوته، ونجح في جميع الميادين التي وصل إليها، واستطاع بإذن الله أن يجعل كثيراً من الناس يرجعون إلى التوحيد، ويفرون إلى الله تعالى الفرار الشرعي السليم دون وسائط ولا شرك، وكان عَلَماً في بلاده على التوحيد الصحيح، وسبق بيان بعض آثاره في بلاده أ، وتعداه ذلك من خلال مقالاته وكتبه ورسائله الخاصة. فها هم جماعة من اليمنيين يتبرؤون من شيخ طريقة لهم يسمى (الحلول)، ويذكرون أن الهلالي أرسل لهم كتاباً خاصاً بهم، ونعتوه في أوله بقولهم: «هو عبارة عن قلادة من اللآلئ والجواهر، وكلما تأمله الإنسان، وأعاد قراءته وجد من معانيه شيئاً جديداً، فهو كما قيل:

تــزيّــن مـعــانــيــه ألــفــاظــه وألـفـاظــه زائـنـات الـمعـانـي» ويقولون له في آخره:

"ولا يعزبن عن ذهنكم أو كتابتكم ونصائحكم ستكون نافعة نفعاً عاماً شاملاً ليس في اجتناب الطريقة الحلولية فحسب، بل في الابتعاد عن كل عقيدة تخالف ما كان معلوماً في عهد السلف الصالح وتجعل الناس يفرون من الدجاجلة فرارهم من الأسد، وأملنا أنكم ستكاتبوننا ولو ببعض كلمات مختصرة ليصير لنا الشرف وليزداد الناس إيماناً واطمئناناً في اجتناب البدع والأضاليل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»(٣).

 ⁽۱) على ثلاث حلقات، بعنوان (صور من حياتنا الاجتماعية)، وهي منشورة في السنة (۱۵)،
 منها أعداد رقم (٤١١٣، ٤١١٩، ٤١٣١) بتأريخ ربيع الثاني، جمادى الأولى والثانية من
 سنة ١٣٨٠هـ الموافق: ١٩٦٠م.

⁽٢) انظر ما سبق قريباً عند كلامه على دعوته في مكناس.

⁽٣) انظر: مجلة «الصراط السوى» الجزائرية.



وجعل الهلالي محاربة البدع والأضاليل والدعوة إلى الاتباع ونبذ التقليد والتمذهب والتعصُّب والتفرُّق والتحرُّب من صلب دعوته، وجعلها في قائمة الأولويات وأهم المهمات. ولذا زاد _ كما قلنا _ نوعاً رابعاً على أنواع التوحيد المعروفة الثلاثة، ألا وهو (توحيد الاتباع)، ولا بدّ لنا من كلمة سريعة حول:

* حرص الهلالي على الاتباع ونبذه الفرقة والتحزُّب والتعصب والتمذهب:

للهلالي جهود مبرورة في الدعوة والتأليف في الاتباع والسنّة، والتنبيه على خطورة التقليد وآثاره السيئة، وانتقل بفضل الله ورحمته مباشرة من ظلمات وخرافات وانحرافات الطرقيين إلى أنوار الاتباع والسنّة.

وكانت دعوة الهلالي للاتباع تسير جنباً إلى جنب مع دعوته إلى التوحيد، قال كَلَيْهُ: «أول ما دعوتُ في صعيد مصر إلى توحيد الله، واتباع سنة رسوله على ونبذ البدع والمحدثات»(١).

وقال: «كل مسجد بُني أو يبنى إلى يوم القيامة وعمارته التوحيد واتباع السنّة، وإن كان من قصب، وخرابه الشرك والبدعة وإن كان من ذهب»(٢).

ولذا يذكر الهلالي إن أحبّ الأعمال إليه: حب الدعوة إلى اتباع الكتاب والسنّة، وإن أبغضها إليه التقليد كيف ما كان نوعه (٣).

ويترتب على هذا بغضه للبدع والمبتدعة، وما أحدثوه من الطرائق القدد⁽¹⁾. فها هو الهلالي يقول راداً على أهل الطرق وأصحاب الأحزاب: «فهل أحدث الصحابة طرائق في الدين، فكانت هناك طريقة بكرية، وطريقة عمرية، وطريقة عمرية، وطريقة مسعودية، . . . إلخ، معاذ الله أن يتفرق أصحاب رسول الله على في دينهم» (٥).

وقال مبيّناً حقيقة الأحزاب: «ومن طبع الأحزاب والفرق أن يفرح كل حزب بما عنده، ويدَّعي أنه الحق، ولكن عند الصباح يحمد القوم السرى،

⁽۱) «سبیل الرشاد» (۲/ ۳۲۱). (۲) «سبیل الرشاد» (۲/ ۳۰۸).

⁽٣) انظر: «علماء ومفكرون عرفتهم» (١٩٢/١).

⁽٤) «سبيل الرشاد» (٢/ ١٦٠ _ ١٦١).

⁽٥) للهلالي في (ذم الطرق) عدة مقالات، تنظر تحت (في سبيل الإصلاح) من مقالاتنا التي جمعناها له، يسر الله نشرها بخير وعافية.



والصباح الموت وما بعده، فحينئذ يفرح أهل الحق الذين وحدوا الله، واتبعوا رسله، ويندم أهل الباطل الذين أشركوا بالله وابتدعوا في دين الله»(١).

وذكر أن من الضلال إحداث المذاهب والتعصب لها، وقال: «يجب على المسلمين في كل زمان ومكان أن يكونوا في دين الله كما كان أصحاب رسول الله على، لم يكن عندهم مذاهب ولا طرق ولا فرق ولا نحل، فلو كان التفرُّق حقاً لكان أصحاب رسول الله على مذاهب: بكرية، وعمرية، وعثمانية، وعلوية ـ حاشاهم من ذلك ـ وهم خير القرون. نسأل الله أن يجعلنا ممن اتبعهم بإحسان»(٢).

ونردد مع صاحبنا العلّامة الهلالي أن ما نراه اليوم من أحوال العرب وسائر المسلمين من تخبط في الظلمات إنما سببه الإعراض عن القرآن واتخاذهم إياه مهجوراً، وأنهم لن يخرجوا من ظلماتهم إلا بالرجوع إليه، والاستضاءة به، واتخاذه إماماً وحكماً، والتمسك بسنة رسول الله على التي تبينه وتشرحه (٣).

وركز الهلالي على هذا المفهوم، وأعاده وكرره، فها هو يقول:

«لا يرتاب أحد ـ لا مسلم ولا كافر ـ أن القرآن أخرج العرب من الظلمات إلى النور، وأخرج جميع الدول الإسلامية السابقة من ظلمات الجهل والفقر والذلة والتشتت والضعف إلى أضدادها، وفي قتال المسلمين لجميع دول أوروبا بملوكها وجيوشها مدة مائة وتسعين سنة على أرض فلسطين وما حولها، وانتصار المسلمين عليهم شاهد من أعظم الشواهد للمقارنة مع استيلاء ثلاثة ملايين من غرباء الآفاق من اليهود على المسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة المقدسة عند المسلمين، ويقابل هذه الملايين الثلاثة مائة مليون من العرب وستمائة مليون من المسلمين غير العرب⁽³⁾، وقد حارب العرب اليهود مراراً وتكراراً فلم يحصلوا على طائل (6)، فكل من اتبع القرآن والسنة من الشعوب والدول والأفراد يخرجه الله من النور، وكل من خالفهما بعد المعرفة يخرجه الله من النور، وكل من خالفهما بعد المعرفة يخرجه الله من النور إلى

⁽۱) «سبيل الرشاد» (۲/ ۹۶). (۲) «سبيل الرشاد» (۲/ ۱٦٧).

⁽٣) انظر: «سبيل الرشاد» (٢/٤٧٢).

⁽٤) هكذا كان عددهم آنذاك!

⁽٥) بل جعله في «سبيل الرشاد» (١٩٣/٤) من العذاب الأكبر، قال: «إن عجز ثمان مئة مليون عن مقاومة ثلاثة ملايين من العذاب الأكبر ﴿وَلَعَلَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكُبَرُ لَوَ كَانُوا يَعَلَمُونَ﴾.



الظلمات، ومن المخالفين لهما المقلدون وأصحاب الطرائق الذين فرّقوا دينهم وصاروا شيعاً»(١).

ويقول أيضاً:

«أُعيد وأُكرر أن كل شعب أو أمة أو فرد بلغه أمر ربه بواسطة رسل الله تعالى، فعصى أمره وكذب رسله يعذبه الله في هذه الدنيا عذاباً أليماً ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولا يفلح أبداً، فإن قلت: هذه الأمم الأوروبية نراها تعيش في سعادة دنيوية عزيزة منصورة موسعاً عليها في الرزق مع أنها عتت عن أمر ربها فالجواب: من بلَّغها الإسلام على وجهه؟! ونحن نعلم أن ارتقاءها بدأ عند انحطاط المسلمين ورجوعهم إلى الوراء»(٢).

ويقول أيضاً:

«القرآن كنز عظيم جاءنا به النبيّ الكريم، فاستغله سلف هذه الأمة أحسن استغلال وبلغوا به أوج العلا في سعادة الروح الجسد، وحكموا به مشارق الأرض ومغاربها وملأوا الدنيا علماً وعدلاً ثم خلف من بعدهم خلوف نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم؛ فردوا إلى أسفل سافلين وهم في ظلماتهم يعمهون، وقد تعلقوا بالسراب يظنون أنه شراب! ولن يجدوا لدائهم دواء ولا لمشاكلهم حلّاً إلا بالرجوع إلى القرآن درساً وتعليماً وتحكيماً، ويتخذونه سراجاً لهم يضيء ظلمات الحياة الدنيا ويسعدهم في الأخرى»(٣).

والكلام في التقليد والاتباع كثير كثير، وله عند الهلالي عدة اتجاهات، وخاض غماره بتفصيل وتأصيل وتدليل في كثير من كتبه، ولا سيّما في القسم الذي خصصه لذلك في كتابنا «سبيل الرشاد» وللهلالي مناظرات ومناقشات واختيارات نصر فيها التوحيد والسنّة، عملنا على ذكر بعضها في كتابنا المفرد في ترجمته، يسّر الله لنا إتمامه بخير وعافية، وبسطنا فيه كلامه على التحزُّب ومحاربته لأهل البدع، وذكرنا نماذج من كلامه وفتاويه، واعتنينا فيه بجوانب الإصلاح عنده، وفصّلنا أعماله ومهامه في كل بلدة نزل فيها واستقر، أو رحل إليها وزارها، مع بيان المجريات التي وقعت له، وهو شامل حافل، أخذناه

⁽۱) «سبيل الرشاد» (۱۷۰/٤). (۲) «سبيل الرشاد» (۱۹۵/٤).

⁽٣) «سبيل الرشاد» (٢١٦/٤ _ ٢١٧).

باستقراء وتتبع لما فى كتبه ومقالاته وهذا الذي سطّرناه وزبرناه هنا فيه غنية وكفاية - إن شاء الله - لمن رام أن يعرف منزلة صاحبنا من العلم والدعوة، وأثره في الإصلاح والتغيير، ودوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه إطلالة جيدة على مدى عناية الهلالي بالتوحيد وحرصه على الدعوة إليه. وبذا نكون قد أزحنا الستار، وكشفنا اللثام، وحقَّقنا المقام لعَلَم من الأعلام، ورحالة حاز قصب السبق في توصيل دعوة الحق إلى الأنام، في عصر استحكمت فيه غربتا الزمان والمكان للإسلام، ولذا فَقَدَه الناسُ لما رحل عنهم ـ إن شاء الله تعالى ـ إلى دار السلام.

* أسلوب المؤلف في الكتاب ومادته وموضوعه وردّه على الأخطاء والبواطيل والخرافات والشرك:

كتابنا «سبيل الرشاد» مفيد جداً، صاغه صاحبه بأسلوب جذَّاب، ولغة سلسة، بعيدة عن الغريب والحشو، وزيّنه بحِكم وقصص وأشعار، وعمل فيه على الاختصار، إلا أنه لم يستطع أن يكبح جماح اليراع، فاسترسل المصنف في ذكر أشياء ليست من مادته ولا صلبه، ولكنها خرجت عفو الخاطر دون تكلف، وهي لا تخلو من فائدة مهمة، فذكر _ مثلاً _ (١/ ٤٠١ _ ٤٠٢) مناظرته في حجته الأولى سنة ١٣٤١هـ في زمان ملك الحجاز الحسين بن على، واجتماعه بمحمد حبيب الله بن مايابا الشنقيطي، وأنه قال له: أنت وهابي! ونقل الهلالي على لسانه أنه قال له:

«وأنتم عندى معشر الوهابية ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: أهل نجد، وهم عندنا كفار! كاليهود والنصارى ونحن المسلمون.

والصنف الثاني: وهابية الشام، وأنت منهم، وهذا الصنف عندنا ضلال. والصنف الثالث: وهم وهابية الهند، وهم عندنا مخطئون».

قال الهلالي: «وبعد هذه المناظرة سمعت أن جماعة من الحجاج الأندونيسيين من أصحاب الشيخ أحمد السركتي (١) _ رحمة الله عليه _ جاهروا

⁽١) مؤسس جمعية «الإرشاد» في سورابايا، أندونيسية، ولها الآن فروع كثيرة، ودرَّستُ ـ ولله الحمد _ محاضرات عديدة في هذه الجمعية، وعقدت فيها مع بعض إخواني من طلبة العلم دورات للعلوم الشرعية أكثر من مرة، وحصل بها نفع عظيم، ووجدنا بشاشة =



بالتوحيد، فأنكر عليهم الناس وساقوهم إلى مجلس العلماء، فسألهم أولئك المسمَّون بالعلماء!! فاعترفوا فاستتابوهم وهددوهم، فتابوا».

قال الهلالي: «فلما سمعت هذا الخبر اختفيت ثمانية أيام في (المعايدة) عند المغاربة خوفاً من أن يخبر الشيخ المذكور مجلس العلماء فيستتيبوني...».

وذكر كثيراً من القصص التي وقعت له (۱)، واستطرد في ذلك، ولكنه كان عالباً على تأصيل وتقعيد يخدم قواعد ومسائل التوحيد، وهذا يسهل وييسر فهم مادة الكتاب ولا سيما من قبل المبتدئين من الطلبة، وعامة المثقفين والمطّلعين.

ولم يَفُتِ المصنِّفَ التنبيه ـ ولو بالإيماء ـ على أخطاء لغوية اشتهرت بين الناس، فقال ـ مثلاً ـ في (٥٠٢ ـ ٥٠٥):

«والجهال من أهل هذا الزمان يعبرون بالأبسط على الأسهل، وبالبسيط عن السهل أو القليل، ويزيدون على ذلك جهلاً فيقولون: بسّط الشيء ـ بتشديد الشين ـ، بمعنى: سهّله! ويقولون: قواعد النحو المبسطة، وكل ذلك ضلال، فإن (بسّط) ـ بالتشديد ـ معناه: كثرة التوسيع، كقّتَل وقتّل ـ بالتشديد ـ (٢٠).

ولم يخل كتابه من تقويم للكتب فهو يمدح بعضاً منها، وسبق كلامه قريباً على «الصوارم والأسنة» وقال عن كتاب «إيقاظ همم أولي الأبصار» للفلاني:

«فعليك بقراءة هذا الكتاب، فإن فيه من الفوائد العلمية ما تشتد حاجة كل طالب علم إلى معرفته (٣). وقال عن مؤلفه: «الإمام المجدد محيي السنّة ومميت البدعة وعدو التقليد» (٤).

واستجابة وترحيباً وتقديراً من إخواننا هناك _ فجزاهم الله خيراً _.
 وحصلت _ ولله الحمد _ على كثير من الجهود العلمية التي قام بها الشيخ السركتي، وهي جيدة ونافعة، ولعلي أجمعها في (مقالات) مفردة، اللهم يسِّر لي خدمة ما ينفع دينك، ويكون سبباً لنشر التوحيد وصحيح السنة.

⁽۱) انظر ـ على سبيل المثال ـ: (١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩)، و(٢/ ١٢٤) (ذكر فيه رحلته للنرويج)، و(٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، (٣/ ٩١ ـ ٢٩، ٢٦٥).

⁽٢) للهلالي في كتابه "تقويم اللسانين" (ص٣٢ ـ ٣٤) بسط لهذا الخطأ، وأصل كتابه مقالات نشرها في مجلة "دعوة الحق" المغربية، وهي ضمن "مقالات الهلالي" التي جمعناها له، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽۳) «سبیل الرشاد» (۳/ ۱۳۶). (۱۳ «سبیل الرشاد» (۳/ ۲۸۰).



وقال أيضاً عند كلامه على الجمع بين (الوصل والوقف) في قراءة القرآن، وتعرض لبدعية القراءة بصوت واحد، وقال عنها: «جاءت من الأندلس إلى المغرب في زمان الموحدين». وقال: «فهي بدعة، لم يعرفها مالك، ولا وقعت في زمانه؛ لأنها مأخوذة من الكنيسة النصرانية، فإن النصارى يرتلون صلواتهم من الأناجيل بصوت واحد، فهذه بدعة جديدة وفيها مفاسد متعددة». ثم قال _ وهذا موطن شاهد _ مادحاً لكتاب في المسألة، قال:

«وقد شرع أخونا حسن وجاج في تأليف كتاب يقيم فيه البراهين القاطعة على بدعة ما يسمى عند المغاربة بالحزب ويحدد تاريخ وصولها إلى المغرب، وما فيها من المفاسد، وهو عمل مشكور، نرجو أن ينفع الله به من شاء من عباده»(۱).

ومدح كتب الإمامين المجددين شيخي الإسلام: ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، فقال في (٢٧٩/٦) عن مسألة: «وقد فند هذه المسألة بحثاً وتحقيقاً شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في كتابه المسمى «التوسل والوسيلة...».

ويحذِّر من كتب أخرى، فها هو يقول _ مثلاً _ عن كتاب «الإبريز» لأحمد بن المبارك اللمطي المغربي _ ونقل بعض الترهات والخزعبلات التي فيه _: «وهذا الكتاب مقدِّس عند أكثر علماء الأزهر وعلماء المغرب، ومن ذلك تعلم أن علم الكتاب والسنّة قد مات وصار أهله غرباء»(٢)!.

وكذا قوّم فيه شعراً، فمدح بعضاً وقدح في بعض آخر، ولعله تعداه إلى صاحب الشعر، فقال _ مثلاً _ في (٣/ ٢٣٩) عن الشاعر صالح بن عبد القدوس: «كان زنديقاً»!.

وقال في (١/ ٢٦١ _ ٢٦١): «قال أحد المشركين من أهل المغرب يطلب النصر على الفرنسيين من الإمام إدريس بن عبد الله المدفون في زرهون من بلاد المغرب، لما حاصر الفرنسيون مدينة فاس...». وأورد بيتين من الشعر^(٣)، وذكر

⁽١) «سبيل الرشاد» (٣/ ١٧٢)، وانظر تعليقنا عليه.

⁽٢) انظر: «الهدية الهادية» (١٢٩) وكتابنا هذا (١/٢٦٢).

 ⁽٣) وأعادهما في (١/ ٤٧٠) وقال عقبهما: «أراد هذا المشرك المجنون أن يقوم إدريس من قبره، أو تأتي روحه، فتقاتل الجيش الفرنسي، وتصده عن مدينة فاس، أما هو فيجلس =

في الموطن نفسه أشعاراً فيها شرك يقولها التيجانيون في عادتهم بلسان واحد. وذكر فيه أيضاً ثلاثة أبيات أخرى يقولها الدرقاويون! وتعرض في (٢٩٣/١ _ ٢٩٣ ر ٣٨١ و٢/ ٣٨١ _ ٣٨١) لأبيات من قصيدة «البردة» للبوصيري، ونقدها، إذ فيها غلو في رسول الله على وكذلك رد في (٢/ ٤٨٩) على من أنشد شعراً في النبي على ، فقال:

حبا الله النبيّ مزيد فضل على فَضلٍ وكَان به رؤوفا فيأحيا أمّه وكذا أباه لإيمانٍ به فضلاً مُنِيفا فَسَلّم فالقديرُ به جديرٌ وإنْ كانَ الحديثُ به ضَعِيفا

ونعت صاحب هذا الشعر بالجاهل، إذ قال عقب الأبيات: "وقال آخر، وهو أشد جهلاً من الأول:

أيسقنت أن أبا النبي وأمه أحياهما الرب الكريم الباري حتى له شهدا بصدق رسالة سلّم، فتلك كرامة المختار هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

وقائل هذا الشعر من أجهل الجاهلين، فإنما أراد أن يعظم النبي ﷺ بتكذيبه وتكذيب جميع المحدّثين (١)، وكفى بذلك جهلاً وضلالاً».

ولم ينسَ الهلالي نقد من يتجهون للنبي ﷺ بالدعاء، وطلب الغفران الذنوب منه، فقال (١/١١٥):

«والجهال المنتسبون إلى الإسلام يعبدون بعض الأنبياء، فيستغيثون بالنبي على المنتسبون الله! يا محمد! أعطنا وأغثنا! كما قال قائلهم:

يا رسول الله يا بحر الوفا يا غياث المعتدي والمهتدي إنني عبد في ع

⁼ رابضاً كالثور المريض في يده سبحة يعد حباتها ويأكل ويشرب، فلم يغثه إدريسه بل دخل الفرنسيون مدينة فاس، ثم فتحوا بلاد المغرب بلداً بلداً إلى أن استولوا عليها كلها، ومكثوا يحكمونها بالحديد والنار ثلاثة وأربعين سنة...».

⁽۱) بيّنتُ بتطويل وتحقيق ـ ولله الحمد ـ ضعف ووهاء جميع ما ورد في هذا الباب في تقديمي لكتاب عليّ القاري «أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ»، وأوردت في الطبعة الثانية منه كلام العلّامة الهلالي هذا، والحمد لله وحده، "لا ربَّ سواه، ولا معبود بحقِّ إلا إياه.



قال في نقد البيتين:

«فانظر إلى هذا الجاهل المشرك الذي يعتقد أن النبي على لا يغيث المهتدين فقط، بل يغيث المعتدين أيضاً، ثم توجه إلى النبي على في البيت الثاني يريد منه مغفرة ذنوبه، وهذا جهل عظيم، فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله، والنبي على لا يغيث أحداً لا معتدياً ولا مهتدياً، وإذا كان يغيث المعتدي فهو إعانة له على الاعتداء حاشاه من ذلك .».

ورد على جملة من الأشعار فيها عبادة الأولياء (١)، والتوجه إلى المقبورين بالتضرع في طلب المطر، ويقولون وهم حفاة، حاسرو الرؤوس، والثور يمشي أمامهم ليذبحوه على القبر:

جئناكم قاصدين لا تردونا خائبين يا أولياء الله الصالحين (۲)

ولم يقتصر في ردّ الشعر على النثر، بل عارضه بشعر آخر، فقال عند حديثه عن (علم الكلام) ممثلاً به على العلم الذي لا ينفع وإن كان صاحبه يعتقد أنه حق، قال:

«وقول بعض المتكلمين شعراً:

أيها المغتدي ليطلب علماً كل علم عبد لعلم الكلامِ تطلب العلم كي تصحح حكماً ثم أغفلت مُنزّل الأحكامِ

وجوابه أن يقال: كذبت علم الكلام ليس سيداً للعلوم، وإنما هو عبد لَهو من المتفلسفين، وسخافاتهم وهو بدعة ملعونة، إلا في حق من اضطر إليه ليدافع به عن الحق، ويلجم أهله، ويرميهم بأحجارهم، ويأخذهم بإقرارهم، ثم يقال له: نحن ما أغفلنا مُنزِّل الأحكام ولكنّا وصفناه بما وصف به نفسه سبحانه وبما وصفه به رسوله الكريم متبعين في ذلك لنبيّه على وللصحابة والتابعين.

وأقول في ذلك شعراً معارضاً له (٣):

⁽۱) انظر: «سبيل الرشاد» (١/ ٥١٢ و٢/ ٢٦٢).

⁽٢) «سبيل الرشاد» (١/ ٥١٤)، ورد في (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) على شعر فيه استسلام المريد للشيخ، وعدم استفساره عن شيء ولو كان ظاهر الحرمة!

⁽٣) لم أجد هذين البيتين في أي كتاب من كتب الهلالي المطبوعة، وفاته كلله أن يذكرهما في «ديوانه» الذي عن له جمعه بعد ضياع قسم من شعره، ولا زال على الآلة الراقمة!



أيها المغتدي لتطلب علماً اجتنب جاهداً ظلامَ الكلامِ إنَّ علمَ الكلام ليس بعلمِ إنما العلمُ شرعةُ العلَّم

وكذلك علم الفروع إذا لم يكن معه علم الكتاب والسنة، كعلم الغزالي والبيضاوي والزمخشري، فهؤلاء كلهم جاهلون بالحديث، ومن جهل الحديث لم يستطع أن يفهم القرآن، فيكون محروماً من علم الكتاب والسنة كهؤلاء الثلاثة الذين حشوا كتبهم بالموضوعات والمتروكات والغرائب التي لا تخفى على المبتدئين في علم السلف، مع أن الغزالي كان عالماً بالفلسفة وبدع المتصوفة، وعلم الفروع وأصول الفقه المبنية على شفا جرف»(۱).

ولم يقتصر في نقد الشعر على المعنى والفحوى، وإنما نقد الألفاظ والمبنى، فقال في (٣١٨/٢) وأورد أبياتاً من قصيدة نظّمها العلّامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي في أسماء الله الحسنى، ثم ذكر في الباب نفسه القصيدة الدمياطية، وقارن بينهما بقوله:

«القصيدة الهلالية أقل دعاء، وأفصح لفظاً، وكل بيت منها يشتمل على أربعة أسماء أو أكثر، وأما الدمياطية فألفاظها ركيكة، ونظمها غير جيد، إلا أن كل بيت منها لا يزيد على اسمين، والباقي كله دعاء»(٢).

وأورد المصنف قصيدة السجلماسي بتمامها في آخر الكتاب (7/7) - 7/7)، وقال في (7/7/7 - 7/7) عن قصيدة الدمياطي - وتلكأ في تحديده وتعيينه -: "ليس فيها انسجام ولا بلاغة، فلذلك تركت نقلها». وعلّل نقل القصيدة الأخرى بقوله: "فقد عزمت على نقلها تسهيلاً لحفظ أسماء الله الحسنى". وأكثر الهلالي في آخر الكتاب (7/7/7/7 - 7/7) من نقل الشعر الذي ينصر عقيدة أهل السنّة، وعنون عليه ب(جيوش الشعر)، وقال:

«بدأتُ هذا القسم بالجيوش الإسلامية للإمام الحافظ ابن القيّم هي نثر، وأختمه بجيوش الشعر لأئمة مختلفين في أوطانهم وأزمانهم، متّفقين على العقيدة الحنيفية».

⁽۱) «سبيل الرشاد» (۱/ ٩٥٥).

⁽٢) بنحوه في أول كتابه «قصيدة أسماء الله الحسنى»، وقال في مقدمته عن قصيدته في هذا الباب: «نظمتها في العاشر من ذي القعدة سنة ١٣٩٧هـ».



وابتدأها بنونية الإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي^(۱)، وقال: «أثبتُها مختصرة؛ لأني رأيتُ أن أحذف منها ما يتعلّق بفروع المالكية»^(۲). ونقل بعد ذلك قصيدة للشيخ علي بن سليمان القصيمي المتوفى بالدورة في جنوب العراق في (نحو سنة ١٣٤١هـ) من كتابه «المجموعة المفيدة»^(۳).

ثم نقل قصيدة «الشهب المرمية على المعطلة والجهميّة» للشيخ الفاضل أحمد بن مشرف، وهي لامية طويلة فيها جميع معتقد أهل السنّة في الأسماء والصفات والإيمان بالقضاء والقدر وما يتعلّق بذلك، ثم أنهى النقل بالقصيدة البائية في الحتّ على مكارم الأخلاق للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، وتوّج ذلك كله بقصيدة ختم بها الكتاب، قال عنها (٢/٢٠٣):

«ونختم هذه الجيوش الشعرية بقصيدتي التي سميتها «الكتيبة المظفرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع المستنكرة»» وذكر فيها خدمته للسنة، فقال: وما نحن إلا خادمون لسنة أتت عن نبي الله ذي الفتح والنصر وقال في محبته لأهل السنة:

سلام على أنصار سنّة أحمد فهم أولياء اللّه في كل ما دهر اليهم أجوب البر والبحر قاصداً فرؤيتهم تشفي السقيم من الضرّ

وعمل الهلالي في كتابه هذا على محاربة الخرافة، وبيّن أن هذا من ميزة الموحّد التوحيد الصحيح، حتى قال (٦٧/٢): «كل موحّد وإن قلّ علمه، يجد حجة على توحيد الله تعالى يغلب بها أكبر علماء الشرك والتقليد» وبيّن ذلك بقصة عملية، قال:

«فمن ذلك أن رجلاً من المشركين في صعيد مصر بالريرمون، قال لموحد: أنتم وهابية، تنكرون معجزات النبي على مع أنه حي يصلي في قبره، والأغوات _ وهم خدّام المسجد النبوي _ يضعون له الماء للوضوء قبل كل صلاة، فقال له

⁽١) لم أظفر له بترجمة على شدة تتبُّعني لذلك، ولكني وجدت القرطبي نقل من قصيدته هذه في «التذكرة» و«التفسير» ولأبي العلاء المعري ذكر فيها، فهي قديمة، وصاحبها أندلسي، ومعرفتهم عند المشارقة وفي كتب تراجمهم غير مستوفاة، ولا قوة إلا بالله!

⁽٢) «سبيل الرشاد» (٦/ ٢٨٣).

 ⁽٣) أفاد الهلالي في «سبيل الرشاد» (٢/٣٨٦): أن الذي طبعها وبعث بها إليه صديقه الصادق الشيخ عبد الله الغنيمان بارك الله له في حياته.

الموحد: أنت كفرت بإجماع المسلمين، وتنقصت رسول الله على شر تنقص؛ لأن الوضوء لا يكون إلا عن حدث، والنبي على منزّه عن الحدث بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، فاعترف المشرك، وقال: أستغفر الله». قال الهلالي:

«والحكايات في هذا الباب كثيرة».

وذكر خرافات يعتقدها أهل المغرب العربي، فقال ـ مثلاً ـ في (٣١٨/٢ ـ ٣١٨) عن القصيدة الضمياطية:

"ومن العجيب عند المغاربة _ وما كثر عجائبهم! _ أنهم يعتقدون أن من قرأها، وأكثر قراءتها يصاب بالجنون؛ لأن لكل بيت منها خاصيته، وخداماً من الجن يقضون حاجة من دعا به، ولكن قلّ من يتغلّب عليهم فيستجيبون له ويخدمونه، وأكثر من يحاول التغلب عليهم يهزم ويُصاب بالجنون» قال:

«حتى إن سكان الجزائر إذا رأوا شخصاً من حفّاظ القرآن لم تعجبهم حاله يقولون: هذا (مضميط)، يعنون: أنه فَقَدَ عقله بكثرة قراءة الضمياطية» وعلّق على ذلك بقوله:

«والمغاربة ليسوا كذّابين فيما زعموا، فإن من قرأها للسحر واستخدم الجن يصاب بالجنون والوسوسة وتجيئه خيالات تفتنه، وتفسد عقلَه»!

وذكر في كتابنا هذا أيضاً (٣٥٤/٢ ـ ٣٥٥) خرافة علقت في أذهان كثير من الناس أنه عند بناء البيت الجديد لا بد من طبخ ذبيحة في ماء بلا ملح، ويرش ذلك الماء في جوانب البيت، وذكر قصة حصلت معه في بغداد عند بنائه بيتاً جديداً مع رئيس البنائين، هدم فيها هذه الخرافة، بالقول والعمل، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وفصّل في (١/ ١٧٨ - ١٧٩) في خرافة الخط بالرمل، وعمل الدجالين (الرمّالين) في ادعاءهم معرفة الغيب من خلال ذلك (١)، وذكر في (٢٤١/١ - ٢٤١) خرافات ذكرها صاحب (١) «الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز الدباغ» ونسفها نسفاً، واستطرد في ذكر ما يشابهها، ونعت حكاية فيه (١/ ٢٤٢) بأنها

⁽١) لابن رشد الجد رسالة مفردة في الرد على مدَّعي الغيب من علم الخط، منشورة بتحقيقي، والحمد لله وحده.

⁽٢) هو أحمد بن مبارك اللمطي المغربي.

«ملعونة» وقال عنها: «يبرأ منها الله ورسوله، وجميع المسلمين الذي يعرفون ما هو الإسلام، سواء كانوا صوفية أو فقهاء، أو أهل حديث».

وذكر في (١١٤/١ - ٣١٧) جملة من قصص فيها عبادة غير الله كل وشيوع الخرافة في المغرب ومصر عند الأضرحة، وذكر ذلك عن شيخه الورع التقي الزاهد محمد سيدي بن حبيب الله، وعن صديقه الشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ، وأنهما - وغيرهما - حدثوه بقصص يندب بسببها على الإسلام، وتسكب الدمعات على التوحيد، واستطراده في ذكر هذه القصص من باب التحذير من الشر والشرك وشركهما، وقد قعد أصلاً قبل ذكرها بأن كل من أشرك بالله وعبد معه غيره يختل دينه وعقله، حتى يهبط إلى عبادة الحيوان الأعجم، قال: «وعبادة الحيوان الأعجم شائعة عند المشركين في كل زمان ومكان» وأخذ بالسرد والنقل، ذاكراً من أخبره، وما شاهده.

ونزيد على ما أصَّله فنقول محذِّرين: من لم يعظّم الله حق التعظيم، لا بدّ أن يعظّم غيره، ولو كان حيواناً أو حجراً أو شجراً، لا يضر ولا ينفع.

وذكر في (١/ ٣٩١) أن اعتراض المبطلين والطرقيين والخرافيين غير قائم على نقل أو عقل، وإنما على عبارات زيّنها لهم شياطين الإنس والجن، فهم يقولون لداعيهم إلى التوحيد:

«أنت تريد أن تأتينا بالمذهب الخامس، ونحن راضون بمذهبنا لا نبغي به بديلاً» ونقض هذا الكلام بقوله:

«فيقال لهم: إن كان الصحابة والتابعون أهل القرون المفضلة من مبعث النبي على إلى مئة وعشرين سنة(١) كلهم على المذهب الخامس، فما أحسن

⁽۱) بين الهلالي في غير موطن من كتابنا هذا حال بعض أهل الحجاز ونجد قبل تمكن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهاك - مثلاً - لتعلم - أخي القارئ - بركة وثمرة ظهور هذه الدعوة المباركة، قال في (۱۱۱/۳) ما نصه: «ولما زرت بلاد شرقي الحجاز وأوائل نجد وجدت عندهم كاهنات إذا أراد شخص أن يتزوج أو يسافر أو يتجر في شيء، يأتي إلى الكاهنة ويقدم لها الحلوان ولا يكون أقل من بعير، فتبيّت له وفي الصبح تخبره وتأمره بالإقدام أو الإحجام، وهؤلاء القوم من أهل البادية لم تبلغهم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فدَعوتُهم إلى توحيد الله وسنة رسول الله وكان معي أحد أمراء تلك النواحي ماجد بن موكّد أمير النخيل».



المذهب الخامس (۱)! والحق أنكم كاذبون، فإنه لا يوجد في الإسلام إلا مذهب واحد، وهو ما كان عليه رسول الله عليه وأصحابه، وما حدث بعدهم من المذاهب فهو ذاهب».

ومما ينبغي أن يذكر بهذا الصدد أن اعتبار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (مذهباً) جديداً ونبزها برالوهابية)! إنما ظهر من أعدائها، وإنما هي دعوة سلفية خالصة، أُلصِقت بها تهم وبواطيل، وافتراءات وأكاذيب، وأصبح الخصوم والأعداء من القبوريين والطرقيين ينعتون الدعاة إلى التوحيد والكتاب والسنة بر(الوهابيين)؛ حنقاً وحقداً على التوحيد وأهله وأئمته! ولا قوة إلا بالله.

وكلمة (وهّابي) _ على حدّ عبارات النابزين _ تسمية غريبة، لم تنقل عن أحد من أئمة الدعوة الأول، وإنما نقلت عن خصومهم، وإلا؛ فنعم الانتساب إلى (الوهاب) _ جلّ جلاله _:

إن كان توحيد الإله توهباً يا رَبِّ! فاشهد أنني وَهابي وهاك نصّين من كلام الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب كَلْللهُ في بيان معتقده ومنهجه:

الأول: في «مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب» _ القسم الخامس (الرسائل الشخصية) (ص٢٥٢) _ ما نصه:

«لست ـ ولله الحمد ـ أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم؛ مثل: ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أردّ الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه: إن أتانا منكم كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله على إلى يقول إلا الحق...».

والآخر: جاء في رسالته لعبد الرحمٰن بن عبد الله السويدي أحد علماء العراق يذكر الإمام كَالله حقيقة دعوته، ومن ذلك قوله _ كما في «مؤلفات الشيخ الإمام» (الرسائل الشخصية) (٥/٣٦):

⁽١) هي الفترة التي لم يظهر فيها مذهب من المذاهب الأربعة المتبوعة.



«أخبرك أنى - ولله الحمد - مُتَّبعٌ، ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنّة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين؛ مثل: الأئمة الأربعة، وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بيّنت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعبَد الله به، من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق لله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنّة والجماعة».

وهناك نقولات عديدة عن الإمام المجدد، وغيره من أئمة الدعوة المباركة في الاتباع، والاقتصار على الدليل، ونبذ ما يخالفه. تراها في رسالة «الإقناع بما جاء عن أئمة الدعوة من الأقوال في الاتباع».

وأما عن الشبه التي تثار في وجه هذه الدعوة، فقد تصدى لها بالدراسة والرد على وجه حسن غايةً: الأخ الباحث الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف في كتابه «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عرض ونقد».

وأما عن المؤلفات التي طبعت وفيها سموم وبواطيل حول هذه الدعوة، فقد كدتُ استيعابها والتحذير منها في كتابي «كتب حذّر من العلماء» (المجموعة الأولى) (١/ ٢٥٠ ـ ٢٨٧)، فانظره، فإنه مفيد ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ولشاعرنا الهلالي قصيدة مهمة في هذا الباب، مطلعها:

نسبوا إلى الوهاب خير عباده يا حبذا نسبى إلى الوهاب الله أنطقهم بحق واضح وهم أهالي فرية وكذاب أخْرم بها من فرقة سلفية سلكت محجّة سنّة وكِتاب وهي التي قصد النبي بقوله (هي ما عليه أنا وكل صحابي) قد غاظ عباد القبور ورهَطَهم توحيدُنا للّه دون تحاب

عجزوا عن البرهان أن يجدوه إذ فزعوا لسرد شتائم وسباب

وركّز المصنف كثيراً على بدعة التعصب المذهبي، فأصغ إليه وهو يقول في (٣/ ١١٢): «اعلم أيها القارئ الموفّق والمستمع المهتدي أن التمذهب كله شر وبدعة من أقبح البدع وحسب أهله ضلالاً: أنهم تفرقوا في دينهم وليسوا من الله في شيء ورسوله ليس منهم في شيء. والواجب على كل مسلم أن يكون في أمور الدين كما كان أصحاب رسول الله ﷺ إمام واحد، ودين واحد، وأمة واحدة،



وإله واحد لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون لا مذاهب، لا طرائق متصوفة، لا أحزاب سياسية، وحسبنا حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون. قال الشاطبي في «الاعتصام»(۱): «قال مالك كُلِّلهُ: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً على خان الرسالة لأني سمعت الله يقول (۲): ﴿الْيُومَ أَكُمْلَتُ لَكُمْ وما لم يكن يومئذ ديناً) لا (۳) يكون اليوم ديناً (۱)، ومن المعلوم أن التمذهب واتباع طرائق الصوفية ولبس الخرقة واتخاذ الأوراد والاجتماع للذكر بلسان واحد كما يفعل اليهود والنصارى في كنائسهم، والتفرُّق إلى أحزاب متناطحة، والاجتماع على الرقص والغناء وآلات اللهو والمكاء والتصدية، كأصوات الحيوان ونسبة ذلك إلى دين الله إفك مبين وبناء القباب على القبور والذبح عليها والنذر لها واتخاذها مواسم وأعياداً، كل ذلك لم يكن في زمن النبي على قلن يكون ديناً أبداً».

ويجعل الهلالي سرّ سؤدد وعزة المسلمين: التوحيد والاتباع، وذكر في كتابنا (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣) قصة وقعت لعمر بن عبد العزيز، وأنه قضى فيها على حال، وبلّغه عروة بن الزبير أن النبي ﷺ قضى فيها بشيء آخر، فرجع إلى قضاء رسول الله ﷺ، قال:

«في هذه القصة فائدة جليلة وهي أن ملوك المسلمين في ذلك الزمان كانوا يذعنون للحق ويفرحون به وينفذونه، ولم يكن العلماء يهابونهم إذا أخطؤوا في الحكم أن يعلموهم بخطئهم». وقال على إثر ذلك (٣/ ١٣٤):

"وهذا يفسر لنا ما أدركه المسلمون في ذلك الزمان من العزة والسؤدد، فأين هذا من الديمقراطية التي يتبجّح بها أهل هذا الزمان؟! لا جرم لو أن قاضياً من قضاة العصور المتأخرة حكم بحكم، فجاءه عالم، وأخبره بخطئه، لكان نصيب ذلك العالم أن يسمع منه ما يكره، هذا إذا لم يأمر بحبسه، وهذا إذا اعترض على قاضٍ فقط، فكيف بمن هو فوقه من الرؤساء، كوزير العدل؟! فضلاً عن رئيس الدولة»؟!

⁽۱) (۱/ ۱۲ _ بتحقیقی).

⁽٢) كذا في الأصل، وفي «الاعتصام»: «لأن الله يقول».

⁽٣) كذا في الأصل، وفي «الاعتصام»: «فما لم... فلا».

⁽٤) ذكره أيضاً صاحب «تهذيب الفروق» (١٢٥/٤).



وهذا الداء (التقليد والتعصب) عالجه المصنف من جميع جوانبه، فلم يكتفِ بذم التعصب المذهبي والحزبي والطرقي، بل ذكر أيضاً نوعاً أسوأ وأخطر من هذين النوعين، وهو التعصب للجنس، وردّ على دعاة العروبة، والمذاهب الوضعية، والأفكار القومية والأرضية، فاسمع إليه وهو يقول (٣/ ٢٨٨):

«لم يبق لي ما أزيده في الردّ على المقلّدين المتعصّبين للمذاهب أو الطرائق أو الأحزاب، ولكن بقي لي كلام مع السياسيين ودعاة الغروبة والاشتراكية والمحاربين بزعمهم للرجعية فأقول لهم _ وبالله أستعين _: قد علمتم أن الله وعد الذين آمنوا بمحمد والقرآن وعملوا الصالحات؛ أي: صدقوا في إيمانهم وشفعوا القول بالعمل أن يجعلهم خلفاء الأرض يتصرفون فيها كيف يشاؤون، فهم الحكّام وهم العلماء، وهم الأمناء على كنوز الأرض وثمرات الأعمال، لا يد فوق يدهم، واستمر ذلك من عهد النبوة إلى نهاية الحروب الصليبية، وامتد بعضه إلى الحكم العثماني، لكن ماذا حدث بعد ذلك زال الإيمان والعمل، فذهب العز والنصر، ويا أيها المسلمون، ويا أيها العرب المسلمون، ارجعوا إلى الإيمان والأعمال الصالحة والاتحاد على اتباع كتاب الله وسنة رسول الله، ونزّهوا أنفسكم من التعصب للأوطان وللأجناس وللفِرق والمذاهب، واجعلوا إلهكم واحداً وارضوا بالله صاحباً، استضيئوا بنور الكتاب وسنّة النبي الكريم والأصحاب، إذا شئتم أن يرد الله لكم ما كان لأسلافكم من العزّ والتمكين والنصر المبين ويكبت أعداءكم، ألا تستحيون من الله ثم من الناس أن يجمع اليهود شملهم بعد أن تشتتوا آلاف السنين، ثم يعمدوا إلى الأرض المقدسة التي أخرجهم الله منها بسبب ذنوبهم وتركِهم رسولهم وكتابهم واختلافهم فيما بينهم، فيغتصبوا منكم تلك الأرض اغتصاباً _ وعددهم بالنسبة إلى عددكم _ نحو ربع واحد في المائة.

أما أنتم أيها النصارى العرب! فدعوا الكيد والدس والخداع لإضلال المسلمين وتشتيت شملهم، ولا تكونوا كالذي قال: اقتلوني ومالكاً، فإن ذلك لا يشفي ما في صدوركم ولا يغني عنكم إلا قليلاً، فإنكم دعوتم للتعصب للعروبة وأنتم أبعد الناس عنها، فما لكم منها إلا الاسم فإنكم عاديتم الدين الذي به شرّفتم وواليتم أعداء العرب وتسمّيتم بأسماء عجمية، فما هذه العروبة التي تدعون إليها؛ أهي عروبة محمد رسول الله؟ كلّا، فإنكم تبغضونها وتحاربونها. أم هي



عروبة أبي جهل وأبي لهب؟ فهذه العروبة ليس فيها إلا الجهل والذل والخزي والشتات وعبادة الأصنام، ووأد البنات وأكل الميتة وعدم توريث الإناث، والأنصاب والأزلام والميسر والقتل والنهب واستعباد الأخ لأخيه. أهذا هو البعث العربي؟ كلّا، والله بل هو الموت، فإن قلتم: إننا ما قمنا بهذه المكيدة إلا دفاعاً عن النفس لأن هؤلاء العرب الذين يدعون الإسلام بله العجم، لم يبق لهم من الإسلام إلا اسمه وقد تعصبوا علينا وأهانونا، قلنا: كل واحد من الفريقين يرجع عن غيّه واجتمعوا على الإنصاف».

ومن دقّة فهم صاحبنا الهلالي وعلمه، وشدة حرصه، وسعة اطلاعه، ربطه المخالفات العقدية والإصلاحية بما عليه أهل الفِرَق الضالّة، وبيان كيفية انتقالها إلى المسلمين، فذكر _ مثلاً _ أن السياحة من أعظم أركان الدين الهندي البرهمي، وأفاض في نقل ذلك عن كتاب الدكتور أحمد شلبي «مقارنة الأديان»، ثم ربطها بما عليه أهل البدع من المسلمين، فقال في (٣/ ٢٣٠ _ 170) نقلاً عن الدكتور المذكور أنه يجب على البرهمي أن يقسم حياته ثلاثة أقسام:

«القسم الأول: من طفولته إلى أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، يسيح في الأرض لطلب العلم ولا يشتغل بالكسب، بل يعيش على ما يجده من الثمر الساقط من الأشجار والنبات، وإذا اضطر إلى السؤال سأل الناس.

القسم الثاني: بعد نهاية خمسة وعشرين سنة يشتغل بالكسب ويتزوج، ويكون له أولاد إلى أن يبلغ خمسين سنة.

القسم الثالث: بعد نهاية خمسين سنة يسيح في الأرض على الصفة التي تقدم ذكرها من التقشّف والبعد عن الملاذ والاعتزال عن الناس، إلا إذا كانوا زهّاداً مثله، ويستمر على ذلك إلى أن يموت».

وجاء في سيرة بوذا: أنه كان ابن أحد كبار الأغنياء، ولما بلغ خمساً وعشرين سنة تزوج فولد له ولد ثم هجر معيشة الترف وساح هائماً على وجهه، فلقي خمسة من الزهّاد فصحبهم مدة ثم تركهم، واستمر في السياحة والتقشف وتعذيب النفس إلى أن جائته الحكمة وهو جالس تحت شجرة في الغابة، ثم توجه إلى بنارس وأخذ يعلم الناس دينه، وهذه السياحة الهندية الوثنية هي التي ذكرت عند رسول الله على عنها وقال: «قد أبدلنا الله بذلك الجهاد في



سبيل الله والتكبير على كل شرف $^{(1)}$. وقد اقتبس بعض الجهال من المتصوفة تعذيب النفس من الدين الهندي الوثني، وقد ذكر الحافظ ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس» حكايات كثيرة في تعذيب المتصوفة أنفسهم بالجوع، زادوا فيها على نسّاك الهند الوثنيين أضعافاً كثيرة أذكر منها شيئاً يسيراً، فمن ذلك ما ذكره الحافظ ابن الجوزي في الكتاب المذكور $(ص \cdot \cdot \cdot)$: «حكى أبو حامد الطوسي عن سهل _ يعني ابن عبد الله التستري _ قال: كان سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين».

ثم قال الهلالي:

«ولم يزل جهّال المتصوفة يأخذون هذه الضلالات عن عبدة الأصنام في الهند وعن رهبان النصاري إلى يومنا هذا، ومن ذلك السياحة التي يدعو إليها طائفة التبليغ المتبعين للشيخ محمد الياس الهندي وهم منتشرون في جميع أنحاء الدنيا، والركن الأعظم من طريقتهم هو ما يسمونه الخروج في سبيل الله، فإنهم يبذلون جهوداً عظيمة في الدعوة إلى هذا الركن وهم في ذلك مخلصون لطريقتهم وناجحون في عملهم، وكل داع مخلص ناجح على قدر إخلاصه يكون نجاحه سواء دعا إلى حق أو إلى باطل، وهذا الركن الذي يسمونه الخروج في سبيل الله وما يلزمه من التقشف في المعيشة هو بعينه السياحة التي تقدم ذكرها، ونهي عنها النبي ﷺ وهي بدعة محضة لم يفعلها النبي ﷺ، فإنه خرج إلى الطائف لدعوة أميرها ولم يكن معه إلا خادمه مولاه؛ أي عبده المعتق زيد بن حارثة، فلما دعا أمير الطائف ردّ عليه ردّاً قبيحاً وقعد له سفهاء الطائف في طريقه سماطين؛ أي صفين، ورموه بالحجارة حتى سال الدم من رجليه _ عليه الصلاة والسلام _ ثم رجع إلى مكة، والقصة معروفة في السيرة(٢) ولم يخرج معه أحد من المسلمين من أهل مكة، وكذلك توجه إلى دعوة أحد رؤساء العرب وهو ابن عبد ياليل بن عبد كلال وحده، فرد عليه ردّاً قبيحاً فأصابه من الغم ما أذهله حتى أنه مشى في البرية مغموماً محزوناً، فلم يشعر إلا وهو في قرن الثعالب فرفع بصره إلى السماء، فرأى سحابة وفيها جبريل ومعه ملك الجبال فسلم ملك الجبال على النبي ﷺ وأخبره أن الله تعالى أمره أن يفعل ما يأمره به النبي ﷺ، وقال له: إن

⁽۱) انظر تخریجه فی تعلیقنا علی (۳/۲۲۹).

⁽٢) انظر التخريج في التعليق على الكتاب (٣/ ٢٣٢).



شئت أطبقت عليهم الأخشبين؛ أي الجبلين، فقال النبي ﷺ: «إني أرجو أن يخرج الله من ظهورهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً»(١). وهذا أشد يوم على النبي ﷺ، فإن عائشة وله سألته: هل مرّ عليك يوم أشدّ من يوم أحد؟ فقال لها: «نعم»، وأخبرها بالحكاية المتقدمة.

وفي غزوة أُحد كان المشركون قد حفروا حفراً في الجبل فسقط النبي على إحدى الحفر فأغمي عليه، ودخلت حلقة من حلقات المغفر في خدّ النبي فأخرجها أحد الصحابة عاضاً عليها بأسنانه حتى انكسرت له سنّ وكسرت رباعية النبي على أي سنّه، في ذلك السقوط وجرحت شفته وسال الدم من وجهه، ولما استفاق ورجع إلى المعسكر خرج له أبيّ بن خلف راكباً على فرس له مدججاً بالسلاح فقال: أين محمد؟ فانتدب عشرة من الصحابة لقتاله فمنعهم النبي وخرج له وهو على تلك الحال وأخذ حربة وكان عدو الله قد غطى جسمه بالحديد ورأسه كذلك، ولا يظهر منه إلا ثغرة في نحره فطعنه النبي على مظفراً منصوراً.

فهذه هي الشدائد التي أصابته في يوم أُحد، ومع ذلك كانت هذه الشدائد أهون عليه مما أصابه من الغمّ حين دعا ذلك الكافر ولم يجبه؛ لأنه كان في يوم أحد معه جيش، وفي يوم قرن الثعالب لم يكن معه أحد، وادعاؤهم أن تلك البدعة سنّة النبي و أصحابه، ولولا ذلك لم ينتشر الإسلام في الشرق والغرب باطل؛ لأن الصحابة حين نشروا الإسلام خرجوا للجهاد في سبيل الله وكانوا لا يتركون بلداً حتى يسلم أهله، أو يصالحوا المسلمين، أو يكونوا تحت ذمتهم، وترتفع فيه راية الإسلام ويحكم بشريعته ثم يتقدمون إلى بلد آخر لا على طريقة السياحة الصوفية المقتبسة من الديانة الوثنية التي ليس فيها جهاد ولا تغيير منكر!!

بل فيها إقرار المناكر والسكوت عليها والصلاة عند الأضرحة المعبودة وفاعلها ملعون على لسان النبي على فقياس هذه السياحة على الجهاد في سبيل الله من أفسد القياس، وفي هذه السياحة مفاسد كثيرة منها تضييع العيال، وقد قال

⁽١) انظر التخريج في التعليق على الكتاب (٣/ ٢٣٢).

⁽٢) انظر تخريجها في التعليق على (٣/ ٢٣٣).



النبي ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»(١١). وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ وعرض عليه نفسه ليجاهد في سبيل الله معه فقال له: «ألك والدان؟» قال: نعم. قال: «ارجع ففيهما فجاهد»(٢)؛ أي ارجع إلى برّهما وخدمتهما فهي أفضل من الجهاد، وهؤلاء الإلياسيون يكرهون الناس بسيف الحياء على السياحة، فإذا اعتذروا لهم بالوالدين الضعيفين أو بالأولاد والزوجة أو بالتجارة أو بالعمل الذي التزمه الإنسان، فوجب عليه أداؤه وحرم عليه تركه كالأجير والمعلم، يقولون: اترك ذلك وتوكل على الله، وكيف يترك ما أوجبه الله عليه وينقض عهد الله من بعد ميثاقه ويخون الأمانة ويكون مع ذلك متوكلاً على الله وخارجاً في سبيل الله، وقد أخبرني أحمد الزوين الذي يسوق سيارة النقل للأخ السلفي الحاج مصطفى بن هاشم الودغيري أنه كان قد حمل في سيارته ما يساوي خمسة عشر ألف درهم من فواكه، فجاءه جماعة الإلياسيين وقالوا له: تخرج معنا في سبيل الله؟ فقال لهم: انظروا هذه السلعة المحمولة على السيارة، أنا متوجه بها إلى الجزائر، فقالوا له: اتركها وتوكّل على الله. وذهبوا إلى السيد أحمد بن إدريس الإدريسي وهو صاحب معامل النسيج في مدينة مراكش وصاحب تجارة واسعة يؤدي زكاته وله زوجة شابة، فأخرجوه من بيته وأخذوه إلى الهند فبقي سبعة أشهر غائباً، وهذا حرام بلا شك من وجوه منها ما تقدم، ومنها أن عمر ظالم سأل أم المؤمنين حفصة ابنته: كم تستطيع المرأة أن تصبر عن زوجها إذا خرج للجهاد في سبيل الله، فقالت: أربعة أشهر. فأمر أن لا يتغيب جندي عن أهله أكثر من أربعة أشهر.

كم من عامل وموظف ومعلم وطالب كانوا لهم سبباً في طردهم من أعمالهم، ولا ننكر أنه تاب على أيديهم كثير من الفسّاق والفجّار واهتدوا وتمسّكوا بالدين ولكن المحافظة على رأس المال وهو سنّة النبي على قبل التسوُّف إلى الربح، وكذلك نعترف لهم بحسن الخلق وحسن المعاشرة والسمت الحسن، فعسى الله أن يوفّقهم لترك بدعة السياحة وتغيير المنكر والحب في الله والبغض في الله والمعاداة لله، ويوفق أهل الهند وباكستان منهم أن يتركوا بدعة الجمود على المذهب الحنفي ويعملوا بكل حديث صحّ عن النبي على النبي المنهم النبي منهم أن يتركوا بدعة الجمود على المذهب الحنفي ويعملوا بكل حديث صحّ عن النبي الله المنهم النبي المنهم النبي المنهم ا

⁽١) انظر التخريج في التعليق على (٣/ ٢٣٣).

⁽٢) انظر التخريج في التعليق على (٣/ ٢٣٣).



ويتركوا كذلك العقيدة الأشعرية والماتريدية ويعتقدوا ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون، ومنهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت كَلَّلُهُ فإن عقيدته كانت مطابقة لعقيدة الصحابة والتابعين جعلنا الله من أتباعهم».

وللهلالي عناية خاصة قوية دقيقة في بيان اعوجاج ما عليه التبليغيون، وصنف فيهم كتاباً مفرداً وهو مطبوع (١) متداول اسمه «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم» فرغ منه في الثالث من شوال سنة ١٣٩٨ه بمدينة مكناس، تعرض فيه لتاريخ جماعة التبليغ وكيفية نشوئها وأهم أشخاصها وزعمائها البارزين، ثم المدارس الكلامية والفقهية التي تأثرت بها الجماعة، وهو عبارة عن تلخيص موجز لكتاب محمد أسلم الباكستاني والمعنون بـ«جماعة التبليغ عقائدها وأفكارها ومشايخها». قال الهلالي عنه: «ذكر ما لهم وما عليهم، ونقل أخبارهم من كتبهم، وقد رأيت أن أُلخّص كلامه رجاء أن ينفع الله به . . . ».

وانطلق الهلالي في الحكم عليهم - كما رأينا - من الدلائل الشرعية، ولذا أكثر من ذكر آثارهم السيئة، وتعرض أيضاً للأسس التي اعتمد عليها مؤسس الجماعة محمد إلياس الحنفي الديوبندي، وهي عندهم بمثابة منهج يسيرون عليه، ويسمونها (المبادئ الستة).

وعرف الهلالي بمؤسس الجماعة وبيّن مقرها الرئيسي، والمدارس التي تأثرت بها، وأهمها مدرسة بديوبند ـ وكان ينتمي إليها الشيخ ـ وكان أصحاب المدرسة يقولون: إن مؤسسها هو النبي على وكان يأتي إليها أحياناً مع أصحابه، ثم يسترسل الهلالي في ذكر مبادئ مدرسة ديوبند التي ينتمي إليها مؤسس التبليغيين، ويظهر من الكتاب معرفة الهلالي الجيدة المحيطة والعميقة بهذه الجماعة، ولا سيّما أنه عاش في الهند(٢)، وأكثر التجوال في البلاد، واتسعت دائرة لقائه بالعلماء والمطلعين؛ ولذا أحال على كتابه هذا جمع من خصوا جماعة (التبليغ) بالدراسة والتمحيص، مثل: على الغماري في «مناقشة خروج التبليغيين وبيان بطلانه» (ص٢٦)، وعصام مرعي في «القول البليغ في نصح جماعة التبليغ» (ص٨١، ٢٦) ونقل منه، وسيد طالب الرحمٰن في «تلخيص جماعة التبليغ في

⁽١) عن مطبعة النجاح، الدار البيضاء، سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، في (٩٣) صفحة.

⁽٢) انظر كلام الهلالي في: «السراج المنير» (ص٨٨ ـ ٨٩) عن أخطاء هذه الجماعة في الهند، وما سيأتي في كتابنا (٣/ ٢٣٣ وما بعد).



شبه القارة الهندية» (ص٢٧٣)، ونقل منه في كتابه الأصل (ص٤٥٠ ـ ٤٥٠) تحت (الرد على جماعة التبليغ: شهادة الشيخ تقي الدين الهلالي)، ومحمد محمد شرقاوي في أول بحثه «الصفات الستة عند جماعة التبليغ» ص(٩).

وكان لهذا الكتاب أثره الإيجابي القوي في تعريف طلبة العلم بهذه الجماعة من جهة، وأثره السلبي على رجالات هذه الدعوة، حتى وجدت صهيباً الزمزمي يقول في كتابه «جماعة التبليغ - أو أصحاب الدعوة الباكستانية - خطر على المسلمين» (ص٣٧):

«وقديماً بلغنا عنهم (أي: التبليغيين) أنهم يقولون عن الدكتور الهلالي أنه مسيحي! والسبب هو هو، فالدكتور الهلالي قد عاش مدة بالباكستان وعرف عنهم الكثير، فهو لذلك لا يسميهم إلا (الإلياسيين) نسبة إلى شيخهم، ويقول: إنهم أصحاب طريقة عصرية».

قال أبو عبيدة: وهذه كلمة الفصل فيهم، وهي تتطابق مع مقولة شيخنا العلّامة المحدث الألباني^(۱) ـ رحمة الله عليه ـ عنهم: (صوفية متنقلة: خرجوا من الصوامع إلى الشوارع).

أما أعداء الإسلام العاملون جهاراً نهاراً لمحاربته، فقد جعلهم الهلالي أصنافاً وأقساماً، قال في كتابنا «سبيل الرشاد» (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢):

«الذين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم في هذا الزمان، أصناف:

أولهم: المرتدون الذين كفروا بالله تقليداً لدعاية كاذبة خاطئة وهذه الدعاية شائعة في البلدان التي كان أهلها متمسكين بالإسلام في الأزمنة الغابرة في آسية وأفريقية، وحاصلها أن الإسلام إن كان صالحاً في الزمن الماضي لترقية الشعوب وأخذ نصيبها من القوة المادية وتحصيل المعيشة السعيدة، والسيادة الكاملة، فإنه في هذا الزمان لا يتفق مع الأخذ بأسباب الحضارة والرقي، فكل أمة تمسكت به تبقى متأخرة تسير إلى الوراء(٢)، ولا تكاد تدرك شيئاً من الحضارة العصرية، فإذا

⁽۱) أشاع بعض التبليغيين عنه كَلْلُهُ توبته من تخطئتهم قُبَيْلَ وفاته، وهذا _ والله _ كذب، فقد سجل أخونا أبو أشرف محمد الجيزاوي كَلْلله مع ضيف جاءه من فلسطين متأثراً بهم شريطاً بصوت شيخنا الألباني فيه تفصيل أخطائهم، وكان ذلك قبيل وفاة الشيخ الألباني بأيام معدودات.

⁽٢) ردّ الهلالي في كتابنا «السبيل» (٢/ ٢٨٦) على هذه الفرية، ومثّل عليها بالدولة السعودية =



قيل لهم: وما دليلكم على هذا؟ يزعمون أن الأوروبيين تركوا دينهم وتقدموا، فلا يمكن أن نتقدم إلا إذا سلكنا سبيلهم، فنقول لهم: أولاً: نحن لا نسلم أبداً أن الأوروبيين تركوا دينهم، فإنهم لا يزالون متمسكين به، ولا نكلفكم أن تذهبوا إلى بلادهم لتعلموا أنكم كاذبون، بل نرشدكم إلى أدلة في بلادكم، فعدوا الإرساليات والكنائس التي في بلادكم للطوائف المختلفة من النصارى تجدوها كثيرة، فيها رجال ونساء قد تغربوا عن أوطانهم وتحملوا الشدائد والأخطار في سبيل نشر دينهم، وقد سمعتم عدد من قتل منهم في كونكو، ولا حاجة بكم إلى أن تبحثوا عن جهودهم في البلاد الأخرى، فحسبكم ما يصنعون في بلادكم، وما أسسوا من عن جهودهم في البلاد الأخرى، فحسبكم ما يصنعون في بلادكم، وما أسسوا من الوسائل الطبية والتعليمية، ولكنكم تكذبون وتغالطون وتقلدون، ثم انظروا إلى الحرب القائمة في إيرلندا بين الكاثوليكيين والبروتستانتيين منذ سنين ولا سبب لها الا الاختلاف في الدين.

على أن دينهم وإن كان لا يصلح للحضارة فإن ديننا ليس كدينهم، والعالم كله يشهد بعظمة الحضارة التي أسسها المسلمون في العصور التي كان الإسلام فيها قوياً عزيزاً، وحسبكم أن الإسلام في أواخر زمانه تصارع مع الصليب في الحروب الصليبية مدة مائة وتسعين سنة، فانهزم الصليبيون أمامه مع كثرة عَددهم وعُددهم، وسيقول المقلدون لأعداء الإسلام: هذا بكاء على الأطلال، أرونا ما

وأنها من أغنى الدول مع عدم تعاملها _ في زمانه _ بالربا، فاسمع إليه وهو يقول: "من اتبع هواه في عبادة غير الله، أو تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، أو رد شيئاً مما جاء به رسول الله كالذين يقولون في هذا الزمان بتطور أصول الدين، والاجتهاد مع وجود النص والإجماع، كرفض الصيام في رمضان، بدعوى أنه لا يوافق العصر الحاضر، وتحليل الربا بدعوى أنه ضروري في هذا العصر إذا تركته دولة، قلّت أموالها، وضعف اقتصادها، وضاع حقها في المعاملات الدولية، فإنها لا بدّ أن تعطي وتأخذ، فإذا أخذت فلا مناص من دفع الربا، وإذا أعطت بلا ربا تكون هي الخاسرة، فنقول: إن هناك طريقاً آخر وهي أن تكون مستقلة غنية قوية لا تأخذ الربا ولا تعطيه، وحينئذ لا بد أن تخضع لها الدول الأجنبية وتقبل شرطها، ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَمُ مُ ٱلفَيْبُونَ ﴿ والحاصل من اتبع هواه في بالدولة السعودية فإنها لا تتعامل بالربا وهي أغنى الدول، والحاصل من اتبع هواه في الشرك بالله أو تغيير حكم شرعي أو رد ما جاء به الرسول عترف أنه مذنب ويؤمل التوبة جماعة، أما من اتبع هواه في ارتكاب المحرمات، وهو يعترف أنه مذنب ويؤمل التوبة فهذا فاسق لا يخرج من الإسلام، ولا يخلد في النار بسبب التوحيد والإيمان والمحافظة فهذا فاسق لا يخرج من الإسلام، ولا يخلد في النار بسبب التوحيد والإيمان والمحافظة على الصلاة في أوقاتها التي معه».اه.



صنع الإسلام في هذا الزمان، أقول لهم كما قلت من قبل: أوجدوا لي إسلاماً، أعطكم كل ما تريدون من قوة وعظمة وتقدم في جميع الميادين، فهل تريدون من المسلمين أن يقوموا من قبورهم ليدافعوا عنكم ويبنوا لكم حضارة جديدة؟، وقد جربتم الكفر التقليدي مئات السنين، فجربوا الإسلام سنة واحدة إن كنتم صادقين.

وثانيهم: المدَّعون للإسلام بألسنتهم مع عدم تطبيقه لا عقيدة ولا عبادة ولا حكماً فهؤلاء يدعون الإسلام بأقوال مجردة.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء وثالثهم: الأعداء الخارجيون وهم المتعصبون من النصارى في أوروبا وأمريكا، والمتعصبون من الوثنية، ونحن

نسمع المذابح التي تجري على المسلمين في أنحاء الهند وفي الفلبين وفي أربتريا (١).

رابعهم: علماء السوء، الذين باعوا دينهم بدين غيرهم، وكتموا الحق وغشوا شعوبهم جرياً وراء الحطام، فضيعوا الدين ولم يدركوا الدنيا، وهيذه الأصناف تبذل جهودها لإطفاء ما بقي من نور الإسلام، وليس الإسلام بملوم؛ لأنه قد أسعد من تمسك به وخلف كنوزاً عظيمة من الآثار والعلم والمعرفة التي لا يجحدها إلا من يجحد الشمس المشرقة في يوم الصحو ومضى حميداً.

تلك آشارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار» ومن عميق تأصيل وفهم الهلالي لسنن الله في شرعه وكونه، ربطه بين العدل والمساواة في الحقوق والواجبات وبين ترقي الأمم وغلبتها، فأصغ إليه وهو يقول في كتابنا هذا (٢/ ٣٥٠):

«كل أمة عمّ فيها العدل والرحمة فنصرت المظلوم وأكرمت اليتيم وأطعمت المسكين وأمنت الضعيف؛ وسع الله رزقها ونصرها على أعدائها، كما قال النبي على: «وإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم» (٢)، وهذه قاعدة لا تتخلّف، وسنة

⁽۱) كان ذلك في زمانه، وأما في زماننا فالمذابح البدنية حصرت في أماكن ودول، وأما الدين وأهله فهم في غربة، والناس ـ إلا من رحم الله ـ صرعى أو قتلى لمعركة الإعلام والتلبيس والتدجيل!

⁽٢) انظر التخريج في تعليقنا عليه.



لا تتبدل في كل زمان ومكان، فانظروا إلى أمم زمننا تروا كل أمة يعم فيها العدل والمساواة في الحقوق والواجبات تروها مرزوقة منصورة عزيزة الجانب، سواء كانت في الشرق أم في الغرب، مع اختلاف عقائدها، فإن الله تعالى إنما يعذب الأمم في الحياة الدنيا وفي الآخرة على قدر ما بلغها من العلم، وأقيم عليها من الحجج، أما السعادة الكبرى التي تكون في العاجل والآجل فهي خاصة بمن آمن بالله ورسله واتبع من أناب».

وأخيراً، لا بدّ من الإشارة ونحن نتكلم عن مادة الكتاب إلى أنه أورد فيه بعض الأمور المستغربة المستملحة، فلما قرر في (٤/ ١٦٢ - ١٦٣) أن في كتاب الله من الأخبار والقصص والأمثال ما يفتح القلوب المقفلة الغلف، والعيون العُمي، والأذان الصم ولكن لا يحصل ذلك إلا لمن طلب الحق بإخلاص وتجرد من هوى نفسه الأمّارة بالسوء، فهذا هو الذي ينفع بالنذر والمقلد المتعصب الذي اتخذ إلهه هواه لا ينتفع بذلك، وقد يسر النطق به فترى التركي والهندي كلاهما يقرآنه بغاية التجويد مع بُعد لغاتهما عن اللغة العربية، ويسر حفظه حتى إنه يوجد في البلدان التي تحبه وتعتني به كثير من الصبيان يحفظونه في سن مبكرة، فمنهم من يحفظه وهو ابن سبع سنين». ثم ذكر قصة غريبة، قال: «يوماً من الأيام كنت أسير ومعي رفيق في شارع من شوارع «لكنو» مدينة مشهورة بالهند، فمررت على أسير ومعي رفيق في شارع من شوارع «لكنو» مدينة مشهورة بالهند، فمررت على

في هذا البيت طفلة لا يتجاوز عمرها خمس سنين تحفظ القرآن كله فمن أراد أن يشاهدها فليدخل، فدخلنا وصعدنا درجاً انتهى بنا إلى غرفة كبيرة وجدنا فيها رجلاً ذا لحية سوداء جالساً على حصير، ورأينا طفلة تلعب بلُعب مختلفة في ناحية من الغرفة فسلمنا عليه فرد علينا السلام ودعانا إلى الجلوس فجلسنا، فقال لنا: أي من القرآن تريدان أن تقرأ لكما منه هذه الطفلة؟ فقلت: أنا، من قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِنها بِسَعِ اللهِ بَعْرِنها وَمُرْسَها أَ فلم ينادها ولم يأمرها بالقراءة، بل بدأ هو يقرأ بعد الاستعاذة مبتدأ بالآية التي طلبت أنا، فتركت يأمرها بالقراءة، بل بدأ هو يقرأ بعد الاستعاذة مبتدأ بالآية التي طلبت أنا، فتركت الطفلة اللعب وأقبلت عليه وجلست أمامه وبدأت تقرأ في الموضع نفسه، فسكت هو وتركها وحدها فاستمرت كالسهم بدون تلكؤ ولا تعتعة حتى قلنا لها: حسبك، وكانت قراءتها فصيحة ومنظرها يدل على أنها إن لم تكن بنت خمس كما هو في الإعلان لا تزيد على سبع، وهذا برهان يفسر لنا هذه الآية، وأنا



أعتقد أن هذه الطفلة لو وجدت من يعلمها معنى القرآن ولغة القرآن والسنة التي تبين معناه لتعلّمت ذلك في أقرب وقت. فيا أسفاً على هؤلاء الذين وهبهم الله القرآن يقرأ عندهم صباح مساء وهم في ظلماتهم يتخبطون لا يتدبرونه، ولا يتعظون به، ولا يتأدبون بأدبه، ولا يستضيؤون بنوره، أولئك هم الخاسرون، وأعطينا ذلك الرجل شيئاً من الدراهم، وقد سررنا غاية السرور ولم ينقض عجبنا مما رأينا وسمعنا».

وأخيراً، عسى أن أكون قد أوقفت القارئ على معالم مهمة، وأمور عملية عالجها المصنف في كتابه هذا، ولا بد في الختام من التنبيه على أن المصنف عرض (توحيد الأسماء والصفات) في آخر جزئين من الكتاب على وجه دقيق، وبأسلوب سهل، وأكثر من النقولات من الكتب التي قررت عقيدة السلف(۱)، وغلب على نقله التقرير لا الرد والاعتراض، إلا الشبه الحاضرة، التي يرددها أهل البدع، فإنه كَالله نقضها من أسسسها، ودحرها بالمنقول والمعقول، وبيّن أصولها الفاسدة، وأسلوبه في معالجتها قوي، وحجته محررة ظاهرة، لا لبس فيها، ولا خفاء، وختم الكتاب بقصائد سبق الإلماع إليها(۱)، فلا داعي للإعادة والتكرار، والله هو الهادي إلى سواء السبيل، لا ربّ سواه، ولا إله غيره.

⁽۱) مثل كتب الأئمة الأعلام: ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز الحنفي، ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم. وقد سبق أن ذكرنا _ على عجلة _ أهم المصادر التي اعتمدها المصنف.

⁽٢) انظر ما قدمناه (ص٦١).





لم يطبع كتاب «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» _ فيما أعلم _ إلا طبعة واحدة في حياة المؤلف _ رحمة الله عليه _.

وتقع في ثلاثة مجلدات، في كل مجلد جزءان، وطبع على نفقة الأميرة الجليلة الجوهرة بنت سعود بن عبد العزيز آل سعود الكبير، وأشرف على الطبع المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، وتولى الطبع مكتبة المعارف الرباط، في المملكة المغربية.

جاء في أوله (ص 0 - 1) عنوان (تنويه - تقريظ) كتبه الأستاذ محمد بن إبراهيم بن عبد السلام عن الملحق التعليمي السعودي بالمغرب، وأرّخه بـ 1 / 1 الموافق 1 / 1 / 1 / 1 / 1 همية التوحيد، وذكر أن الهلالي عالج فيه بمهارة كل القضايا والجزئيات المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة المعروفة، والتي ارتكز في معالجتها على أمرين:

ا ـ الرجوع إلى المصادر الأولى: القرآن الكريم، وما ثبت عن رسول الله عَلَيْهُ من تبيان لبعض الآيات التي ينطلق منها بحثه، ثم آراء كبار المفسرين من أئمة السلف والخلف.

Y ـ ما عايشه هذا المؤلف الجليل (الهلالي) في حياته المبكرة من ألوان المذاهب والعقائد، وما خبر بحكم تقلّبه في آفاق شتى من الأرض ما لهذه وتلك من حجج ومقومات، قال: «لعلّي لا أبالغ إذا قلت: إن شطراً هاماً من هذا الكتاب قد تمّ إملاؤه بتأثر واضح مما عايشه من انحرافات وأباطيل، ومن دعاوى ومسميات ما أنزل الله بها من سلطان».

وفي آخره شكر لمؤلفه، وبيان جهاده، مع الشكر لمن أوصى بطباعته فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، وكذا لمن تحمّلت على نفقتها الخاصة طباعة هذا المؤلف ألا وهي الأميرة الجليلة الجوهرة بنت سعود بن عبد العزيز آل سعود



الكبير - رحمهم الله جميعاً - وختم المقدم للكتاب تقدمته بقوله: "فللمؤلف الجليل - شفاه الله - ولسماحة والدنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ولسمو الأميرة الوقورة - التي أتجاوز إرادتها - بذكر اسمها الكريم علانية، لهم مني خالص الدعاء بأن يجزيهم الله أفضل ما يجازي به عياده المؤمنين، وأن يبارك لهم فيما قدموه، ويهدينا جميعاً سواء السبيل».

وبعدها فيه (ص١٣ ـ ١٨): (نبذة من ترجمة المؤلف) بقلم عمر بن محمد محسن، إمام وخطيب جامع الملك عبد العزيز آنفاً ـ الدار البيضاء.

وسأعمل على إثبات هاتين الكلمتين بتمامهما عقب مقدمتي هذه، وسأضع عقبهما تعريفاً عاماً بالكتاب بقلم شيخنا بالإجازة العلامة محمد بوخبزة، أخذته من كتابه «معجم التفاسير» (٢/ ٣٠٠- ٣٠٤) والله الموفق للصالحات، والهادي للخيرات.

وأما عملي في الكتاب، فيتلخص في الآتي:

أولاً: قمت بضبط النص، وتصويب الأخطاء المطبعية، وإثبات الآيات برسم المصحف، وجعلت تخريجها بين معقوفتين بعدها.

ثانياً: خرّجت الأحاديث النبوية والآثار السلفية بعزوها لمصادرها من دواوين السنّة، والحكم عليها صحةً وحسناً وضعفاً (١)، وفقاً للمقرر عند أهل الصنعة الحديثية.

ثالثاً: وتّقت النقولات التي عزى إليها المصنّف، وقابلتُ ما فيها على المصادر، وأثبت الفروق بينها في الهوامش، وأفادني ذلك كثيراً في تقويم النص، وتصحيح الخطأ، وإثبات النقص.

⁽۱) لعلّى أنازع المصنف في تحسين أو تجويد بعض الأسانيد، انظر ـ على سبيل المثال ـ: (ص١٧٧)، أو أتعقبه في العزو، فقد يعزو أثراً للبخاري في «صحيحه» وهو ليس فيه، انظر (١٤٨/٢)، أو يذكر تفرداً، والأمر ليس كذلك، انظر (١٤٣/٣)، وقد يعزو حديثاً لاالصحيحين» وهو في أحدهما فقط، وقد يعزو لغيرهما وهو فيهما أو في أحدهما، وهكذا. ومما ينبغي ذكره: إني أظهرت أحكام شيخنا الألباني على الأحاديث، لعلمي بأن المصنف يفرح بذلك، فقد وجدت في رسالة له وجهها للأستاذ أبي بكر زهير الشاويش مؤرخة بـ ٩/ ٣/ ١٣٩١ه جاء فيها: «فأرجو من فضلكم أن تسلموا على أحينا الأستاذ ناصر الدين ـ يريد الألباني ـ وتلتمسوا منه تخريج ما عسى أن أكون تركت تخريجه من الحديث، هذا إذا عزمتم على طبع الكتاب».



ووجدت من خلال ذلك أن خطأ وقع في الرموز التي استخدمها المصنف، فهو _ مثلاً _ في (١٥١/٦) ينقل كلاماً ويرمز له بـ(ج) إشارة إلى «تفسير ابن جرير»، والنقل بحروفه من «فتح القدير» للشوكاني.

ووجدت في (١٤٣/١) يرمز بـ(ك) إشارة إلى «تفسير ابن كثير»، والنقل ليس فيه، وإنما عند الشوكاني في «فتح القدير» أيضاً.

ولا عجب من وقوع الأخطاء المطبعية، أو السقط، أو التحريف، فإن المصنف أملى هذا الكتاب وهو هرم، تجاوز التسعين من عمره، وقد احتوشته الأمراض، وأصيب ببصره، وكان يملي من حفظه، ويشير على تلاميذه بالنقل من بطون الكتب، ولم يراجع المطبوع بنفسه، والذي يعاني صنعة التأليف يقدر التعب والصعوبة التي تلحق بالمصنف في هذه الحالة من جهة، ورجحان احتمال وقوع الخطأ والسقط من جهة أخرى.

رابعاً: جهدت في توثيق الأشعار، وعزوها لقائليها، مع ذكر مصادرها من دواوين وكتب الأدب.

خامساً: جهدتُ في الإحالة على كتب الهلالي الأخرى، ولا سيّما أشعاره ومقالاته.

سادساً: وثّقت المسائل الفقهية، وبيّنتُ المذاهب التي أهملها، عازياً لها إلى كتب المذاهب المعتبرة.

سابعاً: وأخيراً صنعت فهارس علمية وكشافات تحليلية للكتاب، تفيد الباحث والقارئ، ويستطيع أخذ بغيته من الكتاب بسرعة، ويقف من خلالها على كنوزه وجواهره، وفوائده ومباحثه، والله الموفق، لا ربّ سواه.

والله تعالى أسأل، وبأسمائه وصفاته أتوسل أن يبارك في هذا الكتاب، وأن ينفع به قارئه وناشره ومحققه ومؤلفه، وهذا الذي دعانا اليوم للقيام بنشره، رغبة في حصول النفع به بعد ممات صاحبه _ عليه الرحمة والرضوان _ وتسهيلاً على من أراد الحصول عليه ممن يريد الدعوة إلى الله به على بصيرة. والله من وراء القصد.

وأخيراً، جزى الله خيراً كل من كان سبباً في نشر هذا الكتاب، والإعانة على ذلك، ولو بالكلمة الطيبة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

.

•

. . .

•

.

.

.









براييدالرحمن الرحيم

تنویه ـ وتقریظ^(۱)

إن الحمد لله نحمده ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا، ونشهد أنه الله وحده لا شريك له ولا شبيه ولا نظير، متفرد بالسمو والكمال، ومستحق للعبادة والتعظيم والإجلال، ونصلي ونسلم على سيد الأولين والآخرين، والمبعوث رحمة وهداية للعالمين، محمد بن عبد الله والنبي الأمي الذي أزال الله به ظلمات الجاهلية عن العيون السادرة في الغواية، وأبطل بدعوته إلى الوحدانية المطلقة ضلال الأصنام والأوثان، وأقام من رسالته محجَّة بيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

أمَّا بعد:

فلم يكن في هذه الدنيا أمر شغل الخليقة وأثار فيها الجدل، بل مزّق الحياناً - أمرها كل ممزق، وفرق بين القريب والحميم، وبين الأب وبنيه، والأخ وأخيه، مثل قضايا العبادة وفهم الأمم لها سلباً أو إيجاباً. فالشرائع السماوية ودعوات رسل الله من نوح على حتى خاتمهم محمد بن عبد الله تنطلق من منبع واحد لا يتبدل ولا يتغير، دعوة مطلقة لعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، ومع ذلك تقوم في وجه هذه الدعوة الصريحة المنجية دعاوى وضلالات، وأباطيل وخرافات تلبس ألف ملبس وتقعد للناس كل مقعد، حتى تنحرف بالمنخدعين وراءها إلى دروب مهلكة وإلى بعد سحيق عن كنف الله الذي لا يرضى لعباده الكفر، ومن هنا فإن أشرف ما ترقى له الهمم وتعلو به المراتب، ويتقرب به العبد إلى خالقه هو تبصير الناس بأسس التوحيد وركائزه، وبما قد يشوب هذه الركائز والأسس من انحراف قلَّ أو كثر؛ لأن إفراد الله بالعبادة

⁽١) بهذا ابتدأ المجلد الأول من الطبعة السابقة.



خالصة مطلقة، ووضع كل الحدود أمام أي زيغ أو زلل عن هذا الطريق هو بمثابة الأرض الصلبة التي يقف عليها المرء مسلماً آمناً لا عوج فيه ولا اضطراب. والقرآن الكريم من أوله إلى آخره يذكِّر التالي له بين آونة وأخرى بهذا النهج الأبدي السرمدي المرتكز على: أن الله على متفرد في ملكه ومستحق وحده العبادة دون وسيط مهما كانت درجة قربه، ومهما كانت مكانته عند ربه. فالله واحد في تدبيره للكون أرضاً وسماء، واحد في استحقاقه لعبادة الخلق، واحد في أسمائه وصفاته ﴿لَيْسَ كُمِثْلِهِ مُتَى اللهُ وَهُو السّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

أ ـ الرجوع إلى المصادر الأولى: القرآن الكريم، وما ثبت عن رسول الله على من تبيان لبعض الآيات التي ينطلق منها بحثه، ثم آراء كبار المفسرين من أئمة السلف والخلف ومن نحا نحوهم وسار على خطاهم وخاصة في التوقف عن الخوض في أسماء الله وصفاته بغير علم ولا هدي، حيث يثبتونها كما أثبتها الله لنفسه من غير تحريف ولا تأويل، ومن غير تشبيه ولا تعطيل، فهي كمال مطلق لا ندرك كنهها ولا حدود قدرتها _ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ مِن الشورى: ١١].

ب ـ ما عايشه هذا المؤلف الجليل في حياته المبكرة من ألوان المذاهب



والعقائد، وما خبر بحكم تقلبه في آفاق شتى من الأرض ما لهذه وتلك من حجج ومقومات، ولعلي لا أبالغ إذا قلت: إن شطراً هاماً من هذا الكتاب الذي يُعنى بتبع آيات التوحيد المبثوثة في القرآن الكريم التي تعالج هذه القضية الأساسية في التشريع، وفي تصنيف الإنسان كافراً أو مؤمناً أو زائغاً، وبالصراع الطويل القائم بين الرسل ومخالفيهم - على كثرتهم واختلاف بيئاتهم - لعلي لا أبالغ إذا قلت: إن شطراً هاماً من هذا الكتاب قد تم إملاؤه بتأثر واضح مما عايشه من انحرافات وأباطيل، ومن دعاوى ومسميات ما أنزل الله بها من سلطان، وبتأثر كبير من إقامته في المدينة النبوية معقل الرسول ومهاجره، والمثوى الكريم لجسده الطاهر عليه .

إن الفكر المسلم يتجه أول ما يتجه في تلك الأرض الطيبة المفعمة بوحي الله جهاد الرسول العظيم في سبيل دعوة الحق، وإلى ما ناله من أذى قومه وهو يعلنها صريحة قوية واضحة: أن اعبدوا الله وحده ولا تتخذوا من دونه من ولي ولا نصير، لقد نادى هذ أقرب الناس إليه، نادى فلذة كبده فاطمة وهو يحده موقفه من ربه ومنها، ويزيل كل لبس قد يعْلَق بأذهان أمته وعبر مسيرتها في الأرض: «يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت وأنقذي نفسك من النار لأ أغني عنك من الله شيئاً»(۱). أيُّ تحديد أدق من هذا القول النبوي الفصل، وأي كلام أنفذ منه إلى المعنى الذي قصده، فإذا كان هذا حال محمد عليه الصلاة والسلام وهو أعظم الخلق عند الله منزلة، وأرفعهم قدراً، وقائدهم يوم الحشر العظيم، وشفيع من مات من أمته موحداً لله خاضعاً لربوبيته المطلقة، فكيف يسمح العقل لأي إنسان يدَّعي الإيمان والإسلام أن يجعل بين الله وبينه فكيف يسمح العقل لأي إنسان يدَّعي الإيمان والإسلام أن يجعل بين الله وبينه شفيعاً، أو يتخذ من دونه واسطة، أو يلحد في أسمائه وصفاته، أو يصرفها عن ظاهرها أدِّعاء لتنزيه الله وتقديسه.

إن الخالق العظيم وقد أوجد هذا الكون على غير مثال سبق، وأودع فيه الإنسان نفحة من نفحاته ليعمره بالعمل الصالح، وبالعبادة الخالصة، وأنزل له الشرائع، وبعث له الرسل تلو الرسل، يحملون آيات بينات، ووحياً يتلقونه من السماء لإسعاد أممهم وتقويم عوجهم.

إن هذا الخالق الكبير وهو يدعو هذا الإنسان إلى الاحتماء بكنفه والالتجاء

⁽١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣، ٢٧٥١)، ومسلم (٢٠٤) من حديث أبي هريرة.



إليه في سرَّائه وضرَّائه، وفي يسره وعسره، إنما يريد أن يكرمه في هذه الأرض، ويحرره من الخوف، ومن سيطرة وهيمنة أي مخلوق مهما علا شأنه وعظم قدره، فالناس في شرعة الحق سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ الْمَعْرَاتِ: ١٣].

إنني أيها القارئ العزيز لا أقدم كتاب: «سبيل الرشاد» بهذه السطور المتواضعة فالكتاب يقدم نفسه، والمؤلف معروف في ساحة الجهاد العلمي وفي ميدان الدعوة إلى الله كأقوى وأصلب ما يكون الدعاة، لكنها تحية فقط لهذا النوع من الجهاد الدؤوب الذي يأبى بعد سن الخامسة والتسعين إلا أن يكد ويجد، ويكافح وينافح.

من أجل إعلاء كلمة الله والدفاع عن عقيدة التوحيد الذي لا تشوبه شائبة، وهي تحية في نفس الوقت لسماحة العلامة الكبير الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية الذي شرَّف مكتبنا بالسهر على هذا المؤلف على طباعة وتوزيعاً، وهي سنة حميدة من سماحته نشهد أثرها على رقعة ممتدة من الأرض الإسلامية الفسيحة وبينها هذا البلد العزيز علينا للمغرب الأقصى الذي حمل راية الإسلام والجهاد، وأثرى علماؤه المكتبة الإسلامية بنفائس مؤلفاتهم وكنوز معارفهم، وهي تحية تقدير للأميرة الجليلة الجوهرة بنت سعود بن عبد العزيز آل سعود الكبير التي تحملت على نفقتها الخاصة طباعة هذا المؤلف وتوزيعه مجاناً ابتغاء لوجه الله، وتطلعاً إلى مثوبته.

إن نشر العلم النافع، وتيسير تداوله بين الناس من أعظم ما تتوجه إليه الهمم العالية، ويسعى إليه ذوو النفوس الخيِّرة لأن في ذلك إتاحة للنور أن يشرق في القلوب وإنذاراً للجهل أن يرحل، ولصديء ظلمته أن يتحول إلى طريق لاحب، وإلى نهج مضيء. فإذا كان الأمر بهذه الغاية من السمو فكيف بهذا العلم إذا استهدف في الأساس تصحيح عقيدة المسلم مع ربه، وتنقية توجُّهه إليه من أي شبهة أو ابتداع، ومن أي زيغ أو إلحاد أو تحريف، إنه سمُوَّ ما بعده سمو، وغاية تتدانى دونها كل غاية، إنَّه الانسجام التام مع الأسس التي حث عليها ديننا الحنيف، ورغَّب في فضلها، وأشاد بها في أكثر من موضع، وجعلها من الباقيات الصالحات التي تظل للإنسان بعد رحيله من هذه الحياة.



ومن هنا يمكن لنا أن نقيِّم العمل البار الذي بادرت به الأميرة الجليلة (الجوهرة بنت سعود بنت عبد العزيز آل سعود الكبير) ابتغاءاً لوجه الله وطمعاً فيما عنده.

فللمؤلف الجليل ـ شفاه الله، ولسماحة والدنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ولسمو الأميرة الوقورة ـ التي أتجاوز إرادتها بذكر اسمها الكريم علانية، لهم مني خالص الدعاء بأن يجزيهم الله أفضل ما يجازي به عباده المؤمنين وأن يبارك لهم فيما قدموه، ويهدينا جميعاً سواء السبيل.

محمد بن إبراهيم بن عبد السلام الملحق التعليمي السعودي بالمغرب الرباط في ١٤٠٧/١/٧هـ الموافق ١٩٨٦/٩/١١م

قال أبو عبيدة: انتهى ما في الطبعة السابقة، وبعده فيها ترجمة موجزة بقلم تلميذ الهلالي الأستاذ الشيخ عمر بن محمد محسن إمام وخطيب جامع الملك عبد العزيز آنذاك بالدار البيضاء، هذا نص ما فيها، والهوامش والتعليقات بقلمي. والله المستعان لا ربَّ سواه:



••

.







نبذة من ترجمة المؤلف^(١)

(۱) قال أبو عبيدة: لصاحب هذه السطور ترجمة حافلة مبسوطة، فيها تتبع دقيق لمجريات حياته ورحلاته ومؤلفاته ومقالاته، ومن أغنى وأجمع مصادر ترجمته كتب الهلالي ومقالاته ومراسلاته وفتاواه، فهو كثير الاستطراد فيها، وكثير الحديث عن نوادره وأعلام عصره، وظهر ذلك في المقالات على وجه أظهر وأكثر، وقد جمعت منها _ ولله الحمد _ لغاية تدوين هذه السطور نحو تسع مئة مقالة من مجلات وصحف وجرائد عديدة، سيأتي تسمية بعضها.

ومصادر ترجمة الهلالي كثيرة متناثرة، وما زالت منها بقية في ذكريات كبار تلاميذه وأبنائه وذويه ومن كان قريباً منه، وحصلت على شيء من ذلك من خلال مراسلات ولقاءات وظفرت بترجمة له بخطه، كان قد كتبها بطلب من الشيخ سليمان بن عبد الرحمٰن الصنيع، محفوظة في جامعة الملك سعود، أرسلها إليَّ الأخ عبد الإله الشايع حفظه الله في ٤٢٢/٨/٢٤ مترى مصورتها عقب هذه الترجمة، وأجريت معه _ أي: الهلالي _ مقابلات عديدة نشرت في غير صحيفة تفيد كثيراً في ترجمته، وهي _ ولله الحمد _ مجموعة في كتابي «مقالات الهلالي».

وذكر تلميذه محمد بن عودة في مقالة نشرها في جريدة «العلم» المغربية بتأريخ 11/ محرم/ 12 هـ 12 هـ 12 هـ 13 هـ 14 هـ

ومن الدراسات الجذرية عنه: دراسة مخلص السبتي المنشورة عن المجلة المغربيّة لعلم الاجتماع السياسي سنة ١٩٩٣م في (١٦٣) صفحة بعنوان «السلفية الوهابية بالمغرب تقي الدين الهلالي رائداً» وسجل اثنان من الباحثين في الجامعة الإسلامية رسائل ماجستير عن دراسات تخص جانباً من حياته:



i

الأول: أخونا الأستاذ خالد الزهراني وعنوان دراسته: «محمد تقي الدين الهلالي وجهوده في الدعوة إلى الله».

والثاني: أخونا الأستاذ عبد الرحمٰن العميسان، وعنوان دراسته «جهود محمد تقي الدين الهلالي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين».

وما زالتا قيد الإعداد.

وأخبرتني الأستاذة الدكتورة خولة ابنة الشيخ الهلالي أن بنتاً لأخت لها تعد رسالة ماجستير أيضاً، وهاتفتُ أمّها في الجزائر، وأخبرتني أن ابنتها زينب عبد الكبير البكري تعد رسالة عن الشيخ الهلالي وترجمته لسورة يوسف مقارنة مع ترجمة أخرى، وظفرت لأبيها الأستاذ عبد الكبير البكري مقالة جيدة عن الهلالي بعنوان "نجم أفل» نشرت في جريدة «الميثاق» المغربية فاتح ذي القعدة ١٤٠٧هـ، والعدد (٥٣٨) لسنة (٢٤) (ص٥). وهناك أطروحة دكتوراه تعد عن حياة الهلالي وفكره في جامعة جورج تاون بأمريكا، وهي بعنوان "تطور السلفية من خلال حياة وفكر محمد تقي الدين الهلالي» للوزري هنري.

وأما الكتب التي ترجمت له، فهي «تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان» للعلامة ابن باز ـ قيد الإعداد بتحقيق الأخ الباحث النابه محمد زياد التكلة ـ «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» (ص١٢٣، ١٢٤)، «إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ ـ ١٣٤٢هـ لعبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي. وفيه (٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨) وفي مواطن متفرقة منه ومضات تخصُّ الهلالي، انظرها في (٣/١٤٦، ٢٧٧، ٣٢٦، ٣٢٦)، «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/٣٨٦ ـ ٢١٧)، «من أعلَّام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (ص٤٨٥ ـ ٤٩٦)، وكان قد نشر ما يخص الهلالي في مجلة «المجتمع» عدد (١٢٩٨) _، «ذيل الأعلام» (١/ ١٧٠، ١٧١)، «إتمام الأعلام» (ص٣٤٦)، «الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال» (٢/ ٦٦٢ -77V)، «من أعلامنا» فيه ترجمة في (٤٢) صفحة، «أعلام وعلماء عايشتهم» لإسماعيل بن سعد العتيق، «لمحات من الماضي» (ص٣٣٢ _ ٣٣٤) لعبد الله الخياط، وفي كتاب «المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد الأنصاري كَالله وسيرته وأقواله ورحلاته (۲/۲) ، ۸۹۸ ، ۲۰۶ ، ۲۰۲ ، ۲۱۲ ، ۲۱۸ ، ۲۲۸ ، ۹۳۳ ، ۲۰۵) إضاءات مهمة عن حياته، وهنالك ومضات وإفاضات وإضافات في ترجمته في كتب أخرى، مثل: «ذكريات الطنطاوي» (٤٦/٤) «جولات في الفكر الإسلامي»، «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث» (ص٨٥، ٨٦، ٩٥، ٩٦) كلاهما لصديقه العلامة عبد الله كنون كَلْلَهُ، «حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره» (ص٧٢)، «فتح الجليل في ترجمة وثبت شيخ الحنابلة عبد العزيز بن عبد العزيز العقيل» (ص٥٩، ١٧٤، ٣٦٤، ٣٦٦)، «معجم المعاجم والمشيخات» (١/ ٨٧، ٩٨ و٣/ ١٥٧)، «في مسيرة الحياة» (٩١، ٩٧ .. ١٠٠، ۱۱٦، ۱۱۸، ۳۷٦)، «مذكرات سائح في الشرق العربي» (٧٣، ٧٤، ١٦٥، ٣٣٣، =

7٤٤)، «رحلات العلامة أبي الحسن الندوي» (ص٤٠٣، ٤١٠) و«أسبوعان في المغرب الأقصى» (٦٣، ٧٧، ٧٧)، «شخصيات وكتب أثَّرت في حياتي» (ص٤٦، ١٥٠) كلها لأبي الحسن الندوي، «جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة» (١٨٠) «معجم الشعراء» (٣٥/٣)، «القول الوجيز» (٨٠)، «أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب» (ص٣٦، ٧٠) «الأستاذ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر من كتاباته» (ص٣٧، ٦٧٤)، «السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة» (١١٩، ٣٤٥، ٣٩٥)، «عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب» (٣٧، ٣٤٥)، «جماعة أنصار السنة المحمدية» (ص٢٩٤، ٢٩٤).

وللهلالي مدح وثناء وذكر لأهم الأحداث التي وقعت في حياته في عدد من «المجلات»، وأكثرها احتفاءً وعناية به: «الفتح» المصرية، و«دعوة الحق» المغربية، وله ذكر في «الصراط السوي» الجزائرية، و«الهدي النبوي» المصرية، و«البصائر» الجزائرية، و«الجامعة السلفية» و«الرائد» الهنديتان، و«التمدن الإسلامي» الدمشقية، ومجلّتيه: «الضياء» الهندية، و«لسان الدين» التطوانية، وله أيضاً ذكر في «الإخوة الإسلامية» و«الشجل» العراقيات.

وترجم له في مجلة «التربية الإسلامية» العراقية العدد الثاني، صفر ١٤٠٩هـ (ص٥٧، ٥٨)، ومجلة «المنهل» (٩٩١) و«الفرقان» المغربية العدد (١٠) سنة ١٩٨٧م، و«الاستجابة» السودانية العدد (٩) السنة (٣) رمضان ١٤٠٨هـ (ص٤٦ _ ٤٣) وجريدة «الجزيرة» السعودية عدد (١٠١٢٣)، و«البحوث الإسلامية» السعودية، العدد (٨) ذو العقدة، ذو الحجة ١٤٠٣هـ (ص٢٠٦) (مختصرة) وفي مجلة «البيان» البريطانية، العدد (١٧٤) صفر سنة ١٤٢٣هـ (ص٣٨) وفي أول «ترجمة لتفسير معاني القرآن» الطبعة (١٢) سنة ١٩٩٥م (ص١٦) ترجمة موجزة له باللغة الإنجليزية. وأخبرني تلميذ الهلالي فضيلة الشيخ عبد الحميد الرحماني الهندي أنه نشر مقالة بالأردية في ترجمته في مجلة «التوعية الإسلامية» الهندية، ثم وجدت ترجمة جيدة للهلالي بقلمه نشرها في مجلة «صوت الجامعة» السنة الثالثة، العدد الأول شعبان ١٣٩٢هـ، أكتوبر ١٩٧١م (ص١٦ ـ ١٨)، ونشر سعيد الأعظمي الندوي مقالين في مجلة «البعث الإسلامي» المجلد (٣٢) العدد (٥، ٦) ١٤٠٨ هـ بعنوان (عالم فقدناه العلامة الدكتور محمد تقى الدين الهلالي المراكشي)، ووجدت أيضاً في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، المجلد الأول، العدد الثاني، شَعبان ١٤٠٨هـ، (صُ٥٥ ـ ٥٤)، مقالة دون توقيع بعنوان (خاتمة شاهد قرن، كيف ودعت المغرب العالم المجاهد محمد تقى الدين الهلالي؟) ونشرت في مجلة «المجتمع» الكويتية العدد (١٢٩٨) سنة ١٤١٩هـ مقالة بعنوان «الشيخ العلامة محمد تقى الدين الهلالي " بقلم المستشار عبد الله العقيل، ونشر في مجلة "الفرقان"، المغربية، العدد العاشر سنة ١٩٨٧ (ص٤ _ ٧) ترجمة بعنوان «العالم الجليل الدكتور الهلالي في ذمة الله»، واعتمدت المجلة على ترجمة محسن المثبتة هنا، ونشرت جريدة «العلم» =



ئسىە:

هو محمد تقي الدين (۱) بن عبد القادر الهلالي، نسبة إلى هلال الجد الحادي عشر، ابن محمد المعروف به: بابا ابن عبد القادر بن الطيب بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد النور بن عبد القادر بن هلال بن محمد بن هلال بن ادريس بن غالب بن محمد المكي بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن عبد القوي بن عبد الرحمٰن بن إدريس بن إسماعيل (۱) بن القاسم بن علي بن عبد الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فهو كما ترى ينتهي نسبه فيه الى الحسين بن علي ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين، وأقر هذا النسب السلطان الحسن الأول حين قدم سجلماسة سنة ١٣١١ه(٣).

نشأته:

ولد أطال الله بقاءه سنة ١٣١١ه بالفيضة القديمة وتسمى «الفرخ» على بضعة أميال من الريصاني، والأصل قرية أولاد عبد القادر في «الغرفة» من أرض سجلماسة المعروفة بتافيلالت من المملكة المغربية.

المغربية، بتأريخ ١٤ محرم ١٤٠٨ - ٩/٩/٩/٩ (ص٨) السنة (٤١) العدد (١٣٥٥٣) مقالة بعنوان (في رفقة الدكتور تقي الدين الهلالي) لتلميذه محمد بن عودة، ونشرت مجلة «السبيل» المغربية، العدد الثالث، بتأريخ ٢٩ شعبان ١٤٢٦هـ - الموافق ٤ أكتوبر ٢٠٠٥م (ص٢٣) مقالة موجزة في ترجمته، وهنالك أخبار عنه في صدور وعقول تلاميذه وعارفيه، وسمعت من غير واحد أشياء كثيرة ومهمة ومفيدة.

⁽۱) قال الهلالي: إن والدي رأى في المنام قائلاً يقول له: سيولد لك غلام، فسمّه (محمد التقي) فكان ذلك، ولكن أهل الهند سموني (تقي الدين) فاشتهر اسمي ب(محمد تقي الدين) من «علماء ومفكرون عرفتهم» (۱۹۳/۱)، وفي «السلفية الوهابية» (۲۷): «ومرة سأله بعض شيوخه عن اسمه؟ فقال له: محمد التقي، فقال الشيخ: لا تقوى بدون دين، فأنت محمد تقى الدين» (أبو عبيدة).

⁽٢) الصحيح أن يقال: إدريس بن موسى بن إسماعيل (أبو عبيدة).

⁽٣) وليس له لقب، وكنيته أبو شكيب على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان كَفُّلله.



دراسته:

قرأ القرآن على جده ووالده فحفظه وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكان والده ينوي أن يبعثه إلى مقرئ ذلك العصر، الشيخ أحمد بن صالح ليقرأ عليه ختمة التجويد، كما كان عازماً على السفر به إلى القرويين بفاس لطلب العلم هناك، فعاجلته المنية وهو في نحو الثالثة عشرة من عمره فقامت بذلك أمه، فقرأ على الشيخ المذكور القرآن من أوله إلى آخره بالتجويد، ثم بقي فترة بدون تعليم. ولما بلغ سن الرشد سافر إلى زاوية آيت إسحاق بقبيلة آيت أخلف، وبقى هناك سنتين، ثم عاد إلى تافيلالت، ثم سافر إلى الجزائر وأقام بقبيلة أحميان، ولم يكن يخطر له التعلم ببال إلى أن رأى النبي على الله المنام، وقال له: اقرأ العلم، فصار عنده عزم شديد على طلب العلم، فتوجه إلى الرجل الصالح الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي، فقص عليه رؤياه، فأعطاه نسخة من «مختصر الشيخ خليل» وقال له ابدأ في حفظ هذا الكتاب، وكلما اجتمعنا شرحت لك بعضه، فاستمر يحفظ، وبعد مدة ذهب إليه وأقام عنده يتعلم الفقه والنحو حتى فتح الله عليه في علم النحو وصار الشيخ ينيبه عنه في غيابه، وإلى أن مات الشيخ الشنقيطي سنة ١٣٣٨هـ، ثم توجه إلى مدينة وجدة فبقي مدة عند العالم الأديب السيد أحمد السكيرج يعلم ابنه الأستاذ عبد الكريم وابن أخيه عبد السلام ثم توجه إلى فاس وحضر في القرويين دروس بعض الأستاذة، وعلى رأسهم العالم المحقق المصلح السيد الفاطمي الشرادي _ رحمة الله عليه _ ومن أجل من لقي من علماء فاس وأكثرهم تأثيراً في أحواله واتجاهه في طلب علم الكتاب والسنة، العالم المحقق الشيخ محمد بن العربي العلوي _ رحمة الله عليه _ وجرت بينه وبينه مناظرة (٢)، فحصل على إجازة من جامع القرويين عادلتها جامعة «بون» الألمانية بالشهادة الثانوية «الباكلورية».

⁽١) انظر: كتاب «الدعوة إلى الله» للمؤلف. (منه).

⁽۲) انظر: كتاب «الهدية الهادية» للمؤلف (منه). قال أبو عبيدة: وذكر الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص۷۷، ۷۷) أنه نشر في صحيفة «الحرية» ثلاث مقالات تحت هذه الترجمة (كيف خرجت من الطريقة التيجانية) قال: «وذكرت فيها قصة خروجي وتوبتي من هذه الطريقة وأقمت البراهين على بطلانها». قال أبو عبيدة: وذكرتُ فيما مضى (ص۳۰ وما بعدها) خلاصة قصة رجوعه إلى التوحيد والسنة، ومناقشته مع شيخه محمد بن العربي العلوي، التي على إثرها ترك الطريقة التيجانية واتبع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة (أبو عبيدة).



وفي آخر سنة ١٣٤٠هـ سافر إلى القاهرة وحضر دروس القسم العالي بالأزهر، وخلال ذلك اجتمع بعدد كبير من العلماء الأجلاء، وعلى رأسهم الإمام المصلح، السلفي الطائر الصيت الأستاذ رشيد رضا صاحب «المنار»(١).

وكانت له رغبة في طلب الحديث، فعزم على السفر إلى الهند^(۲) لعلمه أنه لا تزال بقية من علماء الحديث في الهند، فسافر لأداء فريضة الحج ومنها إلى الهند، فمكث هناك يدرس الحديث ويدرس الأدب العربي إلى أن أخذ العلم والإجازة عن شيخه العلامة الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري صاحب كتاب: «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» وله في هذا الكتاب قصيدة أثبتها المؤلف في آخر «المجلد الرابع» (۳).

وأجازه كذلك الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني نزيل «بهوبال» ثم رحل من الهند سنة ١٣٤٣هـ إلى العراق وأثناء إقامته بمدينة البصرة التقى بالعالم السلفي الأديب، المحدث المحقق الشيخ محمد بن أمين الشنقيطي (٤) فزوجه ابنته وانتفع كثيراً بمجالسته ومذاكرته، وبعد ثلاث سنوات توجه إلى المملكة العربية السعودية فأقام بها في ضيافة الملك عبد العزيز ثم عين مراقباً للمدرسين [في المسجد النبوي] مدة سنتين، ثم مدرساً في المسجد الحرام والمعهد السعودي لمدة سنة، وبعدها سافر مرة أخرى إلى الهند، فعين رئيساً لأساتذة الأدب العربي في كلية ندوة العلماء «بلكنو» مدة ثلاث سنوات تعلم

⁽۱) نشر الهلالي في «المنار» مجموعة مقالات منها «مناظرة في مسألة القبور والمشاهد» نشر على (۷) حلقات و«مأساة أميرة شرقية» على حلقتين (ولم يتم)، ونقل السيد رشيد بعض مقالات نشرها الهلالي في «الفتح» وكان رضا في نزاعه مع شكيب أرسلان يحكمان الهلالي في المسائل اللغوية. (أبو عبيدة).

⁽٢) لما رأى «عون المعبود» علم أن بقية من المحدثين في الهند، فرحل إليهم، والتقى بالعلامة المباركفوري وأجازه واستفاد منه.

⁽٣) وله أيضاً قصيدة في أوله، ولكنه لم يسمه واكتفى بقوله: "بعض الأعلام"، وانظر: عنها مقالة أخينا البحاثة الأستاذ صلاح مقبول في "العلامة أبو العلى عبد الرحمٰن المحدث المباركفوري" المنشورة في مجلة "الجامعة السلفية" المجلد (٩) العدد (١) صفر ١٣٩٧هـ (ص. ٦٠ _ ٦٤). (أبو عبيدة).

⁽٤) ليس هو بصاحب «أضواء البيان»! كما قال بعض مترجمي الهلالي، وللهلالي ترجمة مطولة عنه نشرت في «الفتح» وعنها «المنار»، أودعتُها في كتابي "مقالات الهلالي»، يسر الله نشره. (أبو عبيدة).



خلالها اللغة الإنجليزية (١)، ثم رجع إلى البصرة وبعد ثلاث سنوات سافر إلى «جنيف» ونزل عند الزعيم المجاهد أمير البيان الأمير شكيب أرسلان، وكانت عنده رغبة لإتمام الدراسة الجامعية فكتب الأمير شكيب أرسلان كُلَيْهُ إلى أحد أصدقائه بألمانيا يقول: عندي شاب مغربي أديب ما دخل ألمانيا مثله في العلم، يريد أن يدرس في إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكاناً لتدريس الأدب العربي براتب يستعين به على الدراسة، فجاء الجواب بالقبول وعيِّن محاضراً في جامعة «بون» وفي ظرف سنة تعلم اللغة الألمانية (٢) وحصل على ديبلوم فيها، ثم صار طالباً في الجامعة.

وفي أثناء إقامته بألمانيا ترجم مع الأستاذ «باول كالي» مدير معهد العلوم الشرقية في جامعة «بون» كتابين عربيين: أحدهما كتاب «البلدان» في الجغرافية العالمية للعلامة محمد بن الفقيه البغدادي المتوفى في آخر القرن الثالث الهجري، والثاني كتاب: «طيف الخيال»(٢) للعلامة محمد بن دنيال الكحال الموصلي نزيل مصر.

⁽١) في قصة طريفة جداً ذكرها في كتابه «البراهين الإنجيلية» فانظرها هناك، تولى الله هداك. (أبو عبيدة).

⁽٢) كان الهلالي يتقن العربية، بل كان فحلاً وإماماً لا يبارى فيها، قال عنه العلامة حماد الأنصاري: كان كالأصمعي، وكان الهلالي يجيد الإنكليزية والألمانية والإسبانية والعبرية والبربرية، وأخبرتني ابنته خولة أنه كان ملماً بالفرنسية، ووجدته يذكر في بعض مقالاته أنه يفهم الأفغانية والسريانية، وكان عارفاً بالإمغازية وبلغة بريل، تعلمها لما أضر، وكان عنده بها «شرح العقيدة الطحاوية». (أبو عبيدة).

⁽٣) أشار الأستاذ كركيس عواد في «الذخائر الشرقية» (١/ ٥٢٠) أنه طبع في بغداد سنة ١٩٤٨ بعنوان «ثلاث مسرحيات عربية مثلت في القرون الوسطى»، وزاد صاحب «فهرست المطبوعات العربية» (٢/ ٣٣٠) أنها تقع في (٤٨) صفحة، ونشرت عن مطبعة الاعتماد، ومن الأعمال التي ترجمها الهلالي: «مدنية العرب في الأندلس» لجوزيف ماك كين، ترجمه عن الإنجليزية وطبع لأول مرة في بغداد عن مطبعة العاني سنة ١٥٩ه بعنوان «الهلال والصليب». ثم طبع بالعنوان المذكور في الدار البيضاء، مكتبة المعارف، سنة ١٤٠٥هـ مند ١٥٩هـ من المقالات، منها: «الطبقات عند العرب» ذكرها في كتابه «الخلع» (ص٥٣)، وله ترجمة «كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم» نشر في مجلة «الجامعة السلفية» المجلد (١٠) العدد (٢) صفر ١٣٩٨هـ المتحدة أولادهم» نشر في المغرب على هيئة كتيب، ومن أهم أعماله في الترجمة: ترجمة معاني القرآن الكريم، مع صديقه محمد محسن خان سيأتي ذكرها ضمن المؤلفات برقم عاني القرآن الكريم، مع صديقه محمد محسن خان سيأتي ذكرها ضمن المؤلفات برقم عماني القرآن الكريم، مع صديقه محمد محسن خان سيأتي ذكرها ضمن المؤلفات برقم عماني القرآن الكريم، مع صديقه محمد محسن خان سيأتي ذكرها ضمن المؤلفات برقم عماني القرآن الكريم، مع صديقه محمد محسن خان سيأتي ذكرها ضمن المؤلفات برقم عماني القرآن الكريم، مع صديقه محمد محسن خان سيأتي ذكرها ضمن المؤلفات برقم عماني القرآن الكريم، مع صديقه محمد محسن خان سيأتي ذكرها ضمن المؤلفات برقم



وأثناء إقامته في ألمانيا عين مشرفاً ومرجعاً لغوياً بالقسم العربي من الإذاعة الألمانية، فوجدها فرصة سانحة لفضح جرائم المستعمرين لبلده المغرب من الفرنسيين والإنجليز، فألقى من على منبر تلك الإذاعة خطباً كانت على المستعمرين خطوباً، وكان بسببها أن نفته فرنسا من المغرب نفياً رسمياً مع أنه كان غائباً عنه كما عملت بريطانيا على نزع جنسيته العراقية التي كان تجنس بها سنة ١٩٣٤م.

وفي سنة ١٩٤٠ قدم رسالة دكتوراه، وهي ترجمة مقدمة كتاب «الجماهر في الجواهر» للبيروني مع التعليق عليها^(۱) وهكذا حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٤١م ثم بعد الحرب العالمية الثانية عين أستاذاً بجامعة بغداد وفي سنة ١٩٤٢م سافر إلى تطوان بمساعدة الأستاذ المجاهد عبد الخالق الطُّرَيْس (٢) رئيس حزب الإصلاح الوطني إذ ذاك فبقي إلى أن كاد له الإسبان ونزعوا منه

^{= (}٣٢) ولنا كلمة عنها تنظر في التعليق هناك، وللهلالي أيضاً ترجمة «مختصر صحيح البخاري» بالاشترك مع خان أيضاً، وتكلمتُ عليها بإسهاب في ترجمتي المفردة له. (أبو عبيدة).

⁽۱) ذكر الأستاذ الجراري في كتابه «التأليف ونهضته بالمغرب» (ص١٢٤) أنها طبعت في (لايبزك) في ألمانيا، قلت: نعم، رأيتها بالألماني في (٤١) صفحة، نشرت ضمن (مجموعة البحوث الشرقية) (جزء ۷) عن دار أوتو هاغاسوفيتسي، ليبزج وذكر الهلالي فيما كتب إلى المجذوب في «علماء ومفكرون عرفتهم» (١٩٥، ١٩١): «رغب الناشرون في نشر رسالتي على نفقتهم، ولا يقع ذلك إلا للرسائل المفضلة». وللهلالي في كتابه «الطريق إلى الله» (ص٦٤ ـ ٦٦) كلمة جامعة مهمة عن أطروحته هذه.

ثم ظفرت بكلمة جيدة للألماني (كاله) نشرت في مقدمة كتاب ابن المعمار البغدادي الحنبلي (ص١١٧) فيها مدح لعمل الهلالي في رسالته ومما قال: «وكان عملنا المشترك (يريد نص الفتوة والمروءة) من كتاب «الجماهر في الجواهر» للبيروني، ونشر في مجلة «دير إسلام» الألمانية، الجزء (٢٤)، سنة ١٩٣٧ (ص٥٥ - ٢٦) يهم الهلالي، لأنه حفّزه للبحث في مقدمة كتاب البيروني في «الجواهر» فاشتغل بتحقيقها على النحو الذي ابتدأنا به، وبهذا العمل نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة على يد (ريجارد هرثمن) في برلين سنة ١٩٤١، واسم رسالته «ترجمة مقدمة كتاب «الجماهير في الجواهر» للبيروني مع تعليقات عليها»، وهو عمل علمي جليل من الطراز الأول». انتهى. ونشر الهلالي في جريدة «الحرية» المغربية مقالة عن أستاذه (ريكارد) في السنة السادسة، العدد (٧٩٧) ٢٤ جمادى الثانية. (أبو عبيدة).

⁽۲) انظر ترجمته في: «الأعلام» (۳/ ۲۹۱) (أبو عبيدة).



جوازه بدعوى أنه مزور، وفي سنة ١٩٥٩م عين أستاذاً بجامعة محمد الخامس بالرباط ثم بفرعها بفاس إلى سنة ١٣٦٨ه، حيث سافر مرة أخرى إلى ألمانيا ومنها إلى الأراضي القطبية (١٠).

وفي سنة ١٣٨٨ه توجه إلى الحج وفي منى اجتمع بالعالم الورع الذي يقل نظيره في هذا العصر ألا وهو الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فقال له: إن الجامعة الإسلامية في حاجة إليك، فقال: وأنا مستعد لخدمتها، فكتب الشيخ عبد العزيز وطلبه من وزارة التعليم المغربية، فالتحق أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وبقي بها إلى سنة ١٣٩٤ه، حيث طلب منه إخوانه في المغرب أن يستقر في المغرب للدعوة إلى الله تعالى والمحافظة على العقيدة السلفية، فعرض الأمر على رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فوافق عليه، ورجع إلى المغرب، وسكن مكناس فصار يعطي على الدروس بمساجدها وينتقل بين مساجد مدن وقرى المملكة المغربية فثقل ذلك على المبتدعة وأغصهم بريقهم فوشوا به وطلبوا منعه وتوقيفه، ولو آمنوا بقوله تعلى المبتدعة وأغصهم بريقهم فوشوا به وطلبوا منعه وتوقيفه، ولو آمنوا بقوله تعلى المبتدعة وأغصهم بريقهم فوشوا به وطلبوا منعه وتوقيفه، ولو آمنوا بقوله كي الكيري من الكيري ألكيري ألكيري ألكيري الله إلا أن يُتِم فُورَهُ ولَو الموله على المبتدعة وأغصهم بريقهم فوشوا به وطلبوا منعه وتوقيفه، ولو آمنوا بقوله حكرة الكيري ألكيري الكرون هو المؤلم المؤلم المؤلم المؤلم المؤلم المؤلم على الدين مواقف جليلة في الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك (٢٠٠٠).

فلتراجع أخي القارئ إن أردت الوقوف عليها إلى كتابه القيم «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة».

مؤلفاته:

أما مؤلفاته فهي أكثر من أن تحصى فنذكر منها على سبيل الاختصار:

١ - سبيل الرشاد، الذي بين يديك (الجزء الأول) منه (٣).

⁽١) وصل إلى (النرويج)، وله مقالة منشورة في ذلك بعنوان «الشمس في نصف الليل» وهي في كتابنا «مقالات الهلالي». (أبو عبيدة).

⁽٢) ذكرت ذلك مطولاً في تقديمي لهذا الكتاب، وانظر منه (ص٢٦ وما بعد). والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. (أبو عبيدة).

⁽٣) وقد أتمه وطبع في حياته، وهذه خدمتي له، وذلك بفضل الله ومنَّه. (أبو عبيدة).



- ٢ الإلهام، في تفسير سورة الأنعام (١).
- ٣ الحسام الماحق، لكل مشرك ومنافق (٢).
 - ٤ ـ ديوان شعر^(٣).
 - ٥ الإسلام والمذاهب الاشتراكية (٤).
 - ٦ دواء الشاكين وقامع المشككين (٥).
 - V V من يرافقني من الرباط إلى برلين V
 - Λ رسالة الدكتوراه (۷).
 - ٩ مدنية العرب في الأندلس (ترجمة) (٨).
 - ١٠ _ كتاب الدعوة إلى الله (٩).
- (١) نشر على حلقات في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، وقد طبع حديثاً في بنارس، وهو مودع في «مقالاتنا» الجامعة الحافلة، والحمد لله. (أبو عبيدة).
 - (٢) طبع أكثر من مرة في المغرب ومصر والسعودية. (أبو عبيدة).
- (٣) اسمه «منحة الكبير المتعالي في ديوان محمد تقي الدين الهلالي» حصلته مرقوماً على الآلة الكاتبة، وفرغت من تنضيده مع جمع سائر أشعاره وتوثيقها من كتبه ومقالاته. (أبو عيدة).
- (3) له بهذا العنوان مقالة نشرت في مجلة «الجامعة الإسلامية» العدد (١٠) شوال ١٣٩٠هـ (ص٣ ١٨) وأيضاً في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة الثانية عشر، العددان (٧ و٨) شعبان _ رمضان ١٣٩٧هـ (ص١٥ ٢٢)، وله في مجلة «الفتح» (٥٨١) شوال ١٣٥٦هـ مقال بعنوان «الشيوعية أعظم لعنات العصر»، وله في مجلة «الهدي النبوي» المجلد (١٥) العدد (٧) رجب ١٣٧٠هـ (١٥٤ _ ١٥٧) مقال بعنوان: «داء الشيوعية ودواؤه». (أبو عبيدة).
- (٥) نشر على حلقات عديدة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، ثم طبع على حدة. (أبو عبيدة).
- (٦) نشر على حلقات في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، سنة ١٣٩٩هـ، من العدد (٢ ـ ٥، ٨). (أبو عبيدة).
 - (٧) سبق التعريف بها وأنها طبعت بالألمانية في لايبزك. (أبو عبيدة).
- (A) ترجمه الهلالي من الإنكليزية، وطبع مرتين: في العراق ثم في المغرب عن مكتبة المعارف ـ الدار البيضاء، وفي كل من الطبعتين زيادة على الأخرى. (أبو عبيدة).
- (٩) طبع في المغرب قديماً، وعن دار الفتح في الإمارات العربية المتحدة، ويذكر تلميذ الهلالي العلامة محمد بوخبزة أنه وقع له فيه أخطاء، وضوَّر لي نقداته عليه، جزاه الله خيراً. (أبو عبيدة).

- ١١ _ أحكام الخُلع في الإسلام(١).
 - ۱۲ _ حكم تارك الصلاة (۲).
 - ۱۳ ـ الصراط المستقيم ودليله^(۳).
 - ١٤ ـ الفجر الصادق(٤).
 - ١٥ ـ قبسة من أنوار الوحي (٥).
- ١٦ _ الصبح السافر في حكم صلاة المسافر (٦).
 - ۱۷ ـ تفسير سورة الفتح^(۷).
 - ١٨ ـ فتح الرحمٰن في تفسير أم القرآن (^).
- (١) نشر عن المكتب الإسلامي، بيروت أكثر من مرة، وعن غيره. (أبو عبيدة).
- (٢) طبع في مجموع فيه «الصراط المستقيم في صفة صلاة النبي الكريم»، و«ذيل الصراط المستقيم» بعنوان: مجموعة ثلاثة كتب للهلالي، يقع في (٣٢) صفحة، ونشر طبعة وقفية، وذكر في أوله (ص٣) أنه ألفه لما سأله جماعة من إخوانه الموحدين وانتصر فيه لتكفير تارك الصلاة تكاسلاً. (أبو عبيدة).
- (٣) ألفه في مدة إقامته بتطوان، واستمرت من ربيع ١٩٤٢ إلى صيف ١٩٤٧، وقرظه أحمد الغماري في جريدة «الأخبار» المغربية، وطبع مع الكتاب السابق. (أبو عبيدة).
- (٤) نشر بعنوان «بيان الفجر الصادق وامتيازه عن الفجر الكاذب»، طبع في المغرب في (١٧) صفحة. (أبو عبيدة).
- (٥) طبع عن مكتبة المعارف، الرباط، سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م في (١٤٦) صفحة، وهو عبارة عن أربعة أقسام: واحد في علوم القرآن، والثاني في تفسير سورة الفتح، والثالث نبذة في علوم الحديث، والأخير: نبذة عن الأحاديث مع شرحها شرحاً يعالج مشكلات العصر الحديث. (أبو عبيدة).
- (٦) نشر على أربع حلقات في مجلة «الهدي النبوي» المصرية، المجلد (٢٨، ٢٩) سنة ١٣٨٣ و١٣٨٤هـ، وطبع على حدة أكثر من مرة، في المغرب ومصر، وللشيخ حماد الأنصاري كلمة في نقده، أفاده ابنه صديقنا عبد الأول في «المجموع» الخاص بحياة أبيه (٢/ ٦١٧ ـ ٦١٧). (أبو عبيدة).
 - (٧) انظر: التعليق على رقم (١٥) السابق. (أبو عبيدة).
- (۸) سماه هكذا في «ذيل الصراط المستقيم» (ص٧) وفي «سبيل الرشاد» (٦/ ١٤٩) ـ وأورد قطعة منه ـ وأورد كذلك في كتابه «الحسام الماحق» أكثر من (٤) صفحات من تفسير له بالفاتحة سماه «المنح السانحة في تفسير سورة الفاتحة» ويحتمل أن يكون العنوانان لكتاب واحد، ثم وجدت له مقالاً منشوراً في مجلة «الثقافة الإسلامية» البغدادية السنة الثانية، العدد الرابع، السبت ١٨ جمادى الثاني ١٣٧٦هـ ـ ١٩ كانون الثاني ١٩٥٧م (ص٣، ٤) =



۱۹ ـ الزند الواري شرح واختصار صحيح البخاري^(۱) (ج۱ فقط).

۲۰ ـ من مآثر الرسول ﷺ (۲۰).

۲۱ _ تقويم اللسانين (۳).

٢٢ ـ الفوائد السامية، في تاريخ اللغات السامية (٤).

۲۳ ـ الفتاوى الهلالية^(ه) (ج۱ و۲).

۲٤ ـ الهدية الهادية^(٦).

بعنوان «تفسير سورة الفاتحة» ولا أظنه هذا الكتاب. (أبو عبيدة).

- (۱) ذكره جل من ترجم للهلالي، لم أظفر له بذكر في كتب ومقالات الهلالي التي وقفت على عليها، والعبارة المذكورة تنبئ أن الكتاب تام بخلاف عبارات المترجمين. ثم وقفت على فتاوى الهلالي المسماة بـ«العيون الزلالية» (ق٢١٣) ووجدته يذكره فيه، وسماه «الزند الواري والبدر الساري في اختصار وشرح صحيح البخاري» ونقل عشرة أسطر منه، ووجدته يذكره أيضاً في رسالة وجهها للأستاذ السلفي المربي محمود مهدي الإستانبولي كَلَّلُهُ، وهي مؤرخة بـ٢١/١/١٨٨١ه، ومما قال فيها: «وقد بدأت في «شرح البخاري» شرحاً يستفيد منه الواعظ والطالب، وأنا بنفسي أستفيد منه؛ لأن الشروح الموجودة لا يمكن تدريسها في المساجد؛ لأنها محشوة بأشياء تعظل درس الوعظ، وتشوّش على السامعين». (أبو عبيدة).
- (۲) نشر على حلقات في مجلة «الإرشاد» المغربية، السنة الأولى، الأعداد (۱ ـ ۸) سنة ۱۳۸۷ هـ والسنة الثالثة، الأعداد (۳ ـ ٤) سنة ۱۳۸۸ هـ، والسنة الثالثة، الأعداد (۳ ـ ٤) سنة ۱۳۸۸ هـ و ۱۳۹۰ هـ و ۱۳۹۰ هـ و السنة الخامسة، العدد الأول، سنة ۱۳۹۲ هـ. (أبو عبيدة).
- (٣) نشر على حلقات عديدة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، ثم طبع في المغرب مرتين على حدة، وله في المجلة المذكورة تتمات نشرت فيما بعد، لم تلحق بالكتاب! وهي جميعاً في كتابنا «مقالات الهلالي». (أبو عبيدة).
- (٤) طبع للهلالي كتيب بعنوان «اللغة العربية»، وذكره له بهذا الاسم جمع من مترجميه.. (أبو عبيدة).
- (٥) لم تنشر، وهي في مجلدين، بعضها بخط بعض الكتبة عنده، والآخر مرقوم على الآلة الكاتبة، واسمها «العيون الزلالية في الفتاوى الهلالية»، ونشر قسماً قليلاً منها في بعض المجلات والصحف المغربية. (أبو عبيدة).
- (٦) تتمة اسمه «إلى الطائفة التجانية»، طبع أكثر من مرة، أولها سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، وذكر في مقدمته (ص٥ ـ ٦) أنه ألفه بطلب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كَالله، وذكر في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص٧) أنه العلامة ابن باز أمر بطبع عشرة آلاف نسخة منه، وانظر: «سبيل الرشاد» (٦/ ٢١٩) ولأهميته ذكر في رسالة وجهها الهلالي لأخيه الأستاذ زهير الشاويش حفظه الله، مؤرخة في ١٣٩٢/٨/٤هـ. ثم ظفرتُ برسالة للعلامة =



- ۲۵ _ مختصر هدي الخليل(۱).
 - ٢٦ ـ البراهين الإنجيلية (٢).
- ۲۷ _ مسرحيات طيف الخيال (٣) (ترجمة).
 - ۲۸ _ دليل الحاج (٤).
- $^{(6)}$. حاشية على كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب
 - ۳۰ _ حاشية على كشف الشبهات^(۲).
- ٣١ ـ ترجمة القرآن باللغة الإنجليزية بمشاركة الدكتور محمد محسن(٧).
- عبد الله كنون وجهها للهلالي فيها بيان أخطاء وقعت للهلالي في هذا الكتاب، وأقر بها الهلالي في جوابه له. (أبو عبيدة).
- (۱) تتمة اسمه «في العقائد وعبادة الجليل» طبع أكثر من مرة، الأولى في تطوان، والثانية في بغداد، ثم في الدار البيضاء، ثم لتأليفه قصة، تجدها في كتابه «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص٨٢). (أبو عبيدة).
- (۲) تتمة اسمه «على أن عيسى الله داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية» نشر على حلقتين في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد (۱۷)، العدد (۲، ۳) سنة ۱٤٠٥ه، وقبل ذلك في مجلة «الإحياء» المغربية المجلد (۲)، الجزء الأول، رجب ـ ذو الحجة ١٤٠١هـ (ص٩ ـ ٢٥)، وطبع قبل ذلك عن مطابع دار الثقافة بمكة في الزاهر، عام ١٣٩٣هـ في (٥٥) صفحة. وذكر في رسالة له إلى الشاويش مؤرخة ب٧٧/٣/١٩هـ أن الشيخ ابن باز قرأه واستحسن أن يطبع منه على الآلة الكاتبة (١٥٠) نسخة، وذكر في ديباجته (ص٣، ٤) سبب تأليفه.. (أبو عبيدة).
 - (٣) نشر في بعض المجلات، ثم على حدة. (أبو عبيدة).
- (3) تتمة اسمه "في مناسك الحج" هكذا ذكره مترجموه، وطبع بعنوان "دليل الحاج الحنيف" عن دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، سنة ١٣٦٩هـ، ونشره قبل ذلك في سنة ١٣٤٥هـ، وألفه بطلب من الماجد النبيل والسري الجليل مصطفى بك آل إبراهيم لما عزم على الحج، وأعاد طبعه لما سأله ذلك الأستاذ راشد آل صقير.. (أبو عبيدة).
- (٥)(٦) نشرهما في المغرب، ونسبهما للإمام محمد بن سليمان الدّرعي، وشكك بعض المعاصرين في خبر طبع الكتاب، بل في أصل وجوده! وهذا خطأ، فقد صرح المصنف في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص٤٧، ٤٨، ٢٢) بطبعه: ونشر دعاية وإعلاناً له في مجلته «لسان الدين» السنة الثالثة، الجزء الرابع جمادى الأولى ١٣٦٨هـ (ص٢٧)، ووقفت على الثانى منهما، ولا زلت في طلب الأول، اللهم يسر وأعن. (أبو عبيدة).
- (٧) نشرت مرات، وذكر الهلالي في مقالة له نشرت في مجلة «التوحيد» المصرية، غرة المحرم، سنة ١٣٩٥هـ كانت تحت المحرم، سنة ١٣٩٥هـ كانت تحت الطبع، وأفاد الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمٰن الخطيب في بحثه «ترجمة المصطلحات =



۳۲ ـ الهاديات (قصائد أربع)^(۱).

إلى غير ذلك من الكتب القيمة النافعة (٢) وله أكثر من مائة مقال (٣) نشرتها

- الدينية والشرعية في القرآن الكريم» (ص٢٥) أنها نشرت عام ١٩٧٧م في شيكاغو، وذكر الأخوان زيدان وجاسم ابنا علي جاسم في بحثهما «ترجمة سورة الفاتحة دراسة مقارنة في أشهر ترجمات القرآن الكريم» (ص٧) أن أول مرة ظهرت ترجمة الهلالي وخان في السبعينات (١٩٧٤) باستانبول وقالا عنها (ص١١): «نعتقد على العموم بوضوح الترجمة وأداء المعنى» وقالا: «من أهم الترجمات» ومدحها جمع من الباحثين، وصوبا ما فيها مع المقارنة لغيرها. وانظر كلام الدكتور وجيه محمد عبد الرحمن في رسالته «وقفة مع بعض الترجمات الإنكليزية لمعاني القرآن الكريم» (ص١٧): «ونستطيع الحكم عليها بأنها من أفضل الترجمات إن لم يكن أفضلها، ولا سيما من الناحية العقدية...» وتكاد تتفق كلمة الباحثين على هذا ونظراً لسلامة هذه الترجمة من الأخطاء العلمية، ودقة إصابة الحق فيها لمعاني القرآن الكريم، تبناها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة، وانظر كلمة عن الجهود التي بذلت في هذه الترجمة ونشرها في: «تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته وعناية المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وترجمة معانيه» (ص٠٩ ٢٩).. (أبو عبيدة).
- (۱) طبع في الهند، وعرف به في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص١٣٧)، والقصائد موجودة في «ديوانه» إحداها (الميمية) التي مطلعها:

من فاته المصطفى المختار من مضر

وأدرج فيه أيضاً تخميس قصيدة حميد القرطبي التي أنشدها القسطلاني في «مقدمة شرح البخاري» (١/٥ - ٦)، ومطلعها:

نور الحديث مبين فاذن واقتبس واحد الركاب له نحو الرضى الندس وأودعها شيخه المباركفوري في «مقدمة تحفة الأحوذي» (ص١٠ ـ ١٢ ط الحجرية الهندية)، وهذه القصائد من أوائل شعر الهلالي، قاله المجذوب في «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/٢٠٩).. (أبو عبيدة).

- (۲) وقفت له لغاية تدوين هذه السطور على ما يربو على الستين مؤلّفاً، زيادة على ستة مؤلفات عزم عليها، وعينها ووضع لها عناوين، ولم أظفر لها بأثر، ولم أفز عنها بخبر، ولا قوة إلا بالله، ومما انفرد _ فيما رأيت _ بذكره صاحبا كتاب «إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ _ ١٣٤٢ه» (٩٨٨) قولهما ما نصه: «وله مؤلّف ضخم يردّ به على الدعوة الخمينيّة الحديثة، وهو بحث تاريخي ربطه بتاريخ الدعوات المشبوهة التي ظهرت في الإسلام». (أبو عبيدة).
- (٣) وقفت ـ ولله الحمد ـ على تسعة أضعاف هذا العدد من مقالات للهلالي، ومقدمات وتقريظات ومراسلات ومقابلات ورحلات ولقاءات ومحاورات وترجمات، وهي الآن قيد التنضيد، وانظر ـ ضرورة ـ عن أهميتها: «علماء ومفكرون عرفتهم» (١٠٨/١).. (أبو عبيدة).



مجلات عديدة في أمريكة (١) وأوربة (٢) والهند (٣) وبلاد الإسلام (٤). فجزى الله شيخنا عن الإسلام والمسلمين خيراً... والسلام.

عمر بن محمد محسن إمام وخطيب جامع الملك عبد العزيز ـ آنفاً الدار البيضاء

- (۱) انفرد الأستاذ عمر محسن بهذه الكلمة التي أتعبتني، ولم أستطع للآن الوقوف على تفصيل أو خبر مفيد عنها، نعم ظفرت له بمجموعة مهمة غاية من (المقالات) باللغة الإنكليزية نشرت مع ترجمته المختصرة للقرآن الكريم، وهنالك إشارات إلى وجود ترجمة مطولة للقرآن، نشر في (المجلد الرابع) منها ترجمته لـ«البراهين الإنجيلية» بالإنجليزية وجزمت لي الباحثة الأمريكية لوزري هنري التي تعد أطروحة دكتوراه عن الهلالي بعدم وقوفها على شيء للهلالي في المجلات الأمريكية، والله أعلم. (أبو عبيدة).
- (۲) لا أعلم أنه نشر مقالات إلا في ألمانيا ولا سيما في مجلة «دير إسلام» هكذا سماها في كتابه «الخلع» (ص٥٥) وطلبت من الباحثة الألمانية (أنابيل باتشير) تصوير هذه المقالة، وبحثت في فهارس المجلة المذكورة، ولم تظفر بشيء، وتابعت البحث، وأرسلت لي في ٢٠/شعبان/ ٢٤٦هـ الموافق ٢٤/٩/ ٢٠٠٥م، وظفرت بالمقالة التي أحال عليها الهلالي في كتابه الآنف الذكر، وهي بعنوان (الطبقات عند العرب)، وهي منشورة في مجلة (دلي والت ديس إسلام) بمعنى مجلة (العالم الإسلامي) مجلد (٢٢) سنة ١٩٤٥م (ص١٠١ ما ١٠١٠)، وأرسلتها لي مشكورة، وهي قيد الترجمة الآن. ولعل للهلالي مقالات في «بريد الشرق» التي صدرت في فاتحة عام ١٣٦٩ه عن جامع برلين بألمانيا، انظر: مجلة «لسان الدين» السنة (٤) الجزء (١)، ربيع الأول سنة ١٣٦٩ه (ص٢٠)، وأنا الآن في تطلبها، اللهم يسر.. (أبو عبيدة).
- (٣) أسس فيها مجلة «الضياء» وله فيها ست وعشرون مقالة، ونشر كثيراً في مجلة «الجامعة السلفية» و«البعث» و«الجامعة» و«صوت الأمة» وكلها هنديات. (أبو عبيدة).
- (3) نشر في مجلة "إصلاح» الأفغانية، و«الاعتصام» الباكستانية، و«الوعي الإسلامي» الكويتية، و«البنار» و«الفتح» و«الهدي النبوي» و«التوحيد» و«الشباب» وجريدة «الإخوان المسلمين» المصريات، و«السجل» و«الثغر» و«صدى الشبان المسلمين» و«الهداية» و«الناس» و«الثقافة الإسلامية» و«الإخوة الإيمانية» ومجلة «كلية الآداب والعلوم» العراقيات، و«الإيمان» و«العلم» ومجلة «دار الحديث الحسنية» و«المعيثاق» و«الحرية» و«دعوة الحق» و«لسان الدين» و«الإرشاد» و«السفير» و«المغرب الجديد» و«الوحدة المغربية» و«الريف» و«الإحياء» و«الممجلة الإسلامية» المغربيات، و«التمدن الإسلامي» و«حضارة الإسلام» وجريدة «العَلَم» الدمشقيات ومجلة «الجامعة الإسلامية» لمحمد أمين الحسيني كانت تصدر في فلسطين، و«الجامعة العربية»، و«الصراط السوي» و«البصائر» و«الشهاب» و«صحيفة السنة النبوية» الجزائريات و«صوت الحجاز» و«الجامعة الإسلامية» و«البحوث الإسلامية» السعوديات، وجمعتُ جميع ما وقفت عليه من (المقالات) في هذه (المجلات) وبطون الكتب والمراسلات والتقريظات في تصنيف مفود، هو تحت التنضيد الآن، والله المستعان، لا رب سواه. (أبو عبيدة).



قال أبو عبيدة: لي كتاب أطلت فيه النفس في ترجمة العلامة الهلالي وذكرت فيه نماذج من كلامه وفتاويه، واعتنيتُ بجوانب الإصلاح عنده، وفصّلت أعماله ومهامه في كل بلدة نزل فيها، واستقر، أو رحل إليها وزارها، مع بيان المجريات التي وقعت له وبينتُ فيه أثره في الإصلاح والتغيير، ودوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكرت فيه شذرات في رحلاته وجهوده وجهاده، وفيه إطلالة قوية على منزلته عند علماء وأعلام ومصلحي ودعاة عصره. وهو شامل حافل، أخذناه باستقراء وتتبع لما في كتبه ومقالاته، وهذا المزبور بقلم تلميذ العلامة الهلالي الأستاذ عمر بن محمد محسن فيه _ إن شاء الله _ غنية وكفاية لمن رام أن يعرف منزلة صاحبنا في العلم والدعوة فقد أزاح الأستاذ عمر في الأعلام، وحقق المقام لعَلَم من وكفاية لمن رام أن يعرف منزلة صاحبنا في العلم والدعوة الحق إلى الأنام، في عصر الأعلام، ورحالة حاز قصب السبق في توصيل دعوة الحق إلى الأنام، في عصر استحكمت فيه غربتا الزمان والمكان للإسلام، ولذا فَقَدَهُ الناسُ لما رحل عنهم استحكمت فيه غربتا الزمان والمكان للإسلام، ولذا فَقَدَهُ الناسُ لما رحل عنهم استحكمت فيه غربتا الزمان والمكان للإسلام، ولذا فَقَدَهُ الناسُ لما رحل عنهم استحكمت فيه غربتا الزمان والمكان الإسلام، ولذا فَقَدَهُ الناسُ لما رحل عنهم النه تعالى ـ إلى دار السلام، وأخيراً هذه كلمة عن:

* وفاة الهلالي ورثاء العلماء له:

بعد رحلة في رحاب العلم والدعوة والجهاد، وتنقُّلِ في كثير من البلاد، وحياة مليئة بالمتاعب والشداد، توفي عالمنا الهلالي في منزله بالدار البيضاء مغرب يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر شوال سنة سبع وأربع مئة وألف من الهجرة الموافق ٢٢/يونيه/سنة ١٩٨٧م، عن عمر يقارب السابعة والتسعين عاماً، وصلى عليه في اليوم الموالي عدد كبير، وجم غفير من الموالفين والمخالفين بعد صلاة الظهر في مسجد عين الشق، ثم دفن كَالله بمقبرة قرية الجماعة وسط جموع كبيرة من المسلمين في موكب مؤثر وفي جو من الخشوع والابتهال والدعاء إلى الله أن يتغمده برحمته، ويدخله فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً(۱).

⁽۱) مجلة «الفرقان» المغربية، العدد العاشر سنة ۱۹۸۷م (ص٤)، وعنها مجلة «الاستجابة» السودانية العدد (۹) السنة (۳) رمضان ۱٤٠٨هـ (ص٤٢ ـ ٤٣).



وأقيمت عليه صلاة الغائب في كثير من البلدان، مثل: السعودية، والكويت، والهند، والمغرب(١).

وكتبت كثير من الصحف في التعريف به، ورثاه أصحابه وأحبابه، وهذه نماذج من كلامهم:

* نشرت جريدة «أخبار العالم الإسلامي» في عددها (١٠٥٠) (ص١١) تحت عنوان:

«كيف ودعت المغرب العالم المجاهد محمد تقي الدين الهلالي» ما نصه: «ويصل الخبر في تلك الليلة إلى مدن المغرب وقراه، فيتوافد على منزله بالدار البيضاء من عرفه وتتلمذ عليه وقرأ له وأحبه وقدره.

وبعيون دامعة، وقلوب خاشعة، وألسنة داعية بالرحمة والمغفرة، تقدم الجنازة صباح يوم الدفن جميع تلامذته، ممن علمهم العقيدة الإسلامية الصحيحة.

وتعود الجموع الغفيرة المتشيعة بعد الانتهاء من الدفن بقلوب حزينة، يعزي بعضهم بعضاً، فقد كان المصاب عظيماً، وكان الرزء فادحاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

* ونشرت جريدة «الثورة» وتصدرها جمعية البعث الإسلامي بتطوان في عددها (٢٢٤) ما صورته:

«ما هو نصيب اهتمام إعلامنا برجالاتنا الأعلام؟

... لقد انتقل أخيراً إلى الرفيق الأعلى داعية السلفية ورائد الصحافة الإسلامية في المغرب، وأحد رواد الوطنية _ والوطنية بمعناها الإسلامي الحق _ العلامة المجتهد الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، فما تحرك الإعلام للحديث عنه، وعن دعوته الخيرة وعن جهاده الإسلامي الذي دام ما يزيد على نصف قرن من الزمن، إن الهلالي رحمه الله حي في كل قلب مسلم ولن يغير حجم جهاده الكبير إذاعة خبر عن موته أو كتابة كلمات هزيلة عن دعوته».

 « ونشرت جريدة «الميثاق» المغربية السنة (٢٤) العدد (٥٣٨) بتأريخ فاتح
 ذي القعدة ١٤٠٧ه تحت عنوان (وفاة الدكتور تقى الدين الهلالي) ما نصه:

⁽١) مجلة «الفرقان» المغربية العدد العاشر، سنة ١٩٨٧م (ص٥).



«فجع المغرب والأوساط العلمية والحركات الإسلامية في كل البلاد بوفاة الأستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي؛ الذي وافاه الأجل المحتوم يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧ بالدار البيضاء، عن سن تزيد بضعة أشهر على ستة وتسعين عاماً، قضاها جميعاً في نشر العلم والدعوة إلى الإسلام الصحيح، والعمل بالسنة في الداخل والخارج، لا سيما في السعودية والهند ومصر، ويمتاز الدكتور الهلالي بقوة الحجة وسرعة الإقناع لتضلعه في علم الكتاب، وتوسعه في علم الحديث، مع طلاوة حديثه وفصاحة لسانه، مما استفاده من كبار الشخصيات التي لقيها في رحلته الواسعة في الشرق والغرب، وله عدة كتب في الدعوة والثقافة والأدب تأليفاً وترجمة ونشراً، ومن آخر ما ألفه كتاب «سبيل الرشاد» في عدة مجدات أخرج منها اثنين، وأما لقاءاته الأدبية ومحاضراته العلمية فشيء يطول الحديث عنه والإلمام به:

رحمه الله رحمة واسعة وبوأه مكان صدق عنده جزاء بما قدم لأمته من الأعمال والنصائح الغالية الخالدة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* ونشرت مجلة "صوت الأمة" الهندية، المجلد الأول، العدد الثاني، شعبان ١٤٠٨هـ (ص٤٥ _ ٥٤) تحت عنوان: (من أعلام السلفيين: خاتمة شاهد قرن: كيف ودّعت المغرب العالم المجاهد د. محمد تقي الدين الهلالي، أخذ من المذاهب المختلفة ما يوافق السنة المطهرة غير متعصب لمذهب معين) ما نصه:

﴿ يَمَا يَنْهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَيِّنَةُ ۞ ٱرْجِعِيٓ إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَنْهِيَّةً ۞ ﴿.

توضأ الشيخ الوقور، المؤمن بربه حقاً لصلاة عصر يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر شوال عام ألف وأربع مائة وسبعة من الهجرة، الموافق للثاني والعشرين من شهر يونيو سنة ألف وتسع مائة وسبعة وثمانين للميلاد. توضأ رغم كبر سنه وعجزه الذي ألزمه الفراش حيث عمر قرناً من الزمن، فصلى العصر كعادته متكئاً بمساعدة زوجه وربيبته اللتين اهتمتا بشأنه غاية الاهتمام طيلة عجزه عن القيام، وحدثته نفسه قبل أربعة أيام فقط وهو في عجزه هذا بالغزو والجهاد في سبيل الله، فقال لزوجه وربيبته: إن لم استطع الوقوف فاحملاني واخرجا بي لمواصلة الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله.

قال ذلك وأيام العمر، بل ساعاته تقترب من النهاية، ولم يكن يعلم بها إلا



الباري على، وكأنه بذلك أراد أن يربط حلقات العمر الطويل الأخيرة بحلقاته الأولى، التي كانت كلها جهاداً ودعوة إلى الله، وقبيل غروب الشمس بنصف ساعة تقريباً شعر بارتياح لم يعهده خلال فترة عجزه عن القيام، فطلب من أحد الإخوان الحاضرين بجانبه _ وهو من أقرباء زوجه _ أن يتلو ما تيسر من القرآن، وهو الذي ما انفك منذ أن صار طريح الفراش يستمع إلى تلاوة الشيخ محمود خليل الحصري بالغدو والآصال، لا يتوقف عن سماع القرآن إلا إذا كان في وضوء أو صلاة أو زيارة الإخوان له، ويوم طلب من هذا الأخ الحاضر بجانبه أن يتلو عليه ما تيسر، تلا عليه، وهو يستمع وينصت، وسبابته اليمن إلى السماء، سورة ﴿يسَ شِهُ ثُم طلب منه بعد أن أتمها أن يعيد قراءتها فأعادها عليه، وما أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الّذِي يِيدِهِ مَلَكُونَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلْيَهِ نُرْجَعُونَ ﴿ الله وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الّذِي يِيدِهِ مَلَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلْيَهِ نُرْجَعُونَ ﴿ الله وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الّذِي يِيدِهِ مَلَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلْيَهِ نُرْجَعُونَ ﴿ الله وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الّذِي يَهِ وَمَا مَنْ الله منه وما حتى أسلم نفسه لله، ورجعت إلى ربها راضية مرضية.

هكذا كانت خاتمة هذا الشيخ الجليل؛ بل هكذا كانت خاتمة ووفاة والدي وشيخي الدكتور تقي الدين الهلالي، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

ويصل الخبر في تلك الليلة إلى مدن المغرب وقراه، فيتوافد على منزله بالدار البيضاء من عرفه، وتتلمذ عليه وقرأ له وأحبه وقدره.

وبعيون دامعة، وقلوب خاشعة، وألسنة داعية بالرحمة والمغفرة، تقدم الجنازة صباح يوم الدفن جميع تلامذته ممن علمهم العقيدة الإسلامية الصحيحة.

وتعود الجموع الغفيرة المشيعة بعد الانتهاء من الدفن بقلوب حزينة، يعزى بعضهم بعضاً، فقد كان المصاب عظيماً، وكان الرزء فادحاً، فإن لله وإنا إليه راجعون.

عالم مجتهد ومحدث حافظ:

لقد كان هذا الشيخ الجليل، عالماً مجتهداً، عالماً محدثاً محققاً حافظاً، وفقيهاً حكيماً غير متعصب إلى مذهب من المذاهب الفقهية، بل يأخذ منها جميعها ما وافق السنة، فمذهبه هي السنة؛ سواء رواها أبو حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد بن حنبل، لا يلتفت إلى ما سواها من الآراء المخالفة لها، يدافع عنها بكل جهده، بلسانه وقلبه، وكان ناقداً بصيراً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم، وكان بحق إماماً سلفياً جامعاً بين العلوم



النقلية والعقلية بأنواعها، وإماماً علامة في اللغة والنحو والأدب والقراءات والتجويد، يتقن سبع لغات أو أزيد، العربية، والبربرية، والعبرية، والسريانية، والهندية، والإنجليزية، وخاصة الألمانية التي حصل بها على شهادة الدكتواره في الفلسفة والأدب من جامعة «بون» الألمانية سنة ١٩٤٠م؛ حيث ترجم مقدمة كتاب «الجماهر في الجواهر» للبيروني، مع التعليق عليها وتفنيد آراء الفلاسفة المستشرقين. وكثيراً ما كان ينشدنا هذين البيتين:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوان فبادر إلى حفظ اللغات مسارعاً فكل لسان في الحقيقة إنسان

وكان شاعراً عبقريًا صرف جل شعره في الذود عن عقيدة التوحيد والسنة المطهرة، وهاجم بقوافيه البليغة أهل الشرك وأصحاب البدع، وأرسلها عليهم شهباً محرقة تدمغ باطلهم، وتقصف إفكهم. يقول كَالله في مطلع قصيدة له:

سِلام بكسر السين في قصفة الرعد إلى عابد الأوثان في السهل والنجد تعمهم طراً وتختص مارقاً تصدى بلا علم لهجو أولي المجد

وكان مثالاً فذاً في الصدق والصراحة، وفريداً من نوعه في تطبيق ما يقوله ويدعو إليه.

جهاده في سبيل الدعوة:

كان هدفه طول حياته تصحيح عقيدة الناس، وإبعادهم عن عبادة غير الله، ودعوتهم إلى التوحيد الخالص: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الاتباع، وحذر من الشرك، والتعلق بالأوثان، وطلب المدد والعون والاستغاثة بالقبب المبنية على القبور، ودليله في ذلك الأحاديث المروية عن النبي على، ومنها ما رواه الإمام مالك في الموطأ عن رسول الله على قال: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (١)، وروى مالك أيضاً عن أم المؤمنين عائشة على قالت: قال رسول الله يلي في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (١)، وعن ابن عباس عائل العن رسول الله يلي زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (١).

⁽١) ترى تخريجها في التعليق على هذا الكتاب (١٠٨/١، ٣٩٥، ٤١٨).

رواه أهل السنن. قال أبو عمر ابن عبد البر النمري صاحب كتاب «التمهيد»: «هذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد». أي: يحرم على المسلمين أن يبنوا على القبور، ويتخذوها مكاناً للصلاة، ففي «الصحيح» عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله على كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»(١).

فما أبعد الناس اليوم عن تعاليم دينهم وسنة نبيهم، فقد اتخذوا عند قبور الصالحين، أو قبور لا يعرف أصحابها، مواسم وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، فوقعوا ـ والعياذ بالله ـ فيما حذر منه النبي على ونهى عنه، وشدد في النهي بقوله على فيما رواه إمام دار الهجرة مالك بن أنس: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١) وقد استجاب الله دعاء نبيه على قال الإمام ابن القيم رحمهم الله:

فأجاب ربُّ العالمين دعاءه وأحاطه بشلاثة الجدرانِ حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيانِ

كان الشيخ الفاضل كَلْتَهُ يدعو أيضاً إلى اتباع السنة وينفر من البدعة، وكثيراً ما يذكر في دروسه الأثر المروي عن مالك في كتاب «الاعتصام» للشاطبي: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً عَلَيْ خان الرسالة؛ لأني قرأت قول الله سبحانه: ﴿ٱلْيُوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴿ قال مالك: فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ». وكان رحمه الله تعالى يردد علينا ما كان يردده أيضاً الإمام مالك:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع هكذا كانت حياة شيخنا ومربينا، فلقد طاف بالبلاد _ بلاد الله _ من مشرقها إلى مغربها، داعياً إلى الله صابراً ومحتسباً الأجر والثواب من الله ﷺ. يقول عن نفسه في قصيدة رائعة:

وطفت بلاد الله شرقاً ومغرباً على قدمي طوراً وطوراً على مهر وأنضيت بعراناً وحلقت في السما على جائبات الجو كالنجم إذ يسري

⁽١) انظر تخريجها في (١/٣٩٥، ٤١٢، ٤٢٥).



وطوراً على فلك عظيم كأنه حليف اغتراب في ثواء ورحلة وما غربة الإنسان من شقة النوى إلى الله أشكو غربة الدين والهدى

ثبير يروع الحوت في لجة البحر وإن كنت في أهل كثير ذوي وفر ولكنها في الدين والخلق والبر وطغيان أهل الكفر والفسق والغدر

زياراته ورحلاته العلمية:

نعم طاف بالبلاد داعياً إلى الله بصدق وإخلاص، منافحاً ومجاهداً، مدرساً وأستاذاً مبرزاً، واعظاً ومرشداً، مربياً ورائداً، إماماً وخطيباً، مؤلفاً وناشراً ناقداً ومترجماً، مذيعاً ومصححاً.

عرفته مصر، وعرف فيها رجالاتها المصلحين، ومنهم إمام الدعوة في زمانه الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمة الله عليه ـ، والمفتي الكبير الشيخ محمد أمين الحسيني، والشيخ محمد الرمالي، والشيخ حسن عبد الرحمن، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ حامد الفقي، والشيخ الألمعي عبد العزيز الخولي.

وعرفته الهند أستاذاً يدرس الأدب العربي، ويأخذ فيها الإجازة في رواية الحديث عن شيخه العلامة عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري صاحب كتاب: «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي»، ويجيزة كذلك العلامة الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني، نزيل بهوبال، ونبغ على يديه هناك علماء أجلاء منهم الأستاذ الشيخ أبو الحسن علي الندوي، والأستاذ مسعود الندوي وغيرهما من العلماء والأدباء، فلا غرو أن يذاع صيته بين علماء الهند وأدبائها.

ثم يستوطن العراق، ويتعرف فيها على كثير من علمائها الأجلاء، وخاصة العالم السلفي الأديب والمحدث المحقق الشيخ محمد أمين الشنقيطي (١١)، فزوجه ابنته وكان له منها شكيب وخولة، وانتفع كثيراً بمجالسته ومذاكرته.

وتستضيفه المملكة العربية السعودية سنة ١٣٤٣هـ في عهد قائدها الإمام الهمام ناصر عقيدة التوحيد وناشر لواء الحق والعدل الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته. فيكرم

⁽١) ليس هو صاحب التفسير، وانظر ما قدمناه (ص٩٤).



وفادته ويقربه من مجلسه، خاصة وقد حمل معه تزكية عظيمة من الإمام محمد رشيد رضا إلى الملك عبد العزيز ينوه فيها بعلمه الغزير. فينشد قصيدة وهو جالس إلى جنبه بعد أن أهداه كتابه القيم «القاضي العدل» ويقول:

> يا أيها الملك الذي سعدت به وكسى الإله به بلاد العرب ثو وأشاع نور العلم والإيمان في هذا هو القطب الكبير ديانة

أرجاء مكة والحطيم وزمزم ب أمانه فغدت به تتنعم أرجائها والجهل فيها مظلم وشجاعة وعدالة إذ يحكم قطب السياسة والمكارم والعلا حامي الحقيقة في الوغي لا يحجم يلقى الوفود ووجهه متهلّل رائيه مغتبط به متنعم

عين مدرساً في مسجد الحرام، والمعهد السعودي، ومراقباً للمدرسين. وكانت له صحبة طويلة ومتينة مع خيرة علماء نجد والحجاز، ومنهم العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتى المملكة آنذاك، وقد أخذ عنه هذا الأخير علم العروض، وأخذ عنه عمر بن حسن آل الشيخ إجازة في جميع مروياته، وأخذ عنه كذلك الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله تعالى، وتتلمذ على يديه مجموعة من خيرة العلماء والأدباء ومنهم الأستاذ الأديب الشيخ محمد بن ناصر العبودي، والشيخ عبد الله الخياط إمام الحرم المكي سابقاً. وكان له كذلك صداقة متينة مع جد الدكتور عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، وعرفه شيوخ أجلاء وكانوا يقدرونه أيما تقدير، منهم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل إمام الحرم المكي ونائب رئيس إدارة الحرمين الشريفين، والشيخ محمد صالح التويجري والشيخ سليمان المنيعي بالحرم المكي، والشيخ حماد الأنصارى أستاذ علم الحديث بالجامعة الإسلامية، والشيخ عمر فلاتة، والشيخ أبو بكر جابر الجزائري، والشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا، والشيخ سويلم وكيل مطاوعة جلالة الملك عبد العزيز.

ويعود مرة أخرى إلى المملكة العربية السعودية بعد غيبة طويلة سنة ١٣٨٨هـ، فيلتقى بالعالم الورع الذي يقل نظيره في هذا العصر ألا وهو سماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز _ أطال الله بقاءه وأدام في سماء المعالي ارتقاءه(١) _ الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

⁽١) رحمه الله تعالى، فقد توفى في ١٤٢٠هـ.



والإرشاد، ورئيس الجامعة الإسلامية سابقاً، فيدعوه سماحته إلى التدريس بالجامعة الإسلامية قائلاً: إن الجامعة الإسلامية في حاجة إليك. فيلبي الطلب، وكان يكن لسماحته أعظم التقدير والمحبة، ويثني عليه دائماً وأبداً الثناء الجميل، ويشاء الله أن أكون في أول شهر رمضان من هذه السنة من يحمل سلامه الزكي وتحياته الطيبة شفاهياً إلى سماحة الشيخ عبد العزيز فيسألني عن حاله. وبعد أن أخبرته أنه طريح الفراش في المستشفى دعا له بهذا الدعاء الذي حفظته منه وبلغته إياه قبل وفاته: «اللهم أحسن له الخاتمة، اللهم أحسن له الخاتمة، اللهم أحسن له الخاتمة، اللهم أدسن أن يشمله بعفوه ويتغمده بواسع رحمته، ويكرم ضيافته ويجعله من الذين سبقت لهم منه الحسني.

وعرفته أيضاً في تطوافه بلاد أوربا. وفي جنيف يلتقي بصديقه العزيز الزعيم المجاهد أمير البيان الأمير شكيب أرسلان، فيكون واسطة له في الدخول إلى ألمانيا ليكون أستاذاً للأدب العربي يدرسه باللغة الإنجليزية التي تعلمها سابقاً في الهند، ومرجعاً لغوياً بإذاعة ألمانيا العربية، وطالباً بجامعة «بون» ليحصل فيها بعد أربع سنين من الكد والجد والاجتهاد والعزيمة القوية ليحصل على شهادة الدكتوراه باللغة الألمانية، ووجدها فرصة سانحة أثناء تعيينه مشرفاً ومرجعاً لغوياً بالقسم العربي من الإذاعة الألمانية لفضح جرائم المستعمرين لبلده المغرب الحبيب من الفرنسيين والإسبانيين، فألقى من على منبر تلك الإذاعة خطباً كانت على المستعمرين خطوباً، فنفته فرنسا بسببها نفياً رسمياً مع أنه كان غائباً عن بلده.

ومن قبل عرفته أفغانستان، وعرف فيها شيوخاً كثيرين، ومنهم العالم الأمير المجاهد الشيخ عمر أوزبك.

ثم عرفته أرض المغرب _ موطنه الأول _ عرفته وهو يدافع عنها المستعمر الغاشم بلسانه وقلمه دفاعاً مستميتاً، فكاد له المستعمر كيداً عظيماً، فحفظه الله من كيدهم ومكائدهم، ورغم ذلك لم يثنه كيدهم عن عزمه ومواصلة كفاحه وجهاده، فيعلن للمستعمر في تصريح لم يسبقه أحد إليه ولا نطق به قلبه، ولا يحفظه له إلا المجاهدون الحقيقيون والوطنيون الغيورون والمصلحون المخلصون أمثال: شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، والأستاذ علال الفاسي، والأستاذ عبد الخالق الطريس، والمجاهد عبد الكريم الخطابي، والأستاذ أحمد بلا فريج،



والعالم الأديب الأستاذ عبد الله كنون، والأستاذ محمد الطنجي، وغيرهم من زعماء الإصلاح، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

يصرح في لهجة شديدة، وقلب غير وجل: «إن المغرب للمغاربة، لا حق في الاستيلاء عليه لفرنسا ولا لألمانيا ولا لإسبانيا». والمستعمر لا زال آنذاك يسيطر على المغرب وغيره من البلاد العربية والإفريقية، وكان لتصريحه يومئذٍ أشد الوقع وأنكأه على المستعمرين، وأثلج قلوب المغاربة الأوفياء المخلصين. ويرى من هناك من وراء البحار سنا الحرية يقترب من بلاده ليزيل عنها الظلام، فيبعث إلى صديقه عبد الخالق الطريس بهذه الأبيات من أرض الغربة:

سَنَا الحرية الغَرَّاء لاحًا فصَيَّر حَنْدَسَ الظَّلْمَا صَباحا

سِلَاحُ الْحَقِّ لا يخشى فُلُولا ويلقى من يَصُولَ به النجاحا فيا حزباً غَدَا للخيريسعي لِيُبْدِلَ خُسْرَ أُمَّتِهِ رَبَاحا سَلامُ الله يهديه إليكم دواماً ما غدا غاد وراح أخٌ لكُمُ بِنَارِ البَيْن يُصْلَى عَريباً مَا أَقَام ولا استراح ولم يَنْسَ البلاد وساكنيها ويذكرها العشية والصباحا

ويستقل المغرب، فيعود الدكتور محمد تقى الدين الهلالي إلى بلده بعد غيبة طويلة، تنقل فيها في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وغيره، داعياً إلى الله ومدافعاً عن الإسلام، يعود وقلبه ممتلئ حبًّا وخيراً لأبناء وطنه ولكل مسلم أينما كان، فيفرح فرحاً عظيماً باستقلال المغرب وعودة ملكه إليه مظفراً منصوراً، فيصور ذلك في قصيدة رائعة مطلعها:

> ألا إن الاستعمار هاوٍ وبَائِر أبى الضَّيْمَ في أرض المغارب ضَيْغَم وقال للاستعمار زُلْ عن بلادنا سَأُسْقِيك سمّاً لا بَقَاءَ لك بعده

ومن مَطْلَع الأَقْمار لَاحَتْ بشائر فأقبل من عرينه وهو زائر فإننى عليك اليوم قاض وقابر وشَعْبِي مِنْ خَلْفِي أُسُود حَوَاصِر

ولم يفته آنذاك أن يحث على استكمال وحدة المغرب، بل لم يفته أن يستنهض الهمم لاستقلال المغرب العربي كله:

> ألستم ترون الجيش عند عدوًكم وصَحْرَاؤُنا ما أن تزال أسيرة وجيشُ لَيوثٍ في الجزائر رَابِض

يُرابطُ في أوطاننا وهو كَاثِر فيا نعم مأسور ويا بئس آسر يدافع عن أوطاننا وهو صابر



ويقول أيضاً في نفس القصيدة:

وإن كنت لا تدري حدود بالادنا فمن سنكال في الجنوب حدودها نُناضِلُ عنها الدُّهرَ مَنْ جاءَ غازيا

إلى أرض مصر قد حَوَتْها القَمَاطر وتَحْصُده مِنَّا السيوفُ البَوَاتِر

فدونك فاحفظ ما أنا لك ذاكر

ولم يفته أيضاً أن يبين السر في نجاح الأمة، وبأي شيء تنال العز والنصر

ومَنْ ظَنَّ أن العِزَّ يُدْرَكُ والمُنَى

بكُفر وإلْحَاد فذلك هاذر أوائلنا بالدين والسِّلْم أفلحوا وبالدين والإسلام تعلو الأواخر

المجلة: ومما يذكر في سبيل الرحلات العلمية التي قام بها الفقيد ـ رحمه الله تعالى _ مشاركته في مؤتمر الدعوة والتعليم الذي عقدته الجامعة السلفية بنارس عام ١٤٠٠هـ، وبهذه المناسبة العلمية وجهت الدعوة إلى الفقيد كَفَلْتُهُ؟ فتكرم بالحضور وساهم بكلماته القيمة النافعة في المؤتمر. وقد تم نشر كلماته ومقترحاته بخصوص الدعوة في أحد أعداد مجلة «الجامعة السلفية» الذي صدر خاصًا بهذا المؤتمر ربيع الأخر عام ١٤٠٠ه. انتهي.

* ونشرت صحيفة «المثياق» أيضاً في العدد (٥٣٨) السنة (٢٤) فاتح ذي القعدة ١٤٠٧هـ ـ في السنة التي مات فيها ـ بقلم تلميذه وصهره الشيخ الأستاذ عبد الكبير البكري مقالة مهمة في ترجمته، وهي بعنوان: (نجم أفل)، جاء فيها ما نصه:

عشية يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧، الموافق ٢٢ يونيو ١٩٨٧ انتقل إلى جوار ربه عالم من أكابر علماء العصر، وهو العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الفلالي المغربي، الذي كرس حياته لخدمة العلم والدين والدعوة إلى الله. لقد كان هذا الرجل العصامي مطبوعاً على العظمة بلا تكلف ولا تصنع، يكتسب المعالي سائراً سائحاً غير هياب؛ لأنه وُهِب من الحزم والعزم ما يقتحم به العقبات ويذلل به الصعاب.

ولد هذا الرجل الذي فقده الإسلام في تفلالت، وبالضبط في الريسافي قصر أولاد عبد القادر بن هلال في شهر المحرم عام ١٣١١ هجرية، الموافق ١٨٩٣ ميلادية. مات أبوه بعدما أحفظه القرآن وعلمه التجويد، فخرج من تفلالت



وجعل ينتقل من قبيلة إلى قبيلة في البوادي يعلم الصبيان كتاب الله. ولما أراد الله أن يفتح له أبواب العلم هيأ له أسبابه، فبينما هو يعلم الصبيان عند قبيلة من قبائل الحدود المغربية الجزائرية إذ مر بهم عالم شنقيطي ومعه تلاميذه، ففتح لهم درساً في النحو، ولم يسبق للهلالي أن سمع بهذا العلم ولا حضر دروساً من دروسه، ولما أتم الشيخ الدرس توجه إلى أحد التلاميذ واسمه محمد المختار ليسأله عن هذا الكلام الذي لم يعرفه فقال له: إن هذا شيء بعيد عنك، اذهب إلى صبيانك لتعلمهم، وضحك مستهزءاً به، فكان هذا التهكم والاستهزاء هو الزند الوري كامناً في نفسه من الصفات التي يرتقي بها العظماء إلى أعلى الدرجات. وهنا توجه إلى الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله وسأله، فقال له: هذا العلم يسمى علم النحو، فقال: وهل يمكنني أن أقرأه، وأين؟ فأجاب الشيخ: نعم، وعندي فعاهده على أن لا يفارقه، وذهب معه إلى البلدة التي كان الشيخ مقيماً بها وتسمى المشربة، قرية بالجزائر تبعد عن وجدة بنحوه ١٦٠ كلم، وما بقي معه إلا مدة قليلة حتى انفجر يَنَابِعُ نبوغه وذكائه الوقاد، فبزَّ أقرانه واستطاع بما أتاه الله من المواهب أن يغوص في بحور العلم من نحو وفقه ولغة وتفسير وأدب.

وفي يوم من الأيام فاجأ الناس بقصيدة رائعة مدح بها الشيخ سِكْرَج قاضي وجدة، فكشفت الغطاء عن شخصيته، وهنا قال الشيخ لأحد أصدقائه أن هذا الشاب سوف لا يكتفي بما عندي ولا بما في القرويين وسيشرق ويشتد خبره. وتحققت فراسة الشيخ، ففي سنة ١٣١٢هـ - ١٩٢٢م أخذ الهلالي عصا التسيار، وعزم على التجول في الأقطار، فركب البحر متوجها إلى مصر، ثم منها إلى الهند وباكستان ثم العراق، ولما أراد الخروج من الهند بعد ما قرأ فيها الحديث على الشيخ أبي خليل محمد بن حسين بن محسن اليمني، وبعد ما فتح مدرسة كون فيها أساتذة وكتاباً وأدباء، أقول لما أراد الخروج وجاء إلى الحدود وخاطبه رجال الشرطة الذين هم إنكليز بلغتهم، ورأى أنه لم يستطع فهم كلامهم ولا الرد عليهم عدل عن الخروج ورجع عازماً على ألا يخرج حتى يخاطبهم بلغتهم، فتتلمذ على أحد الرهبان المسيحيين! فدرس اللغة الإنكليزية؛ اعتنى بحفظ مفرداتها ولم يبح لنفسه الخروج حتى ترجم كتاب «مدنية العرب في الأندلس» من الإنكليزية إلى العربية، وبهذه اللغة استعان على الدراسة في ألمانيا التي حصل فيها على الدكتوراه في الفلسفة والأدب.



وقبل الذهاب إلى ألمانيا أقام مدة بالحجاز كان فيها واعظاً مرشداً رسميّاً، ثم بالعراق الذي كان فيه واعظاً ومدرساً في كلية الملكة عالية، وقد جردته فرنسا من الجنسية المغربية _ في زعمها _ ولذلك لم يستطع الدخول إلى المغرب الذي كان تحت النفوذ الفرنسي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لإنقاذه من الحلفاء الذين حكموا عليه بالإعدام؛ هيأ له الوطني الغيور المرحوم الأستاذ عبد الخالق الطريس جواز سفر على أنه شمالي، وبه دخل إلى شمال المغرب عام ٤٦، وأصدر مجلة سماها «لسان الدين»، كانت حقيقة لسان الدين، وكان يكتب فيها جماعة من العلماء البارزين والوطنيين المخلصين، ومنهم العلامة الكبير شيخنا الأستاذ سيدي عبد الله كنون، ثم رجع إلى العراق وبقى مدرساً به في كلية الملكة عالية إلى أن جاء الاستقلال، فدخل إلى المغرب المتحرر وتفرغ للتدريس والتأليف والكتابة ونشر الدعوة، ليتجرد إلى الدعوة والتبليغ والكتابة، إلى أن وافته المنية عن سن يناهز المائة، فلم تزلزله الزلازل، ولم تزعزعه الفتن؛ وإنما كان يثبت ثبوت الجبال الراسخات الشامخات.

وجملة القول: إن هذا الرجل الذي جعل من أيام حياته حبراً، ومن أعماله قلماً، ومن الأرض صحيفة يخط فيها تاريخ حياته ويترك بصماته كلما مر ببلدة من البلاد أو قطر من الأقطار أو قارة من القارات، لا يكفي لترجمته بعض الصفحات. ونكتفي بهذا القدر حتى يهيئ الله وقتاً لتحرير رسالة تصور حقيقة هذا الرجل الفذ الذي استحق بمواقفه وأعماله أن ينخرط في صف الخالدين، فسلام عليه في الأولين وسلام عليه في الآخرين وسلام عليه إلى يوم الدين، وغفر الله لنا وله ولجميع المسلمين.

* ورثاه جمع من تلاميذه، منهم شيخنا العلامة محمد بوخبزة، ومما جاء في مرثيته التي هي بعنوان «أنقذنا بفضل الله» ـ ومن خطه أنقل ــ:

هي الدنيا تسير إلى زوال نعيش بها سُويعاتِ نياماً تقى الدين فخر بىنى هلال قبضي شيخ الدعاة فكل حُرِّ فقد أمضى يجاهد في دروب

وبهجتُها خيالٌ في خيالٍ فتوقظنا المنية بالنبال ألا يا ناعى العِرفانِ أبصر التدري من نعيت من الرجال؟ تُوفّي فانتشى حيزبُ الضلال بآلام الفجيعة ذو اعتلال بياض العُمْر مستاز الخِلالِ



يحبِّر للهدى كتباً ويُملي دروسَ العلم يدعو للنزال فأنقذنا بفضل الله مما ورثاه أيضاً تلميذه محمد بنعبود، فقال:

> ماذا يفيد البكا في النائبات إذا لقد هوى الركن من بنياننا فلنا «دكتورنا» الرجل الصنديد مفخرة لسانه الصارم المقوال عدته إذا قرأت سبيلاً للرشاد فعن هذا الرثاء ولكن لا مبالغة هي الحقيقة لا أعدو الحقيقة في رحماك ربى لروح أنت قابضها

سرى فينا من الدَّاء العُضال

تصدعت بيننا الأركان والعمد من هوله نكبة لم ينسها الأبدُ عزيزة كلما يستذكر العدد يراعه المنتج السيال والمدد ذاك السبيل من الأغواء تبتعدُ ولا غلو بما في القول ينتقدُ قولى، فلا ملق فيها ولا فندُ أنت الرحيم لها الغفاريا أحدُ(')

رحم الله الهلالي وغفر له، وألحقنا به في الصالحين، وبوَّأه درجة الصديقين، آمين، آمين، آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

⁽١) جريدة «الإصلاح» جريدة نصف شهرية مغربية، العدد السابع.





ترجمة العلامة محمد تقي الدين الهلالي بخط يده





في الواه مع تحليفات رددت فيها على الرائقرار القران والمناه والمن الرائع والمناه والمن

ك المحالة المحالة المحالة عالمة عالمة على في المحالة المحالة









تعريف عام بكتاب «سبيل الرشاد»^(١)

کے بقلم شیخنا بالإجازة العلامة محمد بو خبزة (تلمیذ الهلالی)

سبيل الرشاد في هدي خير العباد

[7 أجزاء في ٣ مجلدات، طبع بالمغرب بإشراف المكتب التعليمي السعودي على نفقة الأميرة الجوهرة بنت سعود آل سعود، له ترجمة في الصفحة ٣٤٧ من هذا الجزء]

أفتتح الكتاب بكلمة تنويه وتقريظ للملحق التعليمي السعودي بالمغرب، نوّه فيها بالمؤلف وجهوده في الدعوة إلى الله التي يتجلّى بعضها في هذا الكتاب النافع الذي شرح فيه أنواع التوحيد شرحاً صافياً مع التنبيه على أنواع التحريف والابتداع التي أصابت العقيدة من جراء الإعراض عن الاهتداء بالقرآن، وتبني أسلوب الكلام والفلسفة في معرفة العقيدة، وأشار إلى عناية الشيخ عبد العزيز بن باز بالمؤلف وكتابه وسهره على طباعة الكتاب وتوزيعه، وحيَّى في الوقت نفسه، الأميرة الجوهرة التي أنفقت بسخاء على طبعه ابتغاء وجه الله، ثم تليها ترجمة جيدة مفيدة للمؤلف يحسن الاطلاع عليها، لتضمنها معلومات عنه لا توجد في غيرها، منها قائمة بمؤلفاته ما طبع منها وما لم يطبع، وقد بلغت ٣٣ مؤلفاً، ثم مقدمة المؤلف لكتابه التي بيَّن فيها منهجه في جمعه، وأنه كان يخطر بباله منذ مقدمة أن يجمع كتاباً لنفسه ولمن شاء الله بعده، يشرح فيه أنواع التوحيد الأربعة:

⁽۱) نشره العلامة بوخبزة في كتابه «معجم تفاسير القرآن الكريم» (۲/ ۳۰۰ ـ ۳۰۰)، وآثرنا إثباته دون تصرف.



توحيد الربوبية الذي رأى أن الآيات المتعلقة به في القرآن كثيرة جداً لو استوعبها مع ما يتعلق بها من الحديث والآثار لعظم حجم الكتاب جداً، ولذلك ـ إضافة إلى أنه معروف ومعتقد جميع الملل والنحل باستثناء الملاحدة المنكرين لوجود الله تعالى ـ لم يتناول آياته كلها بالكلام، وجعل بدله توحيد الاتّباع وهو داخل في توحيد العبادة والألوهية، ثم توحيد الأسماء والصفات، وقد درج الناس على جعل أقسام التوحيد ثلاثة، إلا أنه أفرد من قسم توحيد العبادة، توحيد الاتباع وجعله قسماً رابعاً لكثرة خلاف المقلدين لما جاء به رسول الله ﷺ، وهو في هذا كله مستمد من القرآن الكريم يتتبع آياته المتعلقة بالأقسام المذكورة في المصحف الشريف كله ابتداء من الفاتحة إلى النهاية، ضامّاً النظير إلى نظيره دون مراعاة ترتيب السور، معتمداً في التفسير على ابن كثير مشيراً إليه بالكاف، وعلى «جامع البيان» لابن جرير مشيراً إليه بالجيم، منتقياً من الحديث ما صح، مشيراً إلى ما اتفق عليه البخاري ومسلم بحرف القاف، وما انفرد به البخاري بحرف الخاء، وما انفرد به مسلم بحرف الميم، وما رواه أبو داود في السنن بحرف الدال، وما رواه الترمذي في جامعه بحرف التاء، وما رواه النسائي في «سننه» بحرف النون، وما رواه الإمام أحمد في «مسنده» بالحاء والميم أو الألف المهموزة، وبعد هذه المقدمة شرع المؤلف في بيان الأقسام، مبتدئاً بتوحيد العبادة وتوحيد الربوبية، ولم يشر المؤلف في مقدمته المقتضبة هذه إلى جانب مهم من منهجه المعروف في مؤلفاته وأبحاثه، وخصوصاً في هذا الكتاب الذي هو أكبر مؤلفاته حجماً ونفعاً، وهو أنه بعد نقله بأمانة عمن ينقل عنهم، يتعقب كلامهم غالباً بفصول مفيدة ناقدة تارة، أو مضيفة إليها ما يزيدها تقوية وبياناً، وفي أثناء ذلك يتحدث عن نفسه وما جرى له من مناظرات ووقائع تتعلق بالموضوع، منبهاً على بدع ومخالفات خصوصاً ما ظهر منها على يد الصوفية ومريديهم.

نموذج هذا التفسير:

والمؤلف كثيراً ما يطيل القول فيصعب نقل كلامه كله، ولذلك ننقل من كلامه على قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنَ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبُدَ فَرِيقٌ مِّنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِنَبَ كِتَبَ اللّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعَلَمُونَ اللّهِ المراد بالرسول هنا نبينا محمد ﷺ، جاء اليهود بالحق ـ وهو يَعَلَمُونَ الله المراد بالرسول هنا نبينا محمد عَلَيْ ، جاء اليهود بالحق ـ وهو



الإسلام والقرآن _ مصدقاً لما معهم من التوراة، فنبذت طائفة من اليهود _ وهم أكثرهم، كتاب الله _ وهو القرآن الذي جاء به رسول الله ﷺ، وقيل: المراد به التوراة.

قال محمد تقى الدين: ولا تنافى بينهما، فإن من كذب محمداً عليه، فقد نبذ التوراة والقرآن جميعاً؛ لأن التوراة بشرت به، وأخذ الله الميثاق على أهلها أن يؤمنوا به، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَنَقَ ٱلنَّبِيِّتَنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ . . . قَالَ فَأَشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِنَ ٱلشَّلِهِدِينَ﴾، وقال تعالى في آل عـمران أيـضاً: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَنَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُمْ . . . فَإِشْنَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ والنبذ هو الطرح وجعل الشيء وراء الظهر لإهماله والإعراض عنه، وقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لمّا لم ينههم علمهم صاروا كمن لا يعلم؛ أي كالجاهلين، بل العالم الذي لا ينفعه علمه شر من الجاهل، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقِّ بِٱلْبَطِلِ وَتَكُنُّهُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ وَالَّبَعُوا مَا تَنْلُوا اللَّهِ عِنْ اللَّهِ عِنْ اللَّهُ اللَّهَ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَّ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يعني أن اليهود نبذوا ما جاء في التوراة والقرآن من وجوب الإيمان بجميع رسل الله تعالى، واتباع ما جاؤوا به من توحيد الله وطاعته، واتبعوا ما علمتهم الشياطين من السحر الذي نسبته إلى سليمان كذباً وزوراً، وسليمان رسول أمين بريء من السحر وما زعمته الشياطين لأتباعهم أن سليمان على ما بلغ ذلك الملك العظيم، والحكم على الجن والإنس إلا بالسحر، فجاء محمد رسول الله خاتم النبيين وإمامهم، فبرأ أخاهم سليمان مما نسبت له الشياطين واليهود من السحر الذي هو كفر، فإن اليهود بنسبتهم السحر إلى نبي الله سليمان لزمهم نسبة الكفر إليه، وحاشا سليمان من الكفر، بل الشياطين وأتباعهم هم الذين كفروا بسليمان وبمحمد رسول الله علي، وكفروا بتعليمهم الناس السحر وحثهم على العمل به، والسحر هو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء، وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير، وذهب من عداهم إلى أن له حقيقة مؤثرة. قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰنُرُوتَ وَمَنْرُوتَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال محمد تقي الدين: لا أعلم آية في كتاب الله تعالى تحيرت في تفسيرها



كما تحيرت في تفسير هذه الآية؛ لأن الناس من زمان الصحابة إلى يومنا هذا اختلفوا في تفسيرها، وأنا أستعين بالله وأختار القول بالذي أراه صحيحاً مطابقاً للأصول، وما أبرئ نفسي من الخطأ، فأقول وبالله التوفيق: أكثر المفسرين على أن (ما) موصولة، فمعناها: أن الشياطين كانوا يعلمون الناس السحر ويعلمونهم ما أنزل على الملكين اللذين أنزلهما الله في بابل بأرض العراق، يعلمان الناس السحر فتنة لهم، للتمييز بين من يؤمن بالله ويطيع الله ويلتزم حدوده، وبين من اتبع هواه، وكفر بالله وعصى أمره، وكانا لا يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويخبراه بالعاقبة الوخيمة لمن يتعلم السحر المشتمل على الكفر، فإذا أبى إلا التعلم والعمل به، علماه، قالوا: ولا مانع أن يبتلي الله عباده بمثل هذا.

ثم حكى الدكتور محمد تقي الدين قول ابن جرير في الآية وأن (ما) نافية، واختار هذا القول، وتعرض لحديث الملكين هاروت وماروت وافتتانهما بالمرأة التي مُسخت كوكباً هو الزُّهَرة، وبين أنه من الإسرائيليات، وأنه غير مقبول لمخالفته القرآن. ثم نقل من كتاب «التوحيد» وشرحه «تيسير العزيز الحميد» (باب ما جاء في السحر) برمته، وفيه بيان شيء من أنواع السحر، وعقب على ذلك بقوله: «قال محمد تقي الدين مؤلف هذا الكتاب: ومنه ما يسمى في هذا الزمان بعلم الرمل، وذلك أن الكاهن يضع رملاً أمامه وينكت في ذلك الرمل بأصبعه نكتاً كل نكتة فيها كحفرة صغيرة، ويجعلها أربعة أعمدة مبتدأة من الأسفل إلى الأعلى، ثم يسقط تلك العلامات اثنتين اثنتين مبتدئاً من الأسفل إلى الأعلى في الأعمدة الأربعة، ويترك الحفرة الأخيرة والحفرتين الأخيرتين فيتألف له شكل، وكل شكل له اسم، فلنفرض أنه أسقط الأعمدة الأربعة اثنتين اثنتين فبقي من كل عمود نقطة واحدة فيظهر شكل يتألف من عمود فيه أربع فقط، ويسمى هذا: الطريق، ثم يعيد العمل فيبقى مثلاً من كل عمود نقطتان أو حفرتان فيتألف منهما عمود فيه ثماني نقط أو حفر، ويسمى هذا الشكل الجماعة، ويستمر هكذا إلى أن يخرج ستة عشر عموداً على طريقة الزوج والفرد ولكل شكل اسم يدل على معنى من المعاني، فهناك الطريق والجماعة كما تقدم، وهناك النصرة الداخلة والنصرة الخارجة، والأحيان الإنكيس والأحيان البارح.

وقد ذكر هذه الأشكال كلها صاحب «القاموس» وكتب صورها فَرَاجِعْه، فإذا فرضنا أن رجلاً أو امرأة جاء أحدهما إلى الكاهن الذي سمي الرَّمَّال وقال



له: عندي مسافر غائب منذ زمان فأخبرني بخبره؛ أو يقول: عندي حاجة أخبرني بها، فينكت في الرمل، فيخرج له في أول مرة الطريق مثلاً فيقول: أنت تسأل عن شخص مسافر غائب عنك لأن الطريق يدل على ذلك، أصحيح ذلك؟ فيقول السائل: نعم فيأخذ الكاهن من السائل علماً تفصيلياً بعد أن أعطاه علماً إجمالياً، ثم يخط فتخرج له الجماعة، فيقول: أنت حريص على الاجتماع به؟ فيقول: إي والله يا سيدي هو ابني غاب عني منذ أربع سنين ولم أسمع له خبراً، فيقول: أبشر ستجتمع به، ثم يخط فيخرج له الأحيان الإنكيس فيقول: إن صاحبك وقع في شدة عظيمة، ولكن هذا شكل النصرة الخارجة إلى جانبه يدل على أنه سيخرج منها بسلام وانتصار، وهكذا لا يزال الكاهن يعطي السائل الغبي أموراً إجمالية لا يخلو منها زمان ولا مكان، والسائل المغفل يعطيه التفاصيل حتى يأخذ جميع التفاصيل منه ثم يعيدها عليه يسردها سرداً، فيعتقد هذا المغفل أنه علم من خط الرمل كل أخبار المسؤول عنه وأخبره، والحقيقة أن السائل هو الذي أخبر الكاهن بكل شيء وهو لا يشعر، فإن صدق ما أخبره به ازداد اعتقاداً في صحة الكاهن بكل شيء وهو لا يشعر، فإن صدق ما أخبره به ازداد اعتقاداً في صحة بعقيقة ما سمى بخط الرمل».

ثم ذكر المؤلف حكايتين وقعتا له مع بعض من يدعي علم خط الرمل وأنه كشف أمرهم وفضحهم.



المالية المال

تصنيف

الغلكاية لكثيخ محدققى للريد ببه كثركلقا كالمركضاكي

مرحت كالله تعادي

(1171- 4.31 @)

(TPA(_ YAP(a_)

قرَّه وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَقَلَمْ لَهُ وَخَرَةَ أَحَادَيْنَهُ لَوَ وَخَرَةَ أَحَادِيْنَهُ وَلَهِ الْمُعَالَى المُ

البحثارة آلأوآك





برانيدار حمز الرحم

الحمد الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو رب العرش الكريم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو الخلق العظيم، اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الكبير المتعالى محمد تقى الدين بن عبد القادر الهلالي عفا الله عنه ووفقه للعمل الصالح المتوالى: خطر ببالى منذ مدة أن أؤلّف كتاباً لنفسي ولمن شاء الله بعدي، أشرح فيه أنواع التوحيد الأربعة (١) التي أولها: توحيد الربوبية، وثانيها: توحيد العبادة، وثالثها: توحيد الاتباع، ورابعها: توحيد الأسماء والصفات، ثم رأيت أن آيات توحيد الربوبية في كتاب الله كثيرة لو استوعبتها مع ما يتعلق بها من الأحاديث النبوية وكلام علماء السلف، لعظم حجم الكتاب جداً لكثرتها، فجعلتُ(٢) الأقسام ثلاثة: الأول: في توحيد العبادة ممزوجاً بما يحتاج إليه من آيات توحيد الربوبية. والقسم الثاني: يشتمل: على آيات توحيد الاتباع ـ أعنى اتباع الكتاب والسنة _، والقسم الثالث: يشتمل على آيات توحيد الأسماء والصفات وهي الآيات التي وصف الله بها نفسه سبحانه وما يتعلق بها من الأحاديث النبوية وأقوال أئمة السلف، وقد أعانني الله سبحانه على إتمام هذا (الجزء الأول)؛ فلله الحمد والمنة، وإياه أسأل، وبأسمائه وصفاته أتوسل، أن يعينني على إتمام الجزئين الباقيين، وسميت هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة «سبيل الرشاد»؛ أسأل الله تعالى أن يجعل النفع به كثيراً، وأن يجعله من الأعمال الباقية، وأن ينفعنا به ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالُّ وَلَا بَنُونَ ۗ هِي إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبِ سَلِيعِ هِ ﴿ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

⁽١) أنواع التوحيد في الحقيقة ثلاثة؛ لأن الثالث وهو الاتباع داخل في الثاني، ولكنني جعلته قسماً لكثرة خلاف المقلدين لما جاء به الرسول ﷺ. (منه).

⁽٢) في الأصل: "فجلعت"!!



واعتمدت على تفسير الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة «٤٧٧ه» ـ رحمة الله عليه ـ؛ لأني ما رأيت أحداً من المفسرين يعتني بالتوحيد مثله، وقد أشير «بالكاف» إلى تفسير ابن كثير (١) و «بالجيم» إلى «تفسير ابن جرير» (٢) و «بالقاف» إلى ما اتفق عليه البخاري ومسلم من الحديث و «بالخاء» إلى ما انفرد به البخاري و «بالدال» إلى النفرد به مسلم و «بالدال» إلى اسنن أبي داود» و «بالتاء» إلى «جامع الترمذي» «وبالنون» إلى «سنن النسائي» «وبالحاء والميم» أو «الألف المهموزة» إلى «مسند الإمام أحمد».

(١) لا بد من تنبيهات:

الأول: نقدات العلامة الهلالي على مطبوع "تفسير ابن كثير" - وكان ينقل من طبعة الاستقامة -، ونقده في هذا الجزء (١/ ٣٣٥ - ٣٣٥) وقال (ص) عنها: "فيها أخطاء كثيرة وبتر ونقص".

الثاني: إنه نقل أيضاً من «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» لشيخنا الداعي إلى الله على بصيرة محمد نسيب الرفاعي _ رحمه الله تعالى _ ورمز له (خك) كما تراه _ مثلاً _ في (٣/ ١٢٠).

وللعلامة الهلالي كلله كلمة في تقريظ هذا «التسيير» مودعة في أوله (أول صفحة) قال عن مؤلفه: «أخونا العالم السلفي المحقق الأستاذ الشيخ» وقال عن مختصره هذا: «جاء اختصاره طبق ما يؤمّله كل طالب علم، موزوناً بقسطاس مستقيم».

الثالث: اعتمدتُ في التوثيق ومقابلة النص على طبعة أولاد الشيخ، مصر، وهي من أوثق النسخ، ومقابلة على النسخة الأزهرية الخطية، ونسخة في دار الكتب المصرية، وتقع في (١٥) مجلداً.

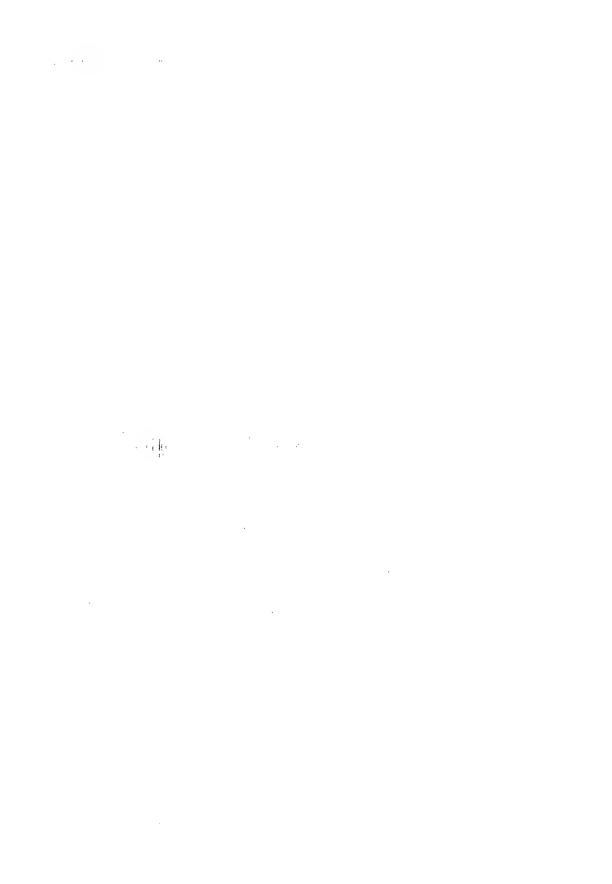
⁽٢) اعتمدتُ في التوثيق والتخريج على طبعة دار هجر، إلا ما صرحتُ بخلافه.



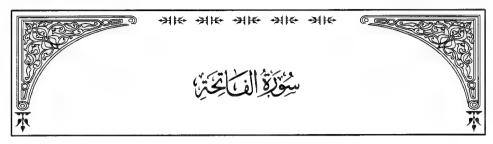




توحيد العبادة وتوحيد الربوبية







∺ الباب الأول 🔫

قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞﴾

قال (ع): في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ الفاتحة: ٥] ما نصه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لك اللهم نخشع ونذل ونستعين (١) إقراراً لك يا رب بالربوبية لا لغيرك (٢). ثم روى بسنده إلى عبد الله بن عباس: قال جبريل لمحمد على: قل يا محمد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ﴿إِياكَ نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك (٣)، ﴿وذلك من قول ابن عباس بمعنى ما قلنا، وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نخشع ونذل ونستعين، دون البيان عنه بأنه بمعنى: نرجو ونخاف، وإن كان الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة؛ لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة، وإنها تسمي الطريق المذلل الذي وطئته الأقدام وذللته السابلة معبداً، من ذلك قول طَرَفَة بن العبد (٤):

تُبَارِي عِتَاقاً ناجياتٍ وأَتْبَعت وَظِيفاً (٥) وظِيفاً فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ يعني بالمور الطريق، وبالمعبَّد المذلل الموطوء، ومن ذلك قيل للبعير المذلّل بالركوب في الحوائج: معبَّدٌ، ومنه سمي العبد عبداً، لذلته لمولاه»(٦).

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «ونستكين».

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن جریر» (۱/۹۹۱).

⁽٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥٩/١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٩/١)، وإسناده منقطع، الضحاك لم يسمع ابن عباس. انظر: «المراسيل» (٩٥، ٩٦) لابن أبي حاتم، «تهذيب الكمال» (٢٩٦/١٣) ومقدمة «تفسير الضحاك» (ص٥٨ - ٦١).

⁽٤) البيت في «ديوانه» (ص٣٥).

⁽٥) الوظيف: من رسغي البعير إلى ركبتيه في يديه، وأما في رجليه فمن رسغيه إلى عرقوبيه.

⁽٦) انظر: «تفسر ابن جرير» (١/٩٥١ _ ١٦٠).



قال محمد تقي الدين: وقوله: «وذللته السابلة»، المراد بالسابلة: «أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حاجاتهم»، قاله (۱) صاحب «اللسان» (۲) وقوله: «إياك نستعين» قال أبو جعفر «معنى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وإياك ربنا (۲) نستعين على عبادتنا إياك وطاعتنا لك (۱) في أمورنا كلها لا أحداً سواك، إذا كان من يكفر بك يستعين في أموره بمعبوده (۱) الذي يعبده من الأوثان دونك فنحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة» (۷)، ثم روى بسنده إلى الضحاك عن ابن عباس قال: «إياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها» (۸).

وقال (ك) في تفسير الآية ما نصه: «والعبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد وبعير معبد، أي: مذلل، وفي الشرع عبارةٌ تجمع^(٩) كمال المحبة والخضوع والخوف، وقدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحصر أي: لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع^(١٠) إلى هذين المعنين، وهو كما قال بعض السلف:

الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞﴾ فالأول تبرّؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة وتفويض (١١) إلى الله عَلَى وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى: ﴿أَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهُ وَمَا رَبُّكَ بِعَنِفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هـ وعَلَيْهِ تَوَكَّنَ المَا وَقُلْ هُو الرَّحْنُ عَامَنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّنَا ﴾ [المدران ؟] [المدرمان ؟] المدلك: ٢٩] ﴿وَبُلُا إِلَى اللهُ إِلّا هُو فَاتَغِدُهُ وَكِيلًا ﴾ [المدرمان ؟] .

⁽١) في المطبوع: «قال»: وصوابه المثبت.

⁽۲) هو ابن منظور، راجع «لسان العرب» (۱۱/ ۳۲۰ ـ سبل).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «يا ربنا».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «وطاعتنا في».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «إذ كان». (٦) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «معبودَه».

⁽۷) انظر: «تفسیر ابن جریر» (۱/ ۱٦۰).

⁽A) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ١٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩)، وإسناده منقطع.

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وفي الشرع عبارة عما يجمع».

⁽١٠) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والدين يرجع كله».

⁽١١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والتفويض».



وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكُ نَعْبُدُ وَإِيَّاكُ نَسْتَعِبُنُ ﴿ وَإِيَّاكُ نَسْتَعِبُنُ ﴿ وَإِيَّاكُ نَسْتَعِبُنُ ﴿ وَلَيْ المواجهة بكاف الخطاب فيه مناسبة (١٠) ؛ لأنه لما أثنى على الله (٢) فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى، فلهذا قال: ﴿إِيَّاكُ نَعْبُدُ وَإِيَّاكُ نَسْتَعِبُنُ ﴿ وَفِي هذا دليل على أن السورة (٣) خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك، ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه، كما جاء في «الصحيحين» عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (١٤)، وفي «صحيح مسلم» من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: ﴿الْحَنْدُ اللهِ عليهُ عليهُ عليهُ قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿النَّنِ النَّهِ عبدي، وإذا قال: ﴿النَّهُ عبدي ولعبدي عبدي، وإذا قال: ﴿النَّهُ عبدي ولعبدي ما سأل، قال: ﴿إِيَّاكُ نَعْبُدُ وَإِيَاكُ نَعْبُدُ وَإِيَاكُ نَعْبُدُ وَإِيَاكُ نَسْتَعِبُنُ ﴿ وَإِيَاكُ نَسْتَعِبُنُ ﴿ وَإِيَاكُ نَعْبُدُ وَإِيَاكُ نَعْبُدُ وَإِيَاكُ نَعْبُدُ وَإِيَاكُ نَسْتَعِبُنُ وَ عَلَى قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، قال: ﴿إِيَاكُ نَعْبُدُ وَإِيَاكُ نَسْتَعِبُنُ وَ عَلَى اللهُ الله عبدي ولعبدي ما سأل، قاراً قال: ﴿إِيَاكُ نَعْبُدُ وَإِيَاكُ نَسْتَعِبُنُ وَلَهُ قالَ اللهُ عبدي ولعبدي ما سأل، أَنْ المَانَ اللهُ عنه عبدي الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ مَنْ قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ المَنْ اللهُ عبد الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ الله عبد عنه على المذا لعبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ اللهُ العبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ اللهُ عبد على الله الله الله العبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ الله العبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ الله الله الله العبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ الله الله العبدي ولعبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ الله العبدي ولعبدي ولعبدي ما سأل (١٠) أَنْ الله العبدي ولعبدي ولعبدي ما سأل (١٠) الله العبدي ولعبدي ولعبدي ما سأل (١٠) الله العبدي ولعبدي ولعبدي المنا العبدي ولعبدي ولعبدي المنا العبدي ولعبدي المنا العبدي ولعبدي المنا العبدي ولعبد العبدي ولعبدي المنا

وقال^(۲) قتادة: ﴿إِيَّاكَ نَعَبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ يَامركم أَن تخلصوا له العبادة وأَن تستعينوه على أموركم». «وإنما قدم ﴿إِيَّاكَ نَعَبُدُ على «إياك نستعين»؛ لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها والاهتمام والحزم ما هو الأهم (٧) فالأهم (٨). ثم قال: «والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد عند الله

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهو مناسبة».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تعالى».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أول السورة».

⁽٤) أخرجه البخاري رقم (٧٥٦)، ومسلم رقم (٣٩٤).

⁽٥) أخرجه مسلم رقم (٣٩٥).

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ يعني إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والاهتمام والحزم هو تقديم ما هو الأهم فالأهم».

⁽A) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱/ ۲۱۶ _ ۲۱۲).



تعالى (١): وقد سمى الله رسوله (٢) ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال: ﴿ اَلْحَبْدُ لِلّهِ اللّهِ مَدْ اللّهِ مَدْوُهُ ﴾ [الجن: ١٩]، الذّي آنزلَ عَلَى عَبْدِهِ اللّهِ الله الله الله الله الله الله عليه، وعند ألله عليه الله عليه، وعند قيامه في الدعوة وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق فيها صدره (٣) من تكذيب المخالفين، حيث يقول: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَكَ يَضِيقُ صَدَرُكَ بِمَا يَعُولُونَ ﴿ وَلَقَدْ رَبِّكَ حَقّ يَأْنِيكَ الْيَقِيثِ الدحور: ﴿ وَلَقَدْ رَبِّكَ حَقّ يَأْنِيكَ الْيَقِيثِ الدحور: ﴿ وَلَقَدْ رَبِّكَ حَقّ يَأْنِيكَ الْيَقِيثِ الدحور: ٩٠ ـ ٩٩] (٤).

قال الشوكاني: «والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بالاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه، والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل»(٥).

في هذا الكلام فوائد

الأولى: معنى العبادة لغة وشرعاً، والثانية: معنى الاستعانة لغة وشرعاً، والثالثة: تقديم المعمول يفيد الحصر في الموضوعين: ﴿إِيَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَاكَ المعنيين، الخامسة: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، السادسة: لا تصح صلاة من لم يقل: ﴿إِيَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَاكَ نَعْبُدُ وَاللهِ وما بعدها من الفاتحة، السابعة: السر في تقديم ﴿إِيَاكَ نَعْبُدُ على ﴿وَإِيَاكَ نَسْتَمِينُ ﴾، الثامنة: العبادة أشرف المقامات خلافاً لمن ظن العكس من الجاهلين من النصارى وأشباههم، التاسعة: من ضاق صدره فليبادر إلى العبادة.

قال محمد تقي الدين: قول الشوكاني: «والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل»، إن كان يريد المعنى اللغوي فهو صحيح، قال تعالى في سورة المؤمنين حكاية عن موسى: ﴿فَقَالُواْ أَنْوَيْنُ لِبِشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَلِدُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلِيدُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّاللَّ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللّه

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى كما قال بعضهم:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائسي وقد سمى الله...».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «رسول الله».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يضيق صدره».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢١٦). (٥) انظر: «فتح القدير» (١/ ٨٩).



[المؤمنون: ٤٧] أي: خاضعون متذللون خادمون، وأما إن أراد المعنى الشرعي فهو ناقص، إذ لا تتم العبادة بالخضوع والتذلل فقط حتى يصحبهما الحب والتعظيم والإجلال وتوحيد الله بذلك، وعليه يقال: العبادة غاية التذلل في غاية الحب، مع التوحيد واتباع سنة النبي عليه، وأداء جميع الواجبات وترك المحرمات.

🕬 الباب الثاني 🔄

قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا ٱلصِّرَطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١ الفاتحة: ٦] إلخ

قال (ع): "ومعنى قوله: ﴿ أَهْدِنَا ٱلْصِّرَطَ ٱلْسُتَقِيدَ ﴿ الفاتحة: ٦] في هذا الموضع عندنا: وفقنا للثبات عليه "(١)، قال أبو جعفر: "أجمعت الأمة (٢) من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه "(٣)، "ومن (٤) ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي:

أميرُ المؤمنين على صراط إذا اعوَجَّ المواردُ مستقيم»(٥)

«ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وُصِفَ باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه، ومعناه عندي (٢٠): وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل (٧٠)؛

⁽۱) انظر: «تفسير ابن جرير» (١/ ١٦٥).

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «الحجة».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «وكذلك ذلك في لغة جميع العرب».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «فمن».

⁽٥) البيت في «ديوانه» (٢١٨/١)، وبعدها في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «يريد: على طريق الحق، ومنه قول الهذلي أبي ذُوَّيب:

صبَحنا أرضَهم بالخيل حتى تركناها أدقَّ من الصراط ومنه قول الراجز:

 ⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي، أعني: ﴿آهَدِنَا الْعِبْرَطُ ٱلنُسْتَقِيمَ ﴿ إَنْ يكون مَعْنِيّاً به».

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «وذلك الصراط المستقيم».



لأن من وُفِّق لما وفق له من أنعم الله عليه (١) فقد وفق لاتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبد صالح (٢).

﴿ اَلَّذِينَ اَنْمُتُ عَلَيْهِم ﴾ [الفاتحة: ٧] بطاعتك وعبادتك من ملائكتك، وأنبيائك، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وذلك نظير ما قال ربنا في تنزيله في سورة النساء: ﴿ وَمَن يُعِلِع اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَتِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْهُم اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّيْتِينَ وَالشّهَدَاءِ وَالصّلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَتِهِكَ رَفِيعًا ﴿ وَالنساء: ٢٩] ثم روى بسنده مثل ذلك الذي قاله عن ابن عباس وغيره من السلف، ثم قال: ﴿ وفي هذه الآية دليل (٣) على أن طاعة الله لا ينالها المطيعون إلا بإنعام الله بها عليهم وتوفيقه إياهم لها (٤).

والمراد بـ ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفائحة: ٧] من ذكرهم الله ﴿ فَي سورة المائدة بِسقوله : ﴿ فَلْ هَلْ أَنْيَتُكُم بِشَرِ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِندَ اللّهِ مَن لَّمَنَهُ اللّهُ وَغَيْبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِبْهُمُ اللّهِ وَلَا هَلُ أَنْيَتُكُم بِشَرِ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِندَ اللّهِ مَن لَمْنَهُ اللّهُ وَغَيْبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِبْهُمُ اللّهَ وَلَا يَا لَيْهِ وَلَا اللّهُ عَن سَوَلَهِ السّبِيلِ ﴾ السحوم (وى بسنده إلى عدي بن حاتم قال: قال لي النبي ﷺ: ﴿ ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ : اليهود الله ثم روى مثل ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين موقوفاً عليهم (١٠).

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبي على ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم أجمعين، وكل عبد لله صالح».

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن جریر» (۱/ ۱۷۰ ـ ۱۷۱).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «دليل واضح».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن جرير» (١٧٨/١).

⁽٥) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩)، والطيالسي (١٠٤٠)، والترمذي (٢٩٥٣، ٢٩٥٤)، وابن جرير (١/ ١٨٥ ـ ١٩٣) رقم (١٩٤ ـ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" رقم (١٠٤٠)، وابن جرير (١/ ١٨٥)، وابن حبان (١٣٤٦، ٢٠٢٠، ٢٣٦٥)، وتمام في "الفوائد" (١٣٢٥ ـ ١٣٢٥) «الروض البسام")، والطبراني في "الكبير" (١/ /رقم ٢٣٦، ٢٣٧)، وأبو نعيم في "الحلية" (١/ ١٧٠)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (١/ ٣٣٥ ـ ٣٤٠) من طرق عن عدي، يصح بها إن شاء الله تعالى، وبعضها مرسلة كما عند سعيد بن منصور (١٧٩ ـ التفسير). وانظر تعليقي على "الاعتصام" (١/ ٢٣٧) ففيه تفصيل الطرق، وحسنه ابن حجر في "الفتح" (١/ ١٥٩) وصححه شيخنا الألباني في "التعليقات الحسان" (٢١١٣).

⁽٦) انظر: «تفسير ابن جرير» (١/ ١٨٨ ـ ١٨٩)، و«تفسير ابن وهب» (١/ ٥٤)؛ و«تفسير =



وقوله: ﴿ وَلَا الْصَالِينِ الْمَالِينِ ﴾ [الفاتحة: ٧]، قال (ج): «فإن قال لنا قائل: ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعادة بالله أن يسلك بنا سبيلهم ونضل ضلالهم؟ قيل: هم الذين وصفهم الله في تنزيله، فقال: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَبِ لَا تَعْبُوا فِي تَنزيله، فقال: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَبِ لَا تَعْبُوا فِي تَنزيله، فقال: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَبِ لَا تَعْبُوا فِي تَنزيله، فقال: ﴿ قُلْ يَتَأَهُّلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَبِعُوا أَهْوَاءَ قُوْمِ قَدْ ضَالُوا مِن قَبْلُ وَأَصَالُوا فَي دِينِكُمْ غَيْر الْحَوْقِ وَلَا تَتَبِعُوا أَهْوَاءَ قُوْمِ قَدْ ضَالُوا مِن قَبْلُ وَأَصَالُوا فَي دِينِكُمْ غَيْر الْحَوْقِ وَلَا تَتَبِعُوا أَهْوَاءَ قُوْمِ قَدْ ضَالُوا مِن قَبْلُ وَأَصَالُوا عَن سَوَلَهِ السَّكِيلِ ﴿ وَلَا الله عَلَيْ الله عَلَى الله عَلَي الله عَلَى الله عَلَي الله عَلَمُ الله عَلَي الله عَلَي

قال محمد تقي الدين: ذكرت الآيتين الأخيرتين وجعلتهما من أدلة توحيد العبادة؛ لأنهما دعاء والدعاء عبادة كما في الحديث الصحيح: «الدعاء هو العبادة» ("). رواه أحمد والأربعة والبخاري في «الأدب المفرد» عن النعمان بن بشير عن النبي على وفي حديث آخر: «الدعاء مخ العبادة» (٤). رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً عن النبي على فهداية القلوب لا يقدر عليها إلا الله تعالى، فمن زعم من المتصوفة أن شيخه يتصرف في قلبه هداية وإضلالاً وتنويراً وإظلاماً وليناً وقسوة وإقبالاً وإعراضاً فقد اتخذ مع الله إلها آخر، قال النبي على العلم العلب

⁼ ابن أبي حاتم» (١/ ٣١)، و«الدر المنثور» (١٦/١).

⁽۱) انظر: «تفسير ابن جرير» (۱/ ۱۹۶). (۲) مضى تخريجه قريباً، وهو صحيح.

⁽٣) أخرجه أحمد (٤/٢٦ و ٢٧١ و ٢٧٦)، والطيالسي (٨٠١)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، وابن المبارك في «الزهد» (١٢٩٨ ـ ١٢٩٩) وفي «المسند» رقم (٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤١٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٦٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٤٠، ٣٣٤٧) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والطبراني في «الصغير» (١٠٤١) وفي «الدعاء» (١ ـ ٧)، وابن منده في «التوحيد» رقم (٣٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٩ ـ ٣٠)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (٢٠٠٥)، وأبو نعيم (٨/١٠١)، والبيهقي في «الشعب» (١١٠٥) وفي «الدعوات الكبير» (٤)، والبغوي (١٣٨٤) وفي «التفسير» (١٠٠٤)، وصححه الحاكم ووافقه الكبير» وهو كما قالا. وانظر: «الإعلام» (٤/١٠١ ـ ١٠١)، «الموافقات» (٤/٣٩٨)، وتعليقي عليهما.

⁽٤) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلّا من حديث ابن لهيعة» والطبراني في «الأوسط» (٣٢٢٠) من حديث أنس والحديث ضعيف، وضعفه شيخنا الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ في «ضعيف الترغيب» (١٠١٦). وانظر: «السلسلة الضعفة» (٢١).



القلوب ثبّت قلوبنا على دينك»(١)، فقلوب العباد بيد الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومن وفق لطلب الهداية فإن الله يهديه، وقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا السَّتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُمْيِيكُمُ وَاعْلَمُوا الْأنفال: ٤٤]. أَنَكُم إِلَيْهِ وَأَنْكُم إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ إِلَا نَفال: ٢٤].

⁽۱) أخرجه ابن أبي شيبة (۲۰۹/۱۰ و ۲۰۹/۱۱)، وأحمد (۳/ ۱۱۲، ۲۰۷)، والبخاري في «الأدب المفرد» (۲۸۳)، والترمذي (۲۱٤۰)، وابن ماجه (۳۸۳۶)، وأبو يعلى (۲۳۱۷، ۲۳۱۷)، وأبو يعلى (۲۳۱۷، ۲۳۸۷)، وابن أبي عاصم في «السنة» (۲۲۵)، وابن جرير (۳۸۸۸)، والطبراني (۷۵۹) وفي «الدعاء» (۱۲۲۱)، والحاكم (۲/ ۲۵ و ۲۸۸/۲ – ۲۸۹)، والبغوي (۸۸)، والبيهقي في «الشعب» (۲۵۷)، والضياء في «المختارة» (۲۲۲۲ ـ ۲۲۲۰) من حديث أنس وإسناده جيد، وهو صحيح وله شواهد عديدة من حديث عبد الله بن عمرو والنواس بن سمعان وعائشة وأم سلمة وجابر وسبرة بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.





∺ الباب الأول 😣

قول ه تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَنَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ الشَّمَاءِ مَآءً فَأَخْجَ بِهِ مِن الشَّمَرَتِ رِزْقًا لَكُمْ فَكَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندادًا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَخْجَ بِهِ مِن الشَّمَرَتِ رِزْقًا لَكُمْ فَكَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندادًا وَلَا تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندادًا وَلَا تَعْمَلُونَ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ

قال (ك)(1): «لما فرغ سبحانه من ذكر المؤمنين والكافرين والمنافقين، أقبل عليهم بالخطاب التفاتاً للنكتة السابقة في الفاتحة (٢)، وإنما خص نعمة الخلق وامتن عليهم (٣)؛ لأن جميع النعم مترتبة عليها وهي أصلها الذي لا يوجد شيء بدونه (٤) وأيضاً فالكفار مقرون بأن الله هو الخالق ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُم مَّنَ خَلَقَهُم لِيَقُولُنَ بِدونه (١٤) والزخرف: ٨٧] فامتن الله عليهم بما يعترفون به ولا ينكرونه (٥).

⁽۱) هذا النقل غير موجود عند ابن كثير بل هو موجود عند الشوكاني في «فتح القدير» (۱/ ۱۳۵ ـ ۱۳۵).

⁽٢) بعدها في مطبوع "فتح القدير": "و"يا" حرف نداء، والمنادى "أيّ" وهو اسم مفرد مبني على الضم؛ و"ها" حرف تنبيه مقحم بين المنادى وصفته، قال سيبويه: كأنك كررت "يا" مرتين، وصار الاسم بينهما، كما قالوا: ها هو ذا. وقد تقدم الكلام في تفسير الناس والعبادة، وإنما خص....".

⁽٣) في مطبوع «فتح القدير»: «وامتن بها عليهم».

⁽٤) في مطبوع «فتح القدير»: «لا يوجد شيء منها بدونها».

⁽٥) بعدها في مطبوع "فتح القدير": "وفي أصل معنى الخلق وجهان: أحدهما: التقدير يقال: خلقت الأديم للسقاء: إذا قدرته قبل القطع. قال زهير:

ولأنت تفرى ما خلقت وبعد فض القوم يخلق ثم لا يفرى الثانى: الإنشاء والاختراع والإبداع».



ولعل أصلها للترجي (١) وهو محال (7) على الله تعالى».

فمعناها هنا أن الله يقول لعباده: وحدوا ربكم بعبادته ولا تشركوا به شيئاً وبذلك تصلون إلى التقوى وهي سبب سعادتكم، وتنجون من الشرك الذي هو سبب شقاء وهلاك. وقيل: إن العرب استعملت «لعل» مجردة من الشك بمعنى لام كي، والمعنى هنا لتتقوا.

قال الشاعر(٣):

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الحروبَ لَعلَّنا فَكُفْ وَوَثَقْتُم لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ فَلْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ فلمَّا كَفَفنا الْحَرْبَ كانت عُهُودُكمْ كَشَبه سَرَابِ في الفلا(٤) مُتألِّقِ

﴿ وَرَشًا﴾: أي وطاء يستقرون عليها، لما قدم نعمة خلقهم، أتبعه بنعمة خلقه الأرض (٥) (١) (١) (ثم أتبع ذلك بنعمة جعل السماء كالقبة المضروبة عليهم والسقف للبيت الذي يسكنون (٧) كما قال: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقَفًا عَّعُوظًا ﴾ (٨) [الأنبياء: ١٣١]، ثم امتن عليهم بإنزال الماء من السماء (٩) ﴿ وَٱلثَمَرَتِ ﴿ جمع ثمرة والمعنى: أخرجنا لكم ألواناً من الثمرات وأنواعاً من النبات ليكون ذلك متاعاً لكم إلى حين والأنداد: جمع ند، وهو المثيل والنظير (١٠) ، ﴿ وَأَتَتُم تَعَلَمُونَ ﴾ خطاب للكفار والمنافقين (١١) وفيه دليل على وجوب استعمال الحجج وترك التقليد.

⁽١) بعدها في مطبوع (فتح القدير»: «والطمع، والتوقع، والإشفاق».

⁽٢) في مطبوع «فتح القدير»: «وذلك مستحيل».

 ⁽٣) ذكر الشوكاني هذين البيتين في «فتح القدير» ولم يعزهما لأحد وهما غير منسوبين في «أمالي الشجري» (١/٥٦/١)، و«تفسير ابن جرير» (٣٨٧/١)، و«روح المعاني» (١٨٦/١)، و«زاد المسير» (٤٨/١)، و«تفسير الثعالمي» (٣٨/١).

⁽٤) في مطبوع (فتح القدير»: «الملأ».

⁽٥) في مطبوع «فتح القدير»: «خلق الأرض».

⁽٦) بعدها في مطبوع «فتح القدير»: «فراشاً لهم، لما كانت الأوض التي هي مسكنهم ومحل استقرارهم من أعظم ما تدعو إليه حاجتهم».

⁽٧) في مطبوع «فتح القدير»: «يسكنونه».

 ⁽A) بعدها في مطبوع «فتح القدير»: "وأصل البناء: وضع لبنة على أخرى».

⁽٩) بعدها في مطبوع «فتح القدير»: «وأصل ماء: موه، قلبت الواو لتحركها، وانفتاح ما قبلها ألفاً، فصار موه، فاجتمع حرفان خفيفان، فقلبت الهاء همزة».

⁽١٠) بعدها في مطبوع «فتح القدير»: «وقوله».

⁽١١) في مطبوع «فتح القدير»: «جملة حالية، والخطاب للكفار والمنافقين».



وأخرج (ع)(١) وغيره عن ابن عباس قوله: ﴿ فَكَلَا بَخَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ «أي لا تشركوا به (٣) غيره من الأنداد التي لا تضر ولا تنفع (٣) وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ».

وأخرج (هم) و(غ) في «الأدب المفرد» وغيرهما عن ابن عباس قال: قال رجل للنبي على ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده وحده وأنه وأخرج ابن سعد عن قُتيلَة بنت صَيْفِي قالت: «جاء حبر من الأحبار إلى النبي على فقال: يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون! قال: كيف؟ قال: يقول أحدكم: لا والكعبة، فقال النبي على: «من حلف فليحلف برب الكعبة»، فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله نداً! قال: «وكيف ذلك»؟ قال: يقول أحدكم: ما شاء الله وشئت، فقال النبي على: «فمن قال منكم: ما شاء الله، فليقل: ثم شئت» وأخرج (مم) و(د) وغيرهما عن حذيفة ابن اليمان قال: قال رسول الله على: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، قولوا: ما شاء الله ثم فلان» أولوا: ما شاء الله تولوا: ما شاء الله تولوا: ما شاء الله تولوا: ما شاء الله تولوا: ما شاء الله به فلان أولوا: ما شاء الله به فلان أولوا: ما شاء الله به تولوا: ما شاء الله به ناله به ناله فلان أولوا: ما شاء الله به ناله به

وأخرج (مم) وغيره عن الطفيل بن سخبرة أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر

⁽۱) أخرجه ابن جرير (۳۹۳/۱)، وابن أبي حاتم (۲/۱۱) من طريق ابن إسحاق _ وهو في اسيرة ابن هشام، (۵۳۳/۱) _ عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإستاده ضعيف، شيخ ابن إسحاق مجهول.

⁽۲) في مطبوع «تفسيري ابن جرير وابن كثير»: «بالله».

⁽٣) في مطبوع «تفسيري ابن جرير وابن كثير»: «لا تنفع ولا تضر».

⁽٤) أخرجه أحمد (٢/١٤/١)، وابن أبي شيبة (٢/٦٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، وابن ماجه (٢١٤٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٥)، والطحاوي في «المشكل» (٢٣٥)، والطبراني (٢٣٠٠)، والبيهقي (٢١٧/٣)، وهو صحيح، وله شواهد، سيأتي بعضها.

⁽٥) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٢)، والنسائي في «المجتبى» (٦/٧) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٦)، وهم (٢٥٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٢٩٢/١)، والطبراني (٢٥٠/ رقم ٥، ٦، ٧)، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وصححه ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٧٩) وشيخنا الألباني في «الصحيحة» رقم (١٣٦).

⁽٦) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٤)، والطيالسي (٤٣٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٥)، وأبو داود (٤٩٠٠)، والبيهقي (٣/ ٢١٦) وفي «الاعتقاد» (١٥٦ ـ ١٥٧) وفي «الأسماء والصفات» (١٤٤) وهو صحيح وخرجته مفصلاً في تعليقي على «المجالسة» (١٩٨٨).



برهط من اليهود، فقال: أنتم نعم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيراً ابن الله! فقالوا: وأنتم نعم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مر برهط من النصارى فقال: أنتم نعم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله! قالوا: وأنتم نعم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبح أخبر النبي هي فخطب فقال: "إن طفيلاً رأى رؤيا وإنكم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم، فلا تقولوها ولكن قولوا: ما شاء الله وحده لا شريك له"(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: "الأنداد، الشركاء (١) أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان (١) النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان ألى اللهوص، وقول الرجل: لولا الله وحياتي، وقول الرجل: لولا الله وفلان (١) هذا كله شرك"(١) وأخرج (غ) و(م) عن ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله أي الذب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك"(١). وروى (ع) بسنده إلى ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿يَنَأَيُّهَا النّاسُ اعَبُدُوا رَبَّكُمْ فَال: سنده إلى ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿يَنَأَيُّهَا النّاسُ اعَبُدُوا رَبَّكُمْ فَال: وحدود (١) .

⁽۱) أخرجه أحمد (٥/ ٧٧)، وابن أبي شيبة (٢٥٦) كلاهما في «المسند»، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٦٤ ـ ٣٦٤)، والدارمي (٢٦٩٩)، وأبو داود (٤٩٨٠)، وابن ماجه (٢١١٨)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٨/ رقم ٨٥٤ ـ ٢٥٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٧٤٣)، وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (٣/ رقم ١٣٦٧، ١٣٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٢١٤، ٨٢١٥)، والحاكم (٣/ ٤٦٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ٥٦٥ ـ ٢٥٦)، والحازمي في «الاعتبار» (٢٤٢ ـ ٣٤٧)، والخطيب في «الموضح» (١/ ٣٠٣) وهو صحيح، وخرجته مفصلاً في كتابي «المقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى والمنامات» (ص٢٦ ـ ٢٧).

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن أبي حاتم»: «هو الشرك».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن أبي حاتم»: «يا فلانة».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن أبي حاتم»: «الرجل لصاحبه».

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير أبن أبي حاتم»: «لا تجعل فيها فلان فإن هذا كله به شرك».

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٦٢) وإسناده حسن.

⁽٧) أخرجه البخاري رقم (٢٠٠١)، ومسلم رقم (٨٦).

⁽٨) ذكره ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٣٨٥) معلقاً بصيغة التمريض. ثم وصله (١/ ٣٨٥)، وابن أبي حاتم (١/ ٥٩/١) رقم (٢١٦، ٢١٦) عنه بلفظ: «وحدوا ربكم» وفي إسناده ضعف، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٣٣).

قال محمد تقي الدين: في هاتين الآيتين نوعان من التوحيد: أولهما: توحيد العبادة في قوله تعالى: ﴿اعْبُدُواْ رَبُّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١] وقول ابن عباس: أي: وحدوه، والثاني: توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية إذا لم يكن معه توحيد العبادة لا ينفع صاحبه شيئاً؛ فإن أكثر الكفار يعتقدون أن الله ربهم وخالقهم ومليكهم والمنعم عليهم فلم ينفعهم ذلك شيئاً؛ لأنهم لم يخصوه بالعبادة والتوجه والقصد والطلب، ونعم الله على عباده كثيرة لا يحصيها إلا هو كما قال تعالى: ﴿وَإِن نَعْمُ اللهِ لَا تَعْمُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقد ذكر الله في هاتين الآيتين نعما متعددة: أولاها أنه خالق كل شيء، ثانيها أنه جعل للناس هذه الأرض صالحة لسكناهم وفيها أسباب الراحة، ثالثها أنه جعل السماء سقفاً حافظاً لهم من الأفات التي تأتي من السموات، رابعها أنه أنزل من السماء ماء مباركاً لا يستطيع إنزاله إلا هو، ولا حياة لهم بدونه، خامسها أنه أخرج لنا به من أنواع النبات

⁽۱) هذه التلبية كان يقولها أهل الشرك في الجاهلية، أخرج ذلك مسلم في «صحيحه» (١) عن ابن عباس.



والأشجار من الزروع والحبوب والفواكه والثمار ما لا يكاد يحصى.

وقال بعد ذلك: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا يَتَهِ أَنْدَادًا﴾، أي: شركاء في العبادة تخافونهم وترجون نفعهم وتتملقون لهم، وأنتم تعلمون علماً لا شك فيه أن خالقكم ورازقكم ومحييكم ومميتكم واحد هو الله، هذا للذين يقرون بوجود الله، أما الذين ينكرون فهم فئة فقيرة حقيرة مكابرة مغالطة، وللكلام معهم موضع آخر.

🕬 الباب الثاني 🌣

قىولى تىعىالى: ﴿ يَسَنِيَ إِسْرَهِ بِلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيَ ٱنْعَمْتُ عَلَيْكُرُ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِئَ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّلَى فَأَرْهَبُونِ ﴿ إِنَّ البقرة: ٤٠]

قال (٧) في قوله تعالى: ﴿يَبَنِى إِسْرَهِيلَ﴾: "إسرائيل هو (١) يعقوب (٢) وقوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا يِعْبَقِ النِّي أَنْعَتُ عَلَيْكُو﴾ "قال مجاهد: نعمة الله التي أنعم (٣) الله بها عليهم فيما سمى وفيما سوى ذلك أن فجر لهم البحر، وأنزل عليهم المن والسلوى، ونجاهم من عبودية آل فرعون (٤)، وقال أبو العالية: نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب (٥)، قلت: وهذا كقول (١) موسى اللهم المهم: ﴿يَقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيانَهُ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَلَكُم مَّا لَهِ يَهْدِئَمُ اللّهِ يَعْنِي في زمانهم (٧)، "﴿وَأَوْفُوا بِهَدِئَ أُونِ لِهَدِئَمُ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيالَهُ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَلَكُم مَّا وَفِ يَهْدِئُمْ } [المائدة: ٢٠]؛ يعني في زمانهم (٧)، "﴿وَأَوْفُوا بِهَدِئَ أُونِ يَهْدِئُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠]. قال: بعهدي الذي أخذت في أعناقكم للنبي (٨) عليه إذا

⁽١) بعدها في مطبوع التفسير ابن كثير؟: اهو نبي الله،

⁽۲) راجع اتفسير ابن كثير، (١/ ٣٧٣).

⁽فائلة): أنت إذا تأملت القرآن الكريم، ورأيته يخاطب المشركين واليهود والنصارى، وكل من اتخذ معبوداً غير الله تعالى، ويخاطب المؤمنين بوجه خاص، تجلّى لك البرهان بعموم رسالة من أنزل عليه، فكن لهذا السّر حافظاً، وأمعن النظر فيه تزدد إيماناً وهدى. قاله العلامة ابن بلران في «جواهر الأفكار» (١٨٧).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أنعم بها».

⁽٤) أُخْرَجه ابَّن جرير (١/ ٥٩٥)، وابن أبي حاتم (١/ ٩٥) رقم (٤٣٦)، وهو صحيح عنه.

⁽٥) أخرجه ابن جرير (١/ ٥٩٥)، وابن أبي حاتم (١/ ٩٥) رقم (٤٣٥).

⁽٦) كذا في مطبوع (تفسير ابن كثير)، وفي الأصل: «يقول»!

⁽٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٤).

⁽A) في مطبوع (تفسير ابن كثير»: «للنبي محمد».

جاءكم (١) أنجز لكم ما وعدتكم عليه من تصديقه (٢) واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار (٣) والأغلال التي كانت من أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم.

وقال الحسن البصري: هو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَدَ اللّهُ مِيثَنَى بَنِ عَلَيْ اللّهُ مِيثَنَى بَنِ السّكَوْدَ وَمَالَ اللّهُ إِنّي مَعَكُمٌ لَبِنَ أَفَعْتُمُ الصّكُوْدَ وَمَانَتُمُ النّكُونَ وَمَانَتُمُ النّكُونَ وَمَانَتُمُ النّكُ وَمَانَتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَوْرَ عَنكُم سَيّنَاتِكُمْ وَلَاَيْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَوْرَ عَنكُم سَيّنَاتِكُمْ وَلَاَيْكُمْ وَلَاَيْتُهُ اللّهِ اللّهِ الله الله عليهم في التوراة أنه سيبعث من بني إسماعيل (٤) نبياً عظيماً (٥).

فصل في ذكر البشارة بنبينا على من التوراة

قال الرازي: في (الجزء الثالث) من «تفسيره» (ص٢٦)^(٦): «وسنذكر^(٧) الآن بعض ما جاء في كتب الأنبياء المتقدمين من البشارة بمقدم محمد ﷺ:

فالأول: جاء في (الفصل التاسع) من (السفر الأول) من «التوراة» «أن هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك من قبل الله، فقال لها: يا هاجر، أين تريدين ومن أين أقبلت؟ فقالت: أهرب من سيدتي سارة! فقال لها: ارجعي إلى سيدتك واخفضي لها فإن الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابناً وتسمّينه إسماعيل، من أجل أن الله سمع تبتّلك وخشوعك، وهو يكون عين (٨) الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، وهو يشكر على

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أوف بعهدكم، أي:».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بتصديقه».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الإصر».

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «بني إسرائيل».

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

⁽٦) المسمى بـ«التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب» (٣٠ ٣٤ ـ ٣٦)، ط. دار الكتب العلمية.

٧) في المطبوع من «التفسير الكبير»: «ولنذكر».

⁽A) كذا في "تفسير الرازي"، وفي الترجمة الحالية للتوراة: سفر التكوين: الإصحاح السادس عشر (١١): "وإنه يكون إنساناً وحشياً". ونقلها ابن تيمية في "الجواب الصحيح" (٧٢٣): "وحشى الناس".

رغم جميع إخوته (١) ، واعلم أن الاستدلال بهذا الكلام أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة وليس يجوز أن يبشر الملك من قبل الله بالظلم والجور وبأمر لا يتم إلا بالكذب على الله تعالى، ومعلوم أن إسماعيل وولده لم يكونوا متصرفين في الكل، أعني في معظم الدنيا ومعظم الأمم، ولا كانوا مخالطين للكل على سبيل الاستيلاء إلا بالإسلام؛ لأنهم كانوا قبل الإسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في أوائل العراق وأوائل الشام إلا على أتم خوف، فلما جاء الإسلام استولوا على الشرق والغرب بالإسلام، ومازجوا الأمم ووطئوا بلادهم ومازجتهم الأمم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة، فلو لم يكن النبي على صادقاً لكانت هذه المخالطة منهم للأمم ومن الأمم لهم معصية لله تعالى وخروجاً عن طاعته إلى طاعة الشيطان، والله يتعالى عن أن يبشر مما هذا سبيله.

والثاني: جاء في (الفصل الحادي عشر) من (السفر الخامس): "إن الرب إلهكم يقيم لكم نبياً مثلي من بينكم ومن إخوانكم" وفي هذا الفصل: "إن الرب تعالى قال لموسى: "إني مقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوانهم وأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه". وهذا الكلام يدل على أن النبي الذي يقيمه الله تعالى ليس من بني إسرائيل، كما أن من قال لبني هاشم إنه سيكون من إخوانكم إمام أعقل منه أنه (٢) لا يكون من بني هاشم، ثم إن يعقوب على هو إسرائيل، ولم يكن له أخ إلا عيص (٣) ولم يكن للعيص ولد من الأنبياء سوى أيوب وإنه كان قبل موسى الله من فلا يجوز أن يكون موسى الله مبشراً به. وأما إسماعيل فإنه كان أخاً لإسحاق والد يعقوب، ثم إن لبي بعث بعد موسى كان من بني إسرائيل. فالنبي على ما كان منهم لكنه من إخوانهم لأنه من ولد إسماعيل الذي هو أخ ألى اسحاق الله .

فإن قيل: قوله: «من بينكم» يمنع من أن يكون المراد محمداً «من بينكم» للنه

⁽١) انظر: «العهد القديم» (ص٢٣).

⁽٢) في مطبوع «التفسير الكبير»: «عقل أنه».

⁽٣) في مطبوع «التفسير الكبير»: «العيص».

⁽٤) في مطبوع «التفسير الكبير»: «أخو».

⁽٥) كذا في مطبوع «التفسير الكبير»، وفي الأصل: «محمد»!



لم يقم من بين بني إسرائيل، قلنا: بل قد قام من بينهم؛ لأنه على ظهر بالحجاز فبعث بمكة وهاجر إلى المدينة وبها تكامل أمره، وقد كان حول المدينة بلاد اليهود كخيبر، وبني قينقاع، والنضير وغيرهم، وأيضاً فإن الحجاز يقارب الشام وجمهور اليهود كانوا إذ ذاك بالشام، فإذا قام محمد بالحجاز فقد قام بينهم (۱)، وأيضاً فإنه إذا كان من إخوانهم فقد قام من بينهم، فإنه ليس ببعيد منهم.

الثالث: قال في (الفصل العشرين) من هذا «السفر»: "إن الرب تعالى جاء من (٢) طور سيناء وطلع لنا من ساعير وظهر من جبال فاران وصفّ عن يمينه القديسون (٣)، فمنحهم العز وحببهم إلى الشعوب ودعا لجميع قديسيه بالبركة». وجه الاستدلال أن جبال فاران هي بالحجاز (٤)؛ لأن في التوراة أن إسماعيل تعلم الرمي في برية فاران، ومعلوم أنه إنما سكن بمكة، إذا ثبت هذا فنقول: إن قوله: "فمنحهم العز» لا يجوز أن يكون المراد إسماعيل على الله لأنه لم يحصل عقب (٥) سكنى إسماعيل على هناك عز ولا اجتمع هناك القديسون (٢)، فوجب حمله على محمد على النهود: المراد أن النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير نار أيضاً، ومن جبل فاران أيضاً فانتشرت في هذه المواضع.

قلنا: هذا لا يصح؛ لأن الله تعالى لو خلق ناراً في موضع فإنه لا يقال: جاء الله من ذلك الموضع إلا إذا تبع تلك^(٨) الواقعة وحي نزل في ذلك الموضع أو عقوبة وما أشبه ذلك، وعندكم إن لم يتبع ظهور النار وحي ولا كلام إلا من طور سيناء، فما كان ينبغي إلا أن يقال: «جاء الله من طور سيناء

⁽١) في مطبوع «التفسير الكبير»: «من بينهم».

⁽٢) في مطبوع «التفسير الكبير»: «في».

⁽٣) في مطبوع «التفسير الكبير»: «عنوان القديسين».

⁾ في مطبوع «التفسير الكبير»: «إن جبل فاران هو بالحجاز». قال أبو عبيدة: نقل ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٢٠٠/٥) عن ابن قتيبة قوله: «وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن (فاران) هي مكة، فإن ادّعوا أنها غير مكة، فليس ينكر؛ ذلك من تحريفهم وإفكهم».

⁽٥) في مطبوع «التفسير الكبير»: «عقيب».

⁽٦) في مطبوع «التفسير الكبير»: «ربوات القديسين».

⁽V) في مطبوع «التفسير الكبير»: «عليه السلام».

⁽A) في مطبوع «التفسير الكبير»: «من ذلك إذا تابع ذلك».



فأما أن يقال»(١): ظهر من ساعير ومن جبل فاران فلا يجوز وروده، كما لا يقال: جاء الله من الغمام إذا ظهر في الغمام احتراق ونيران كما يتفق ذلك في أيام الربيع(٢).

وأيضاً ففي كتاب «حبقوق»^(٦) بيان ما قلنا، وهو تجلي^(١) الله من طور سيناء القدس^(٥) من جبل فاران لو انكشفت^(٦) السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، يكون شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعزه، تسير المنايا أمامه، ويصحب سباع الطير أجناده قام فمسح الأرض وتأمل الأمم وبحث عنها فتضعضعت الجبال القويمة^(٧)، واتضعت الروابي الدهرية، وتزعزعت ستور أهل مدين، ركبت الخيول وعلوت مراكب الانقياد والغوث، وستنزع في قسيك إغراقاً

⁽١) سقط من مطبوع «التفسير الكبير».

⁽٢) لا يمكن أحداً أن يدّعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي. فعلم أنه ليس بالمراد باستعلانه من جبال فاران إلّا إرسال محمد على وهو _ سبحانه _ ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني، فذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه.

وقال في الأول: «جاء أو ظهر»، وفي الثاني: «أشرق»، وفي الثالث: «استعلن». وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، زاد به النور والهدى، وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولهذا قال: «واستعلن من جبال فاران»؛ فإن النبي هم ظهر به نور الله وهذاه في مشرق الأرض ومغربها، أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين، كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغاربها، ولهذا سماه الله سراجاً منيراً، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً. والخلق يحتاجون إلى السراج المنير، أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج؛ فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وكما قيل: قد يَنْضَرّون به بعض الأوقات. وأما السراج المنير. فيحتاجون إليه كل وقت، وفي كل مكان، ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية. قائه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٥/ ٢٠٣ ـ ٣٠٣).

وذكر هذه النبوءة للسموأل بن يهوذا في كتابه «بذل المجهود في إقناع اليهود»، ونقلها عنه ابن بدران في «جواهر الأفكار» (١٨٩ ـ ١٩٢).

⁽٣) انظر (سفر حبقوق) من (الإصحاح الثالث) (٣ ـ ٧)، العدد القديم (١٠٤٦).

⁽٤) في مطبوع «التفسير الكبير»: «جاء».

⁽a) في مطبوع «التفسير الكبير»: «والقدس».

⁽٦) في مطبوع «التفسير الكبير»: «وانكشفت».

⁽V) في مطبوع «التفسير الكبير»: «القديمة».

ونزعاً وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء، وتخور الأرض بالأنهار، ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب (۱) السيل، ونفرت المهاري نفيراً ورعباً، ورفعت أيديها وجلاً وفرقاً، وتوقفت (۱) الشمس والقمر عن مجراهما، وسارت العساكر في برق سهامك ولمعات بيانك (۱) تدوّخ الأرض غضباً وتدوس الأمم زجراً؛ لأنك ظهرت بخلاص أمتك وإنقاذ تراب آبائك» هكذا نقل عن ابن ربّن (۱) الطبري.

أما النصارى، فقال أبو الحسين كلله في كتاب «الغرر»: قد رأيت في نقولهم: «وظهر من جبال فاران لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود وترتوي السهام بأمرك المحمود؛ لأنك ظهرت بخلاص أمتك وإنقاذ مسيحك»، فظهر بما ذكرنا أن قوله تعالى في التوراة: «ظهر الرب من جبال فاران». ليس معناه ظهور النار منه بل معناه ظهور شخص موصوف بهذه الصفات، وما ذاك إلا رسولنا محمد على فإن قالوا: المراد مجيء الله؛ ولهذا قال في آخر الكلام: (وإنقاذ مسيحك)، قلنا: لا يجوز وصف الله تعالى بأنه يركب الخيول وبأن شعاع منظره مثل النور، وبأنه جاز المشاعر القديمة، وأما قوله: (وإنقاذ مسيحك)، فإن محمداً هي أنقذ المسيح من كذب اليهود والنصارى» (٥).

⁽١) الشؤبوب: الدّفعة من المطر.

⁽٢) في مطبوع «التفسير الكبير»: «وفوفقت».

⁽٣) في مطبوع «التفسير الكبير»: «ولمعان بيانك»، وفي «الجواب الصحيح»، و«الدين والدولة»: «ولمعان نيازكك».

⁽³⁾ في الأصل تبعاً للاتفسير الرازي»: "ابن رزين»!! وهو خطأ، صوابه المثبت، وهو علي بن رَبَّن الطبري، كان نصرانياً كاتباً في حدود الثلاثين والمئتين، قال ابن ناصر الدين في "التوضيح" (٤/ ١٣٢): "بفتح أوله والموحدة معاً» وخفف ابن ماكولا في "الإكمال» (٤/ ٢) والفيروزآبادي في "القاموس» (مادة ربن) الباء الموحدة، قال ابن ناصر الدين: "والموحدة من اسم أبيه شددها المصنف أي: الذهبي فيما وجدته بخطه، وهي كذلك، وقد خقفها غيره». قال أبو عبيدة: طبع له "الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد الشها، وله ترجمة في "طبقات الأطباء» (ص٤١٤)، و"الفهرست» للنديم (٣٥٤). وذكر ابن حجر في "التبصير» (٢/ ٥٨٩) أن (الربن) المتقدّم في شريعة اليهود.

⁽٥) انتهى كلام الرازي، وهو مأخوذ من ابن رَبَّن في كتابه «الدين والدولة» (الباب التاسع والعاشر) (ص١٦٨ ـ ١٦٨)، وأورد (نبوءة حبقوق) (الباب العاشر) (ص١٦٨ ـ ١٧٠)، وقال على إثرها:



∺ الباب الثالث 😽

قوله تعالى: ﴿ وَإِيَّنِي فَأَتَّقُونِ ﴾ [البقرة: ٤١]

إنه تعالى يتوعدهم فيما يتعمدونه من كتمان الحق وإظهار خلافه ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

قال محمد تقي الدين الهلالي: والتقوى: اجتناب النواهي وامتثال الأوامر، فمن اتخذ شخصاً غير معصوم يجتنب كل ما نهاه عنه ويمتثل كل ما أمره به، فقد اتخذ مع الله إلها آخر، فإن كل واحد غير معصوم، وإن بلغ في العلم والصلاح ما بلغ لا يقبل قوله في الدين حتى يعرض على كتاب الله وسنة رسوله فما وافق يؤخذ وما خالف يترك، وغلاة المتصوفة يأمرون المريدين أن يطيعوا شيوخهم في كل ما يأمرون به بدون سؤال ولا مراجعة، ويقولون: (من قال لشيخه: «لم»؟ لا يفلح أبداً) وقال شاعرهم (۱):

وكُنْ عنده كالميْتِ عند مُغَسِّلِ يُقَلِّبهُ ما شاء وهو مطاوع وكُنْ عنده كالميْتِ عند مُغَسِّلٍ يُقلِّبه ما شاء ويقولون: إذا رأيت امرأة حسناء دخلت على شيخك فقم سخِّن الماء،

[«]فهذه النبوة الباهرة الجليلة التي لا شك فيها ولا مرية، فقد نطقت بالحق وباحت بالمكتوم وكشفت الأغطية وأزالت الشبهات، وسمّى الله النبي على تسمية مرّتين، وأخبر أن المنايا تسير أمامه وتصحب سباع الطيّر راياته، وأنه يركب الخيل ويظهر الخلاص وترتوي السهام بأمره من الرّماء، وهو الذي وقفت الشمس والقمر عن مجاريهما له، وسار العساكر في بريق سهامه ولمعان نيازكه. فإن لم يكن هو الذي وصفنا فمن إذاً؟ لعلهم بنو إسرائيل المأسورون المسبيون، أو النصارى الخاضعون المستسلمون. وكيف يكون ذلك وقد سمّى فيها النبيّ مرتين ووصَف عساكره وحروبه، وأنه يدوسُ الأمم دوساً ويُدوّخهم غضباً ورجْزاً؟ فدَعُوا يا بني عمّي اللجاج والمَحك، وتجرّعُوا مَراراتِ الحقّ وأفيقوا من سكركم، وافهموا عن الله تعالى وعن أنبياءه البررة الطيبين عليهم السلام والصلاة أجمعين».

وقال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (٥/ ٢٦٩) على إثره:

[«]وهذا تصريح بمحمد، ومن رام صرف نبوة حبقوق هذه عن محمد على فقد رام ستر النار، وحبس الأنهار، وأخبر بقوة أمته، ولنار، وحبس الأنهار، وأنّى يقدر على ذلك؟! وقد سماه باسمه مرتين، وأخبر بقوة أمته، وسير المنايا أمامهم، واتباع جوارح الطير آثارهم. وهذه النبوة لا تليق إلّا بمحمد، ولا تصلح إلّا له، ولا تدل إلّا عليه. فمن حاول صرفها عنه، فقد حاول ممتنعاً».

⁽۱) هو القطب الجيلي، سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت٨٣٢هـ)، وقال على إثره: ولا تعترض فيما جَهلتَ من امرِهِ عليه فإنّ الاعتراضَ تنازُعُ



وأقوالهم في ذلك كثيرة، فهؤلاء اتخذوا شيوخهم أرباباً من دون الله، ﴿وَمَا أُمِرُوّا إِلَّا لِيَعَبُدُوٓا إِلَاهًا وَحِدُا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبَحَانَهُ عَكَمّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

🛱 الباب الرابع 🗟

قوله تعالى: ﴿وَاتَقُواْ يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسُ عَن نَفْسِ شَيْئًا وَلَا يُقَبَلُ مِنْهَا شَفَعَةُ وَلِهِ يَوْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةُ وَلِهِ يُقَبِلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

لمّا ذكّرهم تعالى بنعمه أولاً عطف على ذلك التحذير من طول عقابه لهم يوم القيامة، فقال: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾؛ يعني: يوم القيامة ﴿ لَّا يَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْتًا ﴾ أي: لا يغني أحد عن أحد كما قال: ﴿ وَلا لَزِرُ وَانِرَةٌ وِزْدَ أُخْرَئُ ﴾ [الإسراء: ١٥] وقال: ﴿ لِكُلِّ آمْرِي مِنْهُمْ يَوْمَهِذِ شَأَنُّ يُغِينِهِ ۞ [عـــــــــــ : ٣٧] وقــــال : ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْمُ وَأَخْشُواْ يَوْمًا لَا يَجْزِعُ وَالِدُّ عَن وَلَدِهِ. وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ. شَيْئًا﴾ [الـقـمـان: ٣٣] لهذا أبلغ التحذير، أن كلاً من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئاً وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً ﴾؛ يعني: من الكافرين كما قال: ﴿ فَمَا نَنفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّيْفِينَ ﴿ ﴾ [المدثر: ٤٨] وكما قال في أهل النار: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَيْفِينَ ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمِ ﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخُذُ مِنْهَا عَدَّلُ﴾ أي: لا يقبل منها فداء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاثُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلَهُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلُو ٱفْتَدَىٰ بِلِّهِ ﴾ [آل عمران: ٩١] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَكَ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَمُ مَعَكُم لِيَفَتَدُوا بِدِ. مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ ٱلْقِيْمَةِ مَا لُقُيِّلَ مِنْهُمَّ وَلَمُتْم عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿ إِلَا مَائِدة: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلِ لَا يُؤَخَذْ مِنْهَ ۗ ﴾ [الأنسمِام: ٧٠] وقسال: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوأً مَأْوَىنكُمُ ٱلنَّارُّ هِيَ مَوْلَنكُمْ ﴾ الآية [الحديد: ١٥]، فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه، فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء ولو بمِل، الأرض ذهباً كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤] قال ابن عباس: ﴿وَلَا يُوْخَذُ مِنْهَا عَدُلُ ﴾ قال: «بدل، والبدل: الفدية»(١)، وقال أبو العالية: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا

⁽١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٦٣٨) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» له ولابن المنذر.



عَدَلُ الْهِ اللهِ عَلَمَ اللهِ اللهِ وروى ابن جرير في ذلك حديثاً مرفوعاً (٢)، وقوله تعالى:
وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ اللهِ اللهِ وَلا اللهِ فينصوهم وينقذهم من عذاب الله كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ولا ذو جاه، ولا يقبل منهم عذاء. ولا لهم ناصر من أنفسهم ولا من غيرهم، كما قال: ﴿فَا لَهُ مِن فُوَّ وَلَا نَاسِ فَداء. ولا لهم ناصر من أنفسهم ولا من غيرهم، كما قال: ﴿فَا لَهُ مِن فُوَّ وَلَا نَاسِ فَلَا الطارق: ١٠] أي أنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ أحداً من عذابه منقذ، ولا يخلص منه أحد، ولا يجير منه أحد، كما قال تعالى: ﴿وَمُورَ يُحِيرُ وَلَا يَجُهُ اللهِ عَلَيْهُ أَدَّ اللهِ وَقَالَ: ﴿فَيَوَمَ إِلَا يُعْلَبُهُ أَدَّ اللهِ وَلَا يُعْلَمُ اللّهِ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ اللهُ اللهِ وَقَالَ: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ اللّهِ اللهُ اللهُ مُن اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ مَن أَوْلُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

🚧 الباب الخامس 🖖

قىولى تىعىالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنَقَ بَنِى إِسْرَهِ بِلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إخسكانًا وَذِى الْقُرْنِيَ وَالْيَكَنِينِ وَالْمُسَكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَآفِيحُواْ الطّكلُوةَ وَ النُّوا الزَّكُوةَ ثُمَّ تَوَلِّتُهُمْ إِلَّا فَلِيهُ لَا مِنكَمَّمَ وَأَنشُم مُعْرِضُونَ فَي وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَكَامُمُ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُحْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيكِمُمُ مُّمَ أَنشُمْ هَنُولَا إِنَّا اللَّهُ مَنْ اللَّهِ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْمُولِلَا اللَّهُ اللَّه

⁽۱) أخرجه ابن جرير (۱/ ۱۳۸)، وابن أبي حاتم (۱/ ۱۰۵) في «تفسيريهما».

⁽Y) يشير إلى ما أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٦٣٨/١ ـ ٦٣٩) بسنده إلى عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء قال: قيل: يا رسول الله ما العدل؟ قال: «العدل الفدية». والحديث ضعيف، عمرو بن قيس من أتباع التابعين وشيخه مجهول.

⁽٣) أخرجه ابن جرير (١/ ٦٤٠)، وإسناده منقطع.

⁽٤) · انظر: «تفسير ابن جرير» (١/ ٦٣٩).

وَيُحْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِينرِهِمْ تَظَلَهُرُونَ عَلَيْهِمْ بِأَلَاثِمْ وَالْعُدُونِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسكرَىٰ تُفَكَدُوهُمْ وَهُو مُحَرَّمُ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِنْفِ وَتَكُفُّرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآهُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيُّ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنِيَا وَيَوْمَ الْقِينَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِ الْعَذَاتِ وَمَا اللَّهُ بِعَنفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ شِي أُولَتِهِكَ اللَّذِينَ الشَّتَرُوا الْحَيَوْةَ الدُّنِيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُحَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ شِي اللَّهُ اللِفرة: ٨٥- ١٨١

قال (ك): "يذكِّر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك، وأنهم تولوا عن ذلك كله وأعرضوا قصداً وعمداً وهم يعرفونه ويذكرونه، فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وبهذا أمر جميع خلقه، ولذلك خلقهم كمَّا قال تعالى: ﴿وَمَاۤ أَرْسَلْنَكَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ إِلَّا نُوبِح ٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُونِ ﴿ إِلَّانْبِياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُواْ الطَّلاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها وهو حق الله تبارك وتعالى أن يعبدوه (١) وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ولهذا يقرن تبارك وتعالى(٢٠) بين حقه وحق الوالدين كما قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَلِدَيْكَ إِلَى ٱلْمُصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤] وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَقَعَنَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَدَنَّا ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى أن قال: ﴿وَمَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّامُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦] وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود: قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»(٣). ولهذا جاء في الحديث الصحيح: (أن رجلاً قال: يا رسول الله من أبر؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أباك ثم أدناك ثم أدناك»)(٤).

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أن يعبد».

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كثيراً».

⁽٣) أخرجه البخاري رقم (٥٢٧)، ومسلم رقم (٨٥).

⁽٤) أخرجه أبو داود (٥١٣٩)، والترمذي (١٨٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣)، وأحمد (٥/٥)، وعبد الرزاق (٢١/ ٢٠)، وهناد (٩٦٥)، والطحاوي في «المشكل» =



وقوله تعالى: ﴿لَا تَعَبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] قال الزمخشري: خبر بمعنى الطلب وهو آكد (١)، وقيل: كان أصله ﴿أَلَا تَتَبُدُواَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ كما قرأها من قرأها من السلف، فحذفت «أن» فارتفع، وحكى عن أبي وابن مسعود (٢) أنهما قرآها: ﴿لَّا نَعَبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ ونقل هذا التوجيه القرطبي في «تفسيره» عن سيبويه، قال: واختاره الكسائي والفراء (٣).

قال: ﴿وَٱلْمَتَكَىٰ﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء ﴿وَٱلْسَكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم، وسيأتي الكلام على هذه الأصناف عند آية النساء التي أمرنا الله تعالى بها صريحاً في قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعاً وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَا﴾ الآية [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسّنَا﴾ [البقرة: ٨٨] أي: كلموهم طيباً ولينوا لهم جانباً، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسّنَا﴾ فالحُسْن من القول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحكم (٤) ويعفو ويصفح ويقول للناس حسناً كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله.

وقال الإمام أحمد أنه بسنده عن أبي ذر ولله عن النبي الله أنه قال: «لا تحتقرن من المعروف شيئاً، وإن لم تجد؛ فالق أخاك بوجه منطلق أنه وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسناً بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل، فجمع بين

^{= (}١٦٦٧، ١٦٦٧)، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٣٤٤)، والطبراني في «الكبير» (١٩/رقم ٩٥٧) والبيه قي (١٧٩/٤) وفي ٩٥٧ - ٩٦٤)، والحاكم (٣/ ٦٤٢) و (١٥٠/٤)، والبيه قي (١٧٩/٤) وفي «الشعب» (٧٨٣٩) كلهم من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وإسناده حسن؛ والحديث صحيح لغيره.

⁽١) انظر: «تفسير الكشاف» (١/٩٩/١).

⁽٢) انظر: «معاني الفراء» (١/ ٥٣)، و«البحر المحيط» (١/ ٢٨٢)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٣٧٢)، و«مختصر ابن خالويه» (٧)، وقال الزجاج في «معانيه» (١/ ١٦٢): «لا يقرأ؛ لأنه مخالف للمصحف».

⁽٣) (٣) (١٣ /١٠) المبرد.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ويعلم».

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «حدثنا روح، حدثنا أبو عامر الخزاز، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت» وقد وضع الشيخ تقي الدين «بسنده» اختصاراً، هكذا في جميع الكتاب.

⁽٦) أخرجه أحمد (١٧٣/٥)، ومسلم (٢٦٢٦)، والترمذي (١٨٣٣) وغيرهم.



طرفي الإحسان الفعلي والقولي، ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتعين (١) من ذلك، وهو الصلاة والزكاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا اَلْمَهُوا وَعَاتُوا اَلرَّكَاةَ ﴾ الله المتعين (٢) من ذلك، وهو الصلاة والزكاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا اَلْمَهُوا اَلْمَهُوا اَلْمَاوَا عَن ذلك كله، أي: تركوه وراء ظهورهم، وأعرضوا عنه عهد بعد العلم به _ إلا القليل منهم، وقد أمر الله هذه الأمة بنظير ذلك في سورة النساء بقوله: ﴿ وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا وَبِالْوَالِدُينِ إِحْسَنَا وَبِذِي الْقُرْبِي وَالْمَاحِينِ وَالْمَاعِينِ وَالْمَاعِينِ وَلَامِينَاحِينَ اللّهِ وَمَا مَلَكُمُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ لَا يُعِينُ مَن كَانَ مُعَدَّاكُ فَحُورًا ﴿ وَالْمَاحِينَ وَالْمَاءِ وَالْمَاعِينَ اللّهِ وَالْمَاحِينِ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَلَامِينَامِ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمُرَاعِينَ وَالْمَاعِينَ وَالْمَامِينَ وَالْمَامِينَ وَالْمَامِينَ وَالْمِينَامِينَ وَالْمَامِينَ وَالْمَامِينَ وَالْمَامِينَ وَالْمَامِينَ وَالْمَامِينَامِينَ وَالْمَامِينَ وَلَامِينَامِينَامُ وَالْمَامِينَامِينَ وَالْمَامِينَ وَالْمُعَامِينَ وَالْمَامِينَ وَ

ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَ أَخَذْنَا مِينَقَكُمْ لَا شَغْكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِن دِيكُوكُمْ أَعْرَبُمْ أَعْرَبُمْ أَعْرَبُمُ أَعْرَبُمُ وَأَنشُر مَشْهَدُونَ ﴿ فَي الْعَبْمِ وَالْعُدُونِ وَإِن يَانُوكُمْ أَسَكُمْ وَتُحْرِجُونَ فَرِيقًا مِينَكُمْ مِن دِيكُوهِمْ تَظَلَهُرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِنْمِ وَالْعُدُونِ وَإِن يَانُوكُمْ أُسْكَرَى ثُفَلَدُوهُمْ وَهُو مِنكُمْ مِن دِيكُوهِمْ تَظَلَهُرُونَ عَلَيْهِم أَلْهُرُونَ بِبَعْضِ الْكِنْكِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضُ فَمَا جَزَاءُ مَن مُعَرَّمُ عَلَيْكُمْ أَلْكَ مِن عَلَيْكُمْ إِلَا خِرَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنِيَا وَيَوْمَ الْقِيكَةِ يُرَدُّونَ إِلَى آشَدِ الْعَذَاتِ وَمَا اللّهُ الْعَيْوَ الدُّنِيَا وَيَوْمَ الْقِيكَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَنَاتِ وَمَا اللّهُ بِغَيْفِلِ عَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ أَوْلَتُهِكَ الّذِينَ الشّيَوُا الْحَيْوَةَ الدُّنِيَا بِالْآخِوَةُ فَلَا يُحْفَقُلُ مَا اللّهُ بِغَيْفِلِ عَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ أَوْلَتُهِكَ الّذِينَ الشّيَوُا الْحَيْوَةَ الدُّنِيَا بِالْآخِوَةُ فَلَا يُحْفَقُلُ مَا اللّهُ بِغَيْفِلِ عَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ أَلْ الْعَيْنَ الْمُتَوْلُ الْحَيْوَةُ الْدُنِيَا الْحَيْوَةُ الدُّنِيَا فَالْالِحُونَ اللّهُ مَن الْعَمَوْنَ اللّهُ الْعَمَالُونَ اللّهُ الْمَنْ اللّهُ الْمَنْونَ اللّهُ الْعَلَولُ الْمُعَلِلَ الْمُؤْلُونَ اللّهُ الْعَلَالُ مِن الْمَعْوِلُ الْعَيْوَةُ الْمُهُمُ الْمُكُونَ وَلَا اللّهُ مِنْ الْمَعْوَلُ الْمُكُونَ الْمُعُونَ اللّهُ الْمُنْ الْمُعَلِيْدُ الْمُ الْعَلَالُ الْعَلَيْدِهُ الْمُعَلِي الْعَلَالُ الْعَلَالُ الْمُؤْلُونَ الْمُؤْمُ الْمُونَ اللّهُ الْمُعَلِيْدُ الْمُعَلِيْدُونَ الْمُعَلِّمُ الْمُؤْلُ الْمُعَلِيْدُولُونَ الْمُؤْمِنُ اللّهُ الْمُؤْمِدُونَ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُعْلِقِينَ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمُونَ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُونَ الْمُؤْمُ الْمُعْمُونَ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُونُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُونُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُعُومُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُونُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُو

«بقول الله تبارك وتعالى منكاً على النصد الذين كانوا في زمان وسوار الله عليه



من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَتُوْمِنُونَ يِبَعْضِ الْكِكُنْبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ البقرة: ٥٥] ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِينَفَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَحْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِن دِيكِرِكُمْ ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً ولا يخرجه من منزله، ولا يظاهر عليه كما قال تعالى: ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَادِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَيرٌ لَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِند بَادِيكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٥] وذلك أن أهل الملة الواحلة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر (١٠).

وقوله تعالى: ﴿ مُ اَقْرَدُمُ وَأَنتُم تَشْهَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته وأنتم تشهدون به ﴿ مُ أَنتُم كُولَا وَ تَقْلُونَ اَنفُسَكُم وَ وَيُومِم الآية [البقرة: ١٨٥]، قال: محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة (٢) عن أبن عباس: ﴿ مُ أَنتُم كُولًا وَ تَقْلُونَ اَنفُسَكُم وَ مُ يُحْرِجُنَ فَرِيقًا مِنكُم مِن يكرهِم الآية والنقم قال: الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم قال: الأنباهم (١) الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها افتداء (١) أسراهم، فكانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع والخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانهم، حتى تسافكوا (١٥) دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج ولا حلالاً ولا حراماً، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم في أيدي الأوس، في التوراة وأخذاً به (٢) يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، في أيدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلبون (٢) ما أصابوا من ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلبون (٢) ما أصابوا من

⁽١) أخرجه مسلم رقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير.

⁽٢) في الأصل: «وعكرمة» والمثبت من مصادر التخريج.

⁽٣) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "أنّهم". (٤) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "فداء".

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يتسافكوا».

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بعضهم من بعض».

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ويطلون».



دمائهم وقتلوا (١) من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم.

يقول الله تعالى ذكره حيث أنبأهم ذلك (٢) ﴿ أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِئْكِ وَتَكُفُّرُونَ بِبَعْضٍ ٱلْكِئْكِ وَتَكُفُّرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥] أي: تفادونهم بحكم التوراة وتقتلونهم، وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظاهر عليه إلا من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دون الله (٣) ابتغاء عرض الدنيا، ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة (٤).

وقال أسباط عن السدي عن عبد خير قال: "غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي بلنجر (٥) فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة وأصبنا سبايا واشترى عبد الله بن سلام يهودية بسبعمائة فلما مر بعراس الجالوت نزل به فقال له عبد الله: يا رأس الجالوت هل (٦) في عجوز ههنا من أهل دينك تشتريها مني؟ قال: نعم، قال: أخذتها بسبعمائة درهم، قال: فإني أربحك سبعمائة أخرى، قال: فإني حلفت أن لا أنقصها من أربعة آلاف، قال: لا حاجة لي فيها، قال: والله لتشترينها أو لتكفرن بدينك الذي أنت عليه، قال: ادن مني فدنا منه فقرأ في أذنه مما (١) في التوراة: (إنك لا تجد مملوكاً من بني إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته) ﴿وَإِن يَأَوُّكُمُ الْمَرَىٰ تُعَنّدُوهُمْ وَهُو مُحَرَّمُ عَلَيْتُمُ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ [البقرة: ٨٥] قال: أنت عبد الله بن اسلام؟ قال: نعم، قال: فجاء بأربعة آلاف، فأخذ عبد الله ألفين ورد عليه ألفين. . . » وهذا السياق ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها ومخالفة شرعها مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالحجة (٨)، فلهذا لا يؤمنون (١٩)

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقتلى». (۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بذلك».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من دونه».

⁽٤) أخرجه ابن إسحاق ـ كما في «سيرة ابن هشام» (٢/١٨٧) ـ ومن طريقه ابن أبي حاتم مفرقاً (١/٢٦٣ رقم ٨٦٥، ٨٦٥، ٨٦١، ٨٦١، ٨٦٤، ٥٨٦، ٥٨١، ٥١٠)، وابن جرير (٢/٢٠٧ ـ ٢٠٠٨) وإسناده ضعيف، محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت مجهول، قال الذهبي في «الميزان» (٢٦/٤): «لا يعرف»، وانظر: «العجاب» (٢٧٨/١)، و«تفسير ابن كثير» (٢/١٧١) ـ ٤٧٨).

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وتحرفت في الأصل إلى «خيبر»!

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لك».

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «التي».

⁽٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بالصحة».

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا يؤتمنون».



على ما فيها ولا على نقلها ولا يصدقون فيما كتموه (١) من صفة رسول الله ﷺ ونعته ومبعثه ومخرجه ومهاجره وغير ذلك من شؤونه التي أخبرت بها الأنبياء قبله عليه الصلاة والسلام(٢).

ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا جُزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا جُزَيُّ فِي الْحَيَوْةِ الْدُنْيَا ﴾ [البقرة: ٨٥] أي: لسبب^(٣) مخالفتهم شرع الله وأمره ﴿وَيَوْمَ الْقِينَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِ اللهِ اللهِ اللهِ الذي بأيديهم ﴿وَمَا اللهِ اللهُ الله

قال محمد تقي الدين: كل من ترك أمراً أمره الله به وهو قادر على فعله يعتبر كافراً بذلك الأمر، فإن الله الله أمر اليهود بأمور، أولها: أن لا يقتل بعضهم بعضاً، وثانيها: أن لا يخرج أحد أحداً منهم من داره، وثالثها: أن يفديه إذا وجده أسيراً، فارتكب اليهود اثنين من الممنوعات: أحدها: القتل، والثاني: الإخراج، وعملوا بواحد وهو الفداء فسماهم الله كافرين ببعض الكتاب أي بما لم يعملوا به، هذا صريح لا مفر منه للمتخاذلين (٧)، والله المستعان.

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يكتمونه».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «واليهود عليهم لعائن الله يتكاتمونه بينهم».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بسبب».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «جزاء على ما كتموه من كتاب الله».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي: استحبوها على الآخرة واختاروها».

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/٦٧١ ـ ٤٧٩).

⁽٧) وأنت خبير بأن الله تعالى إنما ذمهم؛ لأنهم لا همّ لهم إلا مقاومة دين الله وشرعه، والتلاعب به على مقتضى أهوائهم، حفظاً لرياستهم واستبداداً منهم على ضعفائهم، فانتقض بذلك أمرهم عليهم، وحل بهم ما حل من البلاء، وكذلك كل أمة سلكت هذا المسلك فإنه يصيبها ما أصابهم، ويتلاشى أمرها حتى ترجع إلى دينها، قاله ابن بدران في «جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار» (٢٥٣).

∺ الباب السادس 😣

قول ه تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَكَ فَرِيقٌ مِن الّذِينَ أُوتُوا الْكِنَبُ حِتنب اللّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّهِ مَا تَنْلُوا الشّيَطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَنَ وَمَا حَفَر سُلَيْمَنُ وَلَنكِنَ الشّيطِينَ كَفَرُوا يُعَلِمُونَ النّاسَ السِّحْ وَمَا أُنزِلَ عَلَى سُلَيْمَنُ وَلَنكِنَ الشّيطِينَ كَفَرُوا يُعَلِمُونَ النّاسَ السِّحْ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمُلَكِينَ بِبَابِلَ هَنرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعلّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَى يَقُولًا إِنّما خَنُ الْمُلَكِينَ بِبَابِلَ هَنرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعلّمانِ مِن أَحَدٍ حَتَى يَقُولًا إِنّما خَنُ وَمَا هُمُ وَنَا اللّهُ فَلَا تَكُفُرُ فَيَعَلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُعَرِقُونَ مِا يَصُرُونَ مَا يَصُرُهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يَصُرُونَ مَا يَصُرُونَ مَا شَكَرُوا وَلَقَوْلُ لَمَوْمَ لَوْ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يَصُرُونَ مَا يَصُرُونَ مَا يَصَلَي وَلِي اللّهُ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يَصُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يَصُونَ وَلَا لَا مَنُوا يَعْلَمُونَ مَا يَصُمُونَ وَلَا لَمَثُونَ مَا اللّهُ وَلَا لَمَوْنَ وَلَا لَمُونَ وَلَا لَامُونَ وَلَا لَاللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا لَا لَاهُ وَلَا لَا كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَا لَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا لَا لَعُلُولُ وَلَا لَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَا لَاللّهُ وَلَا لَا لَا لَهُ لَا كُولُونَ لَكُولُ اللّهُ وَلَا لَا لَكُولُ اللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَا لَا لَاللّهُ وَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ لَا لَاللّهُ وَلَا لَا ل

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَكِّفٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَنبَ﴾ الآية [البقرة: ١٠١].

المراد بالرسول هنا: نبينا محمد على، جاء اليهود بالحق وهو الإسلام والقرآن مصدقاً لما معهم من التوراة، فنبذت طائفة من اليهود وهم أكثرهم كتاب الله وهو القرآن الذي جاء به رسول الله على، وقيل: المراد به التوراة.

قال محمد تقي الدين: ولا تنافي بينهما فإن من كذب محمداً على فقد نبذ التوراة والقرآن جميعاً؛ لأن التوراة بشرت به وأخذ الله الميثاق على أهلها أن يؤمنوا به، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَقَ النِّيتِينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِن حِتَب وَحِكْمَة ثُمّ جَآءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم لَتُوْمِنُنَ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ وَالنَّبُكُم مِن كَانَهُ مَعَكُم مِن الشّهدِينَ وَالنَّهُ مَا الله وَالنَّا مَعَكُم مِن الشّهدِينَ وَالنَّه مَا الله وَالنَّا مَعَكُم مِن الشّهدِينَ الشّهدِينَ الشّهدِينَ الشّهدِينَ الشّهدِينَ الشّهدِينَ الله وَالنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَهَدُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ مَنَا قلِيلًا فَيْشَ مَا لَلْهِم الله والإعراض عنه.

وقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١] لمَّا لم ينفعهم علمهم



صاروا كمن لا يعلم، أي كالجاهلين، بل العالم الذي لا ينفعه علمه شر من الجاهل كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْمَقَّ بِٱلْبَعِللِ وَتَكْثُنُوا ٱلْمَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢] الخطاب هنا أيضاً لليهود.

قال محمد تقي الدين: لا أعلم آية في كتاب الله تعالى تحيرت في تفسيرها كما تحيرت في تفسيرها كما تحيرت في تفسير هذه الآية؛ لأن الناس من زمان الصحابة إلى يومتا هذا اختلفوا في تفسيرها، وأنا أستعين بالله وأختار القول الذي أراه صحيحاً مطابقاً للأصول، وما أبرئ نفسي من الخطأ، فأقول وبالله التوفيق: أكثر المفسرين على أن (ما)، موصولة، قمعناها أن الشياطين كانوا يعلمون الناس السحر ويعلمونهم ما أنزل على الملكين اللذين أنزلهما الله في بابل بأرض العراق يعلمان الناس

⁽۱) لا تلتفت إلى ما يسمى بالعهود السليمانية وما ينسجه القصاص عن (خاتمه) من أساطير، وكذا عن (بساطه).

⁽٢) هذا هو الصحيح، فليس كل السحر تخييلات وطلسمات، انظر تفصيل ذلك في: «عالم المسحر والشعوفة» (ص١٤٩ ـ ١٤٩).

السحر فتنة لهم، للتمييز بين من يؤمن بالله ويطيع الله ويلتزم حدوده، وبين من التبع هواه وكفر بالله وعصى أمره، وكانا لا يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويخبراه بالعاقبة الوخيمة لمن يتعلم السحر المشتمل على الكفر، فإذا أبى إلا التعلم والعمل به علماه، قالوا: ولا مانع أن يبتلى الله عباده بمثل هذا.

وقال آخرون ـ منهم ابن جرير الطبري سيد المفسرين في زمانه ـ: «أن، (ما)، نافية؛ أي: لم ينزل الله السحر على الملكين، وهما جبريل وميكائيل، أو هما (۱) ملكان آخران؛ لأن الله حرم السحر وجعله كفراً وشراً وفساداً، فكيف ينزله على الملكين ليعلماه الناس، وقد أخبر أن الشياطين هم الذين كفروا، وهم الذين يعلمون الناس السحر، فكيف يفعل الملكان ما تفعله الشياطين، والله لطيف بعباده؟»(۲).

وهذا القول هو الذي انشرحت له نفسي، واطمأن إليه قلبي، أما هاروت وماروت، فعلى القول الأول، هما اسمان للملكين، وعلى القول الذي اخترته وتبعت فيه ابن جرير، هما اسمان لرجلين من أهل بابل^(٣) كانا يفعلان ذلك وكانا

⁽۱) وقرئ (على الملِكين) بكسر اللام، وهي قراءة شاذة ولكنها صحيحة السند، ولا إشكال في القول بالنفي على هذه القراءة، أما على قراءة الفتح فقد قيل: إنهما كانا رجلين يشبهان الملائكة في صلاحهما. (انظر حاشية الجمل على الجلالين) (منه).

قال أبو عبيدة: المُلِكان ـ على هذه القراءة ـ يعني به: رجلين من بني آدم، وهي قراءة رويت عن ابن عباس والحسن بن علي وأبي الأسود الدؤلي والضحاك وابن أبزى وسعيد بن جبير والزهري وقتية عن الكسائي، وردّ هذه القراءة الطبري وخطأها.

انظر: «البحر المحيط» (١/ ٣٢٩)، «المحرر الوجيز» (١/ ٤١٧)، «المحتسب» (١/ ١٠٠)، «الكشاف» (١/ ٢٣١)، «معانى القرآن» (١/ ٦٤) للفراء، «الدر المصون» (١/ ٣٢١).

⁽٢) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢) وقد تصرف فيه المؤلف.

⁽٣) وعليه فإن هاروت وماروت بدل من الشياطين، وهذا _ كما قال القرطبي _ أولى ما حملت عليه الآية وأصح، قال: «ولا يلتفت إلى ما سواه» وتبنّاه ابن كثير، وجوّده شيخنا محمد نسيب الرفاعي كَثَلَثُهُ في «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٨٤) فقال: «قلت: إننا مع ابن كثير في تبنيه تأويل القرطبي . . . إلا في ما ذهب إليه القرطبي من أن هاروت وماروت بدل من الشياطين لأن الشياطين ليس من فطرتهم النصح لبني آدم حتى يقولوا لهم: ﴿إِنَّمَا عَمْنُ فِتْنَةُ فَلَا تُكْفُرُ ﴾ بل إن من أولى مهماتهم وفطرهم التي جبلوا عليها أن يفتنوا بني آدم ويغووهم. لذا فإنني أرجح أن يكون هاروت وماروت بدلاً من الناس وعلى هذا. . . يكون تأويل الآية: وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين السحر، ولكن الشياطين كفروا بتعليمهم السحر للناس؛ أي يعلمون هاروت وماروت اللذين هما رجلان من الناس =



مع ذلك ينصحان الناس بعدم التعلم، فمن أبى علماه وأدليا حبله على غاربه وحمّلاه إثم ذلك، ومن هذا السحر ما يفرقون به بين الرجل وامرأته بإيقاع البغض بينهما، وهو فساد وشر لا يستطيع شياطين الإنس والجن أن يفرقوا أحداً بسحر إلا أن يشاء الله ذلك، وأخبرنا أن أن تعلم السحر يضر ولا ينفع، واختلف العلماء في حكم تعلمه، فقال الجمهور: إنه حرام أو كفر(١)، وقال طائفة منهم الإمام الشافعي كالله: من تعلمه بقصد تحذير الناس منه ومعرفة حقيقته نصحاً لله ولعباده، فلا إثم عليه (١٠)، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدَ عَلِمُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: علم المتعلمون له، لمن اشتراه؛ أي استبدله بالتورع عنه واختاره معصية لله تعالى، ما له في الآخرة من خلاق؛ أي ما له نصيب في رحمة الله تعالى.

ثم اعلم أن هناك حكاية حكاها أكثر المفسرين تقشعر منها الجلود وقد رواها كثير منهم عن النبي على وصحح الحافظ ابن كثير أنها ليست مرفوعة إلى النبي على وإنما رواها عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، وهو أخذها من الإسرائيليات، وملخصها أن الملائكة قالوا: «يا رب تصبر على بني آدم في انهماكهم في المعاصي وتمردهم وتؤخر عقابهم وتمهلهم، فقال الله تعالى: إنهم يؤمنون بي غيباً وأنتم تؤمنون بي مشاهدة، قد ركّبت فيهم الشهوة وسلطت عليهم

تم يعلم هذان الناس... وما يعلمان أحداً منهم حتى يقولا له: ﴿إِنَّمَا غَنُ فِتْنَةً فَلاَ تَكُثُرُ ﴾. فيكون هاروت وماروت بدلاً من الناس الذين من فطرتهم النصح، وفي هذا ينزَّه الله عن تنزيل السحر على الملكين ثم ننزهما من تعليم السحر للناس، والسحر هو في أساسه كفر فلن يستطيع أحد أن يعلم السحر إلّا أن يكفر، ولا يستطيع المتعلم أن يتعلّم إلا أن يكفر والملائكة منزّهون عن الكفر وتعلّمه وتعليمه. وإن الله لا يرضى لعباده الكفر». وانظر لتفسير هذه الآيات: «جواهر الأفكار ومعادن الأسرار» للعلامة عبد القادر بن بدران (٢٨١ - ٢٩٠)، فقد أجاد وأفاد في ذلك.

⁽۱) كالنووي، انظر: «المجموع» (۱۹/ ۲٤٠)، ونوع القرافي في «الفروق» (۱٤٨/٤) ونوع القرافي في «الفروق» (۱٤٨/٤) وفصّل متى يكون كفراً، ومتى يكون حراماً، فانظره إن أردت التفصيل، وانظر: «فتح الباري» (۱۰/ ۲۲٤)، و«الكبائر» (الكبيرة الثالثة) (ص۱۰۱ وما بعد) للذهبي، وتعليقي عليه

⁽۲) في صحة نسبة هذا القول للشافعي نظر! قال ابن قدامة: «تعلّم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم». انظر تفصيل المسألة في: «فتح الباري» (۲۲۰/۱۰)، و«روح المعاني» (۲۱/۳۳) وكتاب «موقف الإسلام من السحر» أ. حياة سعيد عمر باأخضر (۲/ ٥٥٩ ـ ٥٦٧)، و«عالم السحر والشعوذة» (ص٢١٥ ـ ٢٢٦).



الشياطين، فلو أنكم ابتليتم بما ابتلوا به لوقعتم في المعصية، فأنكروا ذلك، فقال الله تعالى: اختاروا ملكين منكم من أفضلكم لأركب فيهما الشهوة وأسلط عليهما الشيطان، فاختاروا هاروت وماروت، فأوصاهما الله تعالى إذا نزلا إلى الأرض أن يحكما بين الناس بالعدل، وأن يتجنبا الشرك به سبحانه والمعاصي، فنزلا إلى الأرض وأخذا يحكمان بين الناس بالعدل حتى جاءتهما امرأة جميلة جداً تختصم مع زوجها، قيل: إنها فارسية، اسمها بالفارسية: أناهيد، وبالنبطية: بيدخت، ففتنتهما بجمالها، فحكما على زوجها جوراً وراوداها عن نفسها بيدخت، منهما إلا بشرط أن يقتلا ابن جارها، ويشربا خمراً، ويسجدا لصنمها، فلما رضيا بذلك مكنتهما من نفسها فزنيا بها، وشرطت عليهما شرطاً آخر وهو أن يعلماها الاسم الأعظم الذي به يصعدان إلى السماء فعلماها إياه فصعدت إلى السماء بعد ما تلته، فمسخت كوكباً وهو الزهرة أحد الكواكب السيارة»(١٠).

⁽۱) أخرجه أحمد (۲/۲۳)، وعبدُ بنُ حُميد في «المنتخب» (۷۸۷)، وابن حبان (۲۱۸٦)، وابزار (۲۹۳۸ ـ زوائده)، وابن السنّي في «عمل اليوم والليلة» (۲۰۱۳)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (ورقة ۷۰/ب)، والبيهقي (۲/۵۱) من طريق زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر رفعه، وذكره ابن كثير في «التفسير» (۱۳۸/۱) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال «الصحيحين»؛ إلا موسى بن جبير هذا، وهو الأنصاري السَّلَميّ مولاهم المديني الحذَّاء» ثم ذكر أشياخه، ومن رووا عنه، ثم قال: «وذكره ابن أبي حاتم في كتاب «الجرح والتعديل»، ولم يحكِ فيه شيئاً مِن هذا ولا هذا، فهو مستور الحال، وقد تفرَّد به عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ».

وقال البزار: «رواه بعضهم عن نافع عن ابن عمر موقوفاً، وإنما أتي رفع هذا عندي من زهير؛ لأنه لم يكن بالحافظ». نعم ذكر ابن كثير متابعاً له من وجه آخر عن نافع؛ من رواية ابن مردويه، حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا هشام بن علي بن هشام، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر، سمع النبي على يقول... فذكره بطوله.

ثم ذكر نحواً من هذه القصة من رواية الطبري في «جامع البيان ـ وهي فيه برقم (١٦٨٨) وعند الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٢/٨، ٤٣) ـ من طريق سنيد بن داود ـ صاحب «التفسير» ـ، حدثنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع عن ابن عمر عن النبي على النبي الله الله من دواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي الله كما قال عبد الرزاق في «تفسيره»: عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن ع



حعب الأحبار» وقال أيضاً: «رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به».

قلت في «جامع البيان» برقم (١٦٨٤): حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى؛ قالاً: حدثنا مؤمل بن إسماعيل. (ح) وحدثنا الحسن بن يحيى؛ قال: أخبرنا عبد الرزاق؛ حميعاً عن الثوري به.

ثم قال: «ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن عصام عن مؤمل عن سفيان الثوري به. ورواه ابن جرير أيضاً: حدثني المثنى؛ قال: حدثنا معلى بن أسد؛ قال: حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة؛ قال: حدثني سالم؛ أنه سمع عبد الله يتحدث عن كعب الأحبار... فذكره».

وهو في «جامع البيان» برقم (١٦٨٥)، ثم قال: «فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين، وسالم أثبت في أبيه من مولاه نافع، فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم». انتهى.

وموسى بن جبير راوي هذا الحديث عن نافع: هو الأنصاري المدني الحدّاء، مولى بني سَلَمَة، ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: «كان يخطئ ويخالف»، وقال ابن القطان: «لا يُعرف حاله» واغترَّ به الهيثمي، فقال في «المجمع» (٢/١٤٦) بعدما عزا الحديث لأحمد: «ورجاله رجال الصحيح؛ غير موسى بن جبير، وهو ثقة!!».

ولولا أن ابن حبان أورده في كتابه ساكتاً عليه _ كما هو غالب عادته _ لما جاز الاعتماد عليه؛ لما عُرف عنه من التساهل في التوثيق، فكيف وهو قد وصفه بقوله: «يخطئ ويخالف»؟! وليت شعري؛ مَن كان هذا وصفه؛ فكيف يكون ثقة؟!» أفاده شيخنا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٠).

ثم إن الراوي عنه زهير بن محمد، وإن كان من رجال «الصحيحين»، ففي حفظه كلام كثير، ضعّفه من أجله جماعة، وقال أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ١٥٠): «محلّه الصّدق، وفي حفظه سوء، وكان حديثه بالشّام، أنكر من حديثه بالعراق لسوء حفظه، فما حدّث من كتبه؛ فهو صالح، وما حدّث من حفظه؛ ففيه أغاليط».

ومن أين لنا أن نعلم إذا كان حدَّث بهذا الحديث من كتابه أو من حفظه؟!

ففي هذه الحالة يُتَوَقّف عن قبول حديثه، إن سلم من شيخه المستور على حدّ تعبير الحافظ ابن حجر.

أما رواية ابن مردويه؛ ففيها عبد الله بن رجاء الغُداني، وهو وإن كان صدوقاً ومن شيوخ البخاري؛ إلا أنه كان كثير الغلط والتصحيف؛ كما قال ابن معين، وعمرو بن علي الفلاس.

وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام؛ ترجمه البخاري (٣/ ١٦٠٠)، وضعفه النسائي، وقال أبو حاتم: «سألت ابن معين عنه، فلم يعرفه حق معرفته».

وموسى بن سَرْجِس؛ ترجمه البخاري (١٢١٣/٧)، وهو لا يُعرف حاله.

وقد ذكر هذا الحديث أيضاً الهيثميُّ في «المجمع» (٦٨/٥)، وقال: «وواه أحمد والبزار، =



ورجاله رجال الصحيح؛ خلا موسى بن جبير، وهو ثقة».
 وكذلك ذكره في (٦/٣١٣ و ٣١٤) من «المجمع».

وذكره الحافظ في «الفتح» (٢٢٥/١٠)، وقال: «وقصة هاروت وماروت جاءت بسند حسن من حديث ابن عمر في «مسند أحمد»، وأطنب الطبري في إيراد طرقها، بحيث يقضى بمجموعها على أن للقصة أصلاً؛ خلافاً لمن زعم بطلانها؛ كعياض ومَن تبعه».

يعصى بمجموعه على النصصه اصارا كالمن رغم بطارتها العياض ومن بعه الموذكره في «القول المسدد» (٤٠ ـ ٤١)، ثم قال: «أورده ابن الجوزي من ظريق الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع، وقال: لا يصح، والفرج بن فضالة ضعفه يحيى، وقال ابن حبان: يقلب الأسانيد، ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة».

ثم قال ابن حجر: "وله طرق كثيرة، جمعتها في جزء مفرد يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة؛ لكثرة الطرق الواردة فيها، وقوة مخارج أكثرها». قال أبو عبيدة: قال الشيخ أحمد شاكر كالله في تعليقه على "المسند» (٣٢/٩) متعقباً ابن حجر: "أما هذا الذي جزم به الحافظ بصحة وقوع هذه القصة، صحة قريبة من القطع؛ لكثرة طرقها وقوة مخارج أكثرها؛ فلا، فإنها كلها طرق معلولة أو واهية، إلى مخالفتها الواضحة للعقل، لا من جهة عصمة الملائكة القطعية فقط، بل من ناحية أن الكوكب الذي نراه صغيراً في عين الناظر قد يكون حجمه أضعاف حجم الكرة الأرضية بالآلاف المؤلّقة من الأضعاف، فأنى يكون جسم المرأة الصغير إلى هذه الأجرام الفلكية الهائلة».

ومما يجدر التنبيه عليه أنه لم يرد في هذا الخبر عند من خرجه أن المرأة التي تسمى الزهرة قد مسخت نجماً، قال ابن حبان بعد أن أورد الحديث: «الزهرة هذه: امرأة كانت في ذلك الزمان، لا أنها الزهرة التي هي في السماء التي هي من الخُنس». انتهى.

وقد رواه الحاكم بسياق آخر في «المستدرك» (٢٠٧٤ و ٦٠٧) من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وصححه وأنكر عليه الذهبي، وقال عن يحيى هذا: «قال النسائي: متروك. وقال أبو حاتم: منكر الحديث».

وأخرجه ابن السنّي في "عمل اليوم والليلة" (٦٤٨)، وأبن منده في "تفسيره"، وابن راده ويه المنثور» (٩٧/١)؛ من راهويه؛ كما في «الجامع الصغير» (٤٦٨٥ ـ ضعيفه)، و«الدر المنثور» (٩٧/١)؛ من حديث علي بن أبي طالب مختصراً بلفظ: «لَعَنَ اللهُ الرّهْرَةَ؛ فإِنّها هِيَ التي فَتَنَتِ المَلكَيْنِ هَاروتَ ومَاروتَ».

وهو حديث موضوع، آفته جابر بن زيد الجعفي، وهو متهم بالكذب، وكان يؤمن برجعة علي، ويقول: إنه دابة الأرض المذكورة في القرآن!! قاله شيخنا الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٩١٣).

والخلاصة: أن هذه القصة من الإسرائيليات التي لا يصح رفعها إلى النبي على، وقد استنكرها جماعة من الحفاظ المتقدمين، والعلماء المتأخرين:

فقال أبو حاتم الرازي ـ كما في «علل الحديث» (٢/ ٦٩ ـ ٧٠) لابنه ـ: «هذا حديث منكر». وروى حنبل الحديث من طريق أحمد، ثم قال: «قال أبو عبد الله (يعني: الإمام أحمد): =



وأعظم دليل على بطلان هذه الحكاية ما جاء في كتاب الله العزيز من عصمة الملائكة قال تعالى في سورة التحريم: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوَّا أَنفُسَكُو وَأَهَلِيكُو عَصَمُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَقْعَلُونَ مَا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِبَارَةُ عَلَيْهَا مَلَيْكُةً غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿ وَ اللّه عَلَمُ اللّه مَا أَمَرَهُمْ وَيَقْعَلُونَ مَا فَوَلَمُ مَن فِي السّمَورَتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندُو لَا يَسْتَكْبُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْبُونَ ﴿ وَمَا بعده : شَيْحُونَ الْيَلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُرُونَ ﴿ وَمَنْ عِندُو لَا يَسْتَكْبُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْبُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، وقال تعالى في السورة للسيرة للسيرة وَلَا اللهُ وَالنَّهُ وَلَا يَعْبُونَ ﴿ وَمَا عَلْفَهُمْ وَلَا يَسْتَخْبُونَ اللّهُ وَلَا اللّهُ عَبُولِ وَهُم يَآمَوهِ يَسْمَلُونَ ﴿ وَلَا اللّهُ اللّهُ عَلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَكُمْ وَلَا يَسْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، وقال تعالى في السورة لا يستيقُونَهُ إِلْقَوْلِ وَهُم يَآمَوهِ يَسْمَلُونَ ﴿ فَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَبُولُ مِنْ عَمْدُونَ اللّهُ وَهُم يَآمَوهِ يَسْمَلُونَ ﴿ فَلَالُونَ اللّهُ وَمَن يَقُلُ مِنْهُمْ إِلْتِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَمَن يَقُلُ مِنْ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ ا

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلُ مِنْهُمُ إِنِّتَ إِلَّهُ مِن دُونِهِ ﴾ الآية [الأنبياء: ٢٩] لا يطعن في عصمتهم لأنه مبني على مستحيل، كقوله تعالى في سورة الزمر (رقم ٢٥) وما بعده: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبِّلِكَ لَهِنْ أَشْرَكُتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

هذا منكر، وإنما يُروى عن كعب»، وكذا قال الحافظ ابن كثير، وعلى على كلامه الشيخ رشيد رضا كِللله بقوله: «من المحقَّق أن هذه القصة لم تُذكر في كتبهم المقدسة، فإنْ لم تكن وُضعت في زمن روايتها؛ فهي من كتبهم الخرافية، ورحم الله ابن كثير الذي بيَّن لنا أن الحكاية خرافة إسرائيلية، وأن الحديث المرفوع لا يثبت».

وقال شيخُنا محدث الديار الشاميّة محمد ناصر الدين الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» رقم (١٧٠): «باطل مرفوعاً».

وأسهب في بيان ذلك، ثم قال _ رحمه الله تعالى _: «قلت: وممَّا يؤيِّد بطلان رفع المحديث من طريق ابن عمر أنَّ سعيد بن جبير ومجاهداً روياه عن ابن عمر موقوفاً عليه؛ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٩٧/١).

وقال ابن كثير في طريق مجاهد: «وهذا إسناد جيّد إلى عبد الله بن عمر، ثم هو ـ والله أعلم ـ من رواية ابن عمر عن كعب؛ كما تقدّم بيانُه من رواية سالم عِن أبيه».

ومن ذلك أنَّ فيه وصف الملكين بأنهما عَصَيا اللهَ تبارك وتعالى بأنواع من المعاصي؛ على خِلاف ما وصف الله تعالى لعموم ملائكته في قوله ﷺ: ﴿لَا يَعْسُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمُ وَنَقَعُلُونَ مَا يُؤْمُرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

و(الزُّهَرَة): بضم الزاي وفتح الهاء؛ كتُؤَدة: كوكب مضيء من السيارات المعروفة، ومَن قاله بإسكان الهاء؛ فقد غلط.

قال الشاعر:

قَدْ وَكَّلَتْنِي طَلَّتِي بِالسَّمْسَرَهُ وأَيْفَظَتْنِي لِطُهلوع الزُّهَرَهُ



وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْخَصِرِينَ ﴿ اللّهَ فَأَعْبُدُ وَكُن مِن الشّرِكِ والصغائر، كما قال تعالى في سورة فإن النبي على معصوم من الشرك والكبائر والصغائر، كما قال تعالى في سورة النجم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْمُوَى ﴾ [النجم: ٣ - ٤] وقال تعالى في سورة الحاقة (رقم ٤٤) وما بعده: ﴿ وَلَوْ نَقَلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦] ومحمد رسول الله على منه بألم يقول على الله أبداً، وهذه الأمور مبنية على فرض المستحيل، ومن العجب أني طالعت أربعة من كبار التفاسير وهي: ابن كثير، وابن جرير، و«الدر المنثور»، والرازي، ولم أر أحداً منهم احتج بالقرآن على عصمة الملائكة، ولم أحبب أن أسوق الحكاية بطولها وذيولها الكثيرة، بل حكى بعضهم عن الملكين أنهما علما عقص الناس السحر حتى بعد توبتهما وتعذيب الله لهما بتعليقهما منكوسين بين السماء والأرض، وهذه في نظري غفلة من المفسرين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

خاتمة هذا البحث

أحببت أن أورد هنا نبذة من شرح (باب ما جاء في السحر) من كتاب «التوحيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، والشرح من «تيسير العزيز الحميد» للشيخ الإمام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب؛ لأنهما أجادا وأفادا فجزاهما الله عن الإسلام خيراً كثيراً وسأجعل المتن ممزوجاً بالشرح، وأختصر ما أرى اختصاره مفيداً، وهذا نصه:

«(باب ما جاء في السحر) السحر في اللغة: هو ما خفي ولطف سببه ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحراً» (أ) وقال تعالى: ﴿سَحَرُواْ أَعَيْكَ النَّاسِ ﴾ [الأعراف: ١١٦] أي: أخفوا عنهم علمهم (٢)، ولما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يأتي السحر بدونه، ولهذا جاء في الحديث «ومن سحر فقد أشرك» أدخله المصنف في كتاب التوحيد ليبين ذلك تحذيراً منه كما ذكر غيره

⁽١) أخرجه البخاري (٥١٤٦) من حديث ابن عمر، ومسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر.

⁽٢) لعل الصواب: عملهم: مصححه (منه).

 ⁽٣) أخرجه النسائي (٤٠٧٩)، وابن عدي في «الكامل» (١٦٤٨/٤)، والطبراني في «الأوسط»
 (١٤٩٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٦٩/١٤) من طريق عباد بن ميسرة المنقري عن =



من أنواع الشرك، قال أبو محمد المقدسي في "الكافي" (١): "السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر (٢) في القلوب والأبدان (٣) فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه، قال الله تعالى: ﴿فَيْتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُقْرَقُونَ بِهِ بُيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَقِجِهِ إللهِ اللهِ تعالى: ﴿فَلْ أَعُودُ بِرَبِ ٱلْفَلَقِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] وقال سبحانه: ﴿فَلْ أَعُودُ بِرَبِ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ٤]؛ يعني النفاق: ١] إلى قوله: ﴿وَمِن شَكْرِ ٱلتَّفَعُنْتِ فِي ٱلْمُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]؛ يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفش في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعادة منه، وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل منه ما هو تخييل ومنه ما له حقيقة مما تقدم.

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَهُنِ اشْتَرَنهُ مَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَقُ اللهِ [البقرة: ١٠٢] أي: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل والإيمان بالله ﴿لَمْنِ ٱشْتَرْنهُ ﴾ أي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله ومتابعة رسله ﴿مَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَقُ ﴾.

قال ابن عباس: «من نصيب» (٤)، قال قتادة: «وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله اليهم، أن الساحر لا خلاق له في الآخرة» (٥)، وقال الحسن: «ليس له دين» (٤)، فدلت

الحسن البصري عن أبي هريرة، وإسناده ضعيف ومنقطع، قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٧٨): «هذا حديث لا يصح للبن عباد وانقطاعه» قلت: يريد أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وضعفه شيخنا الألباني. وتحسين ابن مقلح في «الآداب الشرعية» (٢٨/٧) له بشواهده التي تدل على قبح تعلم السحر شرعاً، وأما الآية فلا تصلح شاهداً لتصحيح الحديث أو تحسينه؛ لأن المبحث ليس لكون ما في الحديث حقاً أم باطلاً، وإنما: هل قاله النبي على أم لا، فتأمل! ويؤكد ضعفه رواية أبان _ وهو أوثق من عباد _ إذ رواه عن الحسن مرسلاً، أخرج ذلك عبد الرزاق في «المصنف» (١١/٧١) رقم (١٩٧٧٢).

⁽١) (٥/ ٣٣١). (تؤثّر».

⁽٣) في مطبوع الكافي: «قي الأبدان والقلوب».

⁽³⁾ أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١/ ١٩٥) رقم (١٠٢٦) ولم يعرَه في "ألدر" (١/ ٢٧٥) إلا له، وهو من ضمن "مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس"، أحرجها الطستيّ في "مسائله"، أفاده السيوطي أيضاً.

⁽٥) أخرجه ابن جرير (٢/٣٦٣).

⁽٦) أخرجه ابن جرير (٣٦٦/٣)، وعبد الرزاق (١/٥٤)، وابن أبي حاتم (١٩٥/١) في التفاسيرهم،، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/٥٣٧)، وانظر: «الدر» (١/٥٣٧).



بيان شيء من أنواع السحر

لما ذكر المصنف ما جاء في السحر أراد هنا أن يبين شيئاً من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها على الناس، حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت عنه هذه

⁽۱) رواه عبد الرزاق (۱۸٤/۱۰)، وابن حزم في «المحلى» (۳۹٦/۱۱) عن صفوان بن سليم وفيه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي كذبوه، فهو وام بمرة.

⁽۲) ذكره البخاري تعليقاً عن عمر كتاب التفسير، باب (۱۰) "وإن كنتم مرضى أو على سفر... بصيغة الجزم وقال الحافظ في "الفتح" (۳۱۸/۸، ط. دار السلام): "وصله عبد بن حميد في "تفسيره" ومسدد في "مسنده" وعبد الرحمٰن بن رستة في كتاب "الإيمان" كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله وإسناده قوي، وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق له من حسان وسماع حسان من عمر في رواية رستة".

وأخرج ابن أبي حاتم الجزء الأول منه في "تفسيره" (% 978 - 988) بإسناد، والجزء الثاني في "تفسيره (% 970 - 989) بإسناد آخر، من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر، فهو صحيح إن شاء الله تعالى، وعزاه في "الدر المنثور" (% 1% الفريابي وسعيد بن منصور، وعزاه ابن كثير لأبي القاسم البغوي.

⁽٣) في الأصل: «هاشم»!

⁽٤) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).



الأمور فهو من الأولياء، وعدّوها من كرامات الأولياء، وآل الأمر إلى أن عبد أصحابها ورجى منهم النفع والضر والحفظ والكلاءة والنصر أحياء وأمواتاً، بل اعتقد كثير في أناس من هؤلاء أن لهم التصرف التام المطلق في الملك، ولا بد من ذكر فرقان يفرق به المؤمن بين ولي الله وبين عدو الله من ساحر وكاهن وعائف وزاجر ومتطير ونحوهم ممن قد يجري على يده شيء من الخوارق، فاعلم أنه ليس كل من جرى على يده شيء من خوارق العادة يجب أن يكون ولياً لله تعالى؛ لأن العادة تنخرق بفعل الساحر والمشعوذ وخبر المنجم والكاهن بشيء من الغيب، مما يخبره به الشياطين المسترقون للسمع، وفعل الشياطين بأناس ينتسبون إلى دين وصلاح ورياضة مخالفة للشريعة كأناس من الصوفية وكرهبان النصارى ونحوهم فيطيرون بهم في الهواء ويمشون بهم على الماء ويأتون بالطعام والشراب والدراهم، وقد يكون ذلك بعزائم ورقى شيطانية وأدوية كالذين يدخلون النار بحجر الطلق ودهن. . (١) وقد يكون ذلك برؤيا صادقة فيها ما يستدل به على وقوع ما يقع، وهذه مشتركة بين ولي الله وعدوه، وقد يكونُ ذلك بنوع طيرة يجدها الإنسان في نفسه فتوافق القدر وتقع كما أخبر، وقد يكون لعلم الرمل والضرب بالحصى، وقد يكون ذلك أشد وطءاً، والأحوال الشيطانية كثيرة، وقد فرق الله بين أوليائه وأعدائه في كتابه، فاعتصم به وحده لا إله إلا هو فإنه لا يضل من اعتصم به ولا يشقى، قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآ اَلَّهِ لَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ ۗ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَاثُوا يَتَقُونَ ۞﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣] فـذكـر تعالى أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم المؤمنون المتقون، ولم يشترط أن يجري على أيديهم شيء من خوارق العادة. تدل على أن الشخص قد يكون ولياً لله وإن لم يجر على يديه شيء من الخوارق إذا كان مؤمناً متقياً، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُرُ وَاللَّهُ عَفُورٌ تَحِيثُ 📆﴾ [آل عمران: ٣١] فأولياء الله المحبوبون عند الله هم المتبعون للرسول ﷺ

⁽۱) كذا بياض في الأصل! وأفاد شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (۱۱/ ٤٥٩) وغيره _ عند كلامه عن البطائحية _، أنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع، وباطن قشر النارنج، وحجر الطلق، وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم، . . . في كلام بديع ينظر فيه، ليعلم دجل هؤلاء الأدعياء، وصدق شيخ الإسلام إذ تحداهم أن يدخل النار، فَأَبُوا.



باطناً وظاهراً، ومن كان بخلاف هذا فليس بمؤمن فضلاً عن أن يكون ولياً شه تعالى، وإنما أحبهم الله تعالى لأنهم والوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا على ما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما ينهى، وأعطوا من يحب أن يعطي ومنعوا من يحب أن يمنع، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، وبالجملة أولياؤه أحباؤه المتقربون إليه بالفرائض والنوافل وترك المحارم، الموحدون له الذين لا يشركون بالله شيئاً. ولشيخ الإسلام كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» فراجعه فإنه أتى فيه بالحق المبين (١).

(۱) (تذييل مهم في أنواع السحر) دلت الآية على أن السحر نوعان: منه ما يؤثر عن الشياطين، ومنه ما يتوصل إليه بسبب علوم لم تكن موضوعة له خاصة، كالذي أنزل على الملكين ببابل. وقد قسم العلماء السحر إلى أقسام:

أولها: سحر «الكلدانيين» وهم: أهل بابل، و«الكسدانيين» وهم: النبط الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قوم يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور، والسعادة والنحوسة، وهم الذين بعث الله إبراهيم على مبطلاً لمقالتهم راداً عليهم في مذاهبهم، وكان لهم في هذا النوع تآليف وآثار قد وصل إلى علماء هذه الملة منها النزر اليسير، فأخذوا منه أحكام النجوم، وصور الدرج، والكواكب والسيمياء والكيمياء.

وأكثر من اعتنى بتخليص ذلك وضبط قواعده «مسلمة بن أحمد المجريطي الأندلسي» في كتابه الذي سماه «غاية الحكيم».

ثانيها: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، وعلله الرئيس ابن سينا في «الشفاء»، بأن الأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية، وذلك أن الوهم إذا تسلط على شيء أثر فيه تأثيراً ظاهراً.

وعندي لذلك تعليل أسمِّيه بالكهربائية النفسانية، وذلك أن الهمة إذا سلطت على شيء اهتماماً تاماً، انفصل من صاحب تلك الهمة مغناطيس جذاب، فاتصل بالشيء التي وجهت الهمة نحوه فحصل له الجذب والانفعال، وتصرف الجاذب بالمجذوب تصرفاً قهرياً له، وهذا يشبه اتصال العاشق بالمعشوق، فإن المعشوق لما كانت كهربائيته أقوى، جذب العاشق جذب ملك وقهر، وتلك الكهربائية لا ينكر وجودها في الأجسام إلا من ليس له اطلاع على هذا الفن، وعسانا أن نوضح هذا ونثبته في مكان آخر، ومن هذا النوع ما يسمى في زمننا بالتنويم المغناطيسي الذي اشتهر عند كثير من الناس.

ثالثها: من السحر التخيلات والأخذ بالعيون، كما هو شأن المشعبذ الحاذق، فإنه يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه، عمل عملاً آخر بسرعة شديدة، فيبقى ذلك العمل خفياً لتفاوت =



فصل في أنواع أخرى من هذا القبيل

روى أحمد بسند جيد عن [قَطَن بن](١) قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي على قال:

«إن العيافة والطَّرْق والطيرة من الجبت»(٢) قال عوف: «العيافة،

الشيئين، أحدهما اشتغالهم بالأمر الأول، والثاني سرعة الإتيان بهذا المعمل الثاني، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجبون منه جداً، ولو أنه مكث ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعلمه، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله.

رابعها: الاستعانة بالأرواح الأرضية بأعمال مخصوصة يذكرها أصحاب هذه الصناعة في كتبهم، وهذا النوع هو المسمى: بالعزائم وتسخير الجن.

خامسها: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة، على النسب الهندسية تارة، وعلى ضروب الخيلا أخرى، ومن هذا النوع ما يسمى في زمنتا «بالسيموتوغرافيا»، حيث يظهر للناظر بتسلط الأشعة الكهربائية على الستار صورة البحر والجبال، والجيوش والبساتين والأنهار، والناس والدواب تغدو وتروح، ومن هذا النوع كان سحر سحرة فرعون، ويندرج فيه فن جر الأثقال، وهذا النوع لا يعد من السحر إلا من كونه مما لطف ورق، ويمكن أن يكون هذا مما أنزل على الملكين ببابل.

سادسها: الاستعانة بخواص الأدوية المبلدة المزيلة للعقل.

سابعها: تعليق القلب، وهو أن يدَّعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم، وأن الجنَّ يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف ضعُفت القوى الحساسة، فحينتلا يتمكن الساحر من أن يفعل حينئلا ما يشاء. ومن هذا النوع ما يفعله المدعون للتصوف، ويرغبون في إقبال الناس عليهم جراً للمنافع الدنيوية، وكم رأينا مثل هؤلاء من تصرف في أموال مريده وغيرهم بتعليق قلوبهم بالوصول إلى فن الكيمياء والجفر والزايرجة، وسر الوفق والحروف، وبالوصول إلى المقامات العالية، التي حرم الخواص الوصول إليها بزعمهم. قاله العلامة ابن بدران في المقامات العالية، التي حرم الخواص الوصول إليها بزعمهم. قاله العلامة ابن بدران في

- (١) سقط من المطبوع، وأثبته من مصادر التخريج.
- (۲) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٨)، وأبو داود (٣٩٠٧)، وعبد الرزاق (١٩٠٧)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤٠ ـ ٤٣)، وابن سعد (٧/ ٣٥)، والحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١١٧٧)، والطحاوي (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٣)، وابن حبان (١٣١٦)، والطبراني (١٨/ رقم ٤١٩ ـ ٩٤٥)، والبغوي (٣٥٦)، والدولابي في «الكني» (١/ ٨٦)، والبيهقي (٨/ ١٣٩)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٨/ ١٥٨)، والخطيب (١٥/ ٤٢٥) =



زجر الطير، والطرق: الخط. خط^(۱) في الأرض^(۲) والجبت، قال الحسن: «رنة الشيطان^(۲)، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في «صحيحه» المسند منه، قال أبو السعادات⁽³⁾: «العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيراً وهو كثير في أشعارهم»، والطرق: «الخط يخط في الأرض»، هكذا فسره عوف وهو تفسير صحيح، قال أبو السعادات⁽⁶⁾: «هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء»، وقلت: أياً ما كان فهو الجبت» (⁽⁷⁾.

قال محمد تقي الدين مؤلف هذا الكتاب: ومنه ما يسمى في هذا الزمان بعلم الرمل (۲) وذلك أن الكاهن يضع رملاً أمامه وينكت في ذلك الرمل بإصبعه نكتاً كل نكتة فيها كحفرة صغيرة، ويجعلها أربعة أعمدة مبتدأة من الأسفل إلى الأعلى، ثم يسقط تلك العلامات اثنتين اثنتين مبتدئاً من الأسفل إلى الأعلى في الأعمدة الأربعة، ويترك الحفرة الأخيرة والحفرتين الأخيرتين فيتألف له شكل، وكل شكل له اسم، فلنفرض أنه أسقط الأعمدة الأربعة اثنتين اثنتين فبقي من كل عمود نقطة واحدة فيظهر شكل يتألف من عمود فيه أربع نقط، ويسمى هذا: الطريق، ثم يعيد العمل فيبقى مثلاً من كل عمود نقطتان أو حفرتان فيتألف منهما عمود فيه ثمان نقط أو حفر، ويسمى هذا الشكل: الجماعة ويستمر هكذا، إلى معنى من المعاني، فهناك الطريق والجماعة كما تقدم، وهناك النصرة الداخلة معنى من المعاني، فهناك الطريق والجماعة كما تقدم، وهناك النصرة الداخلة

من طرق عن عوف بن أبي جميلة: حدثني حيان: حدثني قطن به. وإسناده ضعيف، آفته
 حيان وهو ابن العلاء، ولم يروه عنه غير عوف، ولم يوثقه غير ابن حبان! فتجويد المصنف
 له ليس بجيد! وضعفه شيخنا الألباني، انظر: «غاية المرام» (٣٠١) (ص١٤٨ ـ ١٤٩).

⁽١) كذا في مطبوع «التيسير»، وفي الأصل: «بخط» بباء موحدة أوله!

⁽٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٨) وقال شيخنا الألباني: «صحيح مقطوع».

⁽٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢١٦/٤) دون ذكر «رنة».

⁽٤) في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٣٠).

⁽٥) في «النهاية» (٣/ ١٢١).

⁽٦) التيسير العزيز الحميد (ص٣٨٧ ـ ٣٩٩) بتصرف.

⁽۷) لابن رشد الفقيه (محمد بن أحمد) (ت٥٠٠هـ ١١٢٦م) رسالة بعنوان «الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الخط؛ لما روي في ذلك من أحاديث، ووجه تأويلها» وهي مطبوعة بتحقيقي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



والنصرة الخارجة، والأحيان الأنكيس والأحيان الفارح وقد ذكر هذه الأشكال كلها صاحب «القاموس»(١) وكتب صورها فراجعه.

فإذا فرضنا أن رجلاً أو امرأة جاء أحدهما إلى الكاهن الذي يسمى الرَّمَّال، وقال له: عندى مسافر غائب منذ زمان فأخبرني بخبره. أو يقول: عندى حاجة أخبرني بها. فينكت في الرمل فيخرج له في أول مرة: الطريق مثلاً فيقول: أنت تسأل عن شخص مسافر غائب عنك؛ لأن الطريق يدل على ذلك، أصحيح ذلك؟. فيقول السائل: نعم، فيأخذ الكاهن من السائل علماً تفصيلياً بعد أن أعطاه علماً إجماليّاً، ثم يخط فتخرج له الجماعة، فيقول: أنت حريص على الاجتماع به؟ فيقول: إي والله يا سيدي هو ابني غاب عني منذ أربع سنين، ولم أسمع له خبراً، فيقول: أبشر ستجتمع به. ثم يخط فيخرج له الأحيان الأنكيس، فيقول: إن صاحبك وقع في شدة عظيمة، ولكن هذا شكل النصرة الخارجة إلى جانبه يدل على أنه سيخرج منها بسلام وانتصار، وهكذا لا يزال الكاهن يعطي السائل الغبى أموراً إجمالية لا يخلو منها زمان ولا مكان، والسائل المغفل يعطيه التفاصيل حتى يأخذ جميع التفاصيل منه، ثم يعيدها عليه يسردها سرداً، فيعتقد هذا المغفل أنه علم من خط الرمل كل أخبار المسؤول عنه وأخبره، والحقيقة أن السائل هو الذي أخبر الكاهن بكل شيء وهو لا يشعر، فإن صدق ما أخبره به ازداد اعتقاداً في صحة كهانته، وإن أخطأ غفل عن خطئه، فهذه باختصار إشارة تعرفك أيها القارئ بحقيقة ما يسمى بخط الرمل، وأزيدك بياناً فأقول: أن رمَّالاً كبيراً كان يستخرج السرقات بزعمهم لقيته فقلت له: كم تأخذ من كل سائل؟ فقال: آخذ ربع ريال. فقلت له: إن أجبتني عما سألتك عنه أعطيك بدل ربع ريال ريالاً كاملاً؟ فقال: قل، فخبأت له أربعة رؤوس أقلام من نحاس أحمر فأخذ يخط فقال لي أولاً: إن هذا الشيء الذي تسأل عنه أحمر لأنه ظهر لي شكل الحمرة، أهو كذلك؟ فقلت له: أنا لا أخبرك بشيء فينقلب المستخبر _ بالكسر _ مستخبَراً _ بفتح الباء _ اجمع أشكالاً كلها واستخرج منها الخبر وأخبرني به وخذ ريالاً، فقال لي: أنت ليس لك قصد حسن ولا نية طيبة، وهذا الأمر يتوقف على حسن النية، فقلت له: حسن النية هنا لا يؤثر شيئاً وكذلك سوء النية إن كنت

⁽۱) لم أظفر بهذا في «القاموس» مواد (طرق، خط، رمل)، وانظره في شرحه: «التاج» (۱۲/۲۲).



صادقاً فيما تدعيه من استخراج المغيبات؛ فأخبرني بما سألتك عنه. ثم خط في الرمل وقال لي: هذا شيء دخل النار وخرج منها، هل هذا صحيح؟ فقلت: أنا سائل لا مخبر، واستمر معي على هذا الشكل من الحوار كلما أراد أن يستخرج مني علماً تفصيلياً امتنعت من ذلك؛ لأنني أعرف سر حرفته، فافتضح وعجز.

وأذكر حكاية أخرى تزيد الأمر وضوحاً: كنت أنا ورفيقي وأخي الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في ضيافة العالم السلفي النبيل الشيخ عبد الرحمن بركات عمدة مدينة ميت غمر، في مصر، وكنا قد تعشينا وجلسنا نمص قصب السكر ونتحدث، فطرق الباب رجل ففتح له البواب وقال: من أنت؟ فقال: أنا حكيم مغربي عالم بالروحانيات أريد زيارة سعادة العمدة، فأذن له في الدخول، فلما جاء سلم على العمدة وجلس، فأمر له بالعشاء وتعشى، ثم قال له الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رحمة الله عليه: هاهنا مغربي يشير إلى فأخبره ببلدك في المغرب، فقال: عفواً أنا لست مغربياً في الحقيقة وإنما أستاذي الذي علمني الحكمة والعلم الروحاني كان مغربياً؛ فانتسبت إلى المغرب من هذا الوجه، فقال. له: تعرف خط الرمل؟ فقال: طبعاً أعرفه، فقال: أريد أن أخبأ لك خبأً فإن اطلعت عليه وأخبرتني به أعطيتك حلواناً كبيراً، فقال: إن السماء متغيمة وخط الرمل ينبغي أن يكون في الصحو، فقال: أنت عالم روحاني وشيخك مغربي فلا يضرك عدم صحو السماء، فقال: طيب اسأل عما بدا لك، فقال: سأكتب سؤالي واختر أنت واحداً من الحاضرين تثق به وأنا أضعه عنده، ثم اشتغل أنت بخط الرمل حتى تعرف ما خبأت لك وأخبرنا به، ثم نخرج السؤال المكتوب، فإن كان جوابك مطابقاً له ظهر صدقك وثبت لك الحلوان، وإن ظهر خلاف ذلك لم يثبت لك شيء مما تدعيه.

فأخذ يخط في ورقة بيضاء يضع فيها نقطاً على شكل أعمدة كما تقدم، واشتغل فيها طويلاً ثم قال في النتيجة: إنك تسأل عن شخص أسمر طويل غاب عنك منذ مدة وستجتمع به في زمان قريب، فقال له: هذا السؤال المكتوب واقرأه، وكان قد اختار فضيلة الشيخ عبد الرحمن، فأخذه منه فقرأه فوجد فيه قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَطِلُ كَانَ زَهُوقاً ﴿ الإسراء: ١٨] فضحك الحاضرون وغضب الزائر وسب الشيخ محمد حمزة ـ رحمة الله عليه وحلف أن لا يبقى في مجلس يوجد فيه، فانصرف يجر أذيال الخيبة، وليس



مقصودي بهاتين الحكايتين وما ذكرت معهما أن الكاهن الحقيقي لا يطلع على شيء أبداً من المغيبات، فقد ثبت في «الصحيح» أن النبي على خبأ لابن صياد في نفسه عليه الصلاة والسلام سورة الدخان، ثم سأل النبي على ابن صياد بقوله: «قد خبأت لك خبأ فما هو؟» فقال: هو الدخ: يعني الدخان، فقال له النبي نبخ الخسأ فلن تعدو قدرك»(۱)؛ يعني إنما أنت كاهن، وقال ابن صياد للنبي الخبر «انحسأ فلن تعدو قدرك»(۱) وهذا شأن الكهنة، فإن «الشياطين تخبرهم بالخبر المحيح وتزيد معه ماثة كذبة»(۱)، أما أمثال الكاهنين بل الرمّالين المتقدم ذكرهما فإنهما كانا محتالين على أكل أموال المغفلين بالباطل، وما أكثر أمثالهما في هذا الزمان في البلاد الإسلامية التي نكبت بأنواع الدجاجلة لما أعرض أهلها عن الزمان في البلاد الإسلامية التي نكبت بأنواع الدجاجلة لما أعرض أهلها عن كتاب الله وسنة رسوله، وقال الطيبي في شرح الحديث المذكور آنفاً: «من» أما ابتدائية أو تبعيضية فعلى الأول يكون المعنى (۱): الطيرة ناشئة من السحر (۱)، وعلى الثاني المعنى: الطيرة (۷) من جملة السحر والكهانة أو من جملة عبادة غير الله أي الشرك، يؤيده قوله في الحديث الآتي: «الطيرة شرك» .

⁽١) أخرجه مسلم (٢٩٢٤) من حديث ابن عمر.

⁽٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر.

⁽٣) أخرجه مسلم (٢٢٢٨) من حديث عائشة.

⁽٤) بعدها في مطبوع «شرح الطيبي»: «فيه».

 ⁽٥) في مطبوع «شرح الطبيّي»: «فعلى الأول المعنى».

⁽٦) في مطبوع «شرح الطبيع»: «من الساحر».

⁽٧) في مطبوع «شرح الطبيي»: «وعلى اثثاني: الطيرة...».

⁽٨) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٩ و ٤٣٨ و ٤٤٠)، والطيالسي (٣٥٦)، وأبو يعلى (٣٩٠٥)، و٢٢٥)، والشاشي (٦٥٠) في «مسانيدهم»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٩/٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٠٩)، وأبو داود في الطب، باب الطيرة (٣٩١٠)، وابن والترمذي في السير، باب ما جاء في الطيرة (١٦١٤) وفي «علله الكبير» (٢/ ٣٩٠)، وابن ماجه في الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٣٥٣٨)، وابن أبي الدنيا في «التوكل على الله» رقم (٤١، ٢٤)، وابن خزيمة في «التوكل» ـ كما في «إتحاف المهرة» (الركل على الله» رقم (١٤، ٢٤)، وابن خزيمة في «شرح معاني الآثار» (١٢٥٧) وفي «المشكل» (١٩٢٨ و١٩٧٨ و١٩٤٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢١٢٢ ـ «المشكل» (١٢٨ و ١٩٢٨ و١٩٤٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٢٢ ـ الكبرى» (١٣٨٨)، والبغوي في «المستدرك» (١٧١ ـ ١٨ و١٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٨٨)، والبغوي في «شرح المسنة» (١٧٧ ـ ١٨٨) رقم (١٣٥٧) من =



قال: وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» (١). رواه أبو داود بإسناد صحيح.

= طرق عن سلمة بن كهيل، عن عيسى بن عاصم الأسدي، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود به. وإسناده صحيح.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وقال في «المهذب» (٦/٣٤٤): «قلت: صححه الترمذي»، وصححه العراقي في «أماليه على المستدرك»، نقله المناوي في «فيض القدير» (٤/٤/٤)، وصححه _ أيضاً _ ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٥/٨٧٥ _ بتحقيقي).

وانظر: «شرح الطيبي» (٩/٣/٩).

(۱) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في النجوم (٤/١٥ ـ ١٦) رقم (٣٩٠٥)، وابن ماجه في كتاب الآداب، باب تعلّم النجوم رقم (٣٧٢٦) في «سننهما»، وأحمد (٢٧/١)، وعبد بن حميد (٢١٤ ـ «المنتخب») في «مسنديهما»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١١)، وعبد بن حميد (١١٤ ـ «المنتخب») في «المسنديهما»، وابن أبي شيبة في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٠٢)، والحربي في «غريب الحديث» (١١٩٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٥ / ١٤٥) رقم (١١٠٥)، وأبو الشيخ في «التوكل» ـ كما في «إتحاف المهرة» (٨/ ١٤٣)، رقم (٩٠٠)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم (٧٧٧)، والخطيب في «القول في علم النجوم» (ص١٧١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧١٥)، و«السنن الكبرى» (٨/ ١٣٨)، و«الآداب» (٢٦٦)، والجصاص في «أحكام القرآن» (١/ ١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٩ / ٣٩)، من طريق الوليد بن عبد الله، عن يوسف بن ماهك، عن ابن عباس مرفوعاً.

وإسناده صحيح؛ وصححه الذهبي في «الكبائر» (٣٣٧/ ٢٧٠ ـ بتحقيقي)، ونقل المناوي في «الفيض» (٦٠/ ٨٠٠) تصحيحه له أيضاً.

وصححه النووي في «رياض الصالحين» رقم (١٦٧٩)، و«الفتاوى» جمع تلميذه ابن العطار (ص١٦٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٩٣/٣٥)، والعراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١١٧/٤)، والمناوي في «التيسير» (٢/٣٠٤)، وجوَّد إسناده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/٤٣٤)، وشيخنا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧٩٣)، وغيرهم.

(تنبيهات وفوائد):

الأولى: لفظ أبي داود وأحد لفظي أحمد: «من اقتبس علماً من النجوم»، وزاد في آخره: «زاد ما زاد».

ولفظ أحمد الآخر: «ما اقتبس رجل علماً من...».

واللفظ المذكور لابن خزيمة في «التوكل»، والمعنى واحد.

الثانية: قال الحربي: قوله: «من اقتبس علماً من النجوم»؛ قَبَسْتُ العلم واقْتَبَسْتُه: إذا تعلمته.



قال شيخ الإسلام: «فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُعْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٢٩]»(١) «فعلم أن تأثير(٢) النجوم باطل محرم وكذا العمل(٣) بمقتضاه كالتقرب إليها(٤) بتقريب(٥) القرابين لها كفر»(٦)، قاله ابن رجب. وقال: «وللنسائي من حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه»(٧). هذا الحديث ذكره المصنف من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي ولم يبين هل هو موقوف أو مرفوع، وقد رواه النسائي مرفوعاً، وذكر المصنف عن الذهبي أنه

الثالثة: المنهي عنه من علم النجوم هو علم التأثير، الذي يقول أصحابه: إنّ جميع أجزاء العالم السُّفْلي صادرٌ عن تأثير الكواكب والروحانيات، فهذا محرَّم لا شك فيه؛ لأنه ضرب من الأوهام، وما سوى ذلك من علم الفلك فتعلّمه مباح لا حرج فيه، بل هو فرض كفاية لا بُدَّ أنْ يقوم به نفرٌ من المسلمين ليَرفعَ الإثمَ عن عامتهم، قال الله _ تعالى _: ﴿ وَعَلَنَاتُوا مَنَا لَكُمُ النَّجُومُ لِلْهَتَدُوا بِهَا فِي طَلَمْتَتِ اللّهِ وَالْدِى جَعَلَ لَكُمُ النَّجُومُ لِلْهَتَدُوا بِهَا فِي طَلَمْتَتِ اللّهِ وَالْدِى جَعَلَ لَكُمُ النَّجُومُ لِلْهَتَدُوا بِهَا فِي طَلَمْتَتِ اللّهِ وَالْمِنَا اللهِ اللّهِ وَالْمِنْ اللّهِ وَاللّهِ وَالْمِنْ اللّهُ وَاللّهِ وَاللّهُ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهِ وَاللّهُ وَاللّهِ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا لَكُمْ اللّهُ وَلَا لَهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَال

قال ابن رجب في "بيان فضل علم السلف على علم الخلف" (ص٢٦): "فعلم تأثير النجوم باطل محرم، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر، وأما علم التيسير؛ فإذا تعلم ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق؛ كان جائزاً عند الجمهور، وما زاد عليه؛ فلا حاجة إليه، وهو يشغل عما هو أهم منه».

وللخطيب البغدادي كتاب مطبوع بعنوان «القول في علم النجوم»، ذكر فيه (ص١٢٦ وما بعد) المشروع منه، وذكر (ص١٦٨ وما بعد) المحظور منه. وانظر: «البيان والتحصيل» لابن رشد (٧/١٧)، و«الفروق» (٤/ ٢٥٩)، و«مفتاح دار السعادة» (١٦٦/١)، و«الفصل» لابن حزم (٥/ ١٤٨)، و«مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٥/ ١٩٢)، و«إتحاف السادة المتقين» (١١/ ٢٧١)، و«أبجد العلوم» (٢/ ٥٥١)، و«الفروق» للقرافي (٤/ ٣٤١)، ط. السلام) (الفرق الحادي والسبعين والمئتين: بين قاعدة ما يجب تعلمه من النجوم وبين قاعدة ما لا يجب).

- (۱) «مجموع الفتاوى» (۲۹۳/۳۵).
- (٢) في مطبوع «فضل علم السلف»: «فَعِلْم تأثير النجوم...».
 - (٣) في مطبوع «فضل علم السلف»: «والعمل بمقتضاه».
 - (٤) في مطبوع «فضل علم السلف»: «إلى النجوم».
 - (٥) في مطبوع «فضل علم السلف»: «وتقريب»،
 - (٦) «فضل علم السلف على الخلف» (ص٢١).
- (٧) أخرجه النسائي (٤٠٧٩) بإسناد ضعيف، وتقدم بيان ذلك مع التخريج المفصّل عند تخريج حديث: «ومن سحر فقد أشرك» في (ص١٧١).



قال: لا يصح»(١)، قوله: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه»، أي من تعلق قلبه شيئاً بحيث يتوكل عليه ويرجوه وكلّه الله إلى ذلك الشيء، فإن تعلق العبد على ربه وإلهه وسيده ومولاه ورب كل شيء ومليكه وكله إليه فكفاه ووقاه وحفظه وتولاه، ونعم المولى ونعم النصير، كما قال تعالى: ﴿أَلِيْسَ اللّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] ومن تعلق على السحر والشياطين وكّله الله إليهم فأهلكوه في الدنيا والآخرة، وبالجملة من (٢) توكل على غير الله كائناً من كان وكل إليه، وأتاه الشر في الدنيا والآخرة من جهته مقابلة له بنقيض قصده، وهذه سنة الله في عباده التي لا تبدل، وعادته التي لا تحول أن من اطمأن إلى غيره أو وثق بسواه أو ركن إلى مخلوق يدبره أجرى الله تعالى بسببه (٣) أو من جهته خلاف ما علّق به آماله وهذا أمر معلوم بالنص والعيان، ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق بعين البصيرة النافذة، رأى ذلك عياناً وفائدة هذه الجملة بعدما قبلها الإشارة إلى أن الساحر متعلق على غير الله فإنه متعلق على الشياطين» (٤).

شرح قول النبي ﷺ: «إن من البيان لسحراً»^(ه)

«البيان: البلاغة والفصاحة، قال صعصعة بن صوحان: «صدق نبي الله، أما قوله: «إن من البيان لسحراً» فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق» ($^{(7)}$)، وقال ابن عبد البر $^{(V)}$: «تأولته طائفة على الذم لأن السحر مذموم، وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح؛ لأن الله تعالى مدح البيان، قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله فقال: هذا والله السحر الحلال» ($^{(A)}$).

قال صاحب «التيسير»: «قلت: الأول أصح، وهو أنه خرج مخرج الذم

⁽۱) "تيسير العزيز الحميد" (ص٤٠١). (٢) في مطبوع "التيسير": "فمن".

⁽٣) في مطبوع «التيسير»: «أجرى الله تعالى له بسببه».

⁽٤) «التيسير» (ص٤٠٢ _ ٤٠٣).

⁽٥) أخرجه البخاري (٥١٤٦) من حديث ابن عمر، ومسلم (٨٦٩) من حديث عمار.

⁽٦) أخرجه أبو داود: الأدب: ما جاء في الشعر (٣٠٣/٤) رقم (٥٠١٢)، ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٣٤٥/١٦)، وإسناده ضعيف، فيه أبو جعفر النحوي وصخر بن عبد الله بن بريدة مجهولان، وأما صعصعة فتابعي كبير ثقة.

⁽٧) في «التمهيد» (١٦/ ٣٤٠، ط. الفاروق) بنحوه.

⁽٨) «التيسير» (ص٤٠٤) ونحوه عند ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٣٤٢)، والزرقاني في «شرح الموطأ» (١٤/ ٣٤٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٣٦٥) وفيها أثر عمر بن عبد العزيز.



لبعض البيان لا كله وهو الذي فيه تصويب الباطل وتحسينه حتى يتوهم السامع أنه حق، ويكون (١) فيه بلاغة زائدة عن الحد، أو قوة في الخصومة حتى يسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق، ونحو ذلك، فسماه سحراً لأنه يستميل القلوب كالسحر، ولهذا قال على لما جاءه رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما؛ فقال رسول الله على: «إن من البيان لسحراً» (٢)» (٣).

قال محمد تقي الدين: الجمع بين القولين ممكن فيقال: إذا كان تأثير الييان يكشف حقاً خفياً أو يبين ظلماً قد لبسه الظالم بالحق أو يسكن غضب سلطان جائر أو يثير في الناس الرغبة لفعل الخير، أو الذم على فعل الشر فهو من السحر الحلال، وهو محمود يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في شعر أحد أصحابه وهو عبد الله بن رواحة يوم فتح مكة:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال بعض الصحابة للشاعر: أفي حرم الله وبين يدي رسوله تقول هذا؟ فقال النبي على المنه السرع فيهم من النبل (٤). ويدل على ذلك أيضاً قول عمر بن عبد العزيز المتقدم ذكره: «هذا والله السحر الحلال»، وإن كان البيان يثير عكس ذلك في السامعين فهو مذموم (٥). وبالله التوفيق.

الباب السابع الخ

قُـولـه تـعـالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَنْرُئَ ۚ يَلْكَ أَمَانِيكُ مُ إِن كُنتُمْ صَدِقِيكَ ﴿ بَالَىٰ اللَّهِ مَانُوا رُهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَدِقِيك ﴿ بَالَىٰ

⁽۱) في مطبوع «التيسير»: «أو يكون». (۲) سبق تخريجه.

⁽٣) «التيسير» (ص٤٠٤ _ ٤٠٥).

⁽٤) أخرجه المترمذي (٢٨٤٧) وفي «الشمائل» (٣٤٦)، والنسائي (٢٠٧، ٢١١)، وعبد بن حميد (١٢٥٧)، وأبو يعلى (٣٣٩٤، ٣٤٤٠)، وابن حبان حبان (٢٨٨٠)، وأبو يعلى «الأوسط» (٨١٥٧)، وأبو نعيم (٦/٢٩٢)، والبغوي (٣٤٠٤)، والبيهقى (١/٢٩٢))، من حديث أنس، وهو صحيح.

⁽٥) بيّنتُ _ لله الحمد _ متى يمدح البيان ومتى يذم في كتابي «المحاماة تاريخها في النظم وموقف الشريعة الإسلامية منها» (ص٩٩ _ ١٠٢) وقد طبع قديماً، وستظهر منه طبعة جديدة منقّحة ومزيّدة، يسر الله ذلك بخير وعافية.



مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِـنُ فَلَهُۥ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ. وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ ۞﴾ [البقرة: ١١١ ـ ١١٢]

قال (ك): "يبين الله تعالى (١) اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا: ﴿غَنُ أَبْنَكُوا اللّهِ وَأَحِبْتُونُ ﴾ كما أخبر الله عنهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم، ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك، وكما تقدم من دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، ثم ينتقلون إلى الجنة، ورد عليهم تعالى في ذلك، وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة فقال: ﴿يَلْكَ أَمَانِينُهُمْ ﴾ وقال أبو العالية: أماني تمنوها على الله بغير حق، وكذا قال قتادة والربيع بن أنس، ثم قال تعالى: ﴿فَلْ الله الله الله الله الله الله ومجاهد والسدي والربيع بن أنس: حجتكم، وقال قتادة: بيّنتكم على ذلك. ﴿إِن مَمْ الله مَنْ أَمْلَمُ وَجُهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مَمْلِوْنِنَ ﴾ أي: فيما تدعونه (٢)، قال تعالى: ﴿بَنَ مَنْ أَمْلَمَ وَجُهَهُ لِلّهِ وَهُوَ

قال أبو عبيدة: مما فات المصنف التنبيه عليه أمور:

الأول: جمع الأماني في قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيَّهُمْ ﴾، مع أن قولهم: ﴿نَن يَدَّخُلُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ أمنية واحدة، إشارة إلى الأماني المذكورة، وهي أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم، أي: تلك الأماني الباطلة أمانيهم.

الثاني _ وهو على شرط المصنف وفاته التنبيه عليها في (القسم الثالث) من هذا الكتاب أيضاً _: لما كان كل مدع لغيب مفتقراً في تصحيح دعواه إلى دليل، وكان مثل هذا لا يقنع فيه إلا بقاطع؛ أمر أعلم الخلق؛ لأنه لا ينهض بإخراسهم في علمهم ولَدَدهم غيرُه بمطالبتهم بذلك، ناقضاً لدعواهم، فقال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُوكَنَكُمُ اي: هلموا حجتكم، على اختصاصكم بدخول الجنة، ﴿إِن كُنتُد صَدِوِينَ ﴾ في دعواكم، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين، وإن كل قول لا دليل فهو باطل غير ثابت، و«هات» صوت بمنزلة هاء بمعنى: أحضر، و«البرهان» هو البيان والحجة والبينة _ ويقال له: الشاهد _ قال:

من ادعى شيئاً بلا شاهد لا بد أن تبطل دعوه المثالث: لما نادى عليهم بالكذب في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ ﴾ أثبت لغيرهم بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَلِقِينَ ﴾ أثبت لغيرهم بقوله: ﴿بَكَن ﴾ ما ادعوا الاختصاص به، فركيل ﴾ إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة، =

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يبين تعالى».

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ثم».



مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة: ١١٢] أي: من أخلص العمل لله وحده لا شيريك له كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ خَابُوكَ فَقُلْ أَسْلَتْ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِّ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال أبو العالية والربيع: ﴿ بَنَ مَنْ أَسْلَمَ وَجَهَهُم لِلَّهِ ﴾ يقول: من أخلص لله ، وقال سعيد بن جبير: ﴿ بَنَكَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أخلص ﴿ وَجَهَمُ ﴾ قال: فيه دينه (١٠) : ﴿ وَهُوَ عُسِنٌ ﴾ أي: اتبع (٢٠) فيه الرسول على ، فإن للعمل المتقبل شرطين: أحدهما أن يكون خالصاً لله وحده ، والآخر أن يكون صواباً موافقاً للشريعة ، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل ، ولهذا قال رسول الله على : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ود » رواه مسلم (٢٠) من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام ، فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخصلون فيه لله ، فإنه لا يتقبل منهم وفعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخصلون فيه لله ، فإنه لا يتقبل منهم وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلَنَهُ هَبَكَهُ مَنْمُولًا وَسَعَمُ لَكُورُ وَعَلَيْ الله وقال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلَنَهُ هَبَكَهُ مَنْمُولًا وَمَنْ مَا عَمْلُواْ مِنْ عَيْ عَائِمَ كَمَرِ فِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الله عَنْ أَمْ اللهُمُ مَنْ أَنْ المَالهم والله الله الله تعالى: ﴿ وَاللّذِينَ صَغَوّاً أَعْمَالُهُمْ كُمْرَى إِلَيْ عَمْ عَلَى الناس كافة ، الله عَنْ أَمْ اللهم عَنْ أَمْ عَلَيْ اللهم الله وافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضاً مردود على فاعله، وهذا حال المرائين والمنافقين كما قال

وأفادت أيضاً أنه تعالى لما نفى أن يكون لهم برهان، أثبت لمن أسلم وجهه لله برهاناً، وأفادت أيضاً ترغيبهم في الإسلام، وبياناً لمفارقة حالهم لحال من يدخل الجنة لكي يقلعوا عما هم عليه، ويعدلوا إلى هذه الطريقة، فكأنه قيل لهم: أنتم على ما أنتم لا تفوزون بالجنة، بلى؛ إن غيرتم طريقتكم وأسلمتم وجهكم لله، وأحسنتم فلكم الجنة. انظر: «جواهر الأفكار» (٣١٤ ـ ٣١٥).

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «فيه»!

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «متبع». (۳) برقم (۱۷۱۸).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «حتى يكون ذلك متابعاً».

⁽٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٩/٢) رقم (٣٥٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٢١ - ٥٢١)، وأبو بكر البرقاني ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤٤/ ٣٣٠)، و«مسند الفاروق» (٢٠٠٢ ـ ٢٢١) ـ وإسناده ضعيف، لانقطاعه، فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر، قاله الحاكم. فقول ابن كثير في «مسند الفاروق»: «إسناده جيد» ليس بجيد. وعزاه في «الدر المنثور» (٢٤٢) لابن المنذر.



تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَفِقِينَ يُحْدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَالَى الْمُونَ اللَّهُ وَلَا يَرْبُونَ ٱللَّهُ اللهِ وَالنساء: ١٤٢]. وقال تعالى: ﴿فَوَيَلُّ لِلمُصَلِّينَ ﴿ ٱلنَّيْنَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿ وَالله تعالى: ﴿فَوَيَلُّ اللهُ عَلَيْهُمْ يُرَاءُونَ ﴿ وَالله وَ عَلَيْهِمْ مَا عَلَيْ مَعْمَلُ عَمَلًا مَلِكُمْ وَلَا يُشْرِلُهُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ عَلَيْهُمْ لَيْ اللهُ مَا عَمَلًا مَلْكُمْ وَلَا يُشْرِلُهُ بِعِبَادَةِ وَلَا خَوْقُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴾ ضمن لهم عُسِنُ ﴾ وقوله: ﴿ فَلَكُ تحصيل الأجور وأمنهم مما يخافونه من المحذور فَ لا خَوْقُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴾ ضمن لهم عَلَيْهِمْ في الأخرة في على ذلك تحصيل الأجور وأمنهم مما يخافونه من المحذور فَ لا خَوقُ عَلَيْهِمْ في الأخرة ﴿ وَلَا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴾ أي: لا يعني دلك جبير فَ لا خَوقُ عَلَيْهِمْ يعني: في الآخرة ﴿ وَلَا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴾ أي: لا يحزنون للموت () ...

وقال تعالى في الرد على اليهود والنصارى ومن سلك سبيلهم، وحجر رحمة الله بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير في سورة النساء: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيّ أَهْلِ ٱلْكِتَبُ مَن يَعْمَلُ شُوّءًا يُجُزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲/۲۱ ـ ۲۲).

⁽٢) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد نحوه.

⁽٣) انظر منه (ص٨٢).



وَلَا يُقَلَمُونَ يَقِمَلَ مِنَ الْفَكِلِحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةُ وَلَا يُقْلَمُونَ نَقِيرًا هِي وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا يَحْنَ أَسَلَمَ وَجَهَمُ اللّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَأَتَّبَعَ مِلَةً إِنَّاهِيمَ خَلِيلًا هِ النساء: ١٢٣ ـ ١٢٥ فهاتان الآيتان مشابهتان في المعنى لآيتي البقرة. والإسلام الموجه لله، معناه: أن لا يتوجه الإنسان برهبة ولا رغبة إلا لله وحده لا شريك له، ولا يطلب المدد الحسي كالمعيشة، أو المعنوي كتنوير القلب وانشراح الصدر بالإسلام إلا من الله تعالى، ومن طلب شيئاً من ذلك من غير الله فقد أشرك الشرك الأكبر؛ لأن الأرزاق الحسية والمعنوية كلها بيد الله.

الباب الثامن الخ

قىولى تىعىالى: ﴿وَقَالُوا ٱتَّحَدُ ٱللهُ وَلَدَّا سُبْحَدَنَةٌ بَلِ لَهُ مِمَّا فِي ٱلشَّكَوَتِ وَٱلأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَلَيْنُونَ ۚ ۞ بَدِيعُ ٱلسَّكَوَتِ وَٱلأَرْضِ وَإِذَا قَطَقَ آمْرًا عَإِنَّكَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞﴾ اللبقرة: ١١١ _ ١١١٧

⁽١) بعدها في مطبوع التفسير ابن كثيرًا: العليهم لعائن الله.

⁽٢) بعدها في مطبوع التفسير ابن كثير»: الومقدرهم ومسخرهم».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تقسير ابن كثير»: «وملك له».

السّكوَتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنسَقُ الْأَرْضُ وَقَخِرُ الْجِبَالُ هَدًا ۞ أَن دَعَوا لِلرَّحْنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَلْبَخِي لِلرِّحْنِ أَن يَنْجَذَ وَلَدًا ۞ إِن كُلُّ مَن فِي السّمَوَتِ وَالْأَرْضِ إِلَا عَلِي الرَّحْنِ عَبدًا ۞ وَكُلُّهُم عَدًا ۞ وَكُلُّهُم عَليّا ۞ وَكُلُّهُم عَليّا ۞ وَكُلُّهُم عَليّا ۞ وَكُلُّهُم الله الله الله الله الله الله ولا شبيه له، وله ولا شبيه له، وأن جميع يُولَد ۞ وَلَمْ يَكُن لَمْ كُلُو الله العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له، وأن جميع الأشياء عنده (١) مخلوقة له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد؟ ولهذا قال الله: البخاري (٢) في تفسير هذه الآية بسنده إلى ابن عباس عن النبي على قال: «قال الله: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي؛ فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان. وأما شتمه إياي: فقوله أن لي ولداً في في في في في أن أتخذ صاحبة أو ولداً»، تفرد به البخاري (٣) من هذا الوجه.

وفي "الصحيحين" (٤) عن رسول الله على أنه قال: "لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم". وقوله تعالى: ﴿كُلُّ لَهُ قَانِنُونَ﴾ من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم". وقوله تعالى: ﴿كُلُّ لَهُ قَانِنُونَ﴾ مصلُّون وقال [البقرة: ١١٦] قال ابن أبي حاتم (٥) بسنده عن ابن عباس: "﴿قَانِنُونَ﴾: مصلُّون وقال عكرمة وأبو مالك: "﴿كُلُّ لَهُ قَانِنُونَ﴾ مقرون له (٦) بالعبودية (٧). وقال مجاهد: "طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره (٨)، وهذا القول عن مجاهد، وهو اختيار ابن جرير يجمع (٩) الأقوال كلها (١٠) كما قال

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «غيره».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من البقرة».

⁽٣) في "صحيحه" برقم (٤٤٨٢).

⁽٤) أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢١٤) رقم (١١٣١)، وابن جرير (٢/ ٢٦٤) في «تفسيريهما»، ونسبه في «الدر المنثور» (١/ ١١٠) لابن المنذر أيضاً.

⁽٦) في مطبوع «ابن أبي حاتم»: «كل له مقرون».

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١/٢١٤) رقم (١١٣٢)، وابن جرير (٢/٢٦٤) في "تفسيريهما".

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١/٢١٣) رقم (١١٢٩)، وابن جرير (٢/٢٦٤) في «تفسيريهما»، وهو في «تفسير مجاهد» (ص٢١٣).

⁽٩) كذا في مطبوع اتفسير ابن كثير»، وفي الأصل: "لجميع»!

⁽١٠) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهو أن القنوت هو الطاعة والاستكانة إلى الله هو شرعي وقدري»، وانظر: «تفسير ابن جرير» (٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٣).



تعالى: ﴿وَلِللَّهُم مِاللَّهُ مَن فِي السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَنْكُمُم مِالْفُدُو وَالْأَصَالِ ﴿ ﴿ فَي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي؛ خالقهما على غير الرعد: ١٥] (١) ، وقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي؛ خالقهما على غير مثال سبق. قال مجاهد والسدي: «وهو مقتضى اللغة، ومنه يقال للشيء المحدث: بدعة (٢).

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲/ ٣٥ ـ ٣٦).

 ⁽۲) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۲/ ۳۸)، و «تفسیر ابن جریر» (۲/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦)، و «تفسیر ابن أبي حاتم» (۱/ ۲۱٤).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢/ ٤٦٤).

⁽٤) كذا في مطبوع "تفسير ابن جرير"، وفي الأصل: «أن يكن»!

⁽٥) في مطبوع "تفسير ابن جرير": "تشهد". (٦) في مطبوع "تفسير ابن جرير": "عباده".

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «أن مما».

⁽٨) في مطبوع «التفسير الكبير»: «ابتدع المسيح من غير والد».

⁽٩) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢/ ٤٦٥).

⁽١٠) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال الشاعر:

إذا ما أراد الله أمراً فإنها يقول له كن قوله فيكون



على أنه خلق عيسى بكلمة كن فكان كما أمره الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كُن فَيَكُونُ ۞﴾ [آل عمران: ٥٩]».

قال محمد تقي الدين: لم يبق لي ما أقوله بعدما حقق الإمامان (ك) و (ج) تفسير هاتين الآيتين، إلا أنه كان ينبغي أن تدرج في (القسم الثاني) من هذا الكتاب، وهو (توحيد الربوبية)، لأنهما عليه أدل، وإليه أدنى ولكن هذين النوعين من التوحيد متلازمان لتحقيق الإيمان بالله، فإن توحيد العبادة يستلزم توحيد الربوبية؛ لأن من وحّد الله في عبادته، قد علم وأيقن وآمن أنه لا رب له ولا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا حافظ لوجوده ولا متصرف فيه إلا واحد، وهو الله تعالى، أما توحيد الربوبية فإنه لا ينفع إلا إذا كان معه توحيد العبادة، ولكن لما كان النصارى قد اتخذوا ادعاء بنوة عيسى لله تعالى ذريعة لعبادته وإشراكه مع الله تعالى، كانت هناك مناسبة لإدخال الآيتين في قسم توحيد العبادة، وهكذا جميع المشركين حين يعبدون غير الله تعالى يزعمون أنهم ما عبدوا ذلك المعبود إلا لقربه من الله تعالى وعلو مكانته عنده، كما قال تعالى في عبدوا ذلك المعبود إلا لقربه من الله تعالى وعلو مكانته عنده، كما قال تعالى في أول سورة الورة الوريد مُن الله يَعْنَالُونَ إِنَّ الله يَعْنَالُونَ أَن الله يَعْنَالُونَ أَن الله يَعْنَالُونَ أَن الله يَعْنَالُونَ أَن الله تعالى كاذبين نشبُدُهُمْ إِلَا لِيُقَالِونَ أَن الله يَعْنَالُونَ أَن الله تعالى كاذبين وكافرين أشد الكفر بقولهم ذلك.

🔀 الباب التاسع 🗺

قوله تعالى: ﴿ فَيْ وَإِذِ ٱبْتَكَىٰ إِبْرَهِ عَمْ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَّمَا قَالَ وَمِن دُرِّيَتِيٍّ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّلِمِينَ ﴿ إِلَى ﴾ [البقرة: ١٢٤]

قال (٧): «يقول تعالى منبهاً على شرف إبراهيم خليله عليه ، وأن الله جعله إماماً للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي، ولهذا قال: ﴿وَإِفِ اَبْتَلَىٰ إِبْرَهِمَ رَبُّهُ بِكَلِئَتِ ﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم، وليسوا عليها، وإنما الذي هو عليها مستقيم، فأنت والذين معك من المؤمنين، اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم؛ أي اختباره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي ﴿فَأَتَهُنّ ﴾ أي: وقى قام بهن كلهن كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَهِيمَ ٱلَّذِي وَفّ ۞ [النجم: ٣٧] أي: وقي

جميع ما شرع له فعمل به صلوات الله عليه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِنَّرِهِيمِ كَانَ أَمَّةً وَاللَّهُ عِرَالٍ مُسْتَقِيمٍ وَاللَّهُ وَهَاللَّهُ إِلَى مِرَالٍ مُسْتَقِيمٍ وَمَا تَلْهُ وَلَا يَكُ مِنَ الشُمْرِكِينَ شَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهُ لَجْتَبَلَهُ وَهَاللَّهُ إِلَى مِرَالٍ مُسْتَقِيمٍ وَمَا تَلْهُ فِي اللَّهُ وَلَيْهُ فِي الْآخِرَةِ لِينَ الطَّيْلِحِينَ شَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ النَّبِي وَمَا تَلْهُ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَلِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَى النَّاسِ وَإِنْفُولِهُ وَلَا نَصْرَائِينَا وَلَكُن النَّبِي وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَى النَّاسِ وَإِنْفُولِهُ مَالِينَ النَّبُولُهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَى النَّاسِ وَاللَّهُ وَلَى النَّالِقُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّلْمُ وَاللَّهُ ا

وقال محمد تقي اللهين: والكلمات العشر التي امتحن الله بها إبراهيم، وأنض فرضها عليه فوفي بها وعمل بها وأتمها، وقد اختلف المفسرون في تعيينها اختلافاً كثيراً، ولم يثبت عن النبي على في تعيينها شيء كما قاله (ع)(١)، فنفوض أمرها إلى الله تعالى، إذ لا سبيل إلى معرفة أعيانها إلا بالرواية عن النبي كأمره ببناء البيت مع ابنه إسماعيل وأمره بتطهيره، وأمره بذبح ابنه، وقد فعل كل ما أمره ربه به على أحسن وجه، ولذلك جعله الله إماماً لأهل الحنيفية يقتدى به من بعده والله أعلم. قال (ك): "وقوله: ﴿وَمِن دُرِيَّقٌ قَالَ لا يَتَالَى عَهدِى النَّلْلِينَ لا يَتَالَى عَهدى الله إبراهيم إماماً سأل الله أن تكون الأثمة من بعده من ذريته، فأجيب إلى ذلك، وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله، ولا يكونوا أئمة يقتدى بهم، والدليل أنه أجبب إلى طلبه، قوله تعالى في سنورة العنكبوت: الآية ٢٧: ﴿وَبَعَلَنَا فِي دُرِيَّتِهِ ٱلنَّبُوَةَ وَالْكِنَبُ فكل نبي أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم، ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه. ثم قال (ك) ـ بعد كلام طويل للمفسرين في قوله تعالى: ﴿لاَ يَتَالُ عَهْدِى ٱلْقَلِلِيقَ عَلَى الطَهرة الخبر (ك) ـ بعد كلام طويل للمفسرين في قوله تعالى: ﴿لاَ يَتَالُ عَهْدِى ٱلْقَلِلِيقَ ـ ما نصه: "فهذه أقوال مفسري السلف في هذه الآية (٢٠)، وإن كانت ظاهرة الخبر (٢٠) نفهذه أقوال مفسري السلف في هذه الآية (٢٠)، وإن كانت ظاهرة الخبل نقله لا ينال عهد الله بالإمامة ظالماً، ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل نقله أنه لا ينال عهد الله بالإمامة ظالماً، ففيها إعلام من الله لابراهيم الخليل نقله أنه لا ينال عهد الله بالإمامة ظالماً، ففيها إعلام من الله لابراهيم الخليل نقله الله لا ينال عهد الله بالإمامة ظالماً، ففيها إعلام من الله لابراهيم الخليل نقله الله لابنا عهد الله بالإمامة ظالماً غليه المناه عليه الكون كانت ظاهرة الخيل المناه الله المناه المناه الله المناه الله المناه الله المناه المناه الله المناه ا

⁽۱) انظر: «تفسير ابن جرير» (۲/ ۲۰۰ ـ ۵۰۷) ووردت آثار في تعيين ذلك، تنظر في: «تفسير عبد الرزاق» (۱/ ۷۷)، «تفسير ابن وهب» (۱/ ۱۳۱) رقم (۳۰۱)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (۱/ ۲۲۱)، و«تاريخ ابن جرير» (۱/ ۲۸٪ ـ ۲۸۵)، و«مصنف اين أبي شيبة» (۱۱/ ۵۲۱)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (۱۹۳/ ـ ۱۹۵).

 ⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «على ما نقله ابن جرير، وابن أبي حاتم ـ رحمهما الله
 تعالى ـ واختار ابن جرير أن هذه الآية».

⁽٣) في مطبوع اتفسير ابن كثيرة: اظاهرة في الخبرة.



أنه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه كما تقدم عن مجاهد^(۱) وغيره، والله أعلم. وقال ابن خويز منداد المالكي: الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكماً ولا مفتياً ولا شاهداً ولا راوياً»^(۲).

🔀 الباب العاشر 🗟

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَتِنَآ أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّ

قال (ج): «يعنيان بذلك: واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك^(٣).

قال محمد تقي الدين: إن إبراهيم وإسماعيل كانا مسلمين نبيين رسولين ولكنهما كما قال (ج) سألا الله أن يجعل قلوبهما ونفوسهما على الدوام مطيعة مخلصة موحدة له في عبادته وفي طاعته، ودعاء الأنبياء في هذا تعبد وخضوع؛ لأنهم معصومون، ثم عطف عليه (وَمِن دُرِيَيّنَا أُمّةً مُسْلِمةً لَكَ . نقل (ك) عن السدي أن المراد بهذه الأمة العرب، وخالفه (ج) فقال: (إن هذا الدعاء يعم العرب وبني إسرائيل، لقوله تعالى في سورة الأعراف ١٥٩: (وَمِن وَرِّم مُوسَى أُمّةً يَهْدُون بِالْمَق وَمِد يَعْدِلُونَ فَي الاعراف: ١٥٩] وأجاب (ك) بأن (هذا لا يتنافى مع تفسير السدي ولا سيما والكلام الآن في العرب، ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك: (رَبَّنَا وَابَعَث فِيهِم رَسُولًا مِنْهُمْ يَتُلُوا عَلَيْم عَايَتِك وَيُوبَلُهُمُ الْكِنْبُ وَالْحِكُمُ وَيُرْكِهُم الله الله هو محمد على وهو من العرب، وكلا الوجهين وحميح، فكل من اتبع ملة إبراهيم من العرب والإسرائيليين داخل في هذا الدعاء (٥٠).

⁽۱) أسنده عنه: ابن وهب في «تفسير القرآن» (۱/ ۲۲)، وسعيد بن منصور (۲۱۳)، وابن جرير (۲۱۳) وبنحوه عند سفيان الثوري في «تفسيره» (ص٤٨)، وابن أبي حاتم (۱/ ۲۲۳) وعزاه في «الدر المنثور» (۱/ ۱۸/۱) لعبد بن حميد ووكيع.

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲/ ۵۰ ـ ۵۷). (۳) انظر: «تفسير ابن جرير» (۲/ ٥٦٥).

⁽٤) انظر: "تفسير ابن جرير" (٢/ ٥٦٦). (٥) انظر: "تفسير ابن كثير" (٢/ ٩٤).



🕬 الباب الحادي عشر 🔫

قـولـه تـعـالى: ﴿ وَمَن يَرْعَبُ عَن مِلَةٍ إِبْرَهِ مَ إِلّا مَن سَفِه نَفْسَةً وَلَقَدِ السَّطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّلِحِينَ ﴿ إِلَّا مَن سَفِه نَفْسَةً وَلَهُ رَبُّهُ وَالسَّلِمُ قَالَ السَّلَمْ قَالَ السَّلَمْ عَلَى الْعَلَمِينَ ﴿ وَوَصَىٰ بِهَا إِبْرَهِمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ السَّلِمُ قَالَ السَّلِمُونَ ﴿ وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴿ الْمَوْتُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِينَ فَلَا تَمُوتُنَ إِلّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴿ أَمْ اللّهِ وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴿ أَمْ اللّهِ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ مَا تَعْبُدُونَ مِن اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ و

قال (ك): «يقول تبارك وتعالى راداً على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة إبراهيم الخليل إمام الحنفاء، فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿ قَالَ يَكَفُّومِ إِنِّي بَرِيَّ ۗ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَنُونِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا آنًا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّنِي بَرَاتُهُ مِّمَّا لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاتُهُ مِّمَّا تَمَّبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَفِ فَإِنَّمُ سَيَهَدِينِ ۞﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَاكَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةِ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَبَيَّنَ لَهُ ۗ أَنْتُمُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَهِيمَ لَازَّهُ حَلِيدٌ ﴿ إِلَّهِ السَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا يَتَهِ حَنِيفًا وَلَرْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِرًا لِلْأَنْعُمِةِ اجْتَبَنَهُ وَهَدَنُهُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَمَاتَيْنَهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ لَينَ ٱلصَّالِحِينَ ۞﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢٢] وَلهذا وأمثاله قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَهِ عَرَ^(١) إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَةً﴾ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد من حداثة سنه إلى أن اتخذه الله خليلاً، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء، فمن ترك طريقه هذا ومسلكه وملته، واتبع طرق الضلالة والغي، فأي سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي: عن طريقته ومنهجه، فيخالفها ويرغب عنها».

أكبر من هذا؟ (١) قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [نقمان: ١٣]. قال أبو العالية وقتادة: نزلت هذه الآية في اليهود أحدثوا طريقاً ليست من عند الله وخالفوا ملة إبرهيم فيما أحدثوه (٢)، ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَنكِن كَاكَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلمُشْرِكِينَ ۖ إِكَ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَلَذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞﴾ [آل عسمران: ٧٧ - ٦٨] وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَ أَسُلِمٌ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَلَمِينَ ﴿ وَالبقرة: ١٣١] أي: أمره الله تعالى بالإخلاص له والاستسلام والانقياد فأجاب إلى ذلك شرعاً وقدراً، وقوله: ﴿وَوَضَىٰ بِهَاۤ إِبْرَهِءُمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ [البقرة: ١٣٢] أي: وصى بهذه الملة وهي الإسلام لله، أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَلْمِينَ ﴾، لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة، ووصوا أبناءهم بها من بعدهم، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كُلِمَةٌ مَاقِيَةٌ فِي عَقِيهِ ﴾ [الـزخـرف: ٢٨]» (٣) وقـولـه: ﴿ يَنْبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢] «أي: أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا؟ ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته، بأن من قصد الخير وفق له ويُسِّر (٤) عليه، ومن نوى صالحاً ثبت عليه، وهذا لا يعارض ما جاء في الحديث الصحيح: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»(٥). لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث: «فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس»(٢). وقد قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْلَىٰ وَأَنْقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْبُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَأَسْتَغْنَىٰ ۞

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من هذا كله كما».

⁽٢) أخرجه أبن جرير (٧٨/٢)، وابن أبي حاتم (٢/٨٧٨) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٣٩) إلى عبد بن حميد أيضاً، وهو مرسل، وانظر: «العجاب» (١/ ٣٧٨).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٨ _ ٩٩).

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «ويسير»!

⁽٥) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود.

⁽٦) أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد.



وَكَذَبَ وَالْمُشْنَ ۚ فَى مَسْنَيْتِرُو الْمُسْرَىٰ ﴿ اللَّيْلِ: ٥ ـ ١٠] قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاةَ إِذْ حَمَّرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِيَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ فَتَبُدُ إِلَيْهَكَ وَإِلَّهُ مَاجَآبِكَ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَنِهِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَنِهِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۖ فِي تِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كُسَبَتَ وَلَكُمْ مَا كَسَبَتُمْ وَلا تُسْتَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْبَلُونَ ۗ ﴿ اللَّهِمَةِ: ١٣٣ ـ ١٣٤].

يقول تعالى محتجاً على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفار من بني إسرائيل ـ وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم على ـ بأن يعقوب لما حضرته الوفاة، وصّى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، فقال لهم: ﴿مَا تَعَبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَيْهَ وَإِلَهُ عَابَايِكَ إِبْرِهِمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وهذا من باب التغليب؛ لأن إسماعيل عمه، قال النحاس: والعرب تسمي العم أباً، نقله القرطبي (١٠)، وقد استدل بهذه الآية الكريمة من جعل الجد أباً، وحجب به الأخوة، كما هو قول الصليق، حكاه البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير (٢٠)، ثم قال البخاري ولم يختلف عليه (٣)، وإليه ذهبت عائشة أم المؤمنين (٤)، وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعظاء (٥)، وهو مذهب أبي حنيفة (٢) وغير واحد من السلف والخلف (٧)،

⁽١) في "تفسيره" (١٣٨/٢)، وهذا الموضع لا وجود له في مطبوع "معاني القرآن" للنحاس، إذ أصله الخطى فيه نقص.

⁽٣) بل حكاه البخاري في اصحيحه": كتاب القرائض: باب ميراث الجد مع الأب والإخوة عنهم جميعاً، وهذا نص كلامه: الوقال أبو بكر وابن عباس وابن الزبير: الجد أب وسيأتي توضيح ذلك، وبيانه في (ص٣٩٥).

⁽٣) عبارة البخاري في الموطن السابق: «ولم يذكر أنّ أحداً خالف أبا يكر في زمانه، وأصحاب النبي على متوافرون».

⁽٤) وهو قول معاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وأبي هريرة وأبي الدرداء وأبي الطفيل وأبي موسى وعمران بن حصين وجابر بن عبد الله وعبادة بن الصامت.

انظر: «مصنف عبد الرزاق» (۱۰/ ۲۲۳ ـ ۲۲۳)، «مصنف ابن أبي شيبة» (۲/ ۲۵۸ أو ۱۱/ ۸۲۸ ط. الهندية)، «سنن الدارمي» (۲/ ۲۵۲ ـ ۳۵۳ أو ۱۰/ ۱۶ وما بعدها ـ مع «قتح المنان»)، «سنن البيهقي» (۲/ ۲۶۲)، «المحلى» (۲۸/ ۲۸۸)، «فتح الباري» (۱۸/۱۲ ـ ۲۰).

⁽٥) وجابر بن زيد وقتادة وابن سيرين، وعثمان البتّي والمزني وداود، انظر: «المحلى» (٩/ ٢٨٨)، «العذب الفائض» (١٠٥/١)، «مختصر اختلاف العلماء» (٤/ ٢٦٤)، «حاشية البقري على الرحبية» (٩٧).

⁽٦) انظر: «مختصر الطحاوي» (١٤٧)، «المبسوط» (٢٩/ ١٨٠)، «الاختيار» (٥/ ١٠١)، «الأشباه والنظائر» (٢٨) لابن نجيم، «حاشية ابن عابدين» (٦/ ٧٨١)، «شرح السراجية» (٧٨).

⁽٧) قال عنه العلامة السعدي في افتاواه» (٤٨٠): «الموافق لظاهر الكتاب والسنة، والموافق =



وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه: إنه يقاسم الأخوة (١)، وحكي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت (٢) وجماعة من السلف والخلف (٣)، واختاره صاحبا أبي حنيفة القاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن (٤)، وقوله: ﴿إِلَهُا وَحِدًا﴾ أي: نوحده بالألوهية ولا نشرك به شيئًا غيره ﴿وَغَنُ لَمُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مطيعون خاضعون كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ السّلَمَ مَن في السّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوَعًا وَكَرَّهًا وَإِلْتُهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم، واختلفت مناهجهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولِ إِلّا نُوحِيّ إِلَيْهِ أَنَّمُ لا إِلهَ إِلاّ أَنا فَأَعَبُدُونِ ﴿ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] والآيات في هذا كثير، والأحاديث: فمنها قوله ﷺ: "نحن معشر الأنبياء: ٢٥] والآيات في هذا كثير، والأحاديث: فمنها قوله ﷺ: "نحن معشر الأنبياء أولاد علات أنهم لأمهات مختلفة ودينهم واحد، كذا في "التهذيب" (٧)،

لمواقع الإجماع في غير هذه المسألة، والموافق للمعاني الصحيحة، وهو قول منضبط،
 لا تناقض فيه، ولا غموض، ولا إشكال».

قلت: «وهذا المذهب مروي عن بضعة عشر من الصحابة، أفاده ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٤١/٣١) ونصره بقوة. وانظر تعليقي على: «الإشراف» للقاضي عبد الوهاب (٥/ ٢١١ _ ٢١٢) رقم (١٩٦٠).

⁽۱) وهو قول الشعبي والنخعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة والحسن بن صالح والزهري والأوزاعي والثوري، وأبي عبيد، انظر: «المجموع» (۱۸۱/۱۷)، «الحاوي الكبير» (۸/ ۱۲۵)، «الموطأ» (۲/ ۵۰۱)، «الذخيرة» (۱۲/ ۹۶)، «حاشية الدسوقي» (۱۲/ ۵۰۱)، «المغني» (۱۲/ ۳۰)، «الإنصاف» (۷/ ۳۰۵)، «التهذيب في الفرائض» (۹۷ _ ۹۹)، «النهائة الهداية» (۱۲/ ۳۵۱)، «الفوائد الشنشورية» (ص۱۳۰)، «التحقيقات المرضية» (۱۳۳).

⁽٢) انظر مذاهبهم مسندة في: «الفرائض» (ص٣١ ـ ٣٢) لسفيان الثوري، «مصنف عبد الرزاق» (١٨/١٠)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٠/٢٦)، «سنن الدارمي» (٢١٨/١٠)، «اختلاف العلماء» للطحاوي (٤/ ٤٦٤ ـ مختصر الجصاص)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٦/ ٢٤٩)، و«الخلافيات» له (٣/ ق١٢)، «تغليق التعليق» (٥/ ٢١٩، ٢٢١)، وانظر: «إعلام الموقعين» (٢/ ١٥٠، ٢٧٥ ـ ٣٧٥ و٣/ ٤٥٤ ـ بتحقيقي).

⁽٣) بعدها في مطبوع "تفسير ابن كثير»: "ولتقريرها موضع آخر».

⁽٤) انظر: «مختصر اختلاف العلماء» (٤/ ١٦١)، «شرح السراجية» (٧٨)، «تبيين الحقائق» (٦/ ٢٣٠).

⁽٥) أخرجه البخاري (٣٤٤٢) من حديث أبي هريرة.

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٨ _ ١٠١).

⁽V) (۱/٥/۱) للأزهري.



وفي «النهاية»(١) لابن الأثير: أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة»(٢).

- (١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢٩١ ـ علل).
 - (٢) انظر: «اللسان» (١١/ ٤٧٠ ـ علل).

(إفاضة وإضافة): أهمل المصنف _ عفى الله عنا وعنه _ تفسير قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتٌ ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وفي آخر آية ضمن الآيات التي فسرها، وظئنتُ أنه أرجا الكلام عليها في (القسم الثالث) من الكتاب، الخاص ب(توحيد الاتباع)، وأكثر فيه من الكلام على (التقليد) وانتزع ذمه من كثير من الآيات، ونذكر هنا ما استنبطه ابن بدران في «جواهر الأفكار» (ص٣٥٥)، قال رحمه الله تعالى:

"وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةً﴾ إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم، وما عطف عليه، وبنوهم الموحدون. والمعنى: إن أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً، فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا، فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم، وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم، وقد شايعهم في هذه الأمة أناس اتكلوا على الأنساب، وعملوا بأكثر ما حرمه الكتاب، وأبناء العلماء تركوا العلم وادعوا أن ولد العالم لا يكون إلا عالماً، كأنهم يقولون بالتناسخ، ويزعم بعضهم أن أرواح آبائهم تمدهم وتلهمهم العلم إلهاماً بدون تعلم، وما أقبح هذه الدعوى وما أفظعها.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَسَبَتُ لَهُ يدل على أن كسب كل واحد مختص به، ولا ينتفع به غيره، وهذا يدل على بطلان التقليد، كما قاله الرازي، إذ لو كان التقليد جائزاً لكان كسب المتبوع نافعاً للتابع، فكأنه قال: إني ما ذكرت حكاية أحوالهم طالباً منكم أن تقلدوهم، ولكن لتنبهوا على ما يلزمكم، فتستدلوا وتعلموا أن ما كان عليه إبراهيم، وما عطف عليه من الملة هو الحق، وفي الآية رد على اليهود لأنهم يقولون: بأن صلاح آبائهم ينفعهم، ويقولون: إنهم يعذبون في النار لكفر آبائهم باتخاذ العجل».

وقال في تفسير الآية نفسها (ص٣٦٥ ـ ٣٦٦) في الموطن لمكرر رقم (١٤١) من السورة نفسها:

«ولما حاج تعالى اليهود والنصارى في هؤلاء الأنبياء عقب ذلك الحجاج بقوله: ﴿ تِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُم وَلَا نُشْتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَسْبَلُونَ ۖ ﴿ فِلْكُم مَا كَسَبْتُم ۗ وَلَا نُشْتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَسْبَلُونَ ۗ ﴾.

لتكون هذه الآية وعظاً لهم وزجراً، حتى لا يتكلوا على فضل الآباء، فكل واحد يؤخذ بعمله، وإعلاماً لهم، بأنه متى لا يستنكر أن يكون فرضكم عين فرضهم، لاختلاف المصالح، لم يستنكر أن تختلف المصالح، فينقلكم محمد ﷺ، من ملة إلى ملة.

وتدل الآية على أن كل إنسان مسؤول عن عمله، ولا عذر له في ترك الحق، إن توهم أنه متمسك بطريقة من تقدم؛ لأنهم أصابوا أو أخطؤوا، لا يضر هؤلاء ولا ينفعهم، لثلا يتوهم أن طريقة الدين التقليد.

وفي الآية زجر عظيم لمن جعل التقليد مذهبه، وسار مع قوله مقلده كيفما كان، ثم إن إتاه الحق وظهر له الدليل أعرض عنه جانباً، وراغ عنه، وأخذ يؤوله حسبما يريد، ويختار له هواه، ويسلك مسالك أولئك المعاندين، الذين قلدوا أحبارهم ورهبانهم فيما =



قال محمد تقي الدين الهلالي: شبه النبي الشرائع بالأمهات والدين بالأب، فالدين هو توحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، والإيمان به وبجميع رسله وأنبيائه من آدم إلى محمد الله وإقامة العدل والإحسان، فهذه أصول الدين لا يختلف فيها الأنبياء والرسل، أما الشرائع والأحكام، فإن الشرائع مختلفة؛ لأن أزمنتهم مختلفة، وأحوال أهلها مختلفة، وقد شرع الله لكل واحد منهم شريعة تناسب زمانه وقومه، ثم ختم الرسل والأنبياء والشرائع ببعثة محمد الله فنسخت شريعته كل الشرائع المتقدمة؛ لأنها صالحة (۱) لكل زمان ومكان ولكل قوم، وهي خالدة باقية إلى يوم القيامة.

قال المؤلف: قد نقلت في تفسير هذه الآيات ما جعلها واضحة للقراء وأزيد شيئاً من البيان تنبيهاً للمعاصرين فأقول: إن المسلمين قد أهملوا توحيد الله في أكثر أوطانهم، وانغمسوا في الشرك الأكبر، واستوى في ذلك عالمهم وجاهلهم إلا قليلاً ممن أخذ الله بيده، فلو أن عالماً من علماء المسلمين نشأ في بلد إسلامي، وله أولاد علمهم القرآن، وعلمهم كتب العلوم الإسلامية على ما عليه العامة ممن يسمون بالعلماء، وعاش معهم زمناً طويلاً يؤدون العبادات المفروضة ثم حضرته الوفاة، فجمع أولاده، وقال لهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ لقال الناس: إنه أصيب بجنون، وأنه يهذي هذيان المحموم؛ لأنهم يزعمون أن من صلى وصام وحج وقرأ القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام وإن عبد غير الله تعالى بالدعاء والاستغاثة والاستعاذة والتوكل والخوف والرجاء والحلف والذبح

ابتدعوه لهم من الدين، ورتبوه لهم من المفتريات، ولما جاءهم الحق الذي لا مرية فيه وهو القرآن الكريم، أعرضوا عنه اتباعاً لقول أحبارهم ورهبانهم، كما أضل هؤلاء من سار سيرهم واتبع طريقتهم، فأعرض عن كتاب الله وسنة نبيه، وحرفه وبدله وساقه نحو هواه، ﴿وَمَن لَرْ يَعْمَلِ اللهُ لُه نُولًا فَمَا لَمُ مِن نُوبٍ [النور: ٤٠] وتكرير هذه الآية يدل، والله أعلم، على أنه متى اختلفت الأوقات والأحوال والمواطن، لم يكن التكرار عبثاً فكأنه تعالى قال: ما هذا إلا شر، فوصف هؤلاء الأنبياء فيما أنتم عليه من الدين، لا يسوغ التقليد في هذا الجنس، فعليكم بترك الكلام على إبراهيم وما عطف عليه من تلك الأمة، فلها ما كسبت، وانظروا فيما دعاكم إليه محمد على فإن ذلك أنفع لكم وأعود عليكم بكل خير، ولا تسألون إلا عن عملكم، ﴿رَبّا لا ثُرَعْ قُلُوبًا بَهَذَ إِذْ هَدَيْتُنَا وَهَبُ لَنَا مِن لَذُنك رَحْمَةً إِنّكَ أَنَت الْوَهَابُ اللهِ الله عران: ٨].

⁽۱) ومصلحة أيضاً، وعبارة (الإسلام مصلح لكل زمان ومكان) أوفى وأتم من (صالح)! فتأمل.



والنذر، وجعل الحكم لغير الله وما أشبه ذلك مما تقدم ذكره، لا يضره ذلك شيئاً وهو مسلم مؤمن كامل الإيمان، ولا يخافون عليه ضلالاً ولا زيغاً، وهذا إبراهيم الخليل إمام الحنفاء، يوصي بنيه بتوحيد الله تعالى، وهذا يعقوب حفيده نبي الله تعالى لم يكفه إجمال الوصية بالإسلام، بل يؤكد ذلك بقوله: ﴿ مَا تَعَبُّدُونَ مِنْ بَمْدِي﴾ وذلك عندما حضره الموت، فلم يقولوا له: نحن أبناؤك ولم نزل نعبد الله معك وحده لا شريك له، فكيف تسألنا هذا السؤال؟ بل أجابوه جواباً واضحاً بقولهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَنْهَكَ وَإِلَنْهَ ءَابَآيِكَ إِبْرَاهِءَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَتَى إِلَهًا وَبِجِدًا﴾ لا نشرك به شيئاً ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بقلوبنا وألسنتنا لا نتوجه لغيره أبداً، وبهذا اطمأنت نفس يعقوب عليه على أولاده، وكذلك قول إبراهيم الخليل عليه في سورة إبراهيم: ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَمَّبُكُ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] والجاهلون في هذا الزمان يقولون: نحن نقول: لا إله إلا الله، ونصلي ونصوم، فكيف تخاف الشرك علينا وعلى أولادنا؟ وهذا هو الجهل المركب من جهلين: أحدهما: إنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام، والثاني: إنهم يجهلون أنهم لا يعلمون هذه الحقيقة، فهم كما قال شاعر على لسان حمار الطبيب توما الذي يضرب به المثل في الجهل بالطب: قال حِمَارُ الحكيمِ توما لو أنْصَفُوني ما كُنتُ أَرْكَبُ لأنَّ جَهلي غَدا بَسِيطاً وراكبي جهله مركّب (١)

🔀 الباب الثاني عشر 🗠

⁽١) البيتان في «المثل السائر» (٣٣٨/٢) منسوبان لبعض العراقيين.



قال محمد بن إسحاق بسنده عن عبد الله بن عباس قال: قال عبد بن صوريا الأعور لرسول الله على: ما الهُدى إلا ما نحن عليه فاتَّبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك؛ فأنزل الله على: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَكَرَىٰ وَقَالُوا عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ

(۱) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» _ كما في «سيرة ابن هشام» (۲۰۲/۲) _ ومن طريقه ابن جرير (۱/ ۳۹۱) وقم (۲۰۹۰)، وابن أبي حاتم (۲۰۱۱) وقم (۱۳۰۰) في «تفسيريهما» وإسناده ضعيف، فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، مجهول، تفرد عنه ابن إسحاق. قاله الحافظ في «التقريب»، وقال عنه الذهبي في «الميزان» (۲۱/۶): «لا يعرف»، وضعفه ابن كثير في «تفسيره» (۲/۲۲)، وعزاه في «الدر المنثور» (۱/۲۷) (۳۳) لابن المنذر.

(ومضة): هذه الدعوى التي ادعاها أولئك لم تزل دعواهم إلى يومنا هذا، وإلى ما بعده، ولكن اليهود لما لم يكن لهم شوكة، وكانت عادتهم البخل والشح لم يظهروها، وأما النصارى فإنهم يجاهرون بها، ويرسلون المبشرين لأجلها إلى الأقطار ويصحبونهم بالأموال الطائلة، ويفتحون النمدارس في بلاد المسلمين لاتساع تلك الدعوى وبثها، ويؤلفون الكتب في الرد على القرآن وتزييفه على زعمهم، وفي الرد على الدين الإسلامي، ويأخذون الخرافات التي حشاها جهلة المؤلفين في كتبهم، وينسبونها إلى الدين الإسلامي طعناً فيه، ويأتون من حشو أدمغتهم بالخرافات التي ليست من دين الإسلام في شيء، فيقولون لهم: إن النصارى لم ترتق إلا بدينها، فلذلك عظمت دولهم، واهتدوا إلى الاختراعات العجيبة، وأما أنتم معاشر المسلمين، فإن دينكم هو الذي أخركم وجعلكم أحط الأمم قدراً، وأعظمها فقراً، فيروج ذلك على عباد الأوهام.

قسم منهم وهو القليل يتمسك بدينه الإسلامي، لكنه يكون متهاوناً بالعبادات وبالتكاليف. وقسم منهم ينسلخ من الأديان كلها ويأخذ بالزندقة والإلحاد، ويعتقد أن الطبيعة هي الفعال المطلق، وأن لا إله في الوجود.

وقسم يميل إلى النصرانية ميلاً لا اتباعاً، فيكون مذبذباً بين النطق بكلمة التوحيد، وبين الزندقة والنصرانية.

والذي نشهد الله عليه: أنه ما أضل مَنْ ضل إلا جهلةُ المؤلفين والمدرسين، وبعض أهل العلم الذين يلقون إلى العامة الخرافات التي لم يأت بها قرآن، ولا صح منها شيء عن النبي هي ولا عن أصحابه، ولا عن التابعين لهم بإحسان، وإنما هي دسائس من الوثنيين والنصارى واليهود، والزنادقة، وأهل التناسخ من القرامطة، ومن كان على شاكلتهم وخصوصا القرامطة، فإنهم كانت لهم دولة، وكان لهم دعاة يلبسون دعوتهم لباس الفلسفة، ويبرزونها في صورة التصوف، ومن دعاتهم من كان واسع التخيل إما بطبعه، وإما باستعمال ما يعين على ذلك، كالحشيشة وأمثالها، فتجرؤوا على تفسير =



دعوتمونا إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتبع ﴿مِلَّةَ إِبَرَهِعَمَ حَنِيفًا ﴾ أي: مستقيماً، قاله محمد بن كعب القرظي، وعيسى بن جارية، وقاله خصيف (١) عن مجاهد ملخصاً»(٢).

تتاب الله تعالى حتى أخرجوه عن موضوعه، وظهروا بمظهر الفقر والإرشاد، فراج مظهرهم على العوام، وعلى المغفلين من أهل العلم، فقلدوهم في ذلك وشرحوا أقوالهم، وزينوا بها مؤلفاتهم على زعمهم، وراموا اللحاق بمقامات زينها لهم الداعون، فماتوا ولم يصلوا إليها؛ لأنها خيال في خيال، لا حقيقة لها، حتى جرهم ذلك إلى القول بالاتحاد وطرح التكاليف الشرعية، وقالوا: إن العارف إذا وصل إلى مقام المعرفة سقط عنه التكليف، وما التكليف إلا حجاب بين العبد وبين ربه، وأن الله سبحانه حال في الأشخاص كلها وفي جميع الموجدات، فأنت هو، وهو أنت، فمن المكلف؟ هل تكلف ذاته ذاته؟ وهذا هو مقام المعرفة عندهم. لهذا المذهب في زمننا رواج عظيم، حتى عند المغفلين من أعاظم العلماء، فإذا كان النصارى كفروا بالتثليث، فهؤلاء جعلوا آلهة لا يحصيها إلا الله تعالى، هؤلاء أولى بأن يقال لهم: ﴿فَلْ بَلْ مِلَّة إِنْرَهِتَمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُعْلَى مِنْ قاله ابن بدران في «جواهر الأفكار» (٣٥٦ ـ ٣٥٧).

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال خصيف».

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲/ ۱۰۲). (۳) أخرجه البخاري في «صحيحه» (۷۳٦۲).



وقتادة: الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط»(١).

قال محمد تقي الدين: السبط، يلفظ به في اللغة العبرانية _ شفيط _ وهو غصن الشجرة، وسمي أبناء يعقوب الاثنا عشر أسباطاً؛ لأنهم أبناء أب واحد كأغصان الشجرة.

"قال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل" (٢)، ثم قال (٤) بعد نقول متعددة بمعنى ما تقدم: "وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط ههنا شعوب بني إسرائيل، وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم، كما قال موسى لهم: ﴿ أَذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ الْمَيْكَةُ وَجَعَلَكُمُ مُلُوكًا الآية [المائدة: ٢٠] (٣)». وقال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَهُمُ اتَّنْقَ عَشَرَةَ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْكُمْ اللهُ والربور والإنجيل وليسعكم القرآن (٥).

قال محمد تقي الدين: مقتضاه أن المسلمين لا يأخذون دينهم من الكتب السابقة، وإنما يأخذونه من القرآن والسنة؛ لأن القرآن ناسخ لما تقدم قبله من الكتب، ولأن الله تعالى جعل لهم الأسوة والقدوة في أفضل النبيين وإمام المرسلين محمد على فلا حاجة بهم إلى غيره (٢). اه.

⁽۱) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۱۰۳/۲)، و «تفسیر ابن جریر» (۵۹۸/۲)، و «تفسیر ابن أبي حاتم» (۲٤٣/۱).

⁽٢) انظر: «العين» للخليل (٧/ ٢١٨)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ١٠٤).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠٤/٢).

⁽٤) لا يوجد في مطبوع «تفسير ابن كثير» ذكر لإدريس ﷺ.

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١/ ٤٠٠) رقم (١٣١٢) وإسناده ضعيف، فيه عبيد الله بن أبي حميد متفق على ضعفه ويروي عن أبي المليح عجائب. انظر: "الميزان" (٣/ ٥)، و"التهذيب" (٧/ ٩).

 ⁽٦) وأنت إذا تأملت هذه الآية والتي قبلها، وجدتهما يشيران إشارة من ألطف الإشارات،
 ويلفتان إلى معنى من أدق المعاني، ويلوحان إلى أن النصارى واليهود وأمثالهما يدعون =



إلى دينهما، فلا تطعهما في دعواهما، واتبع دين الفطرة والاستدلال الذي هو دين إبراهيم على حيث استدل بالمصنوعات على الصانع، وذلك مما فطر كل كامل العقل عليه، فأفرد الحق تعالى بالوحدانية، وذلك دين لا يتغير بتغير الأزمان، ولا يختلف بتبدل الأمم واختلاف ألسنتها، ومجيء أمة بعد أمة، وهو الإيمان بالله تعالى إيماناً خالياً مما دسه المبتدعون، وتقوله المتقولون، والإيمان لما أنزله من الكتب إجمالاً، ويسائر أنبياته ورسله الذين أوحى إليهم وأرسلهم إلى الأمم كلهم فإن الإيمان ببعضهم دون البعض، يوقع العالم في الشقاق المؤدي إلى انفراط المدنية الحقة، ويجر من آمن بالبعض إلى التحصب لمن آمن به، حتى يزعم أنه ليس على وجه البسيطة ناس غيره يستحق من الله الوحي إليه.

وهذا المعنى كان تصب أعين الصحابة رضوان الله عليهم، فلفلك جلوا بما كانوا يجلون فيه، ولأجله كان انتهاء سائر الأديان إلى هذا الدين، كما ورد في الحديث: «لو كان موسى حياً قما وسعه إلا اتباعي» (٢)، وهذا سر ما ورد من أنه على طلى بالأنبياء إداماً ليلة المعراج، ولفلك كان هذا الدين هو النقطة الجامعة لكل الأمم على السواء؛ لأن مبناه الإيمان بالله، وهو بلا شك إله السماوات والأرض وما بينهما، والإيمان بسائر رسله الذين أرسلهم إلى الأمم، وعدم التعصب لنبي دون نبي، فأي عذر بعد هذا لهندي أو لصيني أو لإفريقي أو لأوروبي، وغيرهم في عدم اتباعهم هذا الحق المبين، والبرهان الطاهر الظاهر، وأي حجة لهم في تعصب كل منهم لتصديق نبي دون نبي.

واعلم: أن من يلاحظ حالة الحياة الاجتماعية العمومية اليوم، ويحصل له إلمام باشتباك المصالح التجارية ببعضها، ويعلم مقدار تأثير الروابط الاقتصادية بين الأمم في وجود الاتفاق، والاتحاد بينها، يعلم تبعاً لذلك: أن ذلك التقرب سيكسر من شَرَه التعصبات الدينية الذميمة، ويمحو من بينهم تلك الأحقاد الاعتقادية الموروثة، ولا يمكن للإنسان أن يتخيل نقطة جامعة يرضى بها الكل على السواء، إلا بتصديق كل أمة بأنبياء جاراتها وبكتابها المنزل عليها، فما أبدع الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَلُولًا مَامَتُكا بِاللَّهِ الآية.

⁽١) انظره في (ص٢٣٨).

⁽٣) الحديث حسن. وقد خرجته مطولاً في تعليقي على «الأقوال القويمة» للبقاعي، وسلمته من سنوات للطباعة، يسر الله نشره بخير وعافية.



"يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ ءَامَنُوا ﴾ (١) يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿ بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ عَلَا أَيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿ وَفَقَر الْفَتَدُوا ﴾ أي: فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه ﴿ وَإِن اللهِ عَلَوا ﴾ أي: عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم ﴿ وَلَهُو السَيعُ الْفَكِيمُ ﴾ . قال شَيَرُ اللهُ ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويظفرك بهم، ﴿ وَهُو السَيعُ الْفَكِيمُ ﴾ . قال أبن عباس وغيره من السلف: ﴿ وَسِبَغَةَ اللهِ ﴾ [الزموا] (٣) ذلك عليكموه، وقال بعضهم: إما على الإغراء كقوله: ﴿ وَطَرَتَ اللهِ ﴾ [الزموا] (٣) ذلك عليكموه، وقال بعضهم: بدلاً من قوله: ﴿ مِلْوَ إِبْرَهِمَ ﴾ [٤) قال (ش): ﴿ وقد ذكر المفسرون أن أصل ذلك، أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في الماء وهو الذي يسمونه المعمودية، ويجعلون ذلك تطهيراً لهم، فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً، فرد الله عليهم بقوله: ﴿ مِبْغَةَ اللهِ ﴾ أي: الإسلام وسماه صبغة، استعارة، ومنه قول بعض عليهم بقوله: ﴿ مِبْغَةَ اللهِ ﴾ أي: الإسلام وسماه صبغة، استعارة، ومنه قول بعض شعراء همدان:

وكالُّ أنساس لهم صبعةٌ وصبغةُ هَمْدان خير الصِّبغُ صَبَعْ مَا اللَّهِ الصَّبغُ اللَّهُ اللْ

ولو أن العقلاء رجعوا إلى كتب الله المنزلة قبل القرآن، وجردوا وحيها الإلهي مما افتراه عليه أكثر الأمم من الخرافات وخلطوه به من أفكارهم مما لا ينطبق عليه، لوصلوا إلى الدين الفطري، النقي من الشوائب. ولمّا كان الدين الإسلامي الخالي من الخرافات، ومن تقولات الملحدين والمخدوعين بهذه المثابة؛ صَحَّ أن يكون هو الناسخ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ناسخ له على ممر الزمان، وأنه لا يأتي زمان إلا ويغرس الله تعالى فيه غرساً ينفون عنه تقول الضالين، وإلحاد الملحدين، ولن تزال طائفة من أهله قائمة على الحق لا يضرها من خذلها، ولا من افترى عليها، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. قاله العلامة ابن بدران في «جواهر الأفكار» (٣٥٩ _ ٣٦١).

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بمثل ما آمنتم به».

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم (۲/ ۲٤٥) رقم (۱۳۱۳)، وابن جرير (۲/ ۲۰۰) وحكياه عن جمع من السلف، وانظر: «تفسير ابن كثير» (۱۰۰/۲)، و«المجالسة» (۱٤٦٤، ١٤٦٥ _ بتحقيقي). ولعلي القاري رسالة مفردة في هذه الآية، سماها «صنعة الله في صبغة الله»، ولي عليها حواش وتخريجات من رأس القلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽٣) في مطبوع التفسير ابن كثير»: اأي الزموا».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٠٥). (٥) انظر: «فتح القدير» (١/ ٢٨١).



توحيد الله والإخلاص له والانقياد واتباع أوامره وترك زواجره ﴿وَهُو رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ المتصرف فينا وفيكم، المستحق لإخلاص [الألوهية](١) له وحده لا شريك له ﴿وَلَنَا آغْمَلُنَا وَلَكُمْ أَغْمَلُكُمْ ﴾ أي: نحن برآء منكم ومما تعبدون"(٢)،

🔀 الباب الثالث عشر 🗠

قـوك تـعـالى: ﴿ كُمَا آَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَنْهَا وَيُزَكِيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِئَبَ وَالْخِصْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ فَاذَكُرُونِ آذَكُرُهُمْ وَاشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكَفْرُونِ ﴿ اللَّهِمَ اللَّهِمَ اللَّهِمَ اللَّهِمَ اللَّهِمَ

قال (ك): "يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثه الرسول محمداً الله إليهم يتلو عليهم آيات الله مبينات، ويزكيهم؛ أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب، وهو القرآن، والحكمة وهي السنة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فكانوا في الجاهلية الجهلاء [سفهاء لا يعقلون] ""، فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علماً، وأبرهم قلوباً وأقلهم تكلفاً، وأصدقهم لهجة، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَ وأبرهم قلوباً وأقلهم تكلفاً، وأصدقهم لهجة، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَ عمران: ١٦٤]، وذم (٥) من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال (٢) تعالى: ﴿ اللهِ أَلَمْ تَرَ عمران: يعني بنعمة الله محمداً على ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة، ومقابلتها بذكره وشكره، فقال (٢): ﴿ فَاذَكُونِ آذَكُونُ وَاصُلُو لَهِ وَلَهُ تَكُفُّونِ اللهِ المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة، ومقابلتها بذكره وشكره، فقال (٢): ﴿ فَاذَكُونِ آذَكُونُ أَنْسَلْنَا فِيكُمْ وَاللهُ يَنْ عَلَيْ قَالُ ابن علما فعلت فاذكروني، قال عبد الله بن وهب عن هشام بن سعد (٧) عن يقول: كما فعلت فاذكروني، قال عبد الله بن وهب عن هشام بن سعد (٧) عن

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الإلهية». (۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲/٦/٢).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يسفهون بالقول الفرى».

⁽٤) في الأصل: «رسولاً منهم»!

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وفي»!

⁽٦) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «قال».

⁽٧) كذا في مطبوع اتفسير ابن كثير، وهو الصواب كما في مصادر التخريج، وهو من رجال =



قال محمد تقي الدين: محل الشاهد في إيراد الآيتين، أن من عبد غير الله تعالى من قبور الصالحين وغيرها لم يشكر الله؛ لأنه بدل نعمة الله _ وهي القرآن والرسول _ كفراً، وأحل نفسه وقومه دار البوار. اه.

^{= «}الكمال». وفي الأصل: «سعيد»!

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (۲۱۱/۱) رقم (۱٤٠٢، ١٤٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (۷۱۱)، وعزاه في «الدر المنثور» (۳۸/۲) لابن أبي الدنيا أيضاً، وفي «الشكر» له بمعناه بالأرقام (۲، ۱۲، ۳۹، ۱۵۱، ۱۲۶).

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يذكر».

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٠/١) رقم (١٣٩٧) بإسناد ضعيف، وعزاه في «الدر المنثور» (٢٩/٢) لعبد بن حميد أيضاً.

وورد نحوه عن ابن عباس فيما أوحى الله إلى داود ﷺ، أخرجه ابن أبي شيبة (١١/٥٨ و٣١/ ٢٠١ و ٥٨/١١)، وهو أحمد في «الزهد» (ص٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧٤٨٣)، وهو أشبه.

⁽٤) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

⁽٥) أخرجه أحمد (٣/١٢٢)، والبخاري (٧٥٣٦).

⁽٦) من «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢٤ _ ١٢٦) بتصرف.



🚧 الباب الرابع عشر 😽

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَهُ كُوْ إِلَهُ وَحِدُّ لَا إِلَهُ إِلَا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿ إِنَّ فِي الْبَعْرِ عَلَيْ السَّمَاءِ مِن مَا إِنَّ الْمُلْكِ الْمَي جَمْدِي فِي الْبَعْرِ مِنا يَنفعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِن السَّمَاءِ مِن مَا إِنَّ فَأَخِيا بِهِ الْأَرْضَ بَعَدَ مَوْجَهَا وَبَنَ فِيهَا مِن كُلِ دَابَتِهِ وَتَعْمِيفِ الرِيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَمَن السَّمَاءِ مِن مَا فَا فَكِهُ مِن السَّمَاءِ وَمَعْمِيفِ الرَّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَاللَّهُ فَيهَا مِن كُلِ دَابَةِ وَتَعْمِيفِ الرِيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَاللَّهُ مِن السَّمَاءِ وَالسَّكَ اللهِ اللهُ اللهِ ا

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الأحد».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وأنه الرحمٰن».

⁽٣) أخرجه أحمد (٢/٢٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وأبو داود (١٤٩٦)، وابن عاجه (٣٨٥٥)، والدارمي (٣٣٨٩)، والطحاوي في «المشكل» (١٧٨، ١٧٩)، والفريابي (٤٦)، وابن الضريس (١٨٨)، كلاهما في «فضائل القرآن»، والطبراني (٢٤/رقم ٤٤٠، ٤٤١)، وفي «الدعاء» (١٨٣)، والبيهقي في «الشعب» (٣٣٨٢)، وفي «الأسماء والصفات» (١٨٤)، والبغوي (١٢٦١)، من حديث أسماء بنت يزيد بن السكن، وإسناده ضعيف، فيه عبيد الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب.

وفي الباب عن أبي أمامة عند ابن ماجه (٣٨٥٦)، والطحاوي في «المشكل» (١٧٦، ١٧٧).

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بتفرده».

بخلق السموات والأرض وما [فيها](١)، وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته [بقوله تعالى](٢): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّكَنُوْتِ وَٱلْأَرْضِ لَا لَكُ في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها، [وهذه]^(٣) في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع، واختلاف الليل والنهار، هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة، كما قال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَلْبَغِي لَمَاۤ أَن تُدُرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِّ وَكُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ ۞﴾ [يس: ٤٠] تارة يطول هذا ويقصر هذا، وتارة يأخذ هذا من هذا، ثم يتعارضان كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْكُ فِي ٱلنَّهَــَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْرِ ﴾ [آل عمران: ٢٧] أي [يزيد في هذا من هذا](١٤)، ومن هذا في هذا ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْدِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: في تسخير البحر [بحمل] (٥) السفن من جانب إلى جانب، [لمعايش](٦) الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم، ونقل هذا إلى [أولئك](٧)، وما عند أولئك إلى هؤلاء ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ ٱلسَّكَآءِ مِن مَّآءِ فَأَتْمِنَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَمُّمُ ٱلأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْبَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿ ﴾. إلى قـولـه: ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [بس: ٣٣ ـ ٣٦]. ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَتْمِ ﴾ أي: على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها (٨)، وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلكِ، كما قال تعالى: ﴿ ﴿ وَمَا مِن ذَاتِنَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعَلَدُ مُسْنَقَرُهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَبٍ مُّبِينِ ١٠ [هود: ٦] ﴿ وَتَمْرِيفِ ٱلرِّبَحِ ﴾ أي: فتارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب، وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن، وتارة صباً، وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة، وتارة دبوراً وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة، وقد صنف الناس في الرياح والمطر والأنواء كتباً

⁽١) في مطبوع اتفسير ابن كثير»: الفيهما». (٢) في مطبوع اتفسير ابن كثير»: الفقال».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهذه الأرض».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يزيد من هذا في هذا».

⁽٥) في مطبوع اتفسير ابن كثير؟: الحمل". (٦) في مطبوع اتفسير ابن كثير؟: المعاش،

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هؤلاء».

⁽٨) كذا في مطبوع "تفسير ابن كثير"، وفي الأصل: "وصغيرها وكبيرها".



كثيرة فيما يتعلق بلغاتها وأحكامها، وبسط ذلك يطول ههنا والله أعلم، ﴿وَالسَّحَابِ اللهُ عَلَم اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَنُوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلْيَلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَنَتِ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَنبِ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهَ وَلَنَّهَا لَا اللَّهَ وَلَنَّهَا وَأَنْهَا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنَفَّكُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَنَوَتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا شُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّادِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] (٣).

قال محمد تقي الدين: قوله تعالى: ﴿وَلِلَهُمُّوْ إِلَهُ وَحِدُّ لَآ إِلَهُ إِلَهُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِمَنُ الرَّحِمَنُ الرَّحِمَنُ الرَّحِمَنُ الرَّحِمَنُ الرَّحِمَنُ الرَّحِمَنُ الرَّحِمِمُ فَيَ وجه في توحيد العبادة على كل من يؤمن بالله رباً، فلا يعبد غيره ولا يتوجه إلى غيره بأي وجه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا ذَكَرَ بِعِدِهَا، وهو الذي دليل على ذلك؛ لأن الذي خلق السلموات والأرض وما ذكر بعدها، وهو الذي يصرفه كيف يشاء، وهو الذي يستحق العبادة وحده، فتوحيد الرابوبية دليل على توحيد الإلهية عند كل عاقل رشيد ﴿وَمَن يُعْلِلِ اللّهُ فَا لَهُ مِنْ هَادِ﴾ [الزمر: ٢٣].

ثم قال (ك) في تفسير الآية الثانية: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً، أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه، وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». وقوله: ﴿وَاللَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُ حُبًّا بِلَّةٍ ﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئاً، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجؤون في جميع أمورهم إليه، ثم توعد تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَبُوا إِذْ يَرَوْنَ لَا اللَّهُ ال

قال بعضهم: تقدير الكلام: لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعاً، أي: إن الحكم له وحده لا شريك له، وإن جميع الأشياء تحت [غلبته

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يصرفه الله تعالى».

⁽٢) سقط من الأصل، وأثبته من «تفسير ابن كثير».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣٨/٢ ـ ١٤٠) بتصرف.

⁽٤) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) من حديث ابن مسعود.



وقهره](١) وسلطانه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَكِيدُ الْعَذَابِ﴾، كما قال: ﴿فَيَوْمَهِذِ لَّا يُعُذِّبُ عَلَابُهُ أَحَدُ @ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ هُ اللَّهِ [الفجر: ٢٥ ـ ٢٦]، يقول: لو [يعلمون](٢) ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال، ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتبريء المتبوعين من التابعين، فقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأُ الَّذِينَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ تبرأت منهم الملائكة الذين (٣) يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار الدنيا، فتقول الملائكة: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلْيَكُ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَمْبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٣] ويقولون: ﴿ سُبْحَنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلَ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ٱكَثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبا: ٤١] والجن أيضاً تتبرأ منهم ويتنصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُ مِتَن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآبِهِمْ غَلِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَمُمْ أَعْدَاءَ وَكَانُواْ بِمِبَادَتِهِمْ كَلْفِرِينَ ۞﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦] وقال تعالى: ﴿وَأَتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُواْ لَمُتُمْ عِزًّا ١ كُلَّ سَيَكُفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ١ ١ [مريم: ٨١ ـ ٨٦] وقال الخليل لقومه: ﴿ إِنَّمَا أَغَّذَتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْلَئَنَا مُودَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْكُ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكَفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضِ وَيَلْعَثُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَانِكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَيَّ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ مَوْقُونُوكَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ لِكِن بَعْضِ ٱلْقَوْلَ يَـقُولُ ٱلَّذِيك ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لَوْلَا ٱنتُمْ لَكُنَّا مَوْمِنِينَ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ أَنَحَنُ صَكَدُدْنَكُمْ عَنَّ ٱلْمُكَنَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءً كُمْ بَلْ كُنتُم تَجْرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ آسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلَّ مَكُرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَنَ لِّكُفُرَ بِٱللَّهِ ۚ وَنَجْعَلَ لَهُۥ أَندَادًا وَٱسَّرُوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَىٰلَ فِي أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا الْ هَجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ﴾ [سبأ: ٣٢ ـ ٣٣]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ ۖ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدَتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمُّ وَمَا كَانَ لِى عَلَيْكُمْ مِّن شُلْطَنٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَنْتُمْ لِي فَلَا تَتُلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُمْ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَاۤ أَنتُد بِمُصْرِخِتُ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكَتُمُونِ مِن فَبَلُّ إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَهُمَّ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقوله: ﴿ وَرَأَوُا ٱلْعَكَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ أي: عاينوا عذاب الله

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قهره وغلبته».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «علموا».

⁽٣) بعدها في مطبوع "تفسير ابن كثير»: "كانوا».



يقول مؤلفه محمد تقي الدين عفا الله عنه: في هذا الكلام فوائد:

الأولى: إن كل معبود عبد من دون الله أو متبوع اتبع في الباطل، يتبرأ من كل من عبده أو تبعه في الباطل يوم القيامة، فلا تسأل عما يحل بالمشركين في ذلك اليوم من الندامة والحسرات.

الثانية: إن كل من عبد مخلوقاً اتبعه في الباطل، يعذبه الله تعالى عذاباً شديداً، ولا ينفعه متبوعه شيئاً.

الثالثة: إن هذه الأسباب الواقعة في الدنيا بين المشركين ويين معبوديهم من دون الله: كالذبائح والنذور والاستغاثة والاستعاذة والدعاء والتوكل والتوالى على

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم (۲۷۸/۱) رقم (۱٤٩٣)، وابن جرير (۳/ ۲۷)، والحاكم (۲/ ۲۷۲) وصححه، وعزاه في «الدر المنثور» (١٦٦٦/١) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

 ⁽۳) انظر: «تفسیره» (ص۲۱۸)، و «تفسیر سفیان» (ص۵۰)، و هو عند سعید بن منصور (۲۲۰)
 (۲٤)، وابن جریر (۲۳/۳)، وابن أبي حاتم (۱/رقم ۱٤۹۳)، وأبي نعیم (۳/۲۸۵)،
 وعزاه في «الدر» (۱٦٦١) إلى وكيع وعبد بن حميد.

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٢ _ ١٤٤).

ذلك والتحاب فيه والاجتماع عليه، كل ذلك يزول يوم القيامة حين تطلع شمس الحقيقة، ويزول ظلام الكذب.

الرابعة: إن أولئك المشركين المتبعين في الباطل لا يستطيعون أن يكتموا ما يصيبهم من الندم والجزع، بل يصرخون أمام الأشهاد، ويقولون: يا ليتنا نعود إلى الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء المعبودين كما تبرؤوا منا وخذلونا.

الخامسة: إن كل من مات وهو يعبد مخلوقاً _ وإن جلّت مرتبته، وعلا قدرهُ _ يخلد في النار ولا يخرج منها أبداً، ولا تنفعه صلاة ولا زكاة ولا حج ولا جهاد ولا غير ذلك من الأعمال التي كان يعملها في الدنيا.

🔀 الباب الخامس عشر 🗺

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلُكَ عِبَادِى عَنِى فَإِنِّ قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانٌ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَمَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿ الْبَقِرَةِ: ١٨٦]

قال (ك): "عن جماعة من المفسرين الأولين بأسانيدهم إلى [الصُّلُب" بن حكيم بن] معاوية بن حيدة القشيري، عن أبيه، عن جده "أن أعرابياً قال: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي على فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلُكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعَوة الدّاع إِذَا دَعَانٌ فَلَسْتَجِبُوا لِي وَلِيُومِنُوا بِي لَعَلَهُم يَرْشُدُوك إِنَى الله الله على أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله على في غزوة، فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط واديا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا، فقال: «يا أيها الناس، أربَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله "". وقال الإمام

⁽١) سقط من الأصل، وأثبتُه من اتقسير ابن كثير» (١٨٦/٢).

⁽٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ص٧٧) (١٩٠)، وابن مردويه _ كما في «تفسير ابن كثير» (١٨٦/٢)، وابن أبي حاتم (١٤/١) رقم (١٦٦٧)، وابن جرير (٢٣٣/٣)، والدارقطني في «المؤتلف» (٣/ ١٤٣٥) من طريق جرير عن عبدة بن أبي برزة عن الصَّلب به. وزاد الدارقطني بين الصلب وأبيه: «عن رجل من الأنصار». وإسناده ضعيف.

⁽٣) أخرجه أحمد (٤٠٢/٤)، والبخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري.



أحمد بسنده عن أنس أن النبي على قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني (())، وقال الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة أنه سمع رسول الله على يقول: «قال الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه (()). قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم تُحْسِئُونَ (النحل: ١٢٨)، وقوله لموسى وهارون على ﴿إِنَّنِ مَعَكُما آسَمَعُ وَأَرْفَك ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله لموسى وهارون المنها ﴿إِنَّنِ مَعَكُما آسَمَعُ وَأَرْفَك ﴾ [النحل: ١٢٨].

والمراد من هذا أنه تعالى لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء، ففيه ترغيب في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه تعالى، وروى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بأسانيدهم عن سلمان الفارسي، عن النبي شي أنه قال: "إن الله يستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبتين»(").

قال الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد أن النبي على قال: «ما من مسلم يدعو الله على بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الأخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»، قالوا: إذا نكثر، قال: «الله أكثر»(٤). أخرج مالك

⁽١) أخرجه أحمد (٣/ ٢١٠)، والبخاري (٧٥٣٦) من حديث أنس.

⁽٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠)، وابن ماجه (٣٧٩٢)، والحاكم (٢/ ٤٩٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٤٢) من حديث أبي هريرة وإسناده حسن، والحديث صحيح. انظر: «تغليق التغليق» (٣/ ٣٦٣)، و«تهذيب الكمال» (٣٩٣/٣٥).

⁽٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٨)، وفي «الزهد» (١٥١)، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٠)، ووكيع (٤٠٥)، وهناد (١٣٦١) كلاهما في «الزهد»، وابن أبي شيبة (٢٠/ ٣٤٠) وابن حبان (٨٨٠)، والطبراني (٦١٣٠)، وفي «الدعاء» (٢٠٢)، والحاكم (٣٣٩/١٣)، وابن حبان (٨٨٠)، والطبراني (١١٣٠)، وفي «الأسماء والصفات» (١/ ٤٩٧)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٨١)، وفي «الأسماء والصفات» (٩٠ ـ ٩١) عن سلمان مرفوعاً وموقوفاً، وهو صحيح، وروى حماد بن سلمة عن «سلمان أنه قال: أجد في التوراة» وساق نحوه كذا عند البيهقي في «الأسماء والصفات» وتفرد حماد بقوله: «أجد في التوراة»! وفيها نظر!

⁽٤) أخرجه أحمد (١٨/٣)، وعبد بن حميد (٩٣٧ ـ المنتخب)، والبزار (٣١٤٣ ـ زوائد)، وأبو يعلى (١٠١٩) في «مسانيدهم»، وابن أبي شيبة (٢٠١/١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠)، والحاكم (٢٩٣/١)، وأبو نعيم (٢١١/٦، ٣١٢)، والبيهقي في «الشعب»، (٧١٠)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٣٤٤/٥)، وابن عبد البر في =



والبخاري ومسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»(١). وقال الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله على قال: «القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل»(٢).

قال البزار بسنده عن أنس، عن النبي على قال: «بقول الله تعالى: يا ابن آدم، واحدة لك، وواحدة لي، وواحدة فيما بيني وبينك، فأما التي لي: فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك: فما عملت من شيء أو من عمل وفيتكه، وأما الذي بيني وبينك: فمنك الدعاء وعليّ الإجابة»(٣). «وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر، كما رواه الإمام أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله عليه يقول: «للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة». فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا»(٤).

وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه بسنده عن عبد الله بن عمرو قال:

^{= «}التمهيد» (٥/ ٣٤٣ ـ ٣٤٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٧٥) من حديث أبي سعيد الخدري، وإسناده جيد وله شواهد يصح بها.

⁽۱) أخرجه مالك في «الموطأ» (۲۱۳/۱)، والبخاري (٦٨٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

⁽۲) أخرجه أحمد (۲/۱۷۷)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (۱۲/۱۶) وقال: «رواه أحمد وإسناده حسن»! وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (۲/ ٤٩١)! قلت: فيه عبد الله بن لهيعة، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي (۳۲۷)، والطبراني في «الدعاء» (۲۲)، والحاكم (۲/ ۹۳۱)، وابن عدي (۶/ ۳۸۰)، وابن حبان في «المجروحين» (۲/ ۳۷۲) وفيه صالح المري متروك.

⁽٣) أخرجه البزار في «البحر الزخار» (٢١٦/١٣) رقم (٦٦٩٣) _ وهو في «كشف الأستار» (١٩)، وأبو يعلى (٢٧٥٧)، وابن عدي (٦٣/٤)، والبيهقي في «الشعب» (١١١٨٦) من طرق عن صالح المرّي عن الحسن عن أنس وإسناده ضعيف جداً، قال البزار: «لا نعلم رواه عن الحسن عن أنس إلا صالح المري، تفرد به»، وبنحوه قال ابن عدي. قلت: صالح المري ضعيف، والحسن مدلس وقد عنعن، وانظر: «مجمع الزوائد» (١/١٥).

⁽٤) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٢٦٢) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٣٩٠٧) وفي إسناده أبو محمد المليكي، قال شيخنا الألباني في «الإرواء» (٤٤/٤): «لم أعرفه» قلت: يحتمل أنه عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة؛ فهو من هذه الطبقة، وهو ضعيف جداً.



قال النبي ﷺ: "إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد". قال عبد الله بن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: "اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي"(1). وفي "مسند الإمام أحمد" و"سنن الترمذي" والنسائي، وابن ماجه(٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين"(٢).

قال محمد تقي الدين: قد تبين لك أيها القارئ والسامع معنى هذه الآية بغاية الوضوح، واستفدنا منها فوائد عظيمة نفعنا الله بها، وأزيد على ذلك فأقول: أيها المشرك الداعي غير الله، الكافر لنعمة الله، ألا تستحيي من الله، ما عذرك في دعائك غير الله، وطلب الحاجات من غير الله، وخضوعك وتملقك وشكواك لأهل القبور، وابتهالك إليهم ليجلبوا لك خيراً، ويدفعوا عنك شراً، وهذا رب العالمين الغني الحميد الرؤوف الرحيم السميع المجيب، يرغبك في دعائه ويعدك ومن أصدق من الله _ وعداً بإجابة دعوتك وقضاء حاجتك، بشرط أن تستجيب له بالإيمان به ويرسله وما جاؤوا به، وتفعل ما أمرك به وتجتنب ما نهاك عنه، فانظر إلى هذه السفاهة التي وقعت فيها، والخسران المبين، فوجد ربك وتوجّه فانظر إلى هذه السفاهة التي وقعت فيها، والخسران المبين، فوجد ربك وتوجّه أليه وحده؛ تر العجب العجاب من لطفه وبركاته، ﴿وَاللّهُ يَهْدِى مَن يَشَكُهُ إِلَىٰ مِكُولِ

⁽۱) أخرجه ابن ماجه (۱۷۵۳)، والطبراني في «الدعاء» (۹۱۹)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (۱۸۶۱)، والحاكم (۲۲۲۱)، والبيهقي في «الشعب» (۲۹۰۳ ـ ۳۹۰۳)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (۸/ ۲۵۲) وإستاده ضعيف، فيه إسحاق بن عبيد الله بن المهاجر مجهول، قاله شيخنا الألباني في «الإرواء» (۹۲۱).

⁽٢) أخرجه أحمد (٢/٥٤٥)، والطيالسي (٢٥٨٣، ٢٥٨٤)، والترمذي (٢٥٩٨)، وابن ماجه (٢٥٧)، وابن خزيمة (١٩٠١)، وابن حبان (٢٤٠٧) ـ موارد)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٥٢)، والبيهقي (٨/١٦١)، وأبو نعيم في «فضيلة المعاطين» (رقم ٣٣ ـ بتحقيقي)، وعزاه ابن حجر في «النكت الظراف» (١١/ ٩٠) لعبد بن حميد، والمحليث صحيح بطرقه وشواهده. انظر بعضها في: «فضيلة العاطين» رقم (٣٣، ٢٤) للحافظ أي نعيم وتعليقي عليه، فقد أطلت النفس في تخريجه، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وانظر: «نصب الراية» (٦٨/٤).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٨٦/٢ ـ ١٩٣) بتصرف.



🔀 الباب السادس عشر 🗠

قبول عند الى: ﴿ وَلَا نَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَاَمَةُ مُؤْمِنَةُ خَيْرٌ مِن مُشْرِكَةِ وَلَوْ أَعْجَبَتُكُمُ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبَدُ مُؤْمِنُ خَيْرٌ مِن مُشْرِكِ وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ ۗ أُولَكِنَكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنّةِ وَالْمَعُ فِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَلَوْ اَعْجَبَكُمُ الْوَلَكِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنّةِ وَالْمَعُ فِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ ءَاينتِهِ اللنَّاسِ لَعَلَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ اللهِ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الله

"هذا تحريم من الله على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان، ثم إن كان عمومها مراداً وإنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله: ﴿وَأَلْخُصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَبَ مِن فَقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله: ﴿وَأَلْخُصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَبَ مِن قَبْلِكُمُ إِذَا ءَاتَيْتُمُومُنَ أُجُورَهُنَ مُحْمِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ ﴾ [المائدة: ٥] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا نَنكِمُوا الْمُشْرِكَتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب (١)، وهكذا قال جماعة المفسرين من السلف، وقيل: بل المراد بذلك المشركون من عبدة الأوثان. ولم يرد أهل الكتاب بالكلية، والمعنى قريب من الأول»(١).

قال (ع) بعد حكايته الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات: "وإنما كره عمر ذلك لئلا يزهد الناس في المسلمات، أو لغير ذلك من المعاني""، ثم روى (ع) بسنده عن شقيق قال: "تزوج حذيفة يهودية، فكتب إليه عمر: خلِّ سبيلها، فكتب إليه: أتزعم أنها حرام، فأخلي سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكنني أخاف أن تعاطوا(٤) المؤمنات منهن (٥). وهذا إسناد صحيح. ثم روى بسنده إلى عمر،

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم (۲/ ۳۹۷) رقم (۲۰۹۵)، وابن جرير (۲/ ۷۱۲)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص۹۶)، والبيهقي (۷/ ۱۷۱)، وعزاه في «الدر المنثور» (۱/ ۲۵٦) إلى ابن المنذر، وهو في «صحيفة علي بن أبي طلحة» رقم (۹۶).

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۲/۲۹۲) بتصرف یسیر.

⁽٣) انظر: «تفسير ابن جرير» (٣/ ٧١٥ _ ٧١٦).

⁽٤) كذا بالأصل، ولعل الصواب: (أن تعافوا أه). مصححه. (منه).

⁽٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/١٥٨)، وعبد الرزاق (١٢٦٧٠) في «مصنفيهما»، وابن جرير في «تفسيره» (٣١٦)، والبيهقي (٧/ «تفسيره» (٣١٦) في «سننهما» من طريق الصَّلت بن بهرام عن شقيق به، وإسناده صحيح، وصححه ابن كثير في «تفسيره» (٢/٢٩٧).



قال: «المسلم يتزوج النصرانية، ولا يتزوج النصراني المسلمة» (١). قال: وهذا أصح إسناداً من الأول، ثم روى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله على: «نتزوج نساء أهل الكتاب، ولا يتزوّجون نساءنا» (٢). ثم قال: وهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فالقول به لإجماع الجميع من الأمة [عليه] (٣)، كذا قال (ع) (ع). وقال أبو بكر الخلال بسنده إلى صالح بن أحمد: أنهما سألا أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن قول الله: ﴿وَلَا نَنكِحُوا ٱلْمُثْرِكُتِ حَتَّى أَنهُمْ كُورًا آلمُثُرِكُتِ مَتَّى وَلَا الله الله أسلام أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن قول الله: ﴿وَلَا مَنْكِحُوا ٱلْمُثْرِكُتِ مَتَّى مُشْرِكَةٍ وَلَو آعَبَمَ تَكُمُ فَقَال السدي: نزلت في عبد الله بن رواحة، كانت له أمة سوداء، فغضب عليها فلطمها، ثم فزع فأتى رسول الله والله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقنها رسول الله. فقال: فقال: هيا عبد الله هذه مؤمنة»، فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا: نكح أمته، وكانوا يريدون أن ينكحوا بنات المشركين وينكحوهم [بناتهم] (١) رغبة في أحسابهم، فأنزل الله (١)؛ ﴿وَلَا أَعْجَبَكُمُ وَلَا أَعْجَبَكُمُ وَلَا تُنكِحُوا ٱلمُشْرِكِينَ حَقَل فَالَا عبد الله بن حميد بسنده عن يُؤينًا وَلَهُ أَوْمِنُ خَيْرٌ مِن مُشْرِكِةٍ وَلَو أَعْجَبَكُمُ وَلا تُنكِحُوا ٱلمُشْرِكِينَ حَقّ فَل عبد الله عبد الله بن حميد بسنده عن يُؤينواً وَلَمَبَدُ أَن وَلَو أَعْجَبَكُمُ وَلا تُنكِحُوا ٱلمُشْرِكِينَ حَقّ أَنهما عبد الله بن حميد بسنده عن يُؤينواً وَلَهُ أَعْجَبَكُمُ وَلا تُنكِحُوا ٱلمُشْرِكِينَ حَقَل عبد الله بن حميد بسنده عن

⁽۱) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (۳/ ۷۱۰ ـ ۷۱۰)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (۱۰۰۵۸)، وقال ابن كثير (۲/ ۲۹۷): «وهذا أصح إسناداً من الأول».

⁽٢) لم يعزه السيوطي في «الدر المنثور» إلا لابن جرير، وهو في «تفسيره» (٤/٣٦٧ رقم ٤ لم يعزه السيوطي في «الدر المنثور» إلا لابن جرير، وهو في «تفسيره» (٤/٢٩ بقوله: «وهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه» قلت: هو من رواية الحسن عن جابر، وفي سماعه منه اختلاف بسطه أخونا البحّاثة النابه الشريف حاتم العوني في كتابه الجيد «المرسل الخفي» (٨/٣٨٥ ـ ٨٨٨)، وفي إسناد الحديث أيضاً أشعث بن سوار ضعيف.

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «على صحة القول به».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن جرير» (٣/ ٧١٦).

⁽٥) انظر: «أهل الملل والردة» من كتاب «الجامع» للخلال (٢٤٦/١) رقم (٤٧٦).

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إلى المشركين».

⁽٧) غير موجودة في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٨) أخرجه بنحوه الواحدي في «أسباب النزول» (ص٤٥) من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن غزوان أبي مالك عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، فيه أسباط.

⁽٩) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «عبد الله»!!



عبد الله بن عمرو، عن النبي على قال: «لا تنكحوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تنكحوهن على أموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، وأنكحوهن على الدين، فلأمة سوداء جرداء ذات دين أفضل ((۱)(۲)). وقد ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة، عن النبي على قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك (٣).

ولمسلم عن جابر مثله (١) وله عن ابن عمرو أن رسول الله على قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (٥). وقوله: ﴿وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ كَتَّ يُوْمِنُوا ﴾ أي: لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَبَدُّ مُؤْمِنُ خَيْرٌ ﴿لَا هُنَ حِلْ هُمْ يَكُونَ لَمُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَبَدُّ مُؤْمِنُ خَيْرٌ مِن مُشْرِكِ وَلَوَ أَعْجَبَكُم ﴾ أي: [لرجل] (٢) مؤمن ولو كان عبداً حبشياً خير من مشرك وإن كان رئيساً سرياً ﴿أُولَتِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ أي: معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حب الدنيا واقتنائها وإيثارها على الدار الآخرة، وعاقبة ذلك وخيمة. ﴿وَالنَّهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّرِ ﴾ أي: بشرعه وما أمر به [ونهى عنه] (٧) ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَةِ وَالْمَغْفِرَةِ يِإِذَنِهِ ﴾ أي: بشرعه وما أمر به [ونهى عنه] (٧) ﴿وَاللَّهُ يَدَعُوا إِلَى الْجَنَةِ وَالْمَغْفِرَةِ يَاذِنُوهِ ﴾ (٨).

قال محمد تقي الدين: قد تبين معنى هذه الآية من كلام الأئمة والأحاديث النبوية، وأزيد شيئاً فأقول: رب فرخ لا يزال أعمى في عشه يعترض ويقول: لماذا أباح شرعكم أن يتزوج المسلم اليهودية والنصرانية ومنعتم اليهودي والنصراني من تزوج المسلمة؟ فقد قسمتم وفضًلتم أنفسكم، ولم تنصفوا، وهذا من التعصب!

⁽۱) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٣٢٨)، وابن ماجه (١٨٥٩)، والبيهقي (٧/٠٨) وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحمٰن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف، وعزاه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (ق١٢٠) للعدني في «مسنده»، وسعيد بن منصور، وذكر له شواهد، وهي قاصرة، ليس فيها سوى جملة التزوج على الدين، وانظر: «الضعيفة» (١٠٦٠) لشيخنا الألباني رحمه الله تعالى.

⁽٢) في سنده عبد الرحمن الإفريقي، وهو ضعيف (منه).

⁽٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) في «صحيحيهما».

⁽٤) أخرجه مسلم (٧١٥)، وأحمد (٣٠٢/٣)، والترمذي (١٠٨٦) وغيرهم.

⁽٥) أخرجه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو.

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولرجل».

⁽٧) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "وما نهى عنه".

⁽۸) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۲۹۸/۲ ـ ۲۹۹).



فنقول: على رسلك أيها الفريخ! إن المسلم إذا تزوج يهودية أو نصرانية يؤمن برسلها، ويقلس كتبها، ويحترم دينها؛ لأنه لو طعن في رسلها وكتبها لكفر بالإسلام، أما اليهودي والنصراني، فإنه كافر بمحمد على وبالقرآن فهو إنما يعيش معها على الملاهنة والخلاع لو تزوجها، ومن سيئات الاستعمار الفرنسي، بل من سيئات المغاربة وضعف دينهم، أنهم كلنوا في زمان الاستعمار يزوّجون اليهود والنصارى بناتهم، وهو واقع، وإن كان نادراً إلى زماننا هذا، حتى بعد الاستقلال، وهذا خزي ينفردون به من دون الشعوب الإسلامية(۱۱)، فنعوذ بالله من الكفر والضلال. أما الحديث الذي في سنده عبد الرحمن الإفريقي وهو ضعيف، فلا يضره ذلك لأن معناه صحيح تشهد له الأدلة والأصول، وأما قول عمر في عكايته مع حذيفة: «أخاف أن تعاطوا المؤمنات منهن (۲۱)، فالمراد به أخاف إن أكثرتم من تزوج اليهوديات والنصرانيات أن تبقى المؤمنات ضائعات بلا زواج، ويدل على هذا رواية «أخاف أن تزهدوا في المسلمات) (۲۰).

😝 الباب السابع عشر 🔫

⁽١) رأيته _ يا للأسف _ كثيراً بين مسلمي أندونيسيا هذه الآيام، ولا قوة إلا بالله!

⁽٢) سبق تخريجه.

⁽٣) هذا من كلام ابن جرير في «التفسير» (٧١٦/٣ ـ ط هجر) قال بعد إسناده منع عمر لطلحة وحذيفة نكاح اليهودية والنصرانية، قال: «حَذَراً من أن يقتدي بهما الناسُ في ذلك، فيزهدوا في المسلمات، أو لغير ذلك من المعاني، فأمر بتخليتهما».



ٱلظُّلُمَتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِياآؤُهُمُ ٱلطَّلْغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلظَّلْمَتِ إِلَى ٱلظُّلُمَتِ أَوْلَتِهِكَ أَصْحَبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ اللَّهُ يَأْتِ إِنَّ عَلَى إِنَهِ مِثُمُ اللَّهُ يَأْتِ مِنَ ٱللَّهُ يَأْتِ مِنَ ٱلْمَعْرِ فَهُ مِنَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى كُفَر وَاللَّهُ لَا يَهْدِى إِللَّهُ لَا يَهْدِى إِللَّهُ لَا يَهْدِى أَلْمَعْرِ فَهُ مِنَ ٱلْمَعْرِ فَهُ مِنَ ٱلْمَعْرِ فَهُ مِنَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى اللَّهُ اللَّهُ لَا يَهْدِى اللَّهُ اللَّهُ لَا يَهْدِى اللَّهُ اللَّهُ لَا يَهُ اللَّهُ لَا يَهُ اللَّهُ لَا يَهْدِى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ الْمُؤْمِنُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللللْهُ اللللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللللْهُ اللْهُ الللللْهُ الللْهُولِي الللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللِهُ اللْهُ ال

قال (ك): "يأمر تعالى بالإنفاق مما رزقهم في سبيله، سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا في قبل أن يَوْمٌ ؛ يعني: يوم القيامة فلا بَيْعٌ فيه ولا خُلةٌ ولا شَفَعةٌ اني: لا يباع أحد من نفسه، ولا يفادى بمال لو بذله، ولو جاء بملء الأرض ذهبا، ولا تنفعه خلة أحد، يعني صداقته، بل ولا [نسبه] (١)، كما قال: فَإِنَا نُفِحَ فِي الصَّورِ فَلا آنساب يَنتَهُمْ يَوْمَهِنْ وَلا يَسَاتَالُونَ إِنَى السَّورِ فَلا السَّورِ فَلْ السَّورِ فَلْ السَّورِ فَلْكُورُونَ اللَّهُ السَّورِ فَلْ السَّورِ وَلَا السَّورِ وَلَا اللَّهُ وَلَا السَّالُ وَسَفْتِينَ، تقدس الملك عند ساق العرش (٥)، وأخرجه نفسي بيده، إن لها لساناً وشفتين، تقدس الملك عند ساق العرش (٥)، وأخرجه

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «نسابته».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقوله».

⁽٣) كذا في مطبوع "تفسير ابن كثير"، وفي الأصل: "خبر"!

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٨٥) رقم (٢٥٦٧).

⁽٥) أخرجه أحمد وابنه عبد الله (٥/ ١٤١)، وعبد الرزاق (٦٠٠١)، وعبد بن حميد (١٧٨)، والطيالسي (٥٥٠)، وأبو داود (١٤٦٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٨٤٧)، والحاكم (٣/ ٣٠٤)، والطبراني (٥٢٦) وإسناده صحيح، وأصله في «الصحيحين» كما سيأتي.



مسلم به (۱) ، وليس عنده زيادة «نفسي بيده» (۲) إلخ ، وقال البخاري «في فضائل القرآن» وفي كتاب «الوكالة» ، وفي «صفة إبليس» من «صحيحه» (۳) عن أبي هريرة قال:

«وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني، فإني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: ﴿يَا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله، قال: «أما أنه كذبك وسيعود»: فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ: «إنه سيعود» فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: الأرفعنَّك إلى رسول الله علي الله علي قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ الله قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود، فقال: دعني أعلَّمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَا ۚ إِلَّهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَيُّ ٱلْقَيْوَمْ)، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله على: «ما فعل أسيرك البارحة؟ الله: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي؟» قال: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ اللَّهُ لَا ۚ إِلَّهُ إِلَّا هُوَ ٱلْكُنُّ ٱلْقَيْوُمُ ﴾، وقال لي:

⁽۱) أخرجه مسلم في "صحيحه" (۸۱۰). (۲) انظر: "تفسير ابن كثير" (۲/ ٤٣٠).

⁽٣) ذكره البخاري معلقاً الأرقام (٢٣١١، ٣٢٧٥، ٥٠١٠) ووصله في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٨، ٩٥٩)، وفي «فضائل القرآن» (٢٥)، وابن خزيمة _ كما «التغليق» (٣/ ٢٩٦)، و«الترغيب والترهيب» (١/ ٤٢٠) _ والبغوي (١١٩٦)، وفي «التفسير» (١/ ٣٥٨)، والبيهقي (٧/ ١٠٧ _ ١٠٨)، وأبو نعيم (ص٣١٣، ٢٥٥) كلاهما في «الدلائل»، وعزاه ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٤٨٨)، و«هدي الساري» (ص٢٤) لأبي بكر الإسماعيلي وأبي نعيم، وعزاه في «الدر المنثور» (١/ ٣٢٠)، وفي «الخصائص الكبرى» (٢/ ٩٥) لابن مردويه، وهو صحيح.



لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي على «أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قلت: لا، قال: «ذاك شيطان». كذا رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم»(۱).

قال محمد تقي الدين: وصيغة الجزم: أن يقول البخاري قال فلان عن فلان، أو ذكر فلان، وتقابلها صيغة التمريض، وهي: يُذكر ويُروى، وحتى هذه ليست دائماً صيغة تمريض عند البخاري، فقد حقق الحافظ صحة الحديث المعبَّر عنه بها في بعض المواضع.اه.

ثم ذكر (ك) أحاديث كثيرة في فضل آية الكرسي، وأن أبيّ بن كعب وقع له مع صبي مثل ما وقع لأبي هريرة (٢)، ثم روى حديثاً للترمذي وأبي داود أن هذه الآية تشتمل على اسم الله الأعظم (٣)، ثم قال (ك): «روى ابن حبان في «صحيحه» وغيره عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت (٤). قال (ك): «وإسناده

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٣٣ _ ٤٣٤).

⁽۲) يشير إلى ما أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٧، ٢٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٦٠، ٩٦١)، وابن حبان (٧٨١ ـ ط الحوت)، والحارث بن أبي أسامة (٢/ ٥٦ ـ بغية الباحث)، والطبراني (٥٤١)، والحاكم (١/ ٥٦١ ـ ٥٦٢)، والبغوي (١١٩٧)، والبيهقي (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، وأبو نعيم (ص٥٥٥) كلاهما في «الدلائل» وإسناده صحيح، وصححه المنذري في «الترغيب» (١/ ٣٢٢) وهو في «صحيحه» (٨٥٠) لشيخنا الألباني، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٣٥) ـ ٤٣٦).

⁽۳) مضى تخريجه.

⁽٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٩٢٨)، وابن شاهين في «الأفراد» رقم (٣٤)، والروياني في «مسنده» رقم (١٢٦٨)، وابن حبان في «الصلاة» المفرد ـ كما في «نتائج الأفكار» (٢٨٠/٢) ـ، والطبراني (٢٥٣١)، وفي «الأوسط» (٨٠٦٨) وفي «مسند الشاميين» (٨٤٨)، وفي «الدعاء» (٦٧٥)، والشجري في «أماليه» (١١١١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٢١)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٩٤١) من طرق عن محمد بن حمير عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي أمامة رفعه، وهو صحيح، وأعل بتفرد ابن حمير به! وصححه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢٧٨/٢ ـ ٢٠٨٠)، وفي «النكت على ابن الصلاح» (٢٩٤٨)، وأنكر الضياء المقدسي على ابن الجوزي إيراده له في «الموضوعات»، وقال محمد بن عبد الهادي: «لم يصب أبو الفرج، والحديث صحيح»، وانظر: «اللالئ المصنوعة» (٢٧٧)، و«السلسلة الصحيحة» (٩٧٢).



صحيح على شرط البخاري وقد زعم أبو الفرج ابن الجوزي^(۱) أنه حديث موضوع والله أعلم، (۲). «وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة: فقوله تعالى: ﴿ أَنَّهُ إِلَّا عَلَم اللَّه المنفرد بالإلهية لجميع المخلائق ﴿ أَلْتَى الْقَيْرُم ﴾ أي: الحي في نفسه الذي لا يموت أبداً القيم لغيره، وكان عمر يقرأ (القيام) (۲) فجميع المموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها (٤) ولا قوام لها بدون أمره كقوله: ﴿ وَبَن مَينَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَالْأَرْشُ بِأَمْرِهِ ﴾ [الروم: ٢٥] وقوله: ﴿ لا تَأْفُذُهُ سِنَةٌ وَلا نقم الله عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا تخفى (٥) عليه خافية، بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا تخفى (٥) عليه خافية، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سِنَة ولا نوم، فقوله: ﴿ لا تَأْفُذُهُ ﴾ أي: لا تغلبه سنة، وهو الوسن، والمعاس، ولهذا قال: ﴿ وَلا نَوْمُ اللّه عَلَى السّنَةِ، وفي الصحيح» (٢) عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله على بأربع كلمات: فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشف قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشف قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشف قبل حمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار».

الوقوله (٧٠): ﴿ مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندُهُ ۚ إِلَّا بِإِذَنِهِ ۚ كَقُولُه : ﴿ هُ وَكُمْ مِن مَّلَكِ فِي السَّمَوَتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَلُهُمْ شَيِّنًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَآهُ وَيَرْفَقَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَيَرْفَقَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَيَرْفَقَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَيَرْفَقَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَكُورِياتُه وَلَا مَن عظمته وجلاله وكبرياتُه عَلَى أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه (٨٠) له في الشفاعة ، كما في حديث (٩٠): (آتي تحت العرش ، فأخر ساجداً ، فيدعني ما شاء أن

⁽١) انظر: «الموضوعات» (١/ ٢٤٤) وما سبق في التخريج.

⁽٢) انظر: «تفسير أبن كثير» (٢/ ٤٣٧).

 ⁽٣) وهكذا قرأها ابنه عبد الله وابن مسعود وعلقمة والنخعي والأعمش والمطوعي، انظر:
 «البحر المحيط» (٢/٢٧٧)، و«الدر المصون» (٦١٣/١)، وقال القرطبي (٢٧٢/٢): «ولا خلاف بين أهل اللغة في أن ﴿ ٱلۡقَيُومُ ﴾ أعرف عند العرب، وأصحُّ بناءً، وأثبت عِلَّةً».

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير أبن كثير»، وفي الأصل: «عنهما»!

⁽٥) في مطبوع اتفسير ابن كثير": البخفي". (١) هو في اصحيح مسلم (١٧٩).

⁽٧) قبلها في الأصل: (وقال عبد الرزاق) ولا معنى لها!

⁽٨) في مطبوع اتفسير ابن كثير»: «أن يأذن».

⁽٩) أخرجه أحمد (٣/١١٦)، والبخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (٣٢٣) في اصحيحيهما".



يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، وقوله: ﴿يَمْلُمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمٌ وَلِيل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله إخباراً عن الملائكة: ﴿وَمَا نَنْنَزَّلُ إِلّا بِأَمْرِ رَبِّكٌ لَمُ مَا بَكِينَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكٌ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا وَمَا بَيْنَ أَلَهُ مِنَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا وَمَا عَلْمَهُ الله عَلَى الله على شيء إلا بما أعلمه الله على وأطلعه عليه (١)، لا يطلعون على شيء إلا بما أطلعهم (٢).

قال محمد تقي الدين: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيَّهُ السّمَوَتِ وَٱلْأَرْضُ ﴾ قال بعض المفسرين من السلف: كرسيه: علمه (٣)، وقال أكثر المفسرين: إن لله كرسياً هو أصغر من العرش (٤)، وجاءت الأخبار التي رواها المفسرون وأهل الحديث، أن الكرسي في عظمته لو جمعت السموات السبع وقوبلت بالكرسي لكانت كحلقة ملقاة في فلاة، ونحن نؤمن بهذا، ونترك تفسيره إلى الله تعالى، وهذه الأمور لا يطلب من مؤمن معرفة تفاصيلها إلا ما ورد عن النبي على وإنما يطلب منه الإيمان بها.

قال (ك): ﴿ وَلَا يَتُودُمُ حِفْظُهُما أَى : لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القاهر لكل شيء، الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم،

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ويحتمل أن يكون المراد».

 ⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الله عليه كقوله: ﴿وَلَا يُحْيِطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وقوله:
 ﴿وَسِعَ كُرْسِيَّهُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضُ﴾.

 ⁽٣) روي عن ابن عباس، وقاله سعيد بن جبير. انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤١)، و«تفسير ابن جبير» (٢/ ٤٩٠)، و«الأسماء والصفات» (٣٣٣)، و«الدر المنثور» (١/ ٣٢٧).

⁽٤) كالسدي والضحاك ومسلم البطين وأبي موسى. انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤١)، و«تفسير ابن جرير» (٨/ ٥٣٥ ـ ٥٣٩)، و«المجالسة» (رقم ٢١ ـ بتحقيقي)، و«العظمة» (٢٤٧)، و«رد الدارمي على بشر المريسي» (ص٦٧ ـ ٤٧)، و«العرش» (٦٠). والأدلة على هذا لائحة، وأشار المصنف إليها، وسيأتي تخريج ذلك لاحقاً، والله الموفق، لا ربَّ سواه.



لا إله غيره ولا رب سواه، فقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ كقوله: هو ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح، الأجود فيها طريقة السلف الصالح، أمرّوها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه».

قال (٣): "يقول تعالى: ﴿ لا ٓ إِكْرَاهُ فِي الدِّينِ ﴾ أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي، دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره (١) على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسوراً، وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار (٢)، وإن كان حكمها عاماً، وقال ابن جرير، عن ابن عباس قال: «كانت المرأة تكون مقلاتاً (٣) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده»، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله على: ﴿ لا ٓ إِكْرَاهُ فِي الدِّينِ قَد بَيّينَ الرُّشُدُ مِن الْفَيّ ﴾. وقد رواه أبو داود والنسائي جميعاً عن بُندار به (٤)، وقال محمد بن إسحاق: عن ابن عباس قوله: ﴿ لا ٓ إِكْرَاهُ فِي الدِّينِ ﴾ قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصين (٥) كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي ﷺ:

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أحد».

 ⁽۲) انظر ذلك مفصلاً عند: ابن أبي حاتم (۲/ ٤٩٣)، وابن جرير (٤/ ٥٥٠)، و«الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان...» رقم (١٣٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (٥٩)، و«النواسخ» (ص٢١٨) لابن الجوزي.

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «مقلاة».

⁽٤) أخرجه أبو داود (٢٦٨٢)، والنسائي في «تفسيره» رقم (٢٨، ٦٩)، وابن حبان (١٤٠)، والطحاوي في «المشكل» (٧/٦٤/ ٢٧١٤) و (٢/٢١٤)، والنحاس في «المعاني القرآن» (١٦٢/١، ١٦٧)، وابن أبي حاتم (٢/رقم ٢٦٠٩)، وابن جرير (٣/ ١٠) في «تفسيرهما»، والخطابي في «غريب الحديث» (٣/ ٨٠، ٨١)، وسعيد بن منصور في «سننه» رقم (٤٢٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٥)، والبيهقي (٢/٦٨)، والضياء في «المختارة» (١٠/رقم ٢٤، ٥٠) من حديث ابن عباس، وإسناده صحيح.

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»: ومصادر التخريج، وفي الأصل: «الحصيني»!

⁽٦) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٣/ ١٠) بسند مسلسل بالعلل، فيه محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق مجهول، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن، وفيه سلمة بن الفضل =



جرير، وروى السدي نحو ذلك، وزاد «وكانا قد تنصرا على أيدي تجار قدموا من الشام يحملون زيتاً (۱) فلما عزما على الذهاب معهم، أراد أبوهما أن يستكرههما، وطلب من رسول الله على أن يبعث في آثارهما، فنزلت هذه الآية»، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عوف، أخبرنا شريك عن أبي هلال عن أُستى (۲) قال: كنت في دينهم مملوكاً نصرانياً لعمر بن الخطاب، فكان يعرض علي الإسلام، فآبى، فيقول: ﴿ لا إِكْراه فِي ٱلدِينِ ﴿ . ويقول: يا أُسَق (۲) لو أسلمت لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين (۳).

وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل، إذا بذلوا الجزية، وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام، فإن أبى أحد منهم الدخول⁽³⁾، ولم ينقد له أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل، وهذا معنى [﴿لاّ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾](٥)، قال الله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِنَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسِ شَدِيدٍ نُقَانِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [الفتح: ١٦] وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهُا النِّي جَهِدِ الْكُفَارَ وَالْمُنْفِقِينَ وَاغْلُظُ عَلَيْمٍ ﴾ [النحريم: ٩] وقال تعالى: ﴿يَتَابُهُمُ الّذِينَ ءَامَنُوا قَلِنُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِن الصحيح» (أن عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل(٧)، وتصلح أعمالهم وسرائرهم، فيكونون من أهل يقادون إلى الجنة في السلاسل(٧)، وتصلح أعمالهم وسرائرهم، فيكونون من أهل

الأبرش، صدوق كثير الخطأ، وشيخ ابن جرير محمد بن حميد متهم.
 وأخرج نحوه سعيد بن منصور في «سننه» (٤٢٩) عن مجاهد مرسلاً، وعزاه في «الدر المنثور» (٢٠/٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «زبيباً»!!

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، و«تفسير ابن أبي حاتم» ومصادر التخريج، وفي الأصل: «أسبق»!!

⁽٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٥٨/٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ١٥٨) رقم (٢٦١٠) ولوين في «جزئه» رقم (٤٦) وفي إسناده لين، وانظر: «أحكام أهل الذمة» (١٥٥/١).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بعدها: «فيه».

⁽٥) بدل ما بين المعقوفتين في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الإكراه».

⁽٦) أخرجه البخاري (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة.

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يعني: الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في =



الجنة». فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد (١) عن أنس أن رسول الله على الرجل: «أسلم» قال: «إني أجدني كارهاً»، قال: «وإن كنت كارهاً» فإنه ثلاثي صحيح، ولكن ليس من هذا القبيل، فإنه لم يكرهه النبي على الإسلام، بل دعاه إليه، فأخبره أن نفسه ليست قابلة له، بل هي كارهة، فقال له: «أسلم وإن كنت كارهاً»، فإن الله [يرزقك] (٢) حسن النية والإخلاص، وقوله: ﴿فَمَن يَكُفُرُ كُنت كارهاً»، فإن الله [يرزقك] (٢) حسن النية والإخلاص، وقوله: ﴿فَمَن يَكُفُرُ وَلِقَانِهِ وَيُؤْمِنُ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ إِلْمُهُوَ الْوُثُونَى لَا انفِصالَم لَمَا وَاللّهُ سَيّع عَلِم الله أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبدون من دون الله ووحد الله وحده، وشهد أن لا إله إلا هو ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْمُهُوَ الْوُقُونَى﴾ أي فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريقة المثلى، والصواط المستقيم» (٣).

قال محمد تقي الدين: قال علماء التوحيد: الطاغوت: مأخوذ من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد في الكفر والضلال والإضلال، ومنه الطاغوت، جاء في السان العرب، (٤): «قال الشعبي وعطاء ومجاهد: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، والكاهن، وكل رأس في الضلال، قد يكون واحداً»؛ قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكُمُوا إِلَى الطَّنغُوتِ وَقَدْ أَمِهُوا أَن يَكُفُرُوا بِدِّهِ ﴿ النساء: ٦٠]، وقد يكون جَمْعاً، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا الْوَيكَاوُهُمُ الطَّنغُوثِ يُخْرِجُونَهُم مِن التُورِ يَكُونُ النَّالِيةِ وَاللهِ النَّالِيةِ وَاللهِ اللهُ اللهُ

قال محمد تقي الدين: قال علماء التوحيد: الطواغيت كثيرة، أولهم إيليس لعنه الله، ومن دعا الناس إلى عبادته أو عبادة غيره، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والكاهن، والساحر، ويجب على كل مؤمن أن يكفر بجميع الطواغيت، فإن القلب مثل الإناء، فلا بدّ من تطهيره قبل حلول الإيمان فيه، فإن الإيمان بالطاغوت نجاسة تجب إزالتها من القلب، ليمتلئ بالإيمان بالله تعالى، وسيأتي إن شاء الله في سورة النساء زيادة على هذا.

⁼ الوثاق والأغلال والقيود والأكبال ثم بعد ذلك يسلمون».

⁽۱) أخرجه أحمد (۱،۹/۳، ۱۸۱) ومن طريقه الضياء في «المختارة» (۱۹۹۰، ۱۹۹۱): حدثنا يحيى عن حميد عن أنس، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه أيضاً أبو يعلى (٣٧٦٥، ٣٨٧٩)، والضياء (١٩٨٩، ١٩٩٢) وغيرهما.

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «سيرزقك».

⁽٣) «تفسير ابن كثير» (٤٤٤/٢) بتصرف يسير.

⁽٤) (١٥/ ٩ ـ طغی).



ثم قال (ك): "وقوله: ﴿فَقَدِ أَسْتَمْسَكَ بِٱلْفُرُةِ ٱلْوُنْفَيْ لَا أَنفِصَامَ لَمَا ﴾ أي: فقد استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم، هي (١) في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قويٌّ شديد، ولهذا قال: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْفُرُةِ ٱلْوُنْفَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَمَا ﴾ الآية».

قال مجاهد: العروة الوثقى: يعني الإيمان (٢)، وقال السدي: هو الإسلام ($^{(7)}$)، وقال سعيد بن جبير والضحاك: يعني لا إله إلا الله (٤)، وعن أنس بن مالك: العروة الوثقى: القرآن ($^{(6)}$)، وعن سالم بن أبي الجعد، قال: هو الحب في الله، والبغض في الله ($^{(7)}$)، وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا تنافي بينها، وقال معاذ بن جبل في قوله: «﴿لَا ٱنفِصَامَ لَمَا ﴾ ($^{(8)}$) دون دخول الجنة» ($^{(8)}$).

"وقال الإمام أحمد بسنده إلى محمد بن قيس بن عبادة قال: "كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع، فدخل (٩) فصلى ركعتين أوجز فيهما، فقال القوم: هذا رجل من أهل الجنة، فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله، فدخلت معه فحدثته فلما استأنس، قلت له: إن القوم لما دخلت (١٠) المسجد قالوا: كذا وكذا، قال: سبحان الله، ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك (١١)، إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله على فقصصتها عليه، رأيت كأني (١٢) في روضة

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فهي».

 ⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم (۲/ ٤٩٦)، وابن جرير (٤/ ٥٦٠)، وعبد بن حميد وابن المنذر،
 كما في «الدر المنثور» (۱/ ٣٣٠)، وهو في «تفسير مجاهد» (۱/ ٤٣/١).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/٤٩٦)، وابن جرير (٤/٥٦٠).

⁽٤) علقه ابن أبي حاتم (٤٩٦/٢) عن جبير، ووصله عنه وعن الضحاك: ابن جرير (٤/ ٥٦٠ ـ - ٥٦٠)، ووصله عن سعيد أيضاً: الطبراني في «الدعاء» رقم (١٥٦٦، ١٥٦٧). وانظر: «المحرر الوجيز» (١٩٩٢)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٨٢).

⁽٥) علقه عنه ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٦).

⁽٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٦) رقم (٢٦٢٦).

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا انقطاع لها».

⁽٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٦ _ ٤٩٧) رقم (٢٦٢٨)، وإسناده ضعيف.

⁽٩) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقطت من الأصل.

⁽١٠) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «مثل».

⁽١١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لِمَ».

⁽١٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كأنني».



خضراء، قال ابن عون (۱): فذكر من خضرتها وسعتها، وفي وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: اصعد عليه، فقلت: لا أستطيع. فجاءني منصف ـ قال ابن عون (۱): هو الوصيف ـ فرفع ثيابي من خلفي فقال: اصعد فصعدت حتى أخذت بالعروة، فقال: استمسك بالعروة، واستيقظت وإنها لفي يدي، فأتيت رسول الله على فقصصتها عليه، فقال: «أما الروضة، فروضة الإسلام، وأما العمود فعمود الإسلام، وأما العروة فهي العروة الوثقى، أنت على الإسلام حتى تموت (۲)، قال: وهو عبد الله بن سلام. أخرجاه في «الصحيحين».

ثم قال (٤): "يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام، فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي البين السهل المنير، وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان (٢)، يزين (٤) لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات، ويخرجونهم، ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك ﴿أُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِهَا خَلِدُونَ ﴾ ولهذا وحد تعالى لفظ النور، وجمع الظلمات لأن الحق واحد، والكفر أجناس كثيرة، وكلها باطلة كما قال: ﴿وَأَنَّ هَلَا صِرَيْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَيْعُوهٌ وَلَا تَنْبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَق بِكُمْ عَن سَيِيلِهِ ذَلِكُمْ وَسَنِيلِهِ ذَلِكُمْ وَسَنِيلِهِ وَلَا تَنْبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَق بِكُمْ عَن سَيِيلِهِ ذَلِكُمْ وَسَنِيلِهِ وَلَا تَنْبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَق بِكُمْ عَن سَيلِهِ وَلِكُمْ وَسَيلِهِ وَلِلهُ اللهُ الله وصَادِها ومغاربها أربعة: مؤمنان، وكافران، المؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود، وبخت نصر» (٢)، ومعنى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ ﴾ أي:

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «عوف»!

⁽٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٢)، والبخاري (٣٨١٣)، ومسلم (٦٤٨٤).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أولياؤهم الشيطان».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تزين». (٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٥٠).

آ) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/ ١٩٠) عن مجاهد قوله باللفظ نفسه، وعزاه ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٣٨٥)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٧/٢) إلى الزبير بن بكار في «النسب» _ وأوردا إسناده _ من قول سفيان، وعزاه ابن حجر إلى وكيع في «تفسيره» من قول مجاهد، وهو عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» في كتاب (الفضائل) (٧/ ٢٦٤)، وأنهاه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٨٩)، وابن بشران في «أماليه» _ ومن طريقه ابن عساكر (١٧/ ٣٣٦) _ بسند ضعيف عن معاوية، قال: «ملك الأرض أربعة: سليمان بن داود النبي، وذو القرنين، ورجل من أهل حُلوان، ورجل آخر، فقيل له: الخضر؟ قالا: لا».



بقلبك يا محمد ﴿ إِلَى ٱلَّذِي حَابَّ إِبَرْهِ عَمْ فِي رَبِّهِ ﴾ أي: وجود ربه، وذلك أنه أنكر أن يكون (١) إله غيره، كما قال بعده فرعون لملئه ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَنْهِ غَيْرِع ﴾ [القصص: ٣٨] وما حمله على (٢) الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره وطول مدته في الملك (٣)، وكان (٤) طلب من إبراهيم دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه. فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُعْيِ. وَيُعِيتُ﴾ أي: إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بدّ لها من موجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته (٥) لا شريك له، فعند ذلك قال الحاج وهو نمرود: ﴿ أَنَا أُجِّي - وَأُمِيتُ ﴾ قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أنى أوتى بالرجلين قد استحقا القتل، فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة، والظاهر ـ والله أعلم ـ، أنه ما أراد هذا لأنه ليس جواباً لما قال إبراهيم، ولا في معناه؛ لأنه مانع لوجود الصانع، وإنما أراد أن يدعى لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرة، ويوهم أنه فاعل لذلك، وإنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به فرعون في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَيْهِ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: ﴿ فَإِنَ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ

⁼ وأسنده وباللفظ المذكور: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣٦/١٧، ٣٣٧) _ بإسنادين متفرقين _ عن سفيان الثوري، وسعيد بن بشير قولهما، وهو الأشبه.

وأخرج أبو سعيد النقاش في «فنون العجائب» (رقم ٨٧ ـ بتحقيقي) بسند فيه كذاب _ وهو محمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام، قال عنه الدارقطني وغيره: متروك. انظر لهما _ على الترتيب _: «الميزان» (٣/ ٥٥٦ و٤/ ٣٠٤) _ عن ابن عباس قال: «لم يملك الدنيا كلها إلا أربعة رهط: مؤمنان وكافران، وكان المؤمنان: ذو القرنين، وسليمان بن داود ﷺ، والكافران: نمرود بن كنعان، الذي بنى المجدل بأرض بابل، والضحاك بن عدنان، وتقول الأزد منهم».

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ثمَّ».

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هذا».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وذلك أنه يقال: إنه مكث أربعمائة سنة في ملكه؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ ءَاتَنهُ اللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وكأنه».

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وحده».



فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ أَي: إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود، في خلق ذراته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلها كما تدعي، [تحيي وتميت](۱)، فَأْتِ بها من المغرب، فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام، بهت أي أخرس، فلا يتكلم وقامت عليه الحجة، قال الله تعالى: ﴿وَاللّهُ لا يَهْدِى ٱلْقَرْمَ ٱلظّٰلِمِينَ ﴾ أي: لا يلهمهم حجة ولا برهاناً، بل ﴿جُمّنَهُمْ مَا رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَلَابٌ شَكِيدً الشورى: ١٦](١).

فوائد هذا الباب:

الفائدة الأولى: قال محمد تقى الدين: كل من أشرك بالله وعبد غيره بدعاء، أو ذبح، أو نذر، أو استغاثة، أو استغانة، أو استغاذة، فيما لا يقدر عليه إلا الله، يأتي يوم القيامة مفلساً يائساً لا ينفعه أحد من الذين كان يتعلق بهم في الدنيا كشيوخ الطريقة، ولا يشفع له أحد؛ لأن المشرك بالله لا تنفعه شفاعة الشافعين، وإن كان هذا المشرك ابناً لنبي كابن نوح، أو أباً لنبي كآزر أبي إبراهيم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَةٌ وَلا شَنَعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

الفائدة الثانية: قول عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿وَٱلْكَفِرُونَ هُمُ الظّلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ولم يقل: «الظالمون هم الكافرون»(٣)، قال محمد تقي الدين: الظلم نوعان: الظلم الأكبر والظلم الأصغر، فالظلم الأكبر: أن تصرف حق الله وهو العبادة إلى غير الله، وذلك هو الشرك الأكبر، فكل من ارتكب الظلم الأكبر، فهو من الكافرين، وأما الظلم الأصغر فهو أكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء عليهم في أنفسهم وأعراضهم، فإن صاحب هذا لا يكون من الكافرين، إلا إذا استحل ذلك، ولو قال الله تعالى: والظالمون هم الكافرون، لكان كل ظالم كافراً، ولو كان ظلمه صغيراً.

الفائدة الثالثة: قد رأيت من فضائلها ما فيه من الكفاية، وعلمت أنها أعظم آية في القرآن وهي كما قال ابن كثير: «تشتمل على عشر جمل»(٤).

⁽۱) غير موجودة في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٥٠]. (٣) سبق تخريجه.

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤٨/٢ ـ ٤٤٤) والجمل المذكورة الآتية منه بتصرف من المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ.

الجملة الأولى: ﴿ اللهُ لاَ إِلَهُ إِلاَ هُو﴾، أي: لا معبود في الأرض ولا في السماء سواه، ومن عبد غيره صار من أعدائه، استوجب العذاب الدائم في الدنيا والآخرة، إن لم يتب من شركه.

الجملة الثانية: ﴿ اَلْحَى الْقَيْوَمُ ﴾، وحياته سبحانه هي الحياة الكاملة التي لم توهب ولم تعط ولم تؤخذ من غيره، وليس لها بداية ولا نهاية، وليس لها حدود، و ﴿ اَلْفَيْوَمُ ﴾، وفي قراءة عمر صلى (القيام)(١)، هو الذي يقوم به كل ما سواه من المخلوقين، وبدونه لا يقوم ولا يوجد، ولا يحفظ عليه وجوده إلا بالحي القيوم.

الجملة الثالثة: ﴿لَا تَأْخُذُو سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، وقد بين (٤) معنى السّنة ومعنى النوم، وهما من لوازم البشر، ومن الدلائل على نقصهم، ولذلك لا يستطيع أحد منهم أن يدبر شؤون العالم، وقد علم الله سبحانه أن بعض البشر سيزعمون أنه يوجد رجل في كل زمان يسمى (القطب الفرد) ينوب عن الله تعالى في جميع مملكته ويدبر شؤونها، فلا تتحرّك ذرة في العالم إلا بإذنه، انظر تفاصيل خبره في كتابي «الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية»(٢) فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُو سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ فكيف يستطيع هذا (القطب) المزعوم أن يدبر شؤون العالم عند النوم، ونفي السنة والنوم، من نفي النقائص عن الحي القيوم.

الجملة الرابعة: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَنَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضُ ﴾ ، ملكاً وخلقاً وعبيداً متصرفاً فيهم، والمملوك المخلوق العبد، لا يكون إلها معبوداً أبداً ، ففيه ردّ على المشركين .

الجملة الخامسة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥ إِلَّا بِإِذَنِدِ ﴾، نفي للشفاعة الشركية التي يشفع الشافع فيها لدى المشفوع عنده؛ لأنه قريب، وله حق عليه كالوالد عند ولده، أو بالعكس، أو لأنه صديقه، أو قائد جيشه، أو وزيره الأعظم الذي يعينه على تدبير ملكه، والمشركون الجاهلون يظنون، بل يعتقدون أن شفاعة الشفعاء عند الله من هذا القبيل، وتعالى الله أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه (٣).

⁽١) انظر ما قدمناه عنها (ص٢٢٤). (٢) انظر منه (ص٤٧ ـ ٥٢، ط. الأولى).

 ⁽٣) فصل ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٣) في موضوع الشفاعة،
 وتكلم عن حال (الضالين) الذين أكثر المصنف من ذكرهم ورد عليهم، وأسوق لك ـ أخي
 القارئ ـ كلام ابن القيم عنهم، لتعلم أن المصنف مسبوق بأحكامه ومواقفه الآتية،



وحتى لا تتهم المصنف تطلله بالشدة وعدم اللين، أو الغلو والتعصب وعدم الإنصاف، قال مبيناً جهل أبناء زمانه في (الشفاعة): «ومن جهل المشرك: اعتقاده أن من اتخذه وليا أو شفيعاً: أنه يشفع له، وينفعه عند الله. كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم. ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله. كما قال تعالى في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا اَلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ وَلا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمِن النّافي: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَن النّافياء: الأنبياء: الله المنه وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولين والآخرين. كما قال أبو العالية: «كلمتان الرسول. وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولين والآخرين. كما قال أبو العالية: «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟».

ترى المشرك يكذب حاله وعملُه قولَه، فإنه يقول: لا نحبهم كحب الله، ولا نسويهم بالله، ثم يغضب لهم ولحرماتهم _ إذا انتهكت _ أعظم مما يغضب لله، ويستبشر بذكرهم، ويتبشبش به، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم: من إغاثة اللهفات، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات، وأنهمُ البابُ بين الله وبين عباده. فإنك ترى المشرك يفرح ويُسَرُّ وَيَحِنُ قلبه، وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاة، وإذا ذكرت له الله وحده، وجَرَّدْت توحيدَه لحقتُه وَحْشَة، وضيق، وحرج ورماك بنقص الإلهية التي له، وربما عاداك.

رأينا والله منهم هذا عياناً، ورمونا بعداوتهم، وبغوا لنا الغوائل، والله مخزيهم في الدنيا والآخرة. ولم تكن حجتهم إلا أن قالوا، كما قال إخوانهم: عاب آلهتنا، فقال هؤلاء: تنقصتم مشايخنا، وأبواب حوائجنا إلى الله. وهكذا قال النصارى للنبي على الما قال لهم: «إن المسيح عبد الله» قالوا: تنقصت المسيح وَعِبْته. وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثاناً تعبد، ومساجد تقصد، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله، قالوا: تنقصت أصحابها.

فَانَظْرِ إِلَى هَذَا الْتَشَابِهِ بِينَ قَلُوبِهِم، حتى كَأَنْهِم قَدْ تُواصُوا بِهِ ﴿مَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِّ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلَّقَ بها المشركون جميعاً، قطعاً يعلم من تأمله وعرفه: أن من اتخذ من دون الله وليّاً، أو شفيعاً. فهو ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُونِ ٱلْخَذَتْ بَيْتَا ۗ = الجملة السادسة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: هو محيط علماً بجميع أمور العباد من الأزل إلى الأبد، ولا يتصف أحد بهذه الصفة سواه.

الجملة السابعة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءً ﴾، أي: كل من سوى الله تعالى إلا ما علمه الله، وما سوى الله تعالى إلا ما علمه الله، وما سوى ذلك يخفى عليه، ويدعي كثير من المشركين في هذا الزمان أن النبي على المعلم كل ما يعلمه الله، وهذا كفر بإجماع المسلمين، وسيأتي _ إن شاء الله _ في (سورة الأنعام) بيانه، ويزعمون أن آلهتهم التي يسمونها بالأولياء تعلم الغيب، ﴿فَبُعْدُا لِلْقَوْمِ ٱلظّلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: 13].

الجملة الثامنة: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضُ ﴾، قد تقدم بيان معناها بما لا يحتاج إلى مزيد.

الجملة التاسعة: ﴿ وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُما ﴾ ، كل من وكل إليه حفظ شيء من

وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لِبَيْتُ الْمَنْكُبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، فقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ وَيَاتُمُ مِنْ وَمَا لَمُمْ فِيهِمَا مِن شِرْلِهِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْلِهِ وَمَا لَهُمْ مِنْ فَلِهِ فَي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْلِهِ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿ وَلَا نَنْفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندُهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَمْ ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع. والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربعة: إما مَالِكُ لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن معيناً له كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده.

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً، متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفَى الْمِلْكَ، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك. وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفى بهذه الآية نوراً، وبرهاناً ونجاة، وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك وموادّه لمن عَقَلَهَا. والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها. ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يُعْقِبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم، أو شر منهم، أو دونهم. وتناولُ القرآن لهم كتناوله لأولئك».

قال أبو عبيدة: فصل الهلالي ـ رحمه الله تعالى ـ في تناول القرآن لمن يفعل الشرك تحت الآيات التي تخصهم على وجه ظاهر قويّ، وصرح فيه بضرورة إقامة الحجة، وقرر أنه لا يلزم كل من وقع في الشرك أن يكون مشركاً، فليكن ذلك على بالك في جميع تقريراته الآتية، والله الهادي.



المخلوقين يثقل عليه، ويحتاج فيه إلى اهتمام وتعب، والله تعالى يحفظ السلموات والأرض، يحفظ عليهما وجودهما، ويمدهما بكل ما تحتاجان إليه، ويحتاج إليه من فيهما دون أن يلحقه في ذلك أي مشقة أو تعب.

الجملة العاشرة: ﴿وَهُوَ الْمَالَى الْمَظِيمُ ﴾ وتقدم معنى العلو الثابت له تعالى، والعظيم الذي لا يماثله أحد في عظمته.

الفائدة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهُ فِي ٱلدِّيرِ ﴿ ﴾. اعلم أن من يدين بالإكراه لا ينتفع بذلك الدين؛ لأنه لم يؤمن به، ولا ينتفع أهل ذلك الدين به، بل يعيش بينهم جاسوساً يتربص بهم الدوائر، أما حديث: «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل»(١). فهم لم يقودوهم ليدخلوهم في دين الإسلام كرهاً، وإنما قادوهم أسارى بأمر الله تعالى، وتطبيقاً لقواعد الحرب، فلما دخل أولئك الأساري إلى بلاد الإسلام، رأوا نور الإسلام وأخلاقه وفضله، فانشرحت صدورهم، ودخلوا فيه باختيارهم، وكذلك حديث ثمامة بن أثال(٢): حين قبضت عليه خيل النبي على وربط إلى سارية من سواري المسجد ثلاثة أيام، فأطلق النبي ﷺ سراحه، ولم يكرهه على الإسلام، ولكن ما شاهده في المسجد من نور الإسلام وأخلاق الإسلام، أخذ بمجامع قلبه، فخرج إلى حائط من حوائط المدينة، فاغتسل، ورجع إلى النبي ﷺ، وقال له: والله لقد جئت هذا البلد وما على وجه الأرض بلد أبغض إليَّ منه، والآن ما على وجه الأرض بلد أحب إليَّ منه، وقد جئتك وما على وجه الأرض أبغض إليَّ منك، والآن ما على وجه الأرض أحد أحب إليّ منك، فمرني بأمرك؟» الحديث. والمسلمون في هذا الزمان هم أكبر مانع لغيرهم من الدخول في الإسلام، لعدم تمسكهم بالإسلام، وانحرافهم عن جادته، وبعدهم عن أخلاقه، حكى لي العالم السلفي عبد الكريم الصاعقة (٣) البغدادي تَطَلُّهُ: أنه كان جالساً في سطح المسجد، وهو يرى صاحب

⁽١) سبق تخريجه.

⁽٢) أخرجه البخاري (٤٦٢) من حديث أبي هريرة.

⁽٣) هو الشيخ العالم العلامة، بقية السلف، ومحدث بغداد، والمسند الممجد، صاحقة أوانه في حفظه واتباعه وإتقانه، الثقة الشيخ السيد: عبد الكريم بن السيد عباس بن ياس آل الوزير الحسني نسباً، اليماني أصلاً، البغدادي الأزجي الشيخلي مولداً، السلفي الأثري الرباني معتقداً ومنهجاً ومسلكاً، ولد سنة ١٢٨٥هـ. للشيخ سليمان بن سحمان رسالة أرسلها له تراها في «الدرر السنية» (٨/٢٦٦)، ومنها يظهر معتقد شيخنا الصاعقة.



دكان من تجار الصابئة يسمع القرآن من الإذاعة، فجاءه شخص من المحسوبين على الإسلام، فقال له: لأني أحبه. على الإسلام، فقال له: لأماذا تسمع القرآن وأنت صابئ؟ فقال له: لأني أحبه. فقال: إذا كنت تحب القرآن فما يمنعك من الإسلام؟ فقال: منعني من الإسلام أنت وأمثالك؛ يعني: أنه يكره أن يدخل في دين الإسلام وينضم إلى أدعياء الإسلام، لفساد أخلاقهم، وعدم تطبيقهم لأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه.

الفائدة الخامسة: قوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِيكِ ءَامَنُوا﴾ الآية، اعلم أن الجهال وأصحاب الأغراض الفاسدة من زنادقة المتصوفة وجهلتهم حرّفوا معنى ولي الله، فزعموا أن ولي الله هو الذي ينظر بعين بصيرته إلى الحقيقة، والحقيقة عندهم هي أصل الدين، والشريعة إنما هي ظواهر شرعت للعامة، أما الولي فلا يتقيد بها، فيتبع الحقيقة، قالوا: وكثيراً ما تكون الحقيقة مخالفة للشريعة، كالخلوة بالأجنبية مثلاً، فإنهم يحلّونها للولي، وإن حرمها الشرع، ويضربون لذلك مثلاً بقصة موسى والخضر، ويزعمون أن الخضر كان مطلعاً على الحقيقة؛ لأنه كان رسولاً نبياً لأنه كان من الأولياء، وموسى لم يكن مطلعاً على الحقيقة لأنه كان رسولاً نبياً يتبع ما يوحى إليه، فخرق السفينة وقتل الغلام كان محرماً في شريعة موسى من الذنوب الكبائر، ولكن الخضر كان يعرف الحقيقة، وأن ذلك ليس محرماً، بل فيه خير وصلاح، فلما أخبر الخضر موسى بحقيقة ذلك، سلم له أمره، ولم يعترض عليه (۱)، فكذلك ينبغي للمسلمين إذا رأوا ولياً معروفاً عند العامة بالولاية، أو

توفي كَالله سنة ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٥٩/١٢/٧م، على إثر ورم في رأسه، أدى فيما بعد إلى وفاته. له كتب كثيرة، منها: «أصول الحديث»، و«رسالة في مختلف الحديث» و«رسالة في أصول الفقه»، و«معارضة الحنفية لأقوال خير البرية»، و«نظرات في التفسير»، كشف فيه عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات، والتفاسير الباطنية والصوفية. حدثني تلميذه الشيخ صبحي السامرائي أنه كان يستظهر «الكتب الستة»، وكان الهلالي يخطب في جامع الدهان قرب محلة الأعظمية برصافة بغداد، وكان الصاعقة يحضر عنده الجمع والعيدين، وهو من أعز أقرانه وإخوانه، وصار هذا المسجد فيما بعد منطلقاً لشرارة السنة، ونصرة دين الحق.

⁽١) وقع لبعض الجهلة: إن من الأولياء مَن يسوغُ له الخروج عن الشريعة النبويَّة؛ كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى، وإنه قد يكون للولي من المكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها!!

وهذا من أعظم الجهالات والضلالات، بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر؛ فإنه قد عُلِم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسالة محمد بن عبد الله على المجميع الناس؛ =



عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم، وعلمائهم وعامّتهم، بل لعامة الثقلين؛ الجن والإنس، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين وما سنّه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقلّمون قبله أحياء؛ لوجب عليهم متابعته ومطاوعته؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَنَى النِّيتِينَ لَمَا التَيْتُكُم مِن كِتَابِ وَحِكْمَة ثُمّ جَآءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَكُم لَتُومِدُنَ بِهِ وَلَتَنهُرُنّهُ قَالَ اَقْرَرْتُم وَأَخَذَمُ عَلَى دَلِكُم إِصْوِق قَالُوا اَقْرَرُنُه وَالْمَادُوا وَأَنا مَعَكُم مِن الشّهدِينَ ﴿ وَالْ عمران: ١٨].

قال ابن عباس: «مَا بَعَثَ الله نبيّاً إلا أخذ عليه الميثاق؛ لئن بُعِث محمدٌ وهُو حيٌّ؛ ليؤمنَنَّ به ليؤمنَنَّ به ولينصرنَّه، وأمره بأخذ الميثاق على أمَّته لئن بُعِثَ محمدٌ وهو حيٍّ؛ ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه».

بل قد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن المسيح عيسى ابن مريم إذا نزل من السماء؛ فإنه يكون متّبعاً لشريعة محمد رضي فإذا كان الله يجب اتباعه ونصره على من يدركه من الأنبياء؛ فكيف بمن دونهم؟

بل مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوته أن يتَّبع شريعة رسولٍ غيرِه؛ كموسى وعيسى، فإذا لم يَجُزِ الخروجُ عن شريعته إلى شريعة رسولٍ؛ فكيف بالخروج عنه وعن الرسل؟!

قَالَ اللهَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوا ۚ مَامَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنِلَ إِلَىٰ إِنَهُ وَمِنَا وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوفِى مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوفِى النَّهِيُّونَ مِن زَيِّهِمْ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحْدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَمُ مُسْلِمُونَ ۚ فَي فَإِنْ مَامَنُوا بِمِثْلِ مَا مَامَنتُم بِهِ فَقَدِ الْهَنَدُوا ۚ وَلِن لَوْلُوا فَإِنَّا هُمْ فِي شِقَاقُو فَسَبَّلِيكُمُ اللَّهُ وَهُو السَّمِيعُ الْمُكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧].

ومما يبيِّن الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى والخضر على مخالفة الشريعة: أن موسى الله لله يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته، بل قد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن الخضر قال له: «يا موسى! إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه». وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة، وقد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي الله قال فيما فضَّله الله به على الأنبياء؛ قال: «كانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصة، وبُعِثْتُ إلى الناس عامة».

فدعوة محمد على شاملة لجميع العباد، ليس لأحدِ الخروجُ عن متابعته وطاعته، ولا استغناء عن رسالته؛ كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وطاعته مستغنياً عنه بما علمه الله، وليس لأحدِ ممَّن أدركه الإسلامُ أن يقول لمحمد على: إني على علم من علم الله علَّمنيهِ الله لا تعلَّمهُ!! ومَن سوَّغَ هذا، أو اعتقد أنَّ أحداً من الخلق _ الزُّهّاد، والعبّاد، أو غيرهم _ له الخروج عن دعوة محمد على ومتابعته؛ فهو كافر باتّفاق المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسنة أكثر من أن تذكر هنا.



وقصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة، ولهذا لما بيَّن الخضرُ لموسى الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل؛ وافقه موسى، ولم يختَلِفا حينئذٍ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفاً لشريعة موسى؛ لما وافقه.

ومثل هذا وأمثاله يقعُ للمؤمنين بأن يختصَّ أحدُ الشخصين بالعلم بسبب يبيعُ له الفعلَ في الشريعة، والآخر لا يعلم ذلك السبب ـ وإنْ كان قد يكون أفضل من الأوَّل ـ؛ مثل شخصين دخلا إلى بيت شخص، وكان أحدُهما يعلم طيبَ نفسه بالتصرُّف في منزله، إما بإذن لفظيِّ أو غيره، فيتصرَّف، وذلك مباحٌ في الشريعةِ، والآخر الذي لم يعلم هذا السبب لا يتصرَّف.

وخَرْق السفينة كان من هذا الباب، فإن الخضر كان يعلم أنَّ أمامهم ملِك يأخذ كل سفينة غصباً، وكان من المصلحة التي يختارها أصحاب السفينة ـ إذا علموا ذلك ـ أن يخرقوها؛ لئلا يأخذها الملك؛ لأن بقاءها مع الخرق فيها خير من انتزاعها منهم.

وكذلك قتل الغلام كان من باب دفع الصَّائل على أبويه؛ لعلمه بأنه كان يفتنهما عن دينهما، وقتلُ الصبيان يجوز إذا قاتلوا المسلمين، بل يجوز قتلُهم لدفع الصَّول على الأموال، ولهذا ثبت في "صحيح البخاري" أنَّ نجدة الحروريَّ لما سأل ابنَ عباس عن قتل الغلمان؛ قال: "إنْ كنتَ تعلم منهم ما علمه الخضر من الغلام؛ فاقتلهم، وإلا؛ فلا تقتلهم».

وكذلك في «الصحيحين» أن عمر لما استأذن النبي الله في قتل ابن صياد ـ وكان مراهقاً ـ لما ظنّه الدّجال، فقال: «إِنْ يَكُنه؛ فلن تسلَّط عليه، وإن لم يكنه؛ فلا خير لك في قتله». فلم يقل: إن يكنه؛ فلا خير لك في قتله، بل قال: «فلن تسلَّط عليه»، وذلك يدلُّ على فلم يقل: إن يكنه؛ فلا خير لك في قتله، بل قال: «فلن تسلَّط عليه»، وذلك يدلُّ على أنه لو أمكن إعدامُه قبل بلوغه لِقَطْعِ فساده؛ لم يكن ذلك محذوراً، وإلا كان التعليل بالصغر كافياً، فإنَّ الأعمَّ إذا كان مستقلاً بالحكم؛ كان الأخص عديم التأثير.

وأما بناء الجدار؛ فإنما فيه ترك أخذ الجُعْل مع جوعهم، وقد بيَّن الخضر أنَّ أهله فيهم من الشيم وصلاح الوالد ما يستحقُّون به التَّبَرع، وإنْ كان جائعاً.

والمقصود من هذا كله: أنه ليس في قصة الخضر ما يسوّغُ مخالفة رسول الله ﷺ لأحد من الخلق، أفاده ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢١/١١) وما بعدها).

ولله درُّ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي - رحمه الله تعالى - فقد قال فيما نقلَهُ عنه تلميذُهُ الإمام القرطبيُ المفسِّرُ في تفسيره: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٤٠ _ ٤١) ما نصُّه: «ذهب قومٌ من زنادقة الباطنيَّة إلى سلوك طريق تلزم منه هدم الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامةُ إنما يُحْكَمُ بها على الأغبياء والعامَّة!! وأما الأولياء وأهل الخصوص؛ فلا يحتاجون إلى تلك النُّصوص!! بل إنما يُراد منهم ما يقع في قلوبهم!! ويُحْكَمُ عليهم بما يغلب على خواطرهم!!

وقالواً: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتتجلَّى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، =



= فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات؛ كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما تجلَّى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم!!

وقد جاء فيما ينقلون: استفتِ قلبَكَ وإنْ أَفتاكُ المُفْتون!».

وقال تعالى: ﴿ لَلَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتُكُمُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً فَيَعَثَ اللَّهُ النَّبِيْسَنَ مُبَشِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣]... إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى الجملة؛ فقد حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، وإجماع السَّلف والخلف على أن لا طريقة لمعرفة أحكام الله تعالى، التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يُعرف شيءٌ منها؛ إلا من جهة الرسل، فمَن قال: إنَّ هناك طريقاً آخر يُعرف بها أمرُه ونهيه غير الرسل، بحيث يستغني عن الرسل؛ فهو كافر، يُقتل ولا يُستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب.

ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبيّنا _ عليه الصلاة والسلام _، الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبيّ بعده ولا رسول.

وبيان ذلك أن مَن قال: يأخذ عن قلبه، وأن ما يقع فيه هو حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة؛ فقد أثبت لنفسه خاصّة النبوّة اله. وانظر من: قتفسير القرطبي (٧٩/٧).

وقال الشيخُ عليَّ القاري _ رحمه الله تعالى _ في «المقدمة السالمة في خوف الخاتمة» (ص١٩ _ بتحقيقي).

«لا اعتبار لمكاشفات الأولياء، ومحاضرات الأصفياء، بحيث يُعتمد عليها بالكليَّة في الأمور الشرعيَّة، أو في الأطوار الحقيقية، فإنَّ الإنسان ما دام في هذه الدَّار المشوبة بالأكدار، لا تصفى له الأسرار، ولا تتجلى له الأنواز؛ بخلاف الأنبياء الأبرار، والرسل الكبار، ولذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَنْلَةٍ يَنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَمْ حَدِيدٌ الكبار، وانظر في هذم الكشف: «القائد لتصحيح المعقائد» (ص٣٧ وما بعدها)، «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٥/ ٤٩١)، «الجواب الصحيح» (٩٢/٢).

ومما لا ينبغي أن ينسى في هذا المقام أنه وقع لبعض الجهلة مغلطة عظيمة، فقال: إن الخضر أفضل من موسى؛ تمسُّكاً بهذه القصَّة وبما اشتملت عليه.

وهذا إنما يصدر ممَّن قصر نظره على هذه القصة، ولم ينظر فيما خصَّ الله به موسى عليه =



مدَّعياً لها، يرتكب شيئاً من المحرمات كالزنا وشرب الخمر، لا ينبغي لهم أن يعترضوا عليه، وأشاعوا ذلك بين جهال المسلمين، حتى استقر في أذهانهم وألفوه، وينشدون من أشعارهم قول بعضهم (١):

وكُنْ عنده كالميت عند مُغَسِّل يقلِّبه ما شاء وهو مطاوعُ ويقولون: إذا رأيت امرأة ويقولون: من قال لشيخه: لم؟ لا يفلح أبداً، ويقولون: إذا رأيت امرأة جميلة دخلت على شيخك، فقم سخن الماء ليغتسل، وإياك أن تظن به إلا خيراً، وفي كتاب «الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز الدباغ» (٢) لمؤلفه أحمد بن مبارك اللمطي المغربي هذه الحكاية: زعم أن شيخه رواها له، قال: قال المنهن كان لأحد الشيوخ مريد مخلص، وطالت خدمته بإخلاص وتعظيم، فأراد أن يمتحنه ليعطيه الولاية إذا نجح في الامتحان، فقال له: يا فلان: أتحبني؟ قال: نعم أحبك بدون حد، فقال: أرأيت لو أمرتك بأمر أتطيعني؟ فقال: يا سيدي لا يمكن أن أعصي أمرك أبداً، فقال له: سوف ترى، وذهب في الحال إلى بيت عنقه وأتني برأسه أتفعل ذلك؟ فقال له: سوف ترى، وذهب في الحال إلى بيت أبيه فوجده يجامع أمه، فقطع رأسه وجاءه به في مخلاة، ووضعه أمامه، فقال له

من الرسالة، وسماع كلام الله، وإعطائه التوراة، فيها علم كل شيء، وأنَّ أنبياء بني إسرائيل كلهم داخلون تحت شريعته، ومخاطبون بحكم نبوَّته، حتى عيسى الله وأدلة ذلك في القرآن كثيرة، ويكفي من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَنْمُوسَى ٓ إِنِّ أَمْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِسَلَتِي وَيكُلِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

ومن ثمَّ؛ فإن الخضر، وإن كان نبيّاً؛ فليس برسولِ اتفاقاً، والرسولُ أفضلُ مِن نبيِّ ليسَ برسول، وأمته أكثر، فهو أفضل، وغاية الخضر أن يكون واحداً من أنبياء بني إسرائيل، وموسى أفضلهم.

وإن قلنا: إنَّ الخضر ليس بنبيِّ بل وليّ، فالنبيُّ أفضل من الوليّ، وهو أمر مقطوعٌ به عقلاً ونقلاً، والصائر إلى خلافه كافر؛ لأنه أمر معلومٌ من الشرع بالضرورة، وإنما كانت قصة الخضر مع موسى الله المتحاناً لموسى ليعتبر، انظر: «فتح الباري» (١/ ٢٢١)، وقال ابن حجر في «الزهر النضر في نبأ الخضر» (٢/ ٢٣٤ _ مطبوع مع «الرسائل المنيرية»): «والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية، خلاف ما يعتقده العوام من السمترار حياته» ثم قال: «والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوّته».

⁽۱) قائله عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني (٧٦٧ ـ ٨٦٢هـ) أو (١٣٦٥ ـ ١٤٢٨).

⁽٢) الكتاب مطبوع، رأيته في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبويّة، والمصنف أكثر من انتقاده وبيان طاماته، ومخالفته العقيدة الصحيحة.



الشيخ: ما هذا؟ فقال المريد: هذا الذي أمرت به، فقال: ما أمرتك بشيء؟ وإنما سألتك سؤالاً؟ فقال له: إن كلامك عندي كله حق، ليس فيه تأويل ولا مجاز، وهذا رأس أبي أمامك، فغضب عليه وقال له: كيف ترتكب هذا الجرم العظيم لمجرد سؤال ألقيته عليك؟ فأعاد عليه قوله من أن كلامه عنده لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما كنت أظنك غبياً إلى هذا الحد، هات القنديل، فلما جاء المريد بالقنديل، وأخرج الرأس من المخلاة، وجده رأس نصراني كان يزني بأمه، فعلم بذلك الشيخ من طريقة علم الغيب، وأراد أن يصيد عصفورين بحجر واحد، الأول: امتحان مريده هل بلغ من طاعته إلى الحد الذي يستحق أن يمنح الولاية، والثاني: أن يقتل ذلك النصراني الذي هتك حرمة والدته عقاباً له، ويحكون من أمثال هذه الحكاية كثيراً ليضلوا الناس، ويعطلوا العمل بكتاب الله وسنة رسوله على انظر كتابي «الهدية الهادية، الظائفة التيجانية»(۱).

وهذه الحكاية الملعونة يبرأ منها الله ورسوله، وجميع المسلمين الذين يعرفون ما هو الإسلام، سواء كانوا صوفية أو فقهاء، أو أهل حديث، فقد قال الجنيد كَالله وهو سيد الطائفة: «أمرنا هذا _ يعني التصوف _ مبني على أربعة أمور، أولها: اتباع السنة، والوقوف عند حدود الشريعة، وثانيها: أكل الحلال، وثالثها: كف الأذى، ورابعها: حمل الأذى». وقال: «إذا رأيتم الرجل يطير في السماء، أو يمشي على الماء، فلا تعتبروه شيئاً، حتى تنظروا إلى تمسكه بالكتاب والسنة»(۲)، وقد ألف الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية كتاباً سماه «الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان»(۳).

وحكى لى الثقة الصادق السيد محمد المؤذن، وكان من أعيان تطوان

⁽۱) انظره (ص۱۲۹ وما بعد) وقال الهلالي فيه عن صاحب «الإبريز»: «حشاه بالأكاذيب»، وأورد نصوصاً في الاقتصار على الطاعة بالمعروف. ثم قال: «وماذا حسى أن يكون هذا الشيخ؟ الواصل إلى الدرك الأسفل من ولاية الشيطان وعداوة الرحمٰن حتى يطاع طاعة مطلقة».

 ⁽٢) ستأتي العبارتان في (٣/ ٢٣٦)، وبيّنتُ هناك أن قائلهما غير الجنيد، والظاهر أن المصنف ينقل من حفظه، والحفظ يخون، والله أعلم.

⁽٣) طبع أكثر من مرة، أحسنها طبعة دار الفضيلة، بتحقيق الشيخ الدكتور عبد الرحمٰن اليحيى، وهي مقابلة على ست نسخ خطية.



المتمسكين بالسنة بعدما دعوت الناس إليها من سنة إحدى وستين وثلاثمائة وألف إلى سنة ست وستين وثلاثمائة وألف، حكى: إن مجذوباً ـ «المجذوب» عندهم: هو الذي فَقَدَ عقلُه، وصار يمشى عرياناً، ولا يتقيد بشيء من العبادة ولا من المروءة، وهذا عندهم معظّم من كبار الأولياء الذين جذبهم الحق إلى حضرة محبته لهم بدون عبادة، ويقسمون الأولياء إلى مجذوب، وسالك. فالسالك: هو الذي يسلك الطريقة والشريعة، ويؤدي الواجبات والنوافل حتى يصل إلى الولاية على يد شيخ من شيوخ المتصوفة _ أخبرني أن مجذوباً ومجذوبة كانا في مدينة تطوان يمشيان في الأسواق عريانين، ويتكلَّمان بكلام لا يفهم، وفي يوم من الأيام وثب المجذوب على المجذوبة في وسط السوق، فأضجعها وزنا بها، والناس ينظرون، ولم يستطع أحد أن ينبس ببنت شفة، بل أخذهم رعب وخوف عظيم، وتأولوا ذلك على أن أمراً عظيماً سيحدث، وبعد ذلك بأيام، انهزم الجيش المغربي أمام الإسبانيين حتى دخل الإسبانيون تطوان واستولوا عليها، ففسر الناس ذلك الزنا الذي وقع بين المجذوب والمجذوبة باستيلاء الإسبانيين على تطوان، فهل مثل هؤلاء مسلمون حقاً يرضى الله دينهم وعقيدتهم وينصرهم على أعداء الإسلام؟ ألا لا، ثم لا، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّا لَنَكُمُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنَّيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ١٠٥٠ [غافر: ٥١].



﴿ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتُّ أَوْلَتِهِكَ أَصْحَتْكُ النَّارِّ هُمَّ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾ .

الفائدة السادسة: محاجة إبراهيم لنمرود، ملك بابل: هي من الآيات الدالة على توحيد العبادة في قوله على توحيد الربوبية، وآية الكرسي نفسها، مشتملة على توحيد العبادة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا ۚ إِلَّهُ إِلَّا هُو﴾ وعلى توحيد الربوبية فيما بعد ذلك.

🚧 الباب الثامن عشر 🗺

قوله تعالى: ﴿ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَنَهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآةً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْسُكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿ آلِهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَمَا

قال (ك): «قال أبو عبد الرحمن النسائي بسنده: عن ابن عباس، قال: «كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا، فرخص لهم»(١).

قال محمد تقي الدين: الرضخ: هو العطاء القليل، وفي هذا الزمان قلب معناه جهال الكتاب، فصاروا يقولون: رضخ له، يعني أذعن وخضع له، وهذا زمان محنة اللغة العربية وشقائها بالمتكلمين بها، وفي هذا الحديث دليل على جواز الإحسان إلى الكافر إذا كان قريباً، وكذلك إذا كان بعيداً، قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لَا يَنْهَنَكُمُ اللّهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقَنِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُحْرِكُمُ مِن دِيكِمُ أَن اللّهِ عَن الّذِينَ لَمْ يُقَنِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يَحْرُكُمُ مِن دِيكِمُ أَن اللّهِ وَاللّهِ عَن اللّهِ اللّهِ عَن اللّهُ عَن اللّهِ عَن اللّهِ عَن اللّهُ عَن اللّهُ عَن اللّهِ عَلَى هذا يجوز الإحسان إليه.

ثم قال (ك): بسنده (٢) إلى ابن عباس عن النبي ﷺ: «إنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت هذه الآية: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَهُمْ ﴾ إلى آخرها، فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين (٣).

⁽۱) · أخرجه النسائي في «الكبرى» (۱۱۰۵۲)، وابن المنذر في «تفسيره» (۱/ ۳۹) بنحوه، وتمام تخريجه فيما يأتي قريباً.

⁽٢) عند ابن كثير (٢/٤٧٦) بسند ابن أبي حاتم.

 ⁽٣) أخرجه الفريابي _ كما في «الدر المنثور» (٢/ ٨٦) ومن طريقه النسائي في «الكبرى» (٦/ رقم ٢٠٥٣) .
 رقم ١١٠٥٢) _، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٧ _ ٥٣٨) رقم (٢٨٥٣)، وابن جرير (٣/ ٣٣)،
 وابن المنذر (١/ ٤٠) في «تفاسيرهم»، والطبراني (١٢/ رقم ١٢٤٥٣) _ ومن طريقه المضياء =

قال محمد تقي الدين: وهذا كله في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فقد بيّن الله تعالى من تصرف لهم في سورة التوبة، فلا يعطاها الفقير الكافر إلا إذا كان من المؤلفة قلوبهم، لقول النبي على في حديث معاذ حينما بعثه إلى اليمن: «ثم أخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنياءهم فترد على فقراءهم»(١)، أي على فقراء المسلمين، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْشُكُمُّ ۚ [البقرة: ٢٧٢] كقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِيةً ۚ ﴾ [الجاثية: ١٥] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِفَآ وَجُهِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. قال عطاء الخراساني: يعني إذا أعطيت لوجه الله، فلا عليك ما كان عمله، وهذا معنى حسن، وحاصله: إن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله، فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب، ألِبَرٌّ أو لفاجرِ، أو مستحقِّ (٢) أو غيره، وهو مثاب على قصده ومستند(٣) هذا تمام الآية: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوكَ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] والحديث المخرج في «الصحيحين»(٤) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله على: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها بيد زانية، فأصبح الناس يتحدثون: تصدق على زانية! فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدَّقُّ الليلة بصدقة، فوضعها في يد غني ! فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غنيٍّ، فقال: اللهم لك الحمد على غنيٍّ، لأتصدقنَّ الليلة بصدقة، فخرج فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، وعلى غني، وعلى سارق، فأتي فقيل له: أما صدقتك فُقُبِلت، أما الزانية فلعلها أن تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق أن يستعف بها عن سرقته».

قال محمد تقي الدين: قد علمنا سبب نزول هذه الآية وما فيها من الأحكام

المقدسي في «المختارة» (۲۰/۲۰ ـ ۷۷) رقم (۲۸، ۲۹) ـ، والبزار (۲۱۹۳ ـ زوائده)،
 والحاكم (۲/ ۲۸۰ و ۱۰۵۲ ـ ۱۰۵۷)، والبيهقي (۱۹۱۶)، وإسناده صحيح، وعزاه
 السيوطي في «الدر المنثور» (۲/ ۸۲) لابن مردویه.

⁽١) أخرجه مسلم (١٩) من حديث ابن عباس.

⁽٢) في الأصل: «مستحقاً».(٣) في الأصل: «ومستنده».

⁽٤) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).

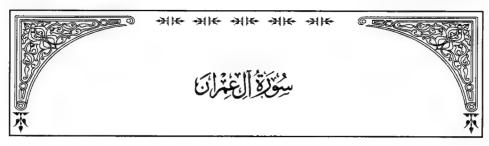


والحكم، وهناك أمر آخر لم يذكر من قبل، وهو أن هداية القلوب ليست واجبة على النبي علي ولا هي مقدورة له، قال تعالى في سورة القصص: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَخْبَبْتُ وَلَكِكَنَ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَذِينَ ۞﴾ [السق صص: ٥٦]. فهداية النبي على للبشر، إنما هي تبليغه إياهم ما أمر بتبليغه قولاً وعملاً على أحسن وجه، وقد فعل ذلك، وبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين، صلوات الله وسلامه عليه، ولكن الضُّلال المتصوفة يزعمون: أن الشيخ الكامل يتصرف في قلب مريده وينقله من الضلال إلى الهدى، وبنظرة واحدة ينظرها إليه يصير ولياً، وفي «جواهر المعاني» و«كتاب الرماح» زعموا: أن الشيخ التيجاني قال لهم: «قال لي سيد الوجود عليه: بعون ربي أكون معك يوم الاثنين ويوم الجمعة، فكل من رآك في هذين اليومين، وقال: أشهد بأني رأيتك، يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب "(١). فلم يقتصر على رؤية الشيخ للمريد، وهدايته له بالنظر، حتى جعلوا كل من رأى الشيخ يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، ألم يعلموا أن أبا طالب عم النبي على كان يرى النبي على ويراه كل يوم لمدة طويلة، وكان النبي على حريصاً على هدايته وإنقاذه من النار ودعاه إلى الإسلام جهده فلم يستجب، ومات كافراً، فحزن عليه النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَخْبَتَ وَلَكِنَّ أَلَّهَ يَهْدِي مَن يَشَامَةُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٠٥٥ [القصص: ٥٦]، فقال النبي على: «الأستغفرن لك ما لم أنه عنك"(٢)، فأنزل الله تعالى في سورة التوبة: ﴿مَا كَاكَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِيكَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْكَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيِّنَ لَمُمْ أَنْهُمْ أَصْحَابُ لَلْمَحِيدِ ١ وَمَا كَاكَ ٱسْيِنْفَارُ إِبْرَهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةِ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَبَيْنَ لَهُۥ أَنَّهُ عَدُقٌ لِلَّهِ تَبُرّاً مِنْهُ إِنَّ إِبْرَهِيمَ لَأَزَّهُ حَلِيمٌ ﴿ ﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤].

⁽١) علق المصنف على هذا القول في كتابه «الهدية الهادية» (ص٧٤) بقوله: «لا يستطيع أحد أن يعتقد هذا الخبر إلا إذا تجرد من العقل والدين والمروءة...».

⁽٢) أخرجه أحمد (٤٣٣/٥)، والبخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).





∺ الباب الأول 😣

﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ الْمَدَ ﴿ اللّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْعَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ الْمَدِينَ الْمَائِقُ لَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التّوْرَانَة وَالْإِنجِيلَ ﴾ وَانزَلَ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

قال (ك): «قد ذكرنا الحديث الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ اللهُ لا إِللهُ إِلاَ هُو اَلْتَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و ﴿ اللهُ لاَ إِللهُ لاَ إِللهُ هُو اَلْتَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و ﴿ اللهُ لاَ إِلاَ هُو اَلْتَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [ال عمران: ١، ٢]، عند تفسير آية الكرسي وقد تقدم الكلام على قوله: ﴿ اللهُ لاَ إِللهُ إِلاَّ هُو اَلْتَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] في وتقدم (١) الكلام على قوله: ﴿ اللهُ لاَ إِللهُ إِلاَّ هُو اَلْتَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] في تفسير آية الكرسي. وقوله تعالى: ﴿ زَلُ عَلَيْكَ الْكِلْبَ بِالْمَقِ ﴾ [ال عمران: ٣] يعني عند الله (٢٠)، ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِمْ وَالْمُلَتَهِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكُفَى بِأَللَهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦]، عند الله (٢٠)، ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِمْ وَالْمُلْتَهِكَةً يَشْهَدُونَ وَكُفَى بِأَللَهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقوله: ﴿ مُمُكِمَةًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣] أي: من الكتب المنزلة قبله من وقوله: ﴿ مُمُكِمَةًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣] أي: من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الأنبياء، فهي تصدق (٢) بما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال الزمان، وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال الزمان، وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أيضاً».

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عز وجل».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تصدقه».



محمد صلى الله عليه (۱) وسلم (۲)، وقوله: ﴿وَأَنْزَلُ التَّوْرَنَةَ﴾ [آل عمران: ٣] أي: على موسى بن عمران ﴿وَأَلْإِنِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] أي على عيسى ابن مريم بي ﴿ فِينَ مَرَانَ عَمَلَ الله وَالله وَالله وَالله عَمَلُ الله وَالله وَالله عَمَلُ الله وَالله والله والراهين القاطعة (٥)، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشده إليه والراهين القاطعة (١٥)، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشده إليه واختار ابن جرير (٨) أنه مصدر لههنا لتقدم ذكر القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهِ كَانُكُ وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله عَلَيْكُ وَالله والله الكرام وأنبياءه العظام».

ثم قال (ك): «يخبر تعالى أنه يعلم غيب السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك: ﴿ هُوَ الَّذِى يُمَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْعَادِ كَيْفَ يَشَاأُهُ ﴾ [آل عمران: ٢] أي: يخلقكم [في الأرحام كما يشاء] (١٠) من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد ﴿ لاَ إِلَهُ إِلاَ هُو ٱلْعَزِيدُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٢] أي: هو الذي خلق، وهو

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وآله».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وإنزال القرآن العظيم عليه».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي».

⁽٤) كذا في مطبوع اتفسير ابن كثيرا، وفي الأصل: (والبيان)!

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «القاطعات».

⁽٦) في مطبوع اتفسير ابن كثيراً: النبّه ١٠.

⁽۷) أخرجه ابن جرير (۱۸۳/٥)، وابن أبي حاتم (٥٨٨/٢) رقم (٣١٤٦ ـ ٣١٤٥)، وابن المنثور» المنذر (١١٥/١) رقم (٢١١ ـ ٢١١) في «تفاسيرهم»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤٣/٢) إلى عبد بن حميد.

⁽۸) انظر: «تفسيره» (٥/ ١٨٢).

⁽٩) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح، أن المراد هاهنا بالفرقان: التوراة، فضعيف أيضاً لتقدم ذكرها والله أعلم».

⁽١٠) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كما يشاء في الأرحام».



المستحق [للألوهية] (١) وحده لا شريك له، وله العزة التي لا ترام والحكمة والأحكام، وهذه الآية فيها (٢) تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق كما خلق الله سائر البشر؛ لأن الله صوّره في الرحم، وخلقه كيف يشاء، فكيف يكون إلها كما زعمته النصارى (٣)، وقد تقلب في الأحشاء، وتنقل من حال إلى حال، كما قال تعالى: ﴿يَغُلُقُكُم فِي بُطُونِ أُمَّهَنِكُم خَلْقًا مِّنَ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظُلْمَنَتِ ثَلَثَ فِي الزمر: ٢]» (٤).

🖮 الباب الثاني 🔄

قَالَ الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَهُ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَتَهِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَالِمُا بِٱلْقِيطِ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُو الْمَرْبِينُ الْمَكِيمُ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا الْخَلَفَ اللَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْمِلْمُ بَعْنَا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكُفُرُ بِعَايَنتِ اللّهِ فَإِنَ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ فَإِن اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ فَإِن

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الإلهية».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تعريض بل».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عليهم لعائن الله».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥ _ ٧).



حَاجُوكَ فَقُلْ أَسَلَتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَنَ وَالْأُمِيِّكَ ءَأَسَلَمْتُمَ ۚ فَإِنْ ٱسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَكَوَّا وَإِن تَوَلَّوا فَإِنْـَمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ وَاللَّهُ بَصِيدًا بِٱلْعِبَادِ ﴿ ﴾ [آل عمران: ١٨ ـ ٢٠]

"وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّيْكَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْكُمُ ۗ [آل عمران: 19] إخبار منه تعالى (٤) بأنه لا دين عنده يُقْبَلُ (٥) من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ؛ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ فمن لقي الله بعد بعثة النبي ﷺ بدين (٢) على غير شريعته

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «جنابه عظمة وكبرياء».

⁽٢) أخرجه أحمد (١٦٦/١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٤٦ ـ آل عمران)، والطبراني (٢٥٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٣٥) وإسناده ضعيف، فيه مجاهيل، هم: أبو سعد الأنصاري، وأبو يحيى مولى آل الزبير، وجبير بن عمرو القرشي، وأشار إليهم الهيثمي بقوله في «مجمع الزوائد» (٢٨/٦) ـ وعزاه إلى أحمد وبنحوه للطبراني ـ: «وفي أسانيدهما مجاهيل»، وكذا قال العلامة أحمد شاكر في تحقيقه لـ«المسند» (١٤٢١).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٤/٣ ـ ٣٥).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من الله تعالى».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يقبله».

⁽٦) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «يدين» بياء آخر الحروف أوله!

فليس بمُتقبَّل؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَكِم دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] الآية، وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ وَالْمَلْتَهِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَاتِهِنَّا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِينُ ٱلْعَكِيمُ ﴿ اللَّهِ الدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ (١١)، أي: شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر، بأن الدين عند الله الإسلام (٢)، ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب(٣) إنما اختلفوا بعد ما قامت(٤) الحجة بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، فقال: ﴿ وَمَا أَخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْمِلْدُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ أي: بغي بعضهم على بعض، فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميعً أقواله وأفعاله، وإن كانت حقاً، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَكُفُرُ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ﴾، أي: من جحد ما أنزل الله في كتابه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: فإن الله سيجازيه على ذلك، ويحاسبه على تكذيبه، ويعاقبه على مخالفته كتابه. ثم قال تعالى: ﴿ فَإِنْ خَاجُّوكَ ﴾ أي: جادلوك في التوحيد ﴿ فَقُلْ أَسْلَتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعْنِ ﴾ أي: فقل أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له، ولا ند له، ولا ولد له، ولا صاحبة له ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنُّ ۗ أَي: على ديني، يقول: كمقالتي، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلَاهِ ، سَبِيلِيَّ أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَّا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِّي وَسُبْحَنَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ إِيوسف: ١٠٨] ثم قال تعالى: آمراً [عبده] (٥) ورسوله

⁽۱) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص٥٩)، وذكره ابن جرير في «التفسير» (٥/ ٢٧٦)، وينظر: «البحر المحيط» (٢/ ٤٠٣)، و«المحتسب» (١٥٦/١ _ ١٥٦)، و«الكشاف» (١/ ٣١٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣١٦)، و«الدر المصون» (٢/ ٤٠)، و«روح المعاني» (٣/ ٤٠٤)، وبعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بكسر (إن) وفتح (أن الدين عند الله الإسلام)».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والجمهور قرؤوها بالكسر على الخبر وكلا المعنيين صحيح، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر والله أعلم»، وانظر: «النشر» (٢٣٨/١)، «التذكرة في «الحجة» لابن خالويه (١٠٧)، «الكشف عن وجوه القراءات» (٢٣٨/١)، «التذكرة في القراءات الثمان» (٢٨٤)، والهامش السابق.

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الأول».

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عليهم».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لعبده».



محمداً ﷺ أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول في شرعه وما بعثه الله به إلى الكتابيين من الصليبيين (١) والأميين من المشركين، فقال تعالى: ﴿وَقُل لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابِينِ مَن المشركين، فقال تعالى: ﴿وَقُل لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمْتِينَ ءَاسَلَمْتُم فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ الْمُتَكُولُ وَإِن تُولُولُ فَإِنْ مَا عَلَيْك الْمُتَكُولُ فَإِن الله عليه عليه من وهو الذي يهدي من المُنكفِّ ، أي: والله عليه حسابهم، وإليه مرجعهم ومآبهم، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وله الحكمة [البالغة](١) والحجة الدامغة(٣)، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللهُ بَعِيدِيرُ إِلْوِسَبَادِ ﴾ (٤).

قال محمد تقي الدين: في هذه الباب فوائد، الأولى: إن الله وملائكته وأهل العلم بالله من جميع الأديان التي شرعها الله، وهي في الحقيقة دين واحد وهو الإسلام، يشهدون أن لا معبود بحق إلا الله، وكل من عبد من دونه ـ ولو كان نبياً، ولو كان ملكاً، ولو كان شهيداً، ولو كان صديقاً ـ فعبادته باطلة، ومن عبده فهو من أهل النار خالداً فيها أبداً، إن لم يتب قبل موته.

الفائدة الثانية: إن الله ﷺ كرر قوله: ﴿ لَا ۚ إِلَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ ، مرتين في موضع واحد للتوكيد.

الفائدة الثالثة: قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّيْكِ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ المراد بالإسلام هنا توحيد الله تعالى بالقلب والجوارح، وتوجيه الوجه له لا شريك له، والإسلام هنا يشمل الإيمان بالقلب واللسان والعمل.

الفائدة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ وَالْأُمْتِكِنَ ﴾ يعني بالذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى، وبالأميين: المشركين، ﴿ السَّلَمْتُمُ ﴾؟ أي: وحدتم الله تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، واتباع من بعث إليكم من رسله، ﴿ وَإِنْ آسَلَمُوا ﴾، أي: وحدوا الله تعالى على هذه الصفة، ﴿ فَقَدِ اَهْتَدُوا ﴾ إلى الحق، وإن أعرضوا عن هذا الإسلام، فحسابهم وعقابهم على الله، وليس عليك يا محمد إلا البلاغ، ﴿ وَاللهُ بَصِيرًا فِالْوسَبَادِ ﴾ أي: عليم بأحوالهم، وسيجزيهم عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الملتين».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في ذلك».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «البالغة».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٦/٣ ـ ٣٧).



🔀 الباب الثالث 😣

قبال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ ءَادَمٌ خَلَقَكُهُ مِن تُرَابِ
ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيكُونُ ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِكَ فَلَا تَكُن مِن الْمُمْتَرِينَ ﴿ فَمَنْ عَلَا اللّهُ عَلَى الْمُمْتَرِينَ ﴿ فَمَنْ الْمُمْتَرِينَ ﴿ فَمُنَ اللّهِ عَلَى الْمُعْتَرِينَ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَإِن اللهُ وَإِن اللهُ وَاللّهِ اللهُ اللهُ وَإِن اللهُ وَاللّهُ اللهُ وَإِن اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ وَلا يَتَافِذُ اللهُ وَالْمُفْسِدِينَ ﴿ اللّهُ وَلا اللهُ وَلا يَتَخِذُ بَعْضُنَا بَعْظًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوا أَن اللهُ وَلا يَتَخِذُ بَعْضُنَا بَعْظًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوا اللهُ وَلا يَتَخِذُ بَعْضُنَا بَعْظًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوا اللهُ اللهُ وَلا يَتَخِذُ بَعْضُنَا بَعْظًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَان تَولَوا اللهُ عَلِي اللهُ عَلْمَا اللهُ عَلَى اللهُ وَلا يَتَخِذُ بَعْضُنَا بَعْظًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللّهُ فَإِن تَولَوا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ وَلا يَتَخِذُ بَعْضُنَا بَعْظًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللّهُ فَإِن تَولَوا اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللّهُ اللهُ الله

قال (ك): "يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب ولا أم، بل ﴿خَلَقَكُمُ مِن ثُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب فيجوز (٢) في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواه (٣) في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه وين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنشى (٤)، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَلِنَجْعَكُهُ مَايَةٌ لِلنَّاسِ ﴾ [مريم: ٢١] وقال هنا (٥): ﴿الْحَقُّ مِن رَّيِكٌ فَلا تَكُونَنَ مِن الشَي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ثم قال تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فإن الله تعالى خلقه...».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فجواز ذلك».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فدعواها».

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هاهنا».



وذكر ابن كثير بقية أسمائهم بالتفصيل، تركت ذكرها اختصاراً، ثم قال (ك): «وكان أميرهم (٥) وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، [و] السيد وكان صاحب رحلتهم (٢) ومجتمعهم، [و] أبو حارثة ابن علقمة وكان أسقفهم (٧) وصاحب مدارستهم، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل، ولكنه تنصّر فعظمته الروم وملوكها وشرَّفوه، وبنوا له الكنائس (٨)، وأخدموه لما [يعلمونه] (٩) من صلابته في دينهم، وقد كان يعرف أمر رسول الله على الاستمرار وشأنه بما (١٠) علمه من الكتب المتقدمة (١١)، ولكن حمله ذلك (١٢) على الاستمرار

⁽١) كذا في مطبوع "تفسير ابن كثير": "نحضرهم"، وفي الأصل: "نحصرهم" بصاد مهملة!

⁽٢) سقطت «كان» من الأصل، وأثبتها من «تفسير ابن كثير».

⁽٣) انظر: «السيرة» لابن هشام (٢/ ١٢)، وأخرجه الطبري رقم (٦٥٤٣)، وابن أبي حاتم (٢١/٢) رقم (٢١/٠) رقم (١٩٥) في «تفاسيرهم»، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٨٣)، وخرجته في جزء مفرد لي عن (المباهلة) وأحكامها الشرعية، وأخبارها التاريخية، يسر الله إتمامه بخير وعافية.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ومنهم».

⁽۵) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «العاقب وكان أمير القوم...».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم...».

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وحبرهم وإمامهم».

⁽٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وموّلوه». (٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يعلمون».

⁽١٠) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «مما».

⁽۱۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «جيداً».

⁽١٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «احتمله جهله».



في النصرانية، لما يرى من تعظيمه فيها، وجاهه (١) عند أهلها.

ذكر محاجتهم للنبي على

وقد(٢) قدموا على النبي (٣) ﷺ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات: [جباب المنافعة عليهم ثياب الحارث بن كعب، قال: يقول(٢٠) من رآهم من أصحاب النبي ﷺ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله على فقال رسول الله على: «دعوهم» صلوا إلى المشرق، قال: فكلم رسول الله على منهم أبا حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والسيد الأيهم وهم من النصرانية [على دين التثليث](^)، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً (٩) فهم يحتجون في قولهم: هو الله، بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير(١٠) ينفخ فيه فيكون [طائراً](١١) وذلك كله بأمر الله، وليجعله الله آية للناس، ويحتجّون في قولهم بأنه ابن الله، يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله، ويحتجّون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة، بقول الله تعالى: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا: فعلت، وأمرت، وقضيت، وخلقت، ولكنه هو عيسى ومريم، تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، وفي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله على:

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ووجاهته».

⁽۲) غير موجودة في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «رسول الله».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «جُبَب».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في جمال رجال».

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بعض».

⁽V) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يصلون».

⁽٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «على دين الملك مع اختلاف أمرهم».

⁽٩) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وكذلك قول النصرانية».

⁽۱۰) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ثم».

⁽١١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «طيراً».



«أسلما»، قالا: «قد أسلمنا»، قال: «إنكما لم تسلما، فأسلما»، قالا: «بلى قد أسلمنا قبلك»، قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام ادعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير»، قالا: «فمن أبوه يا محمد»؟ فصمت رسول الله على عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم من سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها(١)، ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال: «فلما أتى رسول الله على الخبر من الله، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه [دعاءهم](٢) إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم! دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد (٢) أن نفعل فيما دعوثنا إليه، ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟! فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً [نبي [نائم مرسل، ولقد جاءكم بالفصل^(٥) من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه الاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي على فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك (٢٠) ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أحوالنا(٧)، فإنكم عندنا رضا، قال محمد بن جعفر، فقال رسول الله ﷺ: «ائتونى العشية أبعث معكم القوي الأمين»، فكان عمر بن الخطاب ظليه يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذِ رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أتطاول له ليراني فلم يزل^(٨) ببصره،

⁽۱) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۳/ ۷۶ ـ ۷۰)، و «السیرة» لابن هشام (۲/ ۱۱۳ ـ ۱۱۶)، و «تفسیر ابن جریر» (۲/ ۱۰۵، ۱۰۵) رقم (۲۰۵۳).

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «دعاهم».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «تريد» بتاء مثناة فوقية!

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لنبي».

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «بالفعل»!

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «على دينك».

⁽V) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من أموالنا».

⁽A) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يلتمس».



حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح، فدعاه، فقال: «اخرج معهم؛ فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه»، قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة ﷺ (١). هذه القصة رواها البخاري ومسلم وغيرهما باختصار وشيء من الزيادة (٢).

وأخرج البخاري بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله على قال: «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٣). ثم قال (٤) بعد كلام طويل تركته اختصاراً: «ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ ٱلْقَصَّصُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى، هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا ٱللهُ وَإِنَ ٱللهُ لَهُو ٱلْمَزِيرُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوا ﴾ عن هذا إلى غيره ﴿فَإِن ٱللهُ عَلِيمٌ إِلَّهُ مَلِكَ ٱللهُ عَلِيمٌ المفسد، والله عليم به وسيجزيه على ذلك شر الجزاء، وهو القادر الذي لا يفوته شيء سبحانه وبحمده، ونعوذ به من حلول نقمته (٥).

﴿ قُلَ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ ﴾ الآية. «هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم: ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالُوا إِلَىٰ كَلِمَةِ سَوَامٍ ﴾ (٢) والنصارى ومن جرى مجراهم: ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالُوا إِلَىٰ كَلِمَةِ سَوَامٍ ﴾ (٢) عدل ونصف، ونستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا مُثْرِكَ بِهِ عَلَيْمًا وَلَا يَتَخِذَ ﴾ لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل،

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٥ _ ٧٦)، و«تفسير ابن المنذر» (١/ ٢٣٣)، و«السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٢٢).

⁽٢) أخرجها البخاري (٣٧٤٥)، ومسلم (٢٤٢٠) من حديث حذيفة، وتكلمت على أسانيدها وألفاظها في جزء مفرد لي عن المباهلة وأحكامها الشرعية وأخبارها التاريخية؛ يسر الله إتمامه بمنه وكرمه.

⁽٣) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩) من حديث أنس. وهذا هو المقدار المرفوع الصحيح من الحديث، وله تتمة الراجح أنها من مرسل قتادة، بيّنت ذلك في جزء مفرد مطبوع بعنوان «طرق حديث أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي:».

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٢).

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَلَمْ بَيْنَــُنَا وَبَيْنَكُو ﴾ أي: . . . ».

⁽٧) غير موجودة في مطبوع «تفسير ابن كثير».



قبال الله تبعبالسي: ﴿ وَمَا آَرْسَلْنَكَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوجِيَّ إِلَيْهِ أَنَّمُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّا فَأَعْبُدُونِ ۞ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال المنحل: الله وَلَقَد بَعَنْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِهَ الله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَ الله و

قال محمد تقي الدين: ينبغي أن أثبت هنا بقية حديث ابن عباس الذي رواه البخاري في (كتاب بدء الوحي) من «صحيحه»؛ لأن الأسئلة التي سألها هرقل أبا سفيان والأجوبة التي أجاب بها، ثم الاستدلال الذي استنبط هرقل من أجوبة أبي سفيان، في ذلك كله حُجج عقلية قاطعة يسلِّمها كل منصف في كل زمان ومكان، على أن نبينا محمداً على صادق مصدق، قامت به الحجج على جميع أهل الأرض، قال البخاري في «صحيحه» (ئ) بسنده إلى ابن عباس: «أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله على ماذ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال

⁽١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٣).(٢) أخرجه البخاري (٧).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فإنما».(٤) سبق تخريجه.

لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا [عن هذا] (۱) الرجل، فإنْ كذَبني فكذّبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول فيكم (۲) أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم يمكنني (۳) كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قالتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله (٤) والعفاف تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدقة (٥) والعفاف والصلة.

فقال للترجمان، قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك [لقلت] (٢): رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك: أيرتد أحد منهم (٧) سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حينما أما تخالط

⁽١) سقط من الأصل، وأثبته من مطبوع «صحيح البخاري».

⁽٢) في مطبوع «صحيح البخاري»: «منكم». (٣) في مطبوع «صحيح البخاري»: «تُمكنّي».

⁽٤) بعدها في مطبوع «صحيح البخاري»: «وحده».

⁽٥) في مطبوع «صحيح البخاري»: «والصدق». (٦) في مطبوع «صحيح البخاري»: «قلت».

⁽٧) غير موجودة في مطبوع «صحيح البخاري».

⁽٨) في مطبوع البخاري: «حين».



بشاشته القلوب، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألت: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدقة (۱) والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه (۲)، ثم دعا بكتاب رسول الله بي الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأ فإذا فيه...»، فذكر كتاب النبي الله هرقل المتقدم ذكره مع اختلاف قليل في اللفظ.

قال محمد تقي الدين: في هذا الباب فوائد:

الأولى: المباهلة، لما أقام النبي الله الحجج القاطعة على أن الله واحد لا شريك له في إلهيته ولا في ربوبيته ولا في أسمائه ولا في صفاته في محاجته لوفد نجران، وظهرت عليهم حجج الله على أن عيسى عبد الله وليس ابن الله وليس هو الله وليس ثالث ثلاثة كما يزعمون؛ ركبوا رؤوسهم وعاندوا؛ فأمر الله نبيه النه أن يباهلهم، ومعنى المباهلة (٢٠): أي يخرج كل فريق من الفريقين المتخاصمين أعز الناس إليه في الفضاء خارج البلد، فيدعو كل فريق منهما الله تعالى أن يلعن المبطل ويهلكه، ولم يستطع وفد نجران مباهلة النبي الله المعلم انه رسول الله حقاً إلى جميع أهل الأرض، فاختاروا أن يعطوا الجزية ويدخلوا تحت حكم حاكم مسلم، مع أنهم كانت عندهم قوة عظيمة للقتال، وقد تقدم أن عدد المقاتلين منهم كان مائة وعشرين ألف مقاتل، ولم يكن عند النبي في ذلك المقاتلين منهم كان مائة وعشرين ألف مقاتل، ولم يكن عند النبي في ذلك المقاتلين منهم كان جيشه مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل، هذه معجزة عظيمة للنبى يشي يقر بها كل منصف.

الفائدة الثانية: اختلف الأئمة المتقدمون في جواز دخول الكافر المسجد (٤)، وفي هذا الخبر دليل على أن الراجع جواز دخوله إن أذن له أولو

⁽١) في مطبوع البخاري: «والصدق». (٢) في مطبوع البخاري: «قدمه».

⁽٣) لصاحب هذه السطور جزء حافل في «المباهلة» وفقهها، وذكر أشهر ما وقع في التأريخ من (المباهلات)، يسر الله له إتمامه ونشره.

⁽٤) الجواز قول أبي حنيفة، وبه قال الشافعي عدا المسجد الحرام، وانظر المسألة في: =



الأمر من المسلمين، وكذلك في حديث ثمامة بن أثال الذي أسرته خيل النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ،

الفائدة الثالثة: من سماحة الإسلام التي جاء بها النبي ﷺ أنه سمح لهم أن يؤدوا صلاتهم في مسجده عليه الصلاة والسلام.

الفائدة الرابعة: هجرهم وعدم رد النبي على، والتحدث معهم حين تكبروا ولبسوا ثياب الحرير وخواتم الذهب، فأظهر لهم بذلك أن عملهم ذلك محرم في شريعة المسيح، وفي شريعة الإسلام، وإن فاعله يجب هجره إن وجد إليه سبيل.

الفائدة الخامسة: احتجاج وفد نجران على التثليث، بأن الله تعالى يقول: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، دليل على جهلهم بلغتهم العربية أو تجاهلهم، فإن الضمير في: فعلنا ونفعل لا ينحصر في المتكلم ومعه غيره، بل يستعمل كذلك في كلام المعظم نفسه، والله تعالى عظيم يعظم نفسه ويعظّمه الصالحون من خلقه، إلا أنهم لا يعظمونه بخطاب الجمع مراعاة لجانب التوحيد، وهذا واضح.

الفائدة السادسة: حب عمر ظلمه أن يُرْسَلَ أميراً مع وفد نجران لم يكن لغرض دنيوي، ولكن لما سمع النبي الله يخبرهم أنه سيرسل معهم القوي الأمين، أحب أن يكون هو الموصوف بذلك، وإن فاتته هذه فله مناقب وفضائل أعظم منها، فهو أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق باتفاق أهل السنة والجماعة.

الفائدة السابعة: معنى الرب، هو المربّي بنِعَمه، فكل من اعتقد فيه المشركون أنه يعطيهم الأولاد، أو يجعل الأم التي لا يعيش لها ولد يعيش أولادها، وتطول أعمارهم، أو يأتي بالنصر على الأعداء، وهو غائب أو ميت، أو يقتل بهيمته من لا يخضع بعبادته، أو يمرضهم أو يعطي المطر، أو يحفظ المزروعات، أو يقضي الدين، أو يشفي المريض، أو ينور القلوب، ويخرجها من الضلال إلى الهدى إلى غير ذلك، فهو أحد أربابهم، فإن قال المشركون من أهل هذا الزمان: إنهم لا يسألون ذلك من المخلوقين! فإن الموحدين كلهم وغير الموحدين من اليهود والنصارى والمشركين يكذبونهم، ودونك بعض الأدلة: قال أحد المشركين من الإمام إدريس بن

^{= «}الإشراف» للقاضي عبد الوهاب (١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) رقم (٢٦٥)، وتعليقي عليه.

⁽١) (ص٢٣٦)، وهناك تخريجه.



عبد الله المدفون في زرهون من بلاد المغرب، لما حاصر الفرنسيون مدينة فاس: أمولاي يا إدريس يا ابن نبينا وملجأ هذا القطر في العسر واليسر تكنفنا الأسد النضراة وإننا على خطر إنْ لم تُغِثْنا على الفورِ والله تعالى يقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصَرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَرَيزِ ٱلْمَكِيمِ ﴾.

الثاني: من عادة التيجانيين إذا فرغوا من قراءة «الوظيفة» أن ينشدوا هذه الأبيات بلسان واحد:

يا أحمد التيجاني يا نورَ القلوب أما ترى ما نحن فيه من كروب أما ترى النصيم الذي أصابا وأنت خوث لم تزل مجابا المعَجَلَ العُكَلَ وراثه المعَجَلَ العُكَلَ وراثه

ومن عادة الدرقاويين إذا فرغوا من قراءة (الحفيظة) أن ينشدوا بلسان واحد:

تَـشَـفَّعْ يا رسـولَ الله فـيـنا فما نرجو الشفاعة من سواكا أغِثْ يا خير خلقِ الله قوماً ضعافاً ظلهم أبداً لواكا وأسـرع في إغـاثـتـنا فإنا نرى المولى يسارع في رضاكا

انظر آخر كتاب: «الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية»(۱) وكذلك كتاب: «الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز الدباغ» وكتاب: «الطبقات الكبرى»(۲) للشعراني وسائر كتب المتصوفة المتأخرين، فإنها مشحونة بالأدلة على أن مشركي هذا الزمان اتخذوا المخلوقين أرباباً من دون الله، وهذا خلاف الإسلام الذي جاء به جميع الرسل، وخاتمهم وأفضلهم محمد رسول الله على وعليهم السلام، وهذه الآية حُجّة على كل مشرك من الأولين والآخرين، وقوله تعالى: ﴿وَلا نُشْرِك بِهِ مُسَيّعًا ﴾ يعم جميع الأشياء من أهل السلموات والأرض، لو كان المشركون يعقلون؛ لكفَتْهم هذه الآية.

الفائدة الثامنة: قوله: «في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش»، معنى مادهم فيها: أي تصالح معهم على المهادنة وترك المحاربة عشر سنين في غزوة الحديبية، فنقضت قريش هذه المعاهدة بعد مدة قليلة، فتوجه

⁽۱) (ص۱٤٠).

⁽٢) انظر عنه وعن الذي قبله أيضاً كتابي: «كتب حذر منها العلماء»، ولأخينا عزمي الجوابرة دراسة مفصلة عن «طبقات الشعراني» بيّن ما فيه من فضائح ومخاز وبلايا ورزايا! نسأل الله العافية، وسيأتيك بعضها في التعليق على (ص٤٢٥).

النبي ﷺ إلى فتح مكة بعشرة آلاف مقاتل، وفتحها سنة ثمان للهجرة.

الفائدة التاسعة: قال أبو سفيان: "ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها"، يعني: لقد وقعت بيننا وبينه معاهدة صلح وهدنة، لا ندري أيحافظ على المعاهدة أم يغدر، قال أبو سفيان: كنت حريصاً على أن أتنقَّص محمداً على ولكنني خفت أن يكذبني أصحابي فلم أجد فرصة أدخل فيها شيئاً من التنقص والتشكيك إلا هذه الكلمة، يؤيده قوله فيما سبق: "فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عني كذباً لكذبت عنه".

الفائدة العاشرة: أول شيء بدأ به أبو سفيان في الجواب عما يأمر به النبي على قوله: يقول: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما كان يعبد آباؤكم»، فبدأ بالتوحيد الذي هو أول ما دعا إليه النبي على وأعظمه، وهو الأصل العظيم الذي يبنى عليه الإسلام، فمن جاء به وبمتمّمه وهو شهادة أن محمداً رسول الله، ومات على ذلك، يرجى له الخير وإن قصر في بعض الأعمال، ومن لم يجئ به لا ينفعه عمل.

الفائدة الحادية عشرة: قول هرقل لأبي سفيان: «إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين»، يعني: إنْ كنتَ صادقاً فيما وصفت به هذا النبي، فإنه سينتصر هو ومن اتبعه من أمته علينا نحن معشر الروم، وعلى جميع أعدائه، وسيخرجوننا من بلاد الشام.

قال محمد تقي الدين: وكذلك وقع، فإن عمر والله أخرجهم من بلاد الشام، وسكنها المسلمون.

الباب الرابع الا الله الا



قال (ك): «ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصاري(١) محاجتهم في إبراهيم الخليل على ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم كما قال محمد بن إسحاق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن [عكرمة أو سعید بن جبیر عن الله الله عباس عباس عباس الله قال: اجتمعت نصاری نجران، وأحبار يهود، عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَهُّلَ الْكِتَكِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَهِيمَ ﴾ (٣) الآية أي: كيف تدّعون أيها اليهود أنه كان يهودياً وقد كان زمنه قبل أن تنزل التوارة على موسى، وكيف تدّعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَمْقِلُونَ﴾ (٤) ثم قال تعالى: ﴿ هَتَأَنُّمُ هَتَوُلَآءَ خَجَمْتُمْ فِيمَا لَكُم بِعِ عِلْمُ فَلِمَ تُعَاَّجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمُ ﴾ الآية، هذا الكلام على من حاج (٥) فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد على لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لا يعلمون، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها(١٦)، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَلَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ أي: متحنفاً عن الشوك، قاصداً إلى الإيمان ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَكَرَى تَهْمَدُوا ﴾ [البقرة: ١٣٥] ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُومُ وَهَنذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَ وَاللَّهُ وَلِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ١

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في».

⁽٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبته من مصادر التخريج.

⁽٣) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» ـ كما في «سيرة ابن هشام» (١/٥٥٣) ـ، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٢٤٤) رقم (٥٧٢) مقطوعاً على ابن إسحاق، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ٤٩٠) رقم (٧٢٠٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٨٤) من طريق ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس موقوفاً عليه، وإسناده ضعيف، فيه شيخ ابن إسحاق محمد بن أبي محمد مجهول.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إنكار». (٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يحاج».

⁽٦) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وجليتها».

تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل، الذين اتبعوه (۱) وهذا النبي، يعني محمداً على والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بعدهم، وروى الترمذي وسعيد بن منصور والبزار وغيرهم عن ابن مسعود الله المولى الله على قال: «لكل نبي ولاية من النبيين، فإن وليي منهم أبي وخليل ربي على إبراهيم الله الله المؤمنين، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وقوله تعالى: ﴿وَلَا الْمُؤْمِنِينَ اللهُ أَيْ وَلَي جميع المؤمنين برسله» (۱).

🖂 الباب الخامس 😝

قال (ك): «قال محمد بن إسحاق، بسنده عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله على ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني _ يقال له: الرئيس _: أوَ: ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ أو كما قال، فقال رسول الله على: «معاذ الله نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني» (٤).

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «على دينه».

⁽۲) أخرجه الترمذي (۲۹۹۸)، وأحمد (۲۱/۱)، ۲۹۹ ـ ۲۳۰)، وسعيد بن منصور (۲۰ ـ «التفسير»)، والبزار في «مسنده» (۱۹۷۳)، وابن جرير (۲۸۹۸)، وابن أبي حاتم (۲/ ۲۲۳، ط. حكمت بشير ياسين) في «تفسيريهما»، والطحاوي في «مشكل الآثار» (۲۹۲، والواحدي في «أسباب النزول» (ص۱۰۳ ـ ۲۰۲)، والحاكم (۲/۲۹۲، ۲۹۲،)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (۲/۲۱) وإسناده صحيح، وعزاه في «الدر ۳۰۵)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (۲/۲۲) وإسناده صحيح، وعزاه في «الدر المنثور» (۲/۲۳۸) إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وأعلّه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان ـ كما في «العلل» (۲/۳۲) رقم (۲۷۷) ـ بالإرسال، ورده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على «تفسير ابن جرير» (۲/ ۶۹۹)، وجزم بصحته.

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٥ _ ٨٦).

⁽٤) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» - كما في «سيرة ابن هشام» (٢/٣٩٥) - ومن طريقه =



أو كما قال على النه في ذلك من [قوله] (١): ﴿ مَا كَانَ لِبَسَرٍ أَن يُوتِيهُ اللهُ الْكِتَبَ وَالْمُحُمَّمَ وَالنَّابُوةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِى مِن دُونِ اللّهِ أي: مسسا ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة، أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله، أي مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى، ولهذا قال الحسن البصري: لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، قال: وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضاً، يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون (٢) أحبارهم ورهبانهم كما قال تعالى: ﴿ النَّفِ التوبة: ٣١] وفي «المسند» والترمذي كما سيأتي أن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله ما عبدوهم! قال: إنهم أحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم، فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم

٣٦٥) في تخريجه: «أخرجه الترمذي وحَسَّنه»! ولم يحسنه الترمذي.

ابن جرير (٦/ ٥٣٩) رقم (٧٢٩٦) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) رقم (٨/٥٠) ، وابن المنذر (٢٦٦ ـ ٢٦٠) رقم (٦٤٢) في «تفاسيرهم»، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٨٤) وإستاده ضعيف، فيه محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق مجهول.

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قولهما». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يتعبدون»!

⁽٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٠٩٥)، وابن جرير في «التفسير» (١/١٨)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٩٢/ رقم ٢١٨، ٢١٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ١٧٨٤) رقم (١٠٠٥٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٠٥٧) رقم (١٠٠٥)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١١٦/١٠)، و«المدخل» رقم (٢٦١)، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه ـ كما في «الدر المنثور» (٢/ ٢٣٠) ـ، وابن حزم في «الأحكام» (٦/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (ق ١٠٩٠) من حديث عدي بن حاتم. قال الترمذي عقبه: «وهذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث»، وقال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث»، وقال المناوي في «الفتح السماوي» (١/

وانظر: «تحفة الأشراف» (٧/ ٢٨٤)، و«العارضة» (٢٤٦/١١).

قلت: غطيف _ ويقال: غضيف _ ضعيف، ضعفه الدارقطني. انظر: «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤٣٠)، و«اللسان» (٤/ ٢٤٠). وله شاهد من حديث أبي العالية عند ابن جرير في «التفسير» (٨١/١٠) وشاهد آخر عن حذيفة موقوفاً، وله حكم الرفع، كما هو مقرر في علم المصطلح.

أخرجه بنحو اللفظ المذكور ابن عبد البر في «الجامع» رقم (١٨٦١)، وبنحوه رواه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص١٢٤) رقم (٣٣٣)، وعنه عبد الرزاق (٢/٢٧٢)، والطبري =



والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين، فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلَّغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهون عما نهاهم الله عنه وبلَّغتهم إياه رسله الكرام، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة، وإبلاغ الأمانة، فقاموا بذلك أتم القيام، ونصحوا الخلق، وبلَّغوهم الحق، وقوله: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّنِنِكِنَ بِمَا كُنتُمُ وَلَيْكِن كُونُوا رَبَّنِنِكِنَ بِمَا كُنتُمُ وَلَكِن الله عَلَيْكِن كُونُوا رَبَّنِنِكِنَ بِمَا كُنتُمُ رَبُونِهِ الناس: كونوا ربانيين، قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد: أي: حكماء، علماء حلماء (١)،

وتابع الأعمش: العَوَّامُ بن حوشب، أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٥/٥) رقم (١٠١٢)، وابن جرير (٢١١/١٤ رقم ١٦٦٣٦، ط. شاكر) وعطاءُ بن السائب، أخرجه ابن جرير (٢١٣/١٤) رقم (١٦٦٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٥ رقم ٩٣٩٤، ط. دار الكتب العلمية) من طريق سفيان عن عطاء به.

ورجاله ثقات لكنه منقطع، أبو البَخْتَري سعيد بن فيروز الطائي لم يسمع من حذيفة، قال ابن سعد في «طبقاته» (٢٩٢/٦ ـ ٢٩٣): «وكان أبو البختري، كثير الحديث، يرسل حديثه، ويروي عن أصحاب رسول الله ﷺ ولم يسمع من كبير أحد، فما كان من حديثه سماعاً فهو حسن، وما كان عن فهو ضعيف» قلت: وأرسل عن حذيفة كما في «تهذيب الكمال» (٢٢/١١)، وعزاه في «الدر» (٣/ ٢٣١) أيضاً للفريابي، وابن المنذر وأبي الشيخ.

ورواه جماعة عن عطاء عن أبي البختري قوله: أخرجه ابن عبد البر (٩٧٦/٢) رقم (١٨٦٣)، وابن حزم في «الأحكام» (٦/ ١٨٦٣)، وابن حزم في «الأحكام» (٦/ ١٨٩) بإسناد حسن، وهو في «تفسير مجاهد» (ص٢٧٦) عن آدم بن أبي إياس عن ورقاء قوله.

فالحديث حسن بطرقه المتعددة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «الإيمان» (٦٤)، وعزاه ابن القيم في «الإعلام» (٣/ ٤٥١ ـ بتحقيقي)، وابن كثير في «التفسير» (٢/ ٤٤) للإمام أحمد في «المسند» من حديث عدي!! وأقر ذلك المصنف، ولم أظفر به في «مسنده» (٤/ ٢٥٦ ـ ٣٧٦) (مسند عدي)، ولا في «أطراف المسند (٤/ ٣٧٦ ـ ٣٣٦) ثم وجدتُ الشيخ أحمد شاكر يقول في تعليقه على «الإحكام»: «وهذا الحديث لم يروه أحمد في «مسنده» على سعته».

⁽١٠/٥١٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤) رقم (١٠٠٥٨) في «تفاسيرهم»، وابن عبد البر رقم (١٠٠٨)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٦/ ٦٧)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١٦)، وفي «المدخل» (٢٥٨ و٢٥٩)، وابن عبد البر في «الجامع» (١٨٦٤) من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة.

⁽١) ذكره البخاري تعليقاً بصيغة الجزم. «ووصله ابن أبي عاصم أيضاً **بإسناد حسن**، والخطيب =



وقال الحسن وغير واحد: فقهاء»(١). وبمثل هذا قال أكثر السلف.

قال محمد تقي الدين: يروى عن ابن عباس أنه قال: «الرباني: هو الذي يربيّ الناس بصغار العلم قبل كباره» (٢) ومعنى ذلك أنه يعلمهم المسائل السهلة قبل الناس بصغار العلم قبل كباره وبهم النه ويما كُنتُم تُعكِبُونَ ٱلْكِئبَ وَيِما كُنتُم تُعكِبُونَ ٱلْكِئبَ وَيِما كُنتُم تُعكُبُونَ الْكِئبَ وَيِما كُنتُم تَعلَمُونَ (٣) ، أي: تفقهون معناه، وقرئ: ﴿تُعكِبُونَ بالتشديد (٤) من التعليم ﴿وَيِمَا كُنتُم تَدُرُسُونَ تحفظون الفاظه، ثم قال تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرُكُم أَن تَنْخِدُوا اللّهَيكَة وَالنّبِينَ أَرْبَابًا في أي ولا مالله مقرّب، ﴿أَيَامُرُكُم بِالْكُفِي بَعَد يأمركم بعبادة أحد غير الله: لا نبي مرسل، ولا ملك مقرّب، ﴿أَيَامُرُكُم بِالْكُفِي بَعَد إِلّه أي الله ومن دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله ومن دعا إلى عبادة غير الله ومن دعا إلى عبادة غير الله ومن دعا إلى وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلّا نُوحِي الله الله الله وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي حَلُلُ أَمْةٍ رَسُولًا وَلَا الله وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي حَلُلُ أَمْ الله وَلَا الله وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي حَلُلُ أَمْ الله وقال تعالى وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي حَلُلُ أَنْ اللّهُ الله وقال تعالى وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي وَقَالَ تعالى وقال تع

بإسناد آخر حسن ووافقه ابن مسعود فيما رواه إبزاهيم الحربي في «غريبه» عنه بإسناد صحيح» أفاده ابن حجر. انظر: «الفتح» (١/ ٢١٣)، و«تغليق التعليق» (٢/ ٨٠ ـ ١٨).
 وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٨٥٨) موقوفاً عن ابن عباس، وابن المنذر في «تفسيره» (٢٦٨/١) موقوفاً عن ابن مسعود.

وأخرجه ابن جرير (٥٢٨/٥)، وسعيد بن منصور (٥٠٤)، وعبد الرزاق (١/ ١٢٥)، وسفيان الثوري (ص٧٨) رقم (١٥١) في «تفاسيرهم» بسئلٍ صحيح عن أبي رَزْين، وهو مسعود بن مالك الأسدي الكوفي.

وأخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٨٥) رقم (١٧٨) مقطوعاً عن سعيد بن جبير.

انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۳/ ۹۸ - ۹۹).

⁽۲) عزاه المصنف لابن عباس والصواب أنه من كلام البخاري. انظر لذلك: «فتح الباري» (۲) عزاه المصنف لابن عباس والصواب أنه من كلام البخاري. (۲۱۳/۱)، و«إرشاد الساري» (۱۸۸۱)، و«شرح الكرماني» (۲/۳۴ ـ ۳۲).

 ⁽٣) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبان عن عاصم وأبي جعفر ويعقوب، وهي التي
 اعتمدها المصنف، لأنها قراءة ورش، انظر الهامش الآتي.

⁽٤) هذه قراءة عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف والأعمش، واختارها أبو عبيد، ورجحها الطبري. انظر: «السبعة» (٢١٣)، «النشر» (٢/ ٣٤٠)، «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٥١)، «الحجة» للفارسي (٣/ ٥٩)، «التذكرة في القراءات الشمان» (٢٩٠)، «الدر المصون» (١٤٨/٢).



إخباراً عن الـملائكة: ﴿﴿ وَمَن يَقُلَ مِنْهُمْ إِنِّتَ إِلَكُ مِّن دُونِهِ. فَلَالِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّدً كَذَالِكَ نَجْزِى ٱلظَّلِلِمِينَ ۞﴾ [الأنبياء: ٢٩](١).

قال محمد تقي الدين: في هذا الكلام فوائد:

الأولى: إن سبب نزول الآيتين أن أحبار اليهود والنصارى من أهل نجران اجتمعوا عند النبي على فقال اليهود: أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم؟ فأنكر النبي على ذلك أشد الإنكار، وقال لهم: «معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني»(٢)، وهذا الذي قال النبي على هو قول جميع النبيين والمرسلين، وجميع عباد الله الصالحين، من لدن آدم إلى يوم القيامة.

الثانية: إن النصارى الذين ينسبون إلى عيسى أنه أمرهم أن يتخذوه رباً، كاذبون على عيسى بشهادة نصوص القرآن والأناجيل الأربعة التي ينسبون إليها ذلك، وعلى ما فيها من التحريف والتبديل والتغيير لا تزال فيها نصوص صريحة تشهد عليهم بأن عيسى قال لهم: إنما أنا بشر، ولا يعبد إلا الله، انظر كتاب «البراهين الإنجيلية» على أن عيسى داخل في العبودية، وبريء من الألوهية (٣)، لمؤلف هذا الكتاب، وقد أمر بطبعه رئيسنا الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أجزل الله ثوابه. وترجم بالإنجليزية، ونشر ضمن (المجلد الرابع) من

⁽١) انظر: "تفسير ابن كثير" (٩٩/٣). (٢) سبق تخريجه.

 ⁽٣) انظر التعليق على (٢/ ٢٧ و٣/ ١٦٨) فقد نقلت منه ما يفصل الإجمال المذكور هنا،
 وينظر ما سيأتي قريباً (ص٣١٠) والله الموفق الهادي.

⁽٤) كان الهلالي يكثر من ذكر العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، فها هو يقول في "فتاواه" المسماة "العيون الزلالية في الفتاوى الهلالية" (ق٣١٥) في جواب سؤال مؤرخ بفاتح صفر سنة ١٣٩٣: "أشركت معي عالماً كبيراً مشهوراً بالورع، وهو رئيس جامعتنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز...».

وظفرت بخط الهلالي على طرة كتابه «الطريق إلى الله» مؤرخاً بـ ١٣٩١/١١/٨هـ ما نصه: «هدية من المؤلف إلى الإمام المصلح الداعي إلى الله على بصيرة سماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مع أطيب التحيات».

وللهلالي قصيدة رنانة في مدح الشيخ عبد العزيز بن باز، لم أرها في «ديوانه»، ولعله أسقطها منه بسبب اعتراض الشيخ ابن باز على ما فيها، وقد نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» بالهند في شعبان سنة ١٣٩٧ه، وها هو نصُّها:

خليلي عُوْجًا بي لنغتنمَ الأجرا على آل باز إنهم بالعلى أحرى



تراه إذا ما زرته في الندى بحرا وفارسهم أولى عداة الهدى قهرا بعلم حديث المصطفى قد سمت قابرا وأختص من حاز المعالي والفخرا بعلم وأخلاق أمام الورى بدرا ينيلك ترحيبا ويمنحك البشرى فحاتم لم يترك له في الورى ذكراً وليو شاء أرداه وجيليله تحسيرا ويبدل بالحسنى مساءته غُفرا رآه ارتأى فيه المشقة والعسرا فأبدلها نُكُراً وأوسعها هَجُرا بقلبك لم أطمع فحسبى به وَكُرا ومن دون لحن حين يكتب أو يقرا عليهم ومحتوماً ولو قرأوا سطرا يُعمّر أوقاتاً وينشرها دُرّا بحاجاته ما إن يخيّب مضطرا بخرج(١) أزال الطّلمَ والحيفَ والقسرا فأفعمها علماً فنال به شكيرا فَعَمَّت به أنوارُها السَّهْلَ والوعرا ونالوا بها علماً وكان لهم ذخرا ومن كان منهم مخلصاً فله البشري وآتاك شيخا صالحاً عالماً بَرَّا بعلم وأخلاق بدا عَرْفُها نَشرا مشاكله العسرى به أبدلت يسرا ولم يخش في الإنكار زيداً ولا عمرا دُجَى الجهل والإشراك يدحره دحرا تحقق دين الحق تينصره نصرا كيعسوب نحل والحشودُ له تترا يحققه للسامعيين وللفرا على رغم جهمى يعطلها جهرا على أهل إلحاد ومن عبد القبرا

فما منهمو إلا كريم وماجدٌ فعالمهم جَلَّى بعلم وحكمةٍ فسل عنهم القاموس والكُتبَ التي أعُمُّهم ومدحاً وإنى مقصرٌ أمامَ الهدى عبدَ العزيز الذي بدا تراه إذا ما جئته متهللاً وأما قبرى الأضياف فهو إمامه حليمٌ عن الجاني إذا فاه بالخنا يقابل بالعفو المسيء تكرما وزهده في الدنيا لو أن ابن أدهم وكم رامت الدنيا تحل فؤاده فقالت له: دعني بكفِّكَ إنني خطیب بلیغ دون أدنى تلعشم بعَصْر يرى قُراؤه اللحنَ واجباً بتفسير قرآن وسنة أحمد وينصر مظلوماً ويسعف طالباً قضى في القضا دهراً فكان شُريحه وكلية التشريع قد كان قُطْبَها وجامعة الإسلام أطلع شمسها تيمّمَها الطلابُ من كل وُجْهَةٍ فمن كان منهم ذا خداع فخاسر ولم أر في هذا الزمان نظيره وأصبح في الإفتا إماماً مُحَقِّقاً وأما بحوث العلم فهو طبيبها ويعرف معروفأ وينكر منكرأ وما زال في الدعوى سراجاً منوّراً بدعوته أضحت جموعٌ كثيرةٌ ألم نره في موسم الحج قائماً وما زال في التوحيد بدر كماله ويشبت للرحمن كل صفاته ويعلن حرباً ليس فيه هوادة



«ترجمة صحيح البخاري» للدكتور محمد محسن، فكل من نسب إلى نبي أو عبد صالح أنه يرضى بعبادة غير الله تعالى، فقد أساء إليه وكذب عليه.

الثالثة: إن هؤلاء المشركين الذين يعبدون قبور الصالحين وأرواحهم ويزعمون أنهم بهذه العبادة ينالون رضا الله وقضاء حاجاتهم العاجلة والآجلة، ليس لهم علم ولا عقل، أما العلم؛ فلأن نصوص القرآن والسنة في غاية الوضوح دالة على أن من أشرك بالله في عبادته أو ربوبيته كافر يائس من رحمة الله في الدار الآخرة، خالد في جهنم أبداً، وقد ذكر الحافظ ابن كثير فيما نقلت عنه هنا بعض الآيات المصرحة بذلك، ولو لم يكن في القرآن من ذلك إلا هاتان الآيتان، لكانتا كافيتين في بيان ذلك لكل من يقرأ القرآن، ويعرف اللغة العربية، ولكن من طبع الله على قلبه وأعمى بصره، لا حيلة فيه. وأما العقل؛ فإنَّ كلَّ عاقل يعلم أن المتصرف في هذا العالم بالعطاء والمنع هو خالقه على، وأن المخلوق كيفما كانت منزلته عالية لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فكيف بغيره؟! إلا أن العقل وحده لا يستطيع أن يحقق التوحيد بدون الاستضاءة بأنوار الوحي، ولذلك لم

وما قلت هذا رغبة أو تملقاً فيا رب مَتِّعْنَا بطول حياته فلو كان في الدنيا أناس كمثله فيا أيها المَلْكُ المعظم حالدٌ فقد خصّه الرحمن باليمن والمني فأنت لأهل الكفر والشرك ضيغم فلا زلت للإسلام تنصر أهله وحبَّبك الرحمٰنُ للناس كلُّهم وقد أبغض الكفارُ أكرَمَ مُرسل عليه صلاة الله ثم سلامة كذا الآل والصحب الأجلاء ما بكت وما طاف بالبيت العتيق تقرياً وما قال مشتاق وقد بان إلفه فيا أيها الأستاذ خذها ظعينة فقابل جفاها بالقبول وأؤلها وذكرتُها في جمعي لشعره ضمن ترجمة حافلة له، وانظر: «جوانب من سيرة الإمام

عبد العزيز بن باز» (ص١٤٢ _ ١٤٦).

ولكن قلبي بالذي قلته أدرى وحفظاً له من كل ما ساء أو ضرًا بأقطار إسلام بهم تكشف الضرا بإرشاده اعمل تحرز الفتح والنصرا وآتاك شخصاً صالحاً عالماً بَرًا تذيقهموا صابا وتسقيهمو المرا وتردي بأهل الكفر ترديهمو كسرا سوى حاسد أو مشرك أضمر الكفرا وإن كان خير الخلق والنعمة الكيرى يدومان في الدنيا وفي النشأة الأخرى مطوقة ورقاء في دوحة خضرا حجيج يُرَجُون المثوبة والأجرا خليلي عوجا بي لنغتنم الأجرا مقنّعة شعثاء تلتمس العذرا من العفو جلباباً يكون لها سترا



يجعله الله وحده حجة على الناس^(۱)، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَلِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

∺ الباب السادس 🔫

قال تعالى: ﴿أَفَعَارَ دِينِ ٱللّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ آسَلُمَ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرَهَا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿ قُلْ عَامَتُنَا بِٱللّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُنزِلَ عَلَى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنّبِيُّونَ مِن رّبِهِمْ لَا يُفَرِقُ بَيْنَ أَحَلِم وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنّبِيُّونَ مِن رّبِهِمْ لَا يُفَرِقُ بَيْنَ أَحَلِم مِنْهُمْ وَنَحَنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينَا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُو فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴿ فَي اللّهُ عَمِانَ ١٨٠ ـ ١٨٥]

"يقول تعالى منكراً على من أراد ديناً سوى دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي ﴿وَلَهُ السّلَمَ مَن فِي السّمَوَتِ وَالْأَرْضِ اي: استسلم له من فيها ﴿ طَوْعًا وَكَرَّهُ الآية ، وقال السّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَرْضِ وَالْمُمَايِلِ سُجَدًا لِيَهِ تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرُوا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِن ثَيْءٍ يَنفَيَوُا ظِلْلُهُ عَنِ الْيَعِينِ وَالشّمَايِلِ سُجَدًا لِيهِ وَهُمْ لَا يَعْدُونَ فَي وَلِلهُ مَسْعُدُ مَا فِي السّمَنوَتِ وَمَا فِ الْأَرْضِ مِن دَابَةٍ وَالْمَلَيْكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكُرُونَ فَي عَنفُونَ رَبُّهُم مِن فَوْفِهُ وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ الله وَالْمَلْمُ عَن اللّمَاتِ الله عَلم الله عَلم الله عَلم الله عَلم الله وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع (٣٠٠). "ثم قال تعالى: ﴿ قُلُ وَيَعْتُونَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْتَعِيلَ وَإِسْتَكُونَ وَيَعْتَوْنَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْتَعِيلَ وَإِسْتَعِيلَ وَإِسْتَعِيلَ وَإِسْتَعِيلَ وَإِسْتَعِيلَ وَالْمَعْمِ الله عليه المواتِيلُ وَهُمَ الْإِنْ عَلَى السَرائيل عَلم (وَمَا أُوتِي مُوسَى وَيَقِهِمَ وهذا يعم بطون بني إسرائيل عشر ﴿ وَمَا أُوتِي مُوسَى وَيَهِمَ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة يعني بذلك التوراة والإنجيل ﴿ وَالنِّيقُونَ مِن تَيَهِمَ ﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة يعني بذلك التوراة والإنجيل ﴿ وَالنِّيقُونَ مِن تَيَهِمَ ﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة

⁽١) فقد ولاه الشرع ثم عزله، وهو شاهد والشرع قاض، ويجوز للقاضي أن يطرد الشاهد متى شاء، ورحم الله إلكيا الهَرَّاسي لما قال: «إذا صالت النصوص في ميادين الكفاح، طارت العقول على أسنة الرَّماح».

⁽٢) بعدها في مطبوع "تفسير ابن كثير": «كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهَا﴾ الآية.

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٢).



فائدة

قال محمد تقي الدين: دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه بعد بعثة محمد على هو الإسلام. والإسلام الصحيح الذي يسعد صاحبه في الدنيا والآخرة هو الإسلام النقي لله تعالى إيماناً وعبادة وإخلاصاً، فلا يتوجه العبد إلى غيره لطلب نفع أو لدفع ضر، ولا يتحاكم إلا إلى شرعه، ولا يرضى إلا به، أما

⁽١) سبق تخريجه، وهو صحيح.

⁽٢) أخرجه أحمد (٣٦٢/٢)، وأبو يعلى (٦٢٣١)، والطبراني في «الأوسط» (٦٧٠٧)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣٤٨/١٠) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في «الأوسط»... وفيه عباد بن راشد، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه جماعة وبقية رجال أحمد رجال الصحيح».

قلت: إسناده ضعيف، الراوي له عن أبي هريرة الحسن البصري ولم يسمع منه، فهو منقطع.

⁽۳) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱۰۳/۳ ـ ۱۰۶).



الإسلام الظاهر وهو الإنقياد للإسلام ظاهراً مع إضمار الانحراف والتكذيب، فهو دين المنافقين، وهم في الدرك الأسفل من النار، وكذلك الإسلام الذي يشرك صاحبه بالله تعالى في عبادته بالدعاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر، والتوكل، والخوف، والرجاء إلى غير ذلك من أنواع العبادات، فإنه لا ينفع صاحبه ولا ينجّيه من الخلود في نار جهنم، كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْمَخَنَّةُ وَمَأْوَنَهُ النّارُّ وَمَا الظّللِينَ مِنْ أَصَابِ [المائدة: ٢٧]، بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَرِكُ إِللّهِ عَلَى في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاهُ النساء: ١٤٨]، ومعنى حديث أبي هريرة: إن الأعمال كلها من صلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد لا يتقبل شيء منها إلا مع الإسلام الصحيح، لقوله تعالى في الحديث: «بك اليوم آخذ، وبك أعطي» (١).

🔀 الباب السابع 🗠

قال تعالى: ﴿ قُلُ صَدَقَ اللَّهُ فَأَتَّبِعُوا مِلَّهَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهُ عَالَ مِنَ اللَّهُ عَلَى مِنَ اللَّهُ مِنَانِ ١٩٥]

قال (ك) في تفسيرها: "قال تعالى: ﴿قُلُ صَدَقَ اللّهُ أَي: قل يا محمد: صدق الله فيما أخبر به، وفيما شرعه في القرآن ﴿قَاتَبِعُوا مِلّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ أي: اتَّبعوا ملَّة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد على أنه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية، وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّنِ هَلَانِي رَقِّ إِلَى مِنَ المُشْرِكِينَ ﴿ وَمُ الطَّرِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ وَاللّهُ عَلَا اللهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَهُ وَلَيْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا عَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا اللللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلّهُ الللللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّهُ الللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَلَا الللللّهُ الللّهُ وَلّهُ اللللللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللللّهُ

قال محمد تقي الدين: وكل من عبد شيوخ الصوفية بالاستمداد منهم، أو عبد قبور الصالحين أو الطالحين بالذبح والنذر والطواف والتمسح وإقامة الأعياد حولها، فلم يتبع ملة إبراهيم، ولم يكن حنيفاً.

⁽١) قطعة من الحديث المتقدم، وهو منقطع، كما سبق بيانه.

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱۱۳/۳ ـ ١١٤).



😝 الباب الثامن 😝

قىولى تىعىالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَمُوثُنَّ إِلَا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴿ إِنَّا عَمِران: ١٠٢]

قال (ك): «قال ابن أبي حاتم: وذكر سنده إلى عبد الله بن مسعود ﴿ النَّهُ عَلَى الله عَلَى عَبد الله بن مسعود ﴿ النَّهَ حَقَّ ثُقَائِهِ ﴾ قال: «أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر » (١١)». ثم قال: «وهذا إسناد صحيح موقوف، ورواه الحاكم في «مستدركه» مرفوعاً، وقال: صحيح على شرط الشيخين».

قال (ك): "والأظهر، أنه موقوف، وقال جماعة من السلف إنها منسوخة (٢) بقوله تعالى: ﴿ فَالْقُوا اللّهَ مَا السَّطَعْتُم ﴾ [التغابن: ٢٦] في سورة التغابن، وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ اللّهُ حَقَ تُقَالِدِ ﴾. قال: "لم تنسخ، ولكن ﴿ حَقَّ تُقَالِدِ ﴾ أي: يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم (٣)، وقوله: ﴿ وَلَا تَمُونُنَ إِلّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ أي: حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم؛ لتموتوا عليه فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه، أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياذاً بالله من خلاف ذلك »، ثم قال: "قال الإمام أحمد (٤)، وذكر سنده إلى عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله على المناه واليوم أحب أن يزحزح عن الناس ما يحبُ أن يؤتى إليه » (٢).

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم (۲/ ٤٤٦) رقم (۱۰۷۹)، وعبد الرزاق (۱۲۹/۱)، والطبري (۷/ ۱۲۹) رقم (۷۲۸)، والطبري (۷/ ۲۵) رقم (۷۲۸) رقم (۷۲۸) وابن المنذر (۳۱۷/۱) رقم (۷۲۸) في «تفاسيرهم»، والطبراني (۹۳/۹) رقم (۸۰۰۱)، والحاكم (۲/ ۲۹٤) من طريق زبيد اليامي عن مرة عن ابن مسعود، ومنهم من رفعه ومنهم من وقفه. وإسناده صحيح. وممن رواه مرفوعاً ابن مردويه، أفاده ابن كثير (۱۳۱/۳) وصحّع الموقوف.

⁽٢) انظر تفصيل ذلك في: «الموافقات» (٣/ ٣٥٧) للشاطبي، مع تعليقي عليه.

 ⁽۳) أخرجه ابن أبي حاتم (۳/ ۷۲۲) رقم (۳۹۱۰)، وابن جرير (۵/ ٦٤١)، وابن المنذر (۱/ ۳۹۱) رقم (۷۷۰) في «تفاسيرهم».

⁽٤) أخرجه أحمد (٢/ ٩٢)، ومسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» ومصادر التخريج، وفي الأصل: «ويؤتى».

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٠ ـ ١٣٢) بتصرف.



فائدتان:

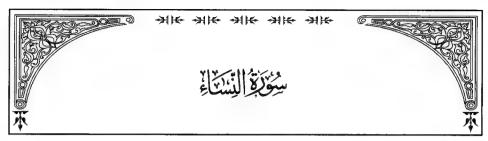
قال محمد تقي الدين: الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَلا تَمُونَ اللَّا وَأَنتُم مُسَلِمُونَ ﴾ ليس المراد به الإسلام الظاهر فقط؛ لأنه لا ينجي صاحبه من عذاب الله ولا يوصله إلى رضوان الله، فإن المنافقين كانوا مسلمين فيما يظهر للناس، وهم كافرون، بل المراد: الإسلام بالقلب واللسان والجوارح، مع تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك وأهله. فإذا عاش الإنسان على هذا الإسلام يرجى من فضل الله ورحمته أن يموت على ذلك، كما ذكره ابن كثير.

الثانية: من المعلوم أن قوله تعالى: ﴿ فَأَنْقُوا اللهَ مَا السَّطَعْتُم ﴾ من سورة التغابن وهي مكية، وقوله تعالى: ﴿ أَتَقُوا اللهَ حَقَّ تُقَائِدِ ﴾ من آل عمران، وهي مدنية، والآية المكية متقدمة على الآية المدنية، فكيف تنسخها ؟! فالقول بالنسخ سهو (١)، والصواب أنها محكمة كما قال ابن عباس. اه.

⁽۱) حقق الشاطبي في «الموافقات» (۳/ ۳۵۷ ـ ۳۵۸) أن الآيتين مدنيتان، قال: «ولم تنزّلا إلا بعد تقرير أنّ الدين لا حرج فيه، وأن التكليف بما لا يستطاع مرفوع، فصار معنى قوله: ﴿ وَاللَّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ حَقَّ تُقُلِيهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: فيما استطعتم، وهو معنى قوله: ﴿ وَاللَّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا الله أرادوا (أي من قال بالنسخ من السلف، وهم جماعة) بالنسخ أن إطلاق سورة آل عمران مُقيَّد بسورة التغابن».

وانظر في ذلك: «الإيضاح» (ص٢٠٣) لمكي بن أبي طالب، «الناسخ والمنسوخ» (٢/ ١٢٦) لابن العربي، «زاد المسير» (١/١٤)، «نواسخ القرآن» (١٠٨)، «تفسير القرطبي» (١٥٧/٤).





🔀 الباب الأول 🔫

قال تعالى: ﴿ فَ وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالْصَاحِبِ بِالْجَنْبِ وَالْمَسَامِيلِ وَمَا مَلَكَتُ أَيْمَنُكُمُ إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَالْمَسَامِيلِ وَمَا مَلَكَتُ أَيْمَنُكُمُ إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ وَالصَّاحِبِ مِالْحَالِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

قال (ك): «يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإنه هو الخالق الرزاق المنعم المتفضل على خلقه في جميع (١) الحالات، فهو المستحق منهم أن يوحِّدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته، كما قال النبي على لمعاذ بن جبل: «أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم قال: «أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم (٢). ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، فإن الله سبحانه جعلهما سبباً لخروجك من العدم إلى الوجود، وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، كقوله: ﴿وَقَفَىٰ رَبُّكَ القمان: ١٤] وكقوله: ﴿وَقَفَىٰ رَبُّكَ اللهِ ما الرحال والنساء، كما جاء في الحديث: «الصدقة على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء، كما جاء في الحديث: «الصدقة على الإحسان اليهما المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» (٣). ثم قال تعالى: ﴿أَلْيَتَكُمُ المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» (٣). ثم قال تعالى: ﴿أَلْيَتَكُمُ المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» (٣). ثم قال تعالى: ﴿أَلْيَتَكُمُ الْمُسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» (٣). ثم قال تعالى: ﴿أَلْيَتَكُمُ الْمُسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» (٣). ثم قال تعالى: ﴿أَلْيَتَكُمُ الْمُسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» (٣). ثم قال تعالى: ﴿أَلْيَتَكُمُ الْمُسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» (٣).

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الآنات و....».

⁽٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠).

 ⁽٣) أخرجه أحمد (١٧/٤)، وابن أبي شيبة (٣/١٩٢)، والدارمي (٢/٣٩٧)، والترمذي
 (٦٥٨)، والنسائي في «المجتبى» (٥/ ٩٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، وابن أبي عاصم في
 «الآحاد والمثاني» (١١٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٢١٢)، والفسوي (٣/ ٤٠٥)، =



وذلك لأنهم (۱) فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم، فأمر الله بالإحسان إليهم، والحنق عليهم، ثم قال: ﴿وَالْسَكِينِ﴾ وهم المحاويج من ذوي الحاجات، الذين لا يجدون من يقوم بكفايتهم، فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم، وتزول به ضرورتهم، وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة. وقوله: ﴿وَالْجَارِ ذِي ٱلْفُرْنِي وَالْجَارِ ٱلْجُنْبِ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَالْجَارِ ذِي ٱلْفُرْنِي ﴾، يعني الذي بينك وبينه قرابة، ﴿وَالْجَارِ أَلْجُنُبِ اللّه الله من مفسري الله الله على الله على عن على وابن مسعود: ﴿وَالْجَارِ ذِي السّلف، وقال جابر الجعفي، عن الشعبي، عن علي وابن مسعود: ﴿وَالْجَارِ وَلَا اللّهُ يعني: المرأة ، وقال مجاهد أيضاً في قوله: ﴿وَالْجَارِ النّجُنُبِ في يعني: المرأة ، وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار، فلنذكر منها ما تيسر والله المستعان:

الحديث الأول: قال البخاري ومسلم (٣) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله على قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه».

الحديث الثاني: روى الترمذي(٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي الله أنه قال: «خير الأصحاب عند الله، خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره». قال الترمذي: حديث حسن غريب.

⁼ وابن خزيمة (٢٣٨٥)، وابن حبان (٣٣٤٤)، والطبراني (٢٢١١)، والحاكم (٢/٧٠١)، والبيهقي (٤/ ١٧٤) من حديث سلمان بن عامر الضَّبِّي، والحديث صحيح بشواهده.

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قد».

⁽۲) أخرجه ابن جرير (۲/۷)، وابن أبي حاتم (۹۲۸/۳) رقم (۵۲۹۲)، وابن المنذر (۲/ ۱۷۰۰) رقم (۷۰۱ ـ ۱۷۰۱) في «تفاسيرهم»، والبيهقي في «الشعب» (۹۵۲۶) بنحوه، وانظر: «صحيفة علي بن أبي طلحة» (۲۲۳ ـ ۲۲۳).

⁽٣) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥).



الحديث الرابع: قال الإمام أحمد (۱) بسنده عن المقداد بن الأسود يقول: قال رسول الله على الأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام، حرمه الله ورسوله، وهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله يلى: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة، أيسر عليه من أن يزني بحليلة جاره»، قال: «ما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله، فهي حرام إلى يوم القيامة، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من جاره». تفرد به أحمد، وله شاهد في «الصحيح» (۱) من حديث ابن مسعود: قلت: يا رسول الله! أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن حليلة جارك» (۱)

الحديث الخامس: قال أبو بكر البزار⁽³⁾ بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله على «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقاً، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقاً، فأما الجار الذي له حق واحد، فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الجار الذي له حقان، فجار مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق، فجار مسلم ذو رحم، له حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم».

⁽۱) أخرجه أحمد (٢/٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣)، و «التاريخ الكبير» (٨/ ٥٥)، و البزار في «مسنده» (٢١١٥/٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/رقم ١٠٥)، و الله و «الأوسط» (٣/ ٦٣٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٩٥٥٢) و إسناده قوي، وقال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٢٧٩)، والهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٦٨): «رجاله ثقات».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الصحيحين».

⁽٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

⁽³⁾ هو في «كشف الأستار» (٢/رقم ١٨٩٦) وفي «مختصر الزوائد» لابن حجر (٢/١٨٠٤)، وهو عند الأصفهاني في «الترغيب» (١٨٠٤)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٧) وقال: «رواه البزار عن شيخه عبد الله بن محمد الحارثي وهو وضاع». وبه أعله ابن حجر فقال: «الحارثي متهم»، فإسناده واو بمرّة. لكنه عند أبي نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٧) من غير طريق الحارثي، ولكن فيه عطاء الخراساني ضعيف. والحسن لم يسمع من جابر، فإسناده ضعيف. وله شواهد لا يفرح بها، انظرها عند ابن عدي (٢/٢٩٢)، وهناد في «الزهد» (٢٩٢٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١/٢٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٠).



الحديث السادس: روى أحمد والبخاري(١) عن عائشة أنها سألت رسول الله على فقالت: إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكُتُ أَيْمَنَكُمْ ﴾، وصية بالأرقاء؛ لأن الرقيق ضعيف الحيلة (٢) أسير في أيدي الناس، ولهذا ثبت أن رسول الله على جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم» (٣) ، فجعل يرددها حتى ما يفيص بها لسانه. وقال الإمام أحمد بسنده عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله على: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة (٤) ، ورواه النسائي من حديث بقية ، وإسناده صحيح ، وله الحمد. وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لقهرمان له: هل أعطبت الرقيق قوتهم؟ قال: لا، قال: فانطلق فأعطهم، فإن رسول الله على قال: «كفى المرء إنما أن يحبس عمن يملك قوتهم». رواه مسلم (٥) . وعن أبي هريرة عن النبي على قال: «للمملوك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق» ، رواه مسلم (٢) .

⁽١) أخرجه أحمد (٦/ ١٧٥)، والبخاري (٢٢٥٩)، وأبو داود (٥١٥٥) وغيرهم.

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الجنبة».

⁽٣) أخرجه ابن ماجه (٢٦٩٧)، والنسائي في «الكبرى» (٢٠٩٧ ـ ٢٠٩٧)، وأحمد (٣/ ١١٧)، وعبد بن حميد (٢١١٤)، وابن سعد (٢/ ٣٥٢)، والطحاوي في «المشكل» (٢١٠)، وعبد بن حميد (٢١١٤)، وابن سعد (٢٩٩٠)، وصححه ابن حبان (٢١٥٠٦)، والحاكم (٣/ ٣٠٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٠٥)، وفي «الشعب» (٨٥٥١) من حديث أنس، وحسن إسناده البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٣٦١)؛ والحديث صحيح. و«يفيص» بالصاد غير معجمة، خلافاً لما في الأصل، ومعناه ما يبين كلامه، أفاده البغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٥٠).

⁽٤) أخرجه أحمد (١٣١/٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٨٥، ٩٢٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٢، ١٩٥٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٤/٢٠)، وفي «مسند الشاميين» (١١٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٩/٤)، وأبو نعيم (٣٠٩/٩) وفي «ذكر تاريخ أصبهان» (٢/٢٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/٧١٥). والحديث حسن، وانظر: «مجمع الزوائد» (١١٩/٣).

⁽٥) أخرجه مسلم (٩٩٦). (٦) أخرجه مسلم (١٦٦٢).

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «خولكم».



جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم $^{(1)}$ ، أخرجاه $^{(1)}$.

قال محمد تقي الدين: اشتمل هذا الباب أولاً، على توحيد الله في عبادته، والنهي عن الشرك به، وقوله تعالى: ﴿وَلا تُشَرِكُواْ بِهِ شَيْعًا ﴾ جاءت ﴿شَيْعًا ﴾ نكرة في سياق النهي (٣)، تعمُّ كل شيء من الملائكة، والأنبياء الصالحين، وغيرهم، ويشتمل على الحقوق الواجبة على الإنسان للأقارب والأباعد، ممن لهم به علاقة، وذلك من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فمن وفَى بذلك كان من خير خلق الله، وإذا وجدت أمة تحافظ على توحيد الله وهذه الأخلاق، تكون أسعد الأمم في دينها ودنياها وبالله التوفيق. اه.

🖂 الباب الثانى 🔫

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآهُ وَمَن يُشْرِكَ بِأُلَلَهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ النَّا النَّاءِ: ١٤٨]

قال (ك): «قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِدِ، ﴾ الآية، وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [المائدة: ٧٧]».

قال محمد تقي الدين: قرئ عليّ تفسير ابن كثير لهذه الآية، فوجدت في النسخة التي بأيدينا حديثاً ذهب أوله، وأنا أحفظ هذا الحديث، ولكن لم أعتمد على حفظي، فنظرتُ في «الجامع الصغير»، فوجدت الأمر كما ظننت، فقد حذف في هذه النسخة، وهي مطبوعة في مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٧٢ه. الطبعة الثانية، وقد كتب في أول صفحة ما نصه: «قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية، وصححها نخبة من العلماء»، فأقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، كيف تتفق عدة نسخ خطية على إسقاط ثلاث وعشرين كلمة من الحديث؟ وكيف جاز على نخبة من العلماء أن لا يتفطنوا إلى هذا الخلل؟ والحقيقة: أن الكتب التي يطبعها التجار مضيعة، فلا مقابلة فيها ولا تصحيح،

⁽١) أخرجه البخاري (٢٥٥٧)، ومسلم (١٦٦٣).

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۳۲/۶ ـ ٤٤) بتصرف.

⁽٣) في الأصل: «العموم»! وهو سبق قلم!



وبذلك يقع التغيير والتبديل والحذف، فلا تكاد تجد في أكثر بلاد المسلمين مطبعة واحدة يوثق بها! على حين المطابع في البلاد الأوروبية يبذل أهلها أقصى العناية بكل ما يطبعونه، فكثير من المطابع في البلاد الأوروبية وبجرمانية يعلن أصحابها في كل كتاب يطبعونه، أن كل من وجد لهم خطأ في مطبوعاتهم، يعطونه خمسمائة مارك! فشتان ما بين الفريقين ـ والساقط من هذا الحديث في هذه النسخة، هو من أوله إلى قوله: «وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به» وسأثبته كاملاً فأقول:

قال صاحب «الجامع الصغير» في حرف الدال^(۱): «الدواوين ثلاثة، فديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك منه شيئاً، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً، فالإشراك بالله، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً، فمظالم العباد، بينهم القصاص لا محالة». «حم ك» يعني: أخرجه الإمام أحمد والحاكم (۱). اه.

ثم قال (ك): «الحديث الثاني: قال البزار (٣) وذكر سنده عن أنس بن مالك عن النبي على قال: «الظلم ثلاثة، فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يترك الله منه شيئاً، فأما الظلم الذي لا يغفره الله، فالشرك، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلَّمُ

⁽۱) انظر: «الجامع الصغير» (ص٤٤٣) رقم (٣٠٢٢ ـ «ضعيفه»).

⁽۲) أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٠)، والحاكم (٤/ ٥٧٥، ٥٧٦)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٤٧، ٧٤٧٧) وإسناده ضعيف، انفرد به صدقة بن موسى، وانظر _ لزاماً _ تعليقي على: «المجالسة» (٢٩٢/١) فقد أسهبتُ في الكلام على شواهده، وهو حسن بها، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٩٢٧).

⁽ملاحظة): الحديث موجود بتمامه في الطبعة التي اعتمدناها من «تفسير ابن كثير»، وهي طبعة مكتبة أولاد الشيخ المصرية، وهي مقابلة على النسخة الأزهرية، وعلى نسخة كاملة بدار الكتب المصرية، وهو موجود في غير طبعة جيدة من هذا «التفسير»، ظهرت بعد وفاة الهلالي رحمه الله تعالى، وسبقت الإشارة إلى بعضها، والله الموقّق.

⁽٣) كما في «كشف الأستار» (٤/رقم ٣٤٣٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٠٣) وقال: «رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعفهم»، وانظر: «الصحيحة» (١٩٢٧/٤).



عَظِيرٌ ﴾ وأما الظلم الذي يغفره الله، فظلم العباد لأنفسهم، فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه، فظلم العباد بعضهم بعضاً، حتى يدين لبعضهم من بعض».

الحديث الثالث (۱): قال الإمام أحمد في «مسنده»: إن أبا ذر حدثه عن رسول الله على قال: «إن الله يقول: يا عبدي ما عبدتني وما رجوتني فإني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لقيتك بقرابها مغفرة» (۲)، تفرد به أحمد من هذا الوجه.

الحديث [الرابع] (٣): أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم (٤) عن أبي ذر عن رسول الله على قال: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق؟ قال: (على رخم زنى وإن سرق؟ قال: (على رخم أنف أبي ذر». قال: فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر. وكان أبو ذر يحدث بهذا بعد، ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر» (وَمَن يُثَرِكُ بِاللّهِ فَقَدِ أَفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ كقوله: ﴿ إِنْ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُ

قال محمد تقي الدين: قول النبي ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة» يجب أن يقيد بما دلت عليه الأدلة الأخرى،

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى: حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي إدريس قال: سمعت معاوية يقول: سمعت رسول الله على يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلّا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» ورواه النسائي عن محمد بن مثنى عن صفوان بن عيسى به. الحديث الرابع: ...».

⁽۲) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٤) وبنحوه عند البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٠)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٧٧)، وإسناد أحمد ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب، والحديث صحيح، ولم ينفرد أحمد به، وتقييد ابن كثير انفراده بقوله: «من هذا الوجه» كلام دقيق، كعادته في دقته التي استفادها من حماه المزي، ـ رحمهما الله تعالى ـ.

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الخامس».

⁽٤) أُخرجه أُحمد (١٦٦/٥)، والبخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (١٥٤).

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠٢ ـ ٩٩/٤).

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (١١٠/٤).



ويفهم منها شروط ثلاثة: أولها: أن يقولها بلسانه، إن كان قادراً. وثانيها: أن يعرف معناها ويعتقده بقلبه. ثالثها: أن يعمل بمقتضاها. أما قولها بدون مراعاة هذه الشروط، فلا تنفع صاحبها شيئاً؛ لأن المنافقين كانوا يقولونها بألسنتهم، وهم في الدرك الأسفل من النار، وهم شر من الكفار والمسيئين لكفرهم، ونرى في هذا الزمان كثيراً من الناس يقولون: لا إله إلا الله، وهم يشركون بالله، بالدعاء، والذبح، والنذر، والحلف، والخوف بالغيب، والتوكل، والرجاء، والصدقة لغير الله، والاستعادة بغيره، والتحاكم إلى غير شرعه، وتحليل ما حرم الله، إلى غير ذلك من أعمال الكفر، وبعض هؤلاء يجهل معناها، فيظن أن الإله المنفي فيها، هو الرب الخالق الرازق المحيي المميت! وهذا جهل عظيم، فإن هذا توحيد الربوبية، وقد كان المشركون في زمان النبي وعدون الله تعالى في ربوبيته، ويشركون به في عبادته، فلم ينفعهم ذلك التوحيد شيئاً، قال تعالى: ﴿وَلَهِن سَالَتَهُم مَن خَلَق السَّمَونِ وَالأَرْضَ لِيَقُولُنَّ الله ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَهِن سَالَتَهُم مَن خَلَق السَّمَونِ وَالأَرْضَ لِيَقُولُنَّ الله ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

😝 الباب الثالث 🔫

قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿ أَللَّهُ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْسَةِ لَا رَبِّبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿ اللَّهُ فَمَا لَكُمْ فِي اللَّهِ عَدِيثًا ﴿ اللَّهُ فَمَا لَكُمْ فِي اللَّهُ وَاللَّهُ أَرْكَمَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهَدُوا مَنْ أَصَلَ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلُ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ الله الله الله فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ الله الله فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ الله الله الله فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ الله الله الله فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ الله الله الله الله فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ الله الله الله فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ الله الله الله الله الله الله فَلَن تَجِدَ لَهُ اللَّهُ اللَّالِهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّ

قال (ك): ﴿ اللّهُ لا إِلله إِلّا هُو ﴾ إخبار بتوحيده وتفرده بالإلهية لجميع المخلوقات، وتضمن قسماً لقوله: ﴿ لَيَجْمَعَنّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِينَمَةِ لا رَيّبَ فِيهُ ﴾ وهذه اللام موطئة للقسم، فقوله: ﴿ اللّهُ إِلّا هُو ﴾ خبر وقسم، أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيجازي كل عامل بعمله، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصّدَقُ مِن اللّهِ حَدِيثًا ﴾ أي: لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيده، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه (١)، ثم «يقول تعالى منكراً على المؤمنين في اختلافهم

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٨٧/٤).



في المنافقين على قولين (١)، واختلف في سبب ذلك، فقال الإمام أحمد (٢) بسنده عن زيد بن ثابت: إن رسول الله على خرج إلى أحد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله على فرقتين، فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا، هم المؤمنون، فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنْفِقِينَ فِتَكَيِّنِ ﴾ فقال رسول الله على: ﴿إنها طيبة، وإنها تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث [الحديد]» (٢) أخرجاه في «الصحيحين» (١)، وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في وقعة أحد أن عبد الله بن أبيّ بن سلول رجع يومئذٍ بثلث الجيش، رجع بثلاثمائة، وبقي النبي على في سبعمائة» (٥).

"وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْكُسَهُم﴾ أي: ردهم [ودفعهم] (٢) في الخطأ (٧). وقال قتادة: أهلكهم (٨) وقوله: ﴿يِمَا كَسَبُوّا ﴾ أي: بسبب عصيانهم، ومخالفتهم الرسول، واتباعهم الباطل، قوله تعالى: ﴿أَثْرِيدُونَ أَن تَهَدُواْ مَنْ أَضَلَ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَانَ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ أي: لا طريق إلى الهدى ولا مخلص له إليه (٩).

قال محمد تقي الدين: أخبر الله تعالى وهو أصدق القائلين، أنه ﴿ لَآ إِلَهُ وَلَا يَتَخَذُ إِلّٰهُ غَيْرِه، ومن دعا غير الله أو استغاث به أو طلب المدد منه كهداية القلوب وانشراح الصدور، أو نذر لغيره، أو ذبح له، وتمسح به، فقد اتخذه إلها من دون الله، ونقض معنى لا إله إلا الله جهلاً أو عناداً فلا ينفعه قولها، وعداوة المنافقين واجبة، فمن اتخذهم أولياء فقد تعرض لسخط الله تعالى وغضبه، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ يَتَايُّهُا النَّيِّ جَهِدِ ٱلْكُفَّارُ وَاللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَاللهُ وَاللهُ اللهِ اللهُ عَلَيْمٌ وَمَأُونهُم جَهَنَمُ وَيِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿ التوبة: ٣٧].

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «قولهم»!

⁽٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٤، ١٨٧)، والبخاري (١٨٨٤)، ومسلم (٤٩٠).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الفضة».

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من حديث شعبة».

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٨٧ _ ١٨٨).

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وأوقعهم».

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قال ابن عباس: ﴿أَرَّكُسُهُم﴾ أي: أوقعهم».

⁽٨) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال السدي: أضلهم».

⁽۹) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۱۸۹/۶).



🖂 الباب الرابع 🔫

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنَ أَسْلَمَ وَجَهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنُ وَأَتَّبَعَ مِلَّةً إِبْرَهِيمَ خَلِيلًا ﴿ النَّهُ اللَّهُ الرَّهِيمَ خَلِيلًا ﴿ النَّهُ اللَّهُ الرَّهِيمَ خَلِيلًا ﴿ النَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الرَّهِيمَ خَلِيلًا ﴿ النَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ

قال (٣): «قال قتادة: ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله (١). وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم، ونبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلا آمَانِي آهَلِ الْكِتَبِ مَن يَعْمَلُ الله وَمَن يَعْمَلُ مِن دُونِ الله وَلِيا وَلا نَصِيرًا ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِن الفَيَا وَلا نَصِيرًا ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِن الفَيْكَةِ وَلا يَطْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِن الفَيْلِكَ مِن ذَكِرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُو مُؤْمِنٌ فَأُولَتِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُطْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِن الفَيْلِكَ الله المَعْمَلُ مِن المَعْمَلُ مِن المَعْمِلُ وَالله وَمُو مُحْمِدُ وَالله وَمُو مُحْمِدُ وَالله وَلَا يَطْلَمُ وَمُعَمَّدُ وَلا يَعْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿ وَمَلَى مَن الواهم مِن أهل الأديان ، وكذا روى العولي عن ابن عباس وَلِيه أنه قال في هذه الآية: تخاصم أهل الأديان ، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإسلام ؛ لا دين إلا الإسلام، وكتابنا نسخ أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال أهل الإسلام : لا دين إلا الإسلام، وكتابنا نسخ عقضى الله بينهم فقال : ﴿ لَيْسَ فِأَمَانِيَ كُمْ وَلا آمَانِيَ آهَلِ الْمُحْمَلُ مُومَلُ مُومَلُ مُومَلُ مُومَا يُحَمِّدُ لِلهُ وَهُو مُحْمِنُ وَلَا أَمَانِيَ أَهْلُ الْحَابُ مَن يَصْمَلُ سُومًا يُجَوَلُ وَمُو مُحْمِنُ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْحَابُ مَن يَصْمَلُ مُومًا يَعْمَلُ الله وَلَه : ﴿ وَالْمَانِ الله إلله الله وَلَه : ﴿ وَالْحَانَ الله إلله الله وَلَه : ﴿ وَالْحَانَ الله الله وَلَه وَلُو مُحْمِلُ الله وَلَه : ﴿ وَالْحَانَ الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه : ﴿ وَالْحَانَ الله الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه : ﴿ وَالْحَانَ الله الله وَلَه الله والمَالِه الله وَلَه الله وَلِه الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه الله الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه الله وَلَه

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «منكم».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فأفلح الله».

⁽٣) مرسل قتادة، عند ابن جرير (٥/ ١٨٥) وإسناده صحيح، وعزاه في «الدر» (٦/ ٦٩٤) لابن المنذر وعبد بن حميد، وبعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وكذا روي عن السدي والضحاك وأبي صالح وغيرهم».

قال أبو عبيدة: معضل السدي، عند ابن جرير (٥/ ١٨٥) وفيه أسباط بن نصر ضعيف، ومعضل الضحاك، عنده وفيه انقطاع بين ابن جرير والحسين بن فرج، وله طريق آخر عنده وعند ابن المنذر كما في «الدر» (٢/ ١٩٤) وفيه جويبر متروك، ومرسل أبي صالح السمان، عند ابن جرير (٥/ ١٨٥ – ١٨٩)، وابن أبي حاتم (3/رقم ٢٠٠١) بسند صحيح، وعزاه في «الدر» (٢/ ١٩٥) لعبد بن حميد وابن المنذر.

⁽٤) أخرجه الطبرى (٥/ ١٨٥) من طريق العوفي به، بإسناد ضعيف جداً، مسلسل بالضعفاء =



ثم قال (ك): "ومعنى (1) هذه الآية: إن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال إنه هو على الحق (1) سمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان، ولهذا قال (1) بعده: ﴿مَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ضَراً يَرَهُ ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مَن يَكُمُ اللهِ الزلالة الله الإمام أحمد (١) وذكر سنده عن نزلت، شق ذلك على كثير من الصحابة، قال الإمام أحمد (١) وذكر سنده عن أبي بكر، قال: «يا رسول الله، كيف الفلاح بعد هذه الآية ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيّكُمُ وَلا الله على عَمَلُ سُوّءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣]؟! فكل سوء وكل أماني آهيل النبي عن يَعْمَلُ سُوّءًا يُجْزَ بِهِ إلى البا بكر، ألست تمرض؟! ألست تمين الأدواء (٥)؟» قال: بلى، قال: الله ما تجزون به الله الله الله الأدواء (٥)؟» قال: بلى، قال: الهو مما (٢) تجزون به الله اله الله الله الأدواء (٥)؟» قال: بلى، قال:

قال محمد تقي الدين: الدين إسلام الوجه لله تعالى، واتباع ملة إبراهيم الحنيفية، لا يجتمع أبداً مع دعاء غير الله وعبادة القبور والاستمداد من أرواح الشيوخ، بل هذا ضد الحنيفية.

⁼ والمجاهيل من العوفيين.

وبنحوه عند ابن أبي حاتم (٤/رقم ٥٩٩١) بسنا ضعيف، وعزاه في «الدر المنثور» (٢/ ٦٩٥) لعبد بن حميد، ولم أقف على إسناده، وما سبق من «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والمعنى في».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هو المحق».

⁽٣) بعدها في مطبوع "تفسير ابن كثير": "تعالى ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي ٓ أَهَلِ ٱلْكِتَنِ ۗ مَن يَعْمَلُ سُوّهُا يُجُزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣] أي: ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني، بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه على ألسنة رسله الكرام ولهذا قال».

⁽³⁾ أخرجه أحمد (١١/١)، والمروزي في «مسند أبي بكر الصديق» (١١١، ١١١)، وأبو يعلى (٩٨ ـ ١٠١)، وابن حبان (٢٩١٠، ٢٩٢٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٩٣)، والحاكم (٣/ ٧٤، ٥٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٧٣)، وفي «الشعب» (٧/ ٩٨٠٥)، والحديث صحيح، وانظر: «صحيح مسلم» (٢٥٧٤).

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «اللأواء».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ما».



🖂 الباب الخامس 😝

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَٰكِ لَا تَعْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَعُولُواْ عَلَى ٱللّهِ وَكَلِمْتُهُ أَلْقَلُهَا لِلّهِ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَكُلِمْتُهُ اللّهِ وَكُلِمْتُهُ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَعُولُوا اللّهُ وَلَا تَعُولُوا اللّهُ وَلَا تَعُولُوا اللّهُ وَلَا تَعُولُوا اللّهُ وَحِدُّ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَعُولُوا اللّهُ وَلَا لَهُ وَحِدُّ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَعُولُوا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَحِدُّ اللّهِ وَحِيلًا إِلَهُ وَكُونَ اللّهِ وَلَا اللّهُ وَحِيلًا إِلَهُ وَحِيلًا إِلَهُ وَحِيلًا إِلَهُ وَحِيلًا إِلَهُ وَحِيلًا إِلَهُ وَكُونَ اللّهِ وَلَا اللّهُ وَكُونَ وَمَن يَسْتَنكِفُ عَن عِبَادَيْهِ وَيَسْتَحْبُرُ وَمَن يَسْتَنكِفُ عَن عِبَادَيْهِ وَيَسْتَحْبُرُ وَمَن يَسْتَنكِفُ عَن عِبَادَيْهِ وَيَسْتَحْبُرُ وَمِن اللّهِ وَلِيّا وَلا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِيّا وَلا اللّهُ وَلَيْ وَلا اللّهُ وَلِيّا وَلا اللّهُ وَلِيّا وَلا اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلِيّا وَلا اللّهُ وَلِيّا وَلا الللهُ وَلِيّا وَلا الللهُ وَلِيّا وَلا الللهُ وَلِيّا وَلا اللهُ وَلِيّا وَلا اللهُ وَلِيّا وَلا الللهُ وَلَيْ اللّهُ وَلِيّا وَلا الللهُ وَلَيْ اللّهُ وَلِيّا وَلا الللهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلِيّا وَلا الللهُ وَلَا الللهُ وَلَا الللهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللهُ اللّهُ وَلَا الللهُ وَلَا الللهُ وَلَا الللهُ وَلَاللّهُ وَلَا الللهُ وَلَا اللهُ وَلَا الللهُ وَلَا اللهُ وَلَا الللهُ وَلَا الللهُ وَلَا الللهُ وَلَا اللهُ وَلَا الللهُ وَلَا الللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا الللهُ وَلَا اللهُ وَلَا الللهُ اللهُ الللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

قال (٧): "ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلوّ والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى (١)، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة، إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأتباعه (٢) ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقا أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أَيَّنَكُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهُمْنَهُمُ أَرْبَابًا مِن ورب اللهِ الله عن عمر أن رسول الله على الا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»، قال على بن المديني: هذا حديث صحيح سنده (٤)،

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «حد التصديق بعيسى».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وأشياعه»,

⁽٣) أُخْرِجه أحمد (١/ ٢٣)، والبخاري (٣٤٤٥)، وسيأتي لفظه.

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «مسند»!



ورواه البخاري، ولفظه: «فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

وقال الإمام أحمد (١٠): بسنده عن أنس بن مالك، أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، عليكم بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله على الله على : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقُّ ﴾، أي: لا تفتروا عليه، وتجعلوا له صاحبة وولداً، تعالى الله على عن ذلك علواً كبيراً، وتنزَّه وتقدَّس وتوحَّد في سؤدده وكبريائه وعظمته، فلا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه، ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمُتُهُۥ ٱلْقَلَهَ ٓ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ أي: إنسما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلق الله(٢) قال له: كن، فكان، ورسول من رسله، ﴿ وَكُلِمْتُهُ ۚ أَلْقَنْهَا ۚ إِلَّى مَرِّيمٌ ﴾ ، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه كال التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها، بمنزلة لقاح الأب والأم، والجميع مخلوق لله ﷺ، ولهذا [قيل](٤) لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه؛ وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له: بها ﴿ كُن ﴾ ، فكان ، والروح التي أرسل بها جبريل، قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبِّثُ مَرْيَـمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْسِلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُم صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامُ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كُمْثُلِ ءَادَمٌّ خَلَقَتُمُ مِن ثُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ إِنَّ عَمْرانَ: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّتِيَ أَحْصَنَتْ فَرْجُهُمَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوجِنَا وَجَعَلْنَهَا وَٱبْنَهَا ءَايَةً لِلْعَكَلَمِينَ ﴿ وَٱلَّتِيَ الْانبياء: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمُ ٱبْنَتَ عِمْرَنَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرَّجَهَا﴾ [النحريم: ١٢] إلى آخره. وقد بين ابن أبي

⁽۱) أخرجه أحمد (۱٬۵۳) ـ ومن طريقه الضياء في «المختارة» (۱۲۲۷) ـ ، وعبد بن حميد (۱۳۳۷) ، والبخاري في «التاريخ الأوسط» (۱/۱۱) ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (۱۳۳۷) ، وابن حبان (۲۲۵) ، والبيهقي في «الدلائل» (۲۸۸) ، والضياء في «المختارة» (۲۲۲) وإسناده صحيح، وانظر: «الصحيحة» (۱۰۹۷).

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «خلقه».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فكان عيسى بإذن الله ﷺ وصارت تلك النفخة في».

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «قال»!



حاتم بسنده عن شاذان بن يحيى يقول في قول الله: ﴿وَكُلِمَنُهُو أَلْقَنَهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَلَكُن بِالْكُلَمَة صار عيسى (1)، وهذا أحسن مما ادعى ابن جرير في قوله: ﴿أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أي أعلمها بها (٢)، كما زعمه في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَتَهِكَةُ يَمَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةِ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: وع] أي: يعلمك بكلمة منه، ويجعل ذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرَجُوا أَن يُلْقَى إِلَيْكَ أَلْكِكَ أَلْكِكَ أَلْكُ عَلَى السّحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله، فكان عيسى الله .

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٢٣/٤) رقم (٦٣١٠) وغيره.

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن جریر» (۲/۵).

⁽٣) في «صحيحه» رقم (٣٤٣٥)، وأخرجه مسلم (٢٨) أيضاً.

⁽٤) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عليهم لعائن الله المتتابعة»، وفي الأصل: «تقول النصاري»!

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا صاحبة له ولا ولد».

وقال في أولها: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمً ﴾ [المائدة: ١٧] الآية، فالنصارى من جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم باطلة، وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلهاً، ومنهم من يعتقده شريكاً، ومنهم من يعتقده ولداً، وهم طوائف كثيرة، لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولاً، ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم، وهو سعيد بن بطريق، في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية، أنهم اجتمعوا المجمع الكبير، الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم، وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة، وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة، وأنهم اختلفوا عليه اختلافاً لا ينضبط ولا ينحصر، فكانوا أزيد من ألفي أسقف فكانوا أحزاباً كثيرة، كل خمسين منهم على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص، فلما رأى [منهم عصابة](١) قد زادوا على الثلاثمائة [بثمانية](٢) عشر نفراً، قد توافقوا على مقالة، فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفاً داهية، وترك ما عداها من الأقوال، وانتظم دستور أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر، وبنيت لهم الكنائس، ووضعوا لهم كتباً وقوانين، وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقنونها الولدان من [الصغار يعتقدوها](٣)، ويعمِّدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم (الملكية)(٤)، ثم إنهم اجتمعوا مجمعاً ثانياً فحدث فيهم (اليعقوبية)(٥)، ثم مجمعاً ثالثاً فحدث فيهم (النسطورية)(٢)، وكل هذه الفرق

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عصابة منهم».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وثمانية».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الصغر ليعتقدونها».

⁽٤) هم جلَّ النصارى اليوم، وانقسموا إلى طوائف، منهم: المارونية، والكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت، وكان قسطنطين قد عقد هذا المجمع سنة ٣٢٥م في نيقية _ وهي مدينة في تركيا تسمى الآن (أرنك) _، ويرى المؤرخ فيشر في كتابه «تاريخ أوروبا في العصور الوسطى» (ص٦ _ ٧)، والمؤرخ النصراني ول ديورانت في «قصة الحضارة» (٣/١١/٣٨، ط. الثالثة) أن أهداف قسطنطين فيما قام به كانت سياسية. وانظر عنه: «محاضرات في النصرانية» (١١٠ ـ ١٢١) لمحمد أبو زهرة، «أضواء على المسيحية» (٩٤ _ ٩٥)، «تاريخ الفكر المسيحي» (١٩٥ ـ ٣٥)، «التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة» (ص٤٩ _ ٣٥).

 ⁽٥) أو (اليعاقبة) نسبة إلى يعقوب البراذعي، الذي انتحل مذهب القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة، وهي التقاء اللاهوت والناسوت في المسيح!

⁽٦) نسبة إلى نسطور الذي كان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨هـ، خلافاً لما ذهب إليه =



تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك، وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحدا أو ما اتحدا، أو امتزجا، أو حل فيه؟ على ثلاث مقالات، وكل منهم يكفّر الفرقة الأخرى(١)، ونحن نكفّر الثلاثة، ولهذا

- الشهرستاني في «الملل والنحل» (٢/٤/١) أنه ظهر في أيام المأمون! وذكر الشيخ محمد أبو زهرة في «محاضرات في النصرانية» (ص١٣٥) أن مذهب نسطور بأن عيسى لم يكن إلها في حدّ ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله، وأنه فوق الناس. وانظر لتأكيده: «تاريخ الأقباط» (١/٧٧١)، «مختصر تاريخ الكنيسة» (١/٣٣٨)، «النصرانية من التوحيد» (٢٠٢)، «نشأة الطوائف المسيحية» (٤٧ ـ ٤٨).
- (۱) ينبغي لكل حريص على توحيده أن يتنبه لخطورة ما يسمى الآن ب(التقريب بين الأديان) و(التآخي) و(الوحدة) بينها، وهذه دعوة خطيرة جداً، وهي من حصاد (النظام العالمي الجديد) أو (العولمة)! وللعلامة الشيخ بكر أبو زيد «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان» وهو مهم في بابه.

وللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (فتوى) برقم (١٩٤٠٢) بتأريخ ٢٥/ ١٤١٨/١هـ بشأن (الدعوة إلى وحدة الأديان)، ومما جاء فيها بعد تقرير أصول عقدية جاءت في نصوص متواترة: أن القرآن آخر كتب الله نزولاً، وأن التوراة والإنجيل نسخا به، وأنَّ نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، واعتقاد كفرِ كلِّ مَنْ لَمْ يدخل الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم: «وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإنَّ الدعوة إلى (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها: خلط الحق بالباطل، وهذم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَرَالُونَ يُقَانِلُونَكُمْ حَقَّ يَرُدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْـتَطَلْعُواْ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿وَتُواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كُمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآتُهُ﴾، وفيها أيضاً: «وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة: إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله؛ والله جل وتقدس يقول: ﴿فَائِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِٱلْيُوْمِ ٱلْآلِخِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَدَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُكُم وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلْذِيْكَ ۚ أُوتُوا ۚ ٱلْكِتَابُ حَنَّى يُمْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَهِ وَهُمْ صَنْغِرُونَ ﴿ ﴾، وينقول جُل وعَلَا: ﴿وَقَلَىٰلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَأَفَّةَ كَمَا يُقَلِلُونَكُمُّ كَآفَةٌ وَأَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ﴾» وفيها أبضاً:

(إن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله كالى، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع».

قال تعالى: ﴿انتَهُواْ خَيْرًا لَكُمْ ﴾ (١) ﴿ إِنَّمَا اللّهُ إِلّهٌ وَحِدُّ سُبْحَنَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدُ ﴾ أي: تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللّهِ وَكِيلًا ﴾ أي: الجميع ملكه وخلقه، وجميع ما فيها عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ كما قال في الآية الأخرى ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ أَنَى يَكُونُ لَهُ وَلَدُ ﴾ [الأنعام: كما قال في الآية الأخرى ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ أَنَى يَكُونُ لَهُ وَلَدُ ﴾ [الأنعام: السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ أَنَى يَكُونُ لَهُ وَلَدُ ﴾ [الأنعام: السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ أَنَى اللّهُ وَلَهُ ﴾ [الأنعام: اللهُ وَقَالُوا أَتَّخَذَ الرَّحَنُ وَلَدًا ﴿ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ

قال محمد تقى الدين: في هذا الباب فوائد:

الأولى: غلو النصارى في عيسى ابن مريم على وهذا الغلو لا يقبله أي عقل سليم، ولا يتفق أبداً مع الفطرة التي فطر الله عليها عباده، فإن عيسى بشر ولدته امرأة، فتعالى الذي خلق السموات والأرض أن يكون في رحم امرأة، ثم يربَّى بالرضاعة والرعاية، ويجوع ويأكل، ويعطش ويشرب، ويتعب ويركب، ويمرض ويشفى، ولكن الدعاية الفاسدة تفسد فطرة بني آدم، وتمسخ عقولهم حتى يعتقدوا مثل هذه العقيدة، انظر كتابي «البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية»(٣).

الثانية: تأمّل قول النبي محمد ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» (٤). والحديث الذي بعده، ومع ذلك غلب الجهل على قوم فأطروه وعصوه، وقال قائلهم (٥):

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي: يكن خيراً لكم».

⁽٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٨٥ ـ ٣٩٠) بتصرف.

⁽٣) طبع عن دار الثقافة، مكة، عام ١٣٩٣هـ، ثم نشر على حلقتين في مجلة «الجامعة السلفية» المجلد السابع عشر، العددان: الثاني والثالث، الهندية سنة ١٤٠٥هـ، ووجدته _ فيما بعد _ قد نشر قبل ذلك في مجلة «الإحياء» المغربية، المجلد الثاني، الجزء الأول، ذو الحجة، ١٤٠١هـ، وسأنقل منه في التعليق على (٢٧/٢ و٣/٨٦٨) بعض البراهين والأدلة من «الإنجيل» على عبودية عيسى على شهرة وأنه ليس بإله، فانظره فإنه مفيد، وينظر ما سيأتي قريباً (ص٣١٠).

⁽٤) سبق تخريجه.

⁽٥) الأبيات من قصيدة «البردة» للبوصيري، وهي منتقدة انتقده بسببها غير واحد، وبيّنت ذلك =



لولاه لم تخرج الدُّنيا مِنَ العَدَم(١)

وقال:

ومنْ عُلومك عِلمُ اللوح والقَلْم

يا أكرمَ الخُلْقِ ما لي مَنْ أَلوذُ به سواكَ عند حُلولِ الْحَادِثِ العمم فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنيا وضَرَّتَها وقال فيما تخيله في شركه وجهله:

ومنذ ألزمتُ أفكاري مدائحَه وجدتُه لخلاصي خير مُلْتَزم

ومن يستطِيعُ تخليص بني آدم من شدائدهم وكُربهم وأمراضهم ومصائبهم إلا الله سبحانه لا شريك له، ومن الغريب أن هؤلاء الجهال من جهة يغلون في النبي على حتى يصفوه بصفات الله تعالى من علم الغيب، وكونه موجوداً في السموات والأرض، يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث من استغاث به، ويتصرف في ملكوت الله، بل وصفوا غيره من الصالحين وغير الصالحين بمثل ذلك، ومن جهة يخالفون سنته، ويعصون أمره، ولا يحكّمون شريعته، ويعادون من اتبع

الثالثة: لماذا سُمِّي عيسى كلمة الله وروح الله؟ بينه الحافظ ابن كثير غاية البيان، فأما كونه كلمة الله، فلأنه خلقه بكلمة ﴿ كُن ﴾ فهو من تسمية المسبب باسم السبب، وأما كونه، روح الله، فالإضافة هنا، إضافة تشريف وتكريم، الشريد المالية الله الله على المالية ا

أن يحل في خلقه، أو يحل فيه شيء من خلقه، فهو مستو على عرش، مباين لخلقه.





∺ الباب الأول 😣

قال (ك): "يقول تعالى مخبراً وحاكياً لكفر(١) النصارى في اعتقادهم(٢) في المسيح ابن مريم ـ وهو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه ـ أنه هو الله، تعالى المسيح ابن مريم ـ وهو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه ـ أنه هو الله، تعالى الله] عن قولهم علواً كبيراً، ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه: ﴿قُلّ فَمَن يَعَلِكُ مِنَ اللّهِ شَيّعًا إِنَ أَرَادَ أَن يُهَلِكَ ٱلْمَسِيحَ أَبّ مَرْكِمَ وَأُمّكُم وَمَن فِي ٱلأَرْضِ جَيعًا ﴾؟ أي لو أراد ذلك، فمن ذا الذي كان يمنعه منه؟ أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك؟ ثم قال: ﴿وَلِلّهِ مُلكُ ٱلسَّمَونِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُماً يَعْلَقُ مَا يَشَائُهُ أَي: جميع الموجودات ملكه وخلقه، وهو القادر على ما يشاء، لا يسأل عما يفعل لقدرته وسلطانه وعدله وعظمته، وهذا رد على النصارى "، ثم قال تعالى ردّاً على اليهود والنصارى في كذبهم وافترائهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَدَى فَيَّنُ أَبْنَكُوا اللهِ وَأَحِبَاتُوهُ ﴾ أي: نحن

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وحاكماً بكفر».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ادعائهم».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عليهم لعائن الله المتتابعة».

منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه، وله بهم عناية، وهو يحبنا، ونقلوا عن كتابهم، أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: «أنت ابني بكري» فحملوا هذا على غير تأويله، وحرفوه، وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم، وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى من كتابهم أن عيسى قال لهم: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم»، يعني: ربي وربكم، ومعلوم أنهم لم يدّعوا لأنفسهم من البنوة، ما ادعوه في عيسى الله، وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه، وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: ﴿غَنُ أَبْنَكُمُ اللَّهُ وَأَحِبَتُونُ ﴾.

قال الله تعالى راداً عليهم: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِدُنُوبِكُم ﴾؟ أي: لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه، فلِمَ أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا عليه الصوفي هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ وهذا الذي قاله حسن، وله شاهد في «مسند الإمام أحمد» (١)، وذكر سنده عن أنس قال: مر النبي على في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: «أي ابني». وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله! ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال: فخفّضهم النبي على فقال: «لا والله ما يلقي [الحبيب] (٢) حبيبه في النار».

قال محمد تقي الدين: في هذا الكلام اختلال، وهو هكذا في النسخة التي بين أيدينا (٣)، والمعنى: _ إن الله يحب عباده الصالحين، فلا يلقيهم في النار.

«﴿ بَلَ أَنتُم بَنَثُرُ مِّمَنَ خَلَقَ ﴾ أي: لكم أسوة أمثالكم من بني آدم، وهو سبحانه الحاكم في جميع عباده: ﴿ يَفْفِرُ لِمَن يَشَآهُ ۖ وَيُعَلِّبُ مَن يَشَآهُ ﴾ أي: فعال لما يريد، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب. ﴿ وَيلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

⁽۱) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٤، ٢٣٥)، وأبو يعلى (٦/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) رقم (٣٧٤ ـ ٣٧٤٩)، والبزار في «البحر الزخار» (١٦١/١٣) رقم (٢٥٧٩) أو رقم (٣٤٧٦ ـ كشف الأستار)، والبخاكم (٥٨/١)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٢٢)، والضياء في «المختارة» (٣٢/٣) والبخارة صحيح، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢٨٦/١٠) وقال: «رواه أحمد والبزار بنحوه وأبو يعلى، ورجالهم رجال الصحيح» وللحديث شاهد من حديث عمر، رواه البخاري (٩٩٩٩)، وسيأتي لفظه.

⁽۲) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) وهو هكذا في النسخ المحققة!



بَيْنَهُمَّأُ﴾ أي: الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه. و﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب إليه، فيحكم في عباده بما يشاء وهو العادل الذي لا يجور»(١).

قال محمد تقي الدين: لله در الحافظ ابن كثير! ما أوسع اطلاعه! فمع تبحره في علوم الكتاب والسنة والتاريخ، درس عقيدة النصارى واليهود فصار يرميهم بأحجارهم، ويأخذهم بإقرارهم. ونص ترجمة ما جاء في الإنجيل:

«... إن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».اه. فقوله: «وإلهي وإلهكم». يثبت أن الله ربه وربهم، وكلهم عبيده فلا فرق بين المسيح وبين أتباعه في العبودية.

الثانية: وجه استنباط هذا الصوفي ما استنبطه من الآية، أن اليهود والنصارى زعموا أنهم أحباء الله، فكذبهم الله تعالى وأقام البرهان على كذبهم بتعذيبه إياهم في الدنيا بالمصائب، وفي الآخرة بعذاب النار كما يعذب غيرهم، فعلم من ذلك أن الحبيب لا يعذب حبيبه.

الثالثة: حديث الإمام أحمد في قصة المرأة التي خافت على ولدها أن يطأه الجيش، أذكر أني رأيت هذا الحديث في بعض كتب الحديث بغير هذا اللفظ ومعنى ما رأيته أن النبي على لما رأى المرأة تسعى لتأخذ ولدها قال لأصحابه: «أترون هذه طارحة ولدها في النار»؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: «فإن الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها»(٢) قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا الله يَعَبَّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَمُ سَلَمٌ وَأَعَد هُمُ أَجْر كُرِيمًا الله [الأحزاب: ٤٤].

🖼 الباب الثانى 🔫

قال تعالى: ﴿ ﴿ يَكَأَيُّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّمَدَىٰ ٱوْلِيَآ بَعْضُهُمْ وَلِيَآ بَعْضُهُمْ وَلَيَّا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَمَن يَتَوَلِّمُ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَن يَتَوَلَّمُ الطَّلِمِينَ اللَّهُ أَن تُصِيبَنَا دَآبِرَةٌ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضُ يُسُوعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآبِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِي بِٱلْفَتْحِ أَوْ آمْرِ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا آسَرُوا فِي ٱنفُسِمِمْ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِي بِٱلْفَتْحِ أَوْ آمْرِ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا آسَرُوا فِي ٱنفُسِمِمْ

⁽۱) من «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٣٧ ـ ١٣٨) بتصرف يسير.

⁽٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) من حديث عمر، ولفظهما: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها».



قال (٧): "ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى، الذين هم أعداء الإسلام (١)، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَهُّم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُم ۖ قال ابن أبي حاتم (٢) بسنده عن عياض، أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني، فرفع إليه ذلك، فعجب عمر! وقال له (٣): هل أنت قارئ لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر: أجنب هو؟ قال: لا، بل نصراني! قال: فانتهرني وضرب فخذي، ثم قال: أخرجوه، ثم قرأ: ﴿يَانَهُوا لَا لَيُودَ وَالنَّهُودَ وَالنَّهُودَ وَالنَّهُودَ وَالنَّهُودَ وَالنَّهُودَ وَالنَّهُودَ وَالنَّهُ ثم روى ابن أبي حاتم (٤) بسنده

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وأهله قاتلهم الله».

⁽۲) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٥٦/٤) رقم (٢٥١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠/١٠) وفي «الشعب» (٩٣٨٤) وإسناده حسن، فيه كثير بن شهاب هو المذحجي، قال عنه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/الترجمة ٨٥٣): «كتبت عنه بقزوين وهو صدوق» وعمرو بن أبي قيس قال ابن حجر في «التقريب»: صدوق له أوهام. والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢٦/١٥) أو (٥/٣٥٠، ط. هجر) وزاد نسبته للبيهقي في «شعب الإيمان»، وانظر: «مسند الفاروق» (٢/٤٩٤ ـ ٤٩٥) لابن كثير.

 ⁽٣) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وبعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إن هذا لحفيظ،».

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٥٦/٤) رقم (٢٥١١)، وعزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٠) لعبد بن حميد عن حذيفة.



عن محمد بن سيرين قال: قال عبد الله بن عتبة: ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر! قال: فظنناه يريد هذه الآية: ﴿يَكَأَيُّنَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَتَخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَالنَّمَدَىٰ أَوْلِيَآهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: شك وريب ونفاق ﴿ يُسَرِعُونَ فِيمٌ ﴾ أي: يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، ﴿يَقُولُونَ غَنَّتَى آن تُصِيبَنَا دَآبِرَةٌ ﴾ أي: يتأولون في مودتهم وموالاتهم، أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصاري، فينفعهم ذلك، عند ذلك قال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِي بِالْفَتْحِ ﴾. قال السدي: يعني: فتح مكة، وقال غيره: يعني: القضاء والفصل ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ قال السدي: يعني ضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿فَيُصِّبِحُوا ﴾ يعني: الذين والوا اليهود والنصاري من المنافقين ﴿عَلَىٰ مَا آسَرُواْ فِي آنفُسِمِم ﴾ من الموالاة ﴿نَدِمِينَ ﴾ أي: على ما كان منهم مما لم يُجْدِ عنهم شيئاً، ولا دفع عنهم محذوراً، بل كان عين المفسدة، فإنهم فُضِحُوا، وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يدرى كيف حالهم، فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم، تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين. فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين ويحلفون على ذلك ويتأولون، فبان كذبهم وافتراؤهم، ولهذا قال تعالى: ﴿يَــــقُـــولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَهَتَوُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ ٱيْمَنِيْمٌ إِنَّهُمْ لَعَكُمْ حَبِطَتَ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَكُواْ خَسِرِينَ ﴿ فَالَ ابن جريج عن مجاهد: «فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده " تقديره: حينتُذِ ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَهَا وُلَآهِ ٱلَّذِينَ ٱقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَكُمُ حَبِطَتُ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَسِرِينَ ۞﴾ (١)، وروى ابن جرير(٢) في سبب

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم (۱۱۵۸/٤) رقم (۲۵۲۲)، وابن جرير (۸/۵۱۵)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص۳۱۰).

⁽۲) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» ـ كما في «سيرة ابن هشام» (۲/ ٤٢٨) ـ ومن طريقه ابن جرير (۸/ ٥٠٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٥٥) رقم (٢٥٠٦) في «تفسيريهما»، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٧١، ١٧٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩١/٢٦ ـ ١٩١)، حدثني والدي إسحاق بن يسار عن عباد بن الوليد به، وهو مرسل. وعزاه في «الدر المنثور» (٢/ ٥١٥) لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه. وروي من طريق آخر أخرجه ابن أبي شيبة (١٩٢/ ١٩٧)، وابن جرير (٨/ ٤٠٤) بسند رجاله ثقات إلّا عطية بن سعيد العوفي، وهو ضعيف، وقد أرسله، فالقصة ضعيفة من هذين الطريقين.



نزول هذه الآية، أنه لما وقعت الحرب بين النبي على وبين بني قينقاع من يهود المدينة؛ جاء عبادة بن الصامت فله - وكان حليف بني قينقاع في الجاهلية - إلى النبي على فقال: يا رسول الله! إني أبرأ من بني قينقاع، وأتولى الله ورسوله، وجاء عبد الله بن أبيّ - رأس المنافقين - فأخبر النبي على أنه ثابت على موالاة حلفائه في الجاهلية، بني قينقاع، ففيهما نزل قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّا الَّذِينَ اَمَنُوا لَا تَتَخِدُوا النَّهُودَ وَالنَّمَدَى الله ﴿ وَإِنَّ حِرْبَ اللَّهِ هُمُ الْنَالِبُونَ ﴾ (١).

قال (ك): "يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة، أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير له (٢) منه، وأشد منعة وأقوم سبيلاً، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَشَأْ يُدَهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِعَلْقِ جَدِيدِ ﴿ وَهَا خَلِكُ كُلُ اللّهُ سبيلاً، كما قال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُدَهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِعَلْقِ جَدِيدِ ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللّهِ مِعْنِيزِ ﴾ [فاطر: ١٦، ١٧] أي: بممتنع ولا صعب، وقال تعالى ههنا: ﴿ يَتَأَيُّا اللّهِ مَا مَنْ مِنْ فَي اللّهِ عَن الحق إلى الباطل، قال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر ﴿ فَسَوْقَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُعِبُونَهُ فَال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه، رواه ابن أبي حاتم (٣)، وقال [أبو بكر بن عالى: ﴿ إِنَا لَهُ مِنْ فَي اللّهُ مِنْ فَي اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ مِنْ وَقُولُهُ عَلَى اللّهُ مِنْ وَلَهُ عَلَى اللّهُ مِنْ وَقُولُهُ عَلَى اللّهُ مَنْ وَلَهُ اللّهُ مِنْ وَلَهُ عَلَى اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَلَهُ عَلَا اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةً لَا يُولُ أَي اللّهُ وَلَهُ عَلَا اللّهُ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةً لَا يُولُ أَي اللّهُ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةً لَا يُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةً لَا يُولُ أَي اللّهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةً لَا يُولُ أَي اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللللللللهُ اللللللهُ اللللللهُ الللللهُ الللللهُ الللللهُ اللللللهُ الللللهُ الللللهُ الللللهُ الللهُ اللللهُ الللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٥٣ ـ ٢٥٦).

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «لهما»!

⁽٣) في «تفسيره» (٤/ ١١٦٠) رقم (٦٥٣٧)، وابن جرير في «تفسيره» (٨/ ٥١٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٦٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠٩ /٣٠) بإسناد صحيح إلى الحسن، وهو مرسل هنه، والأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وخيثمة الأطرابلسي في «فضائل الصحابة».

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وهو الصواب، وتحرف في الأصل إلى «ابن عباس»! ثم وجدته مسنداً على الحادة عند ابن أبي حاتم (١١٦١/٤) رقم (٦٥٣٩).

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»، «وفي صفة رسول الله ﷺ: أنه الضحوك القتال، فهو الضحوك المقتال، فهو الضحوك الأوليائه قتال الأعدائه».



طاعة الله، وإقامة الحدود، وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل، قال الإمام أحمد (۱) وذكر سنده عن أبي ذر قال: «أمرني خليلي بسبع: أمرني بحب المساكين، والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مُراً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش، وقال الإمام أحمد (۲) بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله على: «لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرّب من أجل ولا يباعد من رزق، أن يقول بحق، أو أن يذكر بعظيم»، فإنه لا يقرّب من أجل ولا يباعد من رزق، أن يقول بحق، أو أن يذكر بعظيم»،

وروى أحمد وابن ماجه (٣) بسندهما عن أبي سعيد الخدري عن النبي على قال: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليسأله يقول له: أي عبدي أرأيت منكراً فلم تنكره؟ فإذا لقّن الله عبداً حُجّته، قال: أي رب! وثقتُ بك، وخفت الناس». وثبت في «الصحيح»: «ما ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» قالوا: وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال: «يتحمّل من البلاء ما لا يطيق»(٤). ﴿ وَلِكَ فَضَلُ ٱللهِ

⁽۱) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٣٥٤) _ وهو في «الكبرى» رقم (١٠١٨) _، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان (٤٤٩)، والبزار (٣٥٤)، والبزار (٣٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٩)، وفي «الأوسط» (٧٧٣٩)، وفي «الكبير» (١٦٥٠)، والبيهةي في «الكبرى» (١/ ١٩)، (٨/ ٧٥)، وفي «الدعاء» (١٦٥٨ _ ١٦٥٨)، وأبو نعيم (١/ ١٥٩ _ ١٦٠) من حديث أبي ذر، وهو صحيح.

⁽۲) أخرجه أحمد (۳/۰۰)، والترمذي (۲۱۹۱)، وابن ماجه (٤٠٠٧)، وأبو يعلى (١٤١١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٨٢٠، ٢٨٢٥)، و«الصغير» (٢٥٨/١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/٠٠)، وابن حبان (٢٧٥، ٢٧٨) والحديث صحيح، وانظر: «الصحيحة» (١٦٨).

⁽٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٧، ٢٩، ٧٧)، والحميدي (٧٣٩)، وعبد بن حميد (٩٧٤)، وأبو يعلى (١٠٨٩) في «مسانيدهم»، وابن ماجه (٤٠١٧)، وابن حبان (٨٣٦٨)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠٠٠)، و«الشعب» (٧٥٧٤، ٧٥٧٥)، والخطابي في «العزلة» (ص١١٠) وإسناده حسن، وجوده العراقي في «تخريجه أحاديث الإحياء» (٢/ ٢٢٩).

⁽٤) الحديث غير موجود في أي من «الصحيحين»! وإنما هو عند الترمذي (٢٢٥٤)، =

يُؤتِيهِ مَن يَشَكُمُ اَي: من اتصف بهذه الصفات، فإنما هو من فضل الله عليه، وتوفيقه له: ﴿وَلَاللّهُ وَسِعُ عَلِيمٌ أَي: واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن (۱) يحرمه إياه، وقوله تعالى: ﴿إِنّهَا وَلِيْكُمُ اللّهُ وَرَسُولُمُ وَالّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين، وقوله: ﴿ الّذِينَ يُعْيَنُونَ الشّلَوةَ وَيُؤَوّنَ الزّكُوةَ ﴾ أي: المؤمنون المتصفون بهذه الصفات مِنْ إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، وهي له وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين، ومساعدة للمحتاجين، من الضعفاء والمساكين، وأما قوله: ﴿ وَيُوثَونَ الزّكُوةَ ﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع، أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثراً عن علي بن أبي طالب، أن هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه، فأعطاه خاتمه (۱).

قال محمد تقي الدين: وذكر (ك) آثاراً تدل على أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب حين أعطى المسكين خاتمه وهو راكع، وقال: إنه لا يصح شيء منها (٣). «وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت ظليه، حين تبرأ من حلف اليهود ورضي بولاية الله (٤) ورسوله والمؤمنين، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَمَن يَتُولُ الله وَرَسُولَهُ وَاللَّيْنَ

⁼ وابن ماجه (٤٠١٦)، وأحمد (٤٠٥/٥)، والبزار (٢٧٩٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٦٦، ٨٦٧)، وابن عدي (٢٣٠٧)، وأبي الشيخ في «الأمثال» (١٥١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٨٢٤)، والبغوي (٣٦٠١) من حديث حذيفة، وفي الباب عن ابن عمر وعلي، وجوَّده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/١٥٢)، وذكره شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٦١٣).

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «ومن»!

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢٥٨/٥ ـ ٢٦٥) بتصرف.

 ⁽٣) نعم، جميع ما ورد في هذا الباب لم يثبت، وقد فصلت ذلك في كتابي "قصص لا تثبت"، وتكلم على طرق هذه القصة مفصلاً الزيلعي في "تخريج أحاديث الكشاف" (٢/ ٤٠٩)، وابن حجر في "الكافي الشاف" (٥٦)، والمناوي في "الفتح السماوي" (٢/ ٥٧٢)، وانظر: "علوم الحديث" (١٠٢) لابن الصلاح.

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «ورضي بالله».



اَمَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللّهِ هُمُ الْفَلِبُونَ ﴿ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَتَبَ اللّهُ لَأَغَلِبُكَ أَنَا وَرُسُلِتُ اللّهَ فَوَى عَرْبِيرٌ ﴿ لَا تَحِدُ قَوْمًا يُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْلَاخِمِ يُوَادُّونَ مَنْ حَاذَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا عَلْمَ أَوْ الْبَيْكَ حَتَبَ فِي وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا عَلْمَ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ الْجَوْنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أُولَتِهِكَ حَتَبَ فِي وَرَسُولَهُ وَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيْدَهُم بِرُوجٍ مِنْ أَنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ نَجْرِى مِن تَعْفِهَا الْلاَنْهَارُ خَدَلِمِينَ فَلُوجِهُمُ الْإِيمَانَ وَأَيْنَاهُونَ ﴿ وَلَهُمْ وَرَسُوا عَنْهُ أُولَتِهِكَ حِرْبُ اللّهُ ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في فيها لله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة، ومنصور في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الله ورَسُولُهُ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ عَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللّهِ هُمُ الْفَلِكُونَ ﴿ فَهُ الْفَلِكُونَ ﴾ الكريمة: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ عَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللّهِ هُمُ الْفَلِكُونَ ﴾ الكريمة: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ عَامَنُوا فَإِنَّ عِرْبَ اللّهِ هُمُ الْفَلِكُونَ ﴾ الكريمة: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ عَامَنُوا فَإِنَّ عِرْبَ اللّهِ هُمُ الْفَلِكُونَ ﴾ اللّهُ وَمُ الْفَلِكُونَ اللّهِ هُمُ الْفَلِكُونَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ عَامَنُوا فَإِنّ حِرْبَ اللّهِ هُمُ الْفَلِكُونَ ﴾ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ عَامَنُوا فَإِنّ حِرْبَ اللّهِ هُمُ الْفَلِكُونَ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا لَا لَهُ اللّهُ وَلَا لَا لَهُ عَلَيْ اللّهُ وَلَا لَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَا لَلْهُ وَلَا لَا لَهُ وَلَهُ وَلَهُ اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا لَهُ اللّهُ وَلَا لَا لَا لَهُ وَلَولَ اللّهُ وَلَالَهُ وَلَا لَا لَا لَا لَا لَا لَهُ اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَلْوَلُ اللّهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَوْلُولُ وَلَوْلُولُ وَلَوْلِهُ وَلَهُ وَلَا لَنْهُ وَلَوْلُولُولُ وَلَهُ وَلَا لَا لَهُ وَلَا لَا لَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَلْهُ وَلَا لَهُ لَا لَا لَا لَهُ وَلَهُ لَاللّهُ وَلَا لَهُ لَا لَا لَهُ وَلَا لَا لَا لَهُ وَلِهُ لَال

"وقوله تعالى: "﴿ يَكَانَّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا لَنَّخِذُوا الَّذِينَ اَتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَلَهِهَ الآية وهذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة، المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي، ويتخذونها هزواً، يستهزؤون بها، ﴿ وَلَهِبًا ﴾ يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد، كما قال القائل (٢):

وَكُمْ مِنْ عَائِبٍ قُولاً صحيحاً وآفته من الفَهُمِ السَّقِيمِ وقيلِ الْكُنْ مِنْ عَلِكُمْ وَالْكُفَّارَ ﴿ وَمَنَ ﴾ همنا لبيان الجنس كقوله: ﴿ فَاجْتَكِبُوا الرِّحْسَ مِنَ ٱلْأَوْشُنِ ﴾ [الحج: ٣٠] وقرأ بعضهم (٣٠): ﴿ وَالْكُفَّارِ ﴾ بالخفض عطفاً، وقرأ آخرون: بالنصب على أنه معمول: ﴿ لاَ لَنَّهِدُوا اللَّهِ النَّيْ الْخَذُوا دِينَكُمْ هُرُوا وَلَهِ بَا مَنَ اللَّذِي الْوَتُوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم ﴿ وَالنَّهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الذي اتخذه هؤلاء هزواً ولعباً، كما قال الله على فَيْ الْمُومِنِينَ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن عَلَيْمُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن مَن اللَّهُ اللهِ عَن اللَّهُ مِن وَاللَّهُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللهِ الذي اتخذه هؤلاء هزواً ولعباً، كما قال تعالى: ﴿ لاَ يَتَخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَوْدِينَ أَوْلِيانَهُ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللهِ الذي المُؤْمِنِينُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللهِ الذي اللهِ الذي المُؤْمِنِينُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللهِ الذي اللهِ الذي المُؤْمِنِينُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللهِ الذي المُؤْمِنِينُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللهِ الذي اللهِ الذي المُؤْمِنِينُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللهِ الذي الْمُؤْمِنِينُ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللهِ الذي اللهِ الذي اللهِ الذي اللهِ الذي اللهُ الذي الله والذي الله والذي الله والذي الله الذي الله الذي الله والذي الله والذي الله الذي الله الذي الله الذي الله الذي الله والذي الله والذي الله والذي الله الذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي اللهُ الذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي الهُ الذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي اللهُ الذي الله والذي اله والذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي الله والذي ال

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٦٧ _ ٢٦٨).

⁽٢) هو أبو الطيب المتنبي، والبيت في «ديوانه» (١/ ٢٣٩ ـ مع شرحه «العرف الطيب»).

⁽٣) هذه قراءة أبي عمرو والكسائي وسهل ويعقوب واليزيدي، انظر: «النشر» (٢/ ٢٥٥)، «السبعة» (٢٤٥)، «التبصرة» (٢٨٥)، «المكرر» (٣٥).

 ⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تقديره: وَلَا الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ أي: لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء».

⁽٥) من مطبوع «تفسير ابن كثير» وسقطت من الأصل.



اللَّهِ فِي فَقَى إِلَّا أَن تَسَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُعَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَتُمْ وَلِلَ اللَّهِ الْمَصِيدُ ﴿ إِلَّ اللَّهِ الْمَصِيدُ ﴿ إِلَّ اللَّهِ الْمَصِيدُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]» (١٠).

قال محمد تقي الدين: قول النبي ﷺ: "فإذا لقن الله عبده حجته، قال: أي رب، وثقت بك، وخفت الناس.." (٢) وثبت في "الصحيح" إلى آخره.. في هذا دليل على لطف الله ورحمته بعباده، فمن عجز عن تغيير المنكر بيده أو بلسانه، ورأى أن ذلك يوصله إلى الهلاك، ترك التغيير باليد واللساك، واكتفى بتغيير المنكر بقلبه (٣)، والله ﷺ يعذره بعجزه وضعفه.

(٣) لتغيير المنكر أربع درجات: أن يزول ويخلفه ضده، أن يقِلَّ وإن لم يَزُل بجملته، أن يخلفه ما هو مثله، أن يخلفه ما هو شر منه. فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة. قاله ابن القيم في «الإعلام» (٤/ ٣٣٩ ـ بتحقيقي).

والحال التي ذكرها المصنف، يزاد عليها: إن فعل صابراً محتسباً قيامه في ذلك عند الله كال صح وكان مأجوراً، وبسط ذلك ابن المناصف في كتابه البديع «الإنجاد» (١/ ١٤ ـ بتحقيقي). ومما يلزم معرفته بهذا الصدد أمران:

الأول وهو مهم، كثير الوقوع، والحاجة إليه ماسة: إن أيس الآمرُ من كفّ فاعل المنكر، أو إزالته، فهل يبقى الأمر واجباً عليه أم لا؟ الذي رجحه ابن المناصف في «الإنجاد» (١/ ١٥ ـ بتحقيقى) الوجوب، قال:

قال أبو عبيدة: هذا الذي استظهره هو الراجح في نظري، لما يلي:

أولاً: إذا جرى الحديث عن تأثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو عدم تأثيره، أريد به ظهور المعروف حينما أمر به، وانتفاء المنكر حينما نهى عنه، وبالعكس، ولكن لننظر في الأمر من وجهة نظر أخرى: وهي أن المسلم - ولو لم يؤثر فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأثيراً عاجلاً - لا بد أن يتأثر في شعوره إلى حدَّ ما، ومن الممكن أن يصير هذا التأثير، سبباً لفعله المعروف، وتركه المنكر فيما بعد، ومن هذه الناحية درس الإمام محمد بن الحسن الشيباني في «شرح السير الكبير» (٣/ ٢٣٩ - ٢٤٠)، نفسيَّة الأمة =

انظر: «تفسیر ابن کثیر» (٥/ ٢٦٨ _ ٢٦٩).

⁽٢) سبق تخريجه.



.....

المسلمة مراعاة كاملة، فقال: "وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسعه الإقدام، وإن كان يعلم أن القوم يقتلونه، وأنه لا يتفرق جمعهم بسببه؛ لأنَّ القوم هناك مسلمون، معتقدون لما يأمرهم به، فلا بد من أنَّ فعله ينكئ في قلوبهم، وإن كانوا لا يظهرون ذلك».

ثانياً: إذا أهمل السعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة عدم جدواه، تقطعت أسباب الرجاء عن الإصلاح، وهلك المجتمع كله.

ثالثاً: لا يصح بناء الحكم الفقهي على (التأثير) و(عدمه) فنقول: يجب الأمر بالمعروف عند حصول التأثير والإفادة، والعكس بالعكس؛ لأن التأثير وعدمه أمر غير ظاهر وغير منضبط، فكم من مأمور بالمعروف يُرجى فيه الخير ومنهي عن المنكر لا يرجى فيه ذلك، ولا يستجيب الأول ويستجيب الثانى.

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٢٣/٢): «قال العلماء: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله؛ فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله على: ﴿مَا عَلَ الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَغُ ﴾ [المائدة: ١٩٩]».

رابعاً: إن صح القول الأول؛ فيحمل على أنَّ العامة عليهم أن يحافظوا على دينهم وإيمانهم، ولا يصح أن يلقى عليهم أعباء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الخاصة منهم _ أيضاً _ إن لم يتقدموا إلى ذلك ظلموا أنفسهم وقدراتهم وإمكاناتهم.

والقول بالوجوب رواية عن أحمد، وصححه أبو يعلى، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وعزاه ابن رجب إلى أكثر العلماء، كما في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٤٣٥).

يهيه، وحواه ابن ربب إلى اختر العلماء، في "تواسع الانواز البهيه" (١/ ١٥٠). وانظر بسطاً للمسألة في: «أحكام القرآن» (١/ ٧٩٧)، و«مختصر الفتاوى المصرية» (٥٠)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٤٨، ١٤٩)، و«طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٨٠)، و«الآداب الشرعية» (١/ ١٧٨)، و«الإحياء» (٢/ ٢٨٠)، و«مبارق الأزهار» (١/ ٥٠) لابن ملك، و«نصاب الاحتساب» (٣١٣)، و«أضواء البيان» (١/ ١٧٥)، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المنكر» (ص١٥٧ وما بعدها) لجلال العمري، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وواقع المسلمين اليوم» (ص١٠٠ وما بعدها) لصالح الدرويش، و«الأمر بالمعروف» (ص٥٠)، لعبد الرحمن المقيط، و«الأمر بالمعروف» (ص٢٨٣) لخالد السبت، و«الجواب الأبهر لمن سأل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٥٧ ـ ١٦)، و«أصول الدعوة» (ط١٩٠) لعبد الكريم زيدان.

الثاني: ينبغي استعمال الحكمة في الأمر والنهي، والحكمة: أن تضع الشيء في مكانه: شدة وغلظة أو ليناً ورفقاً، قال ابن المناصف في «تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام» (ص٠٣٠):

«فأمّا إن خيف مع الرّفق فوات عين المنكر، أو اتّصال الاستطالة على مثله لاستخفاف المقوّم عليه وقلّة التفاته ومبالاته، وعلم أن الرّفق لا ينفع في مثل ذلك، وأمن أن يثير =



🚧 الباب الثالث 🎋

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَ اللّهَ هُو الْمَسِيحُ ابّنُ مَرْيَمَ وَوَالَ الْمَسِيحُ يَبَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَقِي وَرَبَكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأُونَهُ النَّازُ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ اَنصَارِ ﴿ اللّهُ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأُونَهُ النَّازُ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ اللّهِ إِلّا إِللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَمَا مِنْ اللّهِ إِلّا إِللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمِولَا مِنْهُمْ عَذَابُ وَحِيدٌ وَإِن لَمْ يَنتَهُواْ عَمَا يَقُولُونَ لَيْمَسَّنَ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابُ وَحِيدٌ وَإِلَيْهُ مَوْلُونَ لِيَمَسَّنَ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابُ اللّهُ وَلِيمَ وَاللّهُ عَنْهُورُ رَحِيبُ مُ اللّهُ وَاللّهُ عَنْوُرُ رَحِيبُ مُ اللّهُ مَا الْمُسِيحُ ابْرَقُ مَرْيَمَ إِلّا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ وَأُمّٰهُ وَاللّهُ عَنْوُرُ رَحِيبُ مُ اللّهُ مَا الْمُسِيحُ ابْرَقُ مَرْيَمَ إِلّا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ وَأُمّٰهُ اللّهُ مَا الْمُسْتِعُ الْمَلْمُ وَاللّهُ عَنْ اللّهُ مَا لَا يَعْمُولُ وَاللّهُ مَا الْمُسْتِعُ الْمَلْمُ مَنَ اللّهُ مَا لَا يَعْمُولُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا لا يَعْمُولُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا لا يَعْمُولُ اللّهُ مَنَا وَلَا مَعْمُ عَيْرُ اللّهُ مَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللللللهُ اللللللللّهُ اللللللللللهُ الللللهُ الللللهُ اللللهُ الللللهُ الللللهُ الللهُ الللللهُ اللللهُ الللهُ الللللهُ الللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللله

به، أوقع في النفوس وأقرب إلى الإجابة من كثير من العنف والشُّدَّة﴾ ﴿

الإغلاظ منكراً أشد من الحاضر، فينبغي المعالجة بما يقاومه ويصلح به ذلك الأمر من الشدة والعنف، وبحسب عظم المنكر وما يليق في مثله، ويؤدي إلى إزالة فعله، قال الله _ تعالى _ في صفة القوم: ﴿ يُعِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُمْ وَهُمِيَّهُمْ وَهُمِيَّهُمْ وَهُمَيْهُدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةَ لَآبِمْ ﴾ و ﴿ يُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةَ لَآبِمْ ﴾ .

ثم نقل كالله عن سيخه المشتهر بابن أبي درقة كالله قال: «كنت مرَّة في غرَّة الشباب، ومبادي الطلب، فتشاغلت عن إحدى صلاتي العشاء إلى أن شارفت الفوات، فأتيت عَجِلاً إلى بعض المساجد، واعتمدت بعض زواياه، فصليتها مبادراً متجوّزاً في بعض أركانها، وإذا بعض الشيوخ يسارقني النظر، بحيث لم أشعر به، فلمّا أتممت صلاتي، وهممت بالانصراف استدعاني، فأتيته، فسألني قليلاً، ثم قال: يا بنيّ، رجلٌ تسلّف دراهم إلى وقتٍ، فلمّا حلّ الأجل، والغريم موسر قادرٌ على الأداء، تهاون بذلك واستخف، ولم يزل يتراخى به إلى أن استحق ذمّ التأخير، ثم أتاه بها بعد ذلك ناقصة، زيُوفاً، فَجَمَعَ بين جنسي وتعريضه بما فعلت في صلاتي، فخجلت، ثم قلت له: فهمت يا عمّ، فما زاد على أن والن قم يا بنيّ بارك الله فيك، فعدت الإتمام صلاتي، وأثر ذلك عندي خير تأثير». قال: قم يا بنيّ بارك الله فيك، فعدت الإتمام صلاتي، وأثر ذلك عندي خير تأثير».

«يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى من الملكية، واليعقوبية، والنسطورية ممن (١٦) قال منهم بأن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً، هذا وقد تقدم [أن المسيح](٢) عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد، أن قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾، ولم يقل: إني أنا الله، ولا ابن الله، بل قال: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَلْنِيَ ٱلْكِنَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠] إلى أن قَــال: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَطٌّ مُّسْتَقِيدٌ ﴿ ﴾ [مــريــم: ٣٦] وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته، آمراً لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له، ولهذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاً إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَكُمْ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَكَبَيْ إِسْرَةِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمُّ إِنَّامُ مَن يُشْرِك بِٱللَّهِ ﴾ أي: فيعبد معه غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأُونَكُ ٱلنَّازُ﴾ أي: فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة، كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاَّهُ ﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَبُ ٱلنَّارِ أَصْحَبَ ٱلْجُنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْ اللَّهُ وَ الْمَا وَ مِنَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَنْفِرِينَ ﴿ اللَّهُ عَلَى الْكَنْفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٠] وفي «الصحيحين» (٩٠) أن النبي على بعث منادياً ينادي في الناس: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة»، وفي لفظ: «مؤمنة»(٤) وتقدم في أول سورة النساء عند قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِدِي﴾ [النساء: ١١٦] حديث يزيد بن أبي موسى عن عائشة: «الدواوين ثلاثة...»، فذكر منهم: «ديواناً لا يغفره الله هو الشرك بالله». قال الله تعالى: ﴿ مَن يُشْرِك بِاللَّهِ فَقَدْ حَدَّمَ أَللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ والحديث في «مسند أحمد»(٥)، ولهذا قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَنَهُ ٱلنَّارُّ وَمَا لِلظَّلِلِينِ مِنْ أنم ولا منقذ مما هم (7) عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هم (7) فيه (7).

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «فمن»!

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إليهم المسيح بأنه».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الصحيح».

⁽٤) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٣٧٧) من حديث ابن مسعود.

 ⁽٥) سبق تخريجه، وانظر له: «المجالسة» رقم (٦) وتعليقي عليه، فقد أطلت النفس في تخريجه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «له». (٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هو».

⁽۸) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۲۹۲/۵ _ ۲۹۷).



وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةً ﴾.

قال (ك): «اختلفوا ـ أي المفسرون ـ، فقيل: المراد بذلك كفرهم (١) في قولهم بالأقانيم الثلاثة، وهي (٢): أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، قال ابن جرير (٣) وغيره: والطوائف الثلاثة من الملكية، واليعقوبية، والنسطورية(٤)، تقول بهذه الأقانيم، وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً (٥)، فكل (٦) فرقة منهم تكفّر الأخرى، والحق أن الثلاث كافرة، وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إِلْهِينَ مَعَ الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار، قال السَّدي: وهي كقوله تعالى في آخر السورة: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَنْعِيسَى أَبِّنَ مَرَّيِّمَ ءَأَنتَ قُلْتَ الِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأَلْقَى إِلَهَ يَنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبَحَننَكَ ﴾ [المائدة: ١١٦] وهذا القول هو الأظهر والله أعلم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَا إِلَّا إِلَهٌ وَحِدُّ ﴾ أي: ليس متعدداً، بل هو وحده لا شريك له، إله جميع الكائنات وسائر الموجودات، ثم قال تعالى متوعِّداً لهم ومتهدَّداً: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي: هذا الافتراء والكذب: ﴿ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كُفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ ﴾ أي في الآخرة (٧)، ثـم قـال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغَفُّونَكُم وَاللَّهُ عَسْفُورٌ رَّحِيتُ ﴿ إِلَّهُ . وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه، مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه، وقوله (^ تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابِّثُ مَرْيَعَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَسْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ أي: له سوية (٩) أمثاله

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «كفارهم»!

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهو».(۳) في اتفسيره» (۸/ ۵۸۰).

⁽٤) هم لا يقولون بالأقانيم الثلاثة، وقدمنا ذلك عنهم قريباً، فالاتحاد عندهم ليس حقيقياً بل مجازياً؛ لأن الإله منح عيسى المحبة فصار بمنزلة الابن، ومعنى ذلك أن المسيح لم يكن فيه عنصر إلهي قط، فليس إلها ولا ابن إله، وهذا ما تقرره صاحبة «تاريخ الأمة القبطية»، ويرى الدكتور أحمد شلبي في كتابه «المسيحية» (ص١٨٩) أن مذهب نسطور كان محاولة للعودة إلى التوحيد. وانظر: «تحريف رسالة المسيح علي عبر التاريخ» (ص٣٠٨ ـ ٣٠٠).

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ليس هذا موضوع بسطه».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وكل».

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من الأغلال والنكال».

⁽٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ثم قال».

⁽٩) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «أسوة»!

من سائر المرسلين المتقدمين عليه، وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام، كما قال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبَدُّ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَهُ مَثَلًا لِبُنِيَّ إِسْرَوْيِلَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللّّهُ اللّهُ الل

وقوله: ﴿وَأَمُّهُ صِدِيقَةٌ ﴾ أي: مؤمنة به، مصدّقة له، وهذا أعلى مقاماتها، فلل على أنها ليست بنبية، كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق، ونبوة أم موسى، ونبوة أم عيسى، استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أَيْرِ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيةٍ ﴾ [القصص: ٧] وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبِلِكَ إِلّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ ٱلقُرَى [يوسف: ١٠٩] وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري كَالله الإجماع على ذلك (١٠)، وقوله تعالى: ﴿حَانَا يَأْحُكُونَ الناس، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة (٢)، ثم فهما عبدان كسائر الناس، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة (الله قال تعالى: ﴿انَظُر حَيْفَ نُبُيِّتُ لَهُمُ ٱلْآيكتِ أي: نوضحها ونظهرها: ﴿نُمَّ قَالَ تعالى: ﴿انْظُر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون؟ وبأي قول يتمسّكون؟ وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون؟ (٣).

"وقال(٤) تعالى منكراً على من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ومبيّناً له أنها لا تستحق شيئاً من الإلهية [فقال تعالى](٥): ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم، ودخل في ذلك النصارى وغيرهم: ﴿أَتَبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرَّا وَلَا نَقْماً ﴾ أي: لا يقدر على [دفع ضر عنكم، ولا إيصال نفع إليكم](١). ﴿وَاللّهُ هُو السّمِيعُ الْعَلِيمُ أَي السميع لأقوال عباده، العليم بكل شيء، فلم عدلتم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع

 ⁽۱) انظر مبحث (نبوة النساء) وبيان أن الراجح حصرها في الرجال: «فتح الباري» (٦/٤٧٦ ـ ٤٤٨ و ٤٤٨)، «لوامع الأنوار البهية» (٢٦٦/١)، و«الرسل والرسالات» (ص٨٦ ـ ٨٩)، وكتابي «الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير» (ص١٢٦).

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة».

⁽۳) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يقول». (٥) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إيصال خير إليكم ولا إيجاد نفع».



ولا يبصر ولا يعلم شيئاً، ولا يملك ضراً ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه، ثم قال: ﴿قُلْ يَكَأَمُّلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَعْلَوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرُ ٱلْكِقِّ ﴾ أي: لا تجاوزوا الحدَّ في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلها من دون الله، وما ذلك إلا لاقتدائكم [بشيوخكم](١)، بشيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً: ﴿وَأَصَالُوا صَيْرًا وَصَالُوا عَن سَوَآهِ ٱلسَّكِيلِ ﴾ أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال)(٢). اه.

قال محمد تقي الدين: رأيت من المفيد لمن يقرأ هذا الكتاب، أن أنقل بعض الأدلة من الأناجيل الأربعة التي يؤمن بها النصارى في هذا الزمان، وهي واضحة الدلالة على أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس إلها ولا ابن الله (٣):

الأول: في (الباب التاسع عشر) من "إنجيل متى" (رقم1 و ١٧): "وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله". اهد. ففي قوله: "لا صالح إلا واحد وهو الله". اعتراف بعبودية المسيح لله تعالى؛ لأنه أراد بالصالح الكامل الذي لا يعتريه النقص بحال، وليس ذلك إلا لله تعالى.

وفي (الفصل ٢١) من "إنجيل متى" (رقم ٤٦): "وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خلفوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبي". وهذا من أقوى الحجج على القائلين بألوهيته لو كانوا يعقلون!!

وفي "إنجيل متى" (الفصل ٢٣ رقم ٨): "وأما أنتم فلا تدعوا أحداً سيدكم، فإن سيدكم - حتى المسيح - واحد" يعني: وهو الله؛ الأن المسيح نهى الرجل أن يسميه سيداً، وأخبر أن السيد هو الله تعالى، وكل من سواه حتى المسيح عبيد، وقد حرفت هذه الآية في الترجمة العربية، أما الترجمة الإنجليزية

⁽۱) غير موجود في «مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲۹۹/٥).

⁽٣) للهلالي جزء مفرد مطبوع بعنوان «البراهين الإنجيلية على أن عيسى الله داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية»، وترجم للإنجليزية، وتقدم ذكره، ومكان نشره، وانظر التعليق على (ص٢٩٣)، ففيه نقل مهم.



فليس فيها تحريف^(۱).

وفي (رقم ٩) من «إنجيل متى»: «ولا تدعوا لكم أباً على الأرض؛ لأن أباكم واحد، وهو الذي في السماء». اه.

ومن ذلك تعرف أن الأبوّة والبنوّة بمعنى العلاقة بين الرب والعبد ثابتة في الإنجيل لجميع الناس، لا خصوصية للمسيح في ذلك.

وفي (الفصل ٢٤ رقم ٣٦): «أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد من الناس، ولا ملائكة السماء، ولكن أبي وحده هو يعلمها». فهذا دليل قاطع على أن تلك الساعة لا يعلمها أحد إلا الله، ففيه دليل على أن علم المسيح قاصر كسائر البشر، والله وحده هو الذي أحاط بكل شيء علماً.

(۱) من عجيب أمر العلامة الهلالي أنه تعلّم الإنكليزية على يد إرسالية تبشيرية في الهند، صاحبها كندي، والتقى هناك بقسيس أميركي، قال للهلالي بعد محاورة: "يمنعكم التعصب عن قراءة التوراة والإنجيل، وأما أنا، فإن القرآن عندي بثلاث لغات». قال الهلالي: "فقلت له: أما الإنجيل بالعربية فلغته ركيكة لا تفهم، وأما بالإنكليزية، فأنا أدرسها لأقرأه بها». قال: "فقال لي _ أي القسيس _: عدني أن تقرأه وأنا أطلب لك نسخة من لندن، تصلك بعد شهر، فوعدته، فلما وصلته النسخة، كتب إليّ معها كتاباً بالإنجليزية، جاء فيه: أسأل الله أن يعطيك في هذا الكتاب بركات كثيرة! فأخذت في قراءته، واستخرجت الكلمات التي لم أفهمها من المعاجم، ثم قرأته المرة الثالثة، وذكرت تلك المسائل في جزء سمّيته "حواش شتى على إنجيل متى"، ونشرت هذا الجزء في مجلة "الشبان المسلمين" التي تصدر في البصرة، كان يصدرها صديقنا الحاج طه الفياض رحمة الله عليه، ولما أخبرت بهذه الحواشي الأمير شكيب أرسلان كله سألني عنها، فقلت: ضاعت في المطبعة، فتأسفت كثيراً على ضياعها، وأنا الآن مستعد أن أؤلف حواشي مثلها، أو أحسن منها، ولكن الكثير من إخواننا المسلمين لا يهتمون بالدفاع عن دينهم، ولا يعينون من أراد أن يدافع عنه بل يخذلونه"! في قصة طويلة ذكرها في "البراهين الإنجيلية» (ص ٢٠ - ٢٧).

قال أبو عبيدة: أتعبت هاتفي، وأكللت طلبة العلم في العراق باتصالاتي، وأنا أتطلّب مقالات الهلالي المنشورة هناك، وحصلت على قسم لا بأس به منها، ضمّنتها كتابي «مقالات الهلالي»، ولم أظفر لغاية كتابة هذه السطور بِ«حواش شتى»، والأيام حبالى، والله الرزاق، وهو الوهاب، وما كنت أحلم أن أحصل شيئاً ذا بال من هناك، فمن الرب على علي بمقالات من بلاد شتى، مكثت قرابة خمس سنوات أتطلّبها، لترى _ إن شاء الله _ قريباً النور، أسأل الله أن ينفع بها، ويشرح لها القلوب والصدور، وأن ييسر لى الأمور.



وفي (الفصل ٢٠ رقم ١٦) من «يوحنا»: «قال لها يسوع: يا مريم، فالتفتت تلك، وقالت له: ربُّوني، ومعناه: يا معلم، قال يسوع: لا تلمسيني؛ لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية، وأخبرت التلاميذ أنها رأت السيد، وأنه قال لها ذلك». اه.

أقول: فقد شهد المسيح أن الله إلهه وإلههم، ولا فرق بينه وبينهم في العبودية، فمن زعم أن المسيح إله فقد كذَّب المسيح، وكذَّب جميعَ الأنبياء والمرسلين.

قال محمد تقي الدين: ولم أنقل هنا كل (البراهين) التي في «الأناجيل»، وهي تدل دلالة قطعية على عبودية المسيح، وأن الألوهية خاصة بالله سبحانه، ولا حظ فيها للمسيح، ولكن القسيسين والرهبان يخدعون أتباعهم، ويضلونهم وهم يعلمون أنهم كاذبون خادعون.

🖮 الباب الرابع 🔫

قولمه تىعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَجِيرَةٍ وَلَا سَآيِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِ وَلَكِكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبُّ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَقْقِلُونَ ۞ ﴿ اللَّائدة: ١٠٣]

قال (ك): «قال البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب قال: «البحيرة: التي يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء»(۱)ه. قال صاحب «اللسان»: «ومنه ـ أي البحر، بمعنى الشق ـ قيل للناقة التي كانوا يشقون في أذنها شقاً بَحِيرة، وبَحَرْتُ أُذُنَ الناقة بحراً: شققتُها وخرقْتُها، ابن سيده: بَحَرَ الناقة والشاة يَبْحَرُها بَحْراً: شق أذنها بنصفين، وقيل: بنصفين طولاً، وهي البَحِيرة، وكانت العرب تفعل بهما أذنها بذا نُتِجتا عشرة أبطن، فلا يُنتفع منهما بلبن ولا ظَهْر، وتُتْرك البَحِيرة ترعى اوتشرب](۱) الماء، ويُحرّم لحمها على النساء، ويحلّل للرجال، فنهى الله تعالى

⁽۱) أخرجه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦) من طريق ابن شهاب عن ابن المسيب به. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٣٨٨/٥).

⁽٢) في مطبوع «اللسان»: «وترد».



عن ذلك فقال: ﴿مَا جَمَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآبِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَالِم ﴾ ثم قال: قال أبو إسحاق النحوي: أثبتُ ما [رويناه](۱) عن أهل اللغة في البَحِيرة، أنها الناقة كانت إذا نُتِجَتْ خمسة أبطن فكان آخرها ذكراً، بَحَروا أُذنها، أي: شقوها وأَعْفَوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح، ولا تذاد(٢) عن ماء ترده، ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها المُعيى المنقطع(٣) به لم يركبها، وجاء في الحديث(٤): "إن أوّل من بحر البحائر، وحمى الحامي، وغيّر دينَ إسماعيل، عمرو بن لحي»(٥). اه. كلام «لسان العرب».

قال محمد تقي الدين: وفيما نقله ابن منظور صاحب «اللسان» عن اللغويين هنا تناقض، فقد نقل عن بعضهم أن لحم البحيرة يحرم على النساء دون الرجال عند أهل الجاهلية، ونقل عن أبي إسحاق النحوي، أنهم لم يكونوا يذبحونها، يعني: لم يكونوا ينحرونها، فإن الإبل لا تذبح وإنما تنحر، وفيه تناقض آخر، وهو أن بعضهم قال: إذا نتجت عشرة أبطن، وأبو إسحاق قال: إذا نتجت عشرة أبطن، وأبو إسحاق قال: إذا نتجت خمسة أبطن، ثم قال (ك): «قال أبو هريرة: قال رسول الله على النار، كان أول من سيب السوائب»(٢).

و(الوصيلة): الناقة تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثنّي بعد بأنثى، وكانوا يسيّبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.

و(الحام): فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه وَدَعُوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي. كذا رواه

⁽١) في مطبوع «اللسان»: «روينا». (٢) في مطبوع «اللسان»: «تُحلاً».

⁽٣) كذا في مطبوع «اللسان»، وفي الأصل: «المتقطع»!!

⁽٤) أخرجه أحمد وابن أبي عروبة وابن منده _ كما في «الإصابة» (٢١/١ _ ترجمة أكثم بن أبي الجَوْن)، وابن إسحاق _ كما في «سيرة ابن هشام» (٢٨/١، ٧٩) _، وابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٢٧)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٨٣)، والحاكم (٢٠٥/٤) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وإسناده حسن، وله شاهد في «الصحيح» يأتي قريباً.

⁽٥) «لسان العرب» (٤٣/٤ _ بحر).

⁽٦) أخرجه البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٢٦٤) من حديث عائشة بنحوه.



مسلم والنسائي»(١). ثم قال (٧): «فعمرو هذا هو ابن لحي بن قمعة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جُرهم، وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل فأدخل الأصنام إلى الحجاز، ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بِلَّهِ مِمَّا ذَرّاً مِنَ ٱلْحَرَثِ وَالْأَنْعَلَمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦] إلى آخر الآيات.

وأما (السائبة)، فقال محمد بن إسحاق: هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر، سُيِّبتْ فلم تركب، ولم يُجَزِّ وبرها، ولم يحلب لبنها إلا لضيف». اهر (٢). وهناك أقوال في تفسير السائبة ذكرها (٤)، تركتها اختصاراً. ثم قال (٤): «وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَأَكْتُرُهُم لا يَعْقِلُونَ ﴾ أي: ما شرع الله هذه الأشياء، ولا هي عنده قُربة، ولكن المشركين افتروا ذلك، وجعلوه شرعاً لهم، وقُربة يتقرّبون بها، وليس ذلك بحاصل لهم، بل هو وبال عليهم» (٣).

قال محمد تقي الدين: كل من أشرك بالله، وعبد معه غيره من المخلوقين، سواء كان ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً، أو صالحاً تقياً، يختل دينه وعقله حتى يهبط إلى عبادة الحيوان الأعجم، كأهل الهند الوثنيين الذين يعبدون البقرة الأنثى ولا يعبدون الثور، ويعبدون الفروج، وعبادة الحيوان الأعجم شائعة عند المشركين في كل زمان ومكان، فقد حدثني شيخنا الورع التقي الزاهد محمد سيدي بن حبيب الله (٤) ـ رحمة الله عليه ـ أن أحد العلماء في بلاد شنقيط كان

⁽۱) أخرجه مسلم (۲۸۵٦)، والنسائي في «الكبرى» (۱۱۱۵٦)، وأحمد (۲/٣٦٦) وغيرهم.

⁾ انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٩٩٣/٥ ـ ٣٩٤).

⁽٤) هو شنقيطي، وأول شيخ تعلم منه الهلالي مبادئ العلوم الشرعية وعلم النحو، ولازمه نحو سبع سنوات، وظفرتُ برسالة للهلالي كتبها وهو يدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ومؤرخة به ١٣٩/١//١٨ه، وأرسلها للهند للشيخ عبد الرحيم أشرف، ومما جاء فيها ترجمة موجزة لشيخه هذا، وهذا ما يخصنا منها:

[«]وأشهد الله أنني كنت أتعلم مبادئ العلوم من شيخنا محمد سيدي بن حبيب الله التندغي ـ نسبة إلى قبيلة تندغ ـ الشنقيطي المغربي، وكان في بادية حيان ـ قبيلة من بلاد الجزائر ـ، أسس مدرسة وكان عدد تلامذته عشرة، المدرسة خيمة نصبها لهم بقرب خيمته التي يسكن فيها مع أهل بيته، فكان كنالله يأتينا بقصعة الطعام ونحن شباب وهو كهل فيضعها =



له بقر كثير وله رعاة، وكان يتفقّد هذا البقر الفينة بعد الفينة، فذهب ذات يوم ليتفقد بقره، فرأى الرعاة يمتاحون الماء من البئر ليملؤوا الحوض الذي يرده البقر، ويمنعون البقر من الورود حتى يمتلئ الحوض، إلا بقرة واحدة فإنها تقدمت لتشرب فلم يمنعها أحد، فقال للراعي: امنع تلك البقرة حتى ترد مع سائر البقر، فقال: يا سيدي هذه البقرة فيها بركة، فقد جربنا أننا كلما زجرناها أو ضربناها تموت بقرة أخرى! فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويلكم، بلغ بكم الجهل إلى عبادة البقر، اضربها، فضربها، فماتت بقرة أخرى فأخبروه بذلك، فقال: اضربوها كل يوم ولو فني البقر كله، فضربوها للمرة الثانية فماتت بقرة أخرى، ثم صاروا يضربونها فلا يموت شيء من البقر. ورأيت في مصر ثيراناً وعجولاً مسيَّبة معظَّمة، تفعل كل يوم جرائم في المزارع، وفي داخل البيوت، فلا يتعرض لها أحد بسوء، يسمى كل واحد منها (عجل السيد) ـ الجيم ينطق بها «كافاً» معقودة في الوجه البحري، أي الشمال، وجيماً عربية في الوجه القبلي، أي الجنوب، وهذا عيب في عامة القراء والخطباء والمذيعين من المصريين، قلَّ من يهتم به منهم، يُغيِّرون نُطق هذا الحرف بحرف عجمي، لا وجود له في اللغة العربية الفصحي، حاشا قراء القرآن، فإنهم ينطقون بها نطقاً صحيحاً _ ثم نعود إلى الكلام على (عجل السيد)، فقلت لهم: وما معنى عجل السيد؟ قالوا: ينذر الواحد من الناس إن ولدت له بقرته عجلاً أن يهبه للسيد أحمد البدوي المدفون في طنطا، وله موسم سنوى تشارك فيه الحكومة باحتفال عظيم، يحضره عشرات الألوف حتى يموت بعض الناس من الزحام، وتكتب رقاع الشكايات والرغبات وتلقى في مكان معلوم في التابوت الذي على قبره (١)، ولا يكاد يغير هذا المنكر إلا القليل من علماء مصر، وتجيء البغايا

أمامنا فنأكل أطايبها ونترك الفضلة بعد أن نشبع، فيأكل من تلك الفضلة أمامنا، ولا يزيد على ذلك شيئاً، ولزمته سبع سنين، فالتمس منه أحد الأمراء أن يعطيه أحد تلامذته ليؤسس له مدرسة، ويتعلم فيها الأمير وأبناؤه وغيرهم، فأمرني أن أذهب معه، وقال لي: «كل من جاءك ليطلب العلم فاحتقد أن له فضلاً عليك، وإياك أن تعتقد العكس؛ لأنه هذّب نفسه وجاهدها حتى ارتضاك معلماً، وجلس بين يديك، فابذل كل جهد في استبقاء مودته ونشاطه واجتهاده». وأشهد بالله أني عاجز كل العجز عن اقتفاء سيرته وأخلاقه، ولكني أرجو الله تعالى أن لا يحرمني من الأخلاق الحسنة التي تحسن بالعالم والمتعلم».

⁽١) وما زال الجهلة والضلال يفعلون هذا عند قبور الصحابة، وقد أخبرني بعض القائمين =



لحضور هذا الموسم فيتصدقن بفروجهن! كما أخبرني بذلك الشيخ عبد الرحمن حسن رحمة الله عليه، أخبرني أن (....) زنى بامراة عند ضريح البدوي، شم اجتمعنا به (....) وهو أشيب، فسأله عن ذلك؟ فأقر به، وقد شاع عندهم أن كل من زنى في هذا الموسم عند قبر البدوي من الرجال والنساء فذنبه مغفور؛ لأن السيد أحمد البدوي بحر، والبحر لا تؤثر فيه النجاسة، وهذا الأمر قديم.

فقد ذكر الشعراني في «الطبقات الكبرى» أن فقيهاً كان ينكر على الفساق ما يرتكبونه من الفواحش عند ضريح البدوي، فأنكر عليهم ذات يوم ثم رجع إلى بيته، فقدَّموا له سمكاً، فأخذ يأكل، فغُصَّ بعظم صغير من عظام السمك، ووقف في حلقه لا يصعد ولا يهبط، ثم تعفَّن الجرح فصار الصديد يخرج من فمه ولا يستطيع أن يأكل شيئاً، وإنما يتغذى بقليل من لبن الحليب وبقي على ذلك سنتين، فخطر في باله أن سبب هذه المصيبة إنكاره على الفساق فجورهم عند قبر السيد أحمد البدوى، فتاب إليه وندم، ففي الحالى سقط صبى من الدرج إلى أسفل، فصاح الرجل صيحة عظيمة، فخرج العظيم وبرئ الجرح(١)، وهذا شر من عبادة أهل الهند للبقرة. أما (عجل السيد) فلا يزال يعيث فساداً في البساتين والبيوت، ينطح الصغار، ويأكل كلُّ ما وجد إليه سبيلاً، وهو مقدَّس، لا يضرب ولا يمس بسوء. الناس كلهم يقدمون له العلف فيسمن سمناً. فاحشاً، حتى أنهم يضربون به المثل، فيقال: «فلان سمين زي عكل السيد» يعني: مثل عجل السيد، فإذا تم نموه ساقوه باحتفال عظيم إلى ضريح السيد أحمد البدوي وذبحوه قرباناً له، وهذا من أعظم الجهل والكفر. ولما هدى الله أهل الريرمون من صعيد مصر في مديرية أسيوط، بدعوتي (٢) سنة ١٣٤١هـ كانت عندهم عجول وثيران منذورة للسيد أحمد البدوي، فسألوني: ماذا يصنعون بها، أيذبحونها لله ويوزعون لحمها على الفقراء؟ فقلت لهم: لا تذبحوها لئلا

على الاحتساب عند قبور شهداء أحد، أنهم يجدون بين الفينة والفينة رقاعاً وشكايات وطلبات من الأموات! ولا قوة إلا بالله.

⁽۱) سيعيد المصنف هذه القصة في (ص٥٤٣)، انظر تعليقنا هناك، ومنه تعلم الخرافات والأوابد، والطامات والبلايا الموجودة في «الطبقات الكبرى» للشعراني، ولا قوة إلا بالله!

⁽٢) فصل المصنف في كتابه «الدعوة إلى الله تعالى» (ص١٦ - ٢٥) ما قام به من جهد في دعوة أهل (الريرمون) وما حصل له هناك، وتبيّن لي أنه بقي مراسلاً بعضهم إلى وفاته، متواصياً وإياء بالحق والصبر.



يوسوس لكم الشيطان فتقصدوا بها المخلوق، بل بيعوها وتصدَّقوا بثمنها على الفقراء.

ومن عبادة البهائم: ما حكى لي ثقة من أهل طرابلس الغرب، أنه كان هناك شيخ صوفي منقطع هو وأصحابه للعبادة، وكان له حمار يبعثه كل يوم يدور في القرية وعليه خرج، فيمر على البيوت فيضع أهل كل بيت في الخرج ما تيسر من الطعام، ثم يرجع الحمار بذلك الطعام إلى الشيخ فيأكله هو والمريدون، فلما مات الشيخ وتفرق تلاميذه بقي الحمار بلا عمل، فأخذ أهل القرية يقدمون له العلف ويتبركون به، فلما مات دفنوه وبنوا عليه قُبةً، وصاروا يعبدون قبره.

ومن ذلك أن رجلاً فرنسياً كان في المغرب يملك أراضي واسعة في زمان الاستعمار، وكان له كلب عزيز عنده، فمات ذلك الكلب فدفنه، وجصص قبره وبنى عليه قبة، فلما ثار المغاربة على الفرنسيين، وأخذوا يقتلونهم حيثما وجدوهم، وهرب ذلك الفرنسي إلى فرنسة، فلما استقل المغرب واستقرت أحواله وعم فيه الأمن، رجع ذلك الفرنسي إلى أرضه فوجد الجهال يعبدون ضريح الكلب بالذبح والنذر والاحتفال، ويشغلون قطعة من أرضه التي حول القبة، فكلمهم برفق وطلب منهم أن يخرجوا من أرضه، فغضبوا وأرادوا أن يبطشوا به، فذهب إلى رئيس الشرطة وأخبره، وقال له: إن هؤلاء القوم استولوا على قطعة من أرضي وزعموا أن هناك قبر ولي من الأولياء، فأرجو أن تبعث معي بعض رجالك لنبش قبره، فإن وجدنا فيه آدمياً رجلاً أو امرأة، فالأرض كلها لهم، وإن وجدنا كلباً يتركون أرضي ويعلمون أنهم كانوا يعبدون قبر كلب، فبعث معه بعض رجاله، ونبشوا القبر، فوجدوا المدفون فيه كلباً.

ومن ذلك أن معلمة اسمها خديجة النعيمي ـ المعلمة في مدينة الدار البيضاء من المملكة المغربية ـ كانت تسير مع نسوة جاهلات، فمررن بكوم من حجارة، فأخذت النسوة يقبّلن الأحجار، ويقُلن: (انتاع الله لله يا للا حمارة) معناه: أعطينا شيئاً لوجه الله يا سيدتنا الحمارة، يعنين الأتان أنثى الحمير، قالت: فقلتُ لهن: أتتخذن الأولياء حتى من الحمير؟ قالت: فغضبن وقلن لي: احذري نقمتها، إنها ولية كبيرة، تقضي الحاجات، فكتبت خديجة النعيمي مقالاً يتضمن هذه القصة، وقالت فيه: أيها العلماء! اتقوا الله وعلموا الناس أمور دينهم، فقد أهملتموهم حتى صاروا يعبدون الحمير، فكتبتُ أنا مقالاً طويلاً



نشرته صحيفة «العَلمَ» (١) موزَّعاً على ثلاثة أجزاء، بيَّنتُ فيه توحيد الله تعالى، ولم يستجب لدعوتها أحد غيري.

ومن ذلك أن صخرة فاتنة (٢) خارجة عن الماء بقرب شاطئ طنجة، يسميها الجهال: (سيدي ميمون) ويعبدونها بالذبح والنذر، وسبب معرفتي لهذا: أني ركبت سيارة حافلة من طنجة إلى تطوان، وكان بقربي شاب وبجانبه زوجته، سلم علي فلم أعرفه، فقال لي: أنا واحد من الذين يحضرون دروس وعظك في الجامع الأعظم بتطوان، وهذه زوجتي، وإذ كنا لا يعيش لنا ولد، نذرت زوجتي إن ولد لنا ولد أن تذبح لسيدي ميمون في كل سنة شاة ما دام حياً، فولد لنا ولد وقد كاد يتم السنة الأولى من عمره، وهي تطالبني بالذبيحة، فقلتُ لها _حسب ما سمعت منك _ إن هذا شرك، وإنه لا يتصرف في الخلق بالإحياء والإماتة إلا الله، فلم تقتنع، فأرجو أن تكلمها لعل الله يهديها، فكلمتها مدة ساعة إلى أن وصلنا تطوان، ولا أدري هل نفعها الله بما قلت لها أم لا؟

ومن ذلك أن بئراً في القصر الكبير في شمال المغرب يقصدها كل من يحس بوجع رأسه، ويطلب من ساكنها _ ميمون بن شمهروش أمير الجن _ الشفاء، إلى غير ذلك، فهؤلاء بلغوا في الجهل والشرك بالله أكثر مما بلغه المشركون الأولون.

∺ الباب الخاوس 🔫

⁽۱) حصلته _ ولله الحمد _، وهو منشور فيها في السنة (۱۵) الأعداد (٤١١٣، ٤١١٩، ٤١١٩، والله المعنف، (١٥) سنة ١٣٨٠هـ _ ١٩٦٠م. ووضعته في «المقالات» التي جمعتها للمصنف، ويسر الله لي _ بمنه وكرمه _ كثيراً من المقالات النادرة النافعة الماتعة، زاد عددها لغاية كتابة هذه السطور على الثمان مئة، وهي الآن قيد التنضيد، يسر الله نشرها والانتفاع بها، بمنّه وكرمه، فهي تفرح دعاة التوحيد والسنة.

⁽٢) كذا في الأصل: ولعل صوابها: «ناتئة».



ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمٌ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدُ ۞ إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٨]

قال (ك): «هذا أيضاً مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: ﴿ يَاعِيسَى ابنَ مَرْمَمَ ءَأَنتَ لَهُ يُومِ القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: ﴿ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْمَمَ ءَأَنتَ لَلنَّاسِ النَّهِ وَفِي وَأَمِّى إِلَاهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ وهذا تهديد للنصارى، وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد، هكذا قاله (١) قتادة وغيره.

واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى: ﴿ هَلَا يُوْمُ يَنَفَعُ الْصَّلْدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩] وقال السدي: هذا الخطاب والجواب في الدنيا، قال ابن جرير: هذا هو الصواب، وكان ذلك حين رفعه إلى السماء الدنيا، واحتج ابن جرير (٢) على ذلك بمعنيين:

أحدهما: إن الكلام بلفظ المضي.

والثاني: قوله: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ ﴿ وَإِن تَغْفِر لَهُمْ ﴾. وهذان الدليلان فيهما نظر ؟ لأن كثيراً من أمور القيامة ذكر بلفظ الماضي ليدل على الوقوع والثبوت، ومعنى قوله: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُ ﴾ الآية التبري منهم، ورد المشيئة فيهم إلى الله، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه، كما في نظائر ذلك من الآيات، والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر ـ والله أعلم ـ أن ذلك كائن يوم القيامة، ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة »(٣).

قال محمد تقي الدين: تقدم (٤) أن النسخة التي بأيدينا من «تفسير ابن كثير» فيها اختلال في مواضع متعددة، وقد نظرت في نسخة أخرى مطبوعة في بيروت فوجدتها مختلة أيضاً، ولذلك سأتكلم في تفسير ما بقي من هذه الآيات بما يفتح الله به، فأقول: يسأل الله تعالى عيسى ابن مريم يوم القيامة وهو عليم بما وقع، توبيخاً للنصارى وتكذيباً لهم ليفضحهم على رؤوس الأشهاد، وليتبرأ عيسى مما نسبوه إليه كذباً وزوراً، وقد تقدم نقل ما في «أناجيلهم» مما بقي من الحق، ولم يشمله التحريف والحذف والتبديل ما يشهد عليهم بالكذب، وهو موافق لما

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قال». (٢) انظر: «تفسيره» (٩/١٤٢).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٢٥ _ ٤٢٦).

⁽٤) (ص ۲۸۱).

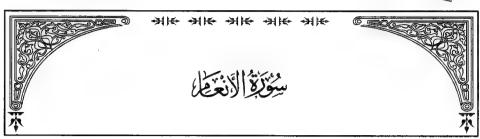


جاء به القرآن، فياحسرتهم وندامتهم حين يسمعون جواب عيسى وهو يقول: ﴿ سُبِّكَنَكَ ﴾ أي: أنزهك عن الشريك ﴿ مَا يَكُونُ لِيَّ ﴾ أي: لا يجوز لي ولا ينبغي لي: ﴿ أَنَّ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ وهو اتخاذهم لي ولأمي إلهين من دون الله ﴿ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَمُّ ﴾ فأنت تعلم، أني لم أقل ذلك ﴿تَمْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ لأنك بكل شيء عليم ﴿ وَلا آَعَلُمُ مَا فِي نَفْسِكُ ﴾ وإنما أعلم ما علمتني ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّمُ ٱلْغَيُوبِ﴾ ولا يعلم الغيب أحد سواك ﴿مَا قُلْتُ لَمُمَّ إِلَّا مَاۤ أَمْرَتَنِي بِدِء ۚ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمُّ ﴾ وقد تقدم ما نقلناه من الإنجيل مما يطابق ما هو في القرآن من توحيد الله في ربوبيته وفي عبادته، ثم قال: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمَّتُ فِيهِمْ ﴾ أي: كنت شاهداً على بني إسرائيل مدة بقائي معهم ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْنَي ﴾ أي: المكث والمدة التي قضيت لي أن أكون معهم ورفعتني إليك ﴿كُنْتَ أَنتَ﴾ وحدك ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمُّ﴾ تعلم ما يفعلون ولم يبق لي أنا علم بأعمالهم، فإن قيل: قوله: ﴿ تَوَفَّيَّتَنِي ﴾ دليل على موت عيسى كما تدَّعي النصارى واليهود، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِنَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَغَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] فالجواب: إن التوفي في لغة العرب لا يدل دائماً على الموت، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتُوفَنَكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَادِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلُ مُسَمَّى ﴿ [الأنعام: ٢٠] فالتوفي هنا بمعنى النوم.



السمائدة: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَلَهُ النَّارُّ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ أَنْصَارِ ﴾ [المائدة: ٧٧] وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِد وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءً وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ إِللَّهُ فَقَدِ الْفَرَى إِنَّمًا عَظِيمًا ﴿ إِللَّهِ فَقَدِ الْفَرَى إِنَّمًا عَظِيمًا ﴿ إِللَهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل





∺ الباب الأول 😣

قال تعالى: ﴿ هُو وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي النَّيْلِ وَالنَّهَارِّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ وَلَا تَكُونَ اللَّهِ النَّهِ النَّهِ الْخِدُ وَلِيّا فَاطِرِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَهُو يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّ الْمُشْرِكِينَ ۚ فَلَ أَمْرَتُ أَنْ أَصُونَ أَوْلَ مَنْ أَسْلَمْ وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ فَقُ قُلْ إِنِّ الْمُشْرِكِينَ فَلَ قُلْ إِنَّ عَصَيْبَ وَي عَلَيدِ فَقَ عَنْهُ وَمَا اللّهُ يِضَرِّ فَلَا يَوْمِ عَظِيدٍ فَقَد رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ فَلَ وَإِن يَمْسَسُكَ اللّهُ يِضُرِّ فَلَا يَوْمَ عَظِيدٍ فَقُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَلِيرُ فَلَا يَوْمَ وَلَا يَعْسَسُكَ اللّهُ يَضَرِّ فَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَلِيرُ فَلَا اللّهُ يَعْمَرُ فَلَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِلْ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِلْ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِلْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِلًا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِلًا اللّهُ وَاللّهُ وَمِلْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِلْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ الللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللل

قال (ك): «ثم قال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي النَّهِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي (١): كل دابة في السموات والأرض، الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه وتدبيره، لا إله إلا هو. ﴿ وَهُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم، ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد على الذي بعثه بالتوحيد العظيم، وبالشرع القويم، وأمره أن يدعو الناس إلى صراط الله المستقيم: ﴿ قُلُ النَّهِ اللَّهِ تَأْمُرُونَ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ اللَّهُ وحده الله المستقيم الله فاطر السموات والأرض، أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق، ﴿ وَهُو فَاطر السموات والأرض، أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق، ﴿ وَهُو

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «إنّ»!



يُطّعِمُ وَلَا يُطْمَدُ اِي: هو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم، كما قال تعالى:
﴿ وَمَا خَلَقْتُ اَلِجْنَ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعَبُدُونِ ﴿ اللَّهِ الذَارِيات: ٥٦] وقرأ بعضهم ههنا:
﴿ وَهُو يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ اَي: لا يأكل، وفي حديث ابن أبي صالح، عن أبي هريرة (١) وهي قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي على على طعام، فانطلقنا معه، فلما طعم النبي على وغسل يديه، قال: «الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم، ومنَّ علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا من الشراب، وكسانا من العري وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافئ ولا مكفور ولا مستغنى عنه، الحمد لله أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العري، وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين (٢).

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّ أُمِّرَتُ أَنَّ أَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَسَلَمُ ۚ أِي: من هذه الأمة، ﴿ وَلَا تَكُونَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِي عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ ﴿ وَلَا تَكُونَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِي عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ ﴿ وَالْ اللّهِ عَنْهُ ﴾ أي: العذاب ﴿ يَوْمَ إِنِ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ بيعني: يعم القيامة ﴿ مَن يُصَرَفَ عَنْهُ ﴾ أي: العذاب ﴿ يَوْمَ إِن فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ بيعني: فقد رحمه الله: ﴿ وَذَلِكَ ٱلْفَرُزُ ٱلمُبِينُ ﴾ كقوله: ﴿ فَمَن رُحْزِحَ عَنِ ٱلنّارِ وَأَدْخِلَ ٱلْجَدَّةَ فَاذً ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والفوز (٣) حصول الربح ونفي الخسارة (٤).

«ويقول تعالى مخبراً أنه مالك الضر والنفع، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه: ﴿وَإِن يَمْسَسَكَ اللّهُ بِشُرِّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُۥ إِلّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسَكَ اللّهُ بِشُرِّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُۥ إِلّا هُوَ ۗ وَإِن يَمْسَسَكَ بِغَيْرِ فَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ كقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَج اللّهُ

⁽١) كذا في الأصل: وصوابه «سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة».

⁽۲) أخرجه النسائي في «الكبرى» (۱۰۱۳۳/۱) _ وهو في «عمل اليوم والليلة» (۳۰۱) _ وابن أبي الدنيا في «الشكر» (۱۰) ، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي هي» (۲۸۰) ، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (۹۹۵ ، ۹۹۵) ، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (۲۸۱) وابن حبان (۲۱۹۵) ، والطبراني في «الدعاء» (۸۹۲/۵) ، والحاكم (۲۱۹۵) ، وأبو نعيم وابن حبان (۲۱۹۵) ، والبيعقي في «الشمائل المحمدية» (۱۰۳۸) ، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٤٣٧) ، والبغوي في «الشمائل المحمدية» (۱۰۳۸) ، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٤٣٧) ، وفي «الدعوات الكبير» (٤٧٧) ، والشجري في «الأمالي» (۲۱۳۵) ، وعبد الغني المقدسي في «الأربعين في «الأربعين في فضل الدعاء والداعين» (ص٠١٥) ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، والحديث حسن غريب، قاله ابن حجر في «نتائج الأفكار» (۲/ق ۲۲۹).

⁽٣) بعده في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هو».

⁽٤) انظر: «تفسير آبن كثير» (٦٤/٦ ـ ١٦).



لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِمِنَّ ۗ [فساطسر: ٢] وفسى «الصحيح»(١) أن رسول الله على كان يقول: «لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد". ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُو الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِوِّهِ ﴾ أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته (٢) الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ أي: في جميع [أفعاله] (٣) ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ [بمواضيع] (٤) الأشياء ومحالُّها فلا يعطي إلا [من يستحق](٥) ثم قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكُبُرُ شَهَدَةً ﴾ أي: من أعظم الأشياء شهادة؟ ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدًا بَيِّنِي وَمَيْنَكُمُّ ﴾ أي: هو العالم بما جُنتكم به، وما أنتم قائلون لي ﴿وَأُوحِيَ إِلَّ هَلَا ٱلْقُرْءَانُ لِأَنْذِرْكُم بِهِه وَمَنْ بَلَغَّ﴾ أي: وهو نذير لكل من بلغه، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرُ بِهِ مِنَ ٱلْأَخْرَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُمْ ﴾ [هود: ١٧] قال ابن [أبي](٢) حاتم وذكر سنده إلى محمد بن كعب في قوله: ﴿وَمَنْ بِلَغَّ ﴾: "من بلغه معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ لِأَنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَّ ﴾ أن رسول الله علي قال: «بلغوا عن الله، فمن بلغه آية من كتاب الله، فقد بلغه أمر الله» (٨). وقال الربيع بن أنس: حق على من اتبع رسول الله على أن يدعو كالذي دعا رسول الله على، وأن ينذر بالذي أنذر(٩)، وقوله: ﴿ أَبِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ أيها المشركون ﴿ أَتَ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً

⁽۱) أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (١٣٧)، وأبو داود (١٥٠٥)، وغيرهم من حديث المغيرة بن شعبة.

⁽٢) بعدها في الأصل: «على» وهي غير موجودة في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ما يفعله».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بمواضع».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لمن يستحق، ولا يمنع إلَّا من يستحق».

⁽٦) سقطت من الأصل!

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ٧١٦٥)، وابن جرير (١١/ ١٣١٢٠) في «تفسيريهما».

⁽٨) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٠٥) ومن طريقه ابن جرير (١٣/١٩/١١)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٦٦٦) جميعهم في «التفسير»، من مرسل قتادة، فهو ضعيف، وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» (٣/٣١) إلى عبد بن حميد.

⁽٩) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/٧١٦٧).



أَخْرَىٰۚ قُل لَآ أَشْهَذُۗ﴾ كقوله: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَكَدْ مَعَهُمُّ ۖ [الأنعام: ١٥٠] ﴿قُلَ إِنَّمَا هُوَ إِلَكُ وَنَطِدُ وَإِنَّنِى بَرِئَةً مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾»(١).

قال محمد تقي الدين: في هذا الباب فوائد:

الأولى: أن قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْيَلِ وَالنّهَارِ ﴾ هو من السكني، أي: له ما حل في الليل والنهار.

الثانية: معنى: ﴿أَيَّذُ وَلِنَّ﴾ أي: أتولاه بالعبادة والطاعة والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والتوكل والدعاء والاستعانة والاستغاثة والمحبة والذبح والنذر والصلاة وسائر أنواع العبادة، لا أجعل لغيره شيئاً منها، فالمسلم المحقق للتوحيد ليس له ولي إلا الله، والمشرك المتهوك يتخذ أولياء من دون الله، يستغيث بهم في الشدائد، ويرجوهم ويخافهم، وقد نهى الله عن اتخاذ الأولياء من دونه في مواضع كثيرة من القرآن، سيأتي ذكرها في مواضعها إن شاء الله.

الشالشة: قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَكُ اللهُ بِصُرِ فَلا كَالِهُ وَلَا لَهُ وَلا يَضِو كَلُ مُوْ فَإِن فَكُو مَلُو فَلَا كُو مَن تيقن أنه لا ينفع إلا الله، ولا يضر إلا الله، ولا يعلى الله الله، ولا يعلى الله الله، ولا يعلى الله الله، ولا يعلى التوحيد لله، ولا ضراً، فكيف يملكه لغيره؟ كل من تيقن ذلك، فلا بدّ أن يخلص التوحيد لله، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره أبداً، ومن زعم أنه متيقن ذلك، وتعلق بالأضرحة زاعماً أنه لا يطلب منهم جلب نفع ولا دفع ضر، وإنما يتبرك بزيارة تلك الأضرحة، ويدعو الله عندها فإنه يخادع نفسه ويخادع الموحدين، ويتملق لعبّاد القبور؛ لأن الدعاء الذي يرجى قبوله، يكون في جوف الثلث الأخير من الليل، وهو ساجد في صلاته، ويكون في سجود الصلوات المفروضة في الليل، وهو ساجد في صلاته، ويكون في سجود الصلوات المفروضة في عندها الشرك من ذبح ونذر وطواف وتقبيل واستغاثة واختلاط الرجال بالنساء، فهذه الأماكن لا ينال زائرها إلا سخط الله وغضبه، فمن قدر أن يغير المنكر بهدمها أو تنفير الناس منها، فليذهب إليها بهذا القصد، ومن عجز عن ذلك، فليغير هذا المنكر بلسانه أو بقلبه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ أُمِّرْتُ أَنَّ أَكُونَ أَوَّلُ مَنْ أَسَامٌّ ﴾ الخطاب

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٦/٦ _ ١٨).



للنبي على المراد بالإسلام هنا إسلام القلب والجوارح بالقصد والتوجه لله وحده لا شريك له في العبادة والدعاء، وكل مقومات التوحيد المضادة للشرك، وقد تقدم مثل ذلك في مواضع من كتاب الله، وسيأتي إن شاء الله، وليس المراد الإسلام الظاهر فقط، الذي يشترك فيه المؤمن والمنافق.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بِلَغَ ﴾ حجة للحنفاء الذين يدعون إلى اتباع كتاب الله وبيانه من سنة رسوله ﷺ، وينبذون التقليد والتفرق في الدين، فكل من بلغه القرآن وجب عليه اتباعه إلى يوم القيامة، ومثل هذا قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ قُلُ إِنَّ مَا أَنذِرُكُم بِالْوَحْيُ ﴾ [الأنبياء: ٤٥] وقوله تعالى في سورة المنبياء: ﴿ قُالُسْتَشِيكَ بِالَّذِي أُوحِي إِلَيْكُ إِنَّكَ عَلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ وَالنَّمُ لَذِكُرٌ لَكَ السنة وَسَوَى تَسْتَقُونَ فَي الله والنه والسنة والمحيحة التي هي بيانه.

🖮 الباب الثاني 🔫

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ خَمْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَّاۤ وُكُمُ ٱلَّذِينَ كُسَّمُ تَزْعُمُونَ ﴿ ثُمَّ لَدَ تَكُن فِتَنَكُهُمْ إِلَآ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿ النّا كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ وَضَلً عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿ اللّانعام: ٢٢-٢٤]

قال (ك): "يقول تعالى مخبراً عن المشركين: ﴿وَيَوْمَ غَشُرُهُمْ جَيِعًا ﴾ يوم القيامة، فيسألهم عن الأصنام والأنداد التي كانوا يعبدونها (١) قائلاً لهم: ﴿إَيْنَ مُرَّكَا وَكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ رَبَّعُمُونَ ﴾ كقوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرِكَا إِن كُنتُمْ رَزَّعُمُونَ ﴿ وَهُوله تعالى: ﴿فُدَّ لَا تَكُن فَتَنَائُهُمْ ﴾ أي: حجتهم ﴿إِلَّا أَن قَالُوا وَاللّهِ رَبِنا مَا كُناً مُشْرِكِينَ ﴾ قال الضحاك: عن ابن عباس: ﴿فُدَّ لَدُ تَكُن فِتَنَائُهُمْ ﴾ أي: حجتهم ﴿إِلَّا أَن قَالُوا وَاللّهِ رَبِنا مَا كُنا مُشْرِكِينَ ﴾ قال الضحاك: عن ابن عباس: ﴿فُدَّ لَدَ تَكُن فِتَنَائُهُمْ ﴾ أي: حجتهم ﴿إِلَا أَن قَالُوا وَاللّهِ رَبِنا مَا كُنا مُشْرِكِينَ ﴾ وقال ابن جرير: "والصواب لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم اعتذاراً عما (٢) سلف من الشرك بالله ﴿إِلّا أَن قَالُوا وَاللّهِ رَبّنا مَا كُنا مُشْرِكِينَ ﴾ "". وقال ابن أبي حاتم وذكر

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من دونه».

⁽۲) في «تفسير ابن جرير»: «مما».

⁽۳) انظر: «تفسیر ابن جریر» (۹/ ۱۹۱ _ ۱۹۲).



سنده إلى ابن عباس: "إنه أتاه رجل فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم إذا (١) رأوا أنه لا يدخل الجنة مُشْرِكِينَ﴾ قال: أما قوله: ﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم إذا (١) رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة، فقالوا: تعالوا فلنجحد، فيجحدون، فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً، فهل في قلبك الآن شيء؟ [لأنه] (٢) ليس من القرآن شيء إلا ونزل (١) فيه شيء، ولكن لا تعلمون وجهه» (١). وقوله سبحانه: ﴿انظُرَ كَنْهُوا عَنَ كَذَبُوا عَنَ أَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿ كَفُولُه ؛ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَمُثَم أَيْنَ مَا كُتُمُ مَنْ رُونِ ٱللّهِ قَالُوا صَلُوا عَنّا﴾ [غافر: ٣٧، ٤٧]» (٥).

🔀 الباب الثالث 😣

قال تعالى: ﴿ قُلُ أَرَءَيْنَكُمْ إِنَّ أَتَنْكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَنْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ فَيَكُمْ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ فَيَكُمْ اللَّهَ مَا تَدْعُونَ اللَّهِ إِنَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكُمْ اللَّهُ مَا تَدْعُونَ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ مَا تَشْرِكُونَ اللَّهِ [الأنعام: ١٠، ١١]

قال (ك): "يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد، المتصرف في خلقه بما يشاء، وأنه لا معقب لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه، بل هو وحده لا شريك له الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء، ولهذا قال: ﴿قُلُ أَرَءَيْتُكُمْ إِنَّ أَتَنكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَنكُمُ السَّاعَةُ ﴾ أي: أتاكم هذا أو هذا ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُدُ صَلاقِينَ ﴾ أي: لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على رفع (٦) ذلك سواه، ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ صَلاقِينَ ﴾ أي: في اتخاذكم آلهة معه، ﴿بَلَ إِيّاهُ تَدْعُونَ لا يَكْشُفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءً وَتَنسَوْنَ مَا نَشْرِكُونَ ﴿ أَي: في وقت الضرورة لا فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءً وَتَنسَوْنَ مَا نَشْرِكُونَ ﴿ أَي: في وقت الضرورة لا

⁽١) من مطبوع "تفسير ابن كثير"، وسقط من الأصل.

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إنه».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقد نزل».

⁽١٤) أخرجه عبد الرزاق (١٦٠/١ ـ ١٦١)، وابن أبي حاتم (١/ ٧١٨٠)، وابن جرير (٨/ ٥٠٢)، والبيهقي (٩٥٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٤)، والحاكم (٣٠٦/٣، ٣٠٧)، والبيهقي في «السير» في «الأسماء والصفات» (٨٠٩)، وفي «البعث والنشور» (٧٨)، والذهبي في «السير» (٢٨/ ٤٨٦) وإسناده صحيح، والأثر علقه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة حم السجدة (٨/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦ ـ «فتح الباري») بصيغة الجزم.

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٨/٦ ـ ٢٠) بتصرف.

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «دفع».



تدعون أحداً سواه، وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَكُمُ النُّمُ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاأُ﴾ [الإسراء: ٢٧]»(١١).

فائدة:

قال محمد تقي الدين: دلت هذه الآية وآيات أخرى في معناها على أن المشركين الذين كانوا في زمان النبي على كانوا يشركون مع الله غيره في العبادة في وقت الرخاء، أما في وقت الشدة فكانوا لا يدعون إلا الله لكشف ما نزل بهم من الضر؛ لأنهم يعلمون مما بقي عندهم من دين إبراهيم وإسماعيل، أن الشرك بدعة وكفر لا يرضاه الله تعالى، ويعلمون أن معبوديهم ولو كانوا ملائكة أو أنبياء أو صالحين لا يستطيعون كشف ذلك الضر فيخلصون الدعاء لله، فإذا ذهب الضر عنهم وأمنوا واطمأنوا رجعوا إلى الشرك.

أما المشركون في هذا الزمان، فإنهم يشركون بالله غيره من أوثانهم وأوليائهم الذين اتخذوهم آلهة في الرخاء وفي الشدة، بل منهم من يخلص الدعاء كله في الشدائد لغير الله تعالى، ولا يذكر الله أصلاً، وأنا بنفسي وقع لي مثل هذا لما كنت مشركاً، وأنا قد ناهزت الاحتلام، كنت مع رفيق في السفر، وأحسست لما كنت مشركاً، وأنا قد ناهزت الاحتلام، كنت مع رفيق في السفر، وأحسست ب بل تيقنت ـ أنه يأتمر مع جماعة بقتلي وسلب مالي، انتبذت مكاناً بعيداً، وجلست أستغيث بالأولياء، وكلما استغثت بواحد منهم خططت في الأرض خطاً، فلما فرغت من الاستغاثة عددت الخطوط، فوجدتها أربعة وثمانين خطاً، ولم أستغث بالله، ولكن الله علم أني جاهل فرحمني وأغاثني، وظننت أنا في ذلك الوقت أن أولئك الأولياء هم الذين أغاثوني، وهم في الدار الآخرة لا علم لهم بما وقع لي ولا باستغاثتي بهم، ولو علموا ما قدروا أن يعملوا شيئاً، كما قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ وَلِكُ مُنْ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ مِن فُونِهِ مَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ مَن يُونِهِ مَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ مَن يُونِهِ مَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ وَلَوْ سَمُعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اَسْتَحَابُواْ لَكُونَ وَلَوْ مَا اللهُ وَلَوْ اللهُ الْمَالَاتُ اللهُ الْمَالِدُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ المَالَدُ اللهُ الله

ومرة كنت أطالع كتاباً في مدينة وجدة وقد انتصف الليل وانقضت الشمعة التي كنت أطالع على ضوئها، فخرجت مسرعاً لعلّي أجد دكاناً مفتوحاً لأشتري منه شمعة، وبعد لأي وجدت دكاناً مفتوحاً فاشتريت الشمعة ورجعت بها مسرعاً

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٦/٦).

متلهفاً لإكمال مطالعة الكتاب، وكنت في طريقي أسمع الطوافين يسألون الصدقات متوسلين بأسماء الأولياء، هذا يقول: من يعطيني صدقة لوجه الشيخ عبد القادر الجيلاني، والآخر يقول: لوجه فلان، والثالث يقول: لوجه فلان، وبعضهم يقول: لوجه الله، فلم أعبأ بهم، ولما وصلت البيت وأردت أن أفتحه سمعت طوَّافاً من بعيد يقول: من يعطيني صدقة لوجه سيدي أحمد التيجاني، فرجعت وأعطيته صدقة، ففي ذلك الوقت كانت رغبتي ورهبتي للشيخ التيجاني اكثر من رغبتي ورهبتي للشيخ التيجاني يمين بالله لا يصدقونك، وإذا حلفت لهم بشيخك يصدقون، وفي هذا دليل على أنهم يخافون ويرجون شيوخهم أكثر من خوفهم ورجائهم لله، ويحكى أن قوماً كانوا في سفينة فاختل سير السفينة، وبدأت تغرق فأخذ ركاب السفينة يصرخون الشيخ! ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تستغيثون بأوليائهم من دون الله، وكان معهم عالم سلفي ساكت فقالوا له: أيها الشيخ! ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تستغيث؟ فقال: أسأل الله أن يغرقكم وأنا معكم، فقالوا له: أما تخاف الله؟ أتدعو علينا بهذا الدعاء؟ فقال: إنكم تستحقون الإغراق؛ لأنكم أعرضتم عن الله الذي بيده ملكوت السموات والأرض، وأخذتم ستغيثون بالمخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

🔀 الباب الرابع 🗟

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَ يُثَمِّرُ إِنَّ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَنَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنَ إِلَّهُ عَيْدُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِيِّهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآينَتِ ثُمَّ هُمْ يَصَدِفُونَ اللَّهِ عَيْدُ اللَّهِ عَيْدُ اللَّهِ اللَّهِ عَذَابُ اللَّهِ اللَّهَ عَذَابُ اللَّهِ اللَّهَ عَذَابُ اللَّهِ اللَّهَ عَذَابُ اللَّهِ اللَّهَ عَذَا اللهِ اللَّهُ الل

«يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلَ ﴾ لهؤلاء المكذبين المعاندين: ﴿أَرَءَيْتُمُ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمَّعَكُمْ وَأَبْصَنرَكُمْ ﴾ أي: سلبكم إياها كما أعطاكموها، [كما قال تعالى](١): ﴿هُوَ الَّذِي أَنشَاكُمُ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَنَرَ ﴾ [الملك: ٢٣](٢) وقال:

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فإنه».

 ⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي ولهذا قال: ﴿وَخَهُمْ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ كما قال: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارُ ﴾».



﴿ وَاَعْلَمُواْ أَتَ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٤] وقوله: ﴿ مَنْ إِللَّهُ غَيْرُ اللّهِ يَقْدِر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم؟ لا يَقْدِر على ذلك أحد سواه، ولهذا قال: ﴿ انظُرّ كَيْفَ نُصَرّفُ الْآيكتِ ﴾ أي: نبيّنها ونوضّحها ونفسّرها، دالة على أنه لا إله إلا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال: ﴿ ثُمّ هُم يَصَدِفُونَ ﴾ أي: ثم هم مع هذا البيان يصدفون، أي: يعرضون عن الحق ويصدون الناس عن اتباعه » (١).

فائدة

قال محمد تقي الدين: إيجاد المخلوقين كلهم، واستمرار وجودهم، وإمدادهم بالقوى التي يحتاجون إليها من سمع وبصر وعقل وحركة وفهم وعلم، كل ذلك بيد الله، لم يخف مخلوقاً، ولم يرغب مخلوقاً، ولم يتوجه إلى مخلوق بطلب، ومن أشرك مع الله غيره، يتشتت همه، ويتوجه قلبه إلى غير الله تعالى من المعبودين، فيخسر في دنياه وفي أخراه، فمن خاف الله وحده خوف الله منه كل شيء، ومن خاف غير الله ورجا غير الله ولم يخف الله خوفه الله من كل شيء، وقد ذكر الحافظ ابن كثير في أخذ السمع والأبصار وجهين: أحدهما أن تذهب أسماعهم والأبصار فيصيرون عمياً وصماً، والشاني أن يحرموا الانتفاع الشرعي بالسمع والبصر، فينتفعون بأسماعهم وأبصارهم في أمور دنياهم، ولا ينتفعون بها في أمور دينهم.

أقول: لا مانع أن يراد المعنيان جميعاً؛ لأن الله تعالى يملكهما جميعاً كما يملك القلوب من كل وجه.

فائدة أخرى

ذكر الله تعالى في الآية الثانية نوعين من العذاب، أحدهما يأتي بغتة، والآخر يأتي جهرة، والعذاب الذي أصاب المسلمين في هذا الزمان وجلَّلهم خزياً وعاراً في قضية فلسطين والاستعمار، وتسلط أعداء الإسلام عليهم من الداخل والخارج يسومونهم سوء العذاب من النوع الذي جاء جهرة، ومع ذلك لا يزالون معرضين عن الله، عن شرعه وتوحيده وطاعته واتباع رسوله ﷺ، فنسأل الله العافية.

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٩/٦ - ٤٠).



🔀 الباب الخامس 😣

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَابِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَابِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِي مَلَكُ إِنَّ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىٰ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِي مَلَكُ إِنَّ أَنْدِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَنَفَكُرُونَ ﴿ وَاللَّهِ مَا لَذِرْ بِهِ اللَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيَقُونَ اللَّهُ مَا لَهُم مِن دُونِهِ وَإِنْ وَلَا شَفِيعٌ لَقَلَهُمْ يَنْقُونَ ﴿ وَلَا اللَّهُ مَا مَا وَلِهِ عَلَيْهِ مَا لَكُمْ مَنَا لَهُم مِن دُونِهِ وَإِنْ وَلَا شَفِيعٌ لَقَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿ وَلَا اللَّهُ مَا مِن وَاللَّهُ مَا لَهُ مَا لَكُمْ مِن دُونِهِ وَلِلْ شَفِيعٌ لَقَلْهُمْ يَنْقُونَ ﴿ وَلَا اللَّهُ مِن دُونِهِ وَلِكُ وَلَا شَفِيعٌ لَقَالُهُمْ يَنْقُونَ إِلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ يَنْقُونَ إِنْ اللَّهِ عَلَيْهُمْ يَنْقُونَ اللَّهِ عَلَيْهُمْ يَنْقُونَ اللَّهُ اللَّذِينَ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ يَنْقُونَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ يَنْ قُولُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ لَكُولُونَ اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَيْهُمْ يَنْ قُولُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْ لِللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُولُهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُونَا الْعَلَا عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُونَا الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعِلْمُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ الْعَلَيْكُولِ الْعِلْمُ الْعَلَالَةُ عَلَيْكُونَ الْعَلَا عَلَيْكُمُ اللّهِ الْعَلَاللّهُ عَلَا اللّهُ الْعَلَا الْعِلْمُ اللّهُ عَلَا اللّهُ اللّه

قال (ك): «يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلُ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآيِنُ ٱللَّهِ﴾ أي: لست أملكها، ولا أتصرف فيها ﴿وَلَآ أَعَلَمُ ٱلْغَيّبَ﴾ أي: ولا أقول لكم إنى أعلم الغيب، إنما ذاك من علم الله على، ولا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه ﴿ وَلَا ۚ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكُ ﴾ أي: ولا أدعي أني ملك، إنما أنا بشر من البشر يوحى إلي منِ الله ﷺ شرفني بذلك، وأنعم علي به، ولهذا قال: ﴿إِنَّ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِنَّ ﴾ أي: لست أخرج عنه قيد شبر، ولا أدنى منه ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ أي: هل يستوي من اتبع الحق وهدي إليه، ومن ضل عنه فلم(١) ينقد له؟ ﴿ أَفَلَا تَنَفَكُّرُونَ ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿ ﴿ أَفَسَ يَعْلَرُ أَنَّنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَةً إِنَّا يَنَذِّكُرُ أُولُوا ٱلأَلْبَبِ ۞﴾ [الرعد: ١٩] وقوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِهِمْ لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ، وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ أي: وأنذر بهذا القرآن يا محمد ﴿ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، والذين ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوَّهَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الـرعـد: ٢١]: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَدُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: يـوم القيامة: ﴿ لَيْسَ لَهُم ﴾ أي: يومئذٍ ﴿ مِّن دُونِهِ ، وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ أي: لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنَّقُونَ﴾ أي: [أنذرهم](٢) هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله عَلَى ﴿لَعَلَّهُمْ يَنَّقُونَ ﴾ فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه»(٣).

فائدة

قال محمد تقي الدين: أمر الله نبيه وخير خلقه محمداً على أن يقول لجميع الناس الذين يدعوهم إلى الله: اعلموا أنني لا أملك من خزائن فضل الله شيئاً،

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولم». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أنذر».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤١ _ ٤٢).



ولا أستطيع أن أعطى أحداً رزقاً حسياً أو معنوياً، ولا أعلم من الغيب إلا ما علمني ربي، ولست ملكاً له قوة خارقة للعادة، مستغن عن الطعام والشراب، لا تعتريه الأعراض البشرية، إنما أنا بشر مثلكم يجري على ما يجري عليكم، ولا أختلف عنكم إلا بشيء واحد، وهو الوحى والرسالة التي أكرمني الله بها، وأوجب عليكم اتباعى وطاعتى، وسيأتى مثل هذا إن شاء الله في (سورة الأعراف)، وفي (سورة يونس)، وفي (سورة هود)، والعجب ممن يدعى العلم بالكتاب والسنة والشرع، ومع ذلك يعمى عن هذا البيان ويستغيث بالنبي على إذا قام يقول: «يا رسول الله». وإذا قعد يقول: «يا رسول الله». وإذا فزع يقول: «يا رسول الله». فهذا مكذب لهذه الآية، فكأنه يقول: بل عندك خزائن الله، وأنت تعلم الغيب، وقد ألف رجل شاعر يقول الشعر، ولكنه غير أشاعر بتوحيد الله، ألف كتاباً سماه: «شواهد الحق، في الاستغاثة بسيد الخلق»(١). وزعم أن أهل السنة هم المشركون الذين يستغيثون بالنبي على وغيره من المخلوقين، وأن من وحّد الله تعالى وامتنع من الاستغاثة بغيره وهابي خارج عن مذهب أهل السنة، والحقيقة أن مذهب هذا الجاهل الذي يهرف بما لا يعرف هو مُذهب أهل السِّنَةِ، (بكسر السين وتخفيف النون) والغفلة والجهالة والضلالة، ولو كان عنده ذرة من عقل وإيمان، لكانت هذه الآية كافية له، وإلا فلماذا يأمر الله تعالى رسوله على أن يعلن للناس أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن غيره، وأنه لا يعلم الغيب؟ ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَنُرُ وَلَنِكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصَّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦] فكم قصائد نظمت في الاستغاثة بالنبي(٢) على وأنا بنفسي نظمت أبياتاً أستغيث فيها

⁽۱) مؤلفه يوسف بن إسماعيل النبهائي (ت١٣٥٠)، وكتابه المذكور مطبوع بمصر قديماً في مطبعة البابي الحلبي، ثم صور مرات في بيروت، قال عنه العلامة محمد رشيد رضا في مجلة «المنار» (١٣٥) الجزء العاشر (ص٧٩٧): «كتبه مملوءة بالروايات الموضوعة والمنكرة، وكان يروّج كتبه لكي يمهِّد بذلك السبيل ادّعاء المهديّة لنفسه». وذكر الشيخ إسماعيل بن سعد العتيق في كتابه «القول الفصل النفيس» (ص٤) بعض كتبه، وقال: «فيها شطحات لا تغتفر».

قال أبو عبيدة: وله فيها افتراء كثير وكبير على الدعوة السلفية، وأعلامها الأجلاء، مثل: ابن تيمية، وكتبه _ يا للأسف _ طافحة في الطعن على الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وانظر عنه كتابى: «كتب حذر منها العلماء» (١/ ٢٦٩).

⁽٢) أتيت على طرف منها في كتابي «شعر خالف الشرع»، يسر الله إتمامه ونشره بخير وعافية.



بالنبي ﷺ، وأطلب منه أن يعطيني العلم، ولا أحب أن أذكر هذه الأبيات، فالحمد لله الذي هدانا وبصرنا من العمى، ومنَّ علينا بتوحيده لا إله إلا هو.

فائدة أخرى

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْسَرُوا إِلَى رَبِهِمْ ﴾ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيُّ وَلا شَفِيعٌ ﴾ لا ينصرهم أحد ولا يشفع لهم أحد الشفاعة الشركية، اعلم علمت خيرا ووقيت ضيراً - أن الشفاعة وردت في كتاب الله تعالى نوعين: أحلهما: الشفاعة الشركية، وهي أن يشفع الشافع بدون استئذان من المشفّع، ويرى أن له من المنزلة والمكانة عند المشفّع ـ بالكسر ـ ما لا يحتاج معه إلى إذن، بل ربما اعتقد أن قبول شفاعته واجب على من يشفع عنده، كشفاعة الأب عند ابنه، وشفاعة الابن عند أبيه، والزوجة عند زوجها، والصديق عند صديقه، والوزير المخلص عند مليكه، ونحو ذلك، فهذا النوع هو المنفي في القرآن كما في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ جَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] وكذلك من مات كافراً بشرك أو جحود، فنفي الشفاعة في حقه مطلق، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ وَلِكَ لِمَن يَشَرِكُ بِاللّهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ الشفاعة في حقه مطلق، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكُ بِاللّهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ كَيْفِرُ أَن يُشْرِكُ إِللّهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيْ الْمَائِدَة وَلَهُ النَّهُ وَالمَن يَشَافً فَي القَرْكُ إِللّهُ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللّهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ وَلَاكُ إِلمَائِدَة وَالْمَائِدَة وَاللّهُ وَالمَائِدَة وَالمَائِدَة وَالمَائِدَة وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ إِلَا يَقْفِرُ أَن يُشْرِكُ إِللّهُ فَقَد حَرَّمَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ المَائِدَة : (المَائدة: ١٧٤).

والنوع الثاني: الشفاعة التي يتفضل الله بها على الشفعاء، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بعد أن يستأذنوه فيأذن لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُ عِندُهُ ۚ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ ﴾ إلّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَلَا نَنفَعُ ٱلشَّفَعَةُ عِندُ ۗ إِلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْنُ وَرَفِى لَمُ قَوْلاً ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال تعالى في سورة طه: ﴿ لَا نَنفَعُ ٱلشَّفَعَةُ إِلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْنُ وَرَفِى لَمُ قَوْلاً ﴾ [طه: ١٠٩] وقد تسوات رت الأحاديث التي هي كالشمس في رابعة النهار عن النبي ﷺ أنه يشفع لأهل الكبائر (١)، فيخرجون من النار بشفاعته، وقد أنكر هذه الشفاعة الخوارج

⁽۱) أفردها جمع بالتصنيف: منهم الذهبي، له «إثبات الشفاعة» وفيه (ص٢٠): «فمن رد شفاعته ورد أحاديثها جهلاً منه، فهو ضال جاهل قد ظنَّ أنها أخبار آحاد، وليس الأمر كذلك، بل هي في المتواتر القطعي مع ما في القرآن من ذلك». ولأبي الوفاء محمد =



والمعتزلة لقلة علمهم بالكتاب وجهلهم بالسنة، وما ذكر من الآيات وما أشرت الديه من الأحاديث حجة عليهم، وفي هذه الآية نفسها من الحجة عليهم ما لا يخفى، لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوۤا إِلَىٰ رَبِّهِمٌ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَإِنْ وَلِي مَنْ لَهُم مِّن دُونِهِ وَإِنْ وَلا شَفِيعٌ لَمَالُهُم يَنَّقُونَ ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ اللَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوۤا إِلَىٰ رَبِّهِمٌ لَيَسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَإِنْ وَلا شَفِيعٌ لَمَلَهُم يَنَّقُونَ ﴾.

أي: ﴿أَنْدِرِ﴾ يا محمد بالقرآن المؤمنين ﴿ أَلَذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْسَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ غير واجدين، من دونه ولياً ينصرهم ولا شفيعاً يشفع لهم، فإن خوفهم من الله دليل على إيمانهم. والخوارج والمعتزلة يقولون: إن الشفاعة خاصة بالمؤمنين في رفع الدرجات، أما من مات كافراً أو مصراً على الكبائر فلا شفاعة له. وهذه الآية تدل على نفي الشفاعة عن المؤمنين الذين يخافون الله، فهذا النفي مطلق وعام يخصصه قوله تعالى فيما سبق ذكره: ﴿إِلَّا بِإِذْنِدِ ﴾ ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَى ﴾ ، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْنُ وَرَفِي لَمُ قَوْلًا ﴾ [طهد: ١٠٩] ﴿وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاهُ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣، النور: ٤٦].

🔀 الباب السادس 🗺

قال محمد تقي الدين: ذكرت فيما مضى أن النسخة التي كانت عندي من

درويش «قل لله الشفاعة جميعاً» وللشيخ مقبل بن هادي «الشفاعة»، وللدكتور ناصر الجديع «الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها». وممن نص على تواتر أحاديث الشفاعة شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، وانظر: «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (۲۰۸/۲، ۲۰۹).



«تفسير ابن كثير» التي نشرتها المطبعة التي تسمى نفسها: «مطبعة الاستقامة»، فيها أخطاء كثيرة وبتر ونقص، وفي هذا الموضع ترك تفسير آية بأكملها، وقد فزعت إلى طبعة بيروت لعلى أجدها سالمة من ذلك الداء، فإذا بها مسروقة من الطبعة المذكورة(١)، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦] على فساد الكنوز التي خلفها لنا السلف، فصارت بأيدي التجار الفجار يطبعونها لأجل الربح الدنيوي ولا يبالون بما يرتكبونه من الجرائم في حق طلبة العلم، وعلوم الإسلام يتيمة كعلوم اللغة العربية، ليس لها جماعة تشرف على طبعها ونشرها وتأذن في ذلك لمن يكون له أهلاً، وتضرب على هؤلاء التجار الفجار وليس للتجار ضمائر ولا مروءة تحملهم على المحافظة على هذا التراث وعلى أن لا يصدر من مطابعهم ما يشين سمعتهم، وهذا جزء من الشقاء الذي يعانيه المسلمون في هذا الزمان، فهم كما قال الله تعالى في بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ بَفِت إِسْرَهِ مِلَ عَلَى لِسَكَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَحٌ ذَالِكَ بِمَا عَصَوا وَكَاثُوا يَعْتَدُونَ ١ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكِرٍ فَعَلُونً لِلِنْسَ مَا كَاثُواْ يَفْمَلُونَ ﴿ تَكَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِبَشْسَ مَا قَدَّمَتْ لَمُنُد أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَكَابِ لَهُمْ خَلِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِي وَمَا أُنزِكَ إِلَيْهِ مَا أَتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآةً وَلَكِنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَلْسِقُونَ ١٨٥ - ١٨].

فإن قيل: كيف سوغت لنفسك أن تذكر هذه الآيات التي نزلت في كفار بني إسرائيل وتريد أن تطبقها على المسلمين؟ أليس هذا من الغلو؟ أقول: جاء في الحديث الصحيح في تفسير هذه الآيات من كلام النبي على المحتمدة على المحق قصراً، ولتأطرنه على المحق أطراً، أو ليلعننكم الله كما

⁽۱) قال أبو عبيدة: رجعت إلى أكثر من طبعة من «تفسير ابن كثير»، واعتمدت بعضها على نسخ خطية موثوقة، فلم أظفر بتفسير هذه الآية، وقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة بعد المصنف، بلغت في مكتبتي أربع عشرة طبعة، وأحسنها ـ في تقديري ـ طبعة أولاد الشيخ، وهي في (۱۵) مجلدة، وطبعة دار طيبة وهي في (۱۸) مجلدات، وطبعة دار القبلة، وهي في (۱۸) مجلدات أيضاً، وهذه الطبعات قوبلت على نسخ متعددة. وقال القبلة، وهي فو (۱۸) محمد إبراهيم البنا) في هذا الموضع (۱۳۰۳/۳): «لم يذكر ابن كثير ـ حسب ما انتهى إلينا من النسخ ـ تفسير الآية (۵۱)...»، وفحصت جميع الطبعات السابقة في هذا الموطن، فوجدت التفسير عليها غير مذكور.



هذا ما يسره الله في معنى الآية، ثم قال (ك): "وقوله: ﴿قُلْ إِنِي عَلَى بَيِّنَةِ مِن رَبِي ﴾ أي: على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله إلي ﴿ وَكَأَنتُم بِوَ ﴾ أي: بالحق الذي جاءني من الله: ﴿مَا عِندِم مَا شَتَعَجِلُونَ بِدِ ﴾ أي: من العذاب ﴿إِنِ ٱلْحُكُمُ إِلَّا بِلَهِ ﴾ أي: إنما يرجع أمر ذلك إلى الله، إن شعاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة، ولهذا قال: ﴿يَقُشُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَصِيلِينَ ﴾ أي: وهو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين في الحكم ما تَسْتَعُجِلُونَ بِهِـ وخير الفاتحين في الحكم ما تَسْتَعُجِلُونَ بِهِـ

⁽۱) أخرجه أبو داود (۲۳۳۱)، والترمني (۳۰٤۸، ۳۰٤۷)، وابن ماجه (۲۰۰۱)، وعبد الرزاق في «التفسير» (۱/۹۶)، وأحمد (۱/۳۹۱)، وأبو يعلى (۵۰۰۵، ۵۰۵)، وابن جرير (۱۲۳۰۱ ـ ۱۲۳۰۱)، والطبراني (۲۰۲۱ ـ ۱۰۲۱۸)، وابن أبي الثنيا في وابن جرير (۱۲۳۰۱ ـ ۱۲۳۰۱)، والبغوي في «الأمر بالمعروف» رقم (٤، ۱۹)، والخطيب في «تاريخه» (۱/۹۹۷)، والبغوي في «تفسيره» (۳/۲۰۲ ـ ۲۰۲)، والبيهقي (۱/۹۳)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (۲۹۸) من حديث ابن مسعود، وجعله بعضهم من مرسل ابنه أبي عبيدة، وهذا الذي رجحه الدارقطني في «العلل» (۲/۳۵) وأبو حاتم الرازي في «العلل» (۲/۳۵) أيضاً، ووهم بعض الرواة فجعله من (مسند أبي موسى الأشعري)!! واضطرب فيه بعض الرواة على وجهين آخرين، ومداره على طريق منقطعة، فهو ضعيف بخلاف حكم المصنف، وضعفه شيخنا الألباني في «الضعيفة» (۱۱۰۵).

⁽٢) انظره (ص١٢٧ ـ ١٢٨/رقم ٢٠١، ط. شيخنا الألباني).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الحاكمين».



لَقُفِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ۗ أي: لو كان مرجع [ذلك](١) إلي، لأوقعت [بكم](٢) ما تستحقونه من ذلك ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في «الصحيحين»(٣) من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد ظللتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليها، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلّم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً». وهذا لفظ مسلم، فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأنى بهم، وسأل لهم التأخير، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئاً، فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريامة: ﴿ قُل لَّو أَنَ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِى ٱلْأَمَّرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّالِمِينَ ﴿﴾؟ فالجواب ـ والله أعلم ـ: إن هذه الآية دلت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم، وأما الحديث، فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين، وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوباً وشمالاً، فلهذا استأنى بهم، وسأل الرفق لهم، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَاۤ إِلَّا هُوَّ﴾ قال البخاري(٤) بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله على قال: «مفاتح الغيب خمس - لا [يعلمهن] (٥) إلا الله -: ﴿ إِنَّ اللَّهُ عِندُهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ما تستعجلونه به».

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «لكم»!

⁽٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

⁽٤) أخرجه البخاري (٤٦٢٧)، وأحمد (٢/ ١٢٢) وغيرهما.

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يعلمها».



وَيُنَزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَارِ وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدُّا وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًّا وَمَا تَدْرِى نَفْشُ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًّا وَمَا تَسْقُطُ مِن بِأَي أَرْضِ تَمُوثُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ ﴾ [لقمان: ٣٤]». وقوله: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَهَ إِلَا يَعْلَمُهَا ﴾ أي: يعلم الحركات حتى من الجمادات، فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنِّهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَالِمَ نَا اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّلْمُ اللَّهُ الللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

فائدة

قال محمد تقي الدين: أجمع المسلمون على ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله، أن مفاتح الغيب الخمسة المفصلة في آخر سورة لقمان بنص النبي على الا يعلمها إلا الله، ومن ادعى أن أحداً من مخلوقات الله يعلمها فهو كافر، نقله القسطلاني (٢) عن الزجاجي في شرح الحديث المذكور أعلاه، وأكثر الذين يدعون الإسلام في هذا الزمان يعتقدون أن غير الله يعلم هذه الخمسة. ففي كتاب «الإبريز» لمؤلفه أحمد ابن المبارك اللمطي المغربي ما معناه: أنه قال لشيخه عبد العزيز: إن علماء الظاهر يقولون: إن هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله، فقال له: ماذا تقولون؟ لو كنت ميتاً، لعلمت هذه الخمسة، فكيف وأنا حي؟ وهذا الكتاب: مقدس عند أكثر علماء الأزهر وعلماء المغرب!! من ذلك تعلم أن علم الكتاب والسنة قد مات، وصار أهله غرباء!!

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١ ـ ٥٣) بتصرف.

آفال في «إرشاد الساري» (١١٨/٧) بعد ذكره ﴿مَفَاتِحُ ٱلْفَيْبِ﴾: «فمن ادّعى علم شيء منها، فقد كفر بالقرآن العظيم». وفي النفس حب لمعرفة الغيب لبّاه الشرع ووظفه فيما يعود على الإنسان بالخير من خلال إخبار رسول الله على بأشراط الساعة، وما عداه من التكهنات فهو من الكفر، وظفرت بكتاب عنوانه: «قصة التنبؤ بالغيب عبر التاريخ» ذكر فيه صاحبه (التنبؤ) في الحضارات السابقة، وكذا في الجاهلية والدولة الأموية والعباسية، وينبغي أن يعلم أن «ما أخرجه العلم من مجهول الغيبيات فسقط من الحظر، فالإسلام يبارك أن تتحقق آية الله فيما سخر لنا». قالته عائشة عبد الرحمٰن في كتابها «الشخصية الإسلامية» (ص١٥٧). والغيب أقسام باعتبارات علمية، ويختلف حكمها ويتشعّب، انظره في «الإيمان بالغيب» (ص٣٣ وما بعد) لبسام سلامة. وألف أبو هارون عيسى بن يحيى رسالة جيدة مطبوعة بعنوان: «كفر من ادعى علم الغيب».



🔀 الباب السابع 🗠

قول ه تعالى: ﴿ قُلْ أَندُعُواْ مِن دُونِ ٱللّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَننَا ٱللّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ وَالْمَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَننَا ٱللّهُ كَٱلّذِى ٱسْتَهُوتْهُ ٱلشَّيَطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ وَأُمِنَا أَصْحَلُ بَدْعُونَهُ وَهُو ٱلْهُدَى وَأُمِنَا فَلْ إِن هُدَى ٱللّهِ هُو ٱلْهُدَى وَأُمِنَا لِللّهِ هُو ٱلْهُدَى وَأُمِنَا فَلْ إِن اللّهُ هُو اللّهُ وَالْمِنَا وَاللّهُ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَحُ فِي ٱلصُّورِ عَلِيمُ الْفَيْدِ وَٱللّهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَحُ فِي ٱلصُّورِ عَلِيمُ الْفَيْدِ وَاللّهُ وَلَهُ ٱلللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا الللّهُ وَاللّهُ وَا

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قال».

⁽۲) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «للمؤمنين» والمثبت في «تفسير ابن كثير» (٦/ ٧٩).

⁽٤) رواه ابن جرير (٣٢٩/٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٢٠ ـ ١٣٢٢) في «تفسيريهما»، وهو معضل، وعزاه السيوطي في «الدر» (٢٢/٣) إلى أبي الشيخ.



يقول الله: كن، فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب، ويوم: منصوب بفعل محذوف تقديره: اذكر يوم يقول: كن، فيكون، وقوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ وَقَوْلُهُ الْمُكُلُكُ وَلَهُ الْمُلْكُ الْمَوْرِ فَلَهُ الْمُلْكُ الْمَوْرِ فَلَهُ الْمُلْكُ الْمَوْرِ فَلَهُ الْمُلْكُ الْمَوْرِ الْقَهَارِ العالمين، وقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَحُ فِي الصَّورِ فَلَهُ الْمُلْكُ الْمَوْرِ فَلَهُ الْمُلْكُ الْمَوْرِ فَلَهُ الْمُلْكُ كَالْمَوْرِ فَلَهُ الْمُلْكُ الْمَوْرِ فَلَهُ الْمُورِ اللَّهُ الْمَوْرِ فَلْهُ الْمُلْكُ اللَّهُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَفِرِينَ عَسِيرًا ﴿ اللهِ الفران الذي ينفخ فيه إسرافيل: قال ٢٦] قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَحُ فِي ٱلصَّورِ فَ المُورِ اللهِ اللهِ القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل: قال (ج): تظاهرت الأخبار عندنا أن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ، رواه مسلم (١) في "صحيحه" (٢).

قال محمد تقي الدين: قوله تعالى: ﴿أَنَدُعُوا مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَشُرُنّا ﴾ تنبيه لعبّاد القبور وغيرها من المخلوقات على فرط جهلهم وعمى بصائرهم، فإنه لا ينفع ولا يضر إلا الله، ولذلك لا يعبد إلا الله، وهذه الآية تصدق على كل من خالف جماعته، سواء أكانوا أقرباء أو أصدقاء وعبد غير الله، وهم يدعونه إلى الهدى، وهو توحيد الله واتباع نبيه الكريم، وهو يأبى أن يرجع إلى الحق ويمعن في الشرك، وفيها أيضاً تنبيه على أن المؤمن لا ينبغي له أن يأمن مكر الله، وينبغي له أن يدعو الله تعالى بالدعاء الذي علمنا إياه في سورة آل عمران، وهو دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَ لا تُرغَ قُلُونَا بَعْدَ إِذْ هَدَيّتَنَا وَهَبُ لَنَا يَن عَمران، وهو دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لا تُرغَ قُلُونَا بَعْدَ إِذْ هَدَيّتَنَا وَهَبُ لَنَا يَن الْمَكْدِين ﴾ [آل عمران: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَأُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الله وحده لا المناع الله والله الله والله الله وأن محمداً رسول الله، وبعد ذلك تجيء إقامة الصلاة، فإن

⁽۱) علقه ابن جرير في «تفسيره» (۹/ ٣٤٠)، ووصل نحوه أحمد (٣/ ٧، ٣٧)، والترمذي (٢٤٣١)، وابن ماجه (٢٢٧٣)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ١٧٥)، وابن المبارك في «الزهد» (١٥٩٧)، والدولابي (٢/ ٥٠)، والطحاوي في «المشكل» (٥٣٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٠٢١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٩٨، ٣٩٩)، والبغوي (٢٠٢١، ٤٢٩٩)، وفي «التفسير» (٢/ ١٤٧)، وأبو نعيم (٥/ ١٠٥ و٧/ ١٣٠ _ ١٣١١) ولم أظفر به في «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد الخدري، والحديث صحيح. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٦٦) رقم (١٠٧٩) وحكى الحليمي الإجماع على أن صاحب الصور إسرافيل، نقله ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٣٦٨).

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (٦/ ۷۹ ـ ۸۲) بتصرف.



الصلاة عماد الدين، فمن تركها فهو كافر لا حظ له في الإسلام كما قال عمر في عند موته (۱) ، انظر: كتاب «الصلاة» (۲) لابن القيم، وأيضاً كتاب «القول الفصل في حكم تارك الصلاة» (۳) للمؤلف.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوهُ ﴾ أي: امتثلوا ما أمركم به ظاهراً وباطناً، واجتنبوا ما نهاكم عنه ظاهراً وباطناً، لأنكم تحشرون إليه يوم القيامة، فيجزيكم بأعمالكم: ﴿وَهُو الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ هو خالق كل شيء، وحافظ الوجود على كل موجود، وهو الذي يحيي ويميت، فما أجهل من يدعو غيره وما أشقاه، وقوله تعالى: ﴿عَلِمُ ٱلْغَيّبِ وَٱلشَّهَكَةُ وَهُو اللَّهَكِيمُ ٱلْخَيِيمُ الْخَيمِ أَلْخَيمِهُ أَي: فلا يعبد غيره، فنسأل الله أن يجعلنا ممن حقق التوحيد بأنواعه، ويختم لنا بالإيمان، ويجعل أسعد أيامنا يوم لقائه.

∺ الباب الثامن اج

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَنَّخِذُ أَصَّنَامًا وَالِهَ أَ إِنِّ الْمَالِيَ الْمَالَعَ اللّهُ اللّ

⁽۱) أخرجه عبد الرزاق (۷۹، ۵۸۱، ۵۰۱)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (۱۰۳)، ومالك (٥٥/رقم ۸۵)، وابن سعد (۳، ۳٥٠ ـ ۳٥١)، وعبد الله بن أحمد في «مسائل أبيه» رقم (۱۹۳)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (۱۹۳۱، ۱۳۸۱، ۱۳۸۸)، والدارقطني والخلال في «جامعه» رقم (۱۳۹۵) و«السنة» رقم (۱۳۷۱، ۱۳۸۱، ۱۳۸۸)، والآجري في في «السنن» (۲۰/۳)، واللالكائي في «الإبانة» (۱۸۲۸، ۲۷۲۸) من طرق عن عمر قال: «لا «لظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة». وفي لفظ: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»، وهو صحيح.

⁽٢) انظره (ص٤٠، ط. دار ابن رجب).

⁽٣) انظره (ص١٦ وما بعد)، ومسألة (تكفير تارك الصلاة) تكاسلاً مما اتّسع فيه الخلاف، وهي مسألة فقهية وليست بعقدية، ولا يجوز أن يقع التباغض والتهاجر بسببها، ولا أن ينبز غير المكفر بأنه مرجئ، ولا المكفر بأنه خارجي، وإلى إلله وحده المشتكى من تناكد أهل السنة في هذه المسألة في هذه الأيام! ولا قوة إلا بالله!



هَاذَا رَبِيُّ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَهِن لَمْ يَهْدِنِ رَبِّي لأَكُونَكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِينَ ﴿ فَلَمَّا رَبِي هَاذَآ أَكَّبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَنَقَوْمِ إِنِّي مَرِى ۗ ثُلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنَقَوْمِ إِنِّي مَرِى ۗ ثُورَا ٱلشَّمَا أَفَلَتْ قَالَ يَنَقَوْمِ إِنِّي مَرِى ۗ ثُورَا ٱلشَّمَا وَاللَّارُضَ حَنِيفًا مِنَا تُشْرِكُونَ ﴿ اللَّهَ مَوْتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا لَمُ مَرِكُونَ اللَّهُ مَا اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّ

قال محمد تقي الدين: اختلف المفسرون في آزر، فقال بعضهم: هو اسم صنم؛ لأن أبا إبراهيم اسمه تارح كما في التوراة، وقال محققون ومنهم (ع): «هو اسم لأبي إبراهيم»(۱)، ولا غرابة أن يكون له اسمان: أحدهما، تارح، والآخر آزر، أو يكون آزر لقباً له، ولا يمكن أن يسميه الله تعالى ولا يكون في الحقيقة كذلك، والقرآن أصح كتاب نزل من الله تعالى، وقد رأينا في التوراة في جميع أقسامها أشياء كثيرة لا يستطيع مؤمن أن ينسبها لله ولا للرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال (٣) في قوله: ﴿ أَتَتَخِذُ أَصَّنَامًا مَالِهَةً ﴾ ﴿ أَي: أَتَأَلَه صَنَمًا ' تعبده من دون الله؟ ﴿ إِنِّ أَرَكَ وَقَوْمَكَ ﴾ أي: السالكين مسلكك، ﴿ فِي ضَلَالٍ ثَبِينٍ ﴾ أي: تائهين، لا يهتدون أين يسلكون، بل في حيرة وجهل، وأمركم في الجهالة والضلال بين واضح لكل ذي عقل سليم (٣)، وقال تعالى: ﴿ وَأَذَكُرُ فِي ٱلْكِنَبِ إِبْرَهِيمً إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِينًا ﴿ وَالْكِنَبِ إِنَهِيمً اللهِ يَتَأْبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْعِيمُ وَلا يُغْنِى عَنَكَ شَيْئًا ﴿ يَتَأَبَّتِ إِنَى قَتْلُمُ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَأَتَبِعْنِى آهَدِكَ صِرَاعًا سَوِيًا ﴿ يَتَأْبَتِ إِنَّ مَنْكُونَ لِللَّهُ يَعْلَى مِن الْفِيدِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَأَتَبِعْنِى آهَدِكَ مِرَاعًا سَوِيًا ﴾ يَتَأْبَتِ إِنَّ الْقَيْطُنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيبًا ﴾ يَتَأْبَتِ إِنِّ أَخَافُ أَن يَمَسَكَ عَذَاتُ مِنَ اللهِ وَأَمْرُونَ فِلْ اللهِ وَأَنْ أَنْ اللهِ وَاللهِ وَالْمُولُ لَيْ اللهِ وَالْمُولُ لَكَ رَقِي اللهِ وَالْمُولُ لَكَ رَقِي اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهُ و

⁽۱) انظر: «تفسیر ابن جریر» (۹/ ۳٤۵).

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أنتأله لصنم».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «صحيح».

⁽٤) غير موجود في مطبوع اتفسير ابن كثيراً!.



تعالى: ﴿وَمَا كَانَ آسَتِغْفَارُ إِبْرَهِيمَ لِأَسِهِ إِلَّا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيْنَ لَاءُ أَنَّهُ عَلَيْهُ ﴿ وَلَا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيْنَ لَاهُ وَأَنَّهُ عَلِيدٌ ﴿ إِلَى السّوبة: ١١٤]. وثبت في «الصحيح» (۱): «إن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة، فيقول له آزر: يا بني، لا أعصيك اليوم، فيقول إبراهيم: أي رب! ألم تعدني أنك لا تخزني يوم الدين؟ وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقال: يا إبراهيم، انظر ما وراءك فإذا هو بذيخ (۲) متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار».

وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: نبين له وجه الدلالة - في نظره إلى [خلقهما] (٣) - على وحدانية الله ظل في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، كقوله: ﴿ قُلِ انْظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: لا إله غيره ولا رب سواه، كقوله: ﴿ قُلِ انْظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاةِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١] وقسوله: ﴿ أَفَلَرْ يَرَوا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِن السَّمَاةِ وَالْأَرْضِ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْمِمْ كِسَفًا مِن السَّمَاةِ أَنَ فِي ذَلِك لَا يَكُلِ عَبْدِ مَنْ السَّمَاةِ اللهِ فَي ذَلِك لَا يَهُ لِكُلِ عَبْدِ مُنْ السَّمَاةِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ ال

وقوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ قيل: الواو زائدة (٤) تقديره: «وكذلِكَ نُرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرضِ ليَكُونَ من الموقِنِينَ».

كقوله: ﴿وَكَذَاكَ نُفَصِّلُ الْآيَنَ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْمِينَ ﴿ الْأَنعام: ٥٥] وقيل: هي على بابها، أي: نريه ذلك ليكون عالماً وموقناً، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَا جَنَّ عَلَيْهِ الْيَلُ ﴾ أي: تغشاه وستره: ﴿رَمَا كَوْكَبُا ﴾ أي: نجماً ﴿قَالَ هَاذَا رَبِي فَلَمَا أَفَلُ ﴾ أي: غاب، قال محمد بن إسحاق بن يسار: الأفول: الذهاب، وقال (ج): «يقال: أفل النجم يأفُل ويأفِل، أي بكسر الفاء وضمها، أفولاً (٥)، ويقال: أين

⁽١) أخرجه البخاري (٣٣٥٠) من حديث أبي هريرة.

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» ومصادر التخريج، وفي الأصل: «بذبح»!

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «خالقهما»!!

⁽٤) انظر ضعف هذا القول في «تفسير الرازي» (٢٥/١٥) و«البحر المحيط» (١٦٥/٤) و«الدر المصون» (٧/٥)، وفصلت الدكتورة هيفاء فدا في كتابها الجيد «زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم» (ص٤٨٣ ـ ٤٨٧) وجه المنع، وبيّنت سرهذه (الواو) وفائدتها على وجه حسن مليح، فلينظر، فإنه مفيد.

⁽٥) بعدها في مطبوع "تفسير ابن جرير" (٩/ ٣٦١): "وأفلاً: إذا غاب ومنه قول ذي الرمة: مصابيع ليست باللواتي تقودُها نجومٌ ولا بالآفلات الدَّوالِكِ" قلت: والبيت في "ديوان ذي الرمة" (٣/ ١٧٣٤).



أفلت عنا؟ بمعنى أين غبت عنا، قال: ﴿ لاَ أُحِبُ الْآفِلِينِ ﴾ قال قتادة: علم أن ربه دائم لا يزول: ﴿ فَلَمَّا رَمَّا الْقَمَر بَازِعُا ﴾ أي: طالعاً ﴿ قَالَ هَلذَا رَقِي لَمْ اللّهُ وَ الْقَالِينَ ﴾ ﴿ فَلَمّا رَمّا الشّمَس بَالِفَهُ قَالَ هَلَا رَقِي لَهِ لَهِ الْقَوْرِ الطّآلِينَ ﴾ ﴿ فَلَمّا رَمّا أَلْسَمَس بَالِفَهُ قَالَ هَلَا رَقّي الْمَر وأكثر أي: هذا المنير الطالع ربي ﴿ هَلْآ آَكُبُرُ ﴾ أي: جرماً من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة ﴿ فَلَمّا آَلْكُنَ اللّهُ وَجَهِ اللّهُ وَجَهِ اللّهُ وَجَهِ اللّهُ وَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَ اللّهُ اللّهُ عَلَى الللهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الللهُ عَلَى الللهُ عَلَى الللهُ عَلَى الللهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الللهُ عَلَى الللهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ا

والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية التي هي على صور الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم (٢) عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه، وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المنيرة (٢) وهي القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة، فبين أولاً صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية، فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيغ عنه يميناً ولا شمالاً، ولا تملك لنفسها تصرفاً، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال، ومثل هذه لا تصلح

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من طريق».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إلى الخالق العظيم، الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المتحيرة».

للإلهية، ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع: ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ إِنِّي بَرِيَّ مُ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعاً، ثم لا تنظرون ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۗ وَمَا أَنَّا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞﴾ أى: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: ﴿إِكَ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَنَوَتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِستَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱلسَّنَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُعْشِى ٱلَّيْسَلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْفَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَتِ بِأَمْرِقِهِ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَالْأَمْنُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ١ الأعراف: ٥٤] وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظراً في هذا المقام وهــو الــذِّي قــال الله فــي حـقــه: ﴿ ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا ۚ إِبْرَهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِـ عَلِمِينَ @ إِذْ قَالَ الْأَبِيهِ وَقَوْمِهِ- مَا هَاذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيَّ أَنْتُمْ لَمَا عَلِكُفُونَ ﴿ الْأَسْبِياء: ٥١ - ٥١] وقــال الله تــعــالـــى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيـمَ كَاكَ أُمَّةً قَانِتَا بِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِرًا لِأَنْفُمِيهُ آجْنَبَنَهُ وَهَدَنْهُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَءَاتَيْنَهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَهِنَ ٱلصَّالِحِينَ ۞ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ ٱنَّبِعْ مِلَّةٌ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَلَانِي رَبِّ إِلَىٰ صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبَرَهِيمَ حَنِيفَاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﷺ؟ [الأنعام: ١٦١] وقد ثبت في «الصحيحين»^(١) عن أبي هريرة عن رسول الله على أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة»»(٢).

قال محمد تقي الدين: قد رأينا أن اختيار (٧) أن إبراهيم على كان مناظراً لا ناظراً، قد أقام عليه براهين قاطعة، ومعنى مناظراً لا ناظراً؛ أنه لم يكن في أول أمره يعتقد أن النجم ربه ثم انتقل إلى اعتقاد أن القمر ربه، ثم انتقل إلى اعتقاد أن القمر ربه، ثم انتقل من ذلك إلى توحيد الله تعالى والبراءة من معبودات قومه؛ لأن الله حفظ أولياءه ورسله من الشرك والمعاصي قبل النبوة، وهيأهم لها فقوله لما رأى النجم قال: ﴿هَذَا رَبِي ﴾ أي: بزعمكم أيها المشركون؛ فإن كان ما تدعون حقاً فإنه سيثبت ولا يزول، فلما غاب انتقل إلى طالع آخر أقوى منه ليستدرجهم إلى توحيد الله تعالى، فقال لما رأى القمر: ﴿هَذَا رَبِي ﴾،

⁽١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة.

⁽٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٩٤ ـ ٩٩) بتصرف يسير.



أي: بزعمكم، فلما غاب القمر، ظهر لهم أنه لا يستحق أن يكون رباً، وقال مثل ذلك في الشمس، فلما غابت واحتجبت ظهرت حجته عليهم، وقال: ﴿يَكَوَّرِ إِنِي رَجَّهَتُ بَرِيَّ مِمّا تُمْرِكُونَ ﴾ أي: مما تعبدون من المخلوقين والمخلوقات: ﴿إِنِي وَجَّهَتُ وَجَهِتُ وَقَلْبِي ﴿لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً ﴾ أي: نابذاً لجميع الأديان والمعتقدات إلا دين التوحيد.

∺ الباب التاسع 🔫

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَحَاجَهُمْ قَوْمُهُمُ قَالَ أَنْكَجُونِي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَىنَ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلّا أَن يَشَاءَ رَبّي شَيْئًا وَسِعَ رَبّي كُلُ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَنَذَكُرُونَ إِنَى وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكُتُم وَلا تَغَافُونَ أَنْكُمُ أَفَرَكُتُم وَلا تَغَافُونَ أَنْكُمُ الْمَرْكُتُم وَلا تَغَافُونَ أَنْكُمُ الْمَنْ إِن اللّهُ مِنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمُ شَلْطَانَا فَأَى الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ إِن اللّهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ عَلَيْكُمُ شَلْطَانَا فَأَى الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ إِن اللّهِ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللهُ الللللهُ الللللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللهُ اللللهُ اللهُ الللللهُ الللهُ الللهُ اللل

قال (٣): "يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد، وناظروه بشبه من القول أنه قال: ﴿ أَنُحُكُ اللَّهِ وَقَدْ هَدَائِنَ ﴾ أي: تجادلوني (١) في أمر الله، وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق، وأنا على بينة منه، فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة؟ وقوله: ﴿ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِلاّ أَن يَشَاءَ رَبِي شَيْئاً ﴾ أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً، وأنا لا أخافها ولا أباليها، فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنظرون، بل عاجلوني بذلك، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِي شَيْئاً ﴾ استثناء منقطع، أي: لا يضر ولا ينفع وقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبِي حَكُلٌ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء، فلا تخفى (٢) عليه خافية، ﴿ أَنَلا نَتَدَكُونَ ﴾ أي: فيما بينته لكم أفلا تعتبرون (٣) أن هذه تخفى (٢) عليه خافية، ﴿ أَنَلا نَتَدَكُونَ ﴾ أي: فيما بينته لكم أفلا تعتبرون (٣) أن هذه

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «تجادلونني».

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «يخفى».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فتعتبرون».

الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها؟ وهذه الحجة نظير ما احتج به (١) نبي الله هود عليه على قومه عاد، فيما قص الله عنهم في كتابه حيث يقول: ﴿قَالُواْ يَكُودُ مَا خَتُنَ اللهِ عِنْ وَاللهُ وَمَا غَتَنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وَمَا غَتَنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وَمَا غَتَنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَمَا غَتُنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَلِهُ وَاللهُ وَال

قال البخاري بسنده عن علقمة عن عبد الله قال: «لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَنَهُم بِظُلَمٍ ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم نفسه? قال: إنه ليس للذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَبُنَى لَا تُشَرِكَ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ إنما هو الشرك (٣). وروى أحمد [وابن مردويه] (٤) بإسناديهما عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ، فلما برزنا من المدينة، إذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ: «كأن هذا الراكب إياكم يريد»، فانتهى إلينا الرجل، فسلم فرددنا عليه فقال له النبي ﷺ: «من أين أقبلت؟» قال: من أهلي وولدي وعشيرتي، قال: «فأين تريد؟» قال: أريد رسول الله ﷺ، قال: «فقد أصبته»، قال: «أن تشهد «فقد أصبته»، قال: «أن تشهد

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بها».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قال ابن عباس وغير واحد من السلف؛ أي: حجة وهذا كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شَرَكَتُواْ شَرَعُواْ لَهُمْ مِّنَ اللِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هِي إِلَا أَسَمَامُ سَيَّتُنُوهَا آلتُمْ وَمَابَآؤُكُمْ مَّا أَنزُلُ اللَّهُ بِهَا مِن سُلطَنَيْ ﴾».

⁽٣) أخرجه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤)، والترمذي (٣٠٦٩)، وأحمد (٢٧٨/١).

⁽٤) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».



أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، قال: قد أقررت، قال: "ثم إن بعيره دخلت يده في بيت جرذان، فهوى بعيره» وهوى الرجل، فوقع على هامته فمات! فقال رسول الله على «علي بالرجل!» فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه، فقالا: يا رسول الله قبض الرجل فأعرض عنهما رسول الله هي ثم قال لهما رسول الله المحدة الما رأيتما إعراضي عن الرجل، فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعاً»، ثم قال رسول الله على الله الله على فيهم: ﴿الله على أمنوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَنَهُم بِظُلْمِ ﴾» ثم قال: «دونكم أخاكم»، فاحتملناه إلى الماء، فغسلناه، وحنطناه، وكفناه، وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله على حتى جلس على شفير القبر، فقال: «ألحدوا ولا تشقوا، فإن اللحد لنا والشق لغيرنا» وروى ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن سخبرة قال: قال رسول الله على شفير القبر، ومنع فصبر، وظلم فاستغفر، وظلم فغفر» (٢٠). وسول الله المحديد فقالوا: يا رسول الله، ما له؟ قال: ﴿أُولَتُهِكَ أَلُمُنُ وَمُم تُهَمَّدُنَا عَانَيْنَهُمَا إِرَهِيمَ عَلَى قَوْمِدِ ﴾ أي: وجهنا حجته [عليهم] (٣) وقوله: ﴿وَيَلِكَ مُحَمَّنَا عَانَيْنَهُمَا إِرَهِيمَ عَلَى قَوْمِدِ ﴾ أي: وجهنا حجته [عليهم] (٣)

⁽۱) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٩) ـ ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢٠٣/٤) ـ وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٤٦، ٤٧) وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» وفي إسناده أبو جناب وهو مدلس وقد عنعن» كذا عزاه للطبراني في «الكبير» من هذه الطريق، وإنما أخرجه (٢/ رقم ٢٣٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٣١٨/٤) من طريق أبي حمزة الثمالي عن أبي اليقظان عن زاذان به، وأبو اليقظان وأبو حمزة الثمالي ضعيفان، والحديث زاد نسبته السيوطي في «الدر» (٣/ ٥٠) إلى أبي الشيخ وابن مردويه، وأرجو أن يكون حسناً بمجموع طرقه وشواهده.

⁽٢) عزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٥٠) له، وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ٢٥٥٧)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٣/ ١٤٤٠) رقم (٣٦٥٤) ومر (٣٦٥٤) من طريق محمد بن المعلى به هكذا مرسلاً. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٧/ ٢٦١٣) كالاهما في "معجم (٢/ رقم ٢٩٩٩)، وأبو القاسم البغوي (٣/ ٢٦٩) رقم (١٢٠٨) كلاهما في "معجم الصحابة"، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٣/ ١٤٤٠) رقم (٣٦٥٣)، والبيهقي في "الشعب" (٤/ ٢٨٢)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (٢/ ٢٨٢)، والمزي في "تهذيب الكمال" (١٠ / ٢١٠) من طريق محمد بن المعلى به موصولاً من حديث سخبرة والد عبد الله (غير أنه تحرف سخبرة إلى سمرة في مطبوع "الشعب") وقال الهيشمي في "المجمع" (١٠ / ٢٨٧): "رواه الطبراني وفيه أبو داود الأعمى وهو متزوك". قلت: وكذبه ابن معين، وشيخه عبد الله بن سخبرة مجهول، فالحديث واج جداً.

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «على قومه».



فائدة

قال محمد تقي الدين: المشركون في كل زمان ومكان طبيعتهم واحدة لا تختلف إذا نهاهم ناه عن الشرك بالله، حاولوا أن يلتمسوا عذراً لأنفسهم، فيقولون مثلاً: إن هذا الضريح، أو هذا التمثال، أو هذه الشجرة، أو هذا الحجر، أو هذا المكان، كل ذلك، منسوب إلى ملك مقرب أو نبي كريم، أو صالح من أولياء الله، فتعظيمنا له تعظيم للمنسوب إليه، ومنزلته عند الله عالية، ونحن مذنبون خاطئون، إذا دعونا الله لا يستجيب لنا، وإذا تشفعنا إليه بهذه الأثار المنسوبة إلى أوليائه يقضي حاجتنا، قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَعُولُونَ هَلُولُا مَا شَعَكُونًا عِندَ اللهِ قُلْ أَتُنتِكُونَ الله يما لا يَعْمُرُهُمْ وَلا يَنفعُهُمْ وَيَعُولُونَ هَلُولًا مَن مَا لا يَعْمُرُهُمْ وَلا يَنفعُهُمْ وَيَعُولُونَ هَلُولًا مَن مَا لا يَعْمُرُهُمْ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ فَلَ اللهُ لا يعند الله الآثار المنسوبة إليهم شركاً.

فائدة ثانية: إذا رأى المشركون أن الذي ينهاهم عن الشرك لا يقبل عذرهم، انتقلوا إلى حجة أخرى وهي تخويفه من شركائهم، كما حكى الله عن قوم إبراهيم وقوم هود، فقال لهم إبراهيم: أنا لا أخاف ما تشركون به من

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «صدق»!

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٠٠ ـ ١٠٠) بتصرف.



الآثار، ولا الذين تنسبونها إليهم؛ لأني أعلم أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله، ولما كنت في تطوان أدعو إلى توحيد الله، أصابني مرض الربو، فقال المشركون: إن السيد السعيدي هو الذي أصابني بذلك المرض؛ لأني أنكرت عليهم عبادته بالذبح والنذر والاستغاثة وطلب قضاء الحاجات، حتى المطر يطلبونه منه، فقلت لهم على كرسي الوعظ في المسجد الجامع: إن قوماً زعموا أن السيد السعيدي هو الذي أصابني بهذا المرض، وهؤلاء ليس لهم عقل ولا دين، أما الدليل على أنهم ليس لهم عقل، فهو أن رجالاً ونساء كثيراً من أهل تطوان مصابون بهذا المرض، وهم يعبدون السيد السعيدي، فمن أصابهم به؟ وأما الدليل على أن المرض، وهم يعبدون السيد السعيدي، فمن أصابهم به؟ وأما الدليل على أن ليس لهم دين، فإن السعيدي إن كان صالحاً كما تقولون، فإنه لا يعلم ما أدعو إليه؛ لأنه مشغول بما أعد الله له من نعيم الجنة، ولا يعلم الغيب، ولو علم أني أدعو إلى توحيد الله واتباع رسوله لشرح بذلك، وإن كان السعيدي لا يحب توحيد الله تعالى ولا اتباع رسوله فليس بصالح، ولا مؤمن بالله، فأنا لا أبالي توحيد الله عاجز عن النفع والضر.

فائدة ثالثة: قال إبراهيم على في الحجة التي آتاه الله على قومه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكَتُم وَلا تَغَافُونَ أَنْكُم أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ عَلَيْكُم سُلْطَنَا ﴾ أشرك أن كيف أخاف أصنامكم ومن وراءهم من المعبودين، وأنا موحد لله، لا أشرك به شيئاً، ولا تخافون أنتم من عذاب الله، وقد أشركتم به بعض خلقه، فأينا أحق بالأمن؟ وأينا أحق بالخوف؟ قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَدَ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْدٍ ﴾ ألأمن وعده ألله بالأمن وعدهم الله بالأمن أي نامنون وعدهم الله بالأمن من الخوف، وشهد لهم بالاهتداء، ومقتضى هذا: أن الذين أشركوا بالله هم أحق بالخوف، وهم ضالون، فمع توحيد الله الأمن والهدى، ومع الشرك بالله المخوف والضلال.

∺ الباب العاشر 🔫

قىولى تىعالى في سورة الأنسعام: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ وَاسْحَنَى وَيَعْفُوبَ كُلُّ هَمَانَا لَهُ إِسْحَنَى وَيَعْفُوبَ كُلُّ هَمَانًا وَمُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ هَدَيْنَا وَمُوسَىٰ وَمُوسَىٰ وَمُوسَىٰ وَهُمُوسَىٰ وَهَدُونَ وَكُذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ وَهُ وَلَكُرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَيُوسَىٰ

وَإِلْيَاشُّ كُلُّ مِّنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴿ وَإِسْمَعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلَّ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلَّ فَضَّلُنَا عَلَى ٱلْمَالَمِينَ ﴿ وَإِمْنَ ءَابَآبِهِمْ وَذُرِيَّتِهِمْ وَإِخْوَنِهِمُّ وَٱجْنَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ وَهُدَيْنَاهُمْ وَهُدَيْنَاهُمْ وَهُدَيْنَاهُمْ وَهُدَيْنَاهُمْ وَالْمَالِمِينَ فَلَا يَمْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ وَهَدَيْنَاهُمْ وَلَوْ اللّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّ

(ك) «يذكر(١) تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق بعد أن طعن في السن، وأيس هو وامرأته سارة من الولد، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط، فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك وقالت: ﴿ قَالَتْ يَنُونِلَقَتْ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَلَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۚ إِنَّ هَلَا لَشَقَءُ عَجِيبٌ ۞ قَالْوَا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَنْكُمُ عَلَيْكُو أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ نَجِيدٌ ۞﴾ [هود: ٧٧ ـ ٧٣] فبشروهما مع وجوده بنبوته، وبأن له نسلاً وعقباً، كما قال تعالى: ﴿ وَبَثَّرْنَكُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ ٱلصَّلِيحِينَ ﴿ الصافات: ١١٢] وهذا أكمل في البشارة وأعظم في النعمة، وقال: ﴿ فَبَشِّرْنَكُهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَآهِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] أي: ويولد لهذا المولود في حياتكما، فتقر أعينكما به، كما قرت بوالده، فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم، وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله كل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه، لتقر بهم عينه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَاكُمْمُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبٌ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيتًا ۞﴾ [مـريــم: ٤٩] وقـــال هـهـنـا: ﴿وَوَهَبَّنَا لَهُ وَ إِسَّحَنَى وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ وقـولـه: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبله هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذرية صالحة، وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه، فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به، وهم الذين صحبوه في السفينة، جعل الله ذريته هم الباقين، فالناس كلهم من ذريته (٢)، وأما الخليل إبراهيم على، فلم يبعث الله على بعده نبياً إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿ وَجَمَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ (٣) ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧] وقال

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يخبر».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ذرية نوح».(٣) في الأصل: «ذريتهما»!



⁽۱) انظر: «تفسير ابن جرير» (٩/ ٣٨١).

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «على ذلك».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «هارون»!

⁽٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٧٥٥٤)، وعبد الله بن عطاء ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ١٣٥) وكذا البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٦٥) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال الذهبي: صدوق إن شاء الله. انظر: «الميزان» (٣/ ٤٤٥١) وعلى بن عابس ضعيف كما في «التقريب».

⁽٥) سقط من الأصل، وأثبته من «تفسيري ابن أبي حاتم وابن كثير».



ذُرِيَّتَتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيَّمَنَ ﴿ حتى بلغ: ﴿ وَيَعَنَى وَعِيسَىٰ ﴾ قال: بلى، قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت » فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته، أو وقف على ذريته، أو وهبهم، دخل أولاد البنات فيهم (١١)، فأما إذا أعطى الرجل بنيه، أو وقف عليهم، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه، وبنو بنيه، واحتجوا بقول الشاعر العربي (٢٠):

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد (٣)

وقال آخرون: ويدخل بنو النبات فيهم أيضاً؛ لما ثبت في "صحيح البخاري" أن رسول الله على قال للحسن بن على: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فتتين عظيمتين من المسلمين". فسماه ابناً، فدل على دخوله في الأبناء، وقال آخرون: هذا تجوز، وقوله: "وَمِنْ ءَابَابِهِمْ وَدُرِيَّامِمْ وَلَوعَهم وَدُوي طبقتهم، وإن الهداية والاجتباء شملهم ولموعهم وفروي طبقتهم، وإن الهداية والاجتباء شملهم كلهم، ولهذا قال: "وَاَجْنَبَيْنُمُ وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ ثم قال تعالى: "وَدُلِك كلهم، ولهذا قال: "وَاَجْنَبَيْنُمُ وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ ثم قال تعالى: "وَدُلِك هُدَى الله يَبْدِي بِهِ، مَن يَشَاهُ مِنْ عِبَادِمِ أَي: إنما حصل لهم ذلك (٥) بتوفيق الله وهدايته إياهم: "وَلَوَ أَشْرَكُوا لَحَبِطُ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ تَسديد لأمر السرك، وتعليظ لشأنه، وتعظيم لملابسته، كقوله تعالى: "وَلَقَدْ أُوجِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى اللَّذِينَ مِن وَعَلَيظ لشأنه، وتعظيم لملابسته، كقوله تعالى: "وَلَقَدْ أُوجِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى اللَّذِينَ مِن الله الموقوع كقوله: "وَلَوْ أَرَدُنَا أَن تَنَجْدُ مُنَا لِرَحْمَى وَلَدُ فَأَن أَوْلُ الْمَحِينَ هَا يَعْلَقُ مَا يَشَكَأَهُ شُبَحَمَلُمُ هُو وكقوله: "وَلَوْ أَرَدُنَا أَن تَنَجْدُ مُؤَل لَاتَمْطَفَى مِمَا يَعْلُقُ مَا يَشَكَأَهُ شُبَحَمَلُمُ هُو وكقوله: "وَلَوْ أَرَدُنَا أَن تَنَجْدُ مُؤَلَ لَاتَمْطَفَى مِمَا يَعْلَقُ مَا يَشَكَأَهُ شُبَحَمَلُمُ هُو الزمر: ١٥] وهذا المَوقوع كقوله: "وَلَوْ أَرَدُنَا أَن تَنَجْدُ مُؤَل لَاتَمْعَلْقَى مِمَا يَعْلَقُ مَا يَشَكَأَهُ شُبَحَمَلُهُ هُو الله المُورِد الله الله المُورِد الله المنتَعَلَقُ مُن الْمُؤَلِّ الْمُؤْمِدُ الْمُعْمَلِي مَا يَشَكَاهُ شُبَعَمَلُهُ هُو الله الله المنه المنتَعَلَقُ مَا يَشَكَاهُ شُبَعَامُ المُن المنتَعَلَقُ مَا يَشَكَاهُ المُبْعِدِي الله المنتَعَلَقُ مُل المُعْمَلُونَ المُعْلَى المَالِقُ المَن المنتَعَلِي المنتَعِلِي المنتَعَلَقُ المنتَعَلِقُ المنتَعَلِي المنتَعَلِقُ المنتَعَلِي المنتَعَلِي المنتَعَلِي المناه المناه المناه المناه المنتَعَلِي المناه ال

⁽۱) انظر: «التهذيب في الفرائض» للكلوذاني (۲۸٦، ۲۸۸، ۲۹۰)، «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص۳۸٦ ـ ۳۸۲ ـ بتحقيقي)، ولبعضهم رسائل مفردة في ذلك، انظر: «معجم المصنفات المطروقة» (۲/ ۱۳۰۶).

⁽٢) هو الفرزدق، والبيت في «ديوانه» (٢١٧).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الأجانب».

⁽٤) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة.

⁽٥) من مطبوع «تفسير ابن كثير» وسقطت من الأصل.

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٠٦ _ ١٠٩).



فائدة

قال محمد تقي الدين: قول (ك): "وهذا مجازاة حين اعتزل قومه... إلى النه"، قال تعالى في سورة مريم: ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَكُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللّهِ وَهَبْنَا لَهُم مِن رَحْمَلِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيّا (شَهُ وَيَعْفُنَا لَهُمْ مِن رَحْمَلِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّا (شَهُ وَمَعَلْنَا فَحْمُ لِسَانَ صِدْقِ عَلِيّا (شَهُ وَمَعِدُ الله على عادة غير الله وهجرهم، وتوجّه إلى الله طالباً وجود قوم يتعاون معهم على عبادة الله وحده لا شريك له واتباع الرسول على لا بد أن يقر الله عينه ويعطيه من خير الدنيا والآخرة فوق ما كان يؤمل، ويجعل له لسان صدق في الآخرين، ومن شك في هذا فليجرّب، فهذه سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

الفائدة الثانية: قول (ك) في إبليس: «إنه كان في تشبه بهم»، أي: بالملائكة، فيه ركاكة، ولعله محرف، والمراد بالتشبه بهم، أنه كان يعبد الله مثل عبادتهم.

الفائدة الثالثة: قوله: ﴿وَلَوَ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ المذكورون من قبل بعضهم أنبياء، ويستحيل عليهم أن يشركوا، وقد بين (ك) غاية البيان، أن الشرط يتعلق بما لا يجوِّز وقوعه، وبعضهم يجوز عليهم الشرك بل وقع فيهم كأبي إبراهيم آزر، وابن نوح الذي غرق، والمقصود أن الشرك يحبط جميع الأعمال، ومن مات عليه لا يدخل الجنة أبداً وهذا هو الأصل في هذا الباب.

🖮 الباب الحادي عشر 🗺

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ جِثْتُمُونَا فُرَدَىٰ كُمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمُ مَّا خَوَلْنَكُمْ وَرَاّةَ ظُهُورِكُمُّ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ٱلْبَّهُمْ فِيكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ٱلْبَهُمْ فِيكُمْ شُرَكُونًا لَقَد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنْتُمْ تَرَّعُمُونَ ﴿ اللهَ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ الل

قال (ك): «أي: يقال لهم يوم معادهم هذا، كما قال: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِنْتُمُونَا كُمَا خَلَقْنَكُمُ أُوَّلَ مَرَّةً﴾ [الكهف: ٤٨] أي: كما بدأناكم أعدناكم، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه، فهذا يوم البعث، وقوله: ﴿وَتَرَكَّتُم مَّا خَوَّلْنَكُمُّمْ

وَرَآءً ظُهُورِكُمٌّ ﴾ أي: من النعم والأموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا وراء ظهوركم، وثبت في «الصحيح»(١) أن رسول الله على قال: «يقول ابن آدم: مالى مالى، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس». وقال الحسن البصري: يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيقول الله على [له]: أين ما جمعت؟ فيقول: يا رب جمعته وتركته أوفر ما كان، فيقول له: يا ابن آدم! أين ما قدمت لنفسك؟ فلا يراه قدَّم شيئاً. وتلا هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ حِثْتُمُونَا فَرُدَىٰ كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكَّتُم مَّا خَوَّلَنَكُمْ وَزَاءَ ظُهُورِكُمٌّ ﴾ رواه ابن أبي حاتم (٢)، وقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمُ أَنُّهُمْ فِيكُمْ شُرِّكُواً ﴾ تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد، فإذا كان يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب، وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون، ويناديهم الرب جل جلاله على رؤوس الخلائق: ﴿ أَيِّنَ شُرَكَّآءِى ۗ ٱلَّذِينَ كُشُرُّ تَزَعْمُونَ ﴾ [الــقــصــص: ٦٢ و٧٤] ﴿ وَقِيلَ لَمَتُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُرُونَكُم أَوْ يَنْكَمِرُونَ ١٤ ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرِّكُوًّا ﴾ أي: في العبادة، لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم، ثم قال تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطُّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ قرئ بالرفع (٣) أي: شملكم، وبالنصب(٤)، أي: لقد تقطع(٥) ما بينكم من الأسباب والصلات(٢) والوسائل، ﴿وَضَلَّ عَنكُم ﴾ أي: ذهب عنكم ﴿مَّا كُنتُم تَزَّعُمُونَ ﴾ من نفع (٧)

⁽١) أخرجه مسلم (٢٩٥٩) من حديث عبد الله بن الشُّخير.

⁽٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٧٦٤١) معلقاً، وزاد نسبته السيوطي في «الدر» (٣/ ٢٠) إلى عبد بن حميد.

 ⁽٣) قراءة الرفع هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر.
 انظر: «المحتسب» (٢/ ١٩٠)، «البحر المحيط» (٦/ ١٦٣)، «الكشاف» (٢/ ٢٧١)،
 «التذكرة في القراءات الثمان» (٣٢٩).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقرئ بالنصب» قلت: وقراءة النصب هي قراءة الكافة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٦٠)، «السبعة» (٢٦٣)، «روح المعاني» (٧/ ٢٢٥).

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «انقطع».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والوصلات».

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «رجاء».



الأصنام والأنداد، كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرُّا الَّذِينَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْمَنَابُ وَتَقَطَّعَتَ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوَ أَنَ لَنَا كُرَّةً فَنَتَبَرًا مِتَهُمْ كَمَا تَبَرُّمُوا مِنَّا كَذَاكِ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْتَلَهُمْ حَسَرَتِ عَلَيْمٍ وَمَا هُم يِخْرِجِينَ مِنَ النَّادِ اللَّهِ وَاللَّيْنَ أَنْكُ أَنْكُ أَنْكُ أَنْكُ أَنْكُ أَنْكُ أَنْكُ أَنْكُم اللَّهُ أَعْتَلَهُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّمِنِ فَلَا المَوْمَنُونَ اللَّهِ وَاللَّمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا كُذُو اللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللللَّهُ وَا

قال محمد تقي الدين: قوله (٢): «إن كان ثم معاد»: يعني بالنسبة إلى المشركين، فإن كثيراً منهم كانوا ينكرون المعاد أو يشكّون فيه.

فائدة

قال محمد تقي الدين: آيات هذا الباب تدل دلالة في غاية الوضوح على أن عبد القبور وأصحاب الطرائق يخسرون يوم القيامة خسراناً مبيناً؛ لأنهم يظنون بل يعتقدون أن شيوخهم يشفعون لهم عند الله ويدخلونهم الجنة، فإذا بهم يتبرؤون منهم ويقولون لهم بلسان فصيح: ما كنتم إيانا تعبدون، يعنون: إنما كنتم تعبدون شياطين الإنس والجن الذين أضلوكم وزينوا لكم الشرك ﴿ فَكُفَى بِاللّهِ شَهِيدًا يَيْتَنَا مُنَيَّاكُمُ إِن كُناً عَنْ عِبَادَتِكُمُ لَعَنفِايِن ﴾ [يونس: ٢٩] وذلك أن المقبور إما أن يكون نبياً أو صالحاً فهو غافل عن عبادة المشركين بما أعد الله له من النعيم، وإما أن يكون طالحاً راضياً بالشرك فهو غافل عن عبادتهم بما أعده الله له من عذاب أليم.

انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/١١٣ ـ ١١٥).

⁽٢) المراد ابن كثير _ رحمه الله تعالى _.



😝 الباب الثاني عشر 🗺

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتِ بِغَيْرِ عِلْمَ سُبْحَكُنَهُ وَتَعَلَىٰ عَمّا يَصِفُونَ ﴿ إِنَّ بَدِيعُ السَّمَنَوْتِ وَالْأَرْضِ اَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَلْحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَلْحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُ اللهُ وَلَا تَكُن لَهُ صَلْحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُو بِكُلِ شَيْءٍ عَلَيمُ وَهُو يَلِيمُ وَهُو عَلَى وَهُو يَدْدِكُ اللهُ وَلَا يَعْمَلُوهُ وَهُو يَدْدِكُ اللّهُ اللّهَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ وَكِيلُ ﴿ إِلَهُ إِلّا هُو خَلِقُ صَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللللّهُ الللللللّهُ الللللللللللّ

⁽۱) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عبدوا الأصنام».



غيره؟ كقول إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَتَحِتُونَوَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ وَالصافات: ٩٥ ـ ٩٦] ومعنى الآية أنه ﷺ هو المستقل بالخلق وحده، فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له، وقوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَتَتِ بِغَيْرِ عِلَمْ ﴾ ينبه به تعالى عن ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولداً، كما يزعم (١) من قاله من اليهود في عزير ومن النصارى في عيسى (٢)، ومن قال [من مشركي العرب] في الملائكة أنها بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ومعنى خرقوا (٤٠) أي: اختلقوا وائتفكوا وتخرصوا وكذبوا كما قاله علماء السلف.

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يزعمه».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المسيح».

⁽٣) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "وكما قال المشركون من العرب".

 ⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقوله: ﴿وَخَرَقُوا﴾)».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن جرير» (٩/ ٤٥٦): «فتأويل الكلام».

⁽٦) كذا في مطبوع «تفسيري ابن جرير وابن كثير»، وفي الأصل: «إياهم»!

 ⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسيري ابن جرير وابن كثير»: «يقول: وتخرصوا لله كذباً فافتعلوا له بنين وبنات ﴿ بِنَيْرِ عِلْرِ ﴾)».



السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ إِلَا ءَاقِ الرَّحْنِ عَبْدًا ﴿ لَقَدْ أَحْصَنَهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقَيْدَمَةِ فَرَدًا ﴿ وَكُلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فبين تعالى الله خلق كل شيء عليم الله عن خلق من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له، فأنى يكون له ولد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

يقول تعالى: ﴿ فَالِكُمُ اللّهُ رَبُكُمُ أَنَهُ رَبُكُمُ أَي الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة: ﴿ لاَ إِلَهُ إِلّهُ إِلّا هُوَ خَلِقُ كُلِ شَيءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾ أي: فاعبدوه وحده لا شريك له، وأقروا له بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا ولد له (٢) ولا نظير ولا عديل: ﴿ وَهُو عَلَى كُلِ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: حفيظ ورقيب، يدبر كل ما سواه ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار »(١).

فائدة

قال محمد تقي الدين: قول (ك): «فإن قيل: كيف عبدت الجن مع أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام؟» وجوابه عن ذلك، بأن الجن يوسوسون لعبّاد الأصنام يزينون لهم عبادتها فنسبت إليهم العبادة لذلك. فيه نظر؛ لأن القرآن قد صرح بأن بعض المشركين كانوا يعبدون الجن حقيقة، كما في قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَيَوْمَ يَعَشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَيِّكَةِ أَهَوُلَاّ إِلَيْكُرُ كَافُوا يَعْبُدُونَ فَي قَلُوا بِسَانَكُ أَتَ وَلِيْنَا مِن دُونِهِمْ بَلَ كَافُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكَثُرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ فَي السبا: ﴿ وَاللّهُ مِن الْإِنِي يَعُودُونَ بِهَالِ يِنَ الْإِنِي يَعُودُونَ بِهَالِ يِنَ الْإِنِي يَودُونَ بِهَالِ يَن الْإِنِي يَودُونَ بِهَالِ يَن الْإِنِي يَودُونَ بِهَالِ يَن اللّهِ فَوَالَتُهُمُ وَلَا اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها، وكما كانت عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أنّ يصيبهم بشيء يسوءهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ﴿ فَرَادُوهُمْ رَهَمًا ﴾، أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى صاروا (٤) أشد منهم خوفهم منهم ﴿ فَرَادُوهُمْ رَهَمًا ﴾، أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى صاروا (٤) أشد منهم

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وأنه».

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولا والد ولا صاحبه له».

⁽۳) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (٦/ ۱۲۰ _ ۱۲۲).

⁽٤) في مطبوع "تفسير ابن كثير»: «تبقوا».



مخافة وأكثر تعوذاً بهم، كما قال قتادة: ﴿فَرَادُوهُمْ رَهَفَا﴾ أي: إثماً وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة، وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من البجن أن أضر وأنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم البجن الأذى عند ذلك»(١). اه.

قال محمد تقي الدين: فقد تبين أن مشركي العرب كانوا يعبدون الجن بالعياذ والخوف، وتقدم أن الجهال في هذا الزمان يعبدون الجن إذا بنوا بيتاً جديداً يذبحون ذبيحة للجن قرباناً لهم لئلا يؤذوهم، والسحرة في هذا الزمان إذا دعوا لعلاج شخص مصروع يأمرون أهله بذبح ذبيحة لذلك الجن الذي صرعه بزعمهم.

🔀 الباب الثالث عشر 😣

قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ أَنَّبِعْ مَا أُوحِى إِلَيْكَ مِن رَّيِكَ ۖ لَا إِلَنهَ إِلَا هُوَ وَأَعْرِضَ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَكَ إِلَا هُو وَأَعْرِضَ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلٍ ﴿ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ مَا أَشَاءَ ١٠١ ـ ١٠٠١] عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوكِيلٍ ﴿ إِلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِعَامُ: ١٠١ ـ ١٠٠١]

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٤٨/١٤).

⁽٢) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».



[الغاشية: ٢١ ـ ٢٢] وقال: ﴿فَإِنَّمَا (١) عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]»(٢).

فصل

قال محمد تقي الدين: قوله تعالى مخاطباً رسوله على وفي ضمنه خطاب لأمته: ﴿ اللَّبِعُ مَا أُوحِى إِلَيْكَ مِن رَّبِكَ ﴾ يشمل الوحي كله، سواء أكان قرآناً أم حديثاً، فإن الحديث يوحى إلى النبي على أيضاً، ولكن لا يسمى قرآناً؛ لقوله تعالى في سورة النجم: ﴿ وَمَا يَعِلَقُ عَنِ الْمُوكَا ۚ ﴾ إِنّ هُوَ إِلّا وَحَى يُوكِى ﴾ [النجم: ٣-٤] وفي «الصحيح» (٣): إن النبي على لما هاجر إلى المدينة وجد أهلها يلقّحون النخل، فقال لهم: «ما هذا؟» فقالوا: شيء نأخذه من الذكر ونضعه في الأنثى، يصلح عليه التمر، فقال: «ما أراه ينفع»، فتركوا التلقيح، ففسد التمر وصار شيصاً فأخبروا النبي على بذلك، فقال: «إذا حدثتكم عن الله فخذوا به، فإني لا أكذب على الله، وأنتم أعلم بأمور دينكم».

أو كما قال عليه الصلاة والسلام، فكل ما تكلم به النبي على في أمور الدين، فهو من الله تعالى وأهم أمور الدين توحيد الله تعالى في ربوبيته، فلا رب غيره، وفي عبادته فلا يعبد غيره، وفي أسمائه وصفاته فلا يشاركه فيها غيره، وفي الاتباع فلا يتبع إلا وحيه وهو القرآن والحديث الثابت، وعلى هذه الأربعة نويت أن أؤلف هذا الكتاب وقد بدأته وتمامه على الله، فاتباع توحيد الله تعالى بأنواعه الأربعة فرض على كل مسلم، والإعراض عن المشركين بمخالفتهم والبراءة منهم واجب حتم.

∺ الباب الرابع عشر 🔫

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذَكِّ اَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّا لَهُ لَوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَا آلِهِمْ لِيُجَدِلُوكُمْ وَإِنَّ اَطَعْتُمُوهُمْ وَإِنَّا اَللَّهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ اللَّهُ مُشْرِكُونَ إِلَىٰ أَوْ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ اللَّهُ مُشْرِكُونَ إِلَىٰ أَوْ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ فُورًا يَمْشِي بِهِ ا

⁽١) في الأصل: «إنما»!

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٣١ _ ١٣٢).

⁽٣) أخرجه مسلم (٢٣٦٣) وغيره من حديث أنس.



فِ ٱلنَّاسِ كَمَن مَّمَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَنتِ لَيْسَ بِخَارِجِ مِّنْهَا كَذَالِكَ زُيِّنَ لِيَّسَ بِخَارِجِ مِّنْهَا كَذَالِكَ زُيِّنَ لِيَّا لِلْعَامِ: ١٢١ ـ ١٢٢] لِلْكَنفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ﴾ [الأنعام: ١٢١ ـ ١٢٢]

قال (ك): «استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها [وإن] (١) كان الذابح مسلماً، وقد اختلف الأثمة رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

فمنهم من قال: لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة، وسواء متروك التسمية عمداً أو سهواً، وهو مرويٌ عن ابن عمر ونافع مولاه وعامر الشعبي ومحمد بن سيرين، وهو رواية عن الإمام مالك، ورواية عن أحمد بن حنبل، نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين، وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري، واختار ذلك أبو الفتوح (٢) محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه «الأربعين» (٣) واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية، وبقوله في آية الصيد: ﴿ فَكُلُوا مِنْ السَّكُنُ عَلِيَكُمُ وَالْمُرُوا الله عَلَيْ عَلَيْ المائدة: ٤] ثم أكد في هذه الآية بقوله: ﴿ وَلِنَّمُ لَسَكُنُ عَلَيْكُمُ وَالْمُرُوا الله عَلَيْ الله المائدة: ٤] ثم أكد في هذه الآية بقوله: ﴿ وَلِنَّمُ وَالشَّهُ وَالضمير قيل: عائد على الأكل، وقيل: عائد على الذبح لغير الله، وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد، كحديثي عدي ابن حاتم (٤) وأبي ثعلبة (٥): «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك»، [وهو] (٢) في «الصحيحين» أيضاً، وحديث ابن مسعود، أن أمسك عليك»، [وهو] (٢) في «الصحيحين» أيضاً، وحديث ابن مسعود، أن رسول الله عليه قال للجن: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه». رواه مسلم (٧)،

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولو».

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وهو الصواب إذ هكذا ذكرت الكتب التي ترجمت له. أنظر: «السير» (٢/ ٣٦٠)، «طبقات الشافعية الكبرى» (٦/ ١٨٨)، وفي الأصل: «أبو الفتح»!

⁽٣) تمام اسم كتابه «في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين» وهو مشهور بدالأربعين الطائية»، وكلامه على المسألة فيه على (الحديث الأربعين) (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩، ط. المعارف)، وقال عن عدم الحل سواء ترك التسمية عمداً أو ناسياً: «وهو الأشبه بظاهر الكتاب والسنة»، وقد فصلت في المسألة في تعليقي على «الإشراف» للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي (٣٤٦/٤) مسألة رقم (١٦٩٣)، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽٤) أخرجه مسلم (١٩٢٩)، والبخاري (١٧٥) واللفظ لمسلم.

⁽٥) أخرجه البخاري (٥٤٧٨)، ومسلم (١٩٣٠).

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهما».

⁽V) في «صحيحه» برقم (٤٥٠).



وحديث جندب بن سفيان البجلي قال: قال رسول الله على: "من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى، ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله». أخرجاه (١)(٢)، وعن عائشة على: "أن ناساً قالوا: يا رسول الله، إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ قال: "سموا عليه أنتم وكلوا»، قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر». رواه البخاري (٣)، ووجه الدلالة، أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها، وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل، لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل، لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح، إن لم تكن وجدت، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد.

والمذهب الثاني في المسألة: إنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة؛ فإن تركها عمداً أو نسياناً لا يضر، وهذا مذهب الإمام الشافعي كَلَّلَهُ وجميع أصحابه ورواية عن الإمام مالك، ونص على ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل وهو رواية عن الإمام مالك، ونص على ذلك أشهب وحمل الشافعي الآية الكريمة: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِنَا لَرَ يُلْكُو اَسَمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنّمُ لَوْسُقُ اللّه الشافعي الآية الكريمة: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِنَا لَرَ وَلَا تَأْكُلُوا مِنَا لَرَ وَلَا يَعْمُ اللّهِ بِهِنّه الله يَهِمُ الله يَهِمُ الله يَهِمُ الله يَهِمُ الله يَهِمُ قال: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان، وينهى عن فبائح المحبوس، وهذا المسلك الذي [طرده] (٥) الإمام الشافعي قوي، وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل الواو في قوله: ﴿وَإِنّهُ لَوْسَقُ وَالله عليه أي حال كونه فسقاً ولا يكون فسقاً حتى يكون تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقاً ولا يكون فسقاً حتى يكون تذا أهل به لغير الله، ثم ادعى أن هذا متعين، ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة؛ لأنه يلزم فيه (٦) عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية، وهذا ينتقض عليه بقوله: ﴿وَإِنّهُ اللّهِ عَلِيهُ عَلْهُ الله عليه فإن كانت عليه بقوله: ﴿وَإِنّهُ اللّهُ عَلْهُ مَا حَلْهُ اللّهُ عَلْهُ الله والله أعلم الله أنها حالية (١) بطل ما قال من أصله والله أعلم.

⁽١) يعني البخاري ومسلم (منه).

⁽۲) أخرجه البخاري (۹۸۵)، ومسلم (۱۹۲۰).

⁽٣) أخرجه البخاري (٢٠٥٧)، وأبو داود (٢٨٢٩) وغيرهما.

⁽٤) انظر في المسألة: «المغنى» (٨/ ٥٣٩)، و «تفسير القرطبي» (٧/ ٧٥).

⁽٥) في مطبوع "تفسير ابن كثير"): «طرقه". (٦) في مطبوع "تفسير ابن كثير": «منه".

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «صحيحة على ما قال؛ امتنع عطف هذه عليها فإن عطفت على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره، وإن لم تكن الواو حالية».



وقال ابن أبي حاتم (١) بسنده عن ابن عباس في الآية: ﴿وَلَا تَأْكُوا مِمَّا لَمُ اللّهِ عَلَيْهِ ﴾ قال: هي الميتة، وقد استدل لهذا المذهب بما رواه أبو داود في «المراسيل»(٢)، وذكر سنده إلى الصّلت السَّدُوسي قال: قال رسول الله ﷺ: «ذبيحة المسلم حلال، ذكر اسم الله أو لم يذكر، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله». وهذا مرسل، يعضد بما رواه الدراقطني (٣) عن ابن عباس أنه قال: «إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل، فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله».

المذهب الثالث في المسألة: إن ترك البسملة على الذبيحة نسياناً لم يضر وإن تركها عمد لا⁽¹⁾ تحل، هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحاق بن راهويه وهو يحكى⁽⁰⁾ عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي مالك وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وقال أبو جعفر ابن جرير كله: من حرم ذبيحة الناسي، فقد خرج من قول جميع الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله على يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي⁽¹⁾ بسنده عن ابن عباس عن النبي على قال: «المسلم يكفيه اسمه إن نسي البيهقي⁽¹⁾ بسنده عن ابن عباس عن النبي على قال: «المسلم يكفيه اسمه إن نسي

⁽۱) في «تفسيره» (١٣٧٨/٤ رقم ٨٧٣٣)، وابن جرير (٩/ ٥٢٨)، وعزاه في «الدر المنثور» (٣/ ٤٢) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

⁽٢) أخرجه أبو داود في «المراسيل» رقم (٣٧٨) ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (٩/ ٢٤٠)، وابن الجوزى في «التحقيق» (٢/ رقم ١٩٣٨).

وقال عبد الحق في «الأحكام الوسطى» (٧/ ١٠٤): «هذا مرسل وضعيف» وقال ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٣/ رقم ١٣٦٩): «وعلته مع الإرسال هي: أن الصلت السدوسي لا تعرف له حال، ولا يعرف بغير هذا، ولا روى عنه إلا ثور بن يزيد»، وانظر: «نصب الراية» (٤/ ١٨٣) و«التلخيص الحبير» (٤/ ١٥١)، و«الإرواء» (٨/ ١٧٠).

⁽٣) أخرجه الدارقطني في «السنن» (٤/ ٢٩٥، ٢٩٦) رقم (٩٦) وكذا أخرجه سعيد بن منصور (٥/ ٨١ رقم ٩١٤ _ «التفسير») _ ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (٩/ ٢٣٩) _ وعبد الرزاق (٨٥٣٨، ٨٥٤٨)، والبيهقي في «المعرفة» (٣/ ٤٤٧) رقم (١٨٧٩١) والحميدي _ ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (٩/ ٢٣٩، ٢٤٠) _ وإسناده صحيح، وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٤٢٤).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لم».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «محكي».

⁽٦) رواه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٧/ رقم ٥٥٩٧)، وأخرجه في «الكبرى» =

أن يسمي حين يذبح، وليذكر اسم الله وليأكل»، وهذا الحديث رفعه خطأ أخطأ فيه معقل بن عبيد الله [الجزري] (١)، ورواه سعيد بن منصور بسنده عن ابن عباس موقوفاً، قال (٤): "وهذا أصح، نص عليه البيهقي» (٢).

قال (ج): "ولا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه" (٢). قال (ك): "وهذا الذي قاله صحيح" (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآلِهِمْ لِيُجَدِلُوكُمْ ۗ روى ابن أبي حاتم (٥) بسنده إلى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس الله انهما قالا في المختار بن أبي عبيد لما ادعى أن الوحي ينزل عليه: صدق، وقرأ هذه الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآلِهِمْ ﴾ يعنيان أن المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب كان من أولياء الشياطين.

قال محمد تقي الدين: مرادهما: أن الوحي الذي ادعاه المختار ابن أبي عبيد هو من وحي الشياطين، ثم قال (ك): «روى أبو داود (٢) وذكر سنده عن

^{= (}٩/ ٢٣٩) ومن قبله الدارقطني في «السنن» (٢٩٦/٤) رقم (٩٨) _ ومن طريقه ابن الجوزي في «التحقيق» (٢/ ٣٦٠) رقم (١٩٣٧) _ وإسناده ضعيف مرفوعاً، وهو صحيح موقوفاً.

قال البيهقي: «المحفوظ رواية سفيان بن عيينة عن عمرو عن أبي الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس موقوفاً.

فقال ابن حجر في «الدراية» (٢٠٦/٢): «صوّب الحفاظ وقفه».

وقال في «التلخيص الحبير» (١٥١/٤) عن المرفوع: «في إسناده ضعف وأعله ابن الجوزي بمعقل بن عبيد الله فزعم أنه مجهول فأخطأ بل هو ثقة من رجال مسلم...»، وأعله ابن القطان بمحمد بن يزيد وهو ابن سنان الرُّهاوي. انظر: « الوهم والإيهام» (٣/ ١٣٧٠) و «نصب الراية» (١٨٢/٤).

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الجزيري».

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/١٥١).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن جرير» (٩/٩٦٥) بمعناه.

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٥٥).

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٧٨٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٩٢٤) عن ابن عمر، وأخرجه عن ابن عباس: ابن جرير (١٣/ ١٣٨٣٢)، وابن أبي حاتم (١٣٧٩/٤) ونحوه عند القرطبي في «التفسير» (٧/ ٧٧) عن ابن الزبير، وانظر آخر: «المستجاد» للتنوخي رقم (٢٠٦) وتعليقي عليه.

⁽٦) أخرجه أبو داود (٢٨١٩) _ ومن طريقه البيهقي (٢/ ٢٤١)، وفي «المعرفة» (٧/ رقم ٥٥٩٩) _، والترمذي (٣٠٦٩)، والبزار _ كما في «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٥٦) _، =



عبد الله بن عباس قال: جاءت اليهود إلى النبي على فقالوا: نأكل مما قتلناه ولا نأكل مما قتلناه ولا نأكل مما قتلناه ولا نأكل مما قتل الله، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُوا مِمَّا لَمْ يُلِّكُو السّمُ الله عَلَيْهِ قال (ك) بعد كلام: «وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة: أحدها: إن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا. الثاني: إن الآية من الأنعام (١) مكية. الثالث: إن هذا الحديث رواه الترمذي (٢) وذكر سنده عن ابن عباس أن ناساً أتوا النبي على ... إلى آخره،

قال أبو عبيدة: أخرج الطريق المرسلة: ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ رقم ٧٨٣٢) بسند جيد، وعزاه في «الدر» (٣٤٦/٣) لابن المنذر وأبي الشيخ.

وذكر اليهود في الموصول والمرسل منكر، قال أبن كثير (٦/ ١٥٦ ـ ١٥٧) عن الرواية التي فيها ذكر لهم: «وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة:

أحدها: إن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.

الثاني: إن الآية من الأنعام وهي مكية ثم أورد في (الثالث) بعض الطرق التي فيها ذكر للمشركين لا لليهود.

قلت: أخرج أبو داود (٢٨١٨)، وابن ماجه (٣١٧٣)، والبيهقي (٢٤١/٩) في «سننهم»، وابن أبي حاتم (٤/رقم ٧٨٤٥)، وابن جرير (٨/٣١) في «تفسيريهما»، والحاكم (٤/ ١٦٣) من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: «يقولون: ما ذبح الله فلاناً كلوه...» بنحوه مع إبهام القائلين: قال ابن كثير (١٥٨/٦): «هذا إسناد صحيح» قال: «وليس فيه ذكر اليهود، فهذا هو المحفوظ، والله أعلم».

قلت: رواية سماك عن عكرمة مضطربة، وهذا أمر معروف بين العلماء، وقد وقع التصريح عن ابن عباس قال: «جادل المشركون المسلمين...» بنحوه.

أخرجه النسائي (٧/ ٢٣٧)، وفي «الكبرى» (* /رقم ٤٥٢٦ و * /رقم ١١١٧١) _ ومن طريقه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (* ($^$

(۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهي». (۲) أخرجه الترمذي (۳۷،۰۱).

وابن جرير (٨/ ١٥)، وابن مردويه _ كما في «الدر المنثور» (٣٤٦/٣)، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (١٠/رقم ٢٧٠، ٢٧١) _، والطبراني في «الكبير» (١١/رقم ١٢٢٩٥) حن طريقه الضياء (٢١/ رقم ١٢٢٩) _، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٢٤٠) من طريقين عن عطاء بن الساثب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه وإسناده ضعيف، عطاء مختلط، والراويان عنه (عمران بن عيينة وزياد بن عبد الله البكائي) لم يحملا عنه قبل اختلاطه. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن عباس أيضاً، ورواه بعضهم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن النبي عن سعيد بن جبير عن النبي عن مسلاً».

وقال الترمذي: حسن غريب»، ثم ذكر (ك) أخباراً ونقولاً تدل على أن الذي قال ذلك هم المشركون، وهو الصحيح؛ لأنهم يأكلون الميتة.

"وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَشَرِكُونَ﴾ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك كقوله تعالى: ﴿الَّغَنَدُوا الْحَبَارَهُمْ وَرُهُبَكَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ [التوبة: ٣١] وقد روى الترمذي (١) في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله، ما عبدوهم، فقال: «بلى، إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»(٢). اه.

فصل

قال محمد تقي الدين: الذي نختاره من هذه الأقوال الثلاثة هو أن الذبيحة إذا ترك ذابحها التسمية سهواً يجوز أكلها وإن تركها عمداً لا يجوز أكلها، والمراد بالشرك هنا كما قال (٤) كَثَلَثْه: جعل التشريع لغير الله، فمن اتخذ إماماً أو شيخاً وبالغ في تعظيمه حتى جعل له الحكم إذا حلل شيئاً أو حرمه أو أوجبه لم يطالبه بدليل، بل لو كان قوله مخالفاً لكلام الله وكلام رسوله رجحه عليهما، وقال: (إمامي أو شيخي أعلم بالحديث وبالقرآن) فقد أشرك بالله واتخذ شيخه وإمامه رباً من دون الله، وسيأتي إن شاء الله مزيد على هذا في (القسم الثاني) من هذا الكتاب عند تفسير آية التوبة المشار إليها أعلاه.

🖼 الباب الخامس 🗺

قال محمد تقي الدين: وجدت تفسير هذه الآية في (ك) محرفاً فاسداً (٣)

⁽١) أخرجه برقم (٣٠٩٥) والحديث حسن بمجموع طرقه، وتقدم تخريجه مفصَّلاً.

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/٦٦ _ ١٥٩) بتصرف.

⁽٣) لا تنس ما قدمه المصنف مراراً عن سوء طبعات «تفسير ابن كثير» التي وقف عليها، =



فاضطررت أن أفسرها بكلامي مما فهمته من التفاسير، قال تعالى عائباً على المشركين: ﴿وَجَعَلُوا بِيَّهِ مِمَّا ذَرَا ﴾ أي: خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرَثِ ﴾ أي: غلة الزرع ﴿وَالْأَغْكَمِ ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، ﴿نَمِيبًا ﴾ أي: قسماً، وجعلوا لأوثانهم نصيباً آخر، فقالوا: هذا لله، وأطعموه الضيوف والمساكين، وأما النصيب الذي جعلوه لأوثانهم فإنهم يعطونه سدنتها، فإذا وقع من النصيب الذي جعلوه لله شيء في النصيب الذي جعلوه لأوثانهم، تركوه مع نصيب الأوثان، وقالوا: إن الله غني، والأوثان فقيرة، أما إذا وقع في النصيب الذي جعلوه لله شيء من النصيب الذي جعلوه لأوثانهم أخذوه وردوه إلى نصيب الأوثان، وهذا يدل على أن الذي جعلوه للأوثان أكثر من خوفهم ورجائهم لله تعالى، فلذلك يتساهلون في حق الأوثان.

وهكذا يعمل مشركو هذا الزمان، وقد تقدم بيان ذلك، هذا معنى ما رأيته في عدة من التفاسير، ويظهر لي أن معنى الآية أن المشركين، يتصدقون بنصيب من أموالهم لوجه الله، ويتصدقون بنصيب آخر تقرباً إلى أوثانهم، فما جعلوه لله لا يقبله منهم فلا يصل إلى الله، أي: لا يكون مقبولاً عنده، وما جعلوه من الصدقة لشركائهم فهو للشركاء وكذلك ما جعلوه لله أيضاً يرجع للشركاء؛ لأن الله تعالى غني عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان كله خالصاً له، فمن جعل من عبادته تسعمائة وتسعين جزءاً لله تعالى وجزءاً واحداً لغير الله تعالى، أحبط الله عمله ولم يقبل من عبادته شيئاً، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا أخنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري توكته وشركه»(۱). وفي حديث آخر يقول الله تعالى: «أنا خير الشريكين»(۱) وهذا المعنى ظاهر في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكَأَيُّا ٱلْكَثِرُونَ ﴿ لاَ أَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون: ١ - ٣] فنفى الله عنهم عبادته مع أنهم كانوا يعبدونه بالحج والصدقة لأنهم كانوا يعبدون معه غيره.

⁼ فالتحريف والفساد من الطبعة، لا في «التفسير»، فتنبه ولا تكن من الغافلين.

⁽۱) أخرجه أحمد (۲/ ۳۰۱)، ومسلم (۲۹۸۵)، وابن ماجه (۲۰۲)، وابن خزيمة في «صحيحه» (۹۳۸) (۲۷/۲، ۲۸) من حديث أبي هريرة فيما رواه النبي ﷺ عن الله ﷺ.

⁽٢) أخرجه أحمد (١٢٥/٤ ـ ١٢٦)، والطيالسي (١١٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١١٣٩)، والحاكم (١٢٩٤)، وأبو نعيم (١٦٨٤١ ـ ٢٦٩)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٨٤٤) وإسناده ضعيف، فيه شهر بن حوشب.



وفي هذا الزمان ينفق المشركون الأموال الكثيرة بسخاء وطيب نفس تقرباً إلى آلهتهم التي يسمونها أولياء، ويمنعون الزكاة والصدقة لأنهم يخافون أولياءهم وشركاءهم الذين اتخذوهم مع الله، ويرجون منهم ما لا يخافون ولا يرجون من الله تعالى، ولو ساووهم بالله تعالى لكانوا من أكفر الكافرين وأظلم الظالمين، كما قال تعالى حكاية عن المشركين السابقين في سورة الشعراء: ﴿وَقِيلَ لَمُمُّ أَيْنَ مَا كُمُتُم تَعْبُدُونَ فِي مِن دُونِ اللهِ هَلْ يَصُمُونَكُم أَوْ يَنْصِمُونَ فِي قَلْكِبُولُ فِيهَا مُمْ وَالْعَاوُنَ فِي اللهِ وَمُعْم فِيهَا يَعْنَصِمُونَ فِي تَاللهِ إِن كُنَّا لَغِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فِي إِذْ مُنْوَيكُم مِرَبِ الْعَلَمِينَ فِي وَمَا أَصَلَاناً إِلَّا المُجْرِمُونَ فِي فَمَا لَنَا مِن شَفِعِينَ فِي وَلا صَدِيهٍ فَيْ اللهُ عَبِينٍ فَي الله عَلَى مَن دُونِ اللهُ وَمُمْ فِيهَا يَعْنَصِمُونَ فِي تَاللهِ إِن كُنَّا لَغِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فِي إِذْ كُنَا لَغِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فِي إِذْ كُنَا لَغِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فَي اللهِ المُجْرِمُونَ فِي فَمَا لَنَا مِن شَفِعِينَ فِي وَلَا صَدِيبٍ عَبِي فَي فَلَوْ أَنْ فَن كُنَا إِلَّا المُجْرِمُونَ فِي فَمَا لَنَا مِن شَفِعِينَ فِي وَلَا صَدِيبٍ عَبِي فَلَو أَنَّ لَنَا كُرَةً فَنكُونَ مِن الشَوْمِينِ فِي [الشعراء: ٩٢ ـ ١٠٢].

قلت: وقد كانوا مؤمنين بتوحيد الربوبية، فلم ينفعهم ذلك شيئاً؛ لأنهم أشركوا مع الله في عبادته. اه.

∺ الباب السادس عشر া

قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ فَ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمُ عَلَيْكُمُ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَنُا وَلَا تَقْنُلُواْ أَوْلَدَكُم عَلَيْكُمُ أَلَّا لَا تُقْنُلُواْ أَوْلَدَكُم مِنْهَا مِنْ فَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْدُرُواْ النّفَاسِ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلّا بِالْحَقِّ ذَالِكُمُ وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْدُلُواْ النّفَسَ الّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلّا بِالْحَقِّ ذَالِكُمُ وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْدُلُونَ النّا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

قال (ك): "عن ابن مسعود ﴿ قَالَ: "من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿ قُلُ تَمَالُوا أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمُ عَلَيْكُمُ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا ﴾، إلى قوله: ﴿ لَمَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ "(1)، وأخرج الحاكم في "مستدركه" (٢) عن ابن عباس قال: "في الأنعام آيات محكمات من أم

⁽۱) أخرجه الترمذي (۳۰۷۰)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (۸۰٥٦/٥)، والطبراني في «الكبير» (۱۰/۱۰،۱۰)، والبيهقي في «الشعب» (۲/۱۹۱۸) وإسناده ضعيف، فيه داود بن يزيد الأودي فيه كلام وزاد نسبته السيوطي في «الدر» (۳/۳) إلى ابن المنذر وأبي. الشيخ وابن مردويه.

⁽٢) أخرجه الحاكم (٣١٧/٢ ـ ٣١٨) وصحح إسناده ووافقه الذهبي! وفي إسناده عبد الله بن خليفة لم يوثقه غير ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٢٨) وقال الذهبي نفسه في «الميزان» عنه: =



الكتاب، ثم قرأ: ﴿قُلَ تَمَالَوْا أَتَلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ الآيات، ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وأما تفسيرها، فيقول تعالى لنبيه ورسوله محمد على: ﴿ قُلُ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذي عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله، وقتلوا أولادهم، وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم ﴿ قُلُ ﴾ لهم ﴿ قَالَوُا ﴾ أي: هلموا وأقبلوا ﴿ أَتَلُ مَا حَرَمٌ رَبُّكُم عَلَيْكُم ﴾ أي: أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لا تخرصاً ولا ظناً، بل وحياً منه وأمراً من عنده ﴿ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ وكأن في الكلام محذوفاً دل عليه السياق، وتقديره: وأوصاكم ﴿ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ وكأن في الكلام محذوفاً دل عليه السياق، وتقديره: وأوصاكم ﴿ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ وَلَكُرُ وَصَنكُم بِهِ لَمَلَكُو نُوْوَلُونَ ﴾ وتقول العرب: «أمرتك أن لا تقوم». وفي «الصحيحين (١) من حديث أبي ذر وأن سرق، قال: وإن زني وإن سرق، قال: وإن زني وإن سرق، قالت: وإن زني وإن سرق، قالت: وإن زني وإن سرق، قلت: وإن زني وإن سرق، قلت: وإن زني وإن سرق، قلت: وإن زني وإن سرق، الروايات، أن قائل ذلك إنما هو أبو ذر لرسول الله على، وأنه عليه الصلاة والسلام قال في الثالثة: «وإن رخم أنف أبي ذر» فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث: «وإن رغم أنف أبي ذر» فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث: «وإن رغم أنف أبي ذر».

وفي بعض «المسانيد» و «السنن »(٢) عن أبي ذر قال: قال رسول الله على:

 [«]لا يعرف» ولكنه توبع، تابعه عبد الله بن قيس عند ابن أبي حاتم (٢/٣١٦٨ و٥/ ٢٠٥٧)، والحاكم (٢/٨٨٢) وله طريق أخرى عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم (٢/ ٣١٦٩) وابن جرير (٦/ رقم ٣٥٧٣) بسند فيه جهالة، وعزاه في «الدر المنثور» (٢/٢) لسعيد بن منصور وابن مردويه، والأثر بمجموع طرقه حسن ـ إن شاء الله تعالى _.

⁽١) أخرجه البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤).

⁽۲) أخرجه أحمد (۱۷۲/٥)، والدارمي في «السنن» (۲۷۹۱)، وأبو عوانة _ كما في «إتحاف المهرة» (۱۹۵/۱٤) وفي إسناده شهر بن حوشب وهو ضعيف من قبل حفظه. وله شاهد من حديث أنس عند أحمد (۲/۲۸۸)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (۲/۲۰)، وأبي يعلى (۲۲۲۶)، والضياء في «المختارة» (۱۵٤۵، ۱۵۶۵)، وفي إسناده جهالة. وله طريق آخر عند الترمذي (۳۵۳۶) ـ وحسنه _، وأبي نعيم (۲/۲۳۱) وفي إسناده كثير بن فائد لم يوثقه غير ابن حبان في «الثقات» (۲/۲۰).



يقول الله تعالى: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك ما كان منك ولا أبالي، ولو أتيتني بقراب الأرض خطايا أتيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بي شيئاً، وإن أخطأت حتى تبلغ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك». ولهذا شاهد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرَكَ بِدِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ وَلهذا شاهد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرَكَ بِدِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ وَلهذا لِمَن يَشَاهُ ﴾ [النساء: ٤٨] وفي «صحيح مسلم»(١) عن ابن مسعود: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً، وروى ابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء(٢): «لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتم».

⁼ وله شاهد آخر من حديث ابن عباس عند الطبراني في «الكبير» (١٢/٢٢)، و«الأوسط» (٥٤٨٣/٥)، و«الصغير» (٢/ ٢٠)، وفي «الدعاء» (٢/ رقم ١٩)، وأبي نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠).

قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢١٩): «وفيه إبراهيم بن إسحاق الصيني وقيس بن الربيع وكلاهما مختلف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وجزءه الأوسط أصله عند مسلم (٢٦٨٧) وكذا جزءه الأخير له شاهد من حديث أبي أيوب وأبي هريرة عند مسلم (٢٧٤٨) فالحديث صحيح بمجموع شواهده، وانظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ١٥٥)، «الصحيحة» (١/ رقم ١٢٧).

⁽١) برقم (٩٢) وأخرجه أيضاً البخاري (٩٢).

⁽٢) حديث أبي الدرداء أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٨) ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٩١١)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٥٢٤/٤) مطولاً، وأخرجه ابن ماجه (١٩٣١، ٤٠٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٩٩٥)، وقد ضعف هذا الإسناد ابن حجر في «التلخيص» (٢/ ١٥٥) لكن للحديث شواهد يتقوى بها منها حديث معاذ بن جبل عند أحمد (٥/ ٢٣٨) وفي سنده انقطاع، عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير لم يدرك معاذاً. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/رقم ١٥٦) وفي إسناده «الأوسط» (٥٦/٨)، وفي «مسند الشاميين» (٤٠٠٤)، والمروزي (٩٢١) وفي إسناده عمرو بن واقد متروك، وقد صحح شيخنا الألباني حديث معاذ بالشواهد، فانظر: «الإرواء» (٧/ رقم ٢٠٢٦).

وأما حديث عبادة فقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (7/7/0)، والشاشي في «مسنده» (7/9/0)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (9/0/0)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (9/0/0)، واللالكائي في «السنة» (9/0/0) وإسناده ضعيف، قال البخاري: «لا يعرف إسناده» قلت: فيه سلمة بن شريح، قال الذهبي في «الميزان»: «لا يعرف» وأقره ابن حجر في «اللسان»، وعزاه في «المجمع» (9/0/0/0) للطبراني، وأعله بسلمة.



وقوله تعالى: ﴿وَإِلْوَلِهِ يَعْسَانًا﴾ أي: وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانًا، أي أن تحسنوا إليهما (١) كما قال تعالى: ﴿وَقَفَىٰ رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا إِياهُ وَإِلْوَلِهِ يَا وَصِي ربك ألا تعبدوا إلا إِياه وبالوالدين إحسانًا، أي: أن تحسنوا إليهما (٢) والله تعالى كثيراً ما يقرن بين طاعته وبالوالدين، كما قال: ﴿أَنِ اَشْكُرُ لِي وَلِوَلِدِيّكَ إِلَى المَصِيرُ ﴿ وَلِن جَهَدَكَ كُلّ وَلَا لَهُ يَلُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ اللهُ عَلَى اللهُ الل

قال محمد تقي الدين: إن صحت هذه العبارة عن النبي على فالمراد بها لو ملكت ما ملكت من متاع الدنيا، وأراد منك الوالدن أن تعطيهما إياه، فافعل، وإن كان الحديث غير صحيح ولا حسن فلا يثبت به حكم. اه.

قال (ك): ﴿ وَلَا تَقَنُلُوا أَوْلَادَكُم مِنَ إِمْلَقِ غَنُ نَرُوْفُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ لـما أوصى تعالى بالوالدين والأجداد (٧) عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إليهم».

⁽۲) أخرجه سعيد بن منصور بإسناد جيد عن ابن عباس، قاله ابن حجر في «الفتح» (۸/ ۲۸۳، ۲۹۰). وانظر _ لزاماً _: «البحر المحيط» (٦/ ٢٥)، «معجم القراءات» (٥/ ٣٧ _ ٣٨).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي: أحسنوا إليهم».

⁽٤) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

⁽٥) هو قطعة من وصية للنبي على سبق منها قريباً عدم الإشراك بالله، وإن قطع المسلم أو صلب أو حرق، وهناك تخريج حديثي أبي الدرداء وعبادة الله عنها محيح بشواهده.

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/٦٦ ـ ٢٠٠٠).

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ببر الآباء والأجداد».

والأحفاد، فقال تعالى: ﴿وَلَا نَقْنُلُوا أَوْلَدَكُم مِّنَ إِمْلَقٍّ﴾ وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار، ولهذا ورد في «الصحيحين»(١) من حديث عبد الله بن مسعود ظلية أنه سأل رسول عليه: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندأ وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» ثم تلا رسول الله على: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَنْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَنْهَا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآية وقوله تعالى: ﴿مِّنَ إِمَّلَقِّ﴾ قال ابن عباس: هو الفقر، أي: لا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا نُقُنُّلُوَّا أَوْلَنَدُّكُمْ خَشْيَةً إِمَلَتِيُّ ﴾ [الإسراء: ٣١] أي: لا تقتلوهم خوفاً من الفقر(٢) في الآجل، ولهذا قال هناك: ﴿ غَنْ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمُّ ﴾ [الإسراء: ٣١] فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي لا تخافوا من ظفركم بسبب رزقهم فهو (٣) على الله، وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً قال: ﴿ غَنُ نُرُدُّتُكُمْ وَإِيَّا هُمٌّ ﴾ لأنه الأهم لههنا، والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقَدَبُوا ٱلْفَوَحِثَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِنْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَرّ يُنَزِّل بِدِ، سُلَطَنَا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا نَعْلَوْنَ ١٩٣ [الأعراف: ٣٣] وقد تقدم تفسيرها في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا خَلِهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ [الأنعام: ١٢٠] وفي «الصحيحين»(٤) عن ابن مسعود ظلي قال: قال رسول الله عليه: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن».

وقال عبد الملك بن عُمير عن روَّاد عن مولاه المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت مع امرأتي رجلاً لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله على فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغير من سعد، والله أغير من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»(٥). وقوله تعالى:

⁽۱) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «خشية حصول فقر».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فقركم بسببهم فرزقهم».

⁽٤) أخرجه البخاري (٥٢٢٠)، ومسلم (٢٧٦٠).

⁽٥) أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤١٩).



وَلَا نَقَلُلُوا النّقَسَ الّتِي حَرَّم الله إلا بِالْحَقِ وهذا مما نص تبارك وتعالى عن النهي عنه تأكيداً، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فقد جاء في «الصحيحين» (۱) عن ابن مسعود على قال: قال رسول الله على «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة». وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب، فروى البخاري (۱) عن عبد الله بن عمر على عن النبي عن مرفوعاً: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً». وعن أبي هريرة عن عن النبي على قال: «من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً». رواه ابن ماجه والترمذي (۱) وقال: حسن صحيح، وقوله: ﴿ وَلِكُ خُرِيفاً». رواه ابن ماجه والترمذي (۱) وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه (١٤). اه.

قال محمد تقي الدين: اشتملت هذه الآية على خمس وصايا: الأولى: توحيد الله تعالى والنهي عن الشرك به.

والثانية: بر الوالدين.

والثالثة: النهي عن قتل الأولاد الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، وفي هذا الزّمان يقتلون النطف في الأرحام منعاً من الحمل خوفاً من قلة الرزق، وهذا يؤول بهم إلى إنكار القرآن، وقد قال الله تعالى في مواضع كثيرة، أنه متكفل برزق كل مخلوق، كقوله تعالى في أول سورة هود: ﴿وَمَا مِن دَابَتَةِ فِي الْأَرْضِ إِلّا عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] وكقوله في هذه الآية: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَاهُمْ ﴾ إلى غير ذلك ولم يقتصروا على قتل النطف بمنعها من الوصول إلى الرحم مع أن النبي عليه

⁽١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

⁽۲) أخرجه البخاري (۲۹۱۶)، وأحمد (۱۸۲/۲)، والنسائي (۸/۲۷)، وابن ماجه (۲۲۸۲).

⁽٣) أخرجه ابن ماجه (٢٦٨٧)، والترمذي (١٤٠٣)، وأبو يعلى (٦٤٥٢)، والطبراتي في «الأوسط» (٦٢٣، ٢٦٨) من حديث أبي هريرة، وهو صحيح بمجموع طرقه وشواهده. انظر: «الصحيحة» (٢٣٥٦)، و«غاية المرام» (٤٥٠).

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢١٠ ـ ٢١٥) بتصرف.



قال في العزل: «إنه الموؤدة الصغرى» (١١)، أي: قتل الأولاد الأصغر حتى أضافوا إلى ذلك قتل الجنين في رحم أمه؛ مخافة أن يأكل معهم.

وليس العجب من الأوربيين إذا فعلوا ذلك فإنهم جاهلون بالله وبصفاته، ولكن العجب ممن يدعي الإسلام، ويؤمن بهذا الضلال ويقتبسه منهم كأنه فضيلة، وقد كانت حكومة «هتلر» تقرض كل رجل وامرأة يريدان الزواج خمسة آلاف مارك ألماني بشرط أن يفحصهما طبيب ويجدهما صالحين للتناسل، أما الغرباء الذين ليسوا جرمانيين ولا أوربيين فكانوا يمنعونهم من التناسل ويجبرونهم على الاختصاء تعصباً منهم لجنسهم، وهؤلاء الجاهلون يقطعون نسل أبناء جنسهم، وقد ألفت مقالة طويلة في حكم منع النسل، وأقمت البراهين على بطلانه من الوجهة الشرعية ومن الوجهة الاقتصادية، إلا إذا كان فيه ضرر محقق على الوالدين أو الأولاد، فيكون بقدره ونشر هذا المقال في صحيفة «دعوة الحق»(٢) المغربية.

الرابعة: النهي عن إتيان الفواحش وهي الكبائر ما ظهر منها وما بطن.

الخامسة: تحريم قتل النفس التي حرم الله إلا من أوجب الشرع قتله لإقامة العدل بين الناس.

وهناك خمس وصايا أخرى لم نثبت آياتها وتفسيرها اختصاراً، وهي: أكل مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان، والتزام العدل في القول والعمل، والوفاء بالعهد، واتباع الصراط المستقيم، وهو ما كان عليه النبي على من أمور الدين فهذه عشر وصايا جمعت الخير كله، ما من أمة تحافظ عليها إلا سعدت في دنياها وآخرتها، وما من أمة تضيعها إلا شقيت في عاجلها وآجلها، وبالله التوفيق.

⁽۱) ثبت في «صحيح مسلم» (١٤٤٢) من حديث جذامة بنت وهب وصف النبي ﷺ للعزل، بقوله: «ذلك الوأد الخفي».

⁽۲) على ثلاث حلقات، السنة السادسة، الأعداد السادس والسابع بتأريخ شوال، وذي القعدة ١٩٦٧هـ - ١٩٦٣م (ص١ - ٩ و٤ - ١٠) والسنة السابعة، العدد الثاني سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ (ص١ - ٦)، وهو فيها بعنوان (رأي في تحديد النسل والعدوى). ثم رأيته نفسه منشوراً على خمس حلقات في مجلة «الجامعة السلفية» المجلد العاشر، الأعداد (٧ - ١١) سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ بعنوان (حكم الإسلام في العزل والعدوى)، وهي مودعة في كتابي «مقالات الهلالي».



😝 الباب السابع عشر 😽

قال (٥): "يقول تعالى آمراً نبيه على سيد المرسلين، أن يخبر بما أنعم (١) به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف: ﴿وَيَنَا قِيمًا﴾ أي قائماً ثابتاً: ﴿مِلَةَ إِبَرَهِمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَن يَرْعَبُ عَن مِلَة إِبَرَهِمَ إِلَا مَن سَفِه نَفْسَةً﴾ [البقرة: ١٣٠] وقوله: ﴿وَجَهِدُواْ فِي اللّهِ حَقَ جِهَادِهِ هُو اجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيَكُمْ فِي اللّهِنِ مِنْ حَرَجٌ مِلّة أَبِيكُمْ إِبَرَهِيمُ الْمُشْرِكِينَ فَي اللّهِ عَن اللّهِ عَن اللّهُ فَي اللّهِ عَن المُشْرِكِينَ فَي اللّهِ عَن اللّهُ فَي اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الل

وليس يلزم من كونه على أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه على قام بها قياماً عظيماً، وأكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال، ولهذا كان خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى (٢) الخليل على وروى ابن مردويه (٣) بسنده عن ابن أبْزَى عن أبيه قال كان رسول الله على إذا أصبح قال:

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الله».

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إبراهيم».

⁽٣) عزاه لابن مردويه السيوطي في «الدر المنثور» (١٢٣/٣)، وأخرجه أحمد (٣/٢٠٦)، وابنه عبد الله في «زوائده على المسند» (٣/ ٤٠٧)، والدارمي (٢/ ٢٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٣١) من المال (٩٨٣١) وهو في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٤٣، ٣٤٤) مواسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠١٧٠) وقال: «رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح» ومسند (عبد الرحمٰن بن أبزى) ساقط من مطبوع «المعجم الكبير».



«أصبحنا على ملة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين». وقال الإمام أحمد (۱) بسنده إلى ابن عباس أنه قال: قيل لرسول الله على: أي الأديان أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الحنيفية السمحة»، وقال أحمد بسنده (۱) عن عائشة على قالت: وضع رسول الله على على منكبه لأنظر إلى زفن الحبشة، حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه، قال عبد الرحمن عن أبيه قال: قال لي عروة أن عائشة قالت: قال رسول الله على يومئذ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة». أصل الحديث مخرج في «الصحيحين» (۱)، والزيادة لها شواهد من طرق عدة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشَكِى وَعَيّاى وَمَمَاقِ لِلّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ الله يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته (٤) ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخْرَ ﴿ ﴾ [الكوثر: ٢] أي: أخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى، قال ابن أبي حاتم (٥) بسنده عن جابر بن عبد الله قال: ضحى رسول الله ﷺ في

⁽۱) علقه البخاري في «صحيحه»: كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١/٩٣) بصيغة الجزم ووصله أحمد (٢٣٦)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٥٦٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٧)، والبزار (١/رقم ٧٨ ـ كشف)، والطبراني في «الكبير» (١١٥٧١/١١)، وفي «الأوسط» (١/رقم ٢٠٠٦) ومع كون هذا الإسناد ضعيفاً إلّا أن الحديث له شواهد كثيرة يصح بها، منها الحديث الذي بعده، وحسنه ابن حجر في «الفتح» وخرجته مفصلاً في تعليقي على جزء «الجواب الذي انضبط» للسخاوي، وهو مطبوع.

⁽۲) أخرجه أحمد (۱۱٦/٦) ونقله الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (۲/٤٣) وقال عقبه: «هذا الإسناد حسن وفي الباب عن أبي بن كعب وجابر وابن عمر وأبي أمامة وأبي هريرة، وأسعد بن عبد الله الخزاعي وغيرهم». وذكر الحافظ له هناك عدة شواهد أخرى مرسلة مصححاً بعضها، وذكره شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٤/٣٤٤) من طريق أحمد هذه مجوِّداً لإسناده وصحح اللفظ المقصود هنا من قبل في «الصحيحة» أيضاً (٢/رقم ٨٨١)، وخرجتُ جميع ما ورد في الباب بتفصيل وزدتُ حديثاً فات ابن حجر في تعليقي على جزء السخاوي «الجواب الذي انضبط»، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽٣) أخرجه البخاري (٤٥٤)، ومسلم (٨٩٢). (٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لله».

⁽٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/٨١٨٣)، وأخرجه أيضاً: الدارمي (١٩٤٦)، =



يوم عيد النحر بكبشين، وقال حين ذبحهما: ﴿وَجَّهْتُ وَجَهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۚ وَمَا آنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَتُشْكِى وَصَيَاى وَمَمَاقِ لِلّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ ۚ ۚ لَا شَرِيكَ لَمُّ وَمِذَالِكَ أَمِرْتُ وَأَنَا أَوْلُ السَّلِمِينَ ۖ ﴾.

وقوله: ﴿ وَأَنّا أَوَّلُ السَّلِينَ ﴾ قال قتادة: أي من (١) هذه الأمة، وهو كما قال، فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال: ﴿ وَمَا آرَسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلّا نُوحِق إِلَيْهِ أَنَهُ لَا إِلَهَ وَالْ شَرِيكُ له كما قال: ﴿ وَمَا آرَسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلّا نُوحِق إِلَيْهِ أَنَهُ لَا إِلَهَ وَلَمِرَتُ أَنَ أَوْنَ مِنَ الْشَلِمِينَ ﴿ وَهَا مَنْهُ وَلَمِرَتُ أَنَ أَوْنَ مِنَ الْشَلِمِينَ إِلَى اللهُ وَلَمْتُ مَن الْمُلْمِينَ السَّمِينَ إِلَا عَلَى اللهِ وَلَمْتُ مِن مِنْهُ فَلْسَلَمُ وَلَقَدِ الرَّوْعِمَ إِلّا مَن سَفِهَ فَلْسَلَمُ وَلَقَدِ السَّالِينَ فَلَا اللهُ وَمَا مُنْهُ وَلَقُولُ مِن مِنْهُ إِلَا وَاللهُ وَعَلَى مِن الْمُلْكِينَ فَى الْمُنْفِينَ عَلَى السَّلْمِينَ إِلَا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ فَى إِلَّا إِلَيْهِمُ بَنِيهِ وَيَعَقُونُ يَبْنِينَ إِنَّ اللهُ وَمَلْمَى اللهُ وَمَلْمَ اللهِ وَاللهُ مُنْهُ وَلَا اللهُ وَاللهُ وَمَلْمُ اللهِ وَاللهُ مُ اللهُ وَمَا مُنْ اللهُ وَاللهُ مُنْ اللهُ وَاللهُ مُنْ مُ اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا مُنْ اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَالمَا وَالْمَوْمِينَ فَي اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَلَوْمَ اللهُ وَاللهُ مُنافِقُ وَاللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَاللهُ مُنَامُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمُ اللّهُ وَمُ اللّهُ وَمِا اللهُ وَمَالِمُ اللهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَمِ الللهُ وَمَا اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

وأبو داود (٢٧٩٥)، وابن ماجه (٣١٢١)، وأحمد (٣/٥٧)، والطحاوي (٤/٧١)، والمحاوي (١٧٧٤)، والمزي وابن خزيمة (٤/٢٨٩)، والحاكم (٢/٧١)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٨٧٩)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٨٣/٣٤ _ ١٦٤ _ ترجمة أبي عياش) من طريق خالد بن أبي عمران عن أبي عياش عن جابر به. وفيه أبو عياش وهو ابن النعمان المعافري المصري، روى عنه ثلاثة من الثقات، وقال الذهبي عنه: شيخ، فإسناده محتمل للتحسين، وصححه ابن خزيمة والحاكم والذهبي.

ولهذا اللفظ شاهد من حديث عمران بن حصين عند الحاكم (٤/ ٢٢٢) وصحح إسناده! وردّه الذهبي لأن فيه أبا حمزة وهو الثمالي ضعيف جداً وابن إسماعيل وهو النضر بن إسماعيل البجلي ليس بذاك، ولهذا أورده شيخنا العلامة الألباني في «الضعيفة» (٢/ رقم ٥٢٨) وللحديث طرق أخرى بألفاظ أخر صحيحة، انظرها في: «الإرواء» (٤/ رقم ١١٣٨).

⁽١) المثبت من مطبوع "تفسير ابن كثير" وسقط من الأصل.

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقوله».

ٱلْحَوَارِبِّينَ أَنَّ مَامِنُواْ بِ وَبِرَسُولِي قَالُوٓا مَامَنَّا وَأَشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿ المائدة: ١١١].

فأخبر تعالى أنه بعث رسله بالإسلام، ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضاً، إلى أن نسخت بشريعة محمد على التي لا تنسخ أبد الآبدين، ولا تزال قائمة منصورة، وأعلامها منشورة (١) إلى قيام الساعة، ولهذا قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد»^(٢) وأولاد (٣) العلات هم: الإخوة من أب واحد، وأمهات شتى، فالدين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات، كما أن إخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شتى، والإخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة، وقال الإمام أحمد بسنده(٢) عن على رضي الله على الله على كان إذا كبر استفتح ثم قال: ﴿ وَجَهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَّرَ ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُشْكِى وَعَيْاى وَمَمَاقِ يِنَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ إِلَّهُ اللَّهُم أَنْت الْمَلْكُ لَا إِلَّه إِلَّا أَنْت، أنت ربي أنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك». ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد. وقد رواه مسلم في «صحيحه».

ثم قال (ك): "يقول تعالى: ﴿قُلْ عالَ محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه: ﴿أَغَيَّرَ اللهِ أَبِنِي رَبًا ﴾ أي: أطلب رباً سواه ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْرً ﴾ يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري، أي: لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والأمر، ففي هذه الآية الأمر (٥) بإخلاص التوكل، كما تضمنت (١٦) التي قبلها إخلاص العبادة لله وحده لا

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «مشهورة». (۲) سبق تخريجه.

⁽٣) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "فإن أولاد".

⁽٤) أخرجه أحمد (١/٩٤)، ومسلم (٧٧١)، وأبو داود (٧٤٤، ٧٦٠)، والترمذي (٢٦٦، ٢٦٦). ٣٤١٨).

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بالعبادة وإخلاص».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الآية».



شريك له، وهذا المعنى (١) يقرن بالآخر كثيراً في القرآن كقوله تعالى مرشداً لعباده أن يقولوا له: ﴿إِيَّاكَ نَعَبُدُ وَإِيَّاكَ نَسَّعَينُ ﴿ الفاتحة: ٥] وقوله: ﴿فَاعَبُدُهُ وَتَوَكَّلُنَا لَهُ الفاتحة: ٥] وقوله: ﴿فَاعَبُدُهُ وَتَوَكَّلُنا هِمْ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلُنا ﴾ [المائدة: ٢٩] وقوله: ﴿زَبُ ٱللَّمْرِةِ وَاللَّهْرِ لَا إِلَهُ إِلَا هُو فَاتَغِذْهُ وَكِيلا ﴿ المزمل: ٩] وأشباه ذلك من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُ نَفْسِ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نَزِدُ وَازِدَةً وِنْدَ أَخْرَىٰ ﴾ إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة (٢) أحد على أحد، وهذا من عدله تعالى كما قال: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى جِبْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبِيُّ ﴾ [فاطر: ١٨] وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلمًا وَلَا هَشْما ﴾ [طه: وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبِيَّ ﴾ [فاطر: ١٨] وقوله تعالى: ﴿فَلا يَخَافُ ظُلمًا وَلا هَشْما ﴾ [طه: ١١٢] قال علماء التفسير أي: فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم بأن ينقص من حسناته، وقال تعالى: ﴿كُلُ نَفْسٍ بِمَا كُسَتَ رَهِينَةٌ ﴿ اللّهِ أَصَنَهُ آلِينِ بِأَن يَنقص من حسناته، وقال تعالى: ﴿كُلُ نَفْسٍ مِرتهنة بعملها السوء (٣)، ﴿إِلّا أَصَنَهُ آلِينِ اللّهُ وَلَا اللّهُم مِنْ أَلَا اللّهُم مِنْ أَلَا اللّهُم مِنْ أَلْكَنَهُم مِنْ أَلَا اللّهُم وقراباتهم، كما قال في سورة الطور: ﴿وَالّذِينَ ءَامَنُوا وَالْبَعَنْمُ مُ ذُرِيّتُهُم فِي المنزلة الرفيعة في المنزلة الرفيعة في المنزلة الرفيعة في المنذ من عكونوا قد شاركوهم في الأعمال بل في أصل الإيمان.

﴿ وَمَا آلْتَنَهُم ﴾ أي: أنقصنا (٥) أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئاً، حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة، بل رفعهم تعالى إلى منزلة (٢) الآباء ببركة أعمالهم بفضله ومنه (٧)، ثم قال: ﴿ كُلُّ أَمْرِي كِا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١] أي من شره (٨) كقوله (٩): ﴿ مُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَرْجِعُكُم فَيُبَقِّكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ مَعْلَقُونَ ﴾

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «معنى». (٢) في الأصل: «خطيئته».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «السيء».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تعود بركات».

⁽٥) في الأصل: «﴿ وَمَا أَلْنَاهُم ﴾: «نقصنا...».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «منازل».

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ومنته».

⁽A) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «شر».

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقوله».



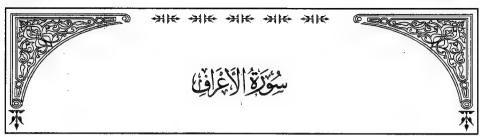
[الأنعام: ١٦٤] أي: اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه، فستعرضون ونعرض عليه، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا، كقوله: ﴿قُل لَا تُشَكُونَ عَمَّا اَجْرَمْنَا وَلَا نُسَعُلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قُل عَمَّا المَاياتُ اللهُ اللهُ عَمَّا اللهُ اللهُ عَمَّا اللهُ الل

فائدة

قال محمد تقي الدين: قول (ك): "إن أصل الإسلام عبادة الله وحده لا شريك له". يريد بذلك الإسلام الصحيح الذي يكون فيه القلب مطابقاً للسان والجوارح، كما قال تعالى: "إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسكام [آل عمران: ١٩] أما إسلام المنافقين وأدعياء الإسلام من المشركين، فإنه لا ينفعهم ولا يرفعهم بل هم في الدرك الأسفل من النار، فمن يلتجئ إلى غير الله في قضاء الحاجات وتفريج الكربات، أو يحلل ما حرم الله، أو يستحسن الحكم بغير ما أنزل الله، فلا حظ له في الإسلام الصحيح ولا نجاة له من الخلود في العذاب الأليم، إن لم يتب ويخلص الدين لله تعالى قبل موته.

⁽١) انظر: "تفسير ابن كثير" (٢٤٦/٦ ـ ٢٥٣) بتصرف.





∺ الباب الأول 🔫

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِي بِٱلْقِسْطِ ۗ وَٱقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُغْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿ فَإِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ ٱلْخَدُوا ٱلشَّيَطِينَ ٱوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللهِ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ أَنْهُمُ مُنْهَنَدُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَعُمْسُبُونَ أَنَهُم مُنْهَنَدُونَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

قال (ك): «قوله(١) تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِي فِالْقِسَطِّ ﴾ أي: بالعدل والاستقامة ﴿وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِندَ كُلِ مَسْجِدِوَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي: أمـــركـــم بالاستقامة في عبادته في محالها، وهي متابعة المرسلين المويدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله، وما جاؤوا به من الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، وأن يكون خالصاً من الشرك.

وقوله تعالى: ﴿كُمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال (ج): «عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: كما بدأكم أولاً كذلك يعيدكم آخراً، وأيده بما رواه عن ابن عباس^(۲) قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يا أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً»، ﴿كُمَا بَدَأْنَا أَوْلَ خَلْقِ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْناً إِنَّا كُنَا فَعِلِينَ﴾» وهذا الحديث مخرج في «الصحيحين»»(").

قال محمد تقي الدين: قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ ﴾

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «يقول»!

⁽۲) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (۱۲/ ٣٨٥، ٣٨٦)، وأحمد (١/ ٢٣٥)، والبخاري (٢٦٥)، ومسلم (٢٨٦٠).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٨١ _ ٢٨٢).



واعتقاد أنهم يؤثرون في قلب المريد إذا رضوا عنه، إما فتحاً وتنويراً وجذباً إلى الله تعالى، وإما طرداً وإبعاداً وطمساً للقلب وسداً له، وهذا شرك في الربوبية، فإن الذي يعطي ويمنع وينور القلوب ويزيل ظلمتها وقسوتها ويصلحها ويملؤها نوراً وخشوعاً وتوكلاً على الله وإيماناً به، ليس الشيخ المتصوف ولا غيره من الخلق، وإنما يفعل ذلك الله وحده لا شريك له، وصحبة التلميذ لمعلمه إذا كان المعلم من أهل العلم والعمل، والأخلاق الكريمة، يستفيد منها التلميذ، كما يدل على ذلك قصة طلب موسى لصحبة الخضر، أما التأثير، فلله وحده لا شريك له، بيده الهداية والإضلال والنفع والضر، سبحانه عما يشركون.

🖂 الباب الثانى 🔄

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّى الْفَوَحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِل بِهِ مُسْلَطَنَا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿ آلاعراف: ٣٣]

معنى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن تقدم في (الباب السادس عشر) من (سورة الأنعام)، والإثم: قال (ك): «حاصل ما فسر به الإثم: إنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه، والبغي: هو التعدي على (٢) الناس، فحرم الله هذا وهذا،

⁽١) قطعة من حديث إلهي طويل، أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر.

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إلى»!



وقوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَرَ يُنَزِّلَ بِهِ. سُلَطَنَا﴾ أي تجعلوا له شركاء في عبادته: ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ من الافتراء والكذب، من دعوى أن له ولداً ونحو ذلك مما لا علم لكم به، كقوله: ﴿ فَأَجْتَكِبُوا ٱلرِّبْسُ مِنَ ٱلْأَوْتُكُنِ ﴾ [الحج: ۳۰]»(۱). اه.

قال محمد تقى الدين: فسر العلماء القول على الله بالا علم، بالقضاء والإفتاء بالتقليد؛ لأن التقليد جهل محض، فلا يجوز للمقلد أن يفتي، ولا أن يقضى في قليل ولا كثير؛ لأنه بمنزلة الأعمى، والأعمى يقاد ولا يقود، قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»(٢) نظماً أنشده لنفسه ومنه قوله:

تنقاد بين جنادل ودعاثر عللاً ومعنى للمقال السائر ة المبعوث بالدين ألحنيف الطاهر ومع الدليل فمِلْ بفهم حاضر(٣) وقس الفروع على الأصول(٤) ولا تقس فرعاً بفرع كالجُهول الحائر

لا فرق بين مقلد وبهيمة تبأ لقاض أو لمفتٍ لا يرى فإذا اقتديت فبالكتاب وسن وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد

وهي طويلة فانظرها فيه، وقوله: وقس الفروع على الأصول. . . البيت، يعني: إذا لم تجد في المسألة نصاً من الكتاب ولا من السنة فقس الفروع على الأصول، والمراد بالفروع ما لم يرد فيه نص قسه على ما يماثله مما ورد فيه نص، مثال ذلك صدقة الفطر، فقد جاء في الحديث أنها كانت تؤدى في زمان النبي على من الشعير والبر والتمر والأقط(٥)، وهذا كان غالب قوتهم فالبلاد التي غالب قوت أهلها من الأرز، يؤدون صدقة الفطر من الأرز قياساً على ما تقدم من قوت أهل المدينة في ذلك الزمان؛ لأن العلة واحدة وهي التغذية فهذا بيان قياس الفروع على الأصول، أما قياس الفروع على الفروع الذي نهى عنه الإمام أبو

انظر: «تفسیر ابن کثیر» (٦/ ۲۹۲).
 انظر: «تفسیر ابن کثیر» (٦/ ۲۹۲).

⁽٣) في مطبوع «جامع بيان العلم وفضله»: «نهم وافر».

⁽٤) في مطبوع «جامع بيان العلم وفضله»: «وعلى الأصول فقس فروعك».

⁽٥) ورد ذلك في حديث أبي سعيد الخدري، قال: «كنا نخرج زكاة الفطر: صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقِطَ، أو صاعاً من زبيب» أخرجه البخاري (١٥٠٦) _ والمذكور لفظه _ ومسلم (١٥٠٥).



عمر ابن عبد البر، فهو ما يفعله المقلدون للمذاهب، فإذا رأوا أن إمامهم لم يجد نصاً في مسألة فاجتهد وأفتى فيها برأيه، يتخذون رأيه أصلاً كأنه قرآن أو حديث، ويقيسون على تلك المسألة التي أفتى فيها إمامهم بالرأي ما يماثلها من المسائل ولا يبحثون عن النصوص، وقد أطال الحافظ ابن القيم الكلام في هذا المعنى في كتابه «إعلام الموقعين عن رب العالمين»(١). اه.

∺ الباب الثالث 🔫

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا أَلِلَهُ مَا لَكُمُ مِنْ إِلَاهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنِي آخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ * إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَالٍ ثُمِينِ ﴿ قَالَ يَنقَوْمِ لَيْسَ فِي ضَلَالًا ثُمِينِ ﴿ قَالَ يَنقَوْمِ لَيْسَ فِي ضَلَالًا ثُمُ وَلَاكِنِي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَنْمِينَ ﴾ أَبَلِغُكُمْ رِسَلَنتِ رَبِّ وَأَنصَحُ لَكُمْ وَلَاكِنِي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَنْمِينَ ﴾ والأعراف: ٥٩ - ١٦]

قال (ك): «لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة وما يتعلق بذلك وما يتصل به وفرغ منه، شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء هي الأول فالأول، فابتدأ بذكر نوح هي فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم هي قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير: وكان أول ما عبدت الأصنام أن قوماً صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوّروا(٢) أولئك فيها؛ ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم، فلما طال الزمان جعلوا(٣) أجساداً على تلك

⁽۱) قدمت له _ ولله الحمد _ بمجلدة مفردة، وفيها (ص۱۵ _ ۱۸) تحت عنوان (فصول نافعة وأصول جامعة في القياس) دقة ابن القيم المتناهية، وتحريره الدقيق لموضوع (القياس)، وأنه توسط فيه، ورد على مانعيه وعلى المتوسّعين فيه، وصدق صديق حسن خان لما قال في كتابه "ظفر اللاظي بما يجب في القضاء على القاضي» في آخر (مقدمته) (ص٢٨): "وفي "إعلام الموقعين عن رب العالمين» فصول نافعة، وأصول جامعة في تقرير القياس، والاحتجاج به، ولعلك لا تظفر بها في غير ذلك الكتاب، ولا بقريب منه». ونحوه في كتابه "الجُنّة بالأسوة الحسنة بالسنة». وكذلك فعل ابنه محمد أبو الخير في "الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الأولى» (ص٤٩ _ ٢١) (الفصلان: السابع والثامن) بتمامهما، والله الموقّق.

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «صور».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تلك الصور».



الصور، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين: وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً، فلما تفاقم الأمر بعث الله الصالحين: وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً، فلما تفاقم الأمر بعث الله الله المحمد والمنة ـ رسوله نوحاً فأمرهم (١) بعبادة الله وحده لا شريك له فقال: ﴿ يَقَوْدِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِنَ إِلَكِ غَيْرُهُ ۚ إِنّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ الله أي: من عذاب يوم القيامة، إذا لقيتم الله وأنتم مشركون به، ﴿ قَالَ الْمَلَا فَي مِن قَوْمِهِ الله عَلَى المُحمهور والسادة والقادة والكبراء منهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي: في الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم: وجدنا آباءنا عليها.

فصل

قال محمد تقي الدين: في هذا الباب فائدتان:

الأولى: أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثاناً تعبد من دون الله كما وقع لقوم نوح، ومن أعظم أسباب الشرك بالله الغلو في الأنبياء والصالحين والمبالغة في تعظيمهم، إلى أن يجعل لهم حق الله، وهو العبادة كما فعلت

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يأمرهم». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بليغاً».

⁽٣) في مطبوع اتفسير ابن كثير»: الدركهم». (٤) برقم (١٢١٨) من حديث جابر.

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٢٦/٦) بتصرف يسير.



النصارى مع عيسى وكما يفعل المشركون الأولون والآخرون مع قبور الصالحين، وقد قال النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»(١). وقد تقدم في الآية السابقة التنبيه على مفاسد الغلو.

الثانية: إن المحاربين لدعوة الرسل وأتباعهم في كل زمان ومكان هم الرؤساء والكبراء ومن يقتدي بهم من العوام، ولكن العاقبة لأهل التوحيد، والخسران لأهل الشرك، جعلنا الله ممن نصر توحيده واتبع سنة نبيه على الله الشرك،

🔀 الباب الرابع 🗟

قال الله تعالى: ﴿ فَي وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُوْ مِنَ الْكُو عَيْرُهُو أَفَلَا نَنْقُونَ ﴿ قَالَ الْمَلَا اللّهِ اللّهِ عَنْرُهُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَوْنُكَ مِنَ الْمَكَا اللّهِ عَنْرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَكُوناكِ فِي سَفَاهَةً فِي سَفَاهَةً فِي سَفَاهَةً وَلِيكِي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعُلَمِينَ ﴿ أَبَيْفُكُمْ مِسَلَنتِ رَبِي وَأَنَا لَكُو نَاصِحُ الْمِينُ ﴿ أَبَيْفُكُمْ مِسَلَنتِ رَبِي وَأَنَا لَكُو نَاصِحُ الْمِينُ ﴿ أَبَي اللّهُ عَلَى رَجُلِ مِنكُمْ لِيُسَادِرَكُمْ أَم اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَصَدَّمُ وَلَا حَلَيْ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّ

قال (گ): «يقول تعالى: وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحاً كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، قال محمد بن إسحاق: هم ولد عاد بن إرم، قلت: هؤلاء هم عاد الأولى الذين ذكرهم الله وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلى العمد

⁽١) سبق تخريجه.



في البركما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ رَرَكَيْكَ فَعَلَ رَبُّكَ مِعَادٍ ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْمِعَادِ ﴿ اللَّهِ لَمْ اللّ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي الْلِلْدِ ﴿ ﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٨] وذلك لشدة بأسهم وقوتهم كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادُ ۚ فَاسْتَكَبُّوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَتِي وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُ مِثَا قُوَةً أَوْلَة بَرَوْا أَكَ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُ مِتْهُمْ قُوَةً وَكَانُوا بِتَايَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿ ﴾ [فصلت: ١٥].

وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمل، وقد كان هود من أشرف قومه نسباً؛ لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم، ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد على قلوبهم، وكانوا من أشد الأمم تكذيباً للحق، ولهذا دعاهم هود على الله عبادة الله وحده لا شريك له وإلى طاعته وتقواه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ والملأ: هم الجمهور والسادة والقادة منهم: ﴿إِنَّا لَنَرَبُكَ فِي سَفَاهَةِ وَإِنَّا لَنَطُنُكُ مِنَ ٱلْكَذِيبِ أَي: في ضلالة حيث منهم: ﴿إِنَّا لَنَرَبُكَ فِي سَفَاهَةِ وَإِنَّا لَنَطُنُكُ مِنَ ٱلْكَذِيبِ أَي: في ضلالة حيث منهم: ﴿إِنَّا لَنَرَبُكُ فِي سَفَاهَةِ وَإِنَّا لَنَطُنُكُ مِنَ ٱلْكَذِيبِ أَي أَن مَن الدعوة إلى إله واحد، فقالوا: ﴿أَجَمَلُ الْآلِمَةُ إِلَنَهَا وَمِيلًا إِنَّ هَذَا اللهُ مِن قريش من الدعوة إلى إله واحد، فقالوا: ﴿أَجَمَلُ الْآلِمَةُ إِلَنَهُا وَمِيلًا أَنْ هَذَا اللهُ مِن الدعوة إلى إله واحد، فقالوا: ﴿أَجَمَلُ الْآلِمَةُ إِلَنَهُا وَمِيلًا مَن مَن الدعوة إلى إله واحد، فقالوا: ﴿أَجَمَلُ الْآلِمَةُ إِلَنَهُا وَيَعِلًا إِلَا أَخِلُكُ فَي الْمَالَةُ مِن وَلِي الْمَالَةُ اللَّهُ مِنْ أَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ أَنْهُ إِلَى الْمَالَقُ اللَّهُ مِنْ أَنْ اللَّهُ الذي خلق والله الله الله الله الله على عبادة الله الله على عبادة الله الذي خلق كل شيء أي آلله أي الله الذي خلق كل شيء، فهو رب كل شيء ومليكه.

﴿ أَيْلِغُكُمْ رِسَلَتِ رَبِي وَأَنَا لَكُو نَاصِعُ آمِينُ ﴿ وَهَذَه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ (٢) والنصح، والأمانة: ﴿ أَوَ عَبَتُمْ أَن جَآءَكُمْ فِن زَيْكُمْ عَلَى رَجُلِ مِنكُو لِيُنذِرَكُمْ ﴾ أي: لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولاً من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه، بل احمدوا الله على ذلكم (٤): ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاتَهُ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ ثُوجٍ ﴾ أي: واذكروا نعمة الله عليكم في (٥) جعلكم من ذرية نوح الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته لما خالفوه وكذبوه ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْمُلْقِ بَعْبَطَلَةً ﴾ أي: زاد طولكم على الناس ﴿ بَعْبَطَلَةً ﴾ أي: جعلكم أطول من أبناء جنسكم كقوله في قصة طالوت: ﴿ وَزَادَهُ بَسُطَةً فِي ٱلْمِلْدِ وَٱلْجِسْمُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]،

⁽١) في مطبوع (تفسير ابن كثير): (دعوتنا).

⁽٢) سقطت من الأصل، وأثبتها من «تفسير ابن كثير».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «البلاغة». (٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ذاكم».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إذ».



﴿ فَأَذْكُرُواْ ءَالَآهُ اللَّهِ ﴾ أي: نعمته ومنته عليكم: ﴿ لَقَلَّكُمْ نُقُلِحُونَ ﴾ والآلاء جمع ألى».

ثم قال (ك): "يخبر تعالى عن تمردهم وطغيانهم وعنادهم وإنكارهم على هود ﷺ: ﴿قَالُواْ أَجِقَتَنَا لِنَعْبُدَ أَلَّهَ وَحَدَهُ ۖ الآية، كقول (١) الكفار من قريش: ﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَلَا هُوَ الْحَقِّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرَ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَلَةِ أَوِ اَتْقِنَا بِعَدَابِ أَلِيمِ ﴿ وَلَا نَفال: ٣٢] وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره أنهم كانوا يعبدون أصناماً، فصنم يقال له: صداً (٢) وآخر يقال له: صموداً (٣)، أنهم كانوا يعبدون أصناماً، فصنم يقال له: صداً (٢) وآخر يقال له: هو وآخر يقال له: إلهنا (١٤)، ولهذا قال هود ﷺ: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ رِجْشُ وَعَنُ مَلِيكُم بِمِقالتَكُم هذه من ربكم ﴿ رَجُسُ ﴾ قيل: هو وعَضَب من رجز، وعن ابن عباس: معناه: سخط وغضب.

﴿ أَتُجَلِلُونِنِي فِت أَسْمَآهِ سَتَبْتُمُوهَا أَنتُمْ وَ اَبَاؤَكُم ﴾ أي: أتحاجوني في هذه الأصنام التي ﴿ سَتَبْتُمُوهَا أَنتُمْ وَ اَبَاؤَكُم ﴾ آلهة ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً ، ولهذا قال: ﴿ مَا نَزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلَطُكُنٍّ فَالنَظِرُوا إِنِي مَعَكُم مِن ٱلسُتَظِينَ ﴾ وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه ، ولهذا عقبه (٥) بقوله: ﴿ فَأَنجَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَمُ بِرَحْمَةٍ مِنّا وَقَطَمْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَنَابُوا وَعَلَيْنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن أخر من القرآن بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ، ﴿ مَا نَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتُهُ كَالْرَمِيمِ ﴾ وقد ذكر الله عليهم ، ﴿ مَا نَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتُهُ كَالْرَمِيمِ ﴾ والداريات : ٢٤] (١٠) . اه.

إيضاح

قال محمد تقي الدين: كل أمة استولى عليها الجهل بالله تعالى وفشت فيها عبادة الأوثان واتباع الهوى وعمها ظلام الكفر تبغض دعاة الحق في كل زمان وتقابلهم بالتمرد والعناد والتعجب، فالمشركون في هذا الزمان كالمشركين في الأزمنة الأولى، وجوابهم لدعاة الحق كجواب أولئك لرسلهم، والعلماء ورثة

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كما قال».

⁽٢) في مطبوع (تفسير ابن كثير): (صداء). (٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «صمود».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الهباء». (٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عقب».

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٢٩/٦ ـ ٣٣١) بتصرف.



الأنبياء، والوارث يلاقي من أهل الشرك مثل ما لاقاه الموروث، ففي هذا الزمان إذا قلنا لعبّاد القبور: دعوا عبادة القبور واتخاذها أوثاناً واعبدوا الله وحده، قالوا: يا عجباً منذ خلقنا الله لم نزل نرى العلماء الكبار الذين لا تساوي تراب نعالهم وهم كانوا يروننا نذبح للأولياء وننذر لهم ونتمسح بقبورهم ونستغيث بهم فما نهونا عن ذلك، ولا قالوا: إنه شرك ولا كفر، وآباؤنا وجدوا آباءهم كذلك وعلماء زمانهم كذلك، فمن أين أتيت بهذا الدين الجديد، فإذا تلوت عليهم كتاب الله، وذكرت لهم حديث رسول الله عليه، قالوا: إن أولتك العلماء يعرفون القرآن والحديث أحسن منك، وعلماء زماننا كذلك، فهل انحصر العلم فيك وحدك؟ فهل تريد أن تدخلنا في المذهب الوهابي، وتنقلنا من مذهب أهل السنة؟ لا نسمع ولا نطيع، فأنت ترى أن المشركين تشابهت قلوبهم وتماثلت أجوبتهم للمصلحين، ورحم الله الشيخ عمران اللَّنجي (١) إذ يقول:

إِنْ كَانَ تَابِعُ أَحِمِدٍ مِتُوهِباً فَأَنِا الْمِقِيرُ بِأَنْنِي وهَابِي أنفي الشريك عن الإله فليس لي ﴿ رَبُّ سَـوى السَّمَّةُ فِيرِّدِ السَّوَّابِ لاقُــبِّـة تُــرُجَسي ولا وَتُــن ولا . قبر له سبب مِن الأسباب(٢) أيضاً ولستُ مِعلِّقاً لتميمة او حَسلْهَ إِو وَدْعَه أو نَسابٍ لرجاءِ نفح أولدفع مضرة (٣) اللهُ يعنفَعُنني ويعدفعُ ما بني. والإستسداعُ وَكِيلُ أمر مُحدد شهر الدين يُنْكِرُه ذوو(٤) الألهابِ أرجو بانِّي لا أقساربُه ولا أرضاهُ دِيناً وهو غيرُ صواب (٥٠)

⁽١) هو عمران بن على بن رضوان بن مالك إلحارثي الشافعي. نسبته «لنجة» وهي مدينة ساحلية، وميناء ثانوي على الشط الشرقي للخليج العربي من الجانب الفارسي، وهي الآن تابعة لإيران، قالت كاملة القاسمي في «تاريخ لنجة» (١٩٢/١) عنه: «كتأن عالماً فاضلاً وشاعراً أديباً» وقال عنه الشيخ ابن مانع في التعليقاته على الطحاوية (ص٢٦): «العلامة»، توفي سنة ١٢٨٠هـ.

⁽٢) بعده: كلا ولا شهر ولا حجر ولا (٣) في بعض النسخ: «بليَّة».

⁽٥) بعدها في قصيدته:

وأمِرُ آياتِ الصَّفاتِ كِما أَتَتْ بِحَدِلافِ كِملٌ مَوْوَلِ مُرْدِبابِ

عينٌ ولا نُصبُ من الأنصاب (٤) في بعض النسخ: «أولوا».

والإستواءُ فإنّ حَسْبِي قُدْوَةً فيه مقالُ السَّادةِ الأقطاب



كالشافعيِّ ومالكِ وأبي حني فة ثم أحمد(١) التقي الأوابِ(١)

وإذا قلت لهم: لماذا تخالفون حديث النبي وهو صحيح صريح؟ قالوا: هذا مذهبنا، وإمامنا أعلم بالحديث منك، فما ترك العمل به إلا لأمر حمله على ذلك. فإن قلت لهم: متى أمركم الله أو أذن لكم أن تتخذوا هذا المذهب الذي يمنعكم من اتباع الرسول على فهل كانت للصحابة مذاهب أو للتابعين أو للأئمة المجتهدين أو لأحد من القرون المفضلة الثلاثة بنص النبي على: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، أو كما قال عليه ويمينه شهادته، يخونون ولا يؤتمنون، ويعدون ولا يوفون» أو كما قال عليه الصلاة والسلام؟ يجيبونك عن هذا، أنت تريد أن تأتينا بالمذهب الخامس، وتحن راضون بمذهبنا لا نبغي به بديلاً، فيقال لهم: إن كان الصحابة والتابعون أهل القرون المفضلة من مبعث النبي إلى مائة وعشرين سنة كلهم على المذهب الخامس؛ والحق أنكم كاذبون، فإنه لا المذهب الخامس، فما أحسن المذهب الخامس! والحق أنكم كاذبون، فإنه لا يوجد في الإسلام إلا مذهب واحد، وهو ما كان عليه رسول الله على وأصحابه، وما حدث بعدهم من المذاهب فهو ذاهب. اه.

🖂 الباب الخامس 🗟

قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِاحًا قَالَ يَنقُومِ أَعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمُ مِن اللهِ عَن اللهِ عَنْدُوهُ قَدْ جَآهَنَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَّبِكُمْ هَدَهِ، نَاقَةُ اللهَ مَا يَنْ أَوْ مَا يَاللهِ عَنْدُوهُا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلا تَمَشُوهَا بِسُوَءٍ فَيَأَخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ

⁽١) في بعض النسخ: «وأبي حنيفة وابن حنبل».

⁽Y) طبعت القصيدة ضمن «مجموع عيسى بن رُميح» في الهند، ثم ضمن مجموع «الهديّة السنية والتحفة الوهابية النجدية» (ص١١٠ ـ ١١٢) ثم في كتاب مستقل بعنوان «قصيدة أنا المقر بأنني وهابي»، بعناية الدكتور عبد السلام الشويعر مع تضمين الهلالي لها، وتضمينه في «ديوانه» (ق٧ ـ ٩) وفي آخر «الحسام الماحق» (ص١١٨ ـ ١٢٠، ط. دار الصحوة).

⁽٣) أخرجه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين، والبخاري (٢٦٥١، ٣٦٥١، ٣٦٥١، ١٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود.



قال (ك): «قال علماء (١) النسب: ثمود بن عاثر، أخو جديس بن عاثر، وكذلك قبيلة طسم، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل على وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام، إلى وادي القرى وما حولها». ثم قال: «﴿وَإِلَى تَمُودَ﴾ أي: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً: ﴿قَالَ يَنقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَامٍ غَيْرُهُ ﴾ فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلّا نُوجِيّ إِلَيْهِ أَنَمُ لَا إِلَهُ إِلّا أَنا فَأَعْبُدُونِ ﴿ وَالانبياء: ٢٥].

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَنَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّيِكُمٌ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ اَي: قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به، وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء ـ عينوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها: الكاتبة ـ فطلبوا منه أن تخرج (٢) لهم منها ناقة عشراء تمخض، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبهم (٣) ليؤمنن به وليتبعنه، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، قام صالح عهودهم ومواثيقهم، قام صالح عليه الله عليه ودعا الله عليه، فتحركت تلك

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «علماء التفسير و».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يخرج».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «طلبتهم».



الصخرة، ثم انصدعت عن ناقة (۱) وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها (۲) فأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة [تشرب من بئرها وتدعه لهم يوماً] (۲) وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملأون ما شاؤوا من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَنَبِتْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ فِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ تُعْفَمَرُ ﴿ القمر: ٢٨] وقال تعالى: ﴿هَلَاهِم نَاقَةٌ لَمَّا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٥] (٤).

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «جوفاء».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كما سألوا، فعند ذلك آمن رئيس القوم وهو جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره، وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تشرب ماء بئرها يوماً، وتدعه لهم يوماً».

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها؛ لأنها كانت تتضلع من الماء، وكانت على ما ذكر خلقاً هائلاً ومنظراً رائعاً، إذا مرت بأنعامهم نفرت منها».

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عليهم ذلك».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قتل الناقة».

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وعلى الصبيان».

 ⁽A) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وتحرف في المطبوع إلى «فامتد»!

⁽٩) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي المطبوع: «على»!



تَفَاسَمُوا بِاللّهِ لَنَبُيِّتَنَكَمُ وَأَهْلَمُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَلَاقُونَ فَ وَمَكُرُوا مَكُرُا مَكُرُا مَكُرُا مَكُرُا مَكُرُا مَكُرُا مَكُرُهُمُ أَمْعَيْنَ فِي اللّهُ أُولئك عَلَيْهُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فِي الله الله الله أولئك الله أولئك المرهط وعجل لهم الهلاك قبل قومهم. وبعد ثلاثة أيام جاءت الصيحة فأهلكتهم جميعاً في ساعة واحدة: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي مَارِهِمْ جَنْمِينَ ﴾ أي: صوعى».

ثم قال (ك): «هذا تقريع من صالح على القومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإبائهم عن قبول الحق، وإعراضهم عن الهدى إلى العمى، قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعاً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك كما ثبت في «الصحيحين»(١):

إن رسول الله على أما ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثاً ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاث (٢) من آخر الليل، فركبها ثم سار حتى وقف على القليب _ قليب بدر _ فجعل يقول: «يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، ويا فلان أبن فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً»، فقال له عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أقوام قد جيفوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع مما أقول منهم ولكن لا يجيبون» (٣).

قال محمد تقي الدين: العرب العاربة هم سكان الجزيرة العربية الذين ليسوا من ذرية إسماعيل عليه لأن إبراهيم أبا إسماعيل وإسحاق ليس عربياً فابنه إسماعيل استعرب فهو وذريته مستعربون، وهذا يدل على أن كل من تعلم العربية وصارت لغته من القبائل يسمون عرباً وإن كانوا في الأصل عجماً.

⁽۱) أخرجه البخاري (۳۹۷٦)، ومسلم (۲۸۷۵)، وأحمد (۲۹/٤) وغيرهم من حديث أبي طلحة، وأخرجه مسلم (۲۸۷٤) من حديث أنس.

⁽٢) هكذا في الأصل ومعنَّاه غير ظاهر (منه).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٣٦ ـ ٣٤٤) بتصرف.



الغرض من تأليف هذا الكتاب؛ لأن المسلمين في هذا الزمان بعدوا عن أصول دينهم، وفشت فيهم الضلالات، وشرها الشرك بالله، فبنوا القباب على القبور وزخرفوها وأنفقوا عليها الأموال الطائلة التي لا ينفقون عشرها في سبيل الله في بناء المساجد والمدارس الدينية والجهاد في سبيل الله وبناء دور اليتامى، وقد قال النبي على: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» _ يحذر ما صنعوا _ قالت راوية الحديث عائشة هذا: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً». رواه البخاري ومسلم (۱).

واتخاذ القبور مساجد يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، يدل على ذلك قول النبي على في «الموطأ» (٢) أن النبي قل قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وإنما اشتد غضب الله عليهم؛ لأن اتخاذ المساجد على القبور يؤدي إلى عبادتها كما هو مشاهد.

🖂 الباب السادس 😣

قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبُأَ قَالَ يَنقَوْمِ آعَبُدُوا اللّه مَا لَكُمْ مِينَدُ مِن رَبِّكُمْ فَالُونُوا اللّه عَيْرُهُ قَدْ جَآءَنْكُم بَيِندَ ثُلُ مِن رَبِّكُمْ فَاوَفُوا الْكَاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا نُفْسِدُوا فِ الْكَيْلُ وَالْمِيزَانَ وَلَا نَبْخَسُوا النّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا نُفْسِدُوا فِ الْأَرْضِ بَعْدَ إِصَلَحِها ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ اللّهِ مَن ءَامَن وَلَا نَقَعُدُوا بِكُلّ صِرَطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَن ءَامَن وَلَا نَقَعُدُوا بِكُلّ مِرَطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَن ءَامَن وَلَا نَقَعُدُوا بِحُلّ مِرَطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَن ءَامَن اللّهِ مَن عَامَن عَلَيْكُ فَكُونَهَا عِوجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُد قَلِيلًا فَكُثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْنَ كَانَ طَايِفَةٌ مِن عَلَيْكُ مَا إِن كَانَ طَايِفَةٌ مِن عَلَيْمُ مَا وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلَيْكُ فَكُمْ مِن عَلِيلًا فَكُمْ مَا عَلَيْكُ مُنْ مَا يَعْمَ وَانْظُرُوا كُونَ كَانَ طَايِفَةٌ مِنْ مِن عَلِيلًا فَكُونُهُمَا عَوْمَا أَوْلُونَ الْمَالِقَالُونَ اللّهُ مِنْ عَلَيْكُ مَا مَا فَانْ طَلْمُوا فَيْ كَانَ طَايْفَةٌ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ وَلَا كُولُولُ اللّهُ وَلَا كُلُولُونَ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ مَا لَكُونُ مَلّا إِلْمُ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُونَا اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللْمُعْلِقُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّه

⁽١) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣١) واللفظ للبخاري من حديث عائشة.

⁽۲) أخرجه أحمد (۲/۲۶۲)، والحميدي (۱۰۲٥)، وابن سعد (۲/۲۶۱، ۲۶۲)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (۳/۷۶)، وابن عبد البر في «التمهيد» (۵/۳۵، ٤٤) من حديث أبي هريرة، وإسناده قويّ. وبعضهم جعله عن عطاء مرسلاً، ووصله بعض الضعفاء فجعله عن عطاء عن أبي سعيد مرفوعاً، أخرجه مالك (۱/۲۷۱) رقم (۸۵)، وابن سعد (۲/۰۲۱) وابن عبد البر (۵/۲۵ ـ ۳۲).



قال (ك): «مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة، وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَكَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النّاسِ مِسْقُوبَ ﴾ [القصص: ٢٣] وهم أصحاب الأيكة كما سنذكره إن شاء الله وبه الثقة، ﴿قَالَ يَنقُومِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِن إلَاءِ غَيرُهُ ﴾ هذه دعوة الرسل كلهم: ﴿قَدْ جَامَنْكُم به بَيّنَةٌ مِن رَّبِكُم ﴾ أي: قد أقام الله الحجج والبينات على صدق ما جئتكم به موعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم، أي: لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس، وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليساً كما قال تعالى: ﴿وَثِلُ لِلنَّطَفِفِينَ ﴿ الَّيْنَ إِذَا كَالُوهُمُ أَو وَزَنُوهُمْ يُغْيِرُونَ ﴾ [المطففين: ١-٦] وهذا مَبْعُونُونُ ﴾ [المطففين: ١-٦] وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، نسأل الله العافية منه.

ثم قال تعالى إخباراً عن شعيب الذي يقال له: خطيب الأنبياء لفصاحة عبارته وجزالة موعظته»، قال (ك): «ينهاهم (١) عن قطع الطريق الحسي والمعنوي بقوله: ﴿وَلَا نَقَعُدُوا بِحَمْلِ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ أي: تتوعدون الناس

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «شعيب».

بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم. قال السدي وغيره: كانوا عشارين، وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿وَلا نَقْعُدُواْ بِكُلِ صِرَطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي: تتوعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه والأول أظهر؛ لأنه قال: ﴿يكُلِ صِرَطٍ﴾ وهو الطريق (١)، وهذا الثاني وهو قوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَيِيلِ اللهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبُغُونَهَا عِوَجًا مَائلة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذَ وَتُودُونَ أَن تكون سبيل الله عوجاً مائلة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذَ كُنتُم مستضعفين لقلتكم فصرتم أعزة لكثرة عددكم، فَاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك ﴿وَأَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَنِقِبَةُ ٱلمُفْسِدِينَ﴾ أي: من فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك ﴿وَأَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَنِقِبَةُ ٱلمُفْسِدِينَ﴾ أي: من معاصي الله وتكذيب رسله.

وقــولــه: ﴿وَإِن كَانَ طَآبِفَةٌ يِنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَآبِفَةٌ لَّهُ يُقَوْمُوا ﴾ أي: انتظروا ﴿حَتَّى يَحَكُمُ اللّهُ بَيْنَنَا ﴾ وينكم أي: انتظروا ﴿حَتَّى يَحَكُمُ اللّهُ بَيْنَنَا ﴾ وبينكم أي: يفصل: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَكِمِينَ ﴾ فإنه سيجعل العاقبة للمتقين والدمار على الكافرين ».

ثم قال (ك): "هذا خبر (٢) من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالنفي عن (٣) القرية، أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه، وهذا خطاب مع الرسول، والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة، وقوله: ﴿أَوْلُو كُنّا كَرْهِينَ ﴾ يقول: أوأنتم فاعلو ذلك ولو كنا كارهين ما تدعوننا إليه؟ فإنا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه أعظمنا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أنداداً، وهذا تنفير منه عن اتباعهم (٢).

﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ وهـــــذا رد إلـــــى الله المسبب (٧) ، فإنه يعلم كل شيء وقد أحاط بكل شيء علما (٨) ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْناً ﴾ أي: في أمورنا، ما نأتي منها وما نذر ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِ ﴾ أي:

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الطرق». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إخبار».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من». (٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تدعونا».

⁽٥) بعدها في مطبوع التفسير ابن كثيرا: الفقدا.

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «اتباعه». (٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المشيئة».

⁽A) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقط من الأصل!



احكم (١) بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَلِحِينَ ﴾ أي: خير الحاكمين فإنك العادل الذي لا يجور أبداً».

ثم قال (ك): "يخبر تعالى عن شدة كفرهم (٢) وتمردهم وعتوهم وما هم فيه من الضلال، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق، ولهذا أقسموا وقالوا: ﴿ لَهُنِ النَّبَعْتُمُ شُعَبّا إِنَّكُو إِذَا لَخَيْرُونَ ﴾ فلهذا عقبه تعالى (٢) بقوله: ﴿ فَأَخَذَتُهُمُ ٱلرَّجْفَةُ الرَّجْفَةُ الرَّجْفَةُ الرَّجْفَةُ الرَّجْفَةُ الرَّجْفَةِ فِي دَارِهِمْ جَنِينِ ﴿ فَهُ أَخبر تعالى (٤) أنهم أخبر عنهم في سورة هود أرجفوا شعبباً وأصحابه، وتوعدوهم (٥) بالجلاء كما أخبر عنهم في سورة هود فقال: ﴿ وَلَمّا جَاتُهُ أَمْرُنَا نَبُيّنَا شُعَبّا وَالنِّينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنّا وَأَخَدَتِ ٱلّذِينَ ظَلَمُوا السَّيْعَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِينِهِمْ جَنِينِ ﴿ وَالمناسبة هناك (٢) _ والله أعلم _، أنهم الما تهكموا به (٧) في قولهم: ﴿ أَصَلَوْنُكُ مَأْمُرُكُ ﴾ الآية فجاءت الصيحة فأسكتنهم، وقال تعالى (٨) في سورة الشعراء: ﴿ فَكَلَّبُوهُ فَأَخَدُهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظّلَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ وَمْ وَالْ المّناسبة هناك القصة: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا وَمَنْ السَّمَاءِ ﴾ الآية، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة.

وقد اجتمع عليهم ذلك كله: أصابهم ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَةِ ﴾ وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجة (٩) من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخمدت الأجسام: ﴿فَأَصَبَحُوا فِي دَارِهِم جَنثِينَ ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ كَأَن لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي: كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها، ثم قال تعالى مقابلاً لقيلهم: ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَيْرِينَ ﴾ "ثم قال (ك): «أي: فتولى عنهم

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «افصل».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كفر قوم شعيب».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عقب ذلك».

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هاهنا».

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وتوعدهم».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في ذلك».

⁽٧) في مطبوع (تفسير ابن كثير»: (بنبي الله شعيب».

⁽A) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: "إخباراً عنهم».

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ورجفة».



شعيب على الله الما أصابهم الله العذاب والنقمة والنكال. وقال مقرَّعاً لهم وموبِّخاً: ﴿ يَقَوْمِ لَقَدَّ أَبَلَقَنُكُمُ مِسَلَنتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمُّ اللهِ أي: قد أديت إليكم ما أرسلت به، فلا آسف (٢) عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به، فلهذا (٣) قال: ﴿ فَكَيْفَ وَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمِ كَنفِرِينَ ﴾ (٤).

فصل

قال محمد تقي الدين: مَنْ حقق توحيد الله تعالى بأن أفرده بالعبادة، ولم يدع مع الله أحداً، وحقق اتباع رسوله على واتخذه إماماً وقدوة لا يبغي به بديلاً ويرضاه في طريقه دليلاً، لا بد أن يعمل بمقتضى الشهادتين، فيطيع الله ورسوله ويحافظ على الأوامر ويجتنب المنهيات، فلا يغش مسلماً ولا معاهداً، وفي «الصحيح»(٥): «أن النبي على ذهب إلى السوق فوجد صبرة من طعام، فأدخل يده فيها، فوجد أسفل الحب مبتلاً وأعلاه يابساً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» فقال: يا رسول الله، أصابته السماء من الليل، فقال النبي على «فهلا أظهرته؟ من غشنا فليس منا»»، هذا معنى الحديث.

وبيان هذا الحديث، أن رجلاً من أهل المدينة كان يبيع الحبوب، فنزل المطر فابتل الحب، فجاء بحب ناشف لم يصبه المطر، فغطى الحب المبتل به، وهذا غش لأنه أخفى العيب الذي في حبه ولم يظهره للناس، فالذي يغش المسلمين أو المعاهدين لم يعمل بمقتضى الشهادتين، فمثل هؤلاء هم الذين يخونون الأمانات ويأكلون أموال الناس بلاحق، ولا يوفون الكيل ولا الميزان، ويفسدون في الأرض بعد إصلاحها، ويقعدون بكل سبيل يتوعدون الناس بالأذى ليأكلوا أموالهم بالمكس ونحوه، وهم أهل لكل شر لما عندهم من النفاق، ولأن قلوبهم خالية من نور الإيمان، وهو نور لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقوله: «كانوا عشارين» العشار: هو المكاس الذي يأخذ العشر من البضائع

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير» مكررة مرتين. (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أسفة».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولهذا».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٤٨/٦ _ ٣٥١).

⁽٥) أخرجه مسلم (١٠٢) من حديث أبي هريرة، ولفظه: «أفلا جعلته فوق الطعام، كي يراه الناس، من غش فليس مني».



التي تمر عليه في الطريق، وأخذ المكوس والأعشار حرام بالإجماع، وهو من أعظم الذنوب، يدلك على ذلك أن النبي الله لما صلى على المرأة الغامدية التي اعترفت بالزنى وطلبت منه إقامة الحد الله قيل له: كيف تصلي عليها وقد زنت؟ فقال: «إنها تابت توبة لو قسمت على سبعين منكم لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن تجود بنفسها؟»(١). اه. وصدق رسول الله على الجود بالنفس أقصى غاية الجود، وفي رواية: «إنها تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»(١).

وقد استباح الناس في هذا الزمان المكوس في مشارق الأرض ومغاربها، وصارت عندهم من الأمر بالمعروف الذي لا ينكره الخاصة والعامة، فلذلك سلط الله عليهم عدوهم وأذلهم وأهانهم، ولا يزالون كذلك حتى يرجعوا إلى اتباع الرسول على في كل ما جاء به.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ ٱللّهِ يقال: ما أشبه الليلة بالبارحة، فما زال المشركون يأكلون خير الله ويعبدون غير الله، ما زالوا في كل زمان وسكان يصدون الناس عن سبيل الله، أي: توحيد الله واتباع رسله، وفي هذا الزمان كل من وحد الله واتبع سنة رسوله على يقفون له بالمرصاد، ويقولون: احذروا فلانا فإنه وهابي وقد صدقوا وهم كاذبون، فإن من وحد الله واتبع رسوله على تصبح نسبته إلى الوهاب سبحانه كما قال تعالى في قصة إبراهيم: ﴿فَلَمّا أَعْرَفُهُم وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللّهِ وَهَبّنَا لَهُ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبٌ وَكُلًا جَعَلْنَا نَبِيّا ﴿ وَوَهَبّنَا لَمُم مِن رَحْمَينَا لَهُ مِن رَحْمَينَا لَهُ إِسَانَ صِدْقِ عَلِيّا إِنْ ﴾ [مريم: ٤٩ ـ ٥٠] لما اعتزل إبراهيم المشركين في العراق وهو وطنه، وذهب في أرض الله متوكلاً على الله، وهب الله له ذرية طيبة إسماعيل وإسحاق، وبشره كذلك بيعقوب بن إسحاق ليرى أبناءه وأحفاده

⁽۱) أخرجه أبو داود (٤٤٤٠)، والترمذي (١٤٣٥)، والنسائي (٣/٤، ٦٤)، وعبد الرزاق (١٣٣٨)، وابن أبي شيبة (١/ ٨٧ ـ ٨٨)، وأحمد (٤/٩٤٤ ـ ٤٣٠، ٤٣٥ ـ ٤٣٦، ٤٣٥ ـ ٤٣٠، ٤٣٥ لم ٤٣٠، ٤٤٥)، وابن الجارود (٨١٥)، والطيالسي (٨٤٨)، وابن الجارود (٨١٥)، وابن حبان (٣/ ٤٣٤ ـ ٤٣٤ ـ «التعليقات الحسان») رقم (٤٤٤٤)، والطيراني (١٨/ رقم ٤٧٥، ٢٧٥)، والدارقطني (٣/ ١٠١، ١٠١)، والبيهقي (٨/ ٢٢٥) من حديث عمران بن حصين، وإسناده صحيح.

⁽٢) أخرجه مسلم (١٦٩٥) من حديث بريدة.



صالحين، وأعطاه أموالاً كثيرة كما هو معروف في التاريخ، وقد أشار إلى ذلك القرآن، فإن الملائكة لما زاروه ضيوفاً بالغ في إكرامهم وجاءهم بعجل حنيذٍ، أي: مشوي، يفهم من ذلك أن أمواله كانت كثيرة، فيا أيها الشخص الذي أكرمه الله بالتوحيد واتباع السنة، ظفرت بحبل الله فاعتصم: ﴿وَلَا يَسْتَخِفّنَكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِئُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

فصل

قوله: «في توعدهم إياه بالنفي ومن معه، أو الإكراه على الرجوع في ملتهم».

قال محمد تقي الدين: هكذا كان المشركون الأولون يعاملون الرسل ومن معهم، ومشركو هذا الزمان يتبعونهم في ذلك، حذو النعل بالنعل، فإنهم متى دعاهم داع إلى توحيد الله واتباع سنة رسول الله في والحكم بشريعة الله يسعون في نفيه من البلاد أو يجبرونه على العودة في ملتهم الشركية، ولو بالسكوت والمشاركة، و(الساكت عن قول الحق شيطان أخرس)(۱)، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَ بِالْبَطِلِ وَتَكْنُمُوا الْحَقَ وَأَنتُم تَعْلَمُونَ فَي الْبَيْكَ وَالْمَدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيْنَكُ لِعَالَى في شَوْل الْعَوْدَ فَي الْبَيْنَ وَأَلْمُكُى مِنْ بَعْدِ مَا بَيْنَكُ لِلنَّاسِ فِي الْكِنَابِ أَوْلَتَهِكَ يَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَلَيْعُالُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْعُوالَا وَلَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَا

وفي سنة ١٣٤١ه حججت الحجة الأولى في زمان ملك الحجاز الحسين بن علي واجتمعت بمحمد حبيب الله بن مايابا الشنقيطي ووقعت بيننا مناظرة، قال لي في أثنائها: أنت وهابي، وأنتم عندي معشر الوهابية ثلاثة أصناف: الصنف الأول: أهل نجد وهم عندنا كفار كاليهود والنصارى، ونحن المسلمون، والصنف الثاني: وهابية الشام، وأنت منهم وهذا الصنف عندنا ضلال، والصنف الثالث: وهم وهابية الهند، وهم عندنا مخطئون.

وبعد هذه المناظرة سمعت أن جماعة من الحجاج الأندونيسيين من أصحاب الشيخ أحمد السُّركتي (٢) رحمة الله عليه، جاهروا بالتوحيد فأنكر عليهم

⁽١) اشتهر هذا على أنه حديث، وليس كذلك.

⁽٢) هو العلامة السلفي المصلح الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد =



الناس وساقوهم إلى مجلس العلماء، فسألهم أولئك المسمون بالعلماء؟ فاعترفوا، فاستتابوهم وهددوهم فتابوا، فلما سمعت هذا الخبر اختفيت ثمانية أيام في المعابدة عند بعض المغاربة؛ خوفاً من أن يخبر الشيخ المذكور مجلس العلماء المعين من قبل الملك حسين، فيستتيبوني، وكان صاحب البيت الذي أنا فيه يذهب إلى المسجد الحرام ويتحسس: هل يُبحث عني؟ فلم يسمع شيئاً، وكانت هذه حسنة من ذلك الشيخ إذ لم يخبر عني، مع أنه من رجال المجلس ومن المقربين عند الملك حسين، انظر هذه القصة بتمامها وغيرها في كتابي «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة»(١) فإن فيه من هذا القبيل الشيء الكثير، فنسأل الله أن يشتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

السوركتي، ولد سنة ١٨٧٦م في جزيرة أرْمَو من أعمال دنقلا في السودان من أبوين ينتسبان إلى أحد نقباء الخزرج وهو الصحابي جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري، سافر إلى الحجاز، وانقطع مجاوراً في المدينة النبوية، ومكث فيها أربع سنوات ونصفاً لطلب العلم، ثم تحول إلى مكة، وتدرج في الطلب إلى أن حصل الشهادة العالمية من مجلس علمائها، وعيّن سنة ١٣٢٦هـ مدرّساً في الحرم المكي، ثم سافر إلى أندونيسيا، ودرّس هناك، وتخرج على يده مئات التلاميذ، له كثير من الكتب، حصّلت ـ ولله الحمد ـ جلها في سفرتي لأندونيسيا، منها: «صورة الجواب»، «الوصية العامرية»، «توجيه الإخوان إلى آداب القرآن» - لم يطبع -، «المسائل الثلاث»، «أمهات الأخلاق»، «منظومة الخواطر الحسان»، واحقوق الزوجين» ـ مترجم للماليزية ـ «الأخلاق القرآنية» ـ مترجم للهو لاندية ـ وله عشرات (المقالات)، وظفرتُ له في مجلة «الإرشاد» باباً للفتاوي، وسلسلة في التنبيه على الأحاديث الضعيفة المشتهرة، وقد احتجبت هذه المجلة عن الصدور سنة ١٩٢١م، مات الشيخ أحمد السوركتي _ رحمه الله تعالى _ بعد جهاد في الدعوة إلى الله على بصيرة سنة ١٩٤٣م ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأدخله فسيح جنانه ـ. انظر: التاريخ حركة الإصلاح وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في أندونيسيا، تقليم وتحقيق أحمد أبو شوك، وهي مخطوطة مجهولة المؤلف بحوزة صديقنا الأستاذ عبد القادر التميمي، وأهداني إياها في ٦/ محرم/١٤٢٣هـ، جزاه الله خيراً.

⁽۱) رأيتُ من المفيد إثبات المناظرة بتمامها، قال المصنف في كتابه «الدعوة إلى الله تعالى» (ص١٢٤ ـ ١٢٧): «كان الشيخ حبيب الله بن مايابا الجكني من العلماء المقربين عند الملك حسين، وكانت له مدرسة تشرف على المسجد الحرام، وكان المسجد الحرام في ذلك الزمان محاطاً بالمدارس وهذه المدارس كان يستغلها المقربون من العلماء والجهال، إذا جاء والي المسجد الحرام يجلسون فيها ويتوضؤون وينامون ويصلون فيها وأيضاً؛ لأن كل واحدة منها كانت لها طاقة واسعة مواجهة للكعبة، فقصدت زيارة الشيخ المذكور في مدرسته، وأخذت أتحدث معه حديثاً يشبه المناظرة في التوحيد والاتباع، =

وكان عنده رجل أشيب فلما سمع كلامي ظهرت عليه أمارات الحزن، وقال لي: هذا الذي تقوله تعلمته في الشرق أم في الغرب؟ فقلت له: بل في المغرب. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وصل هذا البلاء إلى المغرب _ يعنى بالبلاء: توحيد الله تعالى واتباع سنة رسوله ﷺ _، وأخبرني الشيخ حبيب الله أن ذلك الشيخ كان شنقيطياً كنتياً نسبة إلى (كنته) وهي قبيلة معروفة في شنقيط، فقال الشيخ حبيب الله: وأنت وهابي وأنتم معشر الوهابية عندي ثلاثة أصناف، وهابية نجد ووهابية مصر والشام، وأنت منهم ووهابية الهند، فأما وهابية نجد فإنهم كفار بيننا وبينهم ما بين اليهود والنصاري والمسلمين، هم اليهود والنصاري ونحن المسلمون، وأما وهابية مصر والشام فهم ضلال، وأما وهابية الهند فهم مخطئون، فقلت له: اشرح لي ما ذكرته وبيِّن لي سبب هذه التفرقة؟ فقال لي: أما وهابية نجد فهم عندي كفار؛ لأنهم يقولون: إن ربهم في السماء، وأما وهابية مصر والشام فهم ضلال؛ لأنهم يدعون الاجتهاد، وادعاء الاجتهاد ضلال ولا يبلغ إلى حد الكفر، وأنا بنفسي لا أقول بالتقليد المحض، بل أقول بمنزلة بين منزلتين، ثم سرد على أبياتاً من أرجوزة له لا أحفظ منها إلا شطراً واحداً، وهو قوله: (وإنما أقول بالتبصر). فقلت له: هذا التفصيل فيه نظر؛ لأن جميع السلفيين في نجد وفي مصر والشام وفي المغرب وفي الهند يقولون ويعتقدون أن الله في السماء مستو على عرشه بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل، وأدلة هذا لا تخفى عليك، وأمَّا ما سميته بالاجتهاد فنحن نسميه الاتباع، والأصناف الثلاثة أيضاً متفقون عليه، إلا أن أهل نجد ينتسبون إلى المذهب الحنبلي في الفروع ونحن لا ننتسب إليه إلا في الأصول، ثم قلت له: ولماذا خففت الحكم على أهل الهند؟ فلم تجعلهم كفاراً ولا ضلالاً بل جعلتهم مخطئين فقط، فقال لي: لأنهم يزورون قبر النبي ﷺ فليس عندهم مما ينتقد إلا مسألة الاجتهاد، فقلت له: فعلام ضللتنًا نحن بالاجتهاد وغفرته لهم، فقال: قلت لك: إنهم يزورون قبر النبي ﷺ فقلت له: ماذا تعنى بزيارة القبر أتقصد السلام على النبي ﷺ في مسجده أم أمام حجرته أم تقصد شد الرحال؟ فقال: أقصد ذلك كله، فقلت له: إن السلفيين في الهند لا يقولون بجواز شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة، فظهر تناقضه، ولم أكن أعلم سبب ذلك التناقض حينتذٍ غير أنى عرفته فيما بعد، وذلك أن الشيخ عبد الوهاب الدهلوي التاجر العالم كان بمكة وكان تلميذاً له يدرس عليه بعض فروع العلم وكان يحسن إليه، فلذلك خفف الحكم على السلفيين من أهل الهند وكان يتبع هواه والهوى يعمي ويصم». قال: «ولما استتيب الأندونوسيون وكان هذا الرجل من الذّين استتابوهم اختفيت أنا ثمانية أيام في مكة عند بعض المغاربة وكنت أبعثه كل يوم إلى المسجد الحرام، ليتحسس هل هناك أحد يبحث فلم يجد لذلك أثراً فخرجت من مختبئي، وهذه حسنة أعدها له، إذ لم يسع في استتابتي، وسوف يرتكب سيئة تمحو هذه الحسنة». ثم قال تحت عنوان (مداهنته لمن يسميهم بالوهابية) ما نصه:

«لما استولى الملك عبد العزيز على الحجاز بعد هذا التاريخ بقليل، أخذ يداهن الملك =



عبد العزيز وأهل نجد الذين كان بالأمس يكفرهم، وفي يوم من الأيام جاء الملك عبد العزيز رحمة الله عليه إلى المسجد الحرام فوجد الشيخ حبيب الله والسيد أحمد السنوسي يملآن الأثر المسمى بموضع قدم إبراهيم بماء زمزم ويكرعان فيه بأفواههما كالبهائم، فوبخهما وقال لهما: إذا كنتما تفعلان هذا وأنتما بزعمكما من العلماء فماذا تركتما للجهال، وحدث أنه كان ذات ليلة في مجلس الملك عبد العزيز آل سعود وكان الملك يتكلم في التوحيد، فعارضه فغضب عليه الملك عبد العزيز عضباً شديداً، فظن أن حتفه قد دنا، فتقدم إلى الملك وألقى نفسه بين يديه وأظهر التوبة والرجوع عما قاله، وإنما فعل ذلك خوفاً أن يبطش به، ولم يكن الملك عبد العزيز كَظَّلُهُ سريعاً إلى البطش، بل كان إذا غضب يقتصر على الكلام ولا يتجاوزه، وعلى إثر ذلك أخذ زوجته إلى المدينة وتركها في بيت أخيه الشيخ محمد الخضر وهرب إلى مصر، وكانت العلاقات بين مصر والمملكة السعودية في ذلكَ الزمان سيئة جداً، بسبب المحمل الذي كانت تبعثه الحكومة المصرية إلى مكة في كل سنة، وهو شيء كالهودج يطاف به في القاهرة ثلاثة أيام يتمسح الناس به ويتبركون به، ثم يبعث مع الوفد المصري إلى مكة، فيتمسح به الجهال أيضاً في جدة، وفي الطريق إلى مكة، فأمر الملك عبد العزيز تَكَلُّهُ بالمنع من التمسح به والإتيان به إلى مُكة، وأمر أن يترك في جدة، وبعد الحج يرجع به الوفد إلى مصر، فرأى الوفد المصري أن ذلك إهانة له، وكانت كسوة الكعبة المشرفة يؤتى بها من مصر يحملها الوفد المصري كل سنة إلى مكة. فلما ساءت العلاقة بين المملكتين استغنى الملك عبد العزيز عن كسوة الكعبة التي كان يؤتى بها من مصر، وطلب الصناع من الهند وأسس داراً بمكة لصنع الكسوة، فاغتنم الشيخ حبيب الله هذا الخلاف والتجأ إلى حكام مصر، وشكى لهم ما أصابه من السعوديين، والحقيقة أنه لم يصبه شيء، فرحبوا به وجعلوه مدرساً في الأزهر، وفي سنة ١٣٤٥ توجهت من العراق إلى الحج بصحبة الشيخ مصطفى آل إبراهيم ومررنا بالقاهرة، وكان الشيخ حبيب الله مستقراً بها، فعلمت أنّ شخصاً قال له: هل تعرف الهلالي، فقال: نعم أعرفه، فقال له: أهو من أهل العلم فقال له: لا يصلح أن يكون جليساً لأهل العلم، فكيف يكون من أهل العلم؟ فكتبت كتاباً إليه قلت له فيه: بلغني أنك قلت: كيت وكيت وقد ناظرتك في مدرستك سنة ١٣٤١هـ من الظهر إلى العصر كنت تناضل عن عقيدة أسلافك الأرذلين كالجهم بن صفوان والجعد بن درهم، وكنت أناضل عن عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأثمة المجتهدين، فما وجدت في بحمد الله ضعفاً ولا وني، وأنشدته في ذلك الكتاب أبياتاً أذكر منها قول الشاعر:

بغيض إلى كل امرئ غير طائلِ شقياً بهم إلا كريمُ الشمائلِ لقد زادني حباً لنفسي أنني وإني شقي باللشام ولا ترى وقول المتني أيضاً:

ويظهر البجهل بي وأعرافه والسلَّرُّ دُرٌّ بسرغهم مَن جهله



🖮 الباب السابع 🗺

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَ الْهَتَكُ قَالَ سَنُقَذِلُ أَبْنَاهَهُمْ وَنَسْتَعِيهُ لِيسَاهَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَالِمَ سُلَهُ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِاللّهِ وَأَصْبِرُواً إِن ٱلأَرْضَ لِلّهِ يَلْهِ رَاصْبِرُواً إِن ٱلأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاهُ مِنْ عِبَادِهِ وَ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ اللهِ الاعراف ١٢٧ ـ ١٢٨]

قال محمد تقي الدين عفا الله عنه: نظرت في تفاسير عدة لأنقل تفسير هاتين الآيتين كعادتي، فوجدتها مشحونة بالقال والقيل، اختلفت فيها الآراء، ولا دليل على شيء منها، والأصل فيما وقع قبل الإسلام أن يأتينا من طريق النبي رفاقة الإناد الم نجد خبراً مرفوعاً إليه وتضاربت الآراء، توكلنا على الله وفسرنا القرآن بما يظهر لنا من اللفظ، فأقول:

﴿قَالَ ٱلْمَلاَ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ تقدم أنهم الأشراف والرؤساء متعجبين من فرعون لصبره على موسى وقومه، كيف تترك موسى وقومه يفسدون عقائد رعيتك بصرفهم عن طاعتك وعبادة آلهتك إلى طاعة الله وحده لا شريك له؟ ولا غرابة في ذلك، فإن المفسدين في كل زمان ومكان يرون الصلاح فساداً، والفساد صلاحاً، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا نُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوّا إِنَّمَا غَنُ مُصْلِحُونَ لَا يَشْعُهُن اللهِ [البقرة: ١١] فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَلاّ إِنَّهُمْ هُمُ اللهُ يَعْبُونَ لَا يَشْعُهُن اللهِ قَلْ اللهُ السورة السورة السورة المصريين ولرعاياهم الهة يعبدونها كما سيأتي عن قريب في هذه السورة.

وقول فرعون لموسى: ﴿أَنَا رَبُكُمُ الْأَقَلَ ﴾ [النازعات: ٢٤] وقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَنهِ غَيْرِب ﴾ [القصص: ٣٥] لا يتنافى مع وجود تلك الآلهة التي هي أصنامهم، وتاريخ قدماء المصريين وآثارهم الباقية، لا تبقي شكاً فيما ذكرته، والمشركون في كل زمان ومكان لا يحبون من يعرض عن آلهتهم ولو لم يمنعهم من عبادتها، ولم يدعهم إلى عبادة الواحد الأحد، فكيف إذا عاب عليهم

وأبياتاً أخرى نسيتها، وكتبت عليه عنوانه، وهممت أن ألقيه في صندوق البريد ليصل إليه ويشويه، ولكن أخانا السلفي الشيخ إبراهيم الوادنوني تلطف وتحيل، وقال لي: ناولني هذا الكتاب وأنا أبلغه إليه فناولته إياه، وكان مقصوده أن يمنع وصوله إليه حتى لا يسوءه؛ لأنه كانت بينه وبينه صداقة مع اختلافهما في العقيدة».



عبادتها، وصرح لهم بأنها لا تنفع ولا تشفع؟ فحينئذ تثور ثائرتهم ويحاربون الداعى حرباً لا تسامح فيها.

وكان فرعون أيضاً يعلم أن رب العالمين وخالقهم الذي أنزل الكتب وأرسل الرسل هو الله وحده لا شريك له، وإنما كان يجحد كما قال تعالى في سورة الإسراء حكاية عن موسى على: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَدَوُلَامٍ إِلَّا رَبُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ بَصَابٍرَ وَإِنِي لَأَطُنْكُ يَنفِرَعُونُ مَثْبُورًا ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَقَال تعالى مخبراً عن قوم فرعون: ﴿ وَمَعَمَدُوا بِهَا وَاسْتَقَنَتُهَا أَنفُتُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُواً فَانظُلْ كَيْفَ كَانَ عَلِقِهَ المُقْسِدِينَ ﴿ وَالنمل: ١٤].

والظاهر أن الذي كان يهم فرعون أن يكون سيداً مطاعاً منفرداً بالتشريع، فما أوجبه فهو واجب على قومه، وما حرمه فهو محرم على قومه، ولا يحب أن ينازعه أحد ولو كان رسولاً من الله تعالى إليه، فلما عاتبه رؤساء دولته واتهموه بالتسامح مع موسى عليه قال لهم: ﴿سَنُقَيْلُ أَبُنَاءَهُم أَي: أبناء بني إسرائيل بالتسامح مع موسى عليه قال لهم: ﴿سَنُقَيْلُ أَبُنَاءَهُم أَي: أبناء بني إسرائيل ﴿وَلَسَتَعِي نِسَاءَهُم أَي: تبقى نساؤهم فلا نقتلهن، لنعبدهن ونسخرهن في خدمتنا ﴿وَلِنّا ﴾ معشر المصريين ﴿وَقَهُم قَهِرُون ﴾ غالبون لا نخشى بأسهم، إنما هم عبيدنا فلا تخافوا موسى ولا قومه.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ، بني إسرائيل: ﴿آسَتَهِينُواْ بِاللّهِ وَآسَبِرُواْ ﴾ فبالاستعانة بالله وحده على أعدائكم، وبالصبر على ما يصيبكم من أذاهم حتى يجيء نصر الله، بهذين الأمرين تبلغون ما وعدكم الله من نصركم وإهلاك عدوكم، واعلموا ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِللّهِ لا لَـفُرعـون ولا لَـقـومـه، ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِيَّةُ وَٱلْعَلِقِبَةُ ﴾ الذين يوحدون الله ويتبعون رسله وكتبه، ﴿وَعَدَ اللّهِ لا يُخْلِفُ اللّهُ الْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

∺ الباب الثامن 🔫

قسال الله تسعسالى: ﴿ وَجَنَوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَهِ يِلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوَا عَلَى قَوْمِ يَعَكُمُونَ عَلَى أَسْنَامِ لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ فَوْمٌ أَصْنَامِ لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ فَوْمٌ أَصْنَامِ لَهُمْ عَالُولُ مَا كُمُ عَلَى الْمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ فَوْمٌ بَعَهَلُونَ فَيْ إِنَا هُمُ فِيهِ وَيَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَيْ قَالَ أَغَيْرُ أَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَيْ قَالَ أَغَيْرُ اللهِ الْمَالِمِينَ فَي الْعَلَمِينَ فَي الْعَلَمِينَ اللهِ الْعَراف ١٢٨ ـ ١٤٠]



قال (ك): "يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى على حين جاوزوا البحر، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ﴿فَأَتُوا﴾ (١) أي: فمروا ﴿عَلَى قَوْمِ يَعَكُنُونَ عَلَى أَصَنَامِ لَهُمَّ ﴾، قال بعض المفسرين: كانوا من الكنعانيين، وقيل: كانوا من لخم، قال ابن جريج (٢): وكانوا يعبدون أصناماً على صور البقر، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك فقالوا: ﴿قَالُواْ يَنْمُوسَى اجْعَلَ لَنَا إِلَنْهَا كُمّا لَمُم عَالِهَا قَالَ إِنَّكُم قَوْمٌ تَجَهَلُونَ ﴾ أي: تجهلون عظمة الله وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل، ﴿إِنَّ هَنُولاً مُتَدّ مَا هُمْ فِيهِ أي: هالك ﴿وَبَطِلْ مًا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ "(٢).

قال العلامة المحقق سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في «شرحه لكتاب التوحيد» الذي ألفه الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب، واسم هذا الشرح، «تيسير العزيز الحميد» في صفحة ٤٣، ما نصه:

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «قالوا»!

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وهو الصواب، وفي الأصل: «ج»! إشارة إلى ابن جرير.

⁽٣) انظر: «تفسير ابن کثير» (٦/٩٧٦).

⁽٤) أخرجه أحمد (٢١٨/٥)، والترمذي (٢١٨٠)، والشافعي (٢٣ ـ بدائع المنن)، وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣)، وابن أبي شيبة (١٠١/١٥)، والحميدي (٨٤٨)، والطيالسي (١٣٤)، وابن أبي عاصم (٢٧)، ومحمد بن نصر المروزي (٣٧ ـ ٤٠) كلاهما في «السنة»، وأبو يعلى (١٤٤١)، وابن إسحاق ـ كما في «سيرة ابن هشام» (١٤٤٨ ـ ٨٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/٢٧٢)، وابن حبان (٢٧٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢٥٣، ٣٢٩٣)، والبيهقي في «دلائل التوحيد» (١٢٤/٥)، والواحدي =



قال الشارح: «رواه الترمذي كما قال المصنف، ثم ذكر الشارح إسناد الترمذي إلى أبي واقد الليثي، أن رسول الله على لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي على: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: ﴿ المُعكل لَنا وَ إِلَها كُما لَمُم مَ الله في والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم ». هذا حديث حسن صحيح، وأبو واقد الليثي اسمه الحارث بن عوف، وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة، هذا لفظ الترمذي بحروفه، وفيه مخالفة لما في الكتاب لفظاً ومعنى، وقد اتفق اللفظان على المقصود هنا، وقد رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى وابن أبي شيبة والنسائي، و(ع) وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بنحوه.

قوله: «عن أبي واقد الليثي» اسمه الحارث بن عوف، كما قال الترمذي وقيل: الحارث بن مالك^(۱) صحابي مشهور مات سنة ٦٨ه وله خمس وثمانون سنة. قوله: خرجنا مع رسول الله على الله الله الله الله الله الله عني حديث عمرو بن عوف قال: «غزونا مع رسول الله يه يوم الفتح ونحن ألف ونيف، حتى إذا كنا بين حنين والطائف»^(۲). لا مخالفة بينهما في المعنى، فإن غزوتي^(۳) الفتح وحنين⁽³⁾ كانتا في سفر واحد، وقوله: «نحن حدثاء عهد بكفر». أي: قريبو عهد بكفر، ففيه دليل أن غيرهم لا يجهل هذا، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادات الباطلة، ذكره المصنف.

قوله: «يعكفون عندها» الاعتكاف: هو الإقامة على الشيء بالمكان ولزومه (٥)،

⁼ في «الوسيط» (٢/ ٤٠٤ _ ٤٠٤) وإسناده صحيح.

⁽١) كذا سمي عند ابن إسحاق، وفي مطبوع «سيرة ابن هشام»: «عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك»! وهو خطأ. وصوابه «وهو الحارث...».

⁽۲) أخرجه الطبراني في «الكبير» (۱۷/رقم ۲۷) وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفسيريهما»، كما في «الدر المنثور» (۳/ ٥٣٤) من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، وإسناده ضعيف جداً، فيه كثير بن عبد الله وهو متروك.

⁽٣) في مطبوع «التيسير»: «غزوة».

⁽٤) تحرفت (حنين) في مطبوع «جامع الترمذي» و «مسند أبي يعلى» و «معجم ابن قانع» في حديث أبي واقد السابق إلى (خيبر)!! فلتصوب.

⁽٥) في مطبوع «التيسير»: «ولزومها».



ومنه قوله: ﴿مَا هَلَاِهِ ٱلتَّمَائِيلُ ٱلَّتِي أَنتُمْ لَمَا عَكِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٣] وكانوا يعكفون عند هذه السدرة تبركاً بها، وفي حديث عمرو بن عوف قال: «كان يناط بها السلاح، فسميت ذات أنواط، وكانت تعبد من دون الله، فلما رآها رسول الله ﷺ انصرف عنها في يوم صائف إلى ظل هو أدنى منها. . .» الحديث، فيجمع بينهما بأن عبادتها هي العكوف عندها رجاء لبركتها.

وقوله: "وينوطون بها أسلحتهم" أي: يعلقونها عليها للبركة، وقوله: "يقال لها: ذات أنواط"، قال أبو السعادات (۱): "سألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك، وأنواط: جمع نوط، وهو مصدر سُمِّي به المنوط" (۱)، وقوله: "فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط"، أي: شجرة مثلها نعلق عليها [أسلحتنا] (۱). ونعكف حواليها، ظنوا أن هذا الأمر (١) محبوب عند الله فقصدوا التقرب إلى الله بذلك، وإلا فهم أجل قدراً وإن كانوا حديثي عهد بكفر عن قصد مخالفة النبي الله وقوله: "فقال النبي الله أكبر" هكذا في بعض الروايات، وفي رواية الترمذي: "سبحان الله"، والمقصود باللفظين واحد؛ لأن المراد تعظيم الله وتنزيهه عن الشرك، والتقرب به إليه، وفيه تكبير الله وتنزيهه عند التعجب أو ذكر الشرك خلافاً لمن كرهه.

قوله: "إنها السُّنن" بضم السين، أي: الطرق، فقوله: "قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً... إلخ" أخبر على أن هذا الأمر الذي طلبوه منه، وهو اتخاذ الشجرة (٥) للعكوف عندها، وتعليق الأسلحة بها تبركاً، كالأمر الذي طلبه بنو إسرائيل من موسى الله حيث قالوا: ﴿اجْعَل لَنا إلَهُا كُمَا لَمُم الذي طلبه بنو إسرائيل من موسى الأسلحة والعكوف عندها إلَها كما لَمُم الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بما حدث من عبّاد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقبيل أعتابها، وجدرانها، والتمسح بها، والعكوف عندها، وجعل السدنة والحجاب لها؟ وأي نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركاً؟

⁽١) في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١٢٨/٥).

⁽٢) كذا في «النهاية» و«التيسير»، وفي الأصل: «النوط»!!

⁽٣) غير موجود في مطبوع «التيسير».(٤) في مطبوع «التيسير»: «أمر».

⁽٥) في مطبوع «التيسير»: «شجرة».



قال الإمام أبو بكر الطرطوشي^(۱) من أثمة المالكية: «فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس [ويعظمونها]^(۲) ويرجون البرء والشفاء من قبلها، [وينوطون بها]^(۳) المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها».

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمٰن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب «البدع والحوادث»: ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشياطين للعامة، تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم [يتجاوز] (٤) هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها [فيرجون] (٥) الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم (٦) وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر، وفي مدينة _ دمشق صانها الله من ذلك _ مواضع متعددة كعوينة (١) الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث».

ثم ذكر الحديث المتقدم، وكلام الطرطوشي الذي ذكرنا، ثم قال: «ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجِبْنِياني (^) _ رحمه الله تعالى _ أحد

⁽١) في كتابه «الحوادث والبدغ» (ص٣٨ ـ ٣٩).

⁽٢) في مطبوع «الحوادث»: «ويعظمون من شأنها».

⁽٣) كذا في مطبوع «الحوادث» وفي الأصل: «ويضربون»!.

⁽٤) في مطبوع (الباعث): (يتجاوزون).

⁽٥) في مطبوع «الباعث»: «ويرجون».

⁽٦) في مطبوع «الباعث»: «لها».

⁽٧) في مطبوع «الباعث»: «تعوينة»، وفي الأصل: «كمدينة»! ولا وجه لها، وراجعت لها مخطوطة «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة، فوجدت المثبت في نسخة خطية (ق/١٥٧) _ ضمن مجموع تأريخ نسخه ٧٩٧هـ) محفوظ في شستربتي، دبلن، ادلنه.

⁽٨) في مطبوع «الباعث»: «الجبيناني»! وفي الأصل: «الجنياني»! والصواب المثبت، نسبة إلى (جِبْنيانة) ـ بكسر الجيم، ثم موحدة ساكنة، ثم نون مكسورة، تليها مثناة تحت ثم ألف ثم نون مفتوحة، ثم هاء ـ من بلاد المغرب، هكذا ضبطها ابن ناصر الدين في «التوضيح» (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، وذكر تحتها صاحبنا أبا إسحاق، ونعته بقوله: «الشيخ العارف». وقال =



الصالحين ببلاد إفريقية في المائة الرابعة، حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب «أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية، وكانت (۱) العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق، من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت: امضوا بي إلى العافية فتعرف بها الفتنة. قال أبو عبد الله: فأتاني (1) في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن (1).

قلت: أبو إسحاق الذي هدمها إمام مشهور من أثمة المالكية زاهد اسمه إبراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم (٤)، وكان الإمام أبو محمد بن أبي زيد يعظم شأنه ويقول: طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في الوقت، وكان القابسي (٥) يقول: الجبنياني (٦) إمام يقتدى به، مات سنة ٣٦٩هـ. وذكر ابن القيم نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: «فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النباد أي تقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له» (٧).

وقال العلامة المذكور في الكتاب نفسه في (صفحة ٢٩٢، المتن موجود بالشرح) ما نصه (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله) أراد المصنف كالله بهذه الترجمة أموراً: الأول: التحذير من الغلو في

⁽١) كذا في مطبوع «الباعث»، وفي الأصل: «كان».

⁽۲) في مطبوع «الباعث»: «فإنا».

⁽٣) انظر: «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص١٠١ ـ ١٠٤ ـ بتحقيقي).

⁽٤) في مصادر ترجمته: «سالم».

⁽٥) كذا في مطبوع «التيسير»، وفي الأصل: «القاسمي»!

⁷⁾ كذا في مطبوع «التيسير»، وفي الأصل: «الجنياني»!

⁽٧) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص١٧٤، ١٨٠ ـ ١٨٤).



قبور الصالحين، الثاني: إن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها، الثالث: إنها إذا عبدت سميت أوثاناً ولو كانت قبور الصالحين، الرابع: التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد، والأوثان هي (١): المعبودات التي لا صورة لها كالقبور والأشجار والعمد والحيطان والأحجار ونحوها، وقد تقدم بيان ذلك، وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد، فأحدهما قد يعنى به الآخر، وأما مع الاقتران فيفسر (٢) كل واحد بمعناه (٣).

قال: روى مالك في الموطأ أن رسول الله على قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فله الحديث رواه مالك في باب «جامع الصلاة» مرسلاً عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله على قاله (٥) ، ورواه البزار عن عمر بن محمد عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وعمر بن محمد أن من ذرية (١) عمر بن الخطاب ثقة من أشراف (٨) المدينة (٩) وله شاهد عند الإمام أحمد والعقيلي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله على: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (١٠). قوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»، قد استجاب الله دعاء رسوله على، فمنع الناس من الوصول إلى قبره؛ لئلا يعبد

⁽١) كذا في مطبوع «التيسير»، وفي الأصل: «من».

⁽٢) من مطبوع «التيسير»، وسقط من الأصل.

⁽٣) كذا في «فرائد اللغة في الفروق» (ص١٦٦، رقم ٦٢٣)، وقال: آبن عشيرة في «بهجة الناظر» (ص١٥٤): «إن الوثن من الخشب خاصة، ومثله: الصليب للنصارى، والصنم أعم من أن يكون ذهباً أو فضة أو حديداً أو غير ذلك»!!

⁽٤) سبق تخريجه.

⁽٥) بعدها في مطبوع «التيسير»، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به ولم يذكر عطاء».

⁽٦) بعدها في مطبوع «التيسير»: «ابن زيد بن عبد الله ابن».

⁽٧) غير موجود في مطبوع «التيسير». (٨) بعدها في مطبوع «التيسير»: «أهل».

⁽٩) بعدها في مطبوع «التيسير»: «روى عنه مالك والثوري وسليمان بن بلال، فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له بلفظ «الموطأ» سواء، وهو ممن تقبل زيادته»، وانظر تخريجنا المتقدم (ص٣٩٥)، فقد فصّلنا الكلام على الطرق المذكورة هنا.

⁽١٠) مضى تخريجه من الطرق المتقدمة جميعاً.



استجابة لدعاء رسوله ﷺ، كما قال ابن القيم (١٠):

[ودعا بأن لا يُجْعَلَ القبرُ الذي قد ضَمَّهُ وَثَناً من الأوثانِ](٢) فأجاب ربُّ العَالَمين دُعَاءه وأحساطه بشلائية البجدران [حتى اغْتَدَتْ (٣) أرجَاؤُهُ بدُعائهِ في عزّةٍ وحِمَايةٍ وصِيَانِ](١)

ودلَّ الحديث على أن قبر الرسول ﷺ لو عبد لكان وثناً، فما ظنك بقبر غيره من القبور التي عبدت هي وأربابها من دون الله، وإذا أريد تغيير شيء من ذلك أنف عبّادها واشمأزت قلوبهم، واستكبرت نفوسهم، وقالوا: تنقص أهل الرتب العالية، ورموهم بالعظائم، فماذا يقولون لو قيل لهم: إنها أوثان تعبد من دون الله؟ فالله المستعان على غربة الإسلام، وهذه هي الفتنة العظمي التي قال فيها عبد الله بن مسعود: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس، يتخذونها سنة إذا غُيِّرت قيل: غُيِّرت السنة»(٤).

⁽۱) في «الكافية الشافية» (ص٢٤٨). (٢) غير موجود في مطبوع «التيسير».

⁽٣) كذا في مطبوع «الكافية» وفي الأصل: «غدت».

⁽٤) أخرجه ابن وضاح في «البدع» رقم (٨٠) من طريق زُبَيْد الأيامي عن ابن مسعود به. قلت: وسنده ضعيف؛ منقطع بين زبيد وابن مسعود.

وأخرجه ابن وضاح رقم (٢٨٥)، ومن طريقه ابن عبد البر في «الجامع» رقم (١١٣٥)، وابن حزم في «الإحكام» (٧/ ٨٨١) من طريق سفيان الثوري، والدارمي في «سننه» رقم (١٩٢) من طريق خالد بن عبد الله، كلاهما عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود بنحوه مطولاً.

قلت: وإسناده ضعيف؛ يزيد هذا ـ هو الشامي ـ ضعيف كما في «التقريب» رقم (٧٧١٧). وقد خولف سفيان وخالد مخالفةً غير مؤثرة:

فرواه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٣٦) من طريق محمد بن نبهان عن يزيد به مرفوعاً . وقال عقبه: ﴿ كُذًا رواه محمد بن نبهان مرفوعاً ، والمشهور من قول عبد الله بن مسعود موقوف».

قلت: وهو الصواب؛ ابن نبهان ضُعَّف كما في السان الميزان، (٤٣٦/٥)، فلا قيمة لمخالفته.

ورواه الدارمي في «سننه» رقم (١٩١)، والحاكم في «المستدرك» (١٤/٤) من طريق يعلى بن عبيد عن الأعمش عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به وسنله صحيح. وله طريق أخرى عند عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٢٠٧٤٢)، ومن طريقه: الخطابي في «العزلة» (ص١١١)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٥٤٩)، عن معمر عنّ قتادة عنه به. قلت: وسنده ضعيف؛ قتادة لم يسمع من أحد من الصحابة غير أنس.



ويؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين، كقبورهم ومجالسهم ومواضع صلاتهم للصلاة والدعاء عندها، فإن ذلك من البدع أنكره السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم، ولا نعلم أحداً أجازه أو فعله إلا ابن عمر على وجه غير معروف عند عبّاد القبور، وهو إرادة التشبه برسول الله على في الصلاة فيما صلى فيه ونحو ذلك، ومع ذلك فلا نعلم أحداً وافقه عليه من الصحابة، بل خالفه أبوه وغيره، لئلا يفضي ذلك إلى اتخاذها أوثاناً كما وقع، قال ابن عبد الباقي في «شرح الموطأ»: «روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك (١) أن يدفن في المسجد»، قال: «وإذا منع من (٢) ذلك (٣) فسائر آثاره أحرى بذلك، وقد كره مالك (٤) طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى» (٥). اه.

وقال ابن وضاح: "سمعت عيسى بن يونس^(٦) يقول: أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي فقطعها؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة. قال عيسى بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع أن الناس كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر هيه (١)، وقال المعرور بن سويد: "صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة صلاة الصبح فقرأ فيها: ﴿ أَلَمْ تَرَ كُيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصَّبِ ٱلْفِيلِ ﴾ و ﴿ لِإِللَفِ مُحَرِّيْنِ ﴾ شم رأى الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: أيا أمير المؤمنين،

⁽١) في مطبوع «شرح الزرقاني»: «لذلك كره».

⁽۲) غير موجود في مطبوع «شرح الزرقاني».

⁽٣) بعدها في مطبوع «شرح الزرقاني»: «في قبره».

⁽٤) بعدها في مطبوع «شرح الزرقاني»: «وغيره».

⁽٥) انظر: «شرح الزرقاني على الموطأ» (٢/ ٣٥١). ويعجبني ما نقله ابن وضاح في «البدع» (ص٩١ _ ٩٢) رقم (١٠٦ _ ١٠٦)، وابن تيمية في «الاقتضاء» (٢/ ٧٤٥)، والشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٢٣٧ _ بتحقيقي): «وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ما عدا قباء وحده».

⁽٦) بعدها في مطبوع «البدع»: «مفتي أهل طرسوس».

⁽٧) أخرجه أبن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وابن سعد (٢/ ١٠٠)، وابن وضاح في «البدع» رقم (١٠٠) من طريق ابن عون به.

وإسناده صحيح إلى نافع، رجاله ثقات، وفيه انقطاع بين نافع وعمر. انظر: «فتح الباري» (٧/ ٤٤٨)، و«الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٢٣٧) وتعليقي عليه، والأثور الآتي هـ مسلل



مسجد صلى فيه رسول الله على فهم يصلون فيه، فقال: إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون (١) آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض لا يتعمدها (٢).

وفي "مغازي بن إسحاق" من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار: حدثنا أبو العالية قال: "لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر فدعا له كعباً فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه، قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال(٣)، فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال(٣)، فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثماثة سنة، قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض) (٤).

⁽١) في مطبوع «التيسير»: «يتتبعون».

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١١٨ _ ١١٩) رقم (٢٧٣٤)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٦ _ ٣٧٧) في «مصنفيهما»، وسعيد بن منصور _ كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٧٤٤) _ وابن وضاح في «البدع» رقم (١٠٤، ١٠٤)، والطحاوي في «المشكل» (١٤٤/ ٣٩٧) من طرق عن الأعمش عن معرور بن سويد به.

وسنده صحيح، ولفظ ابن أبي شيبة بنحو المذكور هنا، وأشار ابن حجر في «الفتح» (١/ ٥٦٩) إلى ثبوت هذه القصة، وعزاها ابن كثير في «مسند الفاروق» (١٤٢/١) الإسماعيل بن محمد الصفار في «مسنده»، وقال عقبه: «هذا إسناد صحيح».

⁽٣) دانيال: من سبط يهوذا، ويمتد نسبه إلى عائلة داود بن يسي، ومعنى اسمه في العبرية (الله دياني أو قاضي) عاش عصر المحنة الكبرى التي تعرض لها شعب يهوذا، وقد أسر في غزو بابل وله ذكر في بعض أسفار التوراة. انظر: «العهد القديم» (١٢٦٠)، «التراث الإسرائيلي» (٢١١)، «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠).

⁽٤) ذكرها ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٠٠ ـ ٤٢)، وقال: «إسنادها صحيح إلى أبي العالية» وذكر لها طرقاً يظهر منها صحتها! ولابن أبي الدنيا جزء مفرد في أخباره، لا أعلم عنه شيئاً ولعله مفقود، ولكن الأيام حبالي، ولا ندري ماذا تلد؟! وصحة إسناد أبي العالية لا تنهض للجزم بنبوّته، فالسكوت أسلم، والله أعلم.



قال ابن القيم (١) _ رحمه الله تعالى _: «في هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره؛ لئلا يفتتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله، قال شيخ الإسلام كَلَلهُ: «وهو إنكار منهم لذلك»(٢). فمن قصد بقعة يرجو الخير [لقصدها] (٣)، ولم يستحب الشارع قصدها فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها أو لينسك(٤) عندها (أي يذبح) بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعاً ولا عيناً؛ لأن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا بقصد (٥) الدعاء فيها، كمن يدعو الله في طريقه ويتفق أن يمر في طريقه بالقبور أو كمن يزورها ويسلّم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى، كما جاءت به السنة، فإن ذلك ونحوه لا بأس به، وأما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه والفرق بين النوعين ظاهر، فإن الرجل لو كان يدعو الله واجتاز في ممره بصنم أو صليب أو كنيسة أو دخل إليها ليبيت فيها مبيتاً جائزاً ودعا الله في الليل وأتى بعض أصدقائه ودعا الله في بيته لم يكن بهذا بأس، ولو تحرى الدعاء عند هذه المواضع لكان من العظائم بل قد يكون كفراً.

قوله: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (٢). هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم، وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثاناً تعبد، ففيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف، وفيه تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها، وقد روى أصحاب مالك عنه أنه كره أن يقول القائل: زرت قبر النبي على وعلل وجه الكراهة بقوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (٢) فكره إضافة

⁽١) في «إغاثة اللهفان» (٢٠٣/١ ـ ٢٠٤، ط. الفقي).

⁽Y) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠٠).

⁽٣) في مطبوع «التيسير»: «بقصدها». (٤) في مطبوع «التيسير»: «ليسكن».

⁽٥) في مطبوع «التيسير»: «لقصد». (٦) مضى تخريجه.

 ⁽۷) انظر في كراهية هذه اللفظة: «الصارم المنكي» (٤٦، ٤٧، ٢٣٢، ٢٥٣)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٢٤٦، ٢٩٥)، «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٩، ٢٩٥)، «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢١٥).



هذا اللفظ إلى القبر؛ لئلا يقع التشبه بفعل أولئك، سداً للذريعة وحسماً للباب، ذكره الطبري وفيه أنه على لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه. ذكره المصنف، قال: ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفْرَهَ يَثُمُ اللَّكَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّكَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَالْعُزَّىٰ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَكُذَا قَالَ أَبُو الجوزاء عن ابن عباس: كان يَلُتُ سَوِيقَ الحاج (٢).

قوله: «ولابن جرير»: هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب «التفسير» و«التاريخ» وغيرهما، قال ابن خزيمة: لا أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير، وكان من الأئمة المجتهدين لا يقلد أحداً، وله أصحاب يتفقهون على مذهبه، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين (٢)، ومات ليومين بقيا من شوال (٤) سنة عشر وثلاثمائة.

قوله: «كان يَلُتُ لهم السَّويق فمات فعكفوا على قبره»، لتُّ السِويق: هو خلطه بسمن ونحوه، وقد قيل: إن اسم الرجل: صرمة بن غنم، وعن ابن عباس: «كان يَلُتَّ السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن فعبدوه». رواه ابن أبي حاتم (٥)، وعن مجاهد: «كان اللات رجلاً في الجاهلية وكان له غنم فكان

⁽۱) أخرجه ابن جرير ($2\Lambda/\Upsilon\Upsilon$)، والفراء في «معاني القرآن» ($4\Lambda/\Upsilon$)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ($1\Upsilon\Upsilon$) إلى عبد بن حميد وابن المنذر. وما بين المعقوفين من «تفسير ابن جرير».

⁽٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٩) وهكذا فيه (سُويق الحاج) وكذا في مطبوع «التيسير» وفي الأصل: «السويق للحجاج».

⁽٣) في آخرها، أو في مطلع سنة ٢٢٥هـ ٩٣٩م، وقد سأله القاضي ابن كامل أحد تلاميذه الذين أرخوا له: كيف وقع لك الشك في سنة مولدك؟ فقال أبو جعفر: كان أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأرخ مولدي بحادث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون، قال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين. وقال آخرون: بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين. انظر: «معجم البلدان» (١٨/١)، و«طبقات الشافعية» (٢/ ١٣٥)، و«لسان الميزان» (٥/ ١٠٢)، وكتاب «الطبري» للحوفي (ص٣١).

 ⁽٤) لكن اختلفوا في اليوم والوقت على ثلاثة أقوال، انظر: «الإمام أبو جعفر الطبري» (٩١)
 لعلي الشيل.

⁽٥) أخرجه البخاري (٤٨٥٩)، وابن جرير في «تفسيره» (٤٨/٢٢) بنحوه، وعزاه في «الدر» (٦٨/٢٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه، وهو غير موجود في القسم المطبوع من «تفسير ابن أبي حاتم».



يحلب من رِسْلها، ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيساً ويطعم من يمر من الناس، فلما مات عبدوه وقالوا: هو اللات اللات، مشددة (٢٠)، رواه سعيد بن منصور والفاكهي.

قوله: «وكذا قال أبو الجوزاء» وأثر أبي الجوزاء رواه البخاري (٣)، والسبب في عبادة الصالحين: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وغيرهم اليوم فإنهم غلوا فيهم وبنوا على قبورهم القباب والمشاهد، وجعلوها ملاذاً لقضاء المآرب، وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة، وقد أمرنا الله تعالى بمحبة أوليائه وإنزالهم منازلهم من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم، ونهانا عن الغلو فيهم فلا نرفعهم فوق منزلتهم ولا نحطهم منها؛ لما يعلمه تعالى في ذلك من الفساد العظيم، فما وقع الشرك إلا بسبب الغلو فيهم فإن الشرك بهم غلو فيهم، وأنزلوهم منازل الإلهية وعصوا أمرهم وتنقصوهم في صورة التعظيم لهم، فتجد أكثر هؤلاء الغالين فيهم العاكفين على قبورهم معرضين عن طريقة من فيها وهديه وسنته، عائبين لها مشتغلين على قبورهم عما أمروا به ودعوا إليه.

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما [هي] التباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم، دون عبادتهم وعبادة قبورهم والعكوف عليها، كالذين يعكفون على الأصنام واتخاذها مجامع للزيارات والفواحش وترك الصلوات، فإن من اقتفى آثارهم كان متسبباً في تكثير أجورهم باتباعه لهم ودعوته الناس إلى اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه واشتغل بضده حرم نفسه وحرمهم ذلك الأجر، فأي تعظيم واحترام في هذا؟ قال: وعن ابن عباس قال: «لعن رسول الله على زائرات القبور والمتخذين عليها

⁽۱) أخرجه الفراء في «معاني القرآن» (۳/ ۹۷)، وابن جرير (۲۲/۲۷ ـ ٤٨)، وعزاه في «الدر» (٦/ ١٢٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

⁽۲) قرأها مجاهد وجماعة بتشديد التاء مع المدّ للسّاكنين، انظر: «معاني القرآن» (۷۲/۵ ـ ۷۲/۵ ـ ۷۳) للزجاج و(۳/۹۷ ـ ۹۸) للفراء و (پيضاح الوقف والابتداء» (۲۹۵ ـ ۲۹۱)، و «معجم القراءات» (۹/ ۱۸۶ ـ ۱۸۵)، وقسم (التفسير) من «سنن سعيد بن منصور» ناقص، وليس فيه هذا الأثر، وكذا «أخبار مكة» للفاكهي.

⁽٣) سبق تخریجه.(٤) في مطبوع «التيسير»: «هم».

⁽٥) بعدها في مطبوع «التيسير»: أعياداً».(٦) بعدها في مطبوع «التيسير»: «لهم».



المساجد والسرج»(١)، رواه أهل [السنة](٢).

قوله: «لعن رسول الله على زائرات القبور»، أي: من النساء وهذا يدل على تحريم زيارة القبور عليهن كما هو مذهب أحمد وطائفة (٣)، وقيل في تعليل ذلك: إنه يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة والافتتان بها وبصورتها وتؤذي الميت ببكائها، كما في حديث آخر: «فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت» (٤). وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسبباً للأمور المحرمة في حقهن وحق الرجال، وتقدير ذلك غير مضبوط؛ لأنه لا يمكن حد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك ولا التمييز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها، فتحرم سداً للذريعة كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة لما في ذلك من الفتنة، وكما حرمت الخلوة بالأجنبية، وليس في زيارتها من المصلحة ما يعارض

⁽۱) أخرجه أبو داود (٣٢٣)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٤/ ٩٥، ٩٦)، وابن ماجه (٥/٥٥)، وأحمد (٢٩٦١، ٢٨٧)، والطيالسي (٢٧٣٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٦ و٣/ ٣٤٤)، وابن حبان (٣١٩، ٣١٨٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٢٥)، والحاكم (١/ ٣٧٤)، والبغوي (٥١٠)، والبيهقي (٤/ ٨٨)، والخطيب في «تأريخ بغداد» (٨/ ٧٠)، وإسناده ضعيف، والحديث حسن لغيره دون ذكر السرج.

⁽٢) كذا في الأصل، وفي مطبوع «التيسير»: «السنن»، وهو أصوب.

⁽٣) انتصر للقول بالحرمة، وترجيح مذهب أحمد: فضيلة الشيخ العلامة بكر أبو زيد في «جزء في زيارة النساء للقبور»، وإليه مال المصنف بقوّة، وجزم به في فتاواه «العيون الزلالية»، خلافاً لقول آخرين، كما تراه بتطويل وتدليل في «أحكام الجنائز» (ص٢٢٩ ـ ٢٣٧)، لشيخنا الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ ولينظر تحقيقنا في المسألة في التعليق على «التذكرة» للقرطبي، يسر الله نشره بمنّه وكرمه.

⁽٤) أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٢٠١/٦) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٠٦) من طريق أبي هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس بلفظ: «مفتنات الأحياء، مؤذيات الأموات»، وأبو هدبة كذاب دجال ادعى السماع من أنس بعد المائتين، قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، وفيه أبو هدبة وقد أجمعوا على أنه كذاب».

وأخرجه عبد الرزاق (٣/٤٥٧) عن معمر عن عمر موقوفاً وسنده ضعيف، للانقطاع بين معمر وعمر، ورواه أيضاً (٤٥٨/٣) عن ابن عمر موقوفاً، وفيه عبد الكريم بن أبي أمية، ضعيف تركه بعضهم.

والمحفوظ في هذا الباب ما أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨) بسنديهما إلى أم عطية قالت: «نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعْزَم علينا»، وله حكم الرفع، كما هو المقرر في علم المصطلح.



هذه المفسدة؛ لأنه ليس في زيارتها إلا دعاؤها (١) للميت أو اعتبارها به، وذلك ممكن في بيتها.

وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن حسان بن ثابت مرفوعاً: «لعن الله زوّارات القبور" . وعن أبي هريرة: إن رسول الله على لعن زوّارات القبور" . رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه، وضعفه عبد الحق، وحسنه ابن القطان، ولا يعارض هذا حديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» (3) . رواه مسلم وغيره ؛ [لأنه] (1) إن سلم دخول النساء فيه فهو عام، والأول خاص والخاص مقدم عليه، وأيضاً ففي دخول النساء في خطاب الذكور خلاف عند الأصولين (7).

(١) في مطبوع «التيسير»: «دعواها».

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٢) وابن ماجه (١٥٧٤)، والحاكم (١/ ٣٧٤)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٠١)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٥)، والبيهقي (٤/ ٨٨٠)، وفيه عبد الرحمن بن بهمان قال ابن المديني: «لا نعرفه» كما في «التهذيب» (٦/ ١٤٩) وقال الذهبي في «ديوان الضعفاء» (٢٤٢٥): «تابعي مجهول»، والحديث حسن لمغيره بشواهده.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٧، ٣٥٦)، وابن ماجه (١٥٧٦)، والترمذي (١٠٥٦)، والطيالسي (٣) أخرجه أحمد (٢٣٥٨)، وأبو يعلى (٥٩٠٨)، وابن حبان (٣١٧٨)، والبيهقي (٧٨/٤) وفيه عمر بن أبي سلمة وهو حسن الحديث في الشواهد والمتابعات، ورواه عبد الرزاق (٣/ ٥٦٩) عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلاً.

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٧)، وأحمد (٢/ ٤٤١)، وابن ماجه (١٥٧٢)، والبيهقي (٢٦/٤) وغيرهم.

(٥) في مطبوع «التيسير»: «لأن هذا».

(٦) الراجع أن النساء يدخلن في خطاب الرجال لثلاثة أدلة: أولاً: قول النَّبِيِّ ﷺ: «النَّسَاءُ شَقَائِقُ الرَّجَالِ».

أخرجه الترمذي (۱۱۳)، وأبو داود (۲۳۳)، وابن ماجه (۲۱۲)، وأحمد (۲/۲۵۲)، وأبن راهوية (۲۱۲)، وأبو يعلى (۲۹۶۶) في «مسانيدهم»، وابن أبي شيبة (۲/۷۸)، وابن الجارود في «المنتقى» (۹۸، ۹۰)، والبيهقي (۱/۸۲)، وابن عبد البر في «التمهيد» (۲۳۷/۸) من حديث عائشة راها، وإسناده صحيح.

ثانياً: إجماع أهل اللُّغة على تُغليب الذكور على الإناث في الجمع؛ فَإِنِ اجتمع الذكورُ مع الإناثِ فإنَّ الرجالَ يغلبون، على حدٌ قول الشاعر:

كُتِبَ الْقَتْلُ والْقِتَالُ عَلَيْنَا ﴿ وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَبِرُ الْفَيْنِولِ ثالثاً: العرف الشرعي يدلِّلُ على ذلك، فقال عن مريم: ﴿ وَصَلَقَتْ بِكُلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُثُرُهِ. وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَنِيْنِينَ﴾ [التحريم: ١٢]؛ ف﴿ ٱلْقَنِيْنِينَ﴾ جمعُ مُذكرٍ ساللمٌ، وقال عن امرأةٍ =



قوله: «والمتخذين عليها المساجد» تقدم في الباب قبله شرحه وتعليله، قوله: «والسرج» هذا دليل على تحريم اتخاذ السرج على القبور، قال أبو محمد المقدسي: «لو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله؛ لأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور، أشبه تعظيم الأصنام»(۱)، وقال ابن القيم: «اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر»(۱).

ووجه إيراد المصنف هذا الحديث في هذا الباب دون الذي قبله هو أنه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج، وقرن بينهما، فهما قرينان في اللعنة، فدل ذلك على أنه ليس المنع من اتخاذ المساجد عليها لأجل النجاسة، بل لأجل نجاسة الشرك، ولذلك قرن بينه وبين من أسرج عليها وليس النهي عن الإسراج لأجل النجاسة فكذلك البناء، قوله: رواه أهل [السنة] (٣)، يعني هنا: أبا داود وابن ماجه والترمذي فقط، ولم يروه النسائي (٤).

الباب التاسع الخ

قبال الله تعبالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيّهِ مَّ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ مُورَاوُ الله تعبيلاً الله تعروا أَنَهُ لا يُكِلّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَيِيلاً النَّخَدُوهُ وَكَانُوا طَلِيمِينَ اللهِ وَلَا اللهِ عَلَيْهِمْ وَرَاوُا أَنَهُمْ قَدْ صَلُوا قَالُوا لَهِن لَمْ طَلِيمِينَ اللهِ وَلَمَّا رَبُّنَا وَيَغْفِر لَنَا لَنَكُونَنَ مِنَ الْخَسِرِينَ اللهِ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ عَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُهُونِي مِنْ بَعْدِي اللهُ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ وَلَقَى الْأَلُواحَ وَاخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهُ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ السَّضَعْفُونِ وَاللّهِ اللهِ اللهِ وَلَا يَقِيمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ ال

العزيز: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، ولم يقل (الخاطئات)؛ فهي داخلة في جمع الذكور، وقوله _ تعالى _: ﴿قُلْنَا ٱلْمِيطُواْ مِنْهَا جَمِيمًا ﴾ [البقرة: ٣٨]، ومن بين هؤلاء حواء.

⁽۱) انظر: «الباعث» (ص١٣٤ ـ بتحقيقي).

⁽٢) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/١٩٧، ط. الفقى).

⁽٣) في مطبوع «التيسير»: «السنن».

⁽٤) انظر: «التيسير» (ص٣٣٨ ـ ٣٤٧) بتصرف، وسبق التخريج قريباً.



الرَّحِينَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْمِجْلَ سَيَنَا لَهُمْ غَضَبُّ مِّن رَّبِهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْخَيَوْةِ الدُّنِيَا وَكَذَالِكَ نَجْرِى الْمُفْتَرِينَ ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّعَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ الْحَيْوَةِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

قال (ك): "يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل، الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط الذي كانوا استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلاً، ثم ألقى فيه قبضة (١) من التراب أخذها من أثر فرس جبرائيل (٢) عبي فصار عجلاً جسداً له خوار، والخوار: صوت البقر، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى، وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور حيث يقول تعالى إخباراً عن نفسه الكريمة: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَهُمُ السّامِرِيُ (١) [طه: ٨٥] وقد اختلف المفسرون في هذا العجل: هل صار لحماً ودماً له خوار، أو استمر على كونه من ذهب، إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوّت كالبقر؟ على قولين، والله أعلم، ويقال إنهم لما صوت لهم العجل رقصوا له (٣) وافتنوا به، وقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَكُ مُوسَىٰ فَشِيَ ﴿ [طه: ٨٨].

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرُونَ أَلَّا يَرَجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَمُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا صَالِ ﴿ اللهِ اللهِ الكريمة: ﴿أَلَدَ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذهولهم عن خالق السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه أن عبدوا معه عجلاً جسداً له خوار لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير، ولكن غطى على أعين بصائرهم عمى الجهل والضلال كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبي داود عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم» (٤).

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «القبضة». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «جبريل».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «حوله».

⁽٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٧ و ٣/ ١٧١ ـ ١٧٢)، وأبو داود (٥١٣٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٥٤، ١٤٥٨)، وفي «الأوسط» (٤٣٥٦)، والدولابي في «الكنى» (١/ ١٠١)، وعبد بن حميد (٢٠٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٧٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢١٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٤)، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف، وصع موقوفاً على أبي الدرداء، أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٧) وعلقه (٣/ ١٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٢)، وإسناده صحيح.

وقوله: ﴿وَلِنَا سُقِطَ فِت أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا على ما فعلوا: ﴿وَرَأَوَا أَنَّهُمْ قَدَّ ضَلُوا قَالُوا لَهِن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ وقرأ بعضهم (١): ﴿لئن لم ترحمنا﴾ بالتاء المثناة من فوق ﴿رَبَّنَا﴾ منادى ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ﴾ أي: من الهالكين، وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله ﷺ.

ثم قال (ك): «يخبر تعالى أن موسى الله رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف، قال أبو الدرداء: الأسف أشد الغضب (٢). ﴿قَالَ بِنْسَمَا خُلَقْتُونِي مِنْ بَعْدِيّ ﴾ يقول: بئس ما صنعتم في عبادة العجل بعد أن ذهبت وتركتكم، وقوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْ رَبِّكُمْ ﴾ يقول: استعجلتم مجيئي إليكم وهو مقدر من الله تعالى.

وقوله: ﴿وَٱلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ آخِيهِ يَجُوُهُۥ إِلَيْوَ ﴾ وفي هذا دلالة على ما جاء في الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة» (٢) ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه، وقوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ آخِيهِ يَجُوُهُۥ إِلَيَّهِ ﴾ خوفاً أن يكون قد قصر في نهيهم، كسما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالَ يَهَنُونُ مَا مَنْعَكَ إِذْ رَأَيْنَهُمْ ضَلُوا ۖ آلَا تَتَبِعَنِ أَفَعَمَيْتَ أَمْرِى ۞ [طه: ٩٢ - ٩٣]، ﴿قَالَ ابْنَ أُمْ إِنَّ ٱلْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِ وَكَادُوا يَقْنُلُونَنِي فَلَا تُشْعِتَ إِن الْأَعْدَاةَ وَلا جَعَلَنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ ﴾ أي: لا تستقني سياقهم (٤)

⁽۱) قرأها هكذا بالتاء المثناة من فوق: حمزة والكسائي والشعبي وابن وثاب وعاصم الجحدري وطلحة بن مصرف والأعمش وأيوب وخلف والمفضل، ونسبت إلى ابن مسعود. انظر: «الكشف عن وجوه القراءات» (۱/۷۷٪)، «النشر» (۲/۲۷٪)، «حجة القراءات» (۲۹٪)، «شرح الشاطبية» (۲۰۷)، «تفسير ابن جرير» (۱۲۰٪)، «معجم القراءات» (۳/ ۱۲۵).

⁽۲) أخرجه ابن جرير (۱۰/ ٤٥٠) وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٢٧).

⁽٣) أخرجه أحمد (٢١٥/١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٩٩٨)، والبزار (١/رقم ٢٠٠ عنف الأستار)، وابن حبان (٢١١٦، ٢٦١٤)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥)، وفي «الكبير» (١٢٤٥١/١٢)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٥٩٦)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٤٧، ١١٨٢ - ١١٨٤)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٥٠٥)، والحاكم (٢/ ٣٢١، ٣٨٠، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٠ و٨/ ١٢)، والضياء في «المختارة» (١/رقم ٣٧، ٢٧) من حديث عبد الله بن عباس عباس عباس عبد الله عند المصنف فيما سينقله عن السخاوي في «المقاصد الحسنة» _، وهو صحيح.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «مساقهم».



وتجعلني (١) معهم وإنما قال: ﴿ إِنَّنَ أُمَّ ﴾ ليكون أرق (٢) وأنجع عنده، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه فلما تحقق موسى عَلِيه براءة ساحة هارون عَلِيه كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدٌ قَالَ لَمُمُ هَرُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فَيَنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّمْنَنُ فَالْبِعُولِ وَلَطِيعُولُ وَلَطِيعُولُ وَلَطِيعُولُ وَلَطِيعُولُ وَلَطِيعُولُ وَلَطِيعُولُ وَلَطِيعُولُ وَلَطِيعُولُ وَلَا مَوسى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي الرَّحِينَ فَالرَّحِينَ ﴾ [طه: ٩٠] فعند ذلك قال موسى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكُ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّحِينَ ﴾.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَرِى ٱلْمُعْتَرِينَ ﴾ نائلة لكل من افترى بدعة، فإن ذل البدعة ومخالفة الرشاد (٣) متصلة من قبله على كتفيه، كما قال الحسن البصري: ﴿إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين »، وهكذا روى أيوب السختياني عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَرِى الْمُفْتَرِينَ ﴾ فقال: هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة، وقال سفيان بن عينة: كل صاحب بدعة ذليل (٤) ، ثم نبه تعالى عباده وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق، ولهذا عقب هذه القصة بقوله: ﴿وَاللَّذِينَ عَمِلُوا السَّيَّاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعَدِهَا وَمَامَنُوا إِنَّ رَبِّكَ ﴾ يا محمد يا رسول التوبة ونبي الرحمة (٥) ، ﴿مِنْ بَعَدِهَا ﴾ أي: من بعد تلك الفعلة ﴿لَعَفُورٌ رَبِّكَ ﴾ يا محمد يا رسول التوبة ونبي الرحمة (٥) ، ﴿مِنْ بَعَدِهَا ﴾ أي: من بعد تلك الفعلة ﴿لَعَفُورٌ الْمَعِيدُ ﴾ .

فصل

قال محمد تقي الدين: كل من عبد غير الله تعالى فهو من الذين لا يعقلون، وهو من شر الدواب الذين لا يسمعون، وهؤلاء المشركون بعضهم أضل من بعض، فالذين عبدوا الأنبياء والصالحين في ضلال مبين، والذين عبدوا قبورهم أضل منهم، وأهل الهند الذين يعبدون البقرة الأنثى، وقوم موسى الذين عبدوا عجلاً من ذهب له خوار أقل ضلالاً من الذين يعبدون القبور والأشجار

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولا تخلطني».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أرأف».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الرسالة».

⁽٤) أخرج مقولة ابن عييئة: ابن جرير (٩٦/٦) وأخرجها ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧١) رقم (٤) أخرج مقولة ابن عييئة، وانظر: «الاعتصام» (١/٧١ ـ بتحقيقي).

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الرحمة نبي النور».

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٨).

والأحجار؛ لأن القبور إنما هي تراب ليس فيها روح ولا حياة، فالذين يعبدونها أضعف عقلاً من الذين يعبدون البقرة التي فيها منافع، وعجل السامري له خوار.

والغلو في الأنبياء والصالحين يفضي إلى الكفر كما وقع للنصارى حين غلوا في عيسى على وكما وقع لقوم نوح حين غلوا في الصالحين حتى عبدوهم وعبدوا قبورهم، ثم تماثيلهم كما قال النبي على: «أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»(١). وقد تقدم ذلك مبسوطاً.

فصل

فصل

قول (ك): "وهذا دلالة على ما جاء في الحديث: "ليس الخبر كالمعاينة" "). نص الحديث على ما ذكره السيوطي في "الجامع الصغير" عن أبي هريرة وأنس مرفوعاً إلى النبي على أنه قال: "ليس الخبر كالمعاينة" ونسب حديث أنس إلى الطبراني في "الأوسط"، وحديث أبي هريرة إلى الخطيب، ثم ذكر حديثاً آخر عن ابن عباس مرفوعاً إلى النبي على قال: "ليس الخبر كالمعاينة" أن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما

⁽١) أخرجه البخاري (٤٣٤) من حديث عائشة.

⁽٢) سبق تخريجه.



صنعوا ألقى الألواح فانكسرت، أخرجه أحمد والطبراني في «الأوسط» والحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس وعلّم عليه السيوطي بعلامة الحسن.

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: ««ليس الخبر كالمعاينة» أخرجه أحمد وابن منيع والطبراني والعسكري من حديث أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، بزيادة: «إن الله قال لموسى: إن قومك فعلوا كذا وكذا فلما عاين ألقى الألواح». وفي لفظ: «إن موسى أخبر أن قومه قد ضلوا من بعده، فلم يلق الألواح، فلما رأى ما أحدثوا ألقى الألواح». وقد صحح هذا الحديث ابن حبان والحاكم وغيرهما، وأورده الدارقطني في «الأفراد» من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر، وقال: إنه باطل لا يصح عن عمرو ولا عن ابن عيينة»(١). اه.

قال محمد تقي الدين: تضمن هذا الحديث أمرين:

أحدهما: عام، وهو أن العلم الحاصل بالأخبار لا يبلغ درجة العلم الحاصل بالمعاينة، وفي هذا تفصيل، فإن كان المخبر ممن يجوز عليه الوهم أو الخطأ أو الكذب فالأمر واضح، وإن كان ممن لا يجوز عليه ذلك كالأنبياء ثم العدول الثقات فهما متساويان.

الأمر الثاني: ادعاء أن موسى حين أخبره الله بأن قومه قد اتخذوا العجل أنها من بعد غيبته عنهم لم يحصل له من العلم مثل ما حصل له برؤيتهم؛ فيه نظر، وقد أشار (ك) إلى ذلك بقوله: «ظاهر السياق أنه ألقى الألواح غضباً على قومه»، يعني لا أنه كان في شك ثم تيقن لما رآهم كذلك، ولا يمكن أن يشك موسى، بل ولا الصالحون من المؤمنين فيما أخبر الله به أبداً، هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

⁽۱) انظر: «المقاصد الحسنة» (ص٣٥ - ٣٥١) بتصرف، وحديث ابن عباس صحيح، تقدم تخريجه. وحديث أنس عند ابن عدي (١/٣٠١ و٢/٣٣٦)، والديلمي (٢١٦٥، ٥٢١٨) والخطيب (٣/ ٢٠٠، ٣٥٩ - ٣٦٠)، والضياء في «المختارة» (١٨٢٨، ١٨٢٧) وقال الهيثمي في «المجمع» (١٥٣/١): وعزاه لـ «أوسط الطبراني»: «ورجاله ثقات»، وعن أبي هريرة عند الخطيب (٨/ ٢٨)، وعن ابن عمر عند ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٣٤٤)، وعن جابر عند الدارقطني في «الأفراد» (٢/ ٣٥٨ رقم ١٩٥٣ - «أطراف الغرائب»)، ومنه تعلم ما في قول ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٣٣٤) عن الحديث: «رواه ابن عباس عن النبي عليه، ولم يروه غيره، والله أعلم»!



🔀 الباب العاشر 🗟

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُكَ مِنْ بَنِي ٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِيَّنَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُكَ مِنْ بَنِي ٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِيَّنَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى الفَيسِمِ السَّتُ بِرَيِّكُمْ قَالُوا بَلْنَ شَهِدْنَا أَن اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

وفي "صحيح مسلم" (٢) عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله على:

"يقول الله: إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم". وروى أحمد والنسائي و(ع) (٣) عن الأسود بن سريع قال: غزوت مع رسول الله على أربع غزوات، قال: فتناول القوم الذرية، فقال رجل: يا رسول الله بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله على فاشتد عليه، ثم قال: «ما بال أقوام يتناولون الذرية». فقال رجل: يا رسول الله أليسوا

⁽۱) أخرجه البخاري (۱۳۸۵)، ومسلم (۲٦٥٨).

⁽٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) ضمن حديث طويل.

⁽٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٥ و ٤/ ٢٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٤٥)، والنسائي في «الكبرى» (٢٠٩٠)، والدارمي (٢/ ٢٢٧)، وعبد الرزاق (٢٠٩٠، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٦)، والطحاوي في «المشكل» (١٣٩٥، ١٣٩٥، ١٣٩٥، ١٣٩٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٦٠، ١١٦٠)، وأبو يعلى (٩٤٢)، وابن جرير في «تفسيره» (١٥٣٨/١٣٥)، والطبراني (٨٢٦ _ ٨٣٥)، وفي «الأوسط» (٢٠٠٥)، وابن حبان (١/ رقم ١٣٢)، والحاكم (٢/ ٣٢١)، والبيهقي (٩/ ١٣٠)، والحازمي في «الاعتبار» (ص٢١٧)، وإسناده منقطع، والحديث صحيح بشواهده، وبعضها تقدم، وانظر: «نصب الراية» (١/ ٩٠) و «الإنجاد في أبواب الجهاد» لابن المناصف (١/ ٢٢٤ _ ٢٧٤) وتعليقي عليه.



أبناء المشركين؟ فقال: «إن خياركم أبناه المشركين، ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها، فأبواها يهودانها وينصرانها». قال الحسن: ولقد قال الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رُبُّكَ مِنْ بَنِيَ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّبَّهُمْ ﴾.

قال (٤): «وأخرجه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح وأخرجه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ثم ذكر اختلاف الرواة في وقفه ورفعه ثم رجع وقفه، وبعد أن ساق (٤) أحاديث كثيرة بعضها مرفوع وبعضها موقوف بمعنى حديث ابن عباس المتقدم الذكر، قال ما نصه: «والشهادة تارة تكون بالقول كقوله: ﴿قَالُوا مَهُولًا عَلَى النَّهُ اللَّهُ وَتَارة تكون حالاً كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَنَجِدَ اللَّهِ شَنِهِ لِينَ عَلَى أَنفُسِهِم فِالكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧] أي: حالهم شاهد عليهم مَسَنَجِدَ اللهِ مَسْاهد عليهم

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وفي بعضها الاستشهاد عليهم».

⁽٢) أخرجه أحمد (٣/١٢٧)، والبخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).

⁽٣) أخرجه أحمد (٢/٢٧١)، والنسائي في «التفسير» من «الكبرى» (٢/ ١٩٩١)، وابن جرير في «تفسيره» (١٩٩٨/١٣)، والحاكم (٢/ ٢٧، ٢٨ و٢/ ٥٤٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٣٦، ٣٢٧)، ورجع ابن كثير وقفه على ابن عباس، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٦٢٣/٤).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «مستدركه».

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الإسناد».



بذلك لا أنهم قائلون (١) ذلك، وكذا (٢) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞﴾ [العاديات: ٧].

🔀 الباب الحادي عشر 🗺

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَا آمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْعَيْبَ لَاسْتَخْتُرَتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَنِى ٱلسُّوَةً إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرُ وَبَشِيرٌ لِقَوْمِ يُوْمِنُونَ ﴿ هُمُ ٱلَّذِى خَلْقَكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَشَّلُهَا حَمَلَتْ حَمَّلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِدِّهُ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَشَّلُهَا حَمَلَتْ حَمَّلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِدِّهُ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَشَّلُهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِدِهُ فَلَمَا آلَتُهُ مَا اللهُ مَنْهُمَ اللهُ مَا لَيْنَ ءَاتَيْتَنَا صَلِحًا اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ مِن ٱلشَّكِرِينَ ﴿ فَلَمَا اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ ﴿ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَمُمْ نَصَرًا وَلاَ اللهُ مَنْهُمُ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمُمْ فَصَرًا وَلاَ اللهُ مَنْ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ مَا لَا يَغْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ ﴿ فَاللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ مَا لَا يَغْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ ﴿ فَا اللهُ مِنْ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ مَا لَا يَغْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ ﴿ إِللهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ مَا لَا يَغْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلُونَ إِلَيْهُمَا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمُهُمْ وَمُر وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَيْمُ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَكُمْ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَكُمْ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَعُمْ وَلَا اللهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى الللهُ عَمْلًا وَلِهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللللهُ اللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الله

قال (ك): «أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «قائلوا».

⁽Y) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وكذلك».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بالقال».

⁽٤) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقطت من الأصل!

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٣/٦ _ ٤٣٦، ٤٤٧ _ ٤٤٨) بتصرف.



قال محمد تقي الدين عفا الله عنه: هؤلاء الأئمة الفحول قد فسروا هذه الآية بكلام عام ولم يضربوا لذلك مثلاً بالجزئيات، مع كثرتها في سيرة النبي على أذكر هنا ما يحضرني منها:

الأول: قصة القراء السبعين (٢) الذين بعثهم رسول الله على مع قبائل المشركين الذين ادعوا الإسلام وطلبوا من النبي أن يبعث إليهم معلمين يعلمونهم الإسلام، فاختار النبي في سبعين من خيرة أصحابه، كلهم يحفظ القرآن فأخذوهم إلى أهلهم وقتلوهم كلهم إلا واحداً تركوه ليبلغ الخبر، وهذه مكيدة عظيمة وحبالة خبيثة، نصبها أعداء الإسلام للنبي في فحزن النبي في على قتلهم حزناً عظيماً، والقصة في كتب الحديث مشهورة، فلو كان النبي في يعلم الغيب ما بعثهم معهم.

الثاني: قصة الحديبية (٧) فإن النبي على الله بعد ما رأى في المنام - «ورؤيا

⁽۱) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وما مسني السوء، قال:».

⁽٣) أخرجه أبن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٦٢٩)، وعزاه في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٩) لأبي الشيخ، وإسناده منقطع.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولعرفت».

⁽٥) أخرجه ابن جرير (٦١٦/١٠)، وعزاه في «الدر المنثور» (٦٩٦/٦) لأبي الشيخ، وما مضى من «تفسير ابن كثير» (٤٧٨.٦ ـ ٤٧٨) بتصرف.

⁽٦) أخرجه البخاري (١٠٠٢)، ومسلم (٦٧٧) من حديث أنس.

⁽٧) أخرجه البخاري (١٦٩٤، ١٨١١، ١٨١١، ٢٧١٢، ١٧٣١، ١٧٣١، ١١٧٨، =



الأنبياء حق (() - أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين - أي بعضهم حلق، وبعضهم قصر -، عرض على أصحابه التوجه إلى مكة للعمرة، فلما وصل إلى الحديبية - وهي مكان قريب من وادي فاطمة - خرج له أهل مكة متأهبين للقتال ومنعوه من دخول مكة، فرجع هو وأصحابه دون أن يدخلوا مكة، فلو كان النبي على يعلم أنهم سيمنعونه ما توجه إلى مكة، ولكن العاقبة كانت خيراً، فإن صلح الحديبية حصل به من انتشار الإسلام ما لم يحصل بالحرب.

الثالث: قصة الإفك^(۲)، لو أن النبي على كان يعلم أن عائشة لم تكن في الهودج حين حمله الرجال الأربعة ووضعوه على بعيرها، لأمرهم بالانتظار إلى أن تجيء، وقد حصل بسبب قصة الإفك غم وحزن للنبي على وعقاب لأهل الشرك وشر كبير، وأشد ذلك ما وقع لعائشة نفسها من الحزن والمرض ولأبويها، وهي الطاهرة المطهرة التي نزلت براءتها من السماء وهلك فيها من هلك.

الرابع: إن النبي على لما كان راجعاً من غزوة خيبر منتصراً وقد أردف صفية على الأرض (٣)، فلو كان يعلم الغيب لأناخ البعير ونزل قبل أن يعثر.

الخامس: مما يدل على أن النبي على لا يعلم الغيب، قوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع حين أمر من لم يسق الهدي من أصحابه أن يفسخ حجه

^{= (}٤١٨٠، ٤١٨٠) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، وسيأتيك في التعليق على (٣/ ٧٨ ـ ٨٠) تحليل قوي لهذه الحادثة، قارنه بكلام المصنف هنا.

⁽١) أخرجه البخاري (١٣٨) من حديث ابن عباس بنحوه.

⁽٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) من حديث عائشة.

⁽٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٠٨٦) بسنده إلى أنس بن مالك هين: أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي هي ومع النبي هو صفية مردفها على راحلته، فلما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة، فصرع النبي هو والمرأة، وإن أبا طلحة ـ قال: أحسب قال: _ اقتحم عن بعيره فأتى رسول الله هي فقال: يا نبي الله جعلني الله فداءك، هل أصابك من شيء؟ قال: «لا ولكن عليك بالمرأة». فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصد قصدها، فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة، فشد لهما على راحلتهما فركبا، فساروا حتى إذا كانوا بظهر المدينة، أو قال: أشرفوا على المدينة، قال النبي هي: «آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون». فلم يزل يقولها، حتى دخل المدينة.



ويجعله عمرة (١٠)، فلما شق عليهم ذلك قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما سقت الهدي».

السادس: إن النبي على لما توجه إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، ما كان يعلم أن أمير الطائف سيقابله بالتكذيب ويرد عليه بأقبح رد، وإن سفهاء أهل الطائف سيقعدون له سماطين، ويرمونه بالحجارة حتى يسيل الدم من رجليه الشريفتين، وأنه سيحتاج في الرجوع إلى مكة إلى من يجيره من أهلها؛ لأنهم سيغضبون عليه حين يذهب لدعوة أعدائهم، فاضطر إلى أن يبعث مولاه زيد بن حارثة إلى المُطعم بن عدي أحد سادات مكة ليدخل في جواره، أي حمايته، وحصل له غم عظيم عند رجوعه من الطائف، فدعا بالدعاء المشهور: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل علي غضبك أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا

ومن تتبع سيرة النبي على وجد الشيء الكثير من ذلك، فالعجب من المشركين في هذا الزمن الذين يزعمون أن النبي على يعلم الغيب ويتصوف في السلوات والأرض وهو موجود في كل مكان^(٣)، ثم هم مع ذلك يخالفون سنته،

⁽۱) أخرجه البخاري (۱۷۸۸)، ومسلم (۱۲۱۱) من حديث عائشة را المجاري (۱۲۹۱)، ومسلم (۱۲۲۷) من حديث ابن عمر را المجاري المناسبة الله عدر المجاري الم

⁽٢) أخرج هذه القصة ابن إسحاق (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢) بسند رجاله ثقات عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، وقوله: «اللهم إليك أشكو...» إلخ الدعاء ذكره بدون سند. وكذلك رواه ابن جرير (١/ ٨٠ ـ ٨١) من طريق ابن إسحاق وروى هذه القصة الطبراني في «الكبير» من حديث عبد الله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه، قال الهيثمي (٦/ ٣٥): «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات» فالحديث ضعيف، أفاده شيخنا الألباني. انظر: «فقه السيرة» (ص١٣٢).

وانظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٤٥، ط. دار المعارف)، و «كنز العمال» (٢/ ١٧٥، ط. الرسالة).

 ⁽٣) لبعض المبتدعة رسالة مطبوعة في مكتبتي بعنوان «أبدع ما كان في إثبات أن محمداً على المحمداً اللهم احفظ علينا عقولنا وديننا.



ويحكمون بخلاف شريعته، ويزعمون أن هذه المحبة الشركية الكاذبة تغنيهم عن الاتباع، ﴿وَاللّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وإذا كان النبي ﷺ لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعاً لا ضراً، فكيف يستطيع قضاء حاجات هؤلاء الغربان الناعبين في كل حين إذا قاموا قالوا: يا رسول الله، وإذا قصدوا قالوا: يا رسول الله، وإذا قصدوا المائدة: رسول الله، وإذا فزعوا قالوا: يا رسول الله، والله تعالى يقول في سورة المائدة: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللّهِ فَقَد حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَنَكُ النَّارُ وَمَا لِلظّلِمِينَ مِنَ أَنْهَكَارِ الله المائدة: ٢٧].

ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير؛ أي نذير للكافرين من العذاب، وبشير للمؤمنين بالجنات، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَشَرْنَكُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُومًا لُدًا ﴿ فَإِنَّا لَهُ الْمُتَّقِينَ اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

ثم قال (٧): "ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم على وأنه خلق منه زوجته (١) حواء، ثم انتشر الناس منهما، كما قال تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقَنَكُمْ مِن ذَكْرِ وَأُنثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقِبَا إِلَّا لِتَعَارَفُوا اللَّهِ اللَّهِ الْقَدَكُمُ اللَّهِ الْقَدَكُمُ مِن ذَكْرِ وَأُنثَى وَجَعَلْنَكُم شُعُوبًا وَقِبَا النَّاسُ اتَقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِن نَفْسِ وَحِمَةٍ وَخَلَقَ وَخَلَقَ اللَّهِ الْقَدَى مَنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَلَسَاءً النَّاسُ اتَقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسِ وَحِمَةٍ وَخَلَقَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَلَسَاءً النَّاسُ اتَقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن اللَّهِ الكريمة: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا رَفِجَهَا لِيَسْكُنُ إِلَيْهَا وَجَعَلَ يَئِنكُمُ مَوَدَّةً وَرَجَمَةً ﴾ [النساء: ١] وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ ءَايَنتِهِ اللَّهُ الْمَاءُ اللَّهُ الله المرء وزوجته (٣).

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّنهَ ﴾ أي: وطئها ﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ وذلك (٤) الحمل لا تجد المرأة له ألماً ، إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة ، وقوله: ﴿ فَمَرَّتْ بِقِدْ ﴾ قال مجاهد: استمرت بحمله (٥) فشكت أحملت أم لا؟ ﴿ فَلَمَّا آتَقَلَت ﴾ أي: صارت ذات ثقل بحملها ﴿ دَعُوا آللَة رَبَّهُمَا لَإِنْ ءَاتَيْتَنَا صَلِحًا ﴾ أي: بشراً

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «زوجه».

⁽۲) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "ويسكن بها؛ كما قال".

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وزوجه».

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أول».

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال العوفي عن ابن عباس: استمرت به».



سسوياً، ﴿ لَتَكُونَنَ مِنَ ٱلشَّكِرِينَ فَلَمَّا ءَاتَنهُمَا صَلِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَنهُمَأ فَتَعَلَىٰ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﷺ وَاتَنهُمَأْ فَتَعَلَىٰ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﷺ (١٠).

ذكر (ك) في تفسير هذه الآية حديثاً رواه أحمد والترمذي وابن جرير وغيرهم من طريق الحسن عن سمرة مرفوعاً عن النبي على قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبد الحارث، فإنه يعيش فسمته عبد الحارث، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»(٢). حسنة

قال الترمذي: «حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه».

وأخرجه ابن عدي (٣/ ١٢٩٨) من طريق سليمان الشاذكوني: ثنا غندر عن شعبة عن قتادة به. والشاذكوني متهم، فهذا الطريق عدم، ولذا قال ابن عدي عنه: «هذا من حديث شعبة عن قتادة منكر، لا أعرفه إلا من حديث الشاذكوني عن غندر عنه، وإنما يروي هذا الحديث عن قتادة عمر بن إبراهيم».

وقال عقب الموطن الأول: «وهذا لا أعلم يرويه عن قتادة غير عمر بن إبراهيم».

ورواية عمر عن قتادة فيها ضعف واضطراب، وهاء التفصيل: عمر بن إبراهيم العبدي وثقه أحمد وغيره، ولكنه قال: «يروي عن قتادة أحاديث مناكير، يخالف». انظر: «الضعفاء الكبير» للعقيلي ((7/18)) رقم ((110))، و«تهذيب الكمال» ((7/10)). وقال أبو حاتم في «الجرح والتعديل» ((7/10)): «يكتب حديثه ولا يحتج به». وقال ابن عدي في «الكامل» ((0/100)): «يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب». وذكره ابن حبان في «الثقات» ((7/100)) وقال: «يخطئ، ويخالف». ثم ذكره في «الضعفاء» ((7/100)) فقال: «كان ممن ينفرد عن قتادة بما لا يشبه حديثه؛ فلا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد، فأما فيما وافق الثقات؛ فإن اعتبر به معتبر لم أر بذلك بأساً». وقال الدارقطني: «لين، يترك»، كما في «سؤالات البرقاني» رقم ((720)).

قال ابن كثير في «قصص الأنبياء» (ص٧١، ط. دار بغداد) بعد أن أورد كلام الترمذي عليه: «فهذه علة قادحة في الحديث أنه روي موقوفاً على الصحابي وهذا أشبه. والظاهر أنه تلقاه من الإسرائيليات، وهكذا روي موقوفاً على ابن عباس. والظاهر أن هذا متلقى =

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤٧٩/٦ ـ ٤٨٠) بتصرف.

⁽۲) أخرجه الترمذي (۲۰۷۷)، وأحمد (٥/ ١١)، والروياني (٢/ ٨١٦)، والبزار في (الكتانية/ ٢٥٤) في «مسانيدهم»، وابن جرير في «التاريخ» (١/ ٤٨/١)، وفي «تفسيره» (٣/ ١٥٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٨٦٤١، ١٦٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ١٥٩٥)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٠٠)، والحاكم (٢/ ٥٤٥) من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة رفعه.

= عن كعب الأحبار وذويه، والله أعلم.

وقد فسر الحسن البصري هذه الآيات بخلاف هذا، فلو كان عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه إلى غيره، والله أعلم.

وأيضاً؛ فالله تعالى إنما خلق آدم وحواء فيكونا أصل البشر، وليبتَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء، فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد ذكر في هذا الحديث إن كان محفوظاً؟! والمظنون بل المقطوع به أن رفعه إلى النبي على خطأ، والصواب وقفه، والله أعلم، وقد حررنا هذا في كتابنا «التفسير»، ولله الحمد.

ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله مما ذكر عنهما في هذا، فإن آدم أبو البشر الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنته». وقد أعلِّ في «التفسير» (٣/ ٥٢٩، ط. الشعب) هذه القصة من ثلاثة وجوه:

الأول: أن عمر بن إبراهيم لا يحتج به.

الثاني: أنها قد رويت من قول سمرة نفسه غير مرفوعة.

أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ رقم ١٥٥١٤، ١٥٥١٥)، وعبد بن حميد، وابن مردويه _ كما في «الدر المنثور» (٦٢٣/٣) _.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية، بغير هذه القصة، وساق ما أخرجه ابن جرير (١٣/ الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية، بغير هذه القصة، وساق ما أخرجه ابن جرير (١٣/ ٣١٥) وقم (٣١٥ من الملل، وقوله: «عنى بهذا ذرية آدم، من أشرك منهم بعده»، وقوله: «هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوَّدوا ونصَّروا».

وأخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ أيضاً بنحوه _ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٧) _ . . وقال ابن كثير: «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن كلله أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله على لما عدل عنه هو ولا غيره، لا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه _ إن شاء الله _، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم».

وساق جملة من الآثار عن ابن عباس وأبيّ بن كعب، وأفاد أن جماعة من التابعين _ كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية: قتادة والسدي _ تلقوه عن ابن عباس، قال: «وكأنه _ والله أعلم _ أصله مأخوذ من أهل الكتاب»، ثم ساق بعض الآثار، وقال: «وهذه الآثار يظهر عليها _ والله أعلم _ أنها من آثار أهل الكتاب».

ثم قال: «أما نحن؛ فعلى مذهب الحسن البصري تَظَلَمُ في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته». وعلق عليه شيخنا محمد نسيب الرفاعي _ رحمه الله تعالى _ في اختصاره لـ«تفسير ابن كثير» المسمى «تيسير العلي القدير» (۲۲۲/۲) _ وهو من أحسن المختصرات _ بقوله: «ونحن نؤيد هذا القول لأن آدم =

نبيِّ معصوم، ويستحيل أن يشرك بالله».

قلت: ونحن نقول بما قالوا ـ رحمهم الله ـ، ولا سيما أن المرفوع في ذلك لا يثبت كما قدمناه، والله الموفق.

وارتضى كلام ابن كثير جماعة من العلماء، فنقلوه ونصروه، قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/ ٣٤١): «وقد جاء بنحو هذا حديث مرفوع، وهو معلول، كما أوضحه ابن كثير في «تفسيره» وقال رشيد رضا في «المنار» (٩/ ٥٢١) بعد كلام:

وأما الإشكال الذي أشرنا إليه فهو ما روي عن بعض الصحابة والتابعين، وفي حديث مرفوع أيضاً من أن الآية في آدم وحواء، ثم ذكر الحديث السابق وفيه القصة المذكورة وقال: وهو على كثرة مخرجيه غريب وضعيف كما سيأتي، وقد جاءت الآثار في هذا المعنى مفصلة ومطولة وفيها زيادات خرافية، تشهد عليها بأنها من الدسائس الإسرائيلية، وهذه الآثار يعدها بعض العلماء من قبيل الأحاديث المرفوعة لأنها لا تقال بالرأي، والذي نعتقده وجرينا عليه في التفسير أن كل ما هو منها مظنة للإسرائيليات المتلقاة عن مثل كعب الأحبار ووهب بن منه فهي لا يوثق بها، فإن كانت مع ذلك مشتملة على ما ينكره الدين أو العلم الصحيح قطعنا ببطلانها وكونها دسيسة إسرائيلية، ومنها ما نحن فيه لأن فيه طعنا أحرون في آدم وحواء على ورمياً لهما بالشرك، ولذلك رفضها بعض المفسرين وتكلف أخرون في تأويلها بما تنكره اللغة، وقد اعتمد بعض المتأخرين؛ كصاحب «فتح البيان» وصاحب «روح المعاني» الأخذ بحديث سمرة دون آثار الصحابة والتابعين التي فيها ما ليس فيه من رمي آدم بالشرك الصريح، وظنا أنه حجة ووصفاه تبعاً للترمذي والحاكم بالحسن فيه من رمي آدم بالشرك الصريح، وظنا أنه حجة ووصفاه تبعاً للترمذي والحاكم بالحسن وبالصحيح، وما هو بحسن ولا صحيح، على أنه لم يرد تفسيراً للآية كتلك الآثار.

وذهب بعض المفسرين ـ كالبيضاوي في «أنوار التنزيل» (١/ ٣٧١) ـ إلى أن الخطاب في الآية لقريش وأن المراد فيها بالنفس الواحدة قصي جدهم، وأن المراد جعل زوجها منها أنها قرشية أو عربية؛ لما روي أنها من خزاعة لا من قريش، وأن المراد بشركهما: تسمية أبنائهما الأربعة عبد مناف، وعبد شمس، وعبد العزى، وعبد الدار ـ يعني دار الندوة ـ وفيه نظر من وجوه ذكرها بعض المفسرين لا نضيع الوقت بذكرها، وإنما الذي يصح أن يذكر ويبين بطلانه؛ فهو الروايات التي انخدع بها ولا يزال ينخدع بها الكثيرون، وعمدتنا في تمحيصها وبيان عللها الحافظ ابن كثير، فقد قال في تفسيره ما نصه. . . » ونقل كلامه.

وقد أحسن أبو حيان في «البحر المحيط» (٤٤٠/٤) لما قال: «من جعل الآية في آدم وحواء جعل الشمائر والأخبار لهما، وذكروا في ذلك محاورات جرت بين إبليس وآدم وحواء لم تثبت في قرآن ولا حديث صحيح، فأطرحتُ ذكرها».

ذكر بعض المحققين المحررين من المفسرين وجوهاً في فساد التأويل المذكور في القصة للآيات، وهي قوله تعالى: ﴿ ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِن لَقْسِ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رَفِجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَتْ وَمَعَا اللّهَ عَلَمَا لَغَ مَالَكُمُ اللّهَ وَلَهُمَا لَهِنْ ءَاتَيْتَنَا صَلِحًا لَنَكُونَنَ مِنْ اللّهَا وَنَهُمَا فَهُ مُرَكُنَ اللّهُ عَمَا لَهُ مُرَكُنَ اللّهُ عَمَا لَهُ مُكُونَ اللّهُ عَمَا لَهُ اللّهُ عَمَا اللّهُ عَالِمُ اللّهُ عَلَامًا اللّهُ عَمَا اللّهُ عَمَا اللّهُ عَمَا اللّهُ عَمَا اللّهُ عَلَامًا عَلَامًا عَلَامًا عَلَامًا عَلَمُ اللّهُ عَمَا اللّهُ عَمَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَامًا عَلَامًا عَلَامًا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَامًا اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْكُونَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَامًا اللّهُ عَلَامًا عَلَامًا اللّهُ عَالَامًا اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ



= [الأعراف: ۱۸۹، ۱۹۰]، ونستطيع أن نجمل هذه الوجوه بالأمور الآتية^(۱):

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؛ فدل على أن الذين أتوا بهذا الشرك جماعة.

وثانيها: قال بعده: ﴿ أَيْشَرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿ الْأَعْرَافَ: ١٩١]، وهذا يدل على أن المقصود من الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى، ولم يجر لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر.

وثالثها: لو كان المراد إبليس لقال: أيشركون من لا يخلق؛ لأن العاقل إنما يُذْكَر بصيغة (من).

ورابعها: إن آدم على كان من أشد الناس معرفة بإبليس، وكان عالماً بجميع الأسماء كما قال تعالى: ﴿وَعَلَمْ ءَادَمُ الْأَسْمَاءَ كُلُهَا﴾ [البقرة: ٣١]؛ فلا بد وأن يكون قد علم أن اسم إبليس هو الحارث، فمع العداوة الشديدة التي بينهما ومع علمه بأن اسم إبليس الحارث كيف يسمي ولده بعبد الحارث؟! وكيف ضاقت عليه الأسماء بحيث لم يجد سوى هذا الاسم؟!

وخامسها: أن أحدنا لو حصل له ولد فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسمي ولده بهذا الاسم لزجره وأنكر عليه أشد الإنكار، فآدم عليه مع نبوته وعلمه الكثير الذي حصل من قوله: ﴿وَعَلَمَ ءَادَمَ الْأَسْآءَ كُلَّهَا﴾ وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة لأجل وسوسة إبليس، كيف لم يتنبه لهذا القدر المنكر؟!

وسادسها: إن بتقدير أن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ سماه بعبد الحارث؛ فلا يخلو إما أن يقال: إنه جعل هذا اللفظ اسم علم له أو جعله صفة له، بمعنى أنه أخبر بهذا اللفظ أنه عبد الحارث، فإن كان الأول لم يكن هذا شركاً لأن أسماء الأعلام والألقاب لا تفيد في المسميات فائدة، فلا يلزم من هذه التسمية حصول الإشراك، وإن كان الثاني كان هذا قولاً بأن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ اعتقد أن لله شريكاً في الخلق والإيجاد، وذلك يوجب الجزم بكفر آدم، وذلك لا يقوله عاقل؛ فثبت فساد هذا القول.

* بين ابن تيمية وصلاح الدين الصفدي فيما يخص هذه القصة:

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتاب «الغيث المسجم» (٢٤/٢ _ ٢٥): «سألت الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية كَلْلَهُ سنة سبع مئة وثمانية عشر أو سنة =

⁽١) انظرها في: "تفسير الرازي" (١٥/ ٧٠ ـ ٧١)، و «اللباب في علم الكتاب» (١٩/٩).

وحاول الزمخشري في «الكشاف» (١٠٩/٢) _ وتبعه البقاعي في «نظم الدرر» (١٩١/٨) والشهاب في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (٤١٨/٤) _ رد هذه القصة، فأخرج الآيات عن سياقها بتقدير مضاف، فقال: ﴿جَمَلًا لَمُ شُرِكَاءَ﴾ أي: جعل أولادهما له شركاء، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك ﴿فِيااً ءَاتَنْهُمَا ﴾ أي: «آتى أولادهما». وتعقبه أبو حيان في «البحر المحيط» (٤٤٠/٤) بقوله: «وفي كلامه تفكيك للكلام عن سياقه»، وتعقبه أيضاً ابن المنير بنحو هذا؛ فانظر كلامه.



سبع مئة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَحِدَة وَجَعَلَ مِنهُ وَرَجَعَلَ مِنهُ وَرَجَعَلَ مِنهُ وَرَجَعَلَ مِنهُ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وأجاب بما قاله المفسرون في الجواب، وهو آدم وحواء، وأن حواء لما أثقلت بالحمل أتاها إبليس في صورة رجل، وقال: أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك، وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلباً. فلم تزل في هم حتى أتاها ثانياً وقال: سألت الله أن يجعله بشراً سوياً، وإن كان كذلك؛ فسميه «عبد الحارث»، وكان اسم إبليس في الملائكة «الحارث». فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَا مَا فَاسَد من وجوه: شُرَكَاةً فِيماً عَالَى قال في الآية الثانية: ﴿ فَتَعَلَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؛ فهذا دليل على أن القصة في حق جماعة.

الثاني: إنه ليس لإبليس في الكلام ذكر.

الثالث: إن الله _ تعالى _ علم آدم الأسماء كلها، فلا بد وأنه كان يعلم أن الحارث اسمٌ لإبليس.

الرابع: إنه تعالى قال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَعَلَقُ شَيّعًا وَهُمْ يُطْلَقُونَ ﴿ ﴾ [الأعراف: ١٩١]، وهذا يدل على أن المراد به الأصنام؛ لأن «ما» لما لا يعقل، ولو كان إبليس لقال: «من» هي التي لمن يعقل.

فقال الشيخ تقي الدين: «قد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهذا قصي لأنه سمى أولاده الأربعة: عبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، وعبد الدار، والضمير في يشركون له ولأعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الأسماء وأمثالها. قلت: وهذا أيضاً فاسد لأنه _ تعالى _ قال: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وليس كذلك إلا آدم؛ لأن الله _ تعالى _ خلق حواء من ضلعه.

فقال [أي ابن تيمية]: المراد بهذا أن زوجته من جنسه قرشية عربية؛ فما رأيت التطويل معه»اه.

وأشار الصفدي إلى هذه المناظرة في كتابه «أعيان العصر» (٢٣٨/١) في ترجمة ابن تيمية بقوله: «وأول ما اجتمعتُ أنا به كان في سنة ثماني عشرة أو سبع عشرة، وهو بمدرسته في القصَّاعين بدمشق المحروسة، وسألته مسألةً مشكلة في التفسير (يريد ما قدمه آنفاً)، ومسألة مشكلة في الممكن والواجب، وقد ذكرتُ ذلك في ترجمته في «تاريخي الكبير» (٧/ ٢٠ وما بعد)، ثم اجتمعتُ به بعد ذلك مرات، وحضرتُ دروسه في الحنبلية، فكنتُ أرى منه عجباً من عجائب البر والبحر، ونوعاً فرداً وشكلاً غويباً».

والممعن فيما دار بين ابن تيمية والصفدي يجد أن كلام الصفدي وجيه، ولا يخرج عن الوجوه التي قدَّمناها، والله الموفق، لا ربَّ سواه.

ومال ابن جرير إلى إثبات هذه القصة، فقال بعد كلام طويل (١١٣/ ٣١٥، ط. شاكر): «وأولى =



القولين بالصواب قول من قال: _عنى بقوله: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَناهُمَا صَلِحًا جَعَلَا لَهُ شُرِّكَآ ﴾ _ في الاسم لا في العبادة، وأن المعنى بذلك آدم وحواء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك».

ولم يوافقه على هذا محققا «تفسيره» الشيخان الإمامان الجليلان محمود وأحمد شاكر، فقالا _ رحمهما الله _: «سترى أن أبا جعفر قد رجح أن المعنيَّ بذلك آدم وحواء، قال: «لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك»، وإجماع أهل التأويل في مثل هذا مما لا يقوم: الأول: لأن الآية مشكلة، ففيها نسبة الشرك إلى آدم الذي اصطفاه ربه، بنص كتاب الله، وقد أراد أبو جعفر أن يخرج من ذلك؛ فزعم أن القول عن آدم وحواء انقضى عند قوله: ﴿فَتَعَكَلَ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يعني عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان، وهذا مخرج ضعيف جداً(١).

الثاني: إن مثل هذا المشكل في أمر آدم وحواء ونسبة الشرك إليهما مما لا يقضى به إلا بحجة يجب التسليم لها من نص كتاب، أو خبر عن رسول الله على ولا خبر بذلك، إلا هذا الخبر الضعيف الذي بينا ضعفه، وأنه من رواية عمر بن إبراهيم، عن قتادة، وروايته عن قتادة مضطربة، خالف فيها ما روى عن الحسن أنه عنى بالآية بعض أهل الملل والمشركون.

هذا وقد رد هذا القول جماعة من المفسرين؛ كابن كثير في "تفسيره" - وسبق كلامه بحروفه، وأوماً إليه المصنف -، والفخر الرازي (٣٤٣ - ٣٤٥)، وحاول الزمخشري في "تفسيره" (٢/ ١٠٩) أن يرده فلم يحسن، وتعقبه أحمد بن محمد بن المنير في «الانتصاف» - وسيأتي كلامه قريباً - وغير هؤلاء كثير.

ولكن بعد هذا كله نجد أن تفسير ألفاظ الآية ومطابقته للمعنى الصحيح الذي ذهب العلماء إليه في نفي الشرك عن أبينا آدم عليه وفي أن الآية لا تعني أبانا آدم وأمنا حواء بقي مبهماً، لم يتناوله أحد ببيان صحيح، وكنت أحب أن يتيسر لي بيانه في هذا الموضع، ولكني وجدت الأمر أعسر من أن أتكلم فيه في مثل هذا التعليق» انتهى كلامهما.

قلت: بيَّنه أبو حيان في «البحر المحيط» (٤٤٠/٤)، وابن المنيَّر في «الانتصاف» (٢/ ١٠٥) ـ والكلام له (٢) ـ بأن «المراد جنسي الذكر والأنثى لا يقصد فيه إلى معين، وكأن المعنى ـ والله أعلم ـ خلقكم جنساً واحداً، وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا إليهن، فلما تغشَّى الجنس ـ الذي هو الذكر ـ الجنس الآخر ـ الذي هو الأنثى ـ جرى من هذين الجنسين كيت وكيت، وإنما نسب هذه المقالة إلى الجنس، وإن كان فيهم الموجِّدون؛ =

⁽١) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٨٧): «وهذا تحكم لا يساعده اللفظ».

 ⁽٢) اقتصر السيد رشيد رضا في تفسيره «المنار» (٩/ ٥٢٠) عليه، وارتضاه الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/
 (٣٤١) وقال: «واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه».

وانظر لنصرته: «التفسير المنير» (٩/ ٢٠٢ ـ ٣٠٣، ٢٠٧)، ويذكر الرافضة مناظرة بين الرضا والمأمون تؤيده. انظر: «عيون أخبار الرضا» (١/ ١٧٥)، و«البرهان في تفسير القرآن» (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦)، و«تفسير الصافي» (٢/ ٢٥٩)، واستبعده الشهاب في «عناية القاصي» (٤/ ٤٠٠)!!



لأن المشركين منهم كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنْكُ أَوْذَا مَا مِتُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ مَيًّا ﴿ وَ إِمَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّلْمُ اللَّا اللَّهُ اللَّالَالَّال

وأخيراً... لا بد من بيان أن من معاني قوله تعالى: ﴿ فَتَعَكَلَى اللَّهُ صَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ _ على هذا التفسير _ الشرك الجلي والشرك الخفي الذي نراه اليوم بكثرة من جنسي بني آدم (الذكر والأنثى) عند الحمل والولادة، ولا قوة إلا بالله.

فمثال الشرك الخفي في إنعام الله عليهم بالنسل ما يسندونه إلى الأسباب في سلامة الحامل من الأمراض في أثناء الحمل أو في حالة الوضع، وفي سلامة الطفل عند الوضع وعقبه وفيما بعد ذلك من الموت أو التشويه أو الأمراض؛ كقولهم الولا أن فعلنا كذا لكان كذا، ولولا فلان أو فلانة من طبيب أو مرشد أو قابلة لهلك الولا أو لأجهضت أمه إجهاضاً، أو جاءت بسقط لم يستهل، أو لمات عقب إسقاطه لعدم استعداده للحياة، وينسون في هذه الأحوال فضل الله _ تعالى _ عليهم بما من به من العافية والتوفيق، وتسخير الأسباب من البشر وغيرهم، وإن كانوا ممن يذكرونها ولا ينكرونها إذا ذكروا بها، ذلك شأن كثير من الناس في كل نعمة تمسهم، أو نقمة يدفعها الله _ تعالى _ عنهم، وهذا الشرك ليس خروجاً من الملة، ولكنه نقص في شكر المنعم، ويحتمل أن يكون المراد بالشرك هنا ترجيح حب الأولاد على حب الله _ تعالى _ وشغلهم للوالدين عن المراد بالشرك هنا ترجيح حب الأولاد على حب الله _ تعالى _ وشغلهم للوالدين عن ذكره وشكره، وإيثارهم لهم على طاعته والتزام ما شرعه من أحكام الحلال والحرام، وهو كسابقه نقص في التوحيد لا نقض له، وغفلة عنه لا جحد به.

ومثال الشرك الجلي إسناد هذه النعم إلى غيره _ تعالى _ ممن يدعونهم من دونه أو معه من القبور أو معه من الأولياء والقديسين، أو الأنبياء والمرسلين، أو ما يذكر بهم أو بمثلهم من القبور أو الأصنام والتماثيل، يقولون: لولا سيدي فلان ولولا مولانا علان لما كان كذا مما نحب، أو لكان كذا وكذا مما نكره، يعتقدون أن لهم فيما كان من نفع ومنع ضرر تأثيراً غيبياً يستقلون به هو فوق تأثير الأسباب. انظر: «تفسير المنار» (١٩/٩ه _ ٥٢٠).

* الخلاصة: إن القصة المذكورة يأباها سياق الآيات، وتنكرها العقول، فإن البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال، ولا يتطرق إليها المجاز والاتساع، قد دلت على عصمة الأنبياء هذا فلا يجوز عليهم الشرك() والمعاصي وطاعة الشيطان، فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا على الجملة أن هذه القصة منكرة؛ فكيف وقد طعن فيها أهل الصنعة الحديثية؟!

⁽۱) حتى بالتسمية الذي اختاره ابن جرير والماوردي في «النكت والعيون» (۲۸٦/۲) وأقره العز بن عبد السلام في «اختصاره» له (۱/۷۱ه).

وذكر يعضهم أن شرك آدم وحواء كان «شرك طاعة وليس شرك عبادة»، وعزي إلى ابن عباس، ولم يصبح عنه! انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٦)، و «فتح المجيد» (٤٤١، ط. الصميعي)، و «تفسير القمي» (١/ ٢٧٩)، و «تفسير الصافي» (٢/ ٢٥٩).



الترمذي، واستغربه وأعله (ك) بثلاث علل وضعفه بها وهو الحق، وهناك علة رابعة وهي أن يقال: كيف تقع حواء، وهي زوجة نبي في الشرك الأكبر ولا يعلم ذلك زوجها؟ أو يعلمه ولا يمنعها؟ ومن العلل الثلاث، أن الحسن الذي هو راوي الحديث فسر الحديث بخلاف ما دل عليه الحديث، وهو أن الشرك وقع من ذرية آدم وحواء لأمتهما، وهو الصحيح.

ثم ذكر (٣) آثاراً عن ابن عباس^(۱) حاصلها أن آدم وحواء كانا يلدان أولاداً يُعبّدانهم لله تعالى، أي: يسميانهم عبد الله وعبد الرحمن وعبد العزيز، فكانوا يموتون، فجاءهما إبليس وزيّن لهما أن يسميا من يولد لهما عبد الحارث، أي: عبد إبليس، فسمياه بذلك فعاش، وهذا من أعظم الكذب الذي اختلقه أهل الكتاب، فرواه عنهم بعض الرواة لغفلتهم، وإلا كيف يعقل أن عالماً من العلماء المحققين يسمي ابنه عبد الحارث، أي: عبد إبليس؟ فكيف بصحابي؟ وكيف بنبيّع؟ أما أهل الكتاب فيجيزون على الأنبياء الكبائر والكفر، فلا عبرة برواياتهم وأنبياء الله منزّهون ومعصومون من الكفر والذنوب.

ثم قال (ك) في قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَغْلَقُ شَيّعًا وَهُمْ يُغْلَقُونَ ﴿ هَذَا لِلْكَارِ مِنِ الله تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام (٢) وهي مخلوقة مربوبة، مصنوعة لا تملك شيئًا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع ولا تنصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك، ولا تسمع، ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم، ولهذا قال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ وَعَابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم، ولهذا قال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ اللهُ عَنْكُ اللهُ عَلَقُوا لَهُ أَنْ اللهُ عَلَقُوا لَهُ أَنْ اللهُ عَنْكُ اللهُ عَلَقُوا لَهُ اللهُ عَلَيْكُ (٣) ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى: ﴿ يَكَالَبُهُمَ النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَإِن يَسْلَبُهُمُ إِنَّ اللهِ يَعْلُونُ اللهِ لَن يَعْلَقُوا ذُبُكابًا وَلُو اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلَبُهُمُ اللّهِ اللهِ اللهُ عَنْدُوا اللهَ حَقَ الطّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿ مَا مَا قَكَدُوا اللهَ حَقَ الطّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ إِنَّ مَا قَكَدُوا اللهَ حَقَ الطّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ إِنَّ اللهَ لَقَوَتُ عَزِيزٌ فَي اللهِ الحج: ٧٣ - ٧٤].

أخبر تعالى أن آلهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة، بل لو سلبتهم الذبابة شيئاً من حقير الطعام (٤) وطارت لما استطاعوا إنقاذه (٥) منها، فمن

انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٣ _ ٤٨٤).

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والأوثان».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي: أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئاً».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المطاعم».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «استنقاذ ذلك».



هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر؟ ولهذا قال تعالى (1): ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمُ نَصْرًا ﴾ أي: لعابديهم ﴿ وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ يعني ولا أنفسهم (٢) ينصرون ممن أرادهم بسوء، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ويهينها غاية الإهانة، كما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿ وَلَغَ عَلَيْهِمْ مَرَّا بِالْيَهِينِ ﴾ [الصافات: ٩٣] وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَمُّمْ لَعَلَهُمْ لِلَّهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٥].

وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل في وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله في المدينة، فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطباً للأرامل ليعتبر قومها بذلك، ويرتأوا لأنفسهم، فكان لعمرو بن الجموح - وكان سيداً في قومه - صنم يعبده ويطيبه، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه، ويلطخانه بالعذرة، فيجيء عمرو بن الجَمُوح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفاً ويقول له: انتصر ثم يعودان لمثله (٣) ويعود إلى صنيعته أيضاً حتى أخذاه مرة فقرناه بكلب (٤) ميت، ودلياه في حبل في بئر هناك، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك، نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل ثم أسلم، فحسن إسلامه (٥)، وقتل يوم أحد شهيداً، رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة الفردوس مأواه» (٢).

فصل

قال محمد تقي الدين: قول (ك): «وهي جماد لا تسمع ولا تبصر»، ولا

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: ﴿ لَا يَعْلَقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخَلَقُونَ﴾ أي: بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْجِئُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۞﴾ ثم قال تعالى».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لأنفسهم».

٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لمثل ذلك».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فقرنًا معه جرو كلب».

⁽٥) أخرج هذه القصة ابن إسحاق في «المغازي» _ كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٧٤، ٥٥) أخرج هذه القصة ابن إسحاق في «المغازي» _ ومن طريقه الزجاجي في «أخباره» (ص٤٧٤)، و«الإصابة» لابن حجر (٧/ ٩٤، ٥٠) _ ومن طريقه الزجاجي في «أخباره» (ص٣٤٤)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ٢٠٧، ٢٠٨) وإسنادها معضل.

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٥ ـ ٤٨٧).



شك أن المشركين في كل زمان ومكان يعبدون الأصنام والأشجار والأحجار والأبنية والقباب والمياه والنيران، ويزعمون أن وراءها أرواحاً للملائكة والأولياء والصالحين والجن والشياطين تتلبس بها وتقضي حاجة من طاف بها وعكف عندها، وكل أولئك عاجزون، من يعقل منهم ومن لا يعقل، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلا ضَرًا ﴾ [الأعراف: ١٨٨] إلخ، أما التعبيد للمخلوقين، فإنه واقع عند المشركين من أهل هذا الزمان، فإن الشيعة يسمون عبد علي، وعبد الحسين، وعبد الحسين، وعبد الحسين، وعبد الأمير، وعبد السادة، ومن يزعمون أنه من أهل السنة وهم أهل شرك وبدعة، ويسمون عبد الرسول، وعبد النبي، طاعة لإبليس وإرضاء له ومعصية لله وبدعة، وإسخاطاً له، فنعوذ بالله من الخذلان.

😝 الباب الثاني عشر 😣

قال (ك): «ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها أي مخلوقات مثلهم، بل الناس^(۱) أكمل [منها]^(۲)؛ لأنها تسمع، وتبصر، وتبطش، وتلك لا تفعل شيئاً من ذلك، وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا شُرَكآءَكُمْ ﴾ الآية، أي: استنصروا بها عليّ ، فلا تؤخّروني طرفة عين، واجهدوا جهدكم: ﴿إِنَّ وَلِتِي اللهُ الّذِي نَزَّلَ الْكِئلَةِ وَهُو يَتَوَلَّى الصَّلِحِينَ طُوفة عين، واجهدوا جهدكم: ﴿إِنَّ وَلِتِي اللهُ الّذِي نَزَّلَ الْكِئلَةِ وَهُو يَتَوَلَّى الصَّلِحِينَ أَلَّهُ أَيْ وَعَلَيْهُ وَعَلَى ، وإليه ألجأ،

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الأناسي».

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «منهم».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وكافيني».



وهو وليي في الدنيا والآخرة، وهو ولي كل صالح بعدي وهذا كما قال هود ﷺ لما قال له قومه: ﴿إِن نَقُولُ إِلَّا اَعْتَرَنَكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوَةً قَالَ إِنَّ أَشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُوا أَنِي اللّهَ عَنَا نُشَرِكُونَ ﴿ إِن نَقُولُ إِلّا اَعْتَرَنَكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوَةً قَالَ إِنَّ أَشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُوا أَنِي بَرِيَةٌ مِنَا ثُمُتُم وَدَو فَي إِنْهُم عَدُو وَكَقُولِ الحليل: ﴿ أَفَرَهَ يَشُرُ مَا كُنتُم تَعْبُدُونَ ﴿ أَنشُم وَابَازُكُمُ الْأَفْلِمُونَ ﴿ وَابَازُكُمُ الْأَفْلِمُونَ ﴾ [السعراء: ٧٥ ـ ١٧٨] الآيات، وكقوله لأبيه وقومه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبَرَهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ النّبِي بَرَكَ مُتَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ١٨] الآيات، وكقوله لأبيه وقومه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبَرَهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنّبِي بَلِكُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللللّهُ الللللللللهُ اللللللللهُ اللللللهُ الللللللهُ الللللللهُ الللللهُ الللللهُ الللهُ اللللللهُ الللللهُ الللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللللهُ الللللهُ الللهُ الللهُ الللللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللله

فصل

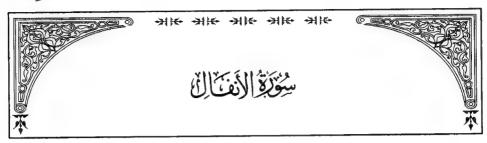
قال محمد تقي الدين: قول (ك): «أنها عبيد مثل عابديها» اعلم أنهم لا يعبدون التماثيل والقباب والأشجار والأحجار لذاتها، وإنما يعبدونها لما يزعمون فيها من [البركات] (٢) التي تجعلها أفضل منهم، والتي بسببها تقضى الحاجات، وتنفرج الكربات بزعمهم، ولذلك تراهم إذا جاء السيل وجرف قبة يعودون إلى بنائها من جديد ويعبدونها، ولا يقولون في أنفسهم: لو كانت هذه القبة تملك نفعاً أو ضراً، أو كان صاحبها الذي تنسب إليه يملك نفعاً أو ضراً لحفظ قبته، فإذا عجز عن حفظها من السيل فهو عن حفظ العابدين أعجز، ولكن المشركين لا يعقلون.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرَجُلُ يَمْشُونَ يَهَا أَدُ لَمُمْ أَيْدِ يَبْطِشُونَ بِهَا أَدُ لَهُمْ أَعْيَنُ يَهُمْ أَيْدِ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَوْلُونُانَ الْأَصْنَامِ وَإِلَّا أَنْهَا لَا تَمْسَى، ولا تبطش، الأصنام وإن كانت لها أرجل وأيد وأعين وآذان إلا أنها لا تمشي، ولا تبطش، ولا تبطش، ولا تبصر، ولا تسمع، أما الأوثان كالقباب والأحجار فليس لها أرجل ولا أيد ولا أعين ولا آذان، ولكن عبّادها يزعمون أن الأرواح المتلبسة بها تسمع وتبصر وتعلم الغيب وتضر وتنفع، ويسألونها قضاء الحاجات، فإن قضيت نسبوا قضاءها إليها، وإن لم تقض، نسبوا التقصير إلى أنفسهم لا إلى أوثانهم، ﴿ أَلَا سَآهُ مَا يَكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٩].

انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/٤٨٧).

⁽٢) سقطت من الأصل، والسياق يقتضيها.





🔀 الباب الأول 😣

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمُ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُعِدُّكُم بِأَلْفِ مِنَ تَعِالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمُ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُعِدُّكُم بِأَلْفِ مِنَ أَلْمَكَتِهِكَةِ مُرْدِفِينَ وَلِتَظْمَإِنَّ بِهِ مَنْ عَندِ اللّهَ إِلّا بُشَرَىٰ وَلِتَظْمَإِنَّ بِهِ عَلَهُ اللّهَ عَزِيزُ حَكِيمُ ﴿ اللّهَ عَلَيْكُمْ مَا النّصَرُ إِلّا مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزُ حَكِيمُ ﴿ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزُ حَكِيمُ ﴿ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزُ حَكِيمُ ﴿ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ عَزِيزُ حَكِيمُ ﴿ إِلَّا اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَزِيزُ حَكِيمُ إِلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُولُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّه

روى (هم، م، د، ت، ج) «عن عمر بن الخطاب في قال: لما كان يوم بدر نظر النبي في إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي في القبلة وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً». قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم فَاسَتَبَابَ لَكُمُ أَيْ سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم فَاسَتَبَابَ لَكُمُ أَيْ

فلما كان يومئذ التقوا فهزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، واستشار رسول الله على أبا بكر وعمر وعلياً، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول الله على: «ما ترى يا ابن الخطاب؟»، قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم



وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله على ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء.

فلما كان من الغد، قال عمر: فغدوت إلى النبي على وأبي بكر، وهما يبكيان، فقلت: ما يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ قال النبي على: «للذي (۱) عرض على أصحابك من أخلهم الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة»، لشجرة قريبة من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة»، لشجرة قريبة من النبي على وأنزل الله على: ﴿مَا كَانَ لِنَيْ أَن يَكُونَ لَهُ أَشَرَىٰ حَقَى يُنْفِنَ فِي النبي الله المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون رجلاً، وفر أصحاب النبي على عن النبي عن النبي وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله: ﴿مَا كُلُ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنْ اللهَ عَلَىٰ مُنْ مَنْ عِنْ أَنْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْ أَنْهُ اللهُ عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ اللهِ اللهُ عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ اللهِ الله على وقبه الله على وقبه الله على على كُلُ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ الله الله على وقبه الله على على الله على عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ الله الله على عراد الله على عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ الله على الله على الله على على عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ الله عمران: ١٦٥] (٢).

وقال البخاري (٣) في كتاب المغازي: باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ » إلى قوله: ﴿فَإِنّ الله شِدِيدُ الْمِقَابِ عن عبد الله بن مسعود قال: «شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي على وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿فَاذَهَبُ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاً »، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي على أشرق وجهه وسره ». يعني: قوله (٤٠).

قال محمد تقي الدين: المراد بذكر هذه الآية أن الاستغاثة في الشدائد لا تكون إلا بالله، ومن استغاث بغير الله فقد كفر؛ لأن الله تعالى أخبرنا أن النبي وأصحابه في غزوة بدر حين اشتد بهم الكرب وتكاثرت عليهم الأعداء، استغاثوا كلهم بالله، استغاث النبي على واستغاث الصحابة بالله، ولم يستغث الصحابة بالنبي

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الذي».

⁽۲) أخرجه أحمد (۱/ ۳۰)، ومسلم (۱۷۲۳)، وأبو داود (۲۲۹۰)، والترمذي (۳۰۸۱)، وابن جرير في «تفسيره» (۱۳/ ۱۵۷۳٤) وغيرهم.

⁽٣) في «صحيحه» (٣٩٥٢).

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٤ ـ ٢٦) بتصرف.



ويستغيث النبي ﷺ بالله، كما يفعل المشركون في هذا الزمان، وهذا من أعظم البراهين على ضلال هؤلاء المشركين، لو كانوا يعقلون، ﴿وَمَن يُصْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَالِهِ وَهَذَه سنة رسول الله الصحيحة الصريحة، فأين تذهبون، توبوا إلى الله، ووحّدوا ربكم، وارجعوا إلى الحق إن كنتم مؤمنين.

لعمري لقد نَبَّهتُ مَنْ كان نائماً وأسمعتُ مَنْ كانتْ له أُذُنانِ(١)

ثم قال (ك): "وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلّا بُشْرَىٰ ﴾، الآية، أي: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى، ﴿وَلِتَطْمَعِنَ بِدِ قُلُوبُكُمُ ﴾، وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم [﴿وَلِتَطْمَعِنَ بِدِ قُلُوبُكُمُ وَمَا النّصَرُ إِلّا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم [﴿وَلِتَطْمَعِنَ بِدِ قُلُوبُكُمُ وَمَا النّصَرُ إِلّا مِنْ عِندِ اللّهِ إِلّا مِنْ عِندِ اللّهِ اللّهِ عَزِيزٌ حَكِيمُ ﴾ (٣) . اه.

قال محمد تقي الدين: وهذا محل الشاهد أن النصر لا يأتي إلا من الله، ولا ينبغي للمؤمن أن يطلبه إلا من الله، فإن طلبه من غيره خاب وخسر، ولم يظفر به أبداً، ولهذا ترى المشركين في هذا الزمان يتعلقون بالأوربيين ويطلبون منهم السلاح، ويتعلمون استعماله منهم، ويظنون أن ذلك كل شيء، ولم ينفعهم ذلك شيئاً، ولن ينصروا أبداً، إلا إذا رجعوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله عليه، وحكموا شريعة الله، وقد مضت عليهم مئات السنين وهم يجربون طريقهم العقيم، فما حصدوا إلا الخيبة والخسران، ولو جربوا طريق الحق سنة واحدة لطلع عليهم فجر السعادة، وذهب نحسهم وظهر سعدهم ﴿وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَاهُ إِلَى مِرَالٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

😝 الباب الثاني 😣

قال الله تعالى: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِتَنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كَا لَا يَعْمَلُونَ بَصِيرُ ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ اللهُ وَلَوْا نَوَلُوْا فَإِنَ اللهُ إِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرُ ﴿ وَ وَإِن تَوَلُّوا فَإِن لَوَلُوا فَإِن لَوَلُوا فَإِن لَوَلَوْا فَإِن لَا يَعْمَلُونَ بَصِيرُ ﴿ وَإِن لَوَلُوا فَإِن لَوَا لَا لَهُ وَلِي اللهُ اللهِ اللهُ مَوْلَكُمُ أَنْ فِعْمَ النَّصِيرُ ﴿ وَلِنَا اللهُ اللهُ مَوْلَكُمُ أَنْ فِعْمَ النَّصِيرُ ﴿ وَلَا لَهُ وَلِي اللهُ اللهِ ٢٩ ـ ١٤٠]

⁽۱) البيت في «العين» للخليل بن أحمد (٢٠/٤) غير منسوب. وظفرتُ به في «الأغاني» (٧٩/١٥) ط. دار إحياء التراث العربي) ضمن أبيات قالها صخر بن عمرو يخاطب بها امرأته سَلْمى، وفيه «نبَّهتِ» و «أسمعتِ».

⁽۲) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢٨/٧).



قال (ك): «عن نافع عن ابن عمر أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: «إن الناس قد صنعوا ما ترى، وأنت ابن عمر بن الخطاب، وأنت صاحب رسول الله على منعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله خرم على دم أخي المسلم، قالوا: أولم يقل الله: ﴿ وَقَلْ لِلُّوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتَنَةً ۚ وَيَكُونَ ٱلْمِينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾؟ قال: «قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله»(١)، ثم روى عن أسامة بن زيد أنه قال: «لا أقاتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله، أبداً، فقال سعد بن مالك: وأنا والله لا أقاتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله، أبداً، فقال رجل: ألم يقل الله: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتَنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّمُ لِلَّهِ ﴾ ؛ فقالا: قد قاتلمنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله شه (٢)، رواه ابن مردويه، وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِنْنَةً ﴾؛ يعني: لا يكون شرك (٣)، وكذا قال أبو العالية ومجاهد وقتادة والحسن والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم وقال محمد بن إسحاق: بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ﴿حَقَّ لَا تَكُونَ فِنْنَةٌ﴾: «حتى لا يفتن مسلم في دينه». وقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّمُ بِلُّو ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال: يخلص التوحيد لله(٤).

وقال محمد بن إسحاق: ويكون التوحيد خالصاً لله ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد، ويشهد لهذا ما ثبت في «الصحيحين» (٥) عن رسول الله هذا أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله كان». وقوله: ﴿ فَإِنِ اَنهَوَا ﴾ أي:

⁽۱) أخرجه البخاري (۲۰۱۳) (۲۰۱۱) بنحوه، وله طرق وألفاظ. انظر: «تاريخ دمشق» (۳۱/ ۱۸۷) أخرجه البخاد» (۲/ ۲۲۱) لابن المناصف وتعليقنا عليه.

⁽٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/٤)، وابن حبان في «الثقابت» (٢/ ٢٧١) بنحوه، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ق ٦٤٢ ـ مختصراً).

⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠١/٥) من طريق الضحاكِ عن ابن عباس، وهو منقطع، ولكنه عند ابن جرير (١٧٩/١١) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٨٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو في «صحيفته» (رقم ٥٤٢).

⁽٤) انظر: «الإنجاد» لابن المناصف (٢/ ٦٦١ - ٦٦٢ - بتحقيقي).

⁽٥) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث عمر بن الخطاب ظهه.

بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا^(۱) وإن لم تعلموا بواطنهم. وفي «الصحيح»^(۲) أن رسول الله على قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف فقال: لا إله إلا الله، فضربه فقتله فذكرت ذلك لرسول الله على فقال لأسامة: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟» فقال: يا رسول الله، إنما قالها تعوذاً، قال: «شققت عن قلبه؟» وجعل يقول ويكرر عليه: «من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة». فقال أسامة: حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ»(۳).

فصل

قال محمد تقي الدين: اعلم _ وفقني الله وإياك لمعرفة الحق والتمسك به _ أن لا إله إلا الله لا تنفع أحداً إلا إذا قالها وهو عالم بمعناها وعامل بمقتضاها، ولعلك لم تنس حديث أبي واقد الليثي الذي قال فيه النبي على: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿ أَجْعَل لَّنَا إِلَيْهَا كُمَا لَمُمْ مَالِهَةً ﴾ [الأعراف: ١٣٨] (أن وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿ وَجَوَزُنَا بِبَنِي ٓ إِسَرَ عِلَى الْبَحْر ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وأطلت الكلام فيه، فمن يقول: لا إله إلا الله، وينادي بأعلى صوته: يا رسول الله أغثني، يا علي، يا فلان يا فلان، فإذا قلت له: وحّد الله بدعائك، صاح عليك: أنت وهابي، تبغض النبي وتبغض الأولياء، فهل هذا وأمثالهم تنفعهم لا إله إلا الله، كلا والله.

فصل

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عنهم».

⁽٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧٦/٧ ـ ٧٨) بتصرف.

⁽٤) سبق تخريجه.

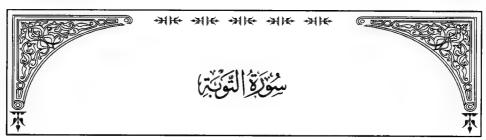


الخارجين على عثمان والخارجين على علي هو الحق بلا شك، لهذه الآية ولقول رسول الله ﷺ: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية»(١)، وكان عمار يقاتل مع علي فقتله جيش معاوية، وقال النبي ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»(١) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

⁽١) أخرجه البخاري (٤٤٧) من حديث ابن عباس.

⁽٢) أخرجه مسلم (١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري.





∺ الباب الأول 🔫

قال الله تعالى: ﴿بَرَآءَةُ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الّذِينَ عَهَدَّمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيُ مُعْجِزِى اللّهِ وَأَنْ اللّهَ عَيْرُ مُعْجِزِى اللّهِ وَأَنْ اللّهَ عُزِى الْكَفْرِينَ ﴿ وَأَذَنُ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجِ الْأَحْبَرِ عُنْزِى الْكَفْرِينَ ﴿ وَأَذَنُ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجُ الْأَحْبَرِ اللّهَ بَرِيّ أَنَ اللّهُ بَرِيّ أَنْ اللّهُ بَرِيّ أَنْ اللّهُ مَنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن اللّهِ وَبَشِرِ الّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ اللّهِ وَلِيَ اللّهِ وَبَشِرِ الّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ اللّهِ اللّهِ وَلَيْتُمْ عَيْرُ مُعْجِزِى اللّهِ وَبَشِرِ الّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ اللّهِ وَلَيْتُمْ وَاللّهُ وَبَشِرِ الّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ اللّهِ يَعْمَلُوا اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللّهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ ا

قال (ك) بعد أن ذكر أن عثمان والله لم يكتب في أول التوبة بسم الله الرحمن الرحيم، لظنه أنها والأنفال سورة واحدة (١): «وأول هذه السورة الكريمة

⁽۱) أخرجه ابن أبي شيبة (۱۲، ۱۲)، وأحمد (۱/ ۲۰، ۲۹)، وأبو داود (۲۸۲، ۷۸۷)، والترمذي (۳۰۸۱)، والنسائي في «الكبرى» (۸۰۰۷)، وابن أبي داود في «المصاحف» (۳۲)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (۲۷۷، ۲۷۸)، وابن حبان (۲۳)، والحاكم (۲۲۱، ۲۳۰)، والبيهقي (۲/ ۲۲ و۷/ ۱۰۷)، وإسناده ضعيف، مداره على يزيد الفارسي، وهو ضعيف. وانظر «ضعيف سنن أبي داود» (۹/ ۳۰۳ ـ ۳۰۹، ط. دار غراس).

وعزاه في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٢) لابن الأنباري في «المصاحف» وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.



نزل (۱) على رسول الله على لما رجع من غزوة تبوك، وهم بالحج ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة، فكره مخالطتهم، وبعث أبا بكر الصديق على أميراً على الحج تلك (۲) السنة؛ ليقيم للناس مناسكهم، ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس [﴿بَرَآءَ مَنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾] (۲) فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله على الكونه عصبة له كما سيأتي بيانه، فقوله تعالى: ﴿بَرَآءَ مُنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: هذه (٤) براءة، أي: تبرّؤ (٥) من الله ورسوله:

﴿إِلَى النِّينَ عَهَدَّمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشَهُرٍ الْحَلْفَة غير المؤقتة، ههنا اختلافاً كبيراً (٢) فقال قائلون: هذه الآية لذي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكمل له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد مؤقت، فأجله إلى مدته مهما كان، لقوله تعالى: ﴿فَأَتِنُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمُ إِلَى مُدَّتِمَ اللّهِ عَلَيْ وَمِن كان بينه وبين رسول الله على عهد فعهده الآية. ولما سيأتي في الحديث، ومن كان بينه وبين رسول الله على عهد فعهده إلى مدته، وهذا أحسن الأقوال وأقواها وقد اختاره (ع)(٧) قال ابن عباس: «حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر، يسيحون في الأرض حيث شاؤوا وأجَل من ليس له عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى سلخ (٩) المحرم، فذلك خمسون ليلة»(١٠) [قال الضحاك](١١): «فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم، فذلك خمسون ليلة»(١٠) [قال الضحاك](١١): «فأمر الله نبيه إذا انسلخ

⁽١) كذا في مطبوع "تفسير ابن كثير"، وفي الأصل: "منزّل".

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وفي الأصل: «هذا».

⁽٣) في مطبوع "تفسير ابن كثير"، وفي الأصل: "برثوا".

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هذه».

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «برئوا».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كثيراً».

⁽٧) انظر: «تفسير ابن جرير» (١١/ ٣١١).

⁽A) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أجَل»: وعند ابن جرير: «وخَدَّ أجل».

⁽٩) في مطبوع «تفسيري ابن جرير وابن كثير»: «انسلاخ».

⁽١٠) أخرجه آبن أبي حاتم (١٧٤٦/٦) ١٧٥١، ١٧٥١) الأرقام (٩٢١٨، ٩٢٥٠)، وهو في وابن جرير (٣/ ٢١٠)، وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٢١٠). وهو في «الناسخ «صحيفة علي بن أبي طلحة» (رقم ٥٥٦)، وأورده مختصراً النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص١٦١).

⁽١١) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقط من الأصل.

المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام، وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر خلون من ربيع الآخر أن يضع فيهم السيف أيضاً، حتى يدخلوا في الإسلام»(١).

قال البخاري (٣) كَالله بسنده عن أبي هريرة ولله قال: «بعثني أبو بكر ولله في تلك الحجة في المؤذنين الذين بعثهم يوم النحر، يؤذن بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوفن (٤) بالبيت عريان قال حميد: ثم أردف النبي على بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذّن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة، وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

ثم ذكر (ك) هذا الحديث من رواية أبي هريرة، أيضاً في "صحيح البخاري" في (كتاب الجهاد) (٦) ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَهَدَتُم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمَ يَنقُصُوكُمْ البخاري وَلَمَ يُظْنِهِرُوا عَلَيْكُم آحَدًا فَأَتِنُوا إِلَيْهِم عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِم الله عَهْد مطلق، ليس هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق، ليس

⁽۱) أخرجه ابن جرير (۲۰۷/۱۱)، وابن أبي حاتم (٢/١٧٥٢)، وعلقه على إثر رقم (٩٢٠)، وانظر: «تفسير الضحاك» (٣٩٧/١).

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أطهرها وأكثرها جمعاً».

⁽٣) في «صحيحه» (٤٦٥٥). (٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يطوف».

⁽٥) برقم (٤٣٦٣).

⁽٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣٦/٧ _ ١٣٩).



بمؤقت، فأجله أربعة أشهر يسيح في الأرض، يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء، إلا من له عهد مؤقت فأجله إلى المدة المضروبة التي عوهد عليها، وقد تقدمت الأحاديث، ومن كان له عهد مع رسول الله على فهده إلى مدته، وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده، فلا (١) يظاهر على المسلمين أحداً؛ أي: يمالئ عليهم من سواهم، فهذا الذي يوفي له بذمته وعهده إلى مدته، ولهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُنَّقِينَ ﴾ أي: الموفين بعهدهم.

﴿ وَإِذَا السَلَخَ الْأَنْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْنُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية ، اختلف المفسرون في الأشهر (٢) الحرام (٣) فذهب (ج) إلى أنها [الأربعة] (٤) المذكورة ، في قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا آرَبَعَةُ حُرُمٌ ﴾ [إلا أن المحرم هو آخرها في حقهم] (٥) . قال (٧): «وفيه نظر ، والذي يظهر من حيث السياق: ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه ، وبه قال مجاهد وعمرو بن شعيب ومحمد بن إسحاق وآخرون (٢) : أن المراد بها أشهر [السيح] (١) الأربعة المنصوص عليها بقوله (٨) : ﴿ فَيسِيحُوا فِي ٱلأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشَهُرٍ ﴾ .

ثم قال: ﴿فَإِذَا اَسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْمُرْمُ﴾ أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم، وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم؛ لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر. ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة، سيأتي بيان

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولم».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في المراد بالأشهر».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الحرم هاهنا ما هي».

⁽٤) غير موجود في المطبوع من «تفسير ابن كثير».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قاله أبو جعفر الباقر، ولكن قال ابن جرير: آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم»، وانظر: «تفسير ابن جرير» (٣١٨/١١).

⁽٦) خرجت ذلك في تعليقي على «الإنجاد» (٣٨/١)، وانظر: «تفسير مجاهد» (٢٧٢/١) وأثره عند ابن جرير (٢/٩٢)، وابن أبي حاتم (٦/رقم ٩٢٢٠)، وهزاه في «الدر» (٤/ ١٣٢) لأبي الشيخ وابن أبي شيبة، وابن المنذر. وممن قال بهذا قتادة وابن زيد والضحاك والسدي. انظر ـ عدا «تفسيري ابن جرير وابن أبي حاتم» ـ «تفسير السدي الكبير» (ص٧٨١، ٢٩٢)، و«تفسير الضحاك» (٢٩٧/١).

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «التسيير».

⁽A) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في قوله».

حكمها في آية أخرى بعد، في هذه السورة الكريمة، وقوله: ﴿ فَٱقْنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَنُّمُوهُمْ ﴾ أي: من الأرض وهذا عام، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في المحرم، بقوله: ﴿ وَلَا نُقَيْلُوهُمْ عِندَ ٱلمُسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَى يُقَتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَنَلُوكُمْ فَا تَنْلُوكُمْ فَا الْبَقْرَة : ١٩١].

وقوله: ﴿وَخُدُوهُمُ أَي: وأسروهم، إن شئتم قتلاً وإن شئتم أسراً، وقوله: ﴿وَاحْصُرُوهُمُ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ أي: لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم، والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع، وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام، ولهذا قال: ﴿وَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوَةُ وَءَاتُوا الزَّكَوةَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ولهذا قال: ﴿وَإِن تَابُوا الصديق فَيْهُ وَيَاتُوا الزَّكَاةَ على هذه الآية الكريمة وأمثالها، حيث حرمت الصديق في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها، حيث حرمت وتنالهم بشرط هذه الأفعال، وهي: الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته، ونبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التي هي حق الله على أدناها، فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة وهي: أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين، ولهذا كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة.

وقد جاء في «الصحيحين» (۱) عن ابن عمر على عن رسول الله على أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»، الحديث، وقال أبو إسحاق: عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود على قال (۲): «أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن لم يزك فلا صلاة له» (۳). وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «أبى الله أن يقبل الصلاة

⁽١) سبق تخريجه.

⁽٢) سقطت من الأصل، وأثبتها من مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) أخرجه ابن أبي شببة (٤/ ١٧٢) (رقم ٩٩١٤، ط. الرشد)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٠) رقم (١٠٠) رقم (١٠٠) من طريق أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: . . . فذكره، وإسناده ضعيف فيه إسماعيل بن عمرو البجلي.

قال شيخنا الألباني في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (ص٥٥):

[«]قلت: وهذا إسناد ضعيف من أجل البجلي هذا أورده الذهبي في «الضعفاء» وقال: «ضعفه غير واحد».

قلت: لكنه لم يتفرد به، فقد قال عبد الله بن أحمد في «كتاب السنة» (ص٩٨): حدثني =



إلا بالزكاة، وقال: يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه». ثم قال (ك): "وهذه الآية الكريمة هي آية السيف، التي قال فيها الضحاك بن مزاحم: "أنها نسخت كل عهد بين النبي على وبين أحد من المشركين، وكل عقد(١) وكل مدة (٣). وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية [الكريمة](٣): "لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة (٤)، وانسلاخ الأشهر الحرم ومدة من كان له عهد من

«من أقام الصلاة، ولم يؤد الزكاة فلا صلاة له». وهذا رجاله ثقات رجال مسلم غير أن أبا إسحاة

وهذا رجاله ثقات رجال مسلم غير أن أبا إسحاق وهو عمرو بن عبد الله السبيعي كان اختلط، ثم هو مدلس وقد عنعنه. ولم يتنبه المنذري لذلك فقال في «الترغيب» (١/ ٢٦٩): «رواه الطبراني في «الكبير» موقوفاً هكذا بأسانيد أحدها صحيح»! وتبعه الهيثمي فقال (٣/ ٦٢):

«رواه الطبراني في «الكبير»، وله إسناد صحيح».

فإذا كانا يعنيان هذا الإسناد الذي فيه أبو إسحاق كما أرجع، فلا وجه لتصحيحه، وإن كانا يريدان غيره، فما هو، وأنا لم أر له في «المعجم» إسناداً آخر، ولكن النسخة مخرومة والله أعلم».

وصح عنه: «من لم يصل فلا دين له» و«من ترك الصلاة فلا دين له» أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٦٧) وفي «السنة» (٧٧٧)، وفي «مسائله لأبيه» (٣٩٣)، والخلال في «السنة» (رقم ١٣٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٣٨٥) رقم (١٩٤١، ١٩٤٨)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٣٥ ـ ٩٣٨) بأسانيد بعضها حسن.

(١) في مطبوع اتفسير ابن كثيرا: اعهدا.

- (٢) المشهور عنه أن قوله تعالى: ﴿ فَشُدُّوا الْوَكَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَلَتُ ﴾ [محمد: ٤] ناسخة لعموم قوله: ﴿ فَاقْنُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ وبيّنتُ ذلك مفصلاً في تعليقي على «الإنجاد» لابن المناصف (٢/ ٢٦٠)، فانظره غير مأمور، وانظر: «مصنف عبد الرزاق» (٩٤٠٥)، و«النسوخ» و«تفسير ابن جرير» (٢٢/ ٤١)، و«الإيضاح» (ص٣٠٨) لمكي، و«الناسخ والمنسوخ» (ص٣٠٩) لابن البارزي، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٢٠١)، و«المصرر الوجيز» (٢/ ٤٠١)، و«الكشاف» (٢/ ٢٥٠)، و«تفسير الضحاك» (٢/ ٢١).
 - (٣) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».
- (٤) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٦/ ٤١)، وابن الجوزي في «الناسخ والمنسوخ» (ص٢٨) عن ابن عباس في قوله: ﴿ فَإِنَا لَقِيْتُهُ اللَّيْنَ كُفُرُوا فَفَرْبُ الْزِقَابِ . . . ﴾ إلى آخر الآية قال: الفداء منسوخ، نسختها ﴿ فَإِذَا السَّلَخَ الْأَثْبُرُ لَلْوُرُمُ . . . ﴾ إلى ﴿ كُلُ اللَّهُمُ لَلَّهُمُ لَلَّهُمُ مَرْصَدُ ﴾ قال: فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة، وانسلاخ الأشهر الحرم.

⁼ أبي حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق به بلفظ:



المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر، من يوم أذَّن ببراءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر»(١).

فصل

قال محمد تقي الدين: تبرأ الله عَلَى ورسوله عَلَيْ من المشركين بقوله: ﴿ وَأَذَنُ مِنَ اللّهُ مِنِهُ مِنَ الْمُشْرِكِينُ مِنَ اللّهُ مِنَ اللّهُ مِنَ اللّهُ مِنَ اللّهُ مِنَ اللّهُ مِنَ اللّهُ اللّهِ وَقَوْمِهِ إِنّنِي بَرَكُ مُ وَرَسُولُهُ وقال تعالى في سورة الزخرف: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنّنِي بَرَكُ مُ مِمّا تَعْبُدُونَ اللّهِ إِلّا الّذِي فَطَرَفِي فَإِنّهُ سَيَهْدِينِ ﴿ وَجَعَلَهَا كُلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ عَلَهُمْ مِمّا تَعْبُدُونَ إِلّا اللّهِ عَقِيهِ عَلَيْهُ اللّهُ مَا اللّهُ وَمَعْدَ إِذْ قَالُوا لِتَوْمِمُ إِنّا بُرْءَ وَلَا مِنكُمْ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ اللّهِ مَسَنَةٌ فِ الرّهِيمَ وَالّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِتَوْمِمُ إِنّا بُرَءَ وَلَا مِنكُمْ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَمْدَةً فِي اللّهِ مَسَنَةٌ فِي اللّهِ وَحْدَهُ وَالْمَعْمَاءُ أَبَدًا حَتَى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤] كَانَتُ لَكُمْ وَمِمَا يَشْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَعْدَهُ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَعْدَهُ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَعْدَهُ وَمِمّا وَمَكَانَ إِلَى يَومَ عَلَى مَومَن أَن يتبرأ من المشركين في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

وإسناده مظلم، فهو مسلسل بالمجاهيل.

وعزاه السيوطي في «الدر» (٧/ ٤٥٧) إلى ابن مردويه في «تفسيره».

وأخرج أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص٢٠٩) رقم (٣٩٢)، وفي كتاب «الأموال» (ص٠١٠) رقم (٣٤٢)، والطبري في «التفسير» (٥٩/١٤) رقم (٣٤٢)، وابن المنذر في وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٠١٩، ٢٥٩)، وابن المنذر في «الأوسط» (٢٥/ ٢٥٥)، وابن المنذر في «الأوسط» (٢١٥/ ٢٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله - تعالى -: ﴿مَا كَانَ لِنِي أَن يَكُونَ لَهُ أَشَرَىٰ حَقَّ يُتُخِنَ فِي ٱلْأَرْضُ . قال: ذلك يوم بدر، والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطناهم، أنزل الله على بعد هذا في بدر، والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطناهم، أنزل الله على بعد هذا في بالأسارى ﴿فَإِمّا مَنّا بَعَدُ وَإِمّا فِينَالَهُ فَ فَجعل الله عَلَى النبي على والمؤمنين في الأسارى بالخيار: إن شاؤوا قتلوهم، وإن شاؤوا فادوهم، وإن شاؤوا استعبدوهم. شكّ أبو عبيد في «استعبدوهم».

قلت: علي بن أبي طلحة. قال العلائي في «جامع التحصيل» (ص٢٤٠) رقم (٥٤١): «قال دُحيم: لم يسمع التفسير من ابن عباس، وقال أبو حاتم: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرسل». وقال أبو زرعة العراقي في «تحفة التحصيل» (ص٢٣٤): «قلت: قال الفسوي: روى عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ، ولم يره».

قلت: لعليِّ بن أبي طلحة صحيفة رواها عن ابن عباس، فلعله أخذ هذا عن ابن عباس من الصحيفة؛ فيصح الأثر، والله الموفق، وانظر: «الإيضاح» (ص٣٠١) لمكي.

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱٤٧/٧ _ ١٥٠) بتصرف.



🗚 الباب الثانى 🔫

قول ه تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدُّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرُهُ حَتَىٰ يَسْمَعَ كَلَمُ اللّهِ ثُمَّ أَيْلِغَهُ مَأْمَنَةً ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ كَيْفَ يَكُونُ اللّهَ يَجُدُ يَكُونُ اللّهَ يَجُدُ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلّا ٱلّذِينَ عَهدتُم عِندَ اللّه يَجِدُ ٱلْمُشْرِكِينَ عَهدتُ عِندَ ٱللّهَ يَجُدُ ٱللّهَ يَجِدُ ٱللّهَ يَجِدُ ٱلْمُشْرِكِينَ عَهدتُ مَا ٱسْتَقَنْمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللّهَ يَجِبُ ٱلْمُتَقِينَ اللّهَ يَجِدُ ٱلْمُتَقِينَ اللّهَ يَجِدُ ٱللّهَ يَجِدُ ٱللّهَ يَجِدُ ٱللّهَ يَجِدُ ٱللّهَ يَجْدُ ٱللّهَ يَجْدُ ٱللّهَ يَكُمُ اللّهُ وَلا ذِمَّةً وَأَكْتِكُم اللّهُ وَلا ذِمَّةً وَأَكْتَهِكَ هُمُ ٱللّهُ عَدُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ وَاللّهُ وَلا ذِمَّةً وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱللّهُ عَدُونَ ﴿ اللّهِ وَلا ذِمَّةً وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱللّهُ عَدُونَ اللّهِ وَلَا ذِمْةً وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱللّهُ عَدُونَ اللّهِ وَلَا ذِمْةً وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱللّهُ عَدُونَ إِلّهُ وَلا ذِمْةً وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱللّهُ عَدُونَ اللّهِ وَلَا يَوْلُهُ وَلا ذِمْةً وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱللّهُ عَدُونَ اللّهِ وَلَا يَوْلُهُ وَلَا إِلّهُ وَلا ذِمْةً وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱللّهُ عَدُونَ اللّهِ وَلَا يَوْلُونَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ

قال (ك): "يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: "وَإِنْ أُحَدُّ مِّنَ المُشْرِكِينَ ﴾ [أي] (١): الذين أمرتك بقتالهم، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم ﴿اسْتَجَارَكَ ﴾ أي: استأمنك، فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله، أي: (القرآن) تقرؤه عليه، وتذكر له شيئاً من [أمر] (١) الدين، تقيم به عليه (١) حجة الله ﴿ثُمَّ أَتَلِغَهُ مَأْمَنَهُ ﴾ أي: وهو آمن مستمر الأمان، حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوَّمٌ لَا يَعْلَمُوكَ ﴾ أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء، ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده، وقال ابن أبي نجيح: عن مجاهد في تفسير هذه الآية، قال: "إنسان يأتيك يسمع ما تقول، وما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه (٤) كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء»؛

ومن هذا كان رسول الله على يعطي الأمان لمن جاءه مسترشداً أو في رسالة، كما جاءه (٥) يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم عروة بن مسعود، ومِكْرَز بن حفص، وسهيل بن عمرو وغيرهم، واحداً بعد واحد،

⁽١) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير». (٢) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "عليه به". (٤) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "فيسمع".

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «جاء»!

يترددون في القضية (۱) بينه وبين المشركين، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله على ما بهرهم، وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك (۲) كان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم، ولهذا أيضاً لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله على قال له: «أتشهد أن مسيلمة رسول الله؟ قال: نعم، فقال رسول الله على «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك» (۳). وقد قيض الله له ضرب العنق في إمارة ابن مسعود على الكوفة، وكان يقال له: ابن النواحة، ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة، فأرسل إليه ابن مسعود فقال له: إنك الآن لست في رسالة، وأمر (٤) فضربت عنقه (٥)، لا رحمه الله ولعنه.

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام، في أداء رسالة، أو تجارة، أو طلب صلح، أو مهادنة، أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، وطلب من الإمام أو نائبه أماناً أعطي أماناً، ما دام متردداً في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه، لكن قال العلماء: لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر، وفيما بين ذلك، فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة، قولان عن الإمام الشافعي (٢) وغيره من العلماء رحمهم الله.

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهَدُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية، يبين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر، ثم بعد ذلك السيف المرهف،

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قضية».

⁽٢) انظر القصة مفصلة في: «صحيح البخاري» (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

⁽٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٧)، وأبو داود (٢٧٦١)، والطحاوي في «المشكل» (٢٨٦٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٩)، والحاكم (٢/ ١٤٢ _ ١٤٣ و٣/ ٥٢)، والبيهقي (٩/ ٢١١)، وفي «الدلائل» (٥/ ٢٣٢) من حديث نُعيم بن مسعود الأشجعي، وهو صحيح بطرقه وشواهده.

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «به».

⁽٥) بنحوه في «مسند الطيالسي» (٢٥١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٣٣٢)، «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠/ط هجر).

⁽٦) انظر: «الأم» (٢٠١/٤)، و«الأوسط» لابن المنذر (٢١/٣٣٣)، و«الإنجاد في أبواب الجهاد» (٢/ ٣٣١ ـ بتحقيقي).

أين ثقفوا، فقال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ الْمُشْرِكِينَ عَهَدُ ﴾ أي: أمان، ويتركون فيما هم فيه، وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله، ﴿ إِلَّا الَّذِيكَ عَهَدُتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْمُرَارِ وَالْمَدَى مَعَكُونًا أَن يَبْلَغَ عِلَمُ ﴾ [الفتح: ٢٥] الآية، ﴿ فَمَا اسْتَقَنعُوا لَكُمْ وَالْمَسْجِدِ الْمُرَارِ وَالْمَدَى مَعَكُونًا أَن يَبْلُغَ عِلَمُ ﴾ [الفتح: ٢٥] الآية، ﴿ فَمَا اسْتَقَنعُوا لَكُمْ السَّقَنعُوا لَكُمْ السَّقِيمُوا لَمُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُ الْمُسْتِدِيكِ ﴾ وقد فعل الحرب بينكم وبينهم عشر سنين، ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَمُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُ الْمُسْتِدِيكِ ﴾ وقد فعل رسول لله على ذلك والمسلمون، استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد، ومالؤوا حلفاءهم وهم (١) بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله على فقتلوهم معهم في الحرم أيضاً، فعند ذلك غزاهم رسول الله الحمد والمنة، فأطلق (٢) منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء، وكانوا ولئة المحمد والمنة، فأطلق (٢) منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء، وكانوا والتسيير في الأرض أربعة أشهر، يذهب حيث شاء، ومنهم (صفوان بن أمية)، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما، ثم هداهم الله بعد ذلك إلى الإسلام النام، والله وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما، ثم هداهم الله بعد ذلك إلى الإسلام النام، والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله.

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمُ لَا يَرَقُبُوا فِيكُمُ إِلَّا وَلَا فِمَةً الآية، يقول الله تعالى تحريضاً " للمؤمنين على معاداتهم والتبرؤ منهم، ومبيناً أنهم لا يستأهلون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله على ولأنهم لو ظهروا على المسلمين وأديلوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم إلا ولا ذمة، وقال ابن عباس وغيره: «الإل: (القرابة) والذمة: (العهد)»، قال تميم بن مقبل:

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الْإِلَّ وأَعْرَاقَ الرَّحِمِ (٥) وقال حسان بن ثابت (٦) وقال حسان بن ثابت (٦)

⁽١) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقط من الأصل.

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من أسلم».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «محرضاً».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يستحقون». (٥) البيت في «تفسير الطبري» (١١/ ٣٥٨).

 ⁽٦) هكذا نسبه ابن كثير إلى حسان بن ثابت ولم نجده في «ديوانه» المطبوع والبيت في «تفسير =

وَجَدْنَاهُم كَاذِباً إِلَّهُمْ وَذُو الإِلِّ وَالْعَهِدِ لا يَكَذِبُ(١)

وقيل: الإل هو الله، ومنه جبرائيل، وميكائيل، وما أشبه ذلك، والتفسير الأول أحسن. ﴿ أَشَمَّوا عَيَابَتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُوا عَن سَبِيلِيَّ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُوا عَن سَبِيلِيَّ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ تعلى ذما للمشركين وحثاً للمؤمنين على قتالهم: ﴿ أَشَمَّوا إِعَايَتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ يعني: إنهم اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة، ﴿ فَصَدُوا عَن سَبِيلِهِ ۗ أَي: منعوا المؤمنين من اتباع الحق، ﴿ إِنَّهُمْ سَاءً مَا كَانُوا يَعْمَلُونَكُ يَوْفُهُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلّا وَلا ذِمَّةً ﴾ تقدم تفسيره، وكذا الآية التي بعدها ﴿ فَإِن تَابُوا وَ أَتَامُوا الْمَكُونَ ﴾ إلى آخرها تقدمت، وروى البزار بسنده عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وعبادته لا يشرك به يقول: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وعبادته لا يشرك به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هَرْج الأحاديث، واختلاف الأهواء، وتصديق ذلك ألرسل وبلغوه عن ربهم قبل هَرْج الأحاديث، واختلاف الأهواء، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ وَإِن تَابُوا ﴾ (٢) فإن خلعوا الأوثان وعبادتها: ﴿ وَأَقَامُوا الْمَسَلَوْةَ وَ الْوَالُونَ وَ عَادِيْنُ الْمُسَلَوْةَ وَ الْمُسَلَوْةَ وَ الْمَسَلَوْةَ وَ الْمُسَلَوْةَ وَ الْمُنَافُونَ وَ الْمُسَلَوْةَ وَ الْمُسَلَوْةً وَ الْمُسَلَوْةً وَ الْمُسَلَوْةً وَ الْمُسَلَوْةً وَ الْمُسَلَوْةً وَ الْمُعَافُونَ اللّهِ وَالْمَالُونَ وَالْمَالُونَ وَالْمَالُونَ وَالْمَالُونَ وَالْمَالُونَ وَالْمَالُونَ وَالْمَالُونَ وَالْمَالُونَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمَالُونَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهِ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا الْمَلْمُ وَاللّهُ وَالْمُ اللّهُ وَاللّهُ و

⁼ الطبري، غير منسوب (١١/ ٣٥٨ ـ ٣٥٦) و(الإل) ذكر في شعر حسان. في بيت آخر هو في «ديوانه» (ص٣٣٦) وفي «لسان العرب» مادة (ألل).

⁽۱) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۷/ ۱۵۱ _ ۱۵۳).

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يقول».

⁽٣) أخرجه أبن ماجه (٧٠) ـ مختصراً إلى قوله: **(والله عنه راض)** ـ وكذلك أخرجه ابن جرير (٣) 1٣٥/١٤) رقم (١٦٤٧٥ ـ بتحقيق شاكر).

وأخرجه بتمامه: البزار في «البحر الزخار» (١٣٢/١٣) رقم (٢٥٢٤)، والحاكم (٢١ / ٣٣) ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (١، ٢١)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٥٦).

وقال الحاكم: "صحيح" وتعقبه الذهبي بقوله: "قلت: صدر الحديث مرفوع وسائره مدرج فيما أرى" وكذا عند ابن الملقن في "مختصر استدراك الذهبي" (٨٠٦/٢) رقم (٣١١) وإسناده ضعيف، فيه أبو جعفر الرازي، صدوق سيئ الحفظ وفي روايته عن الربيع بن أنس اضطراب ووقع التصريح في الرواية الثانية عند ابن نصر أنه من كلام أنس! وهكذا قال الحافظ ابن كثير فيما مضي.

وعزاه في «الدر المنثور» (٣/ ٢١٣) للبزار وأبي يعلى _ وليس هو في رواية ابن حمدان المطبوعة، وإنما في رواية ابن المقرئ المطولة التي يكثر الضياء في إيراد طرقها المقبولة _ وابن أبي حاتم وأبى الشيخ.



ثم قال البزار (۱): «آخر الحديث عندي والله أعلم: «فارقها وهو عنه راضٍ»، وباقيه عندي من كلام الربيع بن أنس» (۲).

فصل

قال محمد تقي الدين: من زعم من المعتزلة والخوارج أن القرآن ليس كلام الله، وإنما هو خلق من خلقه فقد كفر بهذه الآية؛ لأن السامع إنما يسمعه من قراءة النبي على والكلام ينسب لقائله الأصلي، وهو الله تعالى، والعجز عن الكلام نقص في حق المخلوق، فكيف بالخالق؟ وكذلك الأشعرية المتأخرون الذين يزعمون أن كلام الله ليس بحرف ولا صوت، ولا بعربية ولا عجمية، وأنه صفة نفسية، وينكرون أن القرآن كلام الله، فهذه الآية حجة عليهم، ﴿وَمَن يُعْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَالرمر: ٢٣] والمسلمون إذا كانوا مسلمين حقاً ومتخلقين بالقرآن وبسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام محكمين شريعة الله، محافظين على حدود الله، متى دخل بلادهم مشرك اعترته هيبة منهم، وامتلأ قلبه تعظيماً للإسلام وأهله، وانجذب إليهم، فإما أن يدخل في دين الله ويسعد به، وإما أن تقوم عليه حجة الله، أما إذا دخل بلادهم ووجدهم متخلقين بمساوئ الأخلاق، منهمكين في الموبقات، لا يتبعون القرآن ولا الرسول، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فإنه يزداد عداوة للإسلام وبعداً عنه وعن أهله.

😝 الباب الثالث 😣

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللّهِ شَنِهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلِكَيْكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النّارِ هُمْ خَلِدُونَ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْرِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلُوةَ وَءَاتَى الزَّكُوةَ وَلَمَ يَغْشَ إِلّا اللّهَ فَعَسَى أُولَتِهِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿ التوبة: ١٧ ـ ١٨]

قال (ك): «يقول تعالى: ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له، ومن قرأ (٣): «مسجد الله» فأراد به

في «البحر الزخار» (١٣/ ١٣٢).
 انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٥٤).

⁽٣) هذه قراءة أبي عمرو ويعقوب والجحدري وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وابن محيصن واليزيدي وعبد الوارث وخارجة وحسين وحماد بن أبي سلمة عن ابن كثير، =

المسجد الحرام، أشرف المساجد في الأرض، الذي بُني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له، وأسَّسه خليل الرحمٰن، هذا وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، أي: بحالهم وقالهم، كما قال السدي: لو سألت النصراني: ما دينك؟ لقال: يهودي، والصابئ؟ لقال: صابئ، والمشرك؟ لقال: مشرك.

﴿ أُوْلَتُهِ كَ حَطِتَ أَعْمَالُهُمْ أَنَهُ وَهُمْ يَسُدُونَ عَنِ ٱلنَّارِ هُمْ خَلِدُونَ وَال تعالى: حَوْمًا لَهُمْ أَلَّهُ وَهُمْ يَسُدُونَ عَنِ ٱلْسَبِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوا تعالى: حَوْمًا لَهُمْ أَلَا يُعَذِّبُهُمُ ٱللّهُ وَهُمْ يَسُدُونَ عَنِ ٱلْسَبِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَا أَوْمُ إِلّا ٱلْمُنْقُونَ وَلَكِنَ ٱكَانُومُ لَا يَعْلَمُونَ الله ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَجِدَ ٱللّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْيُومِ ٱلْآخِرِ فَ فَسَهد الله بالإيمان لعمّار المساجد كما قال الإمام أحمد (١) بسنده عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله عليه قال: ﴿إِذَا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ، ورواه الترمذي والحاكم في «المستدرك» به (٢).

وقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَوْةَ ﴾ أي: التي هي أكبر عبادات البدن، ﴿وَءَانَى الزَّكُوةَ ﴾ أي: التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق وقوله: ﴿وَلَمُ يَغْشَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي: ولم يخف إلا من الله [تعالى]، ولم يخش سواه، ﴿فَعَسَى أَوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا

⁼ وعزيت لابن عباس، انظر: «حجة القراءات» (٣١٦)، «السبعة» (٣١٣)، «الكشف عن وجوه القراءات» (١٠٠/١)، «التذكرة في القراءات الثمان» (٣٥٦)، «إعراب القراءات السبع وعللها» (٢٣٦/١)، «روح المعاني» (١٨/١٠)، «البحر المحيط» (٥٨/١).

⁽۱) أخرجه أحمد (٣/ ٢٨)، والترمذي (٢٦١٧، ٣٠٩٣)، والدارمي (٢/ ٢٧٨)، وابن خزيمة (٢/ ٢٥٢)، وابن حبان (١٧٢١)، وابن عدي (٣/ ٩٨١)، والحاكم (٢١٢/١ ـ ٢١٣ و٢/ ٣٣٧)، وأبو نعيم (٨/ ٣٢٧)، والبيهقي (٣/ ٢٦) وفيه دراج عن أبي الهيثم، وهو ضعيف في روايته عنه خاصة، وانظر: «الضعيفة» رقم (١٦٨٢).

⁽٢) لا معنى لها هكذا، وسببه حذف المصنف للأسانيد، فأورد ابن كثير في «تفسيره» سند أحمد من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد.... وسرده، وقال عقبه:

[«]ورواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في «مستدركه» من حديث عبد الله بن وهب به» فكان المذكور نتيجة للحذف، ومثله يقع كثيراً لشيخنا محمد نسيب الرفاعي كلله في اختصاره له «تفسير ابن كثير» المسمى «تيسير العلي القدير»، على وجه فيه مؤاخذات ظاهرة، تنبئ عن عدم اشتغالهم التطبيقي في تخريج الحديث، والله هو العاصم والواقي.



يَعْمُو مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ يقول: من وحَّد الله وآمن باليوم الآخر، يقول من آمن بما أنزل الله ﴿ وَأَتَّامَ ٱلصَّلَوْةَ ﴾ يعني الصلوات الخمس: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ يقول: لم يعبد إلا الله، ثم قال: ﴿ فَعَسَىٰ أُوْلَيْكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ ﴾ يقول تعالى: إن أولئك هم المفلحون، كقوله لنبيه رضي أن يَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا تَحْتَمُودًا﴾(١) [الإسراء: ٧٩] وهي الشفاعة وكل عسى في القرآن فهي واجبة "(٢)، وقال محمد بن إسحاق بن يسار كَظُلُّهُ: وعسى من الله حق "(٣).

فصل

قال محمد تقى الدين: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ الآية دليل على أن كل مسجد بني لله تعالى لا يجوز لمشرك أن يدخله ولا أن يتعبد فيه بعبادته الشركية التي يقول فيها: يا رسول الله أعطني، ويستغيث بالمخلوقين، وكذلك المبتدع الذي يعمرها بالمكاء والتصدية، وهو الخوار الذي يفعله أصحاب الطرائق كخوار البقر(٤)، أصوات قبيحة لا معنى لها في أي لغة، ويسمون ذلك زوراً وبهتاناً ذكر الله، ومعاذ الله أن يكون ذلك ذكر الله؛ لأن ذكر الله معلوم في كتب السنة، مطابق لفعل الرسول على والصحابة والتابعين، وصدق من سمى ذلك مكاء وتصدية وتشبها بأهل الجاهلية، فهل فعله رسول الله على أو الصحابة أو التابعون أو الأثمة المجتهدون؟ حشاهم من ذلك، وما أحسن قول شاعر مصلح:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك إذ غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا ارتعاش كأن قد صرت مجنونا بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الحقُّ والقرآنَ واللِّينا وأن تُرى خاشعاً لله مكتئباً على ذُنوبك طول الدَّهر محزونا

⁽١) بعدها في مطبوع التفسير ابن كثير»: القول: إن ربك سيبعثك مقاماً محموداً».

⁽٢) أخرجه أبن جرير (١١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٦٦) وعزاه في «الدر» (٣/ ٢١٦) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ، وهو في «صحيفة على بن أبي طلحة» (رقم ٥٦٠).

⁽۳) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱۸۸/۷، ۱٦۰).

⁽٤) يعجبني كلام للإمام القرطبي، ذكر في «تفسيره» (٧/ ٣٦٦) في أوائل سورة الأنفال عند قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا تُذِكِّرُ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم ﴾ [الأنفال: ٢]، قال: «فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام، والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير».

وقال آخر(١):

يا عصبة ما ضرَّ أمة أحمد وسعى على إفسادها إلّا هيْ طارٌ ومنزمارٌ ونغمة شادنٍ أرأيتَ قطُّ عبادةً بملاو

وكذلك المبتدعة الذين يجلسون حلقة في المسجد، ويذكرون الله بذكر مشروع، ولكنهم يذكرونه بلسان واحد أو بمقدّم يؤمّهم في ذلك الذكر، وهم يقتدون به، فقد روى ابن وضاح في كتاب «البدع» ـ ونقله الشاطبي في «الاعتصام» (۲) ـ عن عبد الله بن مسعود شه أنه بلغه أن ناساً يجتمعون في مسجد الكوفة حلقة وبين أيديهم الحصى، فيقول أحدهم: سبحوا مائة فيسبحون، ثم يقول: هللوا مائة فيهللون، ثم يقول: كبروا مائة فيكبرون، فلبس البرنس وانطلق عتى جلس إليهم ورأى بعينه صنيعهم، فقال: «والله لقد فُقتم أصحاب محمد علماً، أو جئتم ببدعة ظلماً» فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ما فُقنا أصحاب محمد عمم مسعود: بلى والذي نفس ابن مسعود بيده، لقد فُقتم أصحاب محمد علماً أو جئتم ببدعة ظلماً». ثم طردهم من المسجد فذهبوا وبنوا مسجداً بظاهر الكوفة، وأخذوا يصنعون فيه ذلك الصنيع، فبلغ ابن مسعود غيرهم فأمر بهدمه فهدم، وتفرقوا» (۳). اهد.

⁽۱) البيتان في «تاريخ الإسلام» (۱۶/۵۲۵، ط. دار الغرب) من غير نسبة هكذا: دفٌّ ومـزمـار ونـغُـمـةُ شـادنِ فـمـتـى رأيـتَ عـبـادةً بـمـلاهـي يا فـرقـة ما ضـرَّ ديـن مـحـمـدِ وسـطـا عـلـيـه ومـلّـه إلا هـي (۲) (۲/ ۳۲۶ ـ بتحقيقي).

⁽٣) أخرجه ابن وضاح في «البدع» رقم (١٧) من طريق عبيد الله بن عمر عن سيَّار أبي الحكم عن ابن مسعود أنه حُدُّث أن أناساً... (فذكره).

قلت: وسنده ضعيف؛ منقطع بين سيار وابن مسعود. وله طرق أخرى عن ابن مسعود: الأولى: الربيع بن صُبَيح عن عبد الواحد بن صبرة عنه.

أخرجها ابن وضاح في «البدع» رقم (٩).

وسندها ضعيف من أجل الربيع وشيخه؛ فالأول صدوق سيئ الحفظ كما في «التقريب» (١٨٩٥)، أما الثاني فأورده البخاري في «تاريخه» وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٢)، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

الثانية: عطاء بن السائب عن أبي البختري عنه به.

أخرجها عبد الرزاق في «المصنف» (٥٤٠٩)، وعبد الله بن أحمد في «زوائده على الزهد» =



فهؤلاء ذكروا الله بذكر مفهوم المعنى مشروع، ولكن زادوا عليه هيئة الاجتماع في وقت معلوم والمقدَّم الذي يرشدهم، فصار ذلك بدعة إضافية، وأصحابها داخلون في الوعيد، وهي شر من المعاصي؛ لأن المعاصي يعرف فاعلها أنها معاص، ولا يعتقد أنها قربة إلى الله، فيرجى أن يتوب منها، بخلاف

وعطاء صدوق اختلط، ولكن الراوي عنه عند الطبراني حماد بن سلمة، وسماعه منه قبل اختلاطه، كما في «الكواكب النيرات» (ص٦٣)، وشيخه لم يسمع من ابن مسعود. وانظر: «تهذيب الكمال» (٣٢/١١)، و«مجمع الزوائد» (١٨١/١)، فالإسناد ضعيف، إلا أنا البختري توبع، تابعه أبو عبد الرحمٰن السلمي عند الطبراني رقم (٨٦٣٣)، فصح الإسناد.

الثالثة: عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه عنه به. أخرجها الدارمي في «السنن» رقم (٢١٠)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص١٩٨ _ ١٩٩) بمعناه.

وسندها ضعيف؛ يحيى بن عمرو بن سلمة ذكره البخاري في «التاريخ (٨/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٧٦/٩)، ولم يذكرا فيه شيئاً، وروى عنه جماعة من الثقات، وظن شيخنا الألباني - رحمه الله - أن عمرو بن يحيى هو ابن عمارة بن أبي الحسن!! ولذا قال في «الرد على التعقب الحثيث» (ص٤٥، ٤٧) ما نصه: «وإسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال البخاري في «صحيحه» غير عمارة، وهو ثقة»!! والصواب ما ذكرناه، وقد وقع مصرحاً به عند بحشل، وكذا الراوي عنه عند الدارمي وهو شيخه الحكم بن المبارك، كما في «تهذيب الكمال» (٧/ ١٣٢).

الرابعة: حماد بن زيد عن مجالد بن سعيد عن عمرو بن سلمة به.

أخرجها الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٦/٩) رقم (٨٦٣٦)، قال الهيثمي في «المجمع» (١/١٨١): «فيه مجالد بن سعيد، وثقه النسائي، وضعفه البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى».

الخامسة: سفيان بن عيينة عن بيان عن قيس بن أبي حازم عنه.

أخرجها عبد الرزاق في «المصنف» (٥٤٠٨)، ومن طريقه الطبراني في «الكبير» رقم (٨٦٢٩)، برجال ثقات، وصححها الهيثمي في «المجمع» (١/١٨١).

السادسة: سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عبد الله بن هانئ به.

أخرجها الطبراني في «الكبير» رقم (٨٦٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٤٨)، وسندها حسن.

وله طرق أخرى، عند الطبراني رقم (٨٦٣٧ ـ ٨٦٣٩) وبالجملة، فالأثر ثابت صحيح، بمجموع هذه الطرق.

^{= (}ص٣٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» رقم (٨٦٣٠ ـ ٨٦٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

البدعة فإن صاحبها لاعتقاده أنها قربة لا يتوب منها، وكذلك النفر الذين جاؤوا إلى أزواج رسول الله على فسألوهن عن عبادته، فأخبرنهم بها فكأنهم تقالوها، فقال أحدهم: «لسنا مثل رسول الله على فإن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أما أنا فأصوم أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم الليل أبداً ولا أنام، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء، فلما سمع بذلك النبي على قال لهم: «أنتم الذين قلتم ما قلتم؟» قالوا: نعم، فقال رسول الله على: «أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١).

وكذلك المغاربة الذين يقرؤون القرآن جماعة بلسان واحد بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة المغرب يقرؤون القرآن جماعة بصوت واحد نصف جزء من القرآن ويسمونه حزباً، يفتح القراءة لهم الإمام ثم بعد ذلك يختمون ذلك بأدعية ينطقون بها بلسان واحد^(٢)، كما يفعل اليهود والنصارى في كنائسهم، ومنهم أخذ المغاربة هذه العادة السيئة لم يسبق إليها سابق، ولا لحقهم فيها لاحق، ومن العجب أنهم كلهم يتركون سنة المغرب البعدية والقبلية، أما البعدية فيفعلون بدلها تلك البدعة^(٣) وأما القبلية فيزعمون أنها مكروهة.

وحقيقة المكروه هو ما نهى الله أو نهى رسوله ﷺ عنه نهياً مخففاً، بحيث إذا ترك يكون في تركه أجر وإذا فعل لا يكون في فعله عقاب، فنقول لهم: يا لله العجب! متى نهى الله أو رسوله ﷺ عن صلاة ركعتين قبل المغرب أي بعد أذان المغرب وقبل صلاتها؟ هل تستطيعون أن تجدوا في ذلك آية أو حديثاً ولو ضعيفاً؟ لن تجدوا ذلك أبداً، بل الموجود الصحيح ما رواه البخاري في "صحيحه" عن

⁽١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس.

⁽٢) وهكذا يفعل أتباع الشيخ حسن البنا لما يقرأون كتابه «المأثورات»، ولا سيما في المسجد في رمضان قبيل الإفطار.

⁽٣) يريد صلاة ست ركعات التي يسميها العوام (صلاة الأوابين)! وصلاة الأوابين على التحقيق هي صلاة الضحى، وانظر للتفصيل كتابي: «القول المبين في أخطاء المصلين» (ص٤٥٤ _ ٥٥٥، ط. الأولى).

⁽٤) نشر المصنف في مجلته «لسان الدين» السنة الرابعة، الجزء الثالث، جمادى الأولى عام ١٣٦٩هـ مارس سنة ١٩٥٠ (ص٩ ـ ١٠) مقالة لتلميذه العلامة محمد بو خبزة ـ وهو شيخنا بالإجازة ـ بعنوان «صلوا قبل المغرب ركعتين».

⁽ه) برقم (۱۱۸۳).



عبد الله المزني أن رسول الله على قال: «صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب صلوا قبل الحديث منهم صلوا قبل المغرب» وقال في الثالثة: «لمن شاء» وجميع أهل الحديث منهم الشافعي وأحمد يقولون إن هذه الصلاة سنة وهذه السنة معمول بها في الحرمين الشريفين، وفي جميع المساجد التي يعمل فيها بالسنة، ويضرب بالرأي عرض الحائط.

والذين يسمون فقهاء عند المغاربة _ أعني: غلاتهم _ إذا ذكرت لهم حديث رسول الله على يغضبون ويصرون على باطلهم، ويقولون: هذا العمل فعله فلان وفلان، وهما أفضل منك وأعلم بالسنة، وأمثال هذا من أقوالهم الباطلة، وإذا شئت أن تلزمهم وتلقمهم حجراً في مسألة القراءة جماعة بصوت واحد، فاقرأ عليهم ما كتبه المواق في «شرحه لمختصر خليل»، عند قوله: «وجهر بها في مسجد [وقراءة بتلحين](۱) كجماعة، [وجلوس لها لا لتعليم](۱)، وأقيم القارئ في المسجد يوم خميس أو غيره (۱) فمثل هذا النقل يخرسهم، أما الكتاب والسنة فلا يرفعون بهما رأساً، وكذلك قول مالك كالله (۱) إذا خالف عادتهم لا يقبلونه بل يروغون روغان الثعلب، فسأل الله العافية.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَخْشُ إِلَّا اللّهُ ﴾؛ يعني: إن الذين هم أولياء الله ويحق لهم أن يعمروا مساجد الله هم الذين يوخدون الله في عبادته ولا يخافون إلا الله، واعلم أن الخوف قسمان، بل نوعان: نوع طبيعي فطر عليه الإنسان، كالخوف من العدو والخوف من السراق والخوف من الأسد، والخوف من الهزيمة في الحرب، والخوف من السراق واللصوص، فهذا الخوف ليس شركاً، كما قال تعالى في سورة طه: ﴿ فَأَوْجَسَ فِ وَاللَّهِ مِنْ فَي اللَّهُ اللهُ عَنَفُ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ والخوف الذي هو شرك يتنافى مع التوحيد، هو الخوف بالغيب، كالذي يريد أن والخوف الذي هو شرك يتنافى مع التوحيد، هو الخوف بالغيب، كالذي يريد أن يدخل بلداً، فيخاف ما يسمى بالأولياء الأموات أو الأحياء إذا لم يخضع لهم أن يصيبوه بمصيبة، فيستأذنهم ويخضع لهم، ويسألهم الضيافة وهم أموات أو غائبون.

⁽١) سقط من الأصل، وأثبته من «مختصر خليل» (ص٣٦).

⁽٢) انظر: «مختصر خليل» (ص٣٦)، وكلام المواق ـ وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري (ت٨٩٧هـ) ـ في كتابه «التاج والإكليل» (٢/ ٦٣)، وسيورده المصنف بطوله في (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، فراجعه هناك، تولى الله هداك.

⁽٣) بدل «رحمه الله» في الأصل: رمز (ج) ولعل صوابه (ح).

ويحسن أن أحكي هنا حكاية لتوضيح المقام: كان العالم السلفي المشهور عبد الله السنوسي نزيل مدينة طنجة له خادم يرافقه، فسافر من طنجة إلى العرائش، وهي مدينة في المغرب على شاطئ البحر المحيط، فلما أراد دخول هذه المدينة، قال خادمه: أسأل الضيافة من الله ومن سيدتنا منانة _ ومنانة هذه: امرأة ميتة بنيت على قبرها قبة يعبدها الجهال - فسكت الشيخ ولم ينكر عليه قوله، وكانت عادة الشيخ أن ينزل عند بعض المحبين، فيجتمع عليه الناس للاستفادة من علمه، وينطلق خادمه إلى مشرب من مشارب القهوة والشاي، وهو ما يسمى «بالقهوة» فيمكث هناك إلى أن يمضي أول الليل، ثم يرجع إلى البيت الذي نزل فيه الشيخ فيجد عشاءه محفوظاً له فيأكله وينام، ولما رجع تلك الليلة جلس ينتظر أن يقدم له عشاؤه كالعادة فلم يقدم له شيء، وكان الشيخ قد أخبر أهل ذلك البيت أن خادمه استضاف شخصاً آخر، وأمرهم أن لا يتركوا له طعاماً، فلما طال انتظاره، قال له الشيخ: كيف كان عشاؤك عند منانة؟ فقال له: يا سيدي ما تعشيت، فقال الشيخ: سبحان الله! كيف تركتُكَ منانة بلا عشاء وأنت ضيفها؟! فاذهب إلى فراشك فليس لك هنا عشاء، وكان ذلك عقاباً له وعبرة لغيره، وعادة عامة المغاربة أن يطلبوا الضيافة كما تقدم من رجال البلد، ويقصدون بذلك الأموات الذين بنيت على قبورهم قباب.

ولما بدأتُ الدعوة إلى الله في المغرب سنة ١٣٨٠هـ علَّمتُ مَنِ استجاب لدعوتي طلب الضيافة من الله بالدعاء الذي كان يدعو به النبي على إذا أقبل على بلد، وهو: «اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن، ورب البحار وما جرين، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها، اللهم حببنا إلى أهلها، وحبب صالحي أهلها إلينا»(۱).

⁽۱) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٤٣، ٥٤٤)، وابن خزيمة (٢٥٦٥)، وابن حبان (٢٧٠٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٢٥)، والطبراني (٢٢٩٩)، والحاكم (٢٠٠١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٢٥)، والطبراني وإسناده حسن. وقال شيخنا الألباني في «الكلم الطيب» (ص١٤٨) بعدما ذكر أن ابن حبان والحاكم أخرجاه وصححاه، قال: «ووافقهما الذهبي، وفيه نظر لأن مداره عندهم جميعاً على أبي مروان والد عطاء، أورده الذهبي في «الميزان» وقال: «قال النسائي: ليس بالمعروف» ومن ادعى أن له صحبة فليس له حجة إلّا أخبار كلها من رواية الواقدي وهو متروك... =



أمولاي يا إدريس يا ابن نبينا وملجاً هذا القطر في العُسر واليُسرِ تكنَّفنا الأسدُ الضّراةُ وإنَّنا على خَطَرٍ إنْ لم تُغِثْنا على الفورِ

أراد هذا المشرك المجنون، أن يقوم إدريس من قبره، أو تأتي روحه فتقاتل الجيش الفرنسي، وتصده عن مدينة فاس، أما هو فيجلس رابضاً كالثور المريض في يده سبحة يعدُّ حباتها ويأكل ويشرب، فلم يغثه إدريس بل دخل الفرنسيون مدينة فاس، ثم فتحوا بلاد المغرب بلداً بلداً إلى أن استولوا عليها كلَّها، ومكثوا يحكمونها بالحديد والنار ثلاثاً وأربعين سنة، إلى أن تصدى لهم الملك محمد بن يوسف بن الحسن وابنه الملك الحسن بن محمد، رحم الله الوالد وأطال عمر الحسن ابنه ووفقه للخير وأعانه عليه ونصره على أعداء الإسلام، هذان رجلان

⁼ ثم قال: ثم وجدت للحديث طريقاً أخرى عن صهيب بسند صحيح، وشاهداً من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر، وآخر من أمره بهذا الدعاء وقد خرجت ذلك في «الصحيحة» (۲۷۹۹)». وانظر: «التعليقات الحسان» (۲۳۸/۶) رقم (۲۲۹۸)، «مجمع الزوائد» (۱۳۵/۱۰).



قاما في وجه الفرنسيين مع كثرة جيوشهم وجيوش مستعمراتهم قالا لهم: نحن لا نرضى بالاستعباد، فإما حياة عزِّ وإما موت شريف، كما قال المتنبي (١):

عِشْ عَزِيزاً أو مُتْ وأنتَ شريف^(۲) بين طَعْنِ القَنا وخَفْقِ البُنودِ^(۳) لَا كما قد حييتَ غيرَ حميدٍ وإذا مُتَّ مُتَّ غير فقيدِ⁽³⁾

فبارك الله في ثورتهما وكانت سبباً في استيقاظ أهل المغرب من سباتهم، وشرعوا في الجهاد والنضال حتى طهروا بلادهم من استعباد الأجانب بعدما حكم الفرنسيون بلادهم ثلاثاً وأربعين سنة، والفضل لله، ثم لثورة الملكين المذكورين، لا لاستعانة المشركين بأهل القبور، والعجب من ذلك الشاعر البارع الذي يقول إن إدريس كِلله ملجأ القطر المغربي في العسر واليسر، والمسلمون لا ملجأ لهم إلا الله، قال تعالى في سورة التوبة في وصف الثلاثة الذين خلفوا، أي: أخَّر قبول توبتهم: ﴿وَظُنُّوا أَن لا ملجاً مِن الله إلا الله الله الناه قبل النوم وهو الله النوم وهو الله المحيح (١١٥) وقال النبي في الدعاء الذي يقال قبل النوم وهو في «الصحيح» (١١٥): «اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا اليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت».

فقد اتخذ ذلك الجهول إدريس شريكاً مع الله وحاشا لأهل المغرب أن يوافقوه على شركه وجهله، فإن منهم من يوحِّد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً وإن كانوا اليوم قليلاً، فنرجو الله أن يكثرهم، وكيف يلجؤون إلى غير الله وهم

⁽۱) في «ديوانه» (۱/ ۱۳۳، ۱۳۴ ـ شرح الواحدي)، وهما ضمن قصيدة قالها في صباه وبينهما فيه بيت آخر.

⁽٢) في «الديوان»: «كريم».

⁽٣) جمع (بند)، وهو العَلَم الكبير، يقول: إما أن تعيش عزيزاً ممتنعاً من الأعداء، أو تموت في الحرب موت الكرام؛ لأن القتل في إكرام يدل على شجاعة الرجل، وكرم خلقه، وهو خير من العيش في الذل، قاله الواحدي.

⁽٤) يخاطب نفسه، فيقول: عش عزيزاً، أو مت في الحرب حميداً، ولا تكن كما عشت إلى هذا الوقت غير محمود فيما بين الناس، وإذا مت على فراشك في هذا الوقت مت غير مفقود؛ لأن الناس يجدون مثلك، فيستغنون عنك، ولا يبالون بموتك، فلا يذكرونك بعد موتك، قاله الواحدى.

⁽٥) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب.



يقرؤون قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ لِذَا دَعَاهُ وَيَكْثِنُ ٱلسُّوٓهَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَكَآءَ ٱلأَرْضُ أَءِلَكُ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا لَذَكَّرُونَ ۞﴾ [الـنـمـل: ٦٢]؟ ومـا أحسن قول مَن قال(١):

> يا مَنْ يرى ما في الضَّمِير ويسمعُ يا مَنْ خزائنُ رزقِه في قولِ كُنْ

أنتَ المُعَدُّ لكلِّ ما يتوقَّعُ يا مَنْ يُرجى للشّدائد كلِّها يا مَنْ إليه المُشْتَكي والمَفزَعُ أُمْنُنْ فإنَّ الخيرَ عندكَ أجمعُ

هكذا ينبغي للمؤمن الموحِّد أن يقول وبالله يصول ويجول، ومن دواعي الأسف أن معنى الآية قد انعكس في هذا الزمان فصار الجهال والمشركون والمبتدعون يقولون بلسان حالهم وقالهم: إنما يعمر مساجد الله من أشرك بالله وخالف سنة رسول الله وابتدع في دين الله، فالدعوة إلى توحيد الله واتباع سنة رسول الله على ممنوعة في المساجد في المغرب والجزائر، إلا بإذن من حاكم البلد، وكم من شاب وكهل من الصالحين الدعاة إلى الله منع منها!!

وفي هذه الأيام كتب إلى أحد تلامذتي وهو عبد الواحد بادو، يقول: إنه فضل أن يكون معلماً في قرية ليبعد عما في المدن من الفجور، فصار معلماً في قرية بقرب مدينة الحاجب، وأخذ يلقي دروساً في مسجد القرية يعلم الناس فيها توحيد الله، فمنعه أمير القرية الذي يسمونه القائد، فجاءه العزل عقاباً من الله له لمنعه مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعيه في خرابها يترك الناس في البدع والشرك، قال: فلما عزل عدت إلى الوعظ في المسجد فمنعني نائب الأمير الذي يسمى عندهم الخليفة، فكتب إليه: اختر دكان واحد من الذين استجابوا لك واجعله مكاناً للدعوة، واقصد الأسواق مع بعض إخوانك ودور القهوة واتخذها مكاناً للدعوة، ولو أن أولئك الحكام يراقبون الداعي فإذا رأوه يدعو إلى فتنة أو ثورة منعوه، وإذا رأوه يدعو إلى توحيد الله واتباع سنة رسول الله على أعانوه ونصروه أو على الأقل كفوه شرهم فلا يناله منهم خير ولا شر، لعذرناهم ولكنهم يتركون اللجاجلة يسرحون ويمرحون وينشرون الشرك والبدع، ولا يتعرضون لهم

⁽۱) هما لأبي القاسم السُّهيلي (ت٨٥هـ)، أوردهما ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٢٠، طُّ. دار أبي حيان) وأربعة أبيات أُخرى، وقال: ﴿وله قَصيدة كان يدعو الله بها، ويرتجى الإجابة فيها». ونعتها صلاح الدين الصفدي في «الوافي بالوفيات» (١٠٢/١٨) بـ«الأبيات المشهورة».



بسوء، وإنما يمنعون دعاة التوحيد والسنة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

🔀 الباب الرابع 🗟

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسُّ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمُشْرِكُونَ نَجَسُّ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ حَكِيمٌ اللهِ التوبة: ٢٨] التوبة: ٢٨]

قال (ك): «أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين النين هم نجس ديناً عن المسجد الحرام أن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية، وكان نزولها في سنة تسع، ولهذا بعث رسول الله على علياً صحبة أبي بكر شه عامئذ وأمره أن ينادي في المشركين: «أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عربان» (۱). فأتم الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً، وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي، كتب عمر بن عبد العزيز: أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين وأتبع نهيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (٢) الآية (٢).

قال محمد تقي الدين: هذا قول عمر بن عبد العزيز كَالله وهو من رأيه واجتهاده وكذلك يقول المالكية: لا يجوز أن يدخل الكافر المسجد ولو أذن له المسلمون، وفي ذلك نظر، قال البخاري⁽²⁾ بسنده إلى أبي هريرة عليه قال: «بعث النبي عليه خيلاً قِبَل نَجْدٍ، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثُمَامَة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي عليه فقال: «أطلقوا ثمامة». فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال:

⁽١) سبق تخريجه.

⁽٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥١٢/٦)، والبيهقي (١٠٣/١٠) من طريقين عن عمر بن عبد العزيز بمعناه، وأخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٣٩٨/١١)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور"، وعزاه إلى أبي الشيخ.

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٧٣ _ ١٧٤).

⁽٤) أخرجه البخاري (٤٦٢، ٤٦٩، ٢٤٢٢، ٣٤٢٣، ٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤) بوب عليه البخاري برقم (٤٦٢): (باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد) _ واللفظ المذكور لفظه _ وأعاده مختصراً شديداً برقم (٤٦٩)، وبوب عليه: (باب دخول المشرك المسجد)، وأعاده مختصراً برقم (٢٤٢٢) في كتاب الخصومات، وبوب عليه. (باب الربط والحبس في الحرم). التوثق ممن تخشى معرَّتُه وبرقم (٢٤٢٣)، وبوب عليه، (باب الربط والحبس في الحرم).



أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، هكذا ذكره البخاري في أحكام المساجد مختصراً (١)، وأخرجه في كتاب المغازي مطولاً، تحت ترجمة (باب وفد بني حنيفة وحديث ثُمامَة بن أثال)، قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يُقال له: ثُمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما(٢) عندك يا ثمامة؟»، فقال: عندي خير يا محمد، إِنْ تَقْتُلْني تَقْتُلُ ذا دم، وإِنْ تُنْعِم تُنْعِم على شاكر، وإِنْ كُنتَ تريد المال فَسَلْ منه ما شئت، فترك حتى كان الغَد ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة؟»، فقال: ما قلتُ لك: إنْ تُنْعِم تُنْعِمْ على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغَد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلتُ لك. فقال: «أَطْلِقُوا ثمامة» فانطلق إلى نخلِ قريبٍ من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهُك أحبُّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دينِ أبغضَ إليَّ من دينك، فأصبح دينُك أحبُّ الدِّين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغضَ إليَّ من بلدِك، فأصبح بلدُك أحبُّ البلاد إليَّ، وإنَّ خَيلكَ أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله علي وأمرَه أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل: صبأت، قال: لا والله ولكنْ أسلمتُ مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطةٍ حتى يأذن فيها النبيُّ ﷺ.

قال الصنعاني في «سبل السلام على بلوغ المرام» ما نصه: «وفيه دليل على جواز ربط الأسير بالمسجد وإن كان كافراً، وإن هذا [تخصيص] (٣) لقوله علي: «إن المسجد لذكر الله والطاعة» (٤)، وقد أنزل وفد ثقيف في المسجد أن قال

⁽١) برقم (٤٣٧٢) وهو عند مسلم (١٧٦٤).

⁽٢) كذا في «صحيح البخاري»، وفي الأصل: «ماذا»!

⁽٣) في مطبوع «السبل»: «مخصص».

⁽٤) أخرجه مسلم (٢٨٥) من حديث أنس بنحوه.

⁽٥) أخرجه أحمد (٢١٨/٤)، وأبو داود (٣٠٢٦)، والطيالسي (٩٣٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٩٧)، وابن خزيمة (١٣٢٨) من حديث عثمان بن أبي العاص، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو من رواية الحسن عن عثمان، وفي سماعه منه نظر، وانظر: «طبقات ابن سعد» (١/٢١٦ ـ ٣١٣)، «الضعيفة» رقم (٣١٩٤)، «زاد المعاد» (٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠٠).



الخطابي (١): فيه جواز دخول المشرك إذا كان له فيه حاجة مثل أن يكون له غريم في المسجد لا يخرج إليه، ومثل أن يحاكم إلى قاض هو في المسجد، وقد كان الكفار يدخلون مسجده على ويطيلون فيه الجلوس، وقد أخرج أبو داود (٢) من حديث أبي هريرة أن اليهود أتوا النبي على وهو في المسجد.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ فالمراد به لا يمكنون من حج ولا عمرة كما ورد في القصة التي بعث لأجلها ﷺ بآيات براءة إلى مكة، وقوله: «فلا يحجن بعد هذا العام مشرك» (٣). وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلّا خَآبِفِينَ ﴾ [البقرة: ١١٤] لا يتم بها دليل على [تحريم المساجد على] (٤) المشركين؛ لأنها نزلت في حق من استولى عليها وكانت له [القوة] والمنعة كما وقع في سبب نزول الآية الكريمة، فإنها نزلت في شأن النصارى واستيلائهم على بيت المقدس، وإلقاء الأذى فيه والأزبال (٢)، أو أنها نزلت في شأن قريش ومنعهم له على عام الحديبية عن العمرة (٧) وأما دخوله من غير استيلاء ومنع وتخريب فلم تفده الآية الكريمة، وكأن المصنف ساقه لبيان جواز دخول المشرك المسجد، وهو مذهب إمامه فيما عدا المسجد الحرام» (٨).

فصل

قال محمد تقي الدين: نجاسة المشركين معنوية، فقد روى الشيخان (٩) عن

⁽١) في «معالم السنن» (١/ ٢٤٤ _ مع «المختصر»).

⁽٢) أُخَرِجه في «سننه» (٤٨٨) ومن طريقه البيهقي (٢/ ٤٤٤) وإسناده ضعيف، فيه رجل من مزينة، وهو مجهول، وضعفه شيخنا الألباني، وانظر: «ضعيف سنن أبي داود» (١/ ١٦٩).

⁽٣) سبق تخريجه.

⁽٤) من «السبل» وسقط من الأصل.

⁽٥) في مطبوع «السبل»: «الحكمة».

⁽٦) ورد نحوه من مرسل ابن شهاب عند ابن المنذر، أفاده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٦٧).

⁽٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ رقم ١٠٠٢٢) بسند صحيح من مرسل قتادة، وعزاه في «الدر المنثور» (٤/ ١٦٤) لابن المنذر.

⁽٨) انظر: «سبل السلام» (٢/ ١٨٥ _ ١٨٦، ط. ابن الجوزي).

⁽٩) أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢) من حديث عمران بن حصين.



عمران بن حصين، أن النبي على وأصحابه توضؤوا من مزادة امرأة مشركة، وكذلك الخمر نجسة، اختلف العلماء في نجاستها، أهي حسية إذا أصابت ثوب رجل أو بدنه وجب عليه أن يغسلها أم نجاستها معنوية، وهي ما فيها من السكر الذي يذهب بالعقل وتنشأ عنه جرائم كثيرة؟ وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّمَا لَخَتْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَصَابُ وَٱلْأَرْالُمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشّيطنِ فَآجَتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ الْمَائِدة فَي الشّيطنِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْمِ اللهِ وَعَنِ الضّيطِنِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْمِ اللهِ وَعَنِ الضّيطنِ الشّيطنِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْمِ اللهِ وَعَنِ الصّافِقَ فَهَلَ أَنهُم مُنتَهُونَ اللهِ وَعَنِ الصّافِقَ فِي الْمَنْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْمِ اللهِ وَعَنِ الصّافِقَ فَهَلَ أَنهُم مُنتَهُونَ اللهِ المائدة: ٩٠ ـ ١٩].

فقد سمى الله تعالى الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجساً، الثلاثة المذكورة مع الخمر نجاستها معنوية بالاتفاق، فكذلك الخمر لأنه سبحانه علل تحريم هذه الأشياء الأربعة بقوله: ﴿إِنَّهَا يُربِيدُ الشَّيطُنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَذَوَةَ وَالْبَغْسَلَة فِي الشَّيطُنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَذَوَةَ وَالْبَغْسَلَة فِي الشَّيطُنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَذَوَةَ وَالْبَغْسَاء فِي الصَّائِقَ السَّائِقَ المائدة: [9] فالخمر والميسر تعاطيهما تنشأ عنه العداوة والبغضاء والتشاجر والتقاتل، والأنصاب شرك، والأزلام طلب لمعرفة الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، فسبب نجاسة المشركين هو الشرك، فلا يجوز لهم دخول مكة ولا ينبغي أن يعمروا المساجد مع شركهم كما تقدم في الباب الذي قبل هذا.

🖂 الباب الخامس 送

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْبَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللّهِ وَقَالَتِ ٱلنّصَرَى ٱلْمَسِيحُ ابْنُ ٱللّهِ ذَالِكَ فَوْلَهُم بِأَفْرَهِ لِمِنْ أَلْهِ فَالَا الّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَدَالُهُمُ ٱللّهُ أَنّ يُؤْفَكُونَ ﴿ ٱلّمَّكُونَ ﴿ ٱلْمَكُنُوا الْجَبَارَهُمْ وَرُهُبَعَهُمْ وَرُهُبَعَهُمْ وَرُهُبَعَهُمْ وَرُهُبَعَهُمْ وَرُهُبَعَهُمْ وَرُهُبَعَهُمْ وَرُهُبَعَهُمْ وَرُهُبَعَهُمْ وَرَهُ اللّهِ وَالْمَسِيحَ آبْنَ مَرْيَهُمْ وَمَا أَمِرُوا إِلّا لِيعَبُدُوا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ آبْنَ مَرْيهُمْ وَمَا أَمِرُوا إِلّا لِيعَبُدُوا إِلَا لِيعَبُدُوا اللّهُ إِلّا هُو سُبْحَنهُ عَكَمًا يُشُوكُونَ اللهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ الللللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللهُ اللللّهُ اللللهُ اللّهُ الللّهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ اللللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ

قال (ك): «هذه مقالة شنيعة وفرية عظيمة على الله تعالى، فأما اليهود فقالوا في العزير: إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأما ضلال النصارى في



المسيح، فظاهر، ولهذا كذّب الله الطائفتين، فقال: ﴿ ذَالِكَ قُولُهُم بِأَفْرَهِمِ مِّ اللهُ المسيح، فظاهر، ولهذا كذّب الله الطائفتين، فقال: ﴿ ذَالِكَ قُولُهُم بِأَفْرَهِمِ مِنَ اللهُم واختلاقهم (' ﴿ يُفَكِهُونَ ﴾ أي: يشابهون ﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: من قبلهم من الأمم ضلوا كما ضل هؤلاء، ﴿ قَلَنَا لَهُ هُ اللّهُ ﴾ قال ابن عباس: لعنهم الله، ﴿ أَنَّ لَيُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل.

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «واختلافهم» بالفاء!

⁽٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وابن جرير في الفسيره (٤١٧/١١) والحديث حسن بطرقه المتعددة، وقد سبق تخريجه مفصلاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» ومصادر التخريج، وفي الأصل: «أيضرك»!

٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» ومصادر التخريج، وفي الأصل: «يضرك».

⁽٥) أخرجه الترمذي (١٩٥٣)، وأحمد (٣٧٨/٤)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (١/ ١٠٤ ط. الخلفاء)، وابن أبي حاتم (٤٠، ٤١)، وابن جرير (١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٠٧، ٢٠٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٠ (٢٠٠ ، ٢٠٠)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١١١/١٤) والحديث حسن (١٧/رقم ٢٣٦، ٢٣٧)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١١١/١٤) والحديث حسن بمجموع طرقه وشواهده، وحسنه شيخنا الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ، وتقدم تخريجه =



وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير: ﴿اتَّهَا أَخْبَارُهُمْ وَرُهُبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ ﴿ إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا (')، وقال السدي: «استنصحوا الرجال [ونبذوا] كتاب الله وراء ظهورهم»، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا إِلَنهًا وَحِدًا ﴾ أي: الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ، ﴿لّا إِلَنهَ إِلّا هُو سُبْحَننُهُ عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد، والأولاد، لا إله إلا هو ولا ربسواه.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِعُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْرَهِمِ مُ الآية، يقول تعالى: يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿ أَن يُطْفِعُوا نُورَ ٱللَّهِ ﴾، أي: ما بعث به

وتابع الأعمش: العَوَّامُ بن حوشب، أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٥/٥) رقم ١٦٦٣٠)، وابن جرير (١١١/١٤ رقم ١٦٦٣٠، ط. شاكر) وعطاء بن السائب، أخرجه ابن جرير (١١٣/١٤ رقم ١٦٦٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٥ رقم ١٣٩٤، ط. دار الكتب العلمية) من طريق سفيان عن عطاء به.

ورجاله ثقات لكنه منقطع، أبو البَخْتَري سعيد بن فيروز الطائي لم يسمع من حذيفة؛ قال ابن سعد في «طبقاته» (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٢): «وكان أبو البختري، كثير الحديث، يرسل حديثه، ويروي عن أصحاب رسول الله على ولم يسمع من كبير أحد، فما كان من حديثه سماعاً فهو حسن، وما كان عن فهو ضعيف». قلت: وأرسل عن حذيفة كما في «تهذيب الكمال» (٢/١١ - ٣٥)، وعزاه في «الدر» (٣/ ٢٣١) أيضاً للفريابي، وابن المنذر وأبي الشخ.

ورواه جماعة عن عطاء عن أبي البختري قوله، أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (٦/ ١٨٦٣)، وابن جرير (١١/١٤ ـ ٢١١) رقم (١٦٦٣٧)، وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ١٧٩ ـ ١٧٩) وإسناده حسن. وهو في «تفسير مجاهد» (ص٢٧٦) عن آدم بن أبي إياس عن ورقاء قوله.

⁼ والكلام على طرقه، والحمد لله وحده.

⁽۱) بهذا اللفظ ذكره ابن عبد البر في «الجامع» (رقم ۱۸۲۱)، وبنحوه رواه سفيان الثوري في «تفسيره» (۱۲۶ رقم ۳۳۳)، وعن عبد الرزاق (۲۷۲/۲)، والطبري (۸۱۰۱۰)، وابن أبي حاتم (۲/ ۱۷۸۶ رقم ۱۷۸۶)، وابن عبد البر (رقم ۱۸٦٤)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (۲/ ۲۷)، والبيهقي في «سننه» (۱۱۲/۱۰)، وفي «المدخل» (۲۰۸ و و ۲۰۸)، وابن عبد البر في «الجامع» (۱۸۲٤) من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة.

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وتركوا».

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى آرْسَلَ رَسُولُهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ فالهدى (''):
ما جاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصالح ('') والعلم النافع، ﴿وَدِينِ
ٱلْحَقِّ : هو الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى
ٱلدِّينِ كُلِهِ اللهُ عَلَى سائر الأديان كما ثبت في «الصحيح» ("") عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إِن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها» (ئ).

فصل

قال محمد تقي الدين: انظر إلى كرم النبي على ورحمته، وإنزال الناس منازلهم، لم يكتف عليه الصلاة والسلام بإطلاق سراح هذه الأميرة، بل أكرمها وأعطاها؛ لأنها ابنة رجل مشهور بالكرم، وهو: «حاتم الطائي»، يضرب به المثل في الجود، وكذلك أطلق رسول الله على من معها من الأسارى بدون فدية، فانطلقت إلى أخيها عدي، وأخبرته بما رأت من الأخلاق الكريمة، والشمائل العظيمة، فكان ذلك سبباً في إتيانه إلى النبي على وإسلامه، وفوزه بصحبة النبي على .

تلك السعادة إن تُلِمَّ بساحها فحط رحلك قد عوفيت من تعس وفي رواية: إن النبي على لما رأى الصليب في عنق عدي قال له: «ألق

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هو».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الصحيح».

⁽٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان.

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٧٨ _ ١٨٠).



عنك هذا الوثن، " فعلم بذلك أن كل شيء عبد من دون الله أو حمل للتبرك به فهو وثن، فالقباب التي يعبدها المشركون، والقبور التي تعبد والأشجار والمياه والأحجار كلها أوثان، وقد قال النبي على الله التبعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخلوا قبور أنبيائهم مساجد" (٢). رواه مالك في "الموطأ»، وإنما نهى رسول الله عن عن اتخاذ المساجد عند القبور، لعلمه أن تحري العبادة عندها يفضي إلى اتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله، كما هو مشاهد في هذا الزمان، ثم انظر إلى قول النبي على: "فذلك عبادتهم"، يعني: إن من جعل الحكم لشخص يحلل ويحرم برأيه، ولا يطالب بدليل من الكتاب والسنة، فقد عبده، قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" - وهو شرحه لخمسين حديثاً من جوامع الكلم -: "قال ابن هبيرة: "من مكايد الشيطان أن يقيم أوثاناً في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يتبين لأحدهم الحق، فيقول ليس عليه مذهبنا، تعظيماً لمقلًد وبفتح اللام عنده - قد قدمه على الحق، ""، انتهى،

فالتحليل والتحريم والإيجاب والاستحباب والكراهة إذا قيّدها المتعصّب بالمذهب، ولم يبال بمخالفة الدليل عن النبي على، فقد اتخذ ذلك المذهب وثناً معنوياً يعبده من دون الله؛ لأن المذهب مجموع آراء رجال المذهب، وليس بقبة ولا شجر ولا حجر، ولكن لما جعل معياراً للحكم صار وثناً معنوياً، يدرك بالعقل، وهكذا يقال فيمن أطاع حزبه في معصية الله تعالى، أو ترك الفرائض التي شرعها الله تعالى، فذلك الحزب وثن يعبده، والحاصل: أن الحكم لا يكون إلا لله، ومن جعله لغير الله فقد أشرك.

ومن أمثال ذلك أن أهل المغرب الذين ينتسبون إلى المذهب المالكي يذبحون الذئاب ويأكلونها؛ لأنهم يزعمون أن أكل كل ذي ناب من السباع _ كالكلب والذئب والثعلب والنمر والأسد _ وكل ذي مخلب من الطير _ كالغراب

⁽۱) أخرجه الترمذي (۳۰۹۵)، والطبراني في «الكبير» (۹۲/۱۷) رقم (۲۱۸، ۲۱۹)، وابن جرير في «تفسيره» (۸۱/۱۰) وقد ذكرت طرقه وخرجته فيما مضي، والحمد لله وحده.

⁽٢) سبق تخريجه.

⁽٣) لم أظفر به في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، ومررت به جميعاً، ونظرتُ في أكثر من طبعة! وظفرت بمقولة ابن هبيرة في كثير من كتب الأصول. انظر ـ على سبيل المثال ـ: «شرح الكوكب المنير» (٤/ ٥٧٦)، وانظر ـ لزاماً ـ حول هذه المقولة ما سيأتي (٣/ ١٦٧).



والصقر والنسر والحدأة من سباع الطير ـ فيه ثلاثة أقوال في المذهب، ينسبونها إلى مالك كلّله: الإباحة، والكراهة التنزيهية، والحرمة، ويرجّحون القول الثاني، وهو: «الكراهة» التنزيهية، ويزعمون أنه المشهور في المذهب المالكي^(۱)، فمن ترك أكل السباع المذكورة أثيب على تركه، ومن أكل لحومها فلا شيء عليه ولا يأثم، وقد روى مالك في «الموطأ» عن النبي على أنه قال: «كل ذي ناب من السباع حرام»^(۲)، وكيف يروي مالك هذا عن النبي على ثم يقول بالإباحة أو الكراهة التنزيهية؟ وهذا طعن في تمسك مالك بالسنة، والصحيح كما قاله ابن عبد البر: «إن مالكاً وسائر الأئمة يقولون بتحريم أكل لحوم السباع»^(۳)، قال ابن تيمية الجد في «منتقى الأخبار»^(٤) ما نصه:

- ١ عن أبي ثعلبة الخشني: إن رسول الله ﷺ قال: «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام» (٥) ، رواه الجماعة إلا البخاري وأبا داود.
- ٢ ـ وعن ابن عباس فله قال: «نهى رسول الله تله عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مِخْلَب من الطير» (١) ، رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي.
- ٣ وعن جابر قال: «حرم رسول الله ﷺ يعني: يوم خيبر لحوم حمر الأنسية، ولحوم البغال، وكل ذي ناب من السباع، وكل ذي مِخْلَب من الطير» (٧)، رواه أحمد والترمذي.

⁽١) انظر تفصيل المسألة في: «الإشراف» للقاضي عبد الوهاب (٣٧٨/٤) وتعليقي عليه.

⁽٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٩٦) باب، تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، والبخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢) كلهم من حديث أبي ثعلبة الخُشني.

⁽٣) انظر: «الاستذكار» (٥/١٢ه ـ ٥١٣، ٥١٥، ط. النداء).

⁽٤) (٢٤١/٢ ـ ٢٤٢، ط. ابن الجوزي، ٨/١١٦ ـ مع شرحه «النيل»).

⁽٥) أخرجه مالك (٢/ ٤٩٦)، ومسلم (١٩٣٣)، والنسائي (٧/ ٢٠٠) وابن ماجه (٣٢٣٣)، وأحمد (٢/ ٢٣٦) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ، وتقدم قريباً لفظ أبي ثعلبة.

 ⁽٦) أخرجه مسلم (١٩٣٤)، وأبو داود (٣٨٠٥)، والنسائي (٢٠٦/٧)، وابن ماجه (٣٢٣٤)،
 وأحمد (٢/٤٤٢، ٢٨٩، ٣٠٢).

⁽۷) أخرجه أحمد (۳۲۳/۳)، والترمذي (۱٤٧٨)، والطحاوي في «المشكل» (۳۰٦٤)، والطبراني في «الأوسط» (۳۷۰٤) من طريق عكرمة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن جابر.

وظاهر إسناده أنه حسن، إلا أن عكرمة يخطئ في أحاديث كثيرة عن يحيى، ولعل هذا منها.



٤ - وعن العِرباض بن سارية: "إن رسول الله ﷺ، حرَّم يوم خيبر كل ذي مِخْلب من الطير، ولحومَ الحُمُرِ الأهليَّة، والخَلِيسَة والمجَثَّمة» (١)، رواه أحمد والترمذي وزاد في رواية: قال أبو عاصم: المجثمة: أن ينصب الطير فيرمى، والخَلِيْسَة: الذئب أو السبع يدركه الرجل فيأخذ منه، يعني: الفريسة، فتموت في يده قبل أن يذكيها.

قال الشوكاني في "نيل الأوطار" (٢) بعد ذكر الأحاديث المتقدمة: "وذو الناب من السباع، كالأسد، والذئب، والنمر، والفيل، والقرد، وكل ما له ناب يتقوى به ويصطاد، قال في "النهاية" (٩) وهو: "ما يفترس الحيوان [ويأكل] (٤) قسراً كالأسد والنمر والذئب ونحوها»، وقال في "القاموس" (٥): "والسبع بضم الباء وفتحها، المفترس من الحيوان». انتهى.

وقول (ك): «والكافر الذي يستر الشيء ويغطيه»، ولذلك سمى الكافر بالله تعالى الجاحد بما جاءت به رسل الله: كافراً؛ لأنه ستر الحق وغطاه بجحوده، قال لبيد في «معلقته» (٦):

حتى إذا ألقتْ يَداً في كافر وأَجَنَّ عوراتِ البيوت ظَلامُها يريد بقوله: «ألقت يداً في كافر»: غروب الشمس فشبهها بإنسان وأثبت لها يداً، على طريق الاستعارة وجعل غروبها إلقاء يدها في الكافر وهو الليل، وقال للد(٧) أيضاً:

⁼ ثم وجدتُ الترمذي يقول في «العلل الكبير» (ص٢٤١) بعد ذكره لهذا الحديث: «قال مخمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي على المخاري ـ عن هذا الحديث؟ فقال: حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أشبه، وعكرمة بن عمار يغلط الكثير في أحاديث يحيى بن أبي كثير».

⁽۱) أخرجه أحمد (١٢٧/٤)، والترمذي (١٤٧٤، ١٥٦٤) مقطعاً والطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٥١)، وفي «الأوسط» (٢٤٤٣) بسند رجاله ثقات، وفيه أم حبيبة بنت العرباض، لم يرو عنها غير وهب بن خالد الحمصي، ولذا قال الترمذي عنه: «حديث عرباض حديث فريب».

⁽٢) (٨/١١٧، ط. إحياء التراث). (٣) (٢/ ٣٣٧ ـ سبع).

⁽٤) في مطبوع النهاية «ويأكله قهراً و». (٥) (ص٩٣٨ ـ سبع).

⁽٦) (ص٥٨١ - «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات») لأبي بكر بن الأنباري، وفيه: «الثغور» بدل «البيوت».

⁽V) (ص٥٦٠ ـ «شرح القصائد السبع الطوال») وصدره: (يعلُو طريقةَ مَتْنها مُتواترٌ) =



في ليلةٍ كَفَر النَّجومَ ظلامُها وقال الشاعر(١):

لي فيك أجر مجاهد إنْ صحَّ أنَّ الليل كافِرْ»

₩ الباب السادس الج

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلُ لَّنَ يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَئِنَا وَعَلَى اللَّهِ لَنَا هُو مَوْلَئِنا وَعَلَى اللَّهِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١]

قال (ك): "يعلم الله تبارك وتعالى نبيه على الأعداء مما يسرّه ويسرّ أصحابه أصابه من حسنة ـ أي: فتح ونصر ـ وظفر على الأعداء مما يسرّه ويسرّ أصحابه ساءهم ذلك، ﴿وَإِن تُصِبّكُ مُصِيبَةٌ يَعُولُوا قَدَ أَخَذْنَا آمَرَنَا مِن قَبَـلُ ﴾ أي: قد احترزنا(٢) من قبل هذا ﴿وَيَكَوَلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ فأرشد الله تعالى رسول الله على إلى جوابهم في عداوتهم هذه التامة، فقال: ﴿قُلْ أي: لهم ﴿أَن يُصِيبَنَا إِلّا مَا صَنَبَ الله أَن يُولِينَا ﴾ أي: نحن تحت مشيئته (٣) وقدره، ﴿هُوَ مَوْلَئناً ﴾ أي: سيدنا وملجأنا، ﴿وَعَلَ اللهِ فَلْيَتُوكِلُ المُؤْمِنُونَ ﴾ أي: ونحن متوكلون عليه، [وهو](١) حسبنا ونعم الوكيل"(٥).

فصل

قال محمد تقي الدين: جاء في الحديث: «إن العلماء ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر» (٢). انتهى، فالعلماء يرثون الأنبياء في علمهم وعملهم وصبرهم، وتوكلهم

وفیه «غمامُها» بدل «ظلامها».

⁽۱) هو البهاء الزهير بن محمد المهلبي، والبيت في «ديوانه» (٦٤) وضمنه إبراهيم الجعبري في قصيدة بديعة طويلة له تراها في «نفحة الريحانة» (٣٦٩/٤).

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من متابعته».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «مشيئة الله».

⁽٤) من مطبوع «تفسير ابن كثير».(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢١٤).

⁽٦) أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، والدارمي (١/ ٩٨)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٤٢٩)، وابن حبان (٨٨)، والبزار (١٣٦ ـ زوائده)، والبغوي (١٢٩)، والبيهقي في «الآداب» (١١٨٨)،



واستعانتهم بالله على الأعداء، فكما أن المشركين والمنافقين كانوا يفرحون إذا أصابت النبي على وأصحابه أصابت النبي على وأصحابه سراء، فكذلك المشركون والمنافقون بعد زمانه عليه الصلاة والسلام، يعاملون ورثته المتبعين له، وينصبون لهم الحبائل، ويكيدون لهم المكايد، فإن أصاب الدعاة إلى كتاب الله وسنة رسول الله على شر فرحوا، وإن أصابهم فلاح ونجاح ساءهم ذلك وحزنوا، وهؤلاء الدعاة الحنفاء، نضر الله وجوههم، يقتدون بنبيهم، فيقولون لأعداء السنة وأعداء التوحيد: ﴿ لَن يُصِيبَنَا إِلّا ما كَنَبَ اللهُ لَنَا هُو مَوْلَىٰنَا ﴾ وناصرنا عليكم، ﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكِّلَى الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فنحن لا نتوكل إلا عليه ولا نستغيث إلا به وهو لا يضيع أحداً توكل عليه، وهذا واقع في كل زمان، نسأل الله أن يجعلنا من المخلصين في اتباع نبينا في العلم والعمل، ويرزقنا الصبر على ما يصيبنا، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

🔀 الباب السابع 🔫

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوَ حَانُوا أُولِي قُرُونَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيّنَ لَهُمْ أَنْهُمْ أَصْحَبُ ٱلْجُحِيدِ ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِنَّاهُ فَلَمَّا لَبَيْنَ كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَهِيمَ لِأَيْبِهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِنَّاهُ فَلَمَّا لَبَيْنَ لَهُم أَنْهُمْ عَدُونُ لِللَّهِ عَلَيْهُ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّي شَيْءٍ لِيُعْلِلُ فَوَمًا بَعْدَ إِذَ هَدَعُهُمْ حَتَى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَقُونَ إِنَّ ٱللّهَ بِكُلِّي شَيْءٍ لِيُعْلِلُ فَوَمًا بَعْدَ إِذَ هَدَعُهُمْ حَتَى يُبَيِينَ لَهُم مَّا يَتَقُونَ إِنَّ ٱللّهَ بِكُلِّي شَيْءٍ عَلِيمُ إِنَّ ٱلللّهَ بِكُلِّي شَيْءٍ عَلَيْهُ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّي شَيْءٍ عَلَيْهُ ﴿ وَيُعِيدُ وَيُعِيدُ وَمَا كَانَ اللّهَ مِنْ وَلِي وَلَا نَصِيمِ إِنَّ اللّهُ وَمَا لَكُمْ مِن وَلِي وَلَا نَصِيمِ إِنَّ اللّهَ عَلَى اللّهِ مِن وَلِي وَلَا نَصِيمٍ إِنَّ اللّهَ اللّهُ مِن وَلِي وَلَا نَصِيمٍ إِنَّ اللّهَ اللّهُ عَنْ وَلِي وَلَا نَصِيمٍ إِنَّ اللّهَ اللّهُ مِن وَلِي وَلَا نَصِيمٍ إِنَّ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِن وَلِي وَلَا نَصِيمٍ إِنَّهُ اللّهُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ مِن وَلِي وَلَا نَصِيمٍ إِنَّ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللهُ اللهُ الللللهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللهُ اللهُ الللللهُ الللهُ الللللّهُ اللّهُ اللل

قال (ك): "أخرج (1) و(ق)(١) عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لما

⁽١) أخرجه أحمد (٤/٤٣٣)، والبخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي على، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «أي عمي، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله على» فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: أنا على ملة عبد المطلب، فقال النبي على: «لاستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنِّي وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِي عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنِّي وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِي عَنْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيّرَنَ هُمُ أَنْهُم أَصْحَبُ لَلْحَيهِ ﴿ إِنّكَ لَا عَنْ مَن يَشَافُهُ وَالقصص: ٥٦] وقال (1) بسنده (١) عن على ظَهِ قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكرت ذلك النبي عَلَيْ فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنّبِي وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ اللّه الآية».

قال (ك): "وقال (أ) وذكر سنده (٢) إلى ابن بريدة عن أبيه قال: "كنا مع النبي وضحن في سفر فنزل بنا ونحن قريب من ألف راكب، فصلى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان، فقام إليه عمر بن الخطاب، وفداه بالأب والأم، وقال: يا رسول الله ما لك؟ قال: "إني سألت ربي الله في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي، فدمعت عيناي رحمة لها من النار، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث، نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم خيراً، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم، ولا تشربوا مسكراً».

⁽۱) أخرجه أحمد (۱/۹۹، ۱۳۱)، والطيالسي (۱۳۱)، والترمذي (۳۱۰۱)، والنسائي (٤/ ۹۱)، وأبو يعلى (۳۳۰، ۲۱۹)، والبزار (۸۹۳، ۸۹٤)، والبيهقي في «الشعب» (۹۳۷، ۹۳۷) وإسناده حسن.

 ⁽۲) أخرجه أحمد (۳٥٥/٥)، ومسلم (۹۷۷) وخرجته بتفصيل في تعليقي على «أدلة معتقد أبي حنيفة» الطبعة الثانية، وهي مزيدة ومنقحة، و«الحنائيات» رقم (٢٥٩).

⁽٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/١٢)، وأحمد (٥/ ٣٥٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٣)، والترمذي (١٠٥٤)، والحاكم (١/ ٣٥٥، ٢٥/ ٢٠٥)، والنسفي في «القند» (١٢٤ ـ ١٢٥)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٨٩) من طريق سليمان بن بريدة، وهو صحيح.



فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي»، فما رئي باكياً أكثر من يومئذ». وروى ابن أبي حاتم (۱) وذكر سنده إلى عبد الله بن مسعود ولله قال: «خرج رسول الله على يومئل إلى المقابر فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم قام، فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه، ثم دعانا، فقال: «ما أبكاكم؟» فقلنا: بكينا لبكائك، فقال: «إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة، إني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي»، ثم أورده من وجه آخر ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريباً منه، وفيه: «وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل علي ﴿مَا كَانَ لِلنَّيْ وَالْذِينَ مَا كَانَ يَأْخَذُ الولد للوالد، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور الآية، فأخذني ما كان يأخذ الولد للوالد، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكر الآخرة» ثم قال (ك) ما معناه: «ومن أغرب الأحاديث وأشدها نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب «السابق واللاحق» بسند مجهول، عن عائشة في حديث فيه قصة «إن الله أحيا أمه فآمنت ثم عادت» (۲)،

⁽۱) أخرجه الحاكم (٣٣٦/٢) وعنه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» وهو صحيح بمجموع طرقه، وفصّلتُ ذلك في تعليقي على: «أدلة معتقد أبي حنيفة» (ص٧١ ـ ٧١، ٨٠ ـ ٨١) لعلي القاري.

⁽٢) أخرج ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» رقم (٢٥٦)، ومن طريقه الخطيب في «السابق واللاحق» (٣٧٧ ـ ٣٧٧)، وعنه الجورقاني في «الأباطيل والمناكير» (١/ ٢٢٢)، واللاحق، والدارقطني وابن عساكر؛ كلاهما في «غرائب مالك» ـ كما في «لسان الميزان» (٤/ ٣٠٥) ـ، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤)، عن عائشة المحتجون «حجّ بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع، فمرّ بي على عقبة الحجون وهو باك حزينٌ مغتمٌ، فنزل، فمكث عني طويلاً، ثم عاد إليّ وهو فرحٌ، فتبسّم، فقلتُ له؟ فقال: «فهبتُ لقبر أمي، فسألتُ الله أن يُحييها، فآمنتْ بي، وردّها الله عنه».

قال ابن الجوزي: «موضوع بلا شك: النقاش ليس بثقة، وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان، وقد كان أقوام يضعون أحاديث، ويدشونها في كتب المغفلين، فيرويها أولئك. وقال شيخنا أبو الفضل بن ناصر: هذا حديث موضوع، وأم رسول الله على ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة، ودُفنت هناك، وليست بالحَجُون».

وقال الجورقاني: «هذا حديث باطل».

ثم ذكر أقوال أهل العلم في تضعيف عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، ثم قال:

[«]عبد الوهاب بن موسى هذا متروك، وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان، ومحمد بن الحسن بن زياد هذا هو أبو بكر النقاش المقرئ؛ في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة».



وكذلك ما رواه السهيلي في «الروض»(١) بسند فيه جماعة مجهولون: «إن الله

= وقال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (٤١٣/٢) في ترجمة عبد الوهاب بن موسى:
«عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، نكرة، والخبر: «أحيا الله لي أمي، فآمنت بي»، والسند
ظلمة».

وقال في ترجمته في «الميزان» (٢/ ٦٨٤) ـ وأورد الحديث ـ:

«لا يُدرى مَن ذا الحيوان الكذاب؛ فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صحَّ أنه عليه السلام استأذن ربه في الاستغفار فلم يأذن له».

وتعقَّبه الحافظ في «اللسان» (١/٤) فقال:

«تكلُّم الذهبي في هذا الموضوع بالظُّلِّ، فسكت عن المتَّهم بهذا الحديث، وجزم بجرح القوى».

وقال: «عبد الوهاب بن موسى ليس به بأس».

وذكر أن محمد بن يحيى معروف، له ترجمة جيّدة في «تاريخ مصر» لابن يونس، والذي رماه الدارقطني هو أبو غزيَّة محمد بن يحيى الزهري، وأما أحمد بن يحيى؛ فلم يظهر من سند النقاش ما يتميَّز به.

ونقل في «اللسان» (٤/ ٣٠٥) عن ابن عساكر أنه قال فيه:

«هذا حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري المدني عن مالك، والكعبي مجهول، والحلبي صاحب غرائب، ولا يعرف لأبي الزناد رواية عن هشام، وهشام لم يدرك عائشة، فلعله سقط من كتابى: عن أبيه».

وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال: «ولم ينبه على عمر بن الربيع ولا على محمد بن يحيى _ وهو أبو غزية _ وهما أولى أن يُلْصَق بهما هذا الحديث من الكعبى وغيره».

وقال الذهبي في «أحاديث مختارة من موضوعات الجورقاني وابن الجوزي» رقم (٦٨): «وبسندٍ وضع على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. . . (وساقه)».

وانظر: «اللالئ المصنوعة» (٢٦٦/١)، و«تنزيه الشريعة» (٢٣٢/١)، و«المقاصد الحسنة» (٢٥)، و«مختصر المقاصد» (٥١)، و«التمييز» (١١)، و«كشف الخفاء» (١/ ٦١)، و«تذكرة الموضوعات» (٨٧)، و«الغماز على اللماز» (٢٨).

وضعفه على القاري في «أدلة معتقد أبي حنيفة» (ص٨٥ ـ بتحقيقي) وقال (ص٨٨): «وهذا الحديث ضعيف باتفاق المحدَّثين؛ كما اعترف به السيوطي» وقال: فقول الشيخ ابن حجر المكي في «شرح الهمزية» [ص١٠١]: «هو حديث صحيح، صحَّحه غير واحد من الحفَّاظ»؛ مردود عليه، بل كذبٌ صريحٌ، وعيبٌ قبيحٌ، مسقطٌ للعدالة، وموهنٌ للرواية؛ لأن السيوطي ـ مع جلالته، وكمال إحاطته ومبالغته ـ في رسائل متعددة من تصنيفاته ذكر الاتفاق على ضعف هذا الحديث، فلو كان له طريق واحد صحيح؛ لذكره في معرض الترجيح»!!

(۱) «الروض الأنف» (۱/۱۳/۱)، وانظر الهامش السابق، وتعليقي على كتاب «معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ» (ص٨٨ ـ ٩١) وتقديمي له (ص١٤ ـ ـ



أحيا له أباه وأمه فآمنا به»»(١).

فصل

قال محمد تقي الدين: بعث الله نبيه ورسوله ـ سيد ولد آدم محمداً على رحمة للعالمين، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، فضله على خلقه نعمة منه ورحمة وكرامة لمن آمن به واتبعه، ولم يجعله ملكاً يرث الملك من أبيه أو يورثه ذريته أو أقاربه، وقد أخطأ كثير من الناس خطأ فاحشاً في فهم هذا المعنى فقاسوا النبي على الملوك والأمراء، فتعجبوا واستغربوا أن لا تشمل هذه الرحمة أقرب الناس إليه أباه وأمه وعمه أبا طالب، مع أنه كان للنبي على كالوالد الرحيم عندما مات جده عبد المطلب، وكان عمر النبي إذ ذاك عشر سنين، لم يزل يكرمه ويرعاه ويتحمل الشدائد من أجله، لما قاطعه أهل مكة لم يخذله أبو طالب ومن معه من بني هاشم، فإن قريشاً تعاهدوا وتقاسموا على مقاطعة بني هاشم وحصارهم، ومنعوا الطعام أن يصل إليهم، فبقي أبو طالب محاصراً في الشعب مدة طويلة هو ومن معه يقاسون الجوع والضيق وعداوة أهل بلدهم إلى أن فرّج الله عنهم، فسعى بعض أشراف مكة في تمزيق الصحيفة التي كتبتها قريش حين عنهم، فسعى بعض أشراف مكة في تمزيق الصحيفة التي كتبتها قريش حين تعاهدوا على ذلك الجرم الفظيع (٢)، ومع ذلك لم تشمله هذه الرحمة التي شملت تعاهدوا على ذلك الجرم الفظيع (٢)،

⁼ ١٧) فتكلمت على جميع الأحاديث الواردة في هذا الباب، والله _ وحده _ الموّفق للصّواب.

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧) بتصرف.

⁽٢) انظر الخبر مفصلاً في: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٥١ ـ ٣٧٧)، و«البداية والنهاية» (٢/ ٣٥١ ـ ٣٧٧)، وفي صحته عندي نظر، وثبت منه ما أخرجه مسلم (١٣١٤) (٣٤٤) من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال لنا رسول الله على ونحن بمنى: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر»، وذلك إن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطّلب، أن لا يُناكحوهم، ولا يبايعوهم، حتى يُسلموا إليهم رسول الله على بني بذلك المحَصّب.

ورجع أبن حجر في «الفتح» (٣/ ٤٥٣) أن آخره مدرج من كلام الزهري، وهذا الذي حققه الخطيب البغدادي في كتابه النافع الماتع «الفصل للوصل» (٢/ ٢٥٧ _ ٦٦٣).

وفي الباب من مرسل عكرمة، عند ابن سعد (١/ ٢٠٩) بإسناد رجاله ثقات، ومن مرسل عروة عند أبي نعيم في «الدلائل» (٢٢٦، ٢٤٩)، وفيه ابن لهيعة.

وفي الباب عند الطبراني (١٠/ ٢٧٥، ٢٨٩) وغيره بأسانيد لا تسلم من مقال، انظر: «المجمع» (٩/ ٢٧٥، ٢٧٥)، «اللسان» (١٧٢/١).



أهل الأرض ممن آمن بالنبي عليه؟ لأنه أبي أن يؤمن برسالة محمد عليه، ولم يكن شاكاً في صدقه فإنه قال في شعر له(١):

واللهِ لَنْ يَصِلُوا إليكَ بزَعْمِهم حتى أُوسًدَ في التُّرابِ دَفِينَا فاصدع بأمركَ ما عليك غَضاضةٌ فلقد صدقْتَ وكنتَ ثم أمينا

لولا الملامةُ أو حِذَارُ مسبَّةِ لوجدتني سَمحاً بذاك مُبينا

وقد جاءت قصة وفاة أبي طالب في «صحيح البخاري»(٢) وحرص النبي ﷺ على إيمانه وحزنه لما مات كافراً، وروى البخاري عن عمرو بن العاص عن النبي على أنه قال: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنما وليّي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها»(٣)، انتهى، فولاية النبي على الأقاربه إنما جاءت من حيث إنهم من صالحي المؤمنين، لا للقرابة المجردة، فإنها وحدها لا تجعلهم أولياء النبي ﷺ، وإن وصل رحمهم بالإحسان إليهم؛ لأن صلة الرحم واجبة مع الأقارب، وإن لم يكونوا مسلمين، وأما ما روي من الحديث في إحياء الأبوين وإيمانهما بالنبي عَلِين، فهو باطل، إذ لا يصح في ذلك شيء(٤)، ولو فرضنا أنه ثبت في ذلك حديث وتجاوز درجة الوضع والنكارة إلى الضعف، ما ثبت به حكم ولا استطاع أن يقاوم حديث مسلم ولا أن يعارضه، وحديث النبي ﷺ لا ينقض بعضه بعضاً، بل ينصر بعضه بعضاً، وقد نظم بعضهم في هذا المعنى شعراً فقال:

على فَضل وكان به رؤوفا لإيمانٍ به فَضلاً مُنيفا وإنْ كان الحديثُ به ضعيفا حَبَا اللهُ النَّبيِّ مزيدَ فضلِ فأحيا أمّه وكذا أياه فَسَلَّمْ فالقديرُ بذا جديرٌ

⁽١) انظر هذه الأبيات مع غيرها في «سيرة ابن إسحاق» (ص١٣٠ ـ ١٣١)، «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٩)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ١٨٨)، «البداية والنهاية» (٤/ ١٠٨ _ ١٠٩، ط.

⁽٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٥) وتكلمتُ في تقديمي لكتاب على القاري «أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول - عليه الصلاة والسلام -» (ص١٧ - ٣٤) بإسهاب على الأحاديث الواردة في إسلام أبي طالب ونجاته، وبيان وهائها والرد على القائلين بأنه أسلم!

أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

سبق بيان ذلك قريباً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



وقال آخر وهو أشد جهلاً من الأول:

أَيْفَنْتُ أَنَّ أَبِا النَّبِي وأَمَّه أحياهما الربُّ الكريمُ الباري حتَّى له شهدا بصدقِ رسالةٍ سَلِّمْ فتلكَ كرامةُ المُخْتَارِ هذا الحديثُ ومَنْ يقولُ بضعفِه فهو الضَّعيفُ عن الحقيقةِ عاري

وقائل هذا الشعر من أجهل الجاهلين، فإنه أراد أن يعظم النبي ﷺ بتكذيبه وتكذيب جميع المحدِّثين، وكفى بذلك جهلاً وضلالاً.

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فلما نزلت».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أمسكوا».

⁽٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٣)، والطحاوي في «المشكل» (٢٤٨٣) وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإسناده جسن، وعزاه في «الدر المنثور» لابن المنذر وابن مردويه أيضاً، وهو في «صحيفة علي بن أبي طلحة» (رقم ٢٠١).

⁽٤) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٤٣، ط. القديمة)، وهو مرسل لا يعرف لقتادة سماع من النبي ﷺ إلا النبي ﷺ إلا من أس بن مالك، كذا في «جامع التحصيل» (٣١٢).

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أوحي إلي».



أستغفر لمن مات مشركاً، ومن أعطى فضل ماله فهو خير له، ومن أمسك فهو شر له، ولا يلوم الله على كفاف».

وروى ابن جرير (۱) عن ابن وكيع عن أبيه عن عصمة بن زامل (۲) عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: رحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة ولأمه، قلت: ولأبيه، قال: لا، قال: إن أبي مات مشركاً.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا بَرَيْنَ لَهُ مَ أَنَّهُم عَدُولٌ لِلَّهِ تَبَرّاً مِنْهُ ﴾ وقال ابن عباس وكثير من السلف _ مثل قتادة والضحاك _: «ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات، فلما تبين له أنه عدو لله "(الله الله الله عدو لله "(الله عدو الله "(الله عدود) " الله الله عده الله عنه الله عده الله على الله الله عده الله على الله الله عده الله الله عده الله الله عده الله الله عده الله

قال محمد تقى الدين: وصف الله إبراهيم بالحلم بأنه حلم عن أبيه لما آذاه بقوله: ﴿قَالَ أَرَاعِبُ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَتَإِبْرَهِيمُ لَهِن لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمُنَكُ وَالْهَجُرْفِي مَلِيًا ۞ وَلَهُجُرْفِي مَلِيًا ۞ قَالَ سَلَمُ عَلَيْكُ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَقِيًّا أَيْمُ كَانَ فِي حَفِيًا ۞ [مريسم: ٤٦ ـ ٤٧] واستمر يستغفر له إلى أن مات على الشرك، فترك الاستغفار له، ﴿وَمَا كَانَ

⁽۱) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (۲۸/۱۲). وإسناده ضعيف، وفيه عصمة بن زامل مجهول الحال، انظر: «التاريخ الكبير» (٧/ ٦٤)، و«الجرح والتعديل» (٧/ ٢٠).

⁽٢) كذا في مصادر التخريج، وفي الأصل: «أواثل»!

⁽٣) أخرجه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص١٢٧) وابن جرير (٣٠/١٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٠، ٣٠)، والفريابي وابن المنذر وأبي الشيخ والضياء في «المختارة»، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٢٨٥) من طرق عن ابن عباس، وبألفاظ متقاربة، وهو صحيح عنه.

وهو عند ابن جرير (11/17) عن قتادة والضَّحاك. وعلقه ابن أبي حاتم (1/17) عن مجاهد، ووصله بسنده عنه ابن جرير (1/17). وأسنده ابن جرير (1/17) عن الحاكم بن عتيبة وعمرو بن دينار.

⁽٤) كذا في الأصل! والذي عند ابن كثير: «قال سفيان الثوري وغير واحد: عن عاصم بن بهدلة: عن زر بن حبيش: عن ابن مسعود به».

قال أبو عبيدة: أخرجه من هذا الطريق: ابن وهب في «الجامع» (تفسير القرآن) (٢/ ٨٢، ٥٠٠) (رقم ١٩٠٥)، وابن جرير (٢١/ ٣٤)، والطبراني (٩٠٠٤)، وابن المنذر وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٢٨٥). وهذا إسناد حسن.

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢٩٨/٧ ـ ٣٠١) بتصرف.

الله ليُضِلُ قَوْمًا بَعَدَ إِذْ هَدَنهُم الآية، قال (ع): «يقول الله تعالى: وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال، بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله، حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا(۱)، فأما قبل أن يبين لكم كراهة(۲) ذلك بالنهي عنه، ثم تتعدوا(۱) نهيه إلى ما نهاكم عنه، فإنه لا يحكم عليكم بالضلال؛ لأن(١) الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي، فأما من لم يؤمر ولم ينه، فغير كائن مطيعاً أو عاصياً فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه (٥).

﴿إِنَّ اللّهَ لَهُ مُلَكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِهِ وَيُمِيثُ وَمَا لَكُمْ مِن دُونِ اللّهِ مِن وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿ إِنَّ اللّهُ عَالَى لَعَبَادِه المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر، وأن يثقوا⁽¹⁾ بنصر الله مالك السموات والأرض، ولا^(۷) يرهبوا من أعدائه، فإنه لا ولي لهم من دون الله، ولا نصير لهم سواه» (۸).

فصل

قال محمد تقي الدين: قوله: ﴿إِنَّ اللهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من آيات توحيد الربوبية، فهو سبحانه مالك متصرف في عباده وليس لهم ولي يتولونه فتنفعهم ولايته، ولا نصير يستنصرونه فينصرهم، فمن استنصر غير الله ضل وأصابه الخزي في الدنيا والآخرة، ومن استنصر الله وحده وأطاعه واتبع رسوله على وحكم شرعه انتصر وعز، ولذلك نرى المسلمين في هذا الزمان ضعفاء أذلاء؛ لأنهم لم يستنصروا الله وحده، بل طلبوا النصر من غيره، فأذلهم قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِن يَنْمُرَكُمُ اللهُ فَلَا غَلِبَ لَكُمُ وَإِن يَخُدُلُكُمْ فَمَن ذَا

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «الانتهاء عنه».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «كراهية».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن جرير»، وفي الأصل: «فلم تضيعوا»!.

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن جرير»، وفي الأصل: «فإن»!.

⁽٥) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢١/١٢ ـ ٤٧).

⁽٦) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وأنهم يثقون»!.

⁽٧) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «ولم»!.

⁽A) انظر: «تفسير ابن جرير» (٧/ ٣٠٤).



ٱلَّذِي يَنْصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿ ١٦٠].

😝 الباب الثامن 😣

قال (٣): «قال مجاهد وغير واحد: نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مجدبة وحر شديد، وعسر من الزاد والماء (١). قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد، فأصابهم (٢) فيها جهد شديد حتى ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم (٣). وقال (ع) بسنده عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة، فقال عمر بن الخطاب: خرجنا مع رسول الله الله إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً، فأصابنا فيه عطش فظننا أن رقابنا ستنقطع، وحتى إن الرجل يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله كل قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا، فقال: الصديق: يا رسول الله إن الله كل قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا، فقال: «تحب ذلك؟» قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فأهطلت، شم سكنت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر (٤). وقال

⁽۱) أخرجه ابن جرير (۱/۱۲). (۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أصابهم».

 ⁽٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/١٨٩)، وابن جرير (١٢/٥١)، وابن المنذر وأبو الشيخ، كما
 في «الدر المنثور» (٢٨٦/٣).

⁽٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢)، وابن خزيمة (١٠١)، والفريابي في «الدلائل» =



ابن جرير (١) في قوله: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْسَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ في سَاعَةِ الْعُسَرَةِ﴾ أي: «من النفقة والظهر والزاد والماء».

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقِ مِنْهُمْ اَي: عن الحق ويشك في دين الرسول (٢) على ويرتاب للذي (٢) نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم (٤) ﴿ ثُمَّةَ تَابَ عَلَيْهِمُ ﴾ يقول: ثم رزقوا الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَمُوفُ تَحِيمُ ﴾ (٥).

﴿ وَعَلَى النَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا صَافَتَ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ﴾ الآيـة، قـال (ك):

«قال الإمام أحمد بسنده (٢) إلى عبيد الله بن كعب بن مالك ـ وكان قائد كعب من بنيه حين عمي ـ قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله علي في غزوة تبوك، فقال كعب بن مالك: «لم أتخلف عن رسول الله علي في غزاة غزاها قط إلا في غزوة (٧) تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها، وإنما خرج رسول الله علي يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم (٨) على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله علي ليلة العقبة حين تواثقنا (٩) على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذْكَرَ في الناس منها وأشهر.

وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله على فزوة تبوك، أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما جمعت

^{= (}٤٧)، وابن حبان (١٣٨٣)، والحاكم (١/ ١٥٩)، والبزار في «مسنده» (٢١٤ أو ١٨٤١ ـ زوائده)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٢)، والبيهقي (٩/ ٣٥٧) وفي «الدلائل» (٥/ ٢٣١)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٥٠) وقال ابن كثير في «السيرة» (١٦/٤): «إستاده جيد ولم يُخرجوه من هذا الوجه»، وانظر: «العلل» للدارقطني (٢/ ٨٣ ـ ٨٤).

⁽۱) انظر: «تفسير الطبري» (۱۲/ ٤٩).

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «رسول الله».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بالذي».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «سفره وغزوه».

⁽۵) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲۰۱۷ ـ ۳۰۵).

⁽٦) أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٦ _ ٤٥٩)، والبخاري (٢٧٥٧)، ومسلم (٢٧٦٩).

⁽٧) كذا في «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «غزاة».

⁽A) كذا في «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «عدوه».

⁽٩) كذا في الأصل، وفي مطبوع «التفسير»: «توافقنا».

قبلها راحلتين قط حين (۱) جمعتهما في تلك الغزاة، وكان رسول الله على قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله على في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفاوز وعدداً (۲) كثيراً، جلى (۱) للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم، فأخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله على كثير لا يجمعهم كتاب حافظ _ يريد الديوان _ قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى عليه (٤) ما لم ينزل فيه وحي من الله على .

وغزا رسول الله على تلك الغزاة حين طابت الثمار والظلال (٥)، وأنا إليها أصعر، فتجهز رسول الله على والمؤمنون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض من جهازي شيئاً، فأقول لنفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر (٦) بالناس الجد، فأصبح رسول الله على غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، وقلت: أتجهز (٧) بعد يوم أو يومين ثم ألحقه، فغدوت بعدما فصلوا (٨) لأتجهز فرجعت ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فألحقهم ـ وليتني (٩) فعلت ـ، ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت إذا خرجت في الناس بعد [خروج] (١٠) رسول الله على .

[فطفت فيهم] (١٠٠ يحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذره الله جل وعلا، ولم يذكرني رسول الله على حتى بلغ تبوك فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: (ما فعل كعب بن مالك)؟ فقال رجل من بني

⁽١) كذا في الأصل، وفي مطبوع «التفسير»: «حتى».

⁽٢) كذا في الأصل! وفي مطبوع «التفسير»: «واستقبل مفاوز وعدواً...».

⁽٣) كذا في الأصل، وفي مطبوع «التفسير»: «فجلي».

⁽٤) كذا في الأصل، وفي مطبوع «التفسير»: «له».

⁽٥) كذا في الأصل، وفي مطبوع «التفسير»: «الظل».

⁽٦) كذا في الأصل! وفي مطبوع «التفسير»: «شمر» وهو أصوب.

⁽٧) كذا في الأصل، وفي مطبوع «التفسير»: «الجهاز».

⁽A) كذا في مطبوع «التفسير» وهو الصواب، وفي الأصل: «وصلوا»!

⁽٩) كذا في الأصل! وفي مطبوع «التفسير»: «أرتحل فأدركهم وليت أني...».

⁽١٠) سقطت من الأصل، وأثبتها من المصادر.



سلمة: حبسه يا رسول الله برده والنظر إلى عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئسما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا إلا خيراً، فسكت رسول الله عليه.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله على قد توجه قافلاً من تبوك حصرني بني (١) ، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله على قد أظل قادماً، زاح عني الباطل، وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه.

فأصبح رسول الله وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فيقبل منهم رسول الله وكانيتهم ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال لي: «تعالى» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد اشتريت ظهراً (۲)؟ فقلت: يا رسول الله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني أخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت [جدلاً] (۳)، ولكني والله لقد علمت، لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه: إني لأرجو عقبى ذلك من الله ولله والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال: ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال: فقال رسول الله ولكه.

فقمت وقام (٤) إلي رجال من بني سلمة واتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت إلا أن تكون اعتذرت إلى رسول الله على بما اعتذر به المتخلفون، فقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله على لك، قال: فو الله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذّب نفسي، قال: ثم قلت لهم: هل لقي معي هذا أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، وقبل لهما مثل ما قبل لك، فقلت: فمن هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً لي فيهما أسوة.

⁽١) كذا في "تفسير ابن كثير"، وفي الأصل: "حضر بني"!! وعند البخاري: "حضرني همِّي".

⁽٢) كذا في الأصل، وفي مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ظهرك»!

⁽٣) سقطت من الأصل، وأثبتها من المصادر.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وبادرني».



قال: فمضيت حين ذكروهما لي، فقال: ونهى رسول الله على المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيّروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله على وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم وأقول في نفسي: أَحرَّكُ شفتيه برد السلام على أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، فإذا التفتُ نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال على ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسوَّرت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي، وأحبُّ الناس إلي، فسلَّمتُ عليه، فو الله ما ردِّ علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك الله، هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، قال: فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فقال: الله ورسوله أعلم، قال:

ففاضت عيناي وتوليت حتى تسوَّرت الجدار، فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا أنا بنبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، قال: فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاء فدفع إلي كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً فإذا فيه: أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، وإن الله لم يجعلك في دار هوان ولا مضيعة، فالْحَقْ بنا نواسك، قال: قلت حين قرأته: وهذا أيضاً من البلاء، قال: فتيمّمتُ به التنور فسجرته به.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا برسول رسول الله على يأتيني يقول: يأمرك رسول الله على أن تعتزل امرأتك. قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: [بل](١) اعتزلها ولا تقربها، قال: وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله على، فقالت: يا رسول الله إن هلالاً شيخ ضعيف ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا ولكن لا يقربك(٢)، قالت: وإنه والله ما به من حركة إلى شيء، وإنه والله ما زال يبكي منذ

⁽١) سقطت من الأصل.

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا يقربنك»!



كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله على في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله على وما أدري ما يقول فيها وسول الله على إذا استأذنته، وأنا رجل شاب.

قال: فلبثنا عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا، قال: ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت على نفسي، وضاقت على الأرض بما رحبت، سمعت صارخاً أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: أبشرك(۱) يا كعب بن مالك، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفرج من الله على بالتوبة علينا.

فآذن رسول الله على بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرساً وسعى ساع من أسلم، وأولى (٢) على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته لي، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أؤم (٣) رسول الله على وتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنؤونني بتوبة الله، يقولون: ليهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله على طلحة بن عبيد الله يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلَّمتُ على رسول الله هي، قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك». قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله». قال: وكان رسول الله هي إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، حتى يعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك». قال: فقلت: فإنى

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أبشر». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وأوفى».

⁽٣) كذا في «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «أروم»!



أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله، إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت.

قال: والله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله على أحسن مما أبلاني الله تعالى، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله على إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله على فيما بقي.

قال: وأنزل الله تعالى: ﴿ لَقَد تَابَ اللهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عِلَى اللّهُ عِلَى اللّهُ عِلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وهذا حديث صحيح ثابت، متفق على صحته رواه صاحبا «الصحيح»، البخاري ومسلم (٢) من حديث الزهري بنحوه.

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وهو الصواب، وفي الأصل: «ذكره لما خلفنا تخليفنا»! ولا معنى له!

⁽٢) سبق تخريجه.



فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها، وقوله في الحديث: «فسموا رجلين شهدا بدراً» [قيل: خطأ من الزهري، فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدراً] (۱). والله أعلم، ولمّا ذكر تعالى ما فرّج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها، وضاقت عليهم أنفسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، أي: مع سعتها فسدت (۲) عليهم المسالك والمذاهب، فلا يهتدون إلى (۳) ما يصنعون، فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله وثبتوا، حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله على في تخلفهم وأنه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة، ثم تاب الله عليهم، فكان عاقبة صدقهم خيراً لهم، وتوبة عليهم، ولهذا قال: ﴿يَكُونُوا مَعَ الْفَكَلِيقِينَ ﴿ اَيَ اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً.

وقد أخرج (أ) (ق) عن ابن مسعود ولله قال: قال رسول الله والله المجل بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (ع). وقال شعبة: عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود، ويتأيّما الّذِينَ مَامَوا الله وكُونُوا مَع العَمليقِينَ والله والله والله والمحدد الله بن مسعود، ويتأيّما الّذِينَ مَامَوا الله وكُونُوا مَع العَمليقِينَ واصحابه، وقال الضحاك: مع أبي بكر وعمر عمر عمر عمر عليه وأصحابه، وقال الضحاك: مع أبي بكر وعمر

⁽١) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقط من الأصل، ولا يستقيم السياق إلا به.

⁽Y) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "فسددت".

⁽٣) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٤)، والبخاري (٢٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

⁽٥) أخرجه ابن ماجه (٤٦)، وعبد الرزاق (٢٠٠٧٦)، وأحمد (١/ ٤١٠)، وأبو يعلى (٣٦٥). ووكيع في «الزهد» (٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠١)، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٠٠)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٩١)، وهناد (١٣٦٩)، وسعيد بن منصور (١٠٤٨)، وابن جرير (١٠٤٨، ٢٥٠، ٩٦ ـ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٢٥/ ١٠٤١)، وابن عدي (١/ ١٤)، والطبراني (٨٥١٨، ٨٥٥٥)، والبغوي (٣٥٧٥)، =



وأصحابهما، وقال الحسن البصري: إن أردت أن تكون مع الصادقين، فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة»(١).

فصل

قال محمد تقي الدين: قوله: «أقفلهم من غزوتهم» أي: ردهم سالمين، يقال: قفلت من سفري، أي: رجعت، وقوله: «الظهر»، المراد به ما يركب، وكانت مراكبهم الإبل التي يركبونها، وهذا من تسمية الشيء بجزئه، ويسمى مجازاً مرسلاً، وقوله: «ما أحب أن لي بها مشهد بدر» معناه: لو خيرت بين أن أشهد العقبة وأحرم من بدر أو أن أشهد بدراً وأحرم العقبة، لفضلت بيعة العقبة على غزوة بدر، وقوله: «ورى بغيرها»، معناه كان النبي على إذا أراد أن يغزو ناحية، كمكة مثلاً، يسأل أصحابه عن طريق نجد، حتى يظن الناس أنه يريد التوجه إلى المشرق، وهو يريد التوجه إلى المغرب خوفاً من أن يطلع المنافقون وضعاف الإيمان على الجهة التي يريد غزو أهلها فيبعثوا إليهم من يخبرهم، فهذا معنى التورية. وهي في علم البلاغة: ذكر لفظ يحتمل معنيين فيذكره الشاعر أو الناثر ويريد أحد المعنيين، مثال ذلك قول الشاعر:

خاط لى عَمرو قباء لَيتَ عَيْنَيه سواءا

وكان عمرو المذكور في هذا الشعر أعور فقوله: «ليت عينيه سواء» يحتمل أنه أن يكون مبصراً بالعينين كلتيهما، ويحتمل أن يتمنى له أن تكون العينان عمياوين كلتيهما (٢).

⁼ والبيهقي في «الشعب» (٤٧٨٩، ٤٧٩٠)، وإسناده صحيح.

انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۳۰۲/۷ _ ۳۱۶).

⁽۲) ذكره ابن أبي الإصبع (ت ٢٥٤هـ) في كتابه «تحرير التحبير» (٥٩٦ ـ ٥٩٧) ضمن (الإبهام) وعرفه بقوله: «أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متضادين، لا يتميّز أحدهما على الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصداً». بينما ذكر (٢٦٨) (التورية) وعرفه بقوله: «أن تكون الكلمة تحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله». وذكر البيت هكذا: جاء مسن زيد قصباً ليست عديد مسواء وأورد قصة طريفة. هي:

ومثاله ما حُكِي أنَّ بَعض الشعراء هنَّا الحَسَن بن سهل بصهْر المأمون مع من هنَّاه، فأثاب الناس كلَّهم وحَرَمه، فكتب إليه: إن أنت تماديت على حرماني عملت فيك بيتاً لا يعلم =



وقوله (۱): «فأنا إليها أصعر»، معناه: أميل من الميل وهو الحب، أي: غلب علي حب الظلال والثمار وكرهت نفسي أن تتركهما وتخرج إلى القتال والعطش والحر والجوع. وقوله: «بأحسن الوجوه وأبسطها»؛ أبسطها: أوسعها كما قال تعالى: ﴿وَزَادَمُ بَسُطَةً فِي تعالى: ﴿وَزَادَمُ بَسُطَةً فِي اللّهِ وَالْحِمِلُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاةً وَيَقَدِرُ السبا: ٢٦] وقال تعالى: ﴿وَزَادَمُ بَسُطَةً فِي الْمِلْمِ وَالْحِمِلُ الرَّبِينَ لِمَا يَعْبِرُون بالأبسط عن الرّسهل، وبالبسيط عن السهل أو القليل، ويزيدون على ذلك جهلاً فيقولون: بسّط الشيء بتشديد السين، بمعنى سهله، ويقولون: قواعد النحو المبسطة، وكل ذلك ضلال (٢)، فإن بسّط بالتشديد، معناه: كثرة التوسيع، كقتل وقتّل بالتشديد.

باركَ السلّه لِسلْحَسَن ولبُّورَانَ فسي السختَن من؟ يسا إمسام السهدى ظفر ت ولكن ببنت من؟ فلم يعلم أراد بقوله: «ببنْتِ من» في الرّفعة أو في الضَّعة، فاستحسن الحسن منه ذلك، وناشده، أسمعت هذا المعنى أم ابتكرته؟ فقال: لا والله، إلا نقلته من شعر شاعر مطبوع كان بعث به، ففصّل قباء عند خيّاط أعور اسمه زيد، فقال له الخياط على طريق العبث به: سآتيك به لا يدرى أقباء هو أم دُوّاج. فقال الشاعر: لئن فعلت لأعملن فيك بيتاً لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك فيه أم دعوت عليك؟ ففعل الخيّاط، فقال الشاعر (مجزوء الرمل):

جَـاءَ مـن زَيد قَربها أَ لَـيت عـينيه سَراءُ فما علم أحد هل أراد أن الصّحيحة تساوي السّقيمة أو العكس، قال: فاستحسن الحسن صدقه، أضعاف استحسانه حذَّقه، وأضعف جائزته.

قال أبو عبيدة: الشاعر هو محمد بن حازم الباهلي، كما تراه مع قصتنا في «خزانة الأدب» (٧٧ لابن حجة، و «نهاية الأرب» (٧/ ١٧٤)، «معاهد التنصيص» (١٢٩/٢)، «أنوار الربيع» (١٣١).

(١) في الأصل: «ويقول»!

(٢) استخدام (البساطة) و(التبسيط) بمعنى (التسهيل) من الأخطاء الشنيعة، وقولهم: مسألة بسيطة، هذا شيء بسيط، تكلم ببساطة، وهذا لا يعتقده إلا البسطاء، خطأ، قال صاحب «اللسان»: «ورجل بسيط: منبسط بلسانه، وقد بسطه بساطة. الليث: البسيط: المنبسط اللسان، والمرأة بسيط، ورجل بسيط اليدين: منبسط بالمعروف، وبسيط الوجه: متهلل، وجمعها: بسط».

قلت: فقد رأيت أن (البساطة) لا تدل على ما يريد المؤلفان بها، وذلك بعيد عن استعمال العرب، بل هو ضده؛ لأنَّ البسيط في اللغة، هو الواسع، ومن أجل ذلك =

⁼ أَحدٌ مدحتك فيه أم هجوتك؟ فاستحضره وسأله عن قوله، فاعترف، فقال: لا أعطيك أو تفعل، فقال (مجزوء الخفيف):



قال محمد تقي الدين: يجب علينا أن نفكر كثيراً في هذا النوع من العقاب الذي عاقب به رسول الله على هؤلاء الثلاثة فإنه عقاب صارم شديد(١)، ولكن

= سميت الأرض (البسيطة)؛ لسعتها.

وأصل هذا الخطأ آت من اصطلاح الأطباء في تسميتهم الدواء الذي هو من مادة واحدة (بسيطاً)، ويقابله (المركب) الذي يتألف من أجزاء، كل جزء من مادة، وقد استعمله الفلاسفة _ أيضاً _، فقسموا الجهل إلى قسمين: (جهل بسيط)، و(جهل مركب)، والأول: أن يكون الشخص جاهلاً، ويعلم أنه جاهل. وقولهم: (بسيط)، و(بساطة) ترجمة للكلمة الأجنبية (Simple)؛ يراد به: شيء سهل غير مركب، غير معقد، وأخذ منه كثير من الناس (بسطه) _ بتشديد السين _: جعله بسيطاً؛ أي: سهلاً غير معقد، أو قليلاً، أو حقيراً، وكل ذلك خطأ شهير، وضلال مبين، أفاده المصنف في كتابه القيم. «تقويم اللسانين» (ص٣٢ _ ٣٤، ١٢٥ _ ١٢٦).

(۱) هو هجر إيجابي زاجر، ويدخل فيه في نظري وتقديري (المقاطعة الاقتصادية) للبلاد التي تسيء للإسلام والمسلمين، فإن (الترك فعل) على الراجح عند الأصوليين، شريطة التأثير الذي يقدره أهل الخبرة، فالمقاطعة معقولة المعنى واستخدامها مشروع ـ بل مطلوب ـ فيما ينفع المسلمين، أو يرفع الأذى عنهم، أو إن ترتب عليها زوال المنكر أو تنقيصه، ولعله تصل للوجوب، لا سيما إن كان أولياء الأمور يأذنون بذلك، وصرح بمشروعيه هذه الصورة: فضيلة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز واللجنة الدائمة للإفتاء ترى ذلك في «فتاواها» (فتوى رقم ٢١٧٧٦).

ووجدت كلمة جيدة للعلامة السلفي محب الدين الخطيب، كتبها في افتتاحية العدد (١٧٥) من مجلته القيمة «الفتح» بتأريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ـ الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٢٩، وهي بعنوان (المقاطعة أمضى سلاح بأيدي عرب فلسطين) ومما قال فيها:

«المقاطعة عنوان الرجولة والحزم، والأمة التي تثبت على مقاطعة من يسيء إليها تشعر الأمم كلها بالحرمة لها، وفي مقدمة من يحترمها أعداؤها.

وبالمقاطعة تعرف الأمة مواطن ضعفها، وتنتبه إلى ما ينقصها في صناعاتها وتجاراتها. فالصنف من أصناف الحاجيات إذا كان لا يستحضره من مصادره غير اليهود؛ فإن العرب سيشعرون بحاجتهم إلى من يتقدّم منهم لاستحضاره من مصادره، فيعظم إقبال الوطنيين على بضاعة أخيهم الوطني؛ الذي يأتيهم بما لا يوجد منه إلا عند أعدائهم، وبذلك يسد حاجتهم ويستفيد من إقبالهم على سلعته.

والمقاطعة ستنبه الأمة إلى ما هو أعظم من ذلك، فبعد أن يكون المتجرون بالكبريت مثلاً _ من اليهود دون غيرهم؛ يبادر إلى الاتجار بهذا الصنف تجار من العرب، ثم تخطو الأمة خطوة أخرى فتؤسس مصنعاً وطنياً للكبريت. ومتى تقدمت الأمة خطوات متعددة في سبيل الاستقلال الاقتصادي؛ كان لها من ذلك شهود عدول على كفاءتها للاستقلال القومى والسياسى.

وقبل أن تكون المقاطعة طريقاً إلى الاستقلال الاقتصادي والسياسي، فهي طريق إلى =



النضوج الأخلاقي؛ لأن الأمة التي تشعر بحاجتها في صناعاتها وتجاراتها إلى الاستعانة بأعدائها يتأصل في نفوس أبنائها اعتقاد بضعفها وفاقتها، وهذا الشعور مدرجة انحطاط في الأخلاق، ونقص في عزة النفس، ويأس من بلوغ الأمل.

وفضلاً عن هذا وذاك فإن الأمة التي قطعت على نفسها عهد المقاطعة؛ تتعفف بطبيعة الحال عن كثير من الكماليات التي لا تجدها إلا في أيدي أعدائها، وأسمي هذا النوع بالكماليات من باب التساهل، وإلا فإن الغرب إنما غزا الشرق ثم فتحه منذ تمكن من تعويد الشرقيين والشرقيات استعمال هذه الكماليات، فقام على أموال الشرق القليلة، بناء ثروة الغرب العظيمة».

ومن أجمع الكلمات وأقواها وأجلها التي وقفت عليها في (المقاطعة) كلمة للعلامة الشيخ عبد الرحمن السعدى، وهذا نصها:

"اعلموا أن الجهاد يتطور بتطور الأحوال، وكل سعي وكل عمل فيه صلاح المسلمين، وفيه نفعهم وفيه عزهم فهو من الجهاد، وكل سعي وعمل فيه دفع لضرر على المسلمين وإيقاع الضرر بالأعداء الكافرين فهو من الجهاد، وكل مساعدة للمجاهدين مالياً فإنها من الجهاد. فمن جهز غازياً فقد غزى، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزى، وإن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب فيه الأجر، والذي يسلعد به المجاهدين، والذي يباشر به الجهاد.

ومن أعظم الجهاد وأنفعه السعي في تسهيل اقتصاديات المسلمين والتوسعة عليهم في غائلياتهم الضرورية والكمالية، وتوسيع مكاسبهم وتجاراتهم وأعمالهم وعمالهم، كما أن من أنفع الجهاد وأعظمه مقاطعة الأعداء في الصادرات والواردات: فلا يسمح لوارداتهم وتجاراتهم، ولا تفتح لها أسواق المسلمين ولا يمكنون من جلبها على بلاد المسلمين. بل يستغني المسلمون بما عندهم من منتوج بلادهم، ويوردون ما يحتاجونه من البلاد المسالمة. وكذلك لا تصدر لهم منتوجات بلاد المسلمين ولا بضائعهم، وخصوصاً ما فيه تقوية للأعداء: كالبترول، فإنه يتعين منع تصديره إليهم.. وكيف يصدر لهم من بلاد المسلمين ما به يستعينون على قتالهم؟؟! فإن تصديره إلى المعتدين ضرر كبير، ومنعه من أكبر الجهاد ونفعه عظيم.

فجهاد الأعداء بالمقاطعة العامة لهم من أعظم الجهاد في هذه الأوقات، ولملوك المسلمين ورؤسائهم ـ ولله الحمد ـ من هذا الحظ الأوفر والنصيب الأكمل، وقد نفع الله بهذه المقاطعة لهم نفعاً كبيراً.. وأضرت الأعداء وأجحفت باقتصادياتهم، وصاروا من هذه المقاطعة محصورين مضطرين إلى إعطاء المسلمين كثيراً من الحقوق التي لولا هذه المقاطعة لمنعوها، وحفظ الله بذلك ما حفظ من عز المسلمين وكرامتهم.

ومن أعظم الخيانات وأبلغ المعاداة للمسلمين تقريب أولي الجشع والطمع الذين لا يهمهم الدين ولا عز المسلمين ولا تقوية الأعداء نقود البلاد أو بضائعها أو منتوجاتها إلى بلاد الأعداء..! وهذا من أكبر الجنايات وأفظع الخيانات، وصاحب هذا العمل ليس له =



إيمانهم كان قوياً، فصبروا حتى فرّج الله عنهم ومنّ عليهم بهذا الشرف العظيم، الذي يُذكّرون به إلى يوم القيامة، وهناك أمر آخر وهو أهم مما تقدم، وهو: إحجام كعب بن مالك عن الكذب على النبي على النبي الله الله من الجلال والهيبة التي أعطيها النبي على أنيداً من الله تعالى له ومعجزة لا يطمع فيها ملك وإن أعطي سلطاناً عظيماً وهيبة، وكان مرهوب الجانب ولا غرابة في ذلك، فإن نور النبوة له شأن عظيم.

قال محمد تقي الدين: والشاهد هنا في قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا مَاقَتُ عَلَيْهِمُ أَنْفُهُمْ وَظُنُّوا أَن لاَ مَلْجَاً مِنَ اللّهِ إِلاّ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَجُبَتَ وَضَاقَتَ عَلَيْهِمُ أَنفُهُمْ وَظُنُّوا أَن لاَ مَلْجَاً مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَيْهِ أَي: توجهوا إلى الله تعالى بالدعاء فالتجؤوا إليه؛ لعلمهم أنه لا ينقذهم ولا يغيثهم ولا يكشف عنهم الكرب إلا الله، وفي «الصحيح»(١) أن النبي عليه رغب في الدعاء التالي عند النوم وهو: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت رغب في الدعاء التالي عند النوم وهو: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت».

فمن علم وتيقَّن أنه ليس له ملجأ ولا مفر ولا مهرب من المصائب التي تصيبه والأعداء التي تحيط به إلا الله، والتجأ إليه بصدق وإخلاص آواه ونصره ونجّاه من كل ما يخاف، نسأل الله أن يجعلنا ممن اتصفوا بهذا الوصف.

عند الله نصيب ولا خلاق.

فواجب الولاة الضرب على أيدي هؤلاء الخونة، والتنكيل بهم، فإنهم ساعدوا أعداء الإسلام مساعدة ظاهرة، وسعوا في إضرار المسلمين ونفع أعدائهم الكافرين.. فهؤلاء مفسدون في الأرض يستحقون أن ينزل بهم أعظم العقوبات.

والمقصود أن مقاطعة الأعداء بالاقتصاديات والتجارات والأعمال وغيرها ركن عظيم من أركان الجهاد، وله النفع الأكبر، وهو جهاد سلمي وجهاد حربي، وفق الله المسلمين لكل خير، وجمع كلمتهم وألف بين قلوبهم وجعلهم إخواناً متحابين ومتناصرين، وأيدهم بعونه وتوفيقه، وساعدهم بمدده وتشديده إنه جواد كريم رؤوف رحيم. .» انتهى كلامه. ولشيخنا الألباني _ رحمه الله تعالى _ كلمة قوية في (المقاطعة) في شريطه رقم (١٩٠) من (سلسلة الهدى والنور).

⁽١) سبق تخريجه.



🚧 الباب التاسع 🔫

⁽۱) أخرجه أحمد (۲۰۱/۱)، وابن إسحاق ـ كما في «سيرة ابن هشام» (۲۰۱/۱ ـ ۳٦۲) ـ وأبو نعيم في «الحلية» (۱/ ۱۱۵ ـ ۱۱۲)، و«الدلائل» (۱۹۶)، والبيهقي في «الدلائل» (۲/ ۳۰۱ ـ ۳۰۱)، وإسناده حسن، وانظر: «السيرة النبوية» لابن كثير (۲/ ۱۶ ـ ۲۳).

⁽۲) ورد في الباب عن على وابن عباس وعائشة وأبي هريرة، وكلها فيها ضعف، أرجاها طريق عن علي، وأخرى عن ابن عباس، هو _ إن شاء الله تعالى _ بهما حسن. أنظر: «البدر المنير» لابن الملقن (٧/ ٦٣٤ _ ٦٣٢)، «الإرواء» (٦/ ٣٢٩ _ ٣٣٤) رقم (١٩١٤)، وسيأتي تخريج واحد منها بعد هامشين، والله الموفق.

⁽٣) في مطبوع «المحدث الفاصل»: «ولدني أبي ثم ولدني أبي».

⁽٤) في مطبوع «المحدث الفاصل»: «يُصبني».

⁽٥) أخرجه محمد بن أبي عمر العدني ـ كما في «المطالب العالية» (٤٢٠٦) رقم (٢٠٦٤)، =



وقوله تعالى: ﴿عَزِيزُ عَلَيْهِ مَا عَنِسَتُهُ أَي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: «بعثت بالحنيفية السمحة»(١) وفي «الصحيح»: «إن الدين ليسر»(٢). وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه، ﴿حَرِيشَ عَلَيْكُم أَي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم، وقال الطبراني وذكر سنده إلى أبي ذر قال: تركنا رسول الله على وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً، قال: وقال رسول الله على شيء يقرّب من الجنة ينذكر لنا منه علماً، قال: وقال رسول الله على شيء يقرّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بيّن لكم»(٣).

وله شاهد، أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٣)، والطبراني في «الكبير» (١٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٧)، والبزار في «المسند» (رقم ١٤٧ ـ زوائده) من حديث أبي ذر شائم مرفوعاً: «ما بقي شيء يقرب من الجنة وباعد من النار إلا وقد بيَّن لكم».

وإسناد أحمد صحيح.

وأخرجه البزار (١٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٧) من طريق سفيان بن عيينة عن فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر به وفيه قولة أبي ذر الموقوفة، وعند الطبراني الزيادة المرفوعة.

وتابع ابن عيينة كذلك سفيان الثوري، رواه الدارقطني في «علله» (٦/ ٢٩٠)، وقال: «ليس بصحيح عنه».

قال البزار: «رواه بعضهم عن فطر عن منذر قال أبو ذر...، ومنذر لم يدرك أبا ذر».

⁼ و (إتحاف الخيرة» (٧/٧) رقم (٦٣٠٨) _، ومن طريقه الطبراني في «الأوسط» (٥/رقم ٢٢٨)، والبو نعيم في «المحدث الفاصل» (٤٧٠/رقم ٢٥٦)، وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (١٤)، وابن عساكر (٣/٣)، وخولف ابن أبي عمر، فرواه من هو أوثق منه وأكثر عدداً من مرسل أبي جعفر الباقر، كما تراه عند عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٢٩١)، والبيهقي (١٩٠/١).

⁽۱) أخرجه أحمد (٢٦٦/٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/٢٥٧) رقم (٧٨٦٨)، وسبق تخريجه مطولاً، والحديث صحيح له شواهد كثيرة، جمعتُها وخرجتها في تعليقي على «الجواب الذي انضبط» للسخاوي.

⁽٢) أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة.

⁽٣) أما القسم المرفوع: فقد أخرجه الشّافعي في «المسند» (٧ ـ بدائع المنن)، وابن خزيمة في «حديث علي بن حجر» (٣/رقم ١٠٠) ـ كما في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٠٣) ـ، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٣٤١) - ٩٣)، وعلقه ابن عبد البر في «الجامع» (٢٣٤٥) عن المطلب بن حنطب مرفوعاً بلفظ: «ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً مما نهاكم عنه إلا نهيتكم عنه»، وهو مرسل حسن.



فصيل

قال محمد تقي الدين: في هاتين الآيتين أخبرنا الله تعالى بأن هذا الرسول الكريم محمداً على من صميم العرب، فهم أولى الناس باتباعه والسعادة بما جاء به، وقد كانوا كذلك، ثم ولوا عنه مدبرين، فأصابهم من العذاب في هذه الحياة الدنيا ما لم يصب أمة من الأمم، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكُبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٦].

ولم نزل ندعوهم وندعو غيرهم من المسلمين إلى الرجوع وإلى التمسك بهذا الدين الحنيف الذي سعد به أسلافهم وصاروا هم به أشقياء، ولا يزالون إلى الآن مدبرين، والنكبات تحل بهم يوماً بعد يوم، وعاماً بعد عام، وإلى الآن لا يزال أكثرهم مصرّاً على استبدال الشريعة الإسلامية بحكم الطاغوت، وقد أمرنا الله أن

⁼ أقول: وقد رجح الدارقطني في «علله» هذه الرواية المرسلة، ومما يؤيد كلام الدارقطني أن شعبة والثوري وابن نمير رووه عن الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبى ذر.

وأما رواية شعبة فهي في «مسند الطيالسي» (٤٧٩)، وأحمد (١٦٢/٥)، وأما رواية ابن نمير فهي في «مسند أحمد» (١٥٣/٥ ـ ١٥٤)، ورواية الثوري تقدّمت.

أما الهيثمي فقال (٨/ ٢٦٤): «ورواه الطبراني ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة». وللفظه شاهد من حديث أبي الدرداء، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، كما في «المجمع» (٨/ ٢٦٤).

انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧).

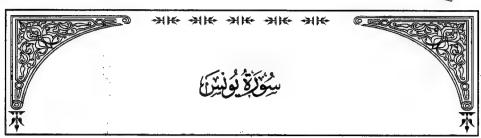


نكفر بالطاغوت، ونؤمن بالله، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكُمُوا إِلَى الطَّلْغُوتِ وَقَدْ أَمِرُوا أَن يَكُفُرُوا بِئِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ صَلَلًا بَعِيدًا ﴿ وَإِلَى اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿ فَي النساء: ١٠، ١١] وقال تعالى في السورة نفسها: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَقَّى لَهُ مَكِمُوكَ فِيمَا شَجَكَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَا قَضَيْتَ وَيُسَلِمُوا لَيْكُولُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ الل

اللهم أرنا الحق حقاً، وأعنّا على اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وأعنّا على اجتنابه.

الشاهد هنا في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تُوَلَّوا فَقُلْ حَسِّمِ اللَّهُ لاَ إِلَهُ إِلَّا هُوَّ عَلَيْهِ وَصَّلِّتُ وَهُو رَبُّ الْعَرْشِ الْفَطِيمِ فَ أَمر الله نبيه عَلَيْهِ أَن يقول: ﴿ حَسِّمِ الله فَهُ ، أَي: الله يكفيني ، فلا أحتاج إلى غيره ، ﴿ لاّ إِلَهُ إِلاّ هُو ﴾ ، لا أصرف شيئاً من عبادتي لغيره كائناً من كان ، ﴿ عَلَيْهِ تُوَكَّلْتُ ﴾ ، لا أحتمد في جلب الخير ودفع الشر ، وقضاء الحاجات وتفريج الكربات إلا عليه ، وهذا توحيد العبادة ، نسأل الله تعالى أن يديم علينا نعمة التوحيد ، وأن يوفقنا للتمسك به ، والكون مع أهله والبراءة من الشرك وأهله ، إنه سميع مجيب .





∺ الباب الأول 🔫

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ آلْإِنسَانَ ٱلشُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ۚ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَابِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ شُرَّمُ مَرَّ كَالَكِ رُبِّينَ إِلَى ضُرِّ مَّسَلَّمُ كَالَكِ رُبِّينَ كَشَفْنَا عَنْهُ كَالَكِ وَبُيْنَ إِلَى ضُرِّ مَّسَلَّمُ كَالَكِ رُبِّينَ لَكَ عُلُوكَ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّ

قال (ك): "يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الشر ﴿وَإِذَا مَسَهُ الشّرُ فَذُو دُعَكَةٍ عَرِيضٍ ﴿ [فصلت: ٥١] أي: كثير، وهما في معنى واحد؛ وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله في كشفها ودفعها (١) عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه وفي جميع أحواله، فإذا فرج الله شدته وكشف كربته أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان (٢) من ذلك [من] شيء ﴿مَرَ كَانُ لَمْ يَدَعُنَا إِلَى ضُرِ مَسَلَمُ ﴾ ثم ذم تعالى من هذه صفته وطريقته، فقال: ﴿كَانِكَ زُيِنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، فإنه [يستثنى] من ذلك، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَمَرُوا وَعَمِلُوا الله عَلَيْ (٥): "عجباً لأمر المؤمن، مَمَرُوا وَعَمِلُوا المَدْلِحَةِ ﴿ [مود: ١١] وكقول رسول الله عَلَيْ (٥): "عجباً لأمر المؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له، وإن

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وزوالها».

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «به».

⁽٣) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «مستثنى».

⁽٥) أخرجه أجمد (٣/١١٧)، وهناد في «الزهد» (٣٩٩)، وأبو يعلى (٧/٢١٧، ٤٢١٨)، وابن حبان (٤/٢١٧) (رقم ٢٨٨٥ ـ «التعليقات الحسان»)، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٥١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٩٥)، والضياء في «المختارة» (١٨١٥ ـ ١٨١٨)، والذهبي في «السير» (٣٤٢/١٥) من حديث أنس، وهو صحيح.



أصابته سراء فشكر، كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»(١).

فصل

قال محمد تقي الدين: الذي يظهر لي أن المراد بالإنسان هنا الكافر كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ فَ وَإِذَا مَسَ الْإِنسَنَ ضُرُّ دَعَا رَبَّهُ مُنِباً إِلَيْهِ مُمَّ إِذَا مَسَ الْإِنسَنَ ضُرُّ دَعَا رَبَّهُ مُنِباً إِلَيْهِ مُمَّ إِذَا مَسَالِهِ فَي اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

🗚 الباب الثانى 🔫

قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتَوُلُونَ هَتَوُلُآءِ شُفَعَتُونَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنبَّتُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَلَا فِي هَتَوُلاَةِ شُفَعَتُونَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ إِنهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَلَا فِي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَمَا يُشْرِكُونَ اللَّهُ اليونس: ١٨]

قال (ك): "ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبداً، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَيِّعُونَ اللّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، قال: (ع) "معناه أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض" ثم نزه نفسه الكريمة (٣) عن شركهم وكفرهم، فقال: ﴿شُبَّحَنَهُ وَتَعَلَىٰ عَمَا يُشْرِكُونَ ﴾» (٤).

⁽١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) ومنه كلمة «للمؤمن» وكذا في مصادر التخريج، وفي الأصل: «للمؤمنين»!

⁽۲) انظر: «تفسير ابن جرير» (۱۲/۱۲).(۳) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٤٦).



فصل

قال محمد تقي الدين: في هذا الزمان يعبد المشركون الأنبياء، فالنصارى يعبدون عيسى، وهو نبي ويغلون فيه فيجعلونه هو الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، والجهال المنتسبون إلى الإسلام يعبدون بعض الأنبياء، فيستغيثون بالنبي على فيقولون: يا رسول الله، يا محمد، أعطنا وأغثنا، كما قال قائلهم:

يا رسول الله يا بحر الوفا يا غياث المعتدي والمهتدي إنني عبد ضعيفٌ وَجِلٌ وذنوبي ما لها من عدد

فانظر إلى هذا الجاهل المشرك الذي يعتقد أن النبلي الله المهتدين فقط، بل يغيث المعتدين أيضاً، ثم توجه إلى النبي في البيت الثاني يريد منه مغفرة ذنوبه، وهذا جهل عظيم، فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله، والنبي لله لا يغيث أحداً لا معتدياً ولا مهتدياً، وإذا كان يغيث المعتدي فهو إعانة له على الاعتداء، حاشاه من ذلك! ويعبدون النبي شيئاً، وقد بنوا عليه قبة في الموصل، ويعبدون النبي يحيى وقد نصبوا له تابوتاً في وسط مسجد بني أمية في دمشق، ويعبدون ما لا يحصى من الأضرحة والقباب التي بنوها على قوم سموهم أولياء وكثير منها في وسط المساجد أو بقربها، وقد زين لهم الشيطان هذا العمل الذي هو معصية للرسول في فقد تواتر نهيه عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك(۱)، وقد تقدم الكلام في هذا، وقال قائلهم في عبادة الأولياء:

أولياء الإله إنسي مريض والدواءُ لديكم والسَّفاءُ انظروا لي بفضلكم في علاجي وامنحوني بجُودكم ما أشاءُ قال الله تعالى في سورة الشورى: ﴿ أَمِ التَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ۚ آوَلِيَا ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٩].

⁽۱) وردت أحاديث كثيرة في ذلك، سيأتي بعضها، وممن قال بتواتر أحاديث اتخاذ القبور مساجد: ابن حزم في «المحلى» (٤/ ٣٥)، وابن حجر في «الفتح» (٢٠٣/١)، والسخاوي في «فتح المغيث» (٣/ ٤٠٩، ط. المنهاج)، والكتاني في «نظم المتناثر» (١٦٤).



😝 الباب الثالث 😝

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا آَذَفَنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكُرُّ فِيَ عَلَيْ اللهُ اللهُ أَسْرَعُ مَكُرُّ إِنَّ رُسُلنَا يَكُنُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ أَسْرَعُ مَكُرُّ إِنَّ رُسُلنَا يَكُنُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ

وقوله: ﴿قُلِ اللّهُ أَسَرَعُ مَكُوّاً ﴾ أي: أشد استدراجاً وإمهالاً ، حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويحصونه عليه، ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الجليل والحقير والنقير والقطمير (٢).

فصل

قال محمد تقي الدين: إن مشركي هذا الزمان ضربوا بسهم وافر في هذا النوع من الكفر، فإنهم يطلبون إعطاء الأولاد من الأموات والأحياء ممن يسمونهم أولياء، فإذا رزقهم الله ولداً اعتقدوا أن ذلك الولي الذي طلبوه منه، هو الذي أعطاهم ذلك الولد، وازدادوا له خضوعاً وخوفاً ومحبة وإجلالاً وتعظيماً وشكراً، فإن كان ميتاً ذبحوا الذبائح على قبره، وحمدوه ولهجوا بذكره، والتزموا كل سنة أن يذبحوا ذبيحة على قبره ليحفظ لهم ذلك الولد، وإن كان حياً جعلوا ذلك

⁽۱) أخرجه البخاري (۸٤٦)، ومسلم (۷۱)، وأبو داود (۳۹۰٦) وغيرهم من حديث زيد بن خالد الجهني.

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (۷/ ۳٤۹).

الولد عبداً له، سواء أكان ذكراً أم أنثى، پؤدون له مالاً في كل سنة ليحفظه لهم، وإذا بلغت الأنثى وأراد التزوج بها أخذها، وإن لم يرد أن يتزوج بها هو ولا أحد أبنائه، أخذ نصف صداقها، وإذا انقطع عنهم المطر، يذهبون إلى قبور أوليائهم ويذبحون الثيران على الأولياء الكبار، والأكباش على الأولياء الصغار، ويتضرعون لهم في طلب المطر، ويقولون وهم حفاة حاسرو الرؤوس، والثور يمشى أمامهم ليذبحوه على القبر:

وحدثت مرة في مدينة البيض، في جنوب الجزائر أن شابين اقتتلا بالأيدي في مبنى القهوة، وكلاهما يدّعي أن أباه ولي، وكان ذلك بعد نزول المطر، فقال أحدهما: إن الذي أنزل هذا المطرهو والدي، فقال له الآخر: كذبت، بل الذي أنزله هو والدي أنا، وكان لفظهما «جاء والدي بالمطر» وأنا عبرت عنه بالإنزال، والمعنى واحد، والحكايات في هذا المعنى كثيرة، فالله يوفقنا وينجح سعينا في دعوة هؤلاء إلى صراط الله المستقيم، ونسأله أن لا يضيع عملنا، ويختم لنا بالحسنى.

∺ الباب الرابع 🔫

قسول م تسعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَعْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشَرَّكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُهُ وَشُرَكَآ وُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿ فَكَفَى بِاللّهِ وَشُرَكَآ وُكُمْ فَا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿ فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَعَنفِلِينَ ﴾ هُنالِك تَبَلُوا كُلُ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَعَنفِلِينَ ﴾ هُنالِك تَبَلُوا كُلُ نَقْسِ مَّا أَسْلَفَتُ وَمُنلَ عَنْهُم مَّا كَانُوا فَيْسِ مَّا أَسْلَفَتُ وَمُنلَ عَنْهُم مَّا كَانُوا فَيْسِ مَّا أَسْلَفَتُ وَمُنلَ عَنْهُم مَّا كَانُوا فَيْسُ مَّا اللّهُ مَوْلَنَهُمُ الْحَقِيْقُ وَمُسَلّ عَنْهُم مَّا كَانُوا فَيْسُ

قال (ك): "يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَعَشُرُهُمْ ﴾ أي: أهل الأرض كلهم من جن وإنس (١) وبر وفاجر، كقوله: ﴿وَحَشَرْتُهُمْ فَلَمْ نُعَادِر مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] ﴿مُمَّ نَعُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ الآية، أي: الزموا أنتم وهم مكاناً معيناً امتازوا فيه عن مقام المؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَالْمَنْزُوا أَلْيُومَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿ الله الله الله على الله وقوله: ﴿وَيَوْمَ

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إنس وجن».



تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَيِذِ يَنَفَرَّوُنَ ﴿ ﴾ [السروم: ١٤] وفي الآية الأحسرى: ﴿يَوْمَيِذِ يَضَدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] (١ يتفرقون، وهذا (٢) يكون إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء (٣) يستشفع المؤمنون إلى الله تعالى أن يأتي لفصل القضاء ويريحنا من مقامنا هذا (٤).

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة إخباراً عما يأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة: ﴿مَكَانَكُمُ أَنتُدُ وَشُرَكاً وَأَنْ فَرَيْنَا بَيْنَهُمُ الآية، أنهم أنكروا عبادتهم وتبرؤوا منهم كقوله: ﴿ كَلَّا سَيَكُفُرُونَ بِعِبَادَتِهِم الآية [مريم: ٨٦]، وقوله: ﴿ إِذْ تَبَرَّأُ الَّذِينَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبِعُوا فِي اللّهِ اللهِ اللهُ ال

وقوله في هذه الآية إخباراً عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم: ﴿فَكُفَىٰ بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الآية، أي: ما كنا نشعر بها ولا نعلم بها، وإنما (٥) كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم والله شهيد بيننا وبينكم أنًا ما دعوناكم إلى عبادتنا، ولا أمرناكم بها، ولا رضينا منكم بذلك، وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً ولم يأمرهم بذلك، ولا رضي به، ولا أراده، بل تبرأ منهم (١) أحوج ما يكونون إليه، وقد تركوا عبادة الحي القيوم، السميع البصير القادر (٧) العليم بكل شيء، وقد أرسل رسله، وأنزل كتبه آمراً بعبادته وحده لا شريك له، ناهياً عن عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمْتِو رَسُولًا آنِ

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي: يصيرون صدعين».

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وهنا»!.

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولهذا قيل ذلك».

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وفي الحديث الآخر: (نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس)»(١).

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أنتم».

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في وقت».

⁽٧) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «على كل شيء».

⁽١) أخرجه أحمد (١١٦/٣)، والبخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.



أَعْبُدُوا الله وَلَجْتَنِبُوا الطَّلْغُوتُ فَمِنْهُم مَنْ هَذَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتَ عَلَيْهِ الضَّلْلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّمُ لَآ إِلَهَ إِلَّا فَاعْبُدُونِ ﴿ وَاللَّهُ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا إِلَا فَاعْبُدُونِ ﴿ وَاللَّهُ مِن السَّلِنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا إِلَّهُ أَنَّا فَاعْبُدُونِ ﴿ وَاللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَا أَرْسَلَنَا مِن وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا الله في كتابه، وبيّن أحوالهم وأقوالهم ورد عليهم فيما هم فيه أتم رد.

وقوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبَلُوا كُلُّ نَقْسِ مَّا أَسَلَفَتُ ﴾ أي: في موقف الحساب يوم القيامة، تختبر كل نفس وتعلم ما سلف (١) من عملها من خير وشر كقوله تعالى: ﴿ يَمْ تَبُلُ السَّرَايُرُ ﴿ إِلَا الطارق: ٩] وقال تعالى: ﴿ يَبَنُوا الْإِسَاءَ يَمَا قَدَمُ وَأَخْرَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ القيامة: ١٣] وقال تعالى: ﴿ وَغُرْجُ لَهُ يَوْمَ الْقِينَةِ كِتَبُا يَلْقَنَهُ مَنْتُورًا الْمَرَّ الْمَوْرُ الْمَوْرُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الحكم العدل ففصلها وأدخل مَوْلَنَهُمُ الْحَقِي اللهِ اللهِ الحكم العدل ففصلها وأدخل أهل الله الجنة الجنة وأهل النار النار، ﴿ وَضَلَ عَنْهُم ﴾ أي: ذهب عن المشركين ﴿ مَا اللهُ التراء عليه (٣) .

فصل

وبيان ذلك أن المعبود إما أن يكون من العقلاء، فهو مشغول بما هو فيه من نعيم الجنة وكرامة الله تعالى إن كان من الصالحين، أو بعذاب الله تعالى إن كان

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أسلفت».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٥٨ / ٣٦٠) بتصرف.



من الطالحين، فلا يعلم شيئاً من عبادة العابدين له، ولو علم ذلك لأنكره وتبرأ إلى الله منه، فما أخسر صفقة المشركين! الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فنعوذ بالله من الخسران.

فيا أيها القوم الذين أضلتهم الشياطين، وزينت لهم عبادة غير الله! توبوا إلى بارثكم وارجعوا إلى ربكم، ووحدوه توحيداً تاماً ما دامت الفرصة سانحة لكم، فإنها لن تدوم، فإنكم لا تعلمون في أي وقت يأتيكم الموت ويحول بينكم وبين التوبة، اللهم أدم علينا نعمة التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد اتباع كتابك، وهدي نبيك محمد الله إلى أن نموت، وأنت عنا راض، والحمد لله رب العالمين.

🔀 الباب الخامس 🖂

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُ قُكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصُرَ وَمَن يُدَيِّرُ ٱلْأَمْنُ وَمَن يُدَيِّرُ ٱلْأَمْنُ وَمَن يُدَيِّرُ ٱلْأَمْنُ فَصَادَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نَتْقُونَ ﴿ فَا فَلَاكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْمُقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ فَقُلْ أَفَلَا نَتْقُونَ ﴿ فَا فَلَالِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْمُقَلِّ أَلْفَانَ أَفَانَ تُصَرَّفُونَ ﴿ فَا فَلَا مِن شُرَكَآءٍ كُو مَن يَبْدَوُا ٱلْخَلْقَ ثُمَ يَعِيدُهُ فَلِ اللّهِ يَعْمِدُونَ فَلَ هَلَ مِن شُركاآءٍ كُو مَن يَبْدَوُا ٱلْخَلْقَ ثُمَ يَعِيدُهُ فَلَ مِن شُركاآءٍ كُو مَن يَبْدَوُا ٱلْخَلْقَ ثُمَ يَعِيدُهُ فَلَ مِن شُركاآءٍ كُو مَن يَبْدَوُا ٱلْخَلْقَ ثُمَ يَعِيدُهُ فَلَ مَن شُركاآءٍ كُو مَن يَبْدَوُا ٱلْخَلْقَ ثُمَ يَعْيدُهُ فَلَ مَن شُركاآءٍ كُو مَن يَبْدَوُا ٱلْخَلْقَ ثُمَ يَعْيدُهُ فَلَ مَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِ أَحَقُ أَن يُبْدَونَ اللّهُ اللّهُ مَن يَهْدِى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَن يَهْدِى اللّهُ عَلَى السَّمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَن يَهْدِى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللللللهُ الللللهُ اللللللّهُ الللللللهُ الللللهُ الللللهُ الللل

قال (ك): "يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الألوهية (١) فقال تعالى: ﴿ وَلَا مَن يَرَزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: من ذا الذي ينزِّل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض (٢) بقدرته ومشيئته فيخرج منها ﴿ حَبَّاوَعِنَا وَقَفْها ﴿ وَوَلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَن الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ ال

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إلا له». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «شقاً».



بها ولسلبكم إياها، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي آَنشَآكُمُ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْسَنَرَ ﴾ الآية [الملك: ٢٣] وقال: ﴿قُلْ أَرْمَيْتُمْ إِنَّ أَخَذَ اللَّهُ سَمَّعَكُمْ وَأَبْصَدْرُكُمْ ﴾ الآية [الأنعام: ٤٦] وقوله: ﴿ وَمَن يُحْرِجُ ٱلْحَقَ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُحْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيْ ﴾ أي: بـقـدرتــه العظيمة ومنته العميمة(١) وأن الآية عامة لذلك كله، وقوله: ﴿ وَمَن يُدَيِّرُ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي: ﴿ مَنْ بِيدِهِ مَلَكُونَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يَجِيدُ وَلَا يُجَازُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٨] وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يـــــاْلــون، ﴿ يَسْتَلُمُ مَن فِي ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِّ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿ ﴾ [الــرحــمــن: ٢٩] فالملك كله العلوي والسفلى وما فيهما من ملائكة وإنس وجان فقيرون إليه عبيد له وخاضعون له(٢) ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به، ﴿ فَقُلْ أَفَلَا نَتْقُونَ ﴾ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم، وقوله: ﴿ فَلَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْمَقُّ ﴾ الآية، أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا النَّبَلَلُّ ﴾ أي: فكل معبود سواه باطل. لا إله إلا هو واحد لا شريك له: ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ أي: فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء وقوله: ﴿ كَذَالِكٌ حَقَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِيكَ فَسَقُوًّا﴾ الآية، أي: كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده الذي بعث رسله بتوحيده، فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكنى النار؛ كقوله: ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَهُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَنفِينَ ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿ قُلَ هَلَ مِن شُرَكَآبِكُمْ مَن يَبْدَقُا الْخَلْق ثُمَّ يُعِيدُمُ قُلِ اللّه الآية ، وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره ، ومن (٣) عبدوا من الأصنام والأنداد ، ﴿ قُلْ هَلَ مِن شُرَكَآبِكُمْ مَن يَبْدَقُا الْخَلَق ثُمَّ يُعِيدُمُ ﴾ أي: من بدأ خلق هذه السموات والأرض ثم ينشئ ما فيهما من الخلائق ، ويفرق أجرام السموات والأرض، ويبدلهما بفناء ما فيهما ثم يعيد الخلق خلقاً جديداً ﴿ قُلِ اللّه ﴾ هو الذي يفعل هذا ويستقل به

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «خاضعون لديه».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «و».



وحده لا شريك له ﴿فَأَنَّ تُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل، ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرِّكَا إِكُمْ مِّن يَهْدِئَ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ أي: أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضال، وإنما يهدي الحيارى والضلال ويقلب القلوب من الغي إلى الرشد الله الذي لا إله إلا هو، ﴿أَفَّمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُنَّبَعَ أَمَّن لَا يَهِدِئ إِلَّا أَن يُهْدَيُّ ﴾ أي: أفيتبع العبد الذي يهدي إلى الحق ويُبَصَّر بعد العمى أم الذي لا يهدي إلى شيء إلا أن يُهدى لعماه وبكمه كما قال تعالى، إخباراً عن إبراهيم أنه قال: ﴿ يَتَأْبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢] وقال لقومه: ﴿ أَنَعَبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ١٩٥ [الصافات: ٩٥، ٩٦] إلى غير ذلك من الآيات، وقوله: ﴿فَمَا لَكُرُ كَيْفَ تَعَكُّمُونَ ﴾ أي: فما بالكم أين يذهب بعقولكم؟ كيف سويتم بين الله وبين خلقه، وعدلتم هذا بهذا، وعبدتم هذا وهذا؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده، وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة، ثم يبين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلاً ولا برهاناً، وإنما هو ظن منهم، أي: توهم وتخيل، وذلك لا يغني عنهم شيئًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ تهديد لهم ووعيد شديد؛ لأنه تعالى أخبر أنه: سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء»(١).

فصل

قال محمد تقي الدين: ذكر الله في أن أن أن أن أن أموراً: الأول: إنه هو الذي يرزق الناس والبهائم والطير وكل حي.

والثاني: إنه هو الذي يملك السمع والبصر وسائر القوى التي وهبها خلقه.

الثالث: إنه هو الذي يخرج الحي من الميت والميت من الحي، قال (ك): «أي: [يخرج الزرع من الحب، والحب] (٢) من الزرع، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء» (٣).

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲۷ ـ ٣٦٠).

⁽٢) في مطبوع "تفسير ابن كثير": «تخرج الزرع من الحبة والحبة».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/٣٤).



الرابع: إنه سبحانه هو الذي يُدَبِّرُ جميع الأمور.

الخامس: إن الله سبحانه وتعالى نفى أن يكون أحد من الأسركاء: لا عيسى ولا الملائكة ولا غيرهم، يستطيع أن يبدأ الخلق ثم يعيده، وصدّقه في ذلك جميع المؤمنين وجميع المشركين الذين قاتلهم النبي ، اعترفوا بأن شركاءهم عاجزون عن الخلق في البدء والإعادة.

والأمر السادس: إن الله الخبر أنه هو الهادي وحده إلى الحق، وغيره، لا يهدي إلى شيء، بل غيره محتاج إلى هداية الله تعالى وإن علا منصبه وارتفعت درجته، كالملائكة والأنبياء، فهم مهديون بهداية الله ولا يملكون لغيرهم من الهداية شيئاً، وصدّقه في ذلك المؤمنون والمشركون، إلا أن المشركين في هذا الزمان ينازعون في توحيد الربوبية أيضاً، فيزعمون أن شركاءهم من الشيوخ أحياة وأمواتاً، يتصرفون في العالم بالرزق وهداية القلوب وقد كفروا بالله تعالى، وبهذه الآية وغيرها، وكذبوا جميع الرسل، والمؤمنون من جميع الأمم، بل كل عاقل وإن لم يكن مؤمناً يكذبهم ويعلم أن الذي أوجد الخلق من العدم، وحفظ عليهم وجودهم بالإمداد، وهو الذي يميتهم عند انقضاء آجالهم، وهو الذي يبعثهم وحواكم عمياً عليهم للجزاء، هو وحده المتصرف في جميع خلقه، وليس لغيره تصرف، سبحانه وتعالى عما يشركون.

∺ الباب السادس 🔫

قولِه تعالى: ﴿قُل لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْتًا إِلَّا مَا شَكَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلُ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسَنَتَخِرُونَ سَاعَةٌ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٩]

قال محمد تقي الدين: في هذه الآية الكريمة أمر من الله تعالى لنبيه محمد على أن يخبر جميع الناس أنه لا يملك لنفسه _ فكيف لغيره؟ _ ضراً ولا نفعاً، ولكن ما شاء الله كان من الضر والنفع وما لم يشأ لم يكن، فهو مالك الملك، المتصرف في عباده، وإذا كان أفضل خلق الله وأكرمهم على الله لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً، بطل كل ما بناه المشركون على شفا جرف هار، من تصرف الأولياء في الدنيا والآخرة.

🔀 الباب السابع 🗟

قال (ك): "يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقياً كان لله ولياً (١) ﴿لَا خَوْفُ عَلَيْهِم أَي: فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَعْرَنُونَ ﴾ على ما وراءهم في الدنيا، وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف: أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله، وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال البزار بسنده إلى ابن عباس قال: قال رجل: "يا رسول الله من أولياء الله؟" قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله» (٢).

ثم ذكر (٧) حديثاً عن النبي على ورواه أثمة الحديث عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت وغيرهما: «أن النبي على فسر قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ ٱلدُّنِيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ بأن البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن أو ترى له، وفي الآخرة هي الجنة (٣)، وبذلك فسرها جماعة من

⁽١) بعدها في مطبوع "تفسير ابن كثير": «ف».

⁽٢) أخرجه البزار في «البحر الزخار» (١١/رقم ٥٠٣٤)، والمروزي في «زوائد الزهد» (٢١٨)، والدولابي في «الكبير» (١٠٣١)، وأبو نعيم (٢١٨)، والدولابي في «الكبير» (١٠٣٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢٣١)، والضياء في «المختارة» وقد أعله شيخنا الألباني بالإرسال في «الصحيحة» (١٧٣٣) وقد كان حسنه عند رقم (١٦٤٦) لكنه ظن كِنَّلَهُ أن طريق البزار ليس فيها جعفر ابن أبي المغيرة، وقد تبين أن إسناد البزار الموصول فيه جعفر وهو سبب إعلال الحديث والصحيح في الحديث الإرسال وهذا الذي رجحه البزار، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١٥، ٢٧) من مرسل سعيد بن جبير، فالحديث مرفوعاً، ضعيف، والله أعلم، وانظر: «مجمع الزوائد» (١٨/١٠).

⁽٣) في الباب عن جمع، وأقتصر على حديثين، هما: حديث أبي الدرداء: أخرجه الترمذي: =

السلف، وقوله: ﴿لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهُ أَي: هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير، بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿ وَلَا يَحَزُنكَ وَ وَلَا يَعَزُنكَ وَ وَلَا يَعَزُنكَ وَ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ إِنَّ الْمِلْولِهِ عَلَيْهُ الْمَوْلِي الله عليهم، وتوكل عليه، ﴿إِنَّ الْمِلْولَةِ السَمِيعَ الْمَاعِيةُ أَي: السميع لأقوال جميعها له ولرسوله وللمؤمنين، ﴿ وَهُو السَّمِيعُ الْمَكْلِيمُ ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم، ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض. وأن المشركين يعبدون الأصنام، وهي لا تملك شيئاً لا ضراً ولا نفعاً، ولا دليل لهم على عبادتها، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم، وتخرصهم وكذبهم وإفكهم "(۱).

الرُّوْيا (٤/ ٣٤٤ _ ٥٣٥) رقم (٢٢٧٨، ٢٢٨٠)، والتفسير (٥/ ٢٨٦) رقم (٣١١٥) أو (١١٩/٤) رقم (٢٢٧٣)، و(٥/ ١٨٤) (رقم ٣١٠٦، ط. بشار)، وأحمد (٦/ ٤٥٢، ٤٤٥ ، ٤٤٧)، والطيالسي (١٣١) رقم (٩٧٦)، والحميدي (١٩٣/١)، وابن أبي شيبة (١/ ٤٢ ـ ٤٣) رقم (٢٦) في «مسانيدهم»، وابن أبي خيثمة في «أخبار المكيين» (٢١ ـ ٤٢٢) رقم (٤٤٧)، والطبريّ في «تفسيره» (١٥/ ١٣٤ _ ١٣٥) رقم (١٧٧٢٢، ١٧٧١٧ ـ ١٧٧٢٤، ١٧٧٣٤، ١٧٧٣٧، ١٧٧٣١، ١٧٧٤١، ١٧٧٤١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ٤٢٠) رقم (٢١٨٠)، والحاكم: تعبير الرُّؤيا (٤٣٣/٤) رقم (٨٦٨٠)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٥٨ ـ ٥٩)، والبيهقيّ في «الشعب» (٤/ ١٨٥) رقم (٤٧٥٣)، وابن البخاري في «مشيخته» (٤٧٣)، وإسحاق في «مسنده» _ كما في "تخريج الكشّاف» (٢/ ١٣٢ _ ١٣٣) للزيلعي _ قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ»، وقال ابن عبد البر: «هذا حديثٌ حسنٌ في التفسير المرفوع صحيحٌ من نقل أهل المدينة». وحديث عبادة بن الصامت: أخرجه الترمذي: الرُّؤيا (٤/ ٥٣٤) رقم (٢٢٨٠) أو (٤/ ١٢٠) (رقم ٢٢٧٥، ط. بشار)، وابن ماجه: «تَعبير الرُّؤيا» (٢٩٨٤ ـ ٢٩٩) رقم (٣٨٩٨)، وأحمد (٥/ ٣١٥، ٣٢١، ٣٢٥)، والطيالسي (٧٩) رقم (٥٨٣)، والدارمي في «سننه» (٢/ ١٢٣، ط. دهمان) (١/ ٥٥٩) (رقم ٢٠٦٠، ط. البغا)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٥) رقــــم (۱۷۷۸ إلـــي ۱۷۷۲، ۱۷۷۳، ۱۷۷۳، ۱۷۷۳، ۱۷۷۳، ۱۷۷۳، ۱۷۷۴، ١٧٧٥٦)، والشاشي في «مسنده» (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٤) رقم (١٢١٦، ١٢١٧)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/١٩١)، وابن عدي في «الكامل» (٢١٦/٤)، والحاكم في «المستدرك» التفسير (٢/ ٣٧٠) رقم (٣٣٠٢)، وتعبير الرُّؤيا (٤/ ٤٣٣) رقم (١٧٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٨٥) رقم (٤٧٥١)، ورواه إسحاق في «مسنده»، وابن مردويه في «تفسيره»، وأبو يعلى في «مسنده» ـ كما في «تخريج أحاديث الكشّاف» (٢/ ١٣٢ _ ١٣٣) للزيلعي _ وهو حديثٌ صحيحٌ كالذي قبله، صحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبيُّ، وكذا شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٣٩١) رقم (١٧٨٦).

انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٧٥ _ ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٣).



فصل

قال محمد تقي الدين: المشركون يعبدون أشياء كثيرة ولا تقتصر عبادتهم على الأصنام فقط، والأصنام إنما يعبدونها لاعتقادهم أن أرواحاً متعلقة بها، هي التي تقضي حاجاتهم، وتحفظهم وتدفع عنهم الشر، وفي بعض الأوثان مقادير من الذهب غالية الثمن، كما في الوثن الذي في كربلاء بالعراق، وفي الوثن الذي في النجف، وفي غيرهما في بلدان مختلفة، مع أن المشركين هم الذين بنوا بأيديهم تلك القباب المذهبة على قبور الصالحين وغير الصالحين، فلو أنهم يعتقدون أن تلك القباب ليس فيها إلا اللبن والجص وتابوت الخشب على القبر والتحف المعلقة، ما عبدوها، ولكنهم يعتقدون أن روح المقبور لها قوة عظيمة، وأنها فرحت بتلك القبة والتابوت، والزائرين لها والطائفين بالتابوت والمتمسحين فرحت بتلك القبة والتابوت، والزائرين والواضعين الدراهم في التابوت ليأخذها السدنة، فهي لذلك متلبسة بالقبة، وقد يأتي سيل عظيم فيجرف القبة والقبر والتبوت، ويترك المكان قاعاً صفصفاً، فلا يعتبرون بذلك ولا يفكرون في أنفسهم أن ذلك الولي ـ كما يسمونه ـ لو كان يقدر على جلب خير أو دفع ضر لحمى قبته، ودفع عنها السيل الذي هدمها، وإذا كان عاجزاً عن حماية قبته فهو عن قضاء حاجة عباده أشد عجزاً، ولكن المشركين لا يعقلون.

∺ الباب الثامن 😣

قال (ك): «يقول تعالى لنبيه صلوات الله عليه وسلامه: ﴿وَٱتَلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أخبرهم واقصص ﴿عَلَيْهِمْ ﴾، أي: على كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك، ﴿نَبَأَ نُوجٍ ﴾ أي: خبره مع قومه الذين كذبوه كيف أهلكهم الله ودمرهم بالغرق

أجمعين عن آخرهم، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِن كَانَ كَبْرُ عَلَيْكُم ﴾ أي: عَظْم عليكم ﴿مَّقَامِي ﴾ أي: فيكم بين أظهركم ﴿ وَتَلْكِيرِي ﴾ إياكم ﴿ بِعَايَنتِ اللَّهِ ﴾ أي: بحججه وبراهينه ﴿ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أي: فإني لا أبالي ولا أكف عنكم، سواء عظم عليكم أم(١) لا، ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرِّكًا ءَكُمْ ﴾ أي: فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دونِ الله من صنم ووثن، ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنُ أَمَّرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ أي: ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبساً، بل افصلوا حالكم معي فإن كنتم تزعمون أنكم محقون ﴿ثُمَّ ٱقْضُوّاً إِلَىٰٓ وَلَا نُظِرُونِ ﴾ أي: ولا تتأخروا (٢) ساعة واحدة، أي: مهما قدرتم فافعلوا فإني لا أباليكم ولا أخاف منكم؛ لأنكم لستم على شيء، كما قال هود لقومه: ﴿إِنِّ أُشْهِدُ اللَّهَ وَالشَّهَدُوٓا أَنِي بَرِيٓ ۗ مِمَّا نُشْرِكُونَ مِن دُونِدٍّ مَكِيدُونِ جَمِيعًا ثُمَّ لَا نُعْظِرُونِ ۖ إِنِّي فَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ﴾ الآية [هدو: ٥٤ - ٥٦]، وقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُم ﴾ أي: كمذبسم وأدبرتم عَن الطاعة ﴿فَمَا سَأَلَتُكُم مِنْ أَجْرٌ ﴾ أي: لم أطلب منكم على نصحي إياكم شيئاً ﴿إِنْ أَجْرِى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: وأنا ممتشل ما أمرت به من الإسلام لله على، والإسلام هو دين الأنبياء جميعاً من أولهم إلى آخرهم، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهجهم (٣) كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةَ وَمِنْهَاجَأَ ﴾ [المائدة: ٤٨] قال ابن عباس: «سبيلاً وسنة»، فهذا نوح يَقُولُ: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وقال تعالى في إبراهيم الخليل: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْمَعْلَمِينَ ﴿ وَوَضَىٰ بِهَا إِبْرَهِمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبَنِيَ إِنَّ ٱللَّهَ أَصْطَلَقَى لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴿ السِيسَدِهِ: ١٣١، ١٣٢] وقسال يـــوســف: ﴿ ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلَّكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَخَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَنَوَتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيْءٍ فِي ٱلدُّنيَا وَٱلْآخِرَةُ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَٱلْحِقْنِي بِٱلصَّلِحِينَ ﴿ [يــوســف: ١٠١] وقال موسى: ﴿ يَقَوْمُ إِن كُنُهُمْ ءَامَنُهُم فِأَلِلَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَّكُّلُواْ إِن كُنُّهُم مُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤] وقالت السحرة: ﴿رَبُّنَا أَفْرَغُ عَلَيْنَا صَبُّرًا وَتُوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦] وقالت بلقيس: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظُلَمْتُ نَفْيِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ [النمل: 18] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَئَةَ فِيهَا هُدَى وَفُورٌ يَمَكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾

⁽١) في مطبوع «تقسير أبن كثير»: «أو».

⁽٢) في مطبوع اتفسير ابن كثير»: التأخروني».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وفي الأصل: «مناهلهم».

[المائدة: 33] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِبِّنَ أَنْ مَامِنُواْ بِي وَيِرَسُولِي قَالُواْ مَامَنَا وَاَشْهَدْ بِأَنْنَا مُسْلِمُونَ ﴿ وَالمَائدة: ١١١] وقال خاتم الرسل وسيد البشر عَيْهُ: ﴿إِنَّ صَلَاقِ وَشُكِي وَمَمَاقِ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْمَلْمِينَ لَا شَرِيكَ لَمُّ وَيِذَلِكَ أُورَتُ وَأَنَا أَوَلُ السَّلِمِينَ ﴿ وَشُكِي وَمُمَانِي وَمَمَاقِ لِلّهِ رَبِّ ٱلْمَلْمِينَ لَا شَرِيكَ لَمُّ وَيِذَلِكَ أَوْلُ وَلا المحديث الشابت عنه: ﴿ نَحْن معاشر الأنبياء أولاد علات وديننا واحد» أي: هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت شرائعنا، وذلك معنى قوله: ﴿ وَكَلَنُوهُ فَنَجَيْنَهُ وَمَن مَعَهُ ﴾ الأخوة من أمهات شتى، والرب واحد، وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَنَهُمْ خَلَتُهِ فَ مَن مَعَهُ ﴾ أي: في الأرض أي: على دينه ﴿ فِي ٱلفُلُكِ ﴾ وهي السفينة ﴿ وَجَمَلْنَهُمْ خَلَتُهِ فَ أَي: يا محمد كيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا المكذبين (*).

فصل

قال محمد تقي الدين: في هذه الآيات فوائد:

الأولى: إن الرسل قاسوا الشدائد في دعوة أممهم إلى توحيد الله والتمسك بالشريعة، فقد قابل هذه الدعوة أقوامهم بالتكذيب والاستهزاء وضروب الأذى، فصبر الرسل على ذلك، ولم يزحزحهم ما لقوا من أممهم قيد شعرة عن الدعوة إلى الله، ولم يخافوا وعيد قومهم؛ لأنهم وهبوا أنفسهم لله وأعظمهم صبراً وجهاداً: سيد البشر محمد على ومن درس سيرته الطيبة الكريمة، رأى العجب العجاب من ذلك وقد امتثل أمر ربه سبحانه إذ قال له في سورة الأحقاف: وفاصير كما صَبَر أُولُوا الْعَرْمِ مِن الرُسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَمُنَّم كَانَّهُم يَوْم بَرَوْن مَا يُوعَدُون لَرَ لَلْ الْقَوْمُ الْفَسِقُونَ الله فعل الاحسان، وكذلك فعل أصحابه والتابعون لهم بإحسان، وكذلك فعل أيضاً اتباع الرسل من قبل، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَكَالِن قِن نَبِي قَنْتُلُ وَفي رواية نافع ("") قبل، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَكَالِن قِن نَبِي قَنْتَلَ ﴾ وفي رواية نافع ("")

⁽١) سبق تخريجه.

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٨٣ _ ٣٨٦).

 ⁽٣) وقرأها هكذا أيضاً: ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن واليزيدي وقتيبة والمفضل، وعزيت لابن عباس، ورجحها ابن جرير، واختارها أبو حاتم.

انظر: «النشر» (٢/ ٢٤٢)، «حجة القراءات» (١٧٥)، «التذكرة في القراءات الثمان» =

«قُتِلَ» بضم القاف وكسر التاء ﴿مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيَّرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَاۤ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواُّ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّنبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وقد فسر علماء السلف الربيين بالمجموع، وقد فسروه بالعلماء الأتقياء.

قلت: والرّبيُّ في اللغة العبرانية: هو الفقيه العالم التقي، و(الوهن): الضعف والاستكانة التذلل، فهكذا ينبغي لمن يتبع الرسول ويدعو إلى اتباعه أن يكون كما قال نوح: ﴿إِن كَانَ كَبُرُ عَلَيْكُم مَقَامِي﴾ أي: كرهتم إقامتي بينكم ودعوتي لكم إلى سبيل الله، فأنا لا أخضع لكم ولا أتذلل ولا أضعف ولا أتبع أهواءكم، بل أصبر وأستمر على إعلان الحق، أحببتم أم كرهتم، وأنا متوكل على الله الذي بيده حياتي وموتى ونفعي وضري فافعلوا ما بدا لكم من الأذى، ولا تبقوني ساعة واحدة إن قدرتم على ذلك.

الفائدة الثانية: إن الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم لا يسألون على الدعوة على تعليم الناس وإرشادهم، فإن ذلك يتنافى مع الإخلاص في الدعوة فإنهم إذا أخذوا أجراً من المدعوين لا بد أن يخضعوا لهم وأن يخافوهم، والمدعوون أنفسهم إذا كانوا يعطون الداعي أجراً يرون لأنفسهم فضلاً عليه وينقص قدره عندهم أو يزول، فإن قلت: نحن نرى شيوخ الطرائق كلاً على أتباعهم، فأتباعهم يخدمونهم ويبذلون أنفسهم وأموالهم، ومع ذلك يعظمونه غاية التعظيم، وهذا يبطل ما ادعيته!! أقول: على رسلك، فرق كبير بين دعوة أتباع الرسل ودعوة شيوخ الطرائق، فشيوخ الطرائق يوهمون أتباعهم أنهم ينفعونهم ويضرونهم إن شاؤوا، وإن كل ما عند أتباعهم من الأرزاق والنّعَم هم الذين منحوهم إياه، زد على ذلك أن شيوخ الطرائق يتبعون أهواء المدعوين فيقولون من مخلصين في خدمتنا فافعلوا ما شئتم من المعاصي، تغفر لكم ذيربكم، وتكونون من أولياء الله الصالحين، ولا تذوقون سكرات الموت، ولا تسالون في قبوركم وتحملكم الملائكة على كواهلها فتمر بكم على الصراط أسرع من لمح البصر، وتدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب في الزمرة الأولى، من لمح البصر، وتدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب في الزمرة الأولى، وتكونون في الفردوس مع النبي علي وأصحابه، انظر كتابي «الهدية الهادية إلى

^{= (}٢٩٦)، «البحر المحيط» (٣/ ٧٢)، «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٦): «فتح القدير» (١/ ٣٨٦)، و«تفسير الآلوسي» (٤/ ٨٣).

الطائفة التجانية»(١) فلا غرابة إذا عبدوهم وبذلوا أموالهم وأنفسهم.

الفائدة الثالثة: إن الله تعالى أخبر بأنه أنجى رسله والذين آمنوا معهم حين حقت كلمة العذاب على الكافرين من أتباعهم، قال تعالى في سورة يونس في أواخرها: ﴿ ثُمَّ نُنجِى رُسُلُنَا وَالَّذِينَ عَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًا عَلَيْنَا نُنجِ المُؤْمِنِينَ الله أواخرها: ﴿ ثُمَّ نُنجِى رُسُلُنَا وَالَّذِينَ عَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًا عَلَيْنَا نُنجِ المُؤْمِنِينَ الله أواخرها: ١٠٣] وكذلك ينجي سبحانه وتعالى من دعا إلى كتابه القرآن، وسنة رسوله محمد على من مكر المشركين، ويجعل لهم فرجاً ومخرجاً من كل شدة وكربة، ويخذل أعداءهم، وهذا مجرب لا شك فيه.

∺ الباب التاسع 🔫

قـولـه تـعـالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنَقَوْمِ إِن كُنْهُمْ ءَامَنَهُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا إِن كُنهُم مُسْلِمِينَ ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا جَعَعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّلْلِمِينَ ﴿ وَخِيَّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَفْهِينَ ﴿ إِلَيْهِ ﴿ ايونس: ٨٤ ـ ٨٦]

قال (ك): "يقول تعالى مخبراً عن موسى أنه قال لبني إسرائيل: ﴿يَتَوَّمُ إِنَّ كُنُمُ مَسْلِمِينَ ﴾ أي: فإن الله كاف من توكل عليه ﴿النَّسُ اللّهُ بِكَافٍ عَبْدَةً ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله تعالى: ﴿فَاعَبْدَهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿قُلْ هُو الرَّحْنُ ءَامَنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْناً ﴾ [الملك: ٢٩] ﴿رَبُّ الْمُنْقِ وَالْمَوْمنين أَن وَالْمَوْمنين أَن وَالْمَوْمنين أَن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ الفاتحة: وَقَد امتثل بنو إسرائيل ذلك فقالوا: ﴿عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَا لِللّهُ وَلَيْكَ اللّهِ عَلَيْنَا وَسلطهم علينا فيظنوا أنهم إنما (٢) سلطوا لأنهم على الحق، ونحن على الباطل فيفتنوا بذلك، هكذا روي عن أبي مجلز وأبي على الضحى، وقال ابن أبي (٢) نجيح وغيره عن مجاهد: «لا تعذبنا بأيدي

⁽۱) رد المصنف فيه (ص٥٤، ٥٨، . . .) وفي غير موطن هذا الكلام، ومما قال: «إن أمور الآخرة لا يجوز لأحد أن يخبر عنها إلا بدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ره ومن أخبر بشيء منها بدون دليل، فخبره مردود بإجماع المسلمين، ولا يساوي عند أهل العلم قلامة ظفر، بل يعدُّونه من الكذب على الله».

⁽٢) من مطبوع «تفسير ابن كثير» وسقط من الأصل.



آل^(۱) فرعون، [ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون]^(۲): لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سُلطنا عليهم فيفتنوا بنا^(۲) ﴿رَبَّنَا لَا جَعَمَلْنَا فِتَـنَةً لِلْقَوْمِ ٱلطَّالِمِينَ﴾ (٤) قوله: ﴿وَيَهِنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أي: خلصنا برحمة منك وإحسان، ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفْمِينَ﴾ أي: الذين كفروا الحقَّ وستروه، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك (٥).

فصل

قال محمد تقي الدين: هذا الذي خافه قوم موسى وسأل الله أن يحفظهم منه وقع فيه المدعون للإسلام في هذا الزمان، فقد صاروا فتنة للقوم الظالمين، ولم ينجوا من شر القوم الكافرين؛ لأتهم انهمكوا في المعاصي، وتركوا طاعة الله تعالى، ولم يتبعوا كتابه ولا سنة رسوله، ولم يوالوا أولياءه ولا عادوا أعلاءه، فنعوذ بالله من الخذلان، فقد صار أعداء الإسلام يقولون فيهم: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا الذل، ولا وقع بينهم الشقاق والنزاع، ولا صار بأسهم بينهم؛ فتراهم على كثرتهم غثاء كغثاء السيل، لا يسرون صديقاً ولا يغيظون عدواً.

🔀 الباب العاشر 😣

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنُمُ فِي شَكِي مِن دِينِي فَلَآ أَعَبُدُ ٱلَّذِينَ تَعَبُدُونَ مِن دُونِ ٱللّهِ وَلَكِكِنْ أَعَبُدُ ٱللّهَ ٱلَّذِى يَتَوَقَّنَكُمُ ۚ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَنْ أَقِدْ وَجْهَكَ لِللّهِ يَخِيفًا وَلَا تَكُونَنَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكُ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنْكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّلِمِينَ ۞ وَإِن

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قوم».

⁽۲) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد»، انظر: «تفسير مجاهد» (١/ ٢٩٦)، و«تفسير عبد الرزاق» (١/ ٢٦١، ط. المعرفة)، و«تفسير سعيد بن منصور» (١٠٧٠)، و«تفسير ابن جرير» (١٥/رقم ١٧٧٨٦ ـ ١٧٧٧١، ط. شاكر)، و«الفتن» لنعيم (١٤٤/١) رقم (٣٦٠)

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا تسلطهم علينا فيفتنونا»..

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٩١).



يَمْسَسُكَ ٱللَّهُ بِضُرِ فَلَا كَاشِفَ لَهُ َ إِلَّا هُوَ وَابِ يُرِدُكَ بِخَيْرِ فَلَا رَآدَ لِفَضَلِهِ عَيْمِ فَلَا رَآدَ لِفَضَلِهِ عَيْمِ فَلَا يَقْفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿ فَلَ يَكَأَيُّهَا لِفَضَلِهِ عَيْمَ الْحَقُّ مِن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿ فَلَ يَكَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَ كُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكُمُ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَجْدِى لِنَفْسِهِ وَمَن طَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿ وَاللَّهِ وَاللَّهِ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَأَصْبِرُ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهُا وَهُو خَيْرُ ٱلْمُنكِمِينَ ﴾ ليونس: ١٠٤ ـ ١٠٩

قال (٣): "يقول تعالى لرسوله محمد على: ﴿ وَلَ يَكَأَيُّهُا النّاسُ إِن كُنُمْ فِي شَكِّهِ آدِينِ آهَدُ اللّهِ وَلَكِنَ آهَدُ اللهِ الدين الحنيف الذي أوحاه الله إلى فأنا ﴿ الّذِي آعَبُدُ اللّهِ وَحَده لا شريك له، وهو ﴿ اللّهِ مَنْ أَعْبُدُ اللّهِ وَحَده لا شريك له، وهو وَالّذِي يَتَوَفَّكُم كما أحياكم، ثم إليه مرجعكم فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله حقا، فأنا لا أعبدها، فادعوها فلتضرني، فإنها لا تضر ولا تنفع، وإنما الذي بيده النفع والضر (٣) هو الله وحده لا شريك له، ﴿ وَأُمِرَّتُ أَنَ آكُونَ مِن المُوعِينِينَ ﴾، وقوله: ﴿ وَأَن آقِمَ وَجَهَكَ لِللّهِينِ حَنِيفًا ﴾ الآية أي: أخلص العبادة للله وحده ﴿ حَنِيفًا ﴾ أي: منحرفاً عن الشرك، ولهذا قال: ﴿ وَلا تَكُونَتَ مِن المُشْرِكِينَ ﴾ وقوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسُكَ اللّهُ وحده لا يشاركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله على قال: ها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم (٤) ثميصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم (٤) ثمي يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم (٤) ثمي يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم (٤) ثمي يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم (٤) ثمي

⁽١) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٢) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقط من الأصل.

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الضر والنفع».

⁽³⁾ أخرجه القضاعي (١/٨٠١) رقم (٧٠١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/١) وفي «الدعاء» (٢٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٧٨/١ ـ ٣٧٩) رقم (٣٠٦) وفي «الشعب» (٢٢/٤) رقم (١١٢١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣٧٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٣٣٩)، وأبو الفضل الكوكبي في «مجلس من الأمالي» ـ كما في «الضعيفة» (٦/ ٣٣٩) وأبو نعيم (٣/ ١٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ١٢٣)، والرافعي في «تاريخ قزوين» (٣/ ١٩٢) من طرق عن يحيى بن أيوب عن عيسى بن موسى بن إياس بن = «تاريخ قزوين» (٣/ ١٩٢) من طرق عن يحيى بن أيوب عن عيسى بن موسى بن إياس بن =



رواه من طريق الليث (١) عن أبي هريرة مرفوعاً بمثله سواء، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ الْحَيْمُ أَي: لمن تاب إليه وتوكل عليه ولو من أي ذنب كان حتى من الشرك به، فإنه يتوب عليه، ﴿قُلْ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلْحَقُ مِن رَبِّكُمْ اللّهِ، يقول تعالى آمراً لرسوله ﷺ أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك فيه، ﴿قَنَنِ آهَتَدَىٰ به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ﴿وَمَن صَلَّ عنه فإنما يرجع وبال ذلك عليه، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم وَلَيْ اللّه عليه الله عليه الله تعالى، وقوله: ﴿وَالَيْعَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصِيرَ اليه أي: تمسك بما والهداية على الله تعالى، وقوله: ﴿وَاتَبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصِيرَ الله عليك وأوحاه إليك، واصبر على مخالفة من خالفك من الناس ﴿حَقَّ أَنْلُ الله عليك وأوحاه إليك، واصبر على مخالفة من خالفك من الناس ﴿حَقَّ أَنْلُ الله عليك وأوحاه إليك، واصبر على مخالفة من خالفك من الناس ﴿حَقَّ عَكُمُ اللّهُ اي: يفتح بينك وبينهم ﴿وَهُو خَيْرُ ٱلْخَكِمِينَ ﴾ أي: خير الفاتحين بعدله وحكمته (٢٠).

فصل

قال محمد تقي الدين: يجب على كل داع أن يتأمل هذه الآيات ويفكر فيها طويلاً ويعمل بها، فإنه لا بدّ أن يلقي من المدعوين شيئاً مما لقيه الداعي الأول على ويقول كما قال القدوة العظمى: ﴿إِن كُنُمُ فِي شَكِّ عِيا أيها المدعوون من صحة توحيد الله تعالى في عبادته فلا تطمعوا أبداً أن أوافقكم على شرككم بالله، سواء أعبدتم الملائكة أم الشياطين، وسواء أعبدتم الأنبياء والصالحين، أو قبورهم أو تماثيلهم أو المواضع التي كانوا فيها، فإنني لا أوافقكم على شيء من ذلك، ولكن أعبد الله وحده لا شريك له؛ لأنه وحده هو

بكير عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك مرفوعاً، وقال البغوي: «حديث غريب»، وقال الطبراني: «لا يروى إلّا بهذا الإسناد، تفرد به يحيى بن أيوب» قلت: وهو صدوق ربما أخطأ كما في «التقريب».

وانظر: «الصحيحة» (١٨٩٠) و«الضعيفة» (٢٧٩٨).

⁽۱) رواه الليث بن سعد عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن رجل من أشجع عن أبي هريرة، أخرجه الطبراني في «الدعاء» (۲۷) والبيهقي في «الشعب» (۱۱۲۳) وإسناده ضعيف، لجهالة الرجل الأشجعي، وأعل البيهقي الطريق السابق بهذا، فقال: «هذا هو المحفوظ دون الأول»، فالحديث لم يثبت، والله أعلم، وانظر: «الضعيفة» (۲۷۹۸).

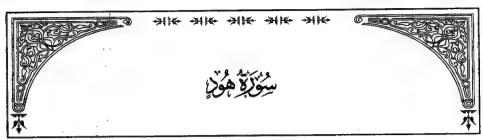
⁽٢) من مطبوع «تفسير ابن كثير» وسقط من الأصل.

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨).



الذي يستحق العبادة، فهو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور، وأولئكم الذين تعبدونهم عاجزون عن كل شيء، مخلوقون محتاجون إلى الله، وقد أمرنا الله تعالى كما أمر رسوله محمداً على أن نكون من المؤمنين بكل ما جاء به هذا الرسول الكريم، وأوله توحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، واتباع كتابه وسنة رسوله على وأمرنا أن نقيم وجوهنا لهذا الدين حنفاء لا نشرك بالله شيئاً، وأمرنا أن ندعو الله وحده لجلب الخير ودفع الشر، ولا ندعو من دونه أحداً، لأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله، ومن يدع غير الله لحاجة فهو من الظالمين المشركين إذا أصابنا ضر علمنا أنه لا يكشفه إلا الله، فدعوناه وتضرعنا له وإن أصابنا خير علمنا أنه من الله وحده، ولا يستطيع أحد أن يمنعنا منه فرجاؤنا كله من الله، وخوفنا كله من الله، لا نخاف غيره أن يصيبنا بضر، كالمرض والموت وتضييق الرزق وتعسر قضاء الحاجات وغير ذلك، ونعلم أن ما جاء به رسولنا خاتم النبيين هو الحق، لا نزيد عليه شيئاً ولا ننقص منه شيئاً، وإن حاربتمونا سألنا النصر عليكم من الله، وصبرنا حتى يحكم الله بيننا وبينكم، وهو خير الحاكمين.





😝 الباب الأول 😣

قوله تعالى: ﴿الَّمْ كِنَنَبُ أُخِكِمَتْ ءَايَنُكُمْ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۗ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۖ ۞﴾ [هود: ١، ٢]

قال (ك): «قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا (١) وبالله التوفيق، وأما قوله: ﴿أُعِكَتُ مَايِنَكُو ثُمَ فَعِلَتُ ﴾ أي: هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها، فهو كامل صورة ومعنى، هذا معنى ما روي عن مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير (٢)، ومعنى قوله (٣): ﴿مِن لَكُنْ حَكِيمٍ خَيرٍ ﴾ أي: من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه الخبير (٤) بعواقب الأمور، ﴿أَلَا تَعَبُدُوا إِلّا الله ﴾ أي: نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّمُ لاَ إِنّهُ الله وَهُ الله وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلُ مِنْهُ فَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ أي: أمّا ألفت وقوله: ﴿إِنّي لَكُمْ مِنْهُ فَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ أي: أعبُدُوا الله وَالله وقوله: ﴿إِنّي لَكُمْ مِنْهُ فَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ أي: أمّا أن رسول الله على صعد الصفا فدعا بطون قريش الأقرب ثم الحديث «الصحيح» (٥) أن رسول الله على صعد الصفا فدعا بطون قريش الأقرب ثم

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هاهنا».

⁽۲) انظر: «تفسير ابن جرير» (٣٠٨/١٢) وكلام قتادة عند عبد الرزاق (٣٠١/١)، وابن أبي حاتم (١٩٥/٦)، وابن جرير (٣١٠/١٢)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٣/ ٣٢٠) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ أيضاً. وتفسير مجاهد: أسنده ابن أبي حاتم (١٩٩٥/٦)، وابن جرير (٣١١/١٢) عنه.

⁽٣) من مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقوله».

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «خبير»!.

⁽٥) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس.



الأقرب، فاجتمعوا فقال: «يا معشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تصبّحكم ألستم مصدّقي»؟ فقالوا: ما جرّبنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»»(١٠).

فصل

قال محمد تقي الدين: اختلف العلماء في الحروف التي بدئت بها بعض السور نحو: ﴿الْمَهُ، ﴿الرَّهُ، فاختار بعضهم تفويض معناها إلى الله تعالى، إذ لم يرد في تفسيرها شيء عن النبي على ولا تتعلق بها أحكام وبعضهم اعتبرها تحدياً للمشركين المكذبين، فكأنه يقول لهم: إن زعمتم أن محمداً جاء بهذا القرآن من عنده فكلماته من حروف المعجم كالألف واللام والميم والراء والصاد والحاء والقاف، فركبوا أنتم كلمات وجملاً وسوراً تشبه القرآن في لفظه ومعناه، فأنتم عرب فصحاء، فكيف عجزتم أن تأتوا بأقصر سورة مثله؟، واستدلوا لهذا الرأي بأن القرآن يذكر بعد تلك الحروف في أكثر الفواتح، كالبقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، إلى آخرها وهو رأي معقول والله أعلم، ودلالة الآية الثانية على إفراد الله تعالى بالعبادة وأن النبي من نشرك به، بالعذاب المهين في الدنيا والآخرة، وبشير لكل من وحده التوحيد الكامل بالسعادة في الدنيا والآخرة.

🔀 الباب الثاني 🔫

قـوك تعالى: ﴿ وَلاَ أَقُولُ لِكُمْ عِندِى خَزَآبِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكُ وَلاَ أَقُولُ لِلّذِينَ تَرْدَرِى أَعْيُنَكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِي إِذَا لَمِنَ الظّلِمِينَ ﴿ وَاللّهُ اللّهُ يَنفُ عَدْ الطّلِمِينَ اللّهُ إِن كَنتَ مِنَ الصّلِمِينَ الشّهُ عِدَلْنَا فِأَنِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّلِمِينَ ﴿ وَلَا أَنْهُ إِن صَيْنَ مِن الصّلِمِينَ ﴿ وَلَا اللّهُ يَلِمُ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغُونِكُمْ فَا لَن اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغُونِكُمْ يَفْعُكُم نَصْحِى إِنْ أَرَدَتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغُونِكُمْ فَا لِللّهُ يُرِيدُ أَن يُغُونِكُمْ وَالْمَالِهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود: ٣١ ـ ٣٤]

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱۰/۷ ـ ٤١١).



قال (ك): «يخبرهم أنه رسول من الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له بإذن الله له في ذلك، ولا يسألهم على ذلك أجراً، بل هو يدعو من لقيه من شريف ووضيع، فمن استجاب له (١) فقد نجا، ويخبرهم أنه لا قدرة له (٢) على التصرف في خزائن الله، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، وليس هو بملك من الملائكة، بل هو بشر مرسل، مؤيد بالمعجزات، ولا أقول عن^(٣) هؤلاء الذين تحقرونهم وتزدرونهم إنهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِم ﴾ فإن كانوا مؤمنين باطناً كما هو الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسنى، ولو قطع لهم أحد بشر (هكذا)^(٤) بعد ما آمنوا لكان ظالماً قائلاً ما لا علم له به، ﴿ قَالُوا يَننُوحُ قَدْ جَندَلْتَنَا فَأَكُثَرَتَ جِدَلْنَا ﴾ الآية، «يقول تعالى مخبراً عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه وسخطه، والبلاء موكل بالمنطق، ﴿ قَالُواْ يَكُنُومُ قَدْ جَكَدَلْتَنَا فَأَكَثَرَتَ جِدَلْنَا﴾ أي: حاججتنا فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك ﴿فَأَلِنَا بِمَا تَهِـدُنَّا ﴾ أي: من النقمة والعذاب، ادع علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْنِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَآةً وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ش أي: إنما الذي يعاقبكم ويعجِّلها لكم الله الذي لا يعجزه شيء، ﴿وَلَا يَنْفَكُمُ نُصْحِى إِنْ أَرَدَتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيكُمْ ﴿(٥) أَيُّ شيء يجدي عليكم إبلاغي (٦) وإنذاري إياكم ونصحي، ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيكُمْ ﴿ أِن اللَّهِ عَلَي إغواءكم ودماركم، ﴿ هُوَ رَبُّكُمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: هو مالك أزمة الأمنور المتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق، وله الأمر وهو المبدئ المعيد، مالك الدنيا والآخرة»(٧).

فصل

قال محمد تقي الدين: تقدم في سورة الأنعام أن الله أمر سيد الخلق

⁽١) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقطت من الأصل.

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا يقدر».

⁽٣) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «في»!

⁽٤) هذه من زيادة الهلالي.

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي:».

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لكم».

⁽٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣).



محمداً ﷺ أن يقول مثل هذا الكلام، وهو ثلاثة أمور:

﴿ لَا آقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَانِ اللهِ يعني: إنني فقير إلى الله كسائر الناس، كما قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ فَ يَتَأَيُّهُ النَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآةُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُ الْحَمِيدُ ﴿ فَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُو الْغَنِيُ اللَّهُ عَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللهُ النبي الله تعالى بمحبة النبي الله تعالى بمحبة النبي والآخرة، ولا دفع ضر أو عذاب، ولكنه يتوسل إلى الله تعالى بمحبة النبي واتباعه، فإنهما من أعظم الوسائل.

الأمر الثالث: حاجته إلى ما يحتاج إليه البشر من أكل وشرب واستراحة ونوم، وليس كالملائكة الذين يستغنون عن ذلك، فالقدرة الكاملة، والعلم الكامل، والغنى المطلق كل هذه خاصة بالله تعالى، فأنت ترى أن الاثنين من أولي العزم وهما محمد ونوح أي: أولهم وآخرهم تبرأ بأمر من الله تعالى من الصفات الثلاث المذكورة، فما أجهل المشركين الذين يتعلقون بالمخلوق ويتركون الخالق.

🙀 الباب الثالث 😣

قال (ك): «هذا سؤال استعلام وكشف من نوح على عن حال ولده الذي غرق ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ آتِنِي مِنَ أَهْلِي﴾ أي: وقد وعدتني بنجاة أهلي، و﴿وَعَدَكَ النّحَقُ﴾ الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ﴿قَالَ يَننُوحُ إِنّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكُ ﴾ أي: الذين وعدت [بإنجائهم](١) لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إنجائهم».



أهلك، ولهذا قال: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْكِ أَلْقَوْلُ مِنْهُمٍّ [المؤمنون: ٢٧] فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق؛ لكفره ومخالفته أباه نبى الله نوحاً عليه ، وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زنية ويحكى القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج واحتج بعضهم بقوله: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ مَنِاتِجٌ ﴾ وبقوله: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم: ١٠] فممن قاله الحسن البصري، احتج بهاتين الآيتين، وبعضهم يقول ابن امرأته وهذا يحتمل أن يكون أراد [ما أراد](⁽⁾ الحسن، أو أراد أنه نسب إليه مجازاً؛ لكونه كان ربيباً عنده، فالله أعلم، وقال ابن عباس وغير واحد من السلف: «ما زنت امرأة نبي قط»(٢) قال: وقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أي: الذين وعدتك نجاتهم، وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن الله تعالى أغير من أن يمكن من امرأة نبى هذه الفاحشة، ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي على وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِقْكِ عُصْبَةً مِنكُّرَ لَا تَصْبَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُو خَيْرً لَكُمُّ لِكُلِّلِ آمْرِي مِنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِرُ وَٱلَّذِي قَوَلَك كِبْرَمُ مِنْهُمْ لَمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۗ ۗ إلى قوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِٱلۡسِنَتِكُرُ وَتَقُولُونَ بِٱفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِدِ، عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنَا وَهُوَ عِندُ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿ إِلَّهِ النَّورِ: ١١، ١٥] (٣).

قال الجمل في «حاشيته على الجلالين» عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يَكُونُ إِنَّهُ لِللَّهِ مِنْ أَهْلِكُ ﴾ ما نصه: «يعني قال تعالى ﴿يَكُونُ إِنَّهُ ﴾ يعني: هذا الابن الذي سألتني نجاته ليس من أهلك، اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا؟ فقال الحسن ومجاهد: كان ولد حنث من غير نوح،

⁽١) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقط من الأصل.

⁽٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١١٢) بلفظ: «ما بغت امرأة نبي قط».

وإسناده ضعيف، وعزاه في «الدر المنثور» (٥٩٦/١٤) لابن المنذر، وروي مرفوعاً عند ابن عساكر (٣١٨/٥) عن أشرس الخراساني رفعه إلى النبي رفعه الله النبي عضل.

وانظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٥/ ٣٦٥)، واتفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ٢٠٤٠ و ١٠١٠ ورقم ١٠٤٢)، والمستدرك (٢/ ٤٠٢٠).

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٤٣ _ ٤٤٤).



ولدته زوجته على فراشه، ولم يعلم به (۱)، فلذلك قال الله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكُ ﴾ وقال محمد بن جعفر الباقر: كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح، ولذلك قال: ﴿مِنْ أَهْلِي﴾، ولم يقل: مني، وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأكثر المفسرين: إنه ابن نوح من صلبه (٢)، وهذا القول هو الصحيح، والقولان الأولان: ضعيفان، بل باطلان، يدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس أنه قال^(٣): «ما بغت امرأة نبي قط»^(٤)، ولأن الله تعالى نص عليه بقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ آتِنَهُ ﴾ [هود: ٤٢] ونوح أيضاً نص عليه بقوله: ﴿ يَنْبُنَّ أَرْكَب مَّعَنا ﴾ [هود: ٤٢] وهذا نص في الدلالة، وصرف الكلام عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة لا يجوز، وإنما خالف هذا الظاهر من خالفه لأنه استبعد أن يكون ولد نبي كافراً، وهذا خطأ ممن قاله؛ لأن الله تعالى خلق خلقه فريق في الجنة، وهم المؤمنون وفريق في السعير، وهم الكفار، والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، فإن الله أخرج قابيل(٥) من صلب آدم، وهو نبي، وكان قابيل كافراً، وأخرج إبراهيم عليه وهو نبي من صلب آزر وكان كافراً، وكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي، فهو المتصرف في خلقه كيف شاء»(٦).

⁽۱) أسنده ابن أبي حاتم (٦/رقم ١٠٩٢٦، ١٠٩٢٩) عن الحسن و(٦/٩٣٠) عن مجاهد.

 ⁽۲) أخرجه عن ابن عباس بلفظ: «كان ابنه، ولكنه خالفه في النية والعمل»: سعيد بن منصور (۲) ۱۹۶۵، وابن أبي وعبد الرزاق (۲/۳۰۷)، وابن أبي حاتم (٦/رقم ۱۰۹۲۲، ۱۰۹۲۲)، وسنده لا بأس به.

وقول عكرمة على إثر قول ابن عباس في بعض الطرق، وقول ابن جبير عند ابن أبي حاتم (٦/ رقم ١٠٩٢٥).

⁽٣) من مطبوع «حاشية الجمل»، وسقطت من الأصل.

⁽٤) سبق تخريجه.

⁽٥) تسمية ولدي آدم برقابيل) و(هابيل) إنما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سنة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا أن لا نجزم به، ولا نرجحه، وإنما هو قول قيل. قاله العلامة أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (١/ ٦٦٢، ط. الوفاء).

⁽٦) «الفتوحات الإلهية» (٣/ ٤٤٠).



فصل

قال محمد تقي الدين: في هذا الكلام فوائد، أذكر بعضها:

الأولى: يظهر لي أن نوحاً سأل الله نجاة ابنه كنعان قبل أن يغرق، كما قاله المجمل، وكما قال الحافظ ابن كثير، أن السؤال سؤال استعلام، وكشف من نوح عليه عن حال ولده الذي غرق ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ أي: وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق، وأنت أحكم الحاكمين؟

الثانية: تأمل كلام الجمل، فإنه نفيس جداً، يبطل اعتماد الجاهلين على النسب، وقد ضل في هذا الباب خلق كثير، فاعتقدوا أن كل من كانت له علاقة بنبي أو صالح لا يعذب في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنه متعلق بحبيب من أحباء الله تعالى، والله لا يعذب بزعمهم من تعلق بأحد المحبوبين عنده، أو تعلق به أحد المحبوبين، كنوح وفي ذلك يقول مخاطباً النبي على:

ألم يرضِكَ الرَّحمنُ في سُورة الضُّحى وحاشاكَ أَنْ تَرْضى وفينا معذَّبُ

وهذا من أجهل الجاهلين، فإن لازمه أن لا يدخل النار أحد من أمة الإجابة، وقد تواترت الأخبار بأن بعض هذه الأمة المحمدية من الذين ماتوا مصرين على الكبائر يدخلون النار، ثم يخرجون منها بشفاعة النبي هي، ومن أجل ذلك احترع بعضهم حديث إحياء الأبوين، وإيمانهما بالنبي هي ثم إماتتهما (۱)، وردوا بذلك الحديث «الصحيح» الذي رواه مسلم (۲)، وهو قول النبي هي للرجل الذي سأله: أين أبي؟: «إن أبي وأباك في النار» وردوا بذلك الحديث «الصحيح» الذي رواه (1) و(ج) وابن أبي حاتم، أن النبي هي مر بقبر أمه فاستأذن الله أن يزوره فأذن له ثم استأذن أن يستغفر لها، فلم يأذن له، فبكى وأبكى من حوله (۳).

وإنما قاس هؤلاء النبوة والصديقية والصلاح على الملك القيصري أو الكسروي، فقالوا بجهلهم: كيف يعذب ابن الملك أو أبو الملك أو صديق الملك؟

⁽١) سبق بيان وهائه.

 ⁽۲) أخرجه مسلم (۲۰۳) من حديث أنس، وسبقت الإشارة إلى أحاديث الإحياء، وأنها لا أصل لها. انظر التعليق على (ص٤٨٦).

⁽٣) سبق تخريجه.



وما علموا أن بين النّبوة والمُلك بُعد ما بين السماء والأرض، فالنبوة اختيار الله تعالى لبعض خلقه، وإنزال الوحي عليهم لتبليغ رسالته، فلا يلزم من ذلك أن يكون كل من تعلق بهم بنسب أو سبب مختاراً، والأدلة على هذا كثيرة منها: قول النبي عنك لفاطمة والله الله الفني من مالي ما شئت، وأنقذي نفسك من النار، لا أغني عنك من الله شيئاً (۱) ومنها قوله على في آخر حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه (۱) وليت شعري إذا عظم على هؤلاء الجهال أن يعذب الأبوان، فلماذا لم يخترعوا حديثاً لنجاة عبد المطلب وهو جد النبي والجد أب، كما قال أبو بكر الصديق (۱) وهو في النار، بدليل قول أبي طالب عند موته: «هو على دين عبد المطلب»، فمات كافراً (۱)، ولكن كل من نبذ الكتاب والسنة واتبع هواه يقع في أودية الضلال، ومن أعجب العجب أن بعض شرار والسنة واتبع هواه يقع في أودية الضلال، ومن أعجب العجب أن بعض شرار الدواب زعم أن بول أهل البيت طاهر؛ لقوله تعالى في سورة الأحزاب: وإنّما يُريدُ الله الدواب زعم أن بول أهل البيت ويُطَهِرَثُو تَطَهِيرًا [الأحـزاب: (انّه مَلْ الْبَيْتِ وَيُطَهِرَثُو تَطْهِيرًا (الأحـزاب: (انّه كَالُوبُ النّه عَلَى قُلُوبِ النّبيك كل يَمْلَمُون (١) الله المناه (١٥) الله عنه المؤبئ الله على قاله على الله المؤبئ الله المؤبئ الله على الله المؤبئ الله على المؤبئ الله على الله المؤبئ الله المؤبئ الله عنه المؤبئ الله على المؤبئ المؤبئ الله على المؤبئ المؤبئ المؤبئ المؤبئ الله على المؤبئ المؤبئ

الثالثة: قد أحسن من (٥) نزه أنبياء الله أن تقع أي فاحشة من نسائهم مع كفر بعضهن.

⁽١) أخرجه مسلم (٢٠٤) من حديث عائشة.

⁽۲) أخرجه مسلم (۲٦۹۹)، وأبو داود (٣٦٤٣)، والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجه (٢٢٥) من حديث أبي هريرة.

 ⁽٣) علقه البخاري في «صحيحه»: كتاب الفرائض، باب ميراث الجد مع الآب والإخوة (قبل رقم ٢٧٣٧) قال: «ولم يذكر أن أحداً خالف أبا بكر في زمانه وأصحاب النبي على متوافرون».

ووصله عبد الرزاق (۱۹۰٤۹)، وأحمد (٤/٤، ٥)، والبيهقي (٢٤٦/٦)، ثم وجدته موصولاً عند البخاري نفسه: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» رقم (٣٦٥٨).

⁽٤) سبق تخريجه.

⁽٥) كأنه يريد صديقه شيخنا الداعي إلى الله على بصيرة العلامة الأديب المفسر محمد نسيب الرفاعي، وله في هذه المسألة مصنَّف مفرد بعنوان «نوال المنى في إثبات عصمة نساء النبي على من الزني» ناولني إياه، وشرط عليّ أن لا ينشر، وأخذت مصورة ما زالت عندي بخطه، وذكر لي أن بعض مبتدعة بلادنا زاره راجياً له نشره، فأبى، وقال له: العلامة المحدث الألباني شيخي، وأنا معه ضدك، أو نحو هذا، فنشره بعد مماته مما لا يرضيه!!



🗡 الباب الرابع 🔫

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنَوْمِ آعَبُدُواْ ٱللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَا مُفَرَّوْنَ ﴿ فَيَ يَنَوْمِ لَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ آجْرًا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى ٱلَذِى فَطَرَفَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ وَيَنَوْدُ مُ أَسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ أَجْرِي إِلّا عَلَى ٱلَذِى فَطَرَفَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿ وَيَنَوْدُ كُمْ قُوتًا إِلَى فَوَتِكُمْ أَمُونُواْ إِلَيْهِ مُرْسِلِ ٱلسَّمَآةَ عَلَيْكُمْ مِدَرَازًا وَيَزِدْكُمْ قُوتًا إِلَى فَوَتِكُمْ وَلَا نَوْلُواْ السَّمَآةَ عَلَيْكُمْ مِدَدَازًا وَيَزِدْكُمْ قُوتًا إِلَى فَوَتَكُمْ وَلَا نَبْوَلُوا السَّمَآةَ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهِ وَمَا يَحْنُ بِسَارِكِ وَمَا يَحْنُ بِسَارِكَ وَمَا يَحْنُ بِسَارِكِ وَمَا يَحْنُ بِسَارِكِ اللّهُ وَاللّهُ وَمَا يَحْنُ بِسَارِكِ اللّهُ وَمَا يَحْنُ لِللّهُ وَاللّهُ وَمَا يَحْنُ اللّهِ وَمَا يَحْنُ اللّهُ وَلَيْ وَمُونُوا إِلّهُ اللّهُ وَمَا يَحْنُ بِسَارِكِ مَا اللّهِ وَمَا يَحْنُ اللّهُ وَلَيْ مَوْدُا وَاللّهُ وَلَا عَمْ اللّهُ وَلَا مَعْنُ اللّهُ وَلَا يَعْمُونُوا اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَوْ اللّهُ وَلَوْ اللّهُ وَلَوْلُهُ وَلَا عَلَى مَا اللّهِ وَلَوْ اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا عَلَيْ اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا عَلَيْكُمُ وَلَا عَلَا اللّهُ عَلَيْكُمُ وَلَا عَلَالًا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَيْكُونُ اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَيْكُمُ وَلَا عَلَيْكُمُ وَلَا عَلَالًا عَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَاللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ اللللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللل

قال (ع) «يقول تعالى: ولقد أرسلنا ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ آمراً لهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ناهياً لهم عن الأوثان التي افتروها واختلقوا لها أسماء الآلهة، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجرة على هذا النصح والبلاغ، إنما يبغي ثوابه من الله الذي فطره ﴿أَفَلا تُمْقِلُونَ﴾ من يدعوكم إلى ما يصلحكم في الدئيا والآخرة من غير أجرة، ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ شأنه، ولهذا قال: ﴿يُرْسِيلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمُ مِّدُرَارًا﴾ وفي الحديث: من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب (الله عليه من أو يَتُونَا يَرَيِّنَةٍ وَمَا نَحَنُ بِتَارِكِيَ . . . ﴾ الآية،

⁽۱) أخرجه أحمد (٢٤٨/١)، وأبو داود (١٥١٨)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" من "الكبرى" (٦/ ١٠٢٩) وهو في "عمل اليوم والليلة" (٤٥٦)، وابن ماجه (٣٨١٩)، والطبراني (١٧٧٤) وفي "الدعاء" (١٧٧٤)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٣٦٤)، والحاكم (٤/ ٢٦٢)، والبيهقي (٣/ ٣٥١)، وغيرهم من حديث ابن عباس، وصححه

يخبر تعالى أنهم قالوا لنبيهم: ﴿ مَا حِثَتَنَا بِيَلِنَهِ ﴾ أي: بحجة وبرهان على ما تدعيه، ﴿ وَمَا يَحْنُ بِسَارِكِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

﴿ فَإِن تَوَلُّوا فَقَدْ أَبَلَغْتُكُم مَّا أَرْسِلْتُ بِهِ إِلْتَكُونُ الآية، يقول لهم هود (١): ﴿ فَإِن تَوَلُّوا عَما جَنْتَكُم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له ﴿ فَقَدْ قامت عليكم (٢) الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها، ﴿ وَيَسْنَخْلِفُ رَبِّ قَرَّمًا عَلَيْكُم وَ عبدونه وحده لا يشركون به ولا يبالي بكم، فإنكم لا تضرونه بكفركم، بل يعود وبال ذلك عليكم، ﴿ إِنَّ رَبِّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ أي شاهد (٣) وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم، ويجزيهم عليها: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ وهو الريح العقيم، فأهلكهم الله عن آخرهم، ونجي هوداً وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه (٤).

⁼ الحاكم، وفي إسناده الحكم بن مصعب وهو مجهول كما في «التقريب»، وبه تعقبه الذهبي فقال: «الحكم بن مصعب فيه جهالة» فإسناده ضعيف.

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «هو»!

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «عليه»!

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «مشاهد»!

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٤٧ _ ٤٤٩) بتصرف.



فصل

قال محمد تقي الدين: أفكار المشركين وأقوالهم متشابهة في كل زمان ومكان، فهكذا يقول عبّاد الأوثان في هذا الزمان، كيف نترك الاحتفال بقبة الشيخ فلان التي وجدنا عليها آبائنا وأسلافنا، ولم يزل العلماء يوافقوننا على عبادتها، بالذبح والنذر والتمسح والطواف والتقبيل، وهم كانوا أعلم منك ولا تعرف أنت عشر معشار علمهم، فهذا علم جديد، ودين جديد جئتنا به، وسيضربك المدفونون في تلك القباب ضربة تردك إلى صوابك، ويحسن هنا أن أذكر حكاية عجيبة ذكرها الشعراني في «الطبقات الكبرى»(١) وهي أن الاحتفال

«واخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي رها أن شخصاً أنكر حضور مولده، فسُلب الإيمان! فلم يكن فيه شعرة تحنُّ إلى دين الإسلام، فاستغاث!! بسيدي أحمد عليه فقال: بشرط أن لا تعود. فقال: نعم، فردَّ عليه ثوب إيمانه، ثم قال له: وماذا تنكر علينا؟ قال: احتلاط الرجال والنساء، فقال له سيدي أحمد رفي : ذلك واقع في الطواف ولم يمنع أحد منه، ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضاً، أفيعجزني الله ﷺ عن حماية من يحضر مولدي؟! وحكى لي شيخنا أيضاً: إن سيدي الشيخ أبا الغيث بن كتيلة _ أحد العلماء بالمحلة الكبرى، وأحد الصالحين بها _ كان بمصر فجاء إلى بولاق، فوجد الناس مهتمين بأمر المولد والنزول في المراكب، فأنكر ذلك. وقال: هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم على مثل اهتمامهم بأحمد البدوي!! فقال له شخص: سيدي أحمد ولي عظيم، فقال: ثم في هذا المجلس من أهو أعلى منه مقاماً، فعزم عليه شخص، فأطعمه سمكاً، فدخلت حلقه شوكة تصلبت فلم يقدروا على نزولها بدهن عطاس ولا بحيلة من الحيل، وورمت رقبته حتى صارت كخلاية النحل تسعة شهور، وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام، وأنساه الله تعالى السبب فبعد التسعة شهور، ذكَّره الله بالسبب فقال: احملوني إلى قبة سيدي أحمد على، فأدخلوه فشرع يقرأ سورة يس، فعطس عطسة شديدة، فخرجت الشوكة مغمسة دماً!! فقال: تبتُ إلى الله تعالى يا سيدي أحمد، وذهب الوجع والورم من ساعته».

قال أبو عبيدة: في كتاب «الطبقات الكبرى» للشعراني طامات وأوابد، وإليك نماذج من ذلك: فيه (١/ ٦٤) في (كرامات عبد الله بن عون): «كان يخلو في بيته صائماً متفكراً، وما دخل حماماً قط»، وفيه (٢/ ١٢٨) ضمن (كرامات نور الدين المرصفي) قال على لسانه: «ذكر لي سيدي أبو العباس قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات، فقال الشيخ الفقير: وقع له أنه قرأ في يوم وليلة ثلاث مئة وستين ألف ختمة»!! وذكر (٢/ ١٤٠) من =

⁽١) يظهر أن المصنف قد دمج بين قصتين ذكرهما الشعراني في «الطبقات الكبرى» (١/١٨٧) وهذا نص ما فيه:



بموسم أحمد البدوي المدفون في طنطا يختلط فيه الرجال والنساء، ويقع الزنا بينهم، فتصدى أحد العلماء للإنكار عليهم، فلما رجع إلى بيته قدم له الطعام، وكان فيه سمك، فوقف له عظم صغير في حلقه لا يصعد ولا يهبط، وبقي كذلك سنتين، وكان القيح والصديد يخرج من فمه، ولا يتغذى إلا باللبن (الحليب)، وبعد مضي سنتين في ذلك العذاب تذكر أنه أنكر على المشتغلين في موسم أحمد البدوي، وخطر بباله أن أحمد البدوي انتقم منه لإنكاره على المحتفلين بموسمه ما يأتونه من الفاحشة، فندم وتاب في باطنه فرضي عنه البدوي وقبل توبته فسقط صبي له من مكان عالي إلى أسفل، ففزع وصاح صيحة شديدة فخرج العظم من فمه، وشفي في الحال.

يريد الشعراني بهذه الحكاية أن يخوف العلماء من سطوة أرواح المقبورين، حتى لا ينكروا على الفساق ما يفعلونه عند قبورهم، وهذا عين ما قاله قوم هود لهود: ﴿إِن نَقُولُ إِلّا أَعَرَّىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوّتٍ ﴾ ونحن نقول لهم اقتداء برسل الله عليهم الصلاة والسلام: إننا نشهد الله، واشهدوا أننا بريئون مما تشركون به يا عبّاد القبور، فكيدونا جميعاً أنتم وآلهتكم وأولياؤكم، وأهلكونا ولا تبقونا لحظة واحدة إن كنتم قادرين، ولا تظن أيها القارئ أن وقوع الزنا عند قبر البدوي خبر مبالغ فيه أو كذب، فقد أخبرني أخو الشيخ حسن عبد الرحمن من كبار العلماء المعاصرين للشيخ محمد عبده، ومن خيار السلفيين، أخبرني أن

⁽كرامات إبراهيم بن عصيفير): "كان يتشوش من قول المؤذن: (الله أكبر) فيرجمه، ويقول: عليك يا كلب! نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا»، وفيه عنه: "وكان يقول: أنا ما عندي من يصوم حقيقة إلا من يأكل اللحم الضاني أيام الصوم، فصومهم عندي وأما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم، فصومهم عندي باطل»، وذكر فيه (٢/١٤١) عن شهاب الدين الطويل النشيلي أنه كان ينادي خادمه وهو في الصلاة، فإن لم يجئه مشى إليه وقال: "كم أقول لك: لا تعد تصلي هذه الصلاة المشؤومة فلا يستطيع أحد يخلصه منه»، وذكر فيه (٢/١٤٣) من (مكاشفات أبي الخير الكليباتي): "كان أغلب وقته واضعاً وجهه في حلق الخلاء في ميضاة جامع الحاكم، ويدخل الجامع بالكلاب»، وذكر فيه (٢/١٤٢) أن من (كرامات إبراهيم العريان): "كان يطلع المنبر ويخطب عُرياناً»، وأما إبراهيم المجذوب فكراماته: "كان كل فلوس حصلها يعطيها للمطبلين ويقول: طبلوا لي وزمروا لي" في سلسلة من هذه الترهات والخرافات يعطيها للمطبلين ويقول: طبلوا لي وزمروا لي" في سلسلة من هذه الترهات والخرافات التي يصان العقلاء عنها، والإسلام منها بريء، والله حسبنا ونعم الوكيل.



(...) زنى بامرأة عند قبر البدوي، وكان الشيخ حسن قد أخبرني بذلك قبل أن نزور (...)، فلما زرناه قال له: اذكر ما فعلته عند قبر البدوي لمحمد تقي الدين ليزداد يقيناً، فذكر لي ذلك، ثم إن الشعراني حكى في ذلك حكاية. فانظر إلى أين يبلغ الجهل بالدين عند من يزعمون أنهم علماء (١)، بل أولياء وأقطاب، فماذا يقول العوام الجاهلون.

₩ الباب الخامس الخ

قوله تعالى: ﴿ هُ وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُكُرُ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ مِن اللّهِ عَيْرُةً هُو أَنشاكُمْ مِن الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُكُرُ فِيها فَاسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ مَرِيبٍ فَي قَلْلَ هَذَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ مَا يَعْبُدُ مَا يَاللّهِ مِن يَقِي مِنا تَدْعُوناً إِلَيْهِ مُرِيبٍ فَ قَالَ يَنقُومِ اللّهِ إِن عَصَيْنُهُ فَمَا تَرِيدُونِي عَيْرَ تَقْسِيرٍ فَ وَمَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَصُرُفِ مِن اللّهِ إِن عَصَيْنُهُ فَمَا تَرِيدُونِي عَيْرَ تَقْسِيرٍ فَ وَمَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَصُرُفِ مِن اللّهِ إِن عَصَيْنُهُ فَمَا تَرِيدُونِي عَيْرَ تَقْسِيرٍ فَ وَيَنقَومِ هَانِيهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَلا تَمَسُوهَا بِسُوهٍ فَالْمَلُولُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَلا تَمَسُوهَا بِسُوهِ فَالْمَاكُولُ مِن اللّهِ وَلا تَمَسُوهَا بِسُوهُ فَالْمَاكُولُ مَا تَرْدُوهِمَا فَقَالَ تَمَتَعُوا فِي دَارِكُمْ مَلْكُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلا تَمَسُوهَا مِسُوهُ اللّهُ مَن اللّهُ وَلا تَمَسُوهَا فِلْوَلَى مَالَمُولُ الصَّيْحُولُ فِي وَيُومِ اللّهُ وَلا تَمَسُوهَا وَالْمَالُولُ الصَّيْحَةُ فَاصُمْرُولُ فِي وَلَا مَن اللّهُ وَلَا الْمَالُولُ اللّهُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ اللّهُ الْمَالُولُ الْمِلْمُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمُولُ اللّهُ الْمَالُولُ الْمُؤْلُولُ الْمَالُولُ اللّهُ الْمَالُولُ اللّهُ الْمَالُولُ اللّهُ الْمَالُولُ اللّهُ الْمَلْمُ اللّهُ الْمَالُولُ اللّهُ الْمُؤْلُ الْمُؤْلُولُ اللّهُ الْمَالُمُولُ الْمَالُولُ اللّهُ الْمُؤْلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ

قال (ك): "يقول تعالى: ﴿وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ وهم: الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، فبعث الله منهم أخاهم صالحاً، فأمرهم بعبادة الله وحده، ولهذا قال: ﴿هُوَ أَنشَاكُمْ مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ابتدأ

⁽۱) انظر في هذا الباب ما عقده محمود عبد الرؤوف القاسم في كتابه: «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٤٢٣ ـ ٥٩٣) فصلاً بعنوان (نماذج من حكايات الصوفية ومكاشفاتهم وكراماتهم وعلومهم اللدنية) أورد فيه عشرات القصص على وزان هذه القصة، فكن على حذر من الترهات والبواطيل والخرافات!



خلقكم منها، خلق منها أباكم آدم، ﴿وَاَسْتَعْمَرَكُرُ فِيهَا﴾ أي: جعلكم عماراً تعمرونها وتشغلونها ﴿فَاَسْنَغْفِرُوهُ﴾ [من سالف] (١) ذنوبكم ﴿ثُمُّ تُولُوّاً إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلونه، ﴿إِنَّ وَشَعْلُونِهِا ﴿ فَاَسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [من سالف] (١) ذنوبكم ﴿ثُمُّ تُولُوّاً إِلَيْهِ ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعُوةً اللّه عَالَى اللّه اللّه [البقرة: ١٨٦].

فصل

قال محمد تقي الدين: وهذا بعينه موجود في مشركي هذا الزمان؛ فإنهم يعتبرون العالم الذي يدعوهم إلى توحيد الله واتباع سنة رسوله ناقص العقل أحمق، ويعتبرون العالم الذي يسالمهم ولا ينكر عليهم ما هم فيه من الشرك عاقلاً حسن الخلق، يقدر الناس حق قدرهم، ويعاشرهم بالإحسان، فهذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولكن من شرح صدره للإسلام، وكان على نور من ربه، لا يبالي بعداوة المشركين، بل يجدُّ في الدعوة إلى الله ويستنصر على أعداء التوحيد، فقد وعده بالنصر، والله لا يخلف الميعاد، قال تعالى في سورة المؤمن التوحيد، فقد وعده بالنصر، والله لا يخلف الميعاد، قال تعالى في سورة المؤمن النَّكُمُ رُسُلنَا وَالدِّينَ ءَامَنُوا فِي لَحْيَوةِ الدُّنِيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ اللهِ يَوْمَ لَا يَنْعُمُ الطَّيْدِينَ مَعْذِرَتُهُمُّ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ شُوّةُ الدَّارِ الله إنافر: ٥١، ٥١].

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لسالف».

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۶۹/۷ یا ۵۰۰).



😝 الباب السادس 🔫

قول م تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدَيْنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَنقُومِ أَعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ عَنْبُرُهُ وَلَا نَنقُصُوا الْمِكْيَالُ وَالْمِيزَانَ إِنِي آرَبِكُمْ جِنَيْرِ وَإِنِي آخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ تَحْمِيطٍ فِي وَيَعَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالُ وَإِنِي آخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ تَحْمِيطٍ فِي وَيَعَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالُ وَالْمِيزَاتُ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْبَآءَهُمْ وَلَا تَعْفُوا فِ الْأَرْضِ وَالْمِيزِينَ وَمَا أَنا عَلَيْكُم مُفْسِدِينَ فِي يَقِيتُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم مُفْسِدِينَ فِي يَقْمِدُ أَلَاللّهُ مَا يَعْبُدُ عَالَمُوا اللّهُ مَا يَعْبُدُ عَالَمُوا اللّهُ مَا يَعْبُدُ عَالَمُوا اللّهُ عَلَيْكُمُ مِنْ مَنْ مَا يَعْبُدُ عَالَمُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ يَبْنَهُ مِن ذَقِي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ اللّهُ الْمِعْدُ فَيَا اللّهُ عَلَيْهُ وَمُنَا أَنْ أَرْبِيدُ اللّهِ اللّهُ عَلَيْهُ وَمَا أَنْهُ لَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَمَا أَنْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ أَلِي اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَا اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَالَهُ وَلِيْهُ أَلِيهُ وَلِيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهُ وَلِكُولُولُ وَالْمُهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا لَيْ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللللللّهُ الللّهُ ال

قال (ك): "يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدين، وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريباً من معان بلاداً تعرف (۱) بهم يقال لها: مدين، فأرسل الله إليهم شعيباً، وكان من أشرفهم نسباً، ولهذا قال: ﴿أَغَاهُم شُعَيباً ﴾ فأمرهم بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وينهاهم عن التطفيف في المكيال والمميزان، ﴿إِنِّ أَرَبْكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ ثَجِيطٍ أي: في معيشتكم ورزقكم وإني أخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانتهاككم محارم الله ﴿وَإِنِي أَلْمَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ أي: في المدار الآخرة، ﴿وَيَعَوْمُ أَوْفُوا الْمِكِيالُ وَالْمِيزانِ إِذَا أعطوا الناس، وَالْمِيزانَ عِلْمُ اللهِ عَن نقص المكيالُ والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيلُ والوزن بالقسط آخذين ومعطين ونهاهم عن العثو (۲) في الأرض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق، وقوله: ﴿يَقِينَ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ وَالَ الناس، وقال اكم من الربح بعد وفاء الكيلُ والميزان خير لكم من أخذ أموالُ الناس، وقال: وقد روى هذا عن ابن عباس (۳)، قال (۵):

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بلاد معان في بلد يعرف».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «العيث».

⁽٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قلت»: ونحو المذكور عند ابن جرير (١٢/١٢) - =



ويشبه قوله تعالى: ﴿ قُلُ لاَ يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَالطَّيِّ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كُثُرُةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ الآية السائدة: ١٠٠]، وقوله: ﴿ وَمَا آَنَا عَلَيْكُم عِيفِيظِ ﴾ أي: برقيب ولا حفيظ، أي: افعلوا ذلك لله عَلَى لا تفعلوه ليراكم الناس بل لله عَلَى، ﴿ قَالُواْ يَسُعَيْبُ أَمَلُوتُكَ وَمَا أَمُرُكَ أَن نَتُرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاوُنَا ﴾ الآية، يقولون له: على سبيل التهكم _ قبحهم الله _ : قرأم الأرثاث ﴾ قال الأعمش: أي: قرآنك ﴿ قَامُرُكَ أَن نَتُرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاوُنَا ﴾ أي: الأوثان والأصنام ﴿ أَوْ أَن نَقْعَلَ فِي آمَرُلِنَا مَا نَشَتُوا ﴾ فنترك التطفيف عن قولك وهي أموالنا نفعل فيها ما نريد، قال الحسن في قوله: ﴿ أَمَلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَتُرُكَ مَا يَعْبُدُ النُوري أَموالنا نفعل فيها ما نريد، قال الحسن في قوله: ﴿ أَمَلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَتُركَ مَا يَعْبُدُ النُوري أَمِا النوري أَوْنَ أَن فَعَلَ فِي آمَولِنَا مَا نَشَتُوا ﴾ يعنون: الزكاة (١٠)، ﴿ إِنّك لَأْتَ ٱلْحَلِيمُ في قوله: ﴿ أَمَا لَا الله على الله على عنول الله على عنول النوري في قوله: ﴿ أَوْ أَن نَقْعَلَ فِي آمَولِنَا مَا نَشَتُوا ﴾ يعنون: الزكاة (١٠)، ﴿ إِنّك كَأَنَ ٱلْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ قال ابن عباس وغيره من السلف يقولون (١٠) ذلك _ أعداء الله _ على سبيل الاستهزاء (١٠).

فصل

قال محمد تقي الدين: أول ما أمر نبي الله شعيب قومه به أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، ثم نهاهم عن نقص الكيل والوزن؛ لأن مَن وحد الله حقاً في عبادته لا ينقص كيلاً ولا وزناً لمسلم، ولا لذمي، ولا لمعاهد، ولا لمصالح، فإن فعل ذلك دل على ضعف إيمانه بالله، وقوله: ﴿وَإِنِيّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ نُجِيطِ ولي دليل على أن من نقص الكيل والوزن، فقد تعرض لعذاب الله الذي يحيط به ولا يدع له مخرجاً في الدنيا والآخرة، ثم أمرهم أن يوفوا الكيل والوزن إذا أعطوا غيرهم شيئاً مما يكال أو يوزن، وإيفاء الكيل والوزن، يلزم منه عدم نقصهما والعكس بالعكس، سواء أكان الشخص معطياً أو آخذاً وفي "صحيح مسلم" أن النبي على قال: "من غشنا فليس منا" في وهذا دليل على أن العمل مسلم" أن النبي على أن العمل

⁼ ٥٤٢)، وفيه: «وهذا قول روي عن ابن عباس بإسنادٍ غير مرتضى عند أهل النقل» ولم يسقه لوهائه وضعفه. وبنحوه عن سفيان الثوري عند سعيد بن منصور في «تفسيره» رقم (١٠٩٩).

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقولهم».

⁽Y) كذا في مطبوع "تفسير ابن كثير"، وفي الأصل: "يقول".

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٦٠ ـ ٤٦١) بتصرف.

⁽٤) سبق تخريجه.



داخل في الإيمان، كما هو مذهب جمهور أهل السنة، والقول الآخر ضعيف(١١).

فصل

قال محمد تقى الدين: قوله تعالى: ﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُوكَ أَنْ قَرُكُ مَا يَمَبُكُ الْمَاوُنَا لَا فَالْمَاكِ فَ أَمْرُلِنَا مَا نَشَتَوْأَ لَا لله على أن الصلوات الصحيحة المقبولة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتأمر بالمعروف، وقال النبي على: «من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بُعداً»، وقال النبي على: «من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له» رواهما الطبراني (٢) من حديث ابن عباس. وقوله: ﴿أَوْ أَن نَفْعَلَ فِي أَمْرُلِنَا مَا نَشَتَوْأً لَى يعني: أصلواتك تأمرك أن لا تصرف في أموالنا كما نشاء، فنترك الصدقة إن شئنا، وإن كانت واجبة، ونوفي الكيل والوزن ولا ننقصهما إذا أخذنا وإذا أعطينا ننقصهما مع أنها أموالنا نتصرف فيها كيف نشاء؟ وهذا كلام الجاهلين الضالين، فإن المالك الحقيقي للأموال فيها كيف نشاء؟ وهذا كلام الجاهلين الضالين، فإن المالك الحقيقي للأموال هو الله تعالى، والناس مستخلفون في تلك الأموال يجب عليهم أن يتصرفوا فيها كما أمرهم سيدهم وخالقهم ورازقهم ومالكهم ومالك أموالهم، ولا يجوز أن يتصرفوا فيها حسب أهوائهم، والحليم الرشيد، هو الذي يستجق أن يكون إماماً يتصرفوا فيها حسب أهوائهم، والحليم الرشيد، هو الذي يستجق أن يكون إماماً

⁽١) هو قول المرجئة المبتدعة، أعاذنا الله من شرهم، وفساد عقيدتهم.

⁽٢) أما الرواية الأولى: فقد أخرجها الطبراني في «الكبير» (١١/٥٤)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١٠٥/١) (رقم ٣٩٨، ط. طبرية): «رواه الطبراني وأسنده ابن مردويه في «تفسيره» من حديث ابن عباس بإسناد لين».

وأما الثانية فلم أجدها عند الطبراني وإنما هي عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٩/ ٣٠٦٥) رقم (١٧٣٣٩) من حديث عمران بن حصين مرفوعاً.

وأخرجه الطبراني (١٠٧/٩) رقم (٨٥٤٣)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص١٥٩)، وابن جرير في «تفسيره» (٤٠٩/١٨) عن ابن مسعود موقوفاً قال: «من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً».

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١٠/٥١٤): «والموقوف أصح».

وقال أيضاً (١٥/١٠) «والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم، والله أعلم».

وقال عنه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ١٠٥): «وإسناده صحيح».

وقال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (١/٥٦): «وجملة القول: إن الحديث لا يصح إسناده إلى النبي ﷺ، وإنما صح من قول ابن مسعود والحسن البصري وروي عن ابن عباس».



لقومه؛ لأنه يعفو عن مسيئهم وهو رشيد لا يأمر إلا بالخير فأنكروا عليه هذه الإمامة لجهلهم وسفاهتهم. ثم قال (ك): «يقول لهم: ﴿أَرَدَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ قيل: على بصيرة فيما ادعو إليه ﴿وَرَرَدَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ قيل: أراد النبوة، وقيل: أراد الرزق الحلال، ويحتمل الأمرين، وقال الثوري: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَلَكُمْ عَنْهُ ﴾ أي: لا أنهاكم عن شيء (١) أخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم كما قال قتادة في قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَلَكُمْ إِلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ المُولِقِي عَنْهُ وَمَا أُرِيدُ إِلَّا الْإِصَلَاحَ مَا اللهِ اللهُ عَنْهُ وَلَا أَرِيدُ إِلَّا إِللهُ عَلَيْهِ تَوْكُلُكُ وَي جميع أموري وَالْكِهِ أَيْدِ أَيْ أَيْدُ فَي جميع أموري ﴿وَإِلَّهِ أَيْدِهُ أَي: أُوجِع، قاله مجاهد» (١) .

فصل

قال محمد تقي الدين: أول شرط في الداعي إلى الله أن يكون على بصيرة، أي: على علم بما يدعو إليه بأدلته من الكتاب والسنة، ولا يجوز أن يكون مقلداً لغيره؛ لأن المقلد قد أجمع أهل العلم على أنه جاهل، أعمى لا بصيرة له، فإذا استفتى عالماً واجتهد في الاستفتاء كما يجب عليه باختيار المفتي الأعلم الأورع، الأتبع للسنة، وأفتاه بشيء جاز له العمل به في خاصة نفسه، ولا يجوز له أن يفتي بذلك لجهله بدليله. قال أبو حنيفة كَثَلَفُهُ: «لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه». وهكذا قال الأئمة كلهم (٥)، متبعين في ذلك لنصوص الكتاب والسنة. وقال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري في كتابه: «جامع بين العلم وفضله»، من قصيدة له مفيدة:

لا فَرقَ بين مقلِّدٍ وبهيمةٍ تنقادُ بين جَنادِلَ ودعاثر (٦)

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وفي الأصل: «الشيء».

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «لأنهاكم».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «مرادي».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كيير» (٧/ ٤٦٢).

⁽٥) ذكره الإمام ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣/ ٤٨٨ ـ بتحقيقي) وأخرجه البيهقي في «المدخل» رقم (٢٦٢) عن أبي يوسف.

⁽٦) سبق ذكره.



الشرط الثاني: في الداعي إلى الله أن يكون مخلصاً في دعوته: فلا يترك ما أمر به، ولا يفعل ما نهى عنه، وهذا هو الإصلاح الحقيقي، ويسأل التوفيق دائماً من الله سبحانه، ويتوكل عليه وحده، ويرجع إليه في جميع أموره، فيكون جديراً بالنجاح.

🔀 الباب السابع 🔫

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَلَوُلَآءً مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ عَلَيْكُ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ عَالِمَا وَاللَّا عَلَيْكُ مَا يَعْبُدُ عَلَيْكُ مَا يَعْبُدُونِ اللَّا كَمَا يَعْبُدُ عَالَكُ وَاللَّا لَمُوفُوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوسٍ اللَّا ﴾ [هود: ١٠٩]

قال (ك): "يقول تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةِ مِنَا يَعْبُدُ هَنَوْكُو المشركون أنه باطل وجهل وضلال، فإنهم إنما يعبدون ما يعبد آباؤهم من قبل، أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات، وسيجزيهم الله على ذلك أتم الجزاء، [فيعذبهم] (١) عذاباً لا يعذبه أحداً (٢)، وإن كان ليهم حسنات فقد وفاهم الله إياها في الدنيا قبل الآخرة. قال سفيان الثوري، عن جابر الجعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس (٣): ﴿ وَإِنَّا لَهُوَفُوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْفُومِ ﴾ قال: ما وعدوا من خير أو شر» (٤).

فصل

قال محمد تقي الدين: أمرنا الله تعالى في هذه الآية اتباعاً لنبينا محمد على أن لا نشك في ضلال المشركين وعذاب الله لهم في الدنيا والآخرة، وهناك طائفة في هذا الزمان ممن يدعون العلم - أو يُدَّعى لهم - يداهنون المشركين، ويحاولون التستر عليهم، فإذا رأوهم يدعون غير الله لجلب الخير أو دفع الشر ويذبحون على القبور ويستغيثون بأهلها، وينذرون لهم ويهتفون بأسمائهم في

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فيعذب كافرهم».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من العالمين».

 ⁽٣) أخرجه عبد الرزاق (٣١٣/٢)، وابن أبي حاتم (١١٢٤٨/١)، وابن جرير (١٢٢/١٢) في
 «تفاسيرهم»، وابن المنذر وأبو الشيخ ـ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٣٧) ـ وجابر الجعفي ضعيف.

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٥٧٥).



قيامهم وقعودهم عند فزعهم سكتوا عنهم، ولم ينبهوهم، حتى إذا جاء داع من أهل الحق، ودعاهم وأخبرهم أن ما هم عليه من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، أحب ذلك المتعالم أن يدافع عن المشركين ويظهر العطف عليهم ويقول للداعي: إن التكفير أمر عظيم، وهؤلاء جاهلون، ولا يقصدون بأعمالهم عبادة غير الله تعالى، فإذا قال له الداعي: أنا ما كفرتهم وإنما أخبرتهم أن هذا الذي يعملونه شرك وكفر، يجب عليهم أن يتوبوا منه فقال المتعالم: وهذا أيضاً لا ينبغي، قل لهم: هذا حرام، وتلطف معهم في القول، وهذا المتعالم إنما يقول ذلك لجهل أو نفاق، فإما أن يكون جاهلاً لا يعرف التوحيد بأدلته من الكتاب والسنة، أو يكون عالماً به ولكنه يتبع أهواء المشركين، وما أكثر هذا الصنف في هذا الزمان! لا كثرهم الله، والواجب على من أكرمه الله بالعلم أن يصدع به كما قال تعالى في آخر سورة الحجر: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا يُتُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَيْهًا ءَاخَرٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ مَدَّرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَيِّحْ بِحَمَّدِ رَبِّكِ وَكُن مِّنَ السَّنجِدِينَ ۞ وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيَكَ ٱلْيَقِيثُ ١٩٤ ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٩]. فلما كفي الله رسوله الأمين المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر، فسيكفي كل من اتبعه شر المستهزئين، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر عباده الموحدين عليهم.

🙀 الباب الثامن 😣

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُم فَأَعَبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهً وَمَا رَبُّكَ بِغَنِهِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ اللَّهِ الْمَوْدِ: ١٢٣]

قال (ك): «يخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه إليه المرجع والمآب^(۱)، فله الخلق^(۲) والأمر، فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه، فإنه كافٍ من توكل عليه وأناب إليه، وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِعَلِفِلٍ عَمَّا تَعَمَّلُونَ﴾ أي: ليس يخفى عليه ما عليه مكذّبوك يا محمد؛ بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء، في الدنيا والآخرة، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين (٣).

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وسيوفي كل عامل عمله يوم الحساب».

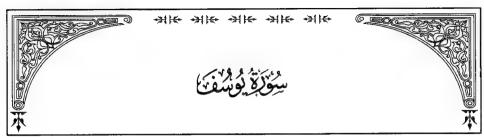
⁽٢) كذا في "تفسير ابن كثير"، وفي الأصل: «الحق»!

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٩٢).



فصل





🙀 الباب الأول 😣

قال (ك): «هذا إنما هو من تعليم الله إياي؛ لأني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يرجون ثواباً ولا عقاباً في المعاد ﴿وَالتَّبَعْتُ مِلَةَ ءَابَآءِى ٓ إِبْرَهِيمَ وَإِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ ﴾ الآية، يقول: هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين، وأعرض عن طريق الضالين(١) فإن الله يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم، ويجعله إماماً يقتدى به، في الخير وداعياً إلى سبيل السرشاد، ﴿مَا كَانَ لَنَا أَن نُشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٌ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النّاسِ الله هذا التوحيد وهو الإقرار بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿مِن فَضْلِ اللهِ قَلْ اللهِ عَلَيْنَا وأمرنا به، ﴿وَعَلَى النّاسِ ﴾ إذ جعلنا دعاة لهم (٢) إلى ذلك عَلَيْنَا وأمرنا به، ﴿وَعَلَى النّاسِ ﴾ إذ جعلنا دعاة لهم (٢) إلى ذلك

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الظالمين».

⁽٢) بعدها في الأصل: «دعاة» ولا معنى لها! ولا وجود لها في مطبوع «تفسير ابن كثير».



﴿ وَلَكِكِنَّ أَكُنَّ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ أي: لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم بل ﴿ بَدَّلُوا فِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. وقال ابن أبي حاتم (١) بسنده عن ابن عباس: أنه كان يجعل الجد أباً، ويقول: «والله من شاء لاعنتُه عند الحجر ما ذكر الله جداً ولا جدة، قال الله تعالى إخباراً عن يوسف: ﴿ وَاتَبَعْتُ مِلَةَ ءَابَآءِى ٓ إِبْرَهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ﴿ يَصَدِجِي ٱلسِّجِنِ السِّجِنِ عَلَيْ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الل

فصل

قال محمد تقي الدين: قول يوسف عَلَيْهُ: ﴿ إِنِّ تَرَكُّتُ مِلَّهُ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

⁽۱) في «تفسيره» (٧/ ١١٦١٢) وفيه حجاج بن أرطأة وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس ولم يصرح بالتحديث، والأثر صحيح علقه البخاري بصيغة الجزم، وتقدم ذلك (ص٥٣٥).

 ⁽٢) كذا في مطبوع اتفسير ابن كثير»: وفي الأصل: «والدعوة».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولي».

⁽٤) كذا في مطبوع اتفسير ابن كثير»، وفي الأصل: العز»!

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «جعل»!

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي».

⁽٧) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٨/٤٤، ٤٣).

بِاللّهِ إلى قوله: ﴿مَا كَانَ لَنّا أَن نُشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيّو ﴾ هو قول جميع الأنبياء، وقول كل من اتبعهم وأسلم وجهه لله، وأخلص دينه له، وحقق اتباع الرسل، وهذا هو الأصل العظيم، والأساس المتين الذي لا يختلف فيه الرسل وأتباعهم، ومن لم يحققه كان سالكاً غير سبيلهم لا يستحق نصر الله، ولا ينجو من عذاب الله، وقوله: ﴿مَأْرَبَاتُ مُتَغَرِّقُونَ ﴾ إلى آخره، حجة قائمة وحكمة بالغة، فإن من جعل في قلبه مكاناً لغير الله تعالى، يتشتت قلبه ويتفرق شمله، ويختل دينه وعقله؛ لأنه يخاف الله ويخاف غير الله، ويتمادى به الضلال إلى أن يخاف غير الله أكثر من حبه لله، ويعمل لغير الله أكثر من حبه لله، ويعمل لغير الله أكثر من حبه لله، ويعمل لغير الله أكثر من

ودونك مثالاً: لمّا كنت في الطريقة التجانية كنت ذات ليلة أطالع كتاباً شغفت به ومنعني النوم، فنظرت إلى الشمعة التي كنت أقرأ في ضوئها، وإذا بها تكاد تنتهى وليس لى غيرها، ولو فنيت لتوقفت عن القراءة وضاق صدرى فلا أستطيع نوماً ولا أستطيع صبراً اإلى الصباح، فخرجت من البيت في منتصف الليل أبحث عن دكان أشتري منه شمعة، فمضيت أطوف الشوارع فوجدت الدكاكين كلها مغلقة، ولم أزل أتنقل من شارع إلى شارع وكان ذلك في مدينة (وجدة) حوالى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة، وبعد طواف طويل، ظفرت بدكان، واشتريت منه شمعة، ولم تكن الكهرباء في ذلك الزمان موجودة في مدن المغرب، وفي ذهابي وإيابي كنت أمر بالسائلين، يسألون الناس، يقول أحدهم: «أعطوني شيئاً لوجه الشيخ عبد القادر الجيلاني» ويقول آخر: «أعطوني صدقة لأجل أهل وزان»، ويقول آخر: «أعطوني صدقة لوجه مولاي إدريس» ويقول غيره: «أعطوني صدقة لوجه الله» فلم أبال بأحد منهم، فلما وصلت البيت وأنا شديد الشوق لقراءة الكتاب سمعت سائلاً يقول: «أعطوني صدقة لوجه السيد أحمد التجاني، سمعته من بعيد فلم أستطع أن أحرمه، ورجعت إليه مسافة بعيدة، وأعطيته شيئاً من الدراهم فحينئذٍ طابت نفسي، فأنت ترى أنني في ذلك الزمان، كنت أحب مخلوقاً اتخذته إلهاً، وأخافه وأرجوه أكثر من حبي وخوفي ورجائي لله الخالق سبحانه، ولو أني سويت بين الخالق والمخلوق في الحب والخوف والرجاء لكنت من شرار الكفار.

كما قال تعالى في سورة الشعراء حكاية عن المشركين: ﴿ وَقِيلَ لَمُمُّ أَيُّنَ مَا

🖂 الباب الثاني 🔄

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَبَنِيَ لَا تَدْخُلُواْ مِنْ بَابِ وَحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبُوبٍ مُّتَفَرِّفَةً وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيَّةٍ إِنِ الْمُحُكَّمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْمَتَوَكِّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۚ إِلَى وَلَمَا دَخُلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُ م مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَالها وَإِنَّهُ لَدُو عِلْمٍ لِمَا عَلَمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْتُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ السِف، ١٧، ١٥]

قال (ك): "يقول تعالى إخباراً عن يعقوب على: إنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر، أن لا يدخلوا كلهم (۱) من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة، فإنه (۲) كما قال ابن عباس وجماعة من السلف: إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشى عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم (۳)، ف (إن العين حق) تستنزل

⁽١) من مطبوع «تفسير ابن كثير» وسقطت من الأصل.

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وفي الأصل: «وإنه».

 ⁽٣) ثبت هذا في حديث صحيح أخرجه البخاري (٥٩٤٤)، ومسلم (٢١٨٧)، وأبو داود
 (٣٨٧٩) من حديث أبي هريرة.

⁽٤) أخرجه ابن جرير (٢٣٧/١٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٨) (رقم ١١٧٦٧) عن ابن عباس، وإسناده ضعيف.

وأخرجه بنحوه عن قتادة: ابن جرير (٢٣٧/١٣) وفي «التاريخ» (٢٥١/١)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٢٥٥١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢١٦٨/٧ ـ ٢١٦٩) (رقم ١١٧٧، ١١٧٧) وإسناده صحيح، وعزاه في «الدر المنثور» (٢٦/٤) إلى ابن المنذر =



الفارس عن فرسه (١)، وقوله: ﴿وَمَا أُغَنِى عَنكُم مِنَ اللهِ مِن شَيَّةٍ أَي: أن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه (٢) فإن الله إذا أراد شيئاً لا يخالف ولا يمانع ﴿إِنِ اَلْحُكُمُ إِلَّا يَلَةٍ عَلَيْهِ تَوَكَّلَتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُتَرَجِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ يَمانع ﴿إِنِ اَلْحُكُمُ إِلَّا يَلِهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلَتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُتَرَجِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ اللهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَلَجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِن اللهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَلَجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ وَضَامِنُهُ ﴿ وَاللَّهُ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَلَجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ وَضَامِنُهُ ﴾ قال أَمُوهُم مَا كَانَ عَلَمْنَا أَياه ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْكُ لَلْهُ عِلْمُ لَلْهُ عَلَيْكُونَ ﴾ قالوا: هي دفع إصابة العين لهم، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمِ لِما عَلَمْنَا إِياه ﴿ وَلَكِنَ قَالُ قَالُونَ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ ﴾ قالوا: هي دفع إصابة العين لهم، ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمِ لِما عَلَمْنَا إِياه ﴿ وَلَكِنَ لَهُ عَلَيْكُونَ كُولُولَ لَمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عِلْمُ عَلَيْهُ أَلُولُولُ اللهُ اللَّهُ عَلَيْهُ لَلْهُ عَلَيْنَ اللهُ إِلَيْكُولُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ إِلَا عَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ ﴾ وقال (ج) لذو علم (عَلَمُ لَنَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

فصل

قال محمد تقي الدين: ثبت في الحديث أن بعض الناس إذا نظر إلى شيء واستحسنه ووقع في نفسه يصيب ذلك الشيء المستحسن ضرر، كأن ينظر إلى صبي جميل المنظر، أو إلى رجل، أو امرأة، فيصابون بمرض، أو غيره من المصائب، وثبت أن النبي على كان يقرأ على الحسن والحسين المعوذتين ويقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل عين لامة، ومن كل شيطان وهامة»(٢) قال في النهاية (٧):

⁼ وأبي الشيخ. وبنحوه عن الضحاك عند ابن أبي حاتم (٢/ ٢١٦٨) رقم (١١٧٦٧)، وابن جرير (٢١ / ٢٣٨، ٢٣٨). وانظر: «الدر المنثور» (٢٦/٤).

⁽۱) ورد هذا في حديث حسن ولفظه: «العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر»، أخرجه ابن عدي (٥/ ١٨٣١) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٩٠) وأبو بكر الشيرازي في «سبعة مجالس من الأمالي» (٨/ ٢) _ كما في «الصحيحة» (٣/ ٢٥٠) _ والخطيب في «تاريخه» (٩/ ٢٤٤، ط. الكتب العلمية) من حديث جابر.

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» «قضاء الله وقدره».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وهكذا أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢٤٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠)، (رقم ١١٧٧٧). وتؤكده الزيادة التي عند ابن جرير (٢٤١/١٣)، والثعالبي في «تفسيره» (٢/ ٢٤٨): «من لا يعمل لا يكون عالماً». وفي الأصل: «لذو علم بعلمه»!.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عمل»، والمثبت في «تفسير ابن جرير» (١٣/ ٢٤٠) والأصل.

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/٥٦ ـ ٥٥).

⁽٦) أخرجه البخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس بلفظ: «كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله...».

⁽٧) «النهاية» (٥/ ٥٧٧).



«الهامة: كل ذات سم يقتل» فنحن نقتدي بالنبي على، فنعوذ أنفسنا وكل عزيز لدينا بما تقدم، ولكن لا ينبغي للإنسان أن يبالغ في الخوف من العين، حتى يصير موسوساً فينسب كل ما أصابه للعين، ويخاف على أولاده حتى يمنعهم من الخروج من البيت أو يلبسهم ثياباً بالية وسخة، ويمنعهم من غسل وجوههم، وما أشبه ذلك من الوسوسة. وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْمُكُمُ إِلّا بِلَّهِ ﴾؛ يعني: جميع الأحكام الشرعية والقدرية كلها لله، لا يشاركه فيها أحد، لذلك لا ينبغي للعباد أن يتوكلوا على أحد سواه.

🚧 الباب الثالث 😽

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكَثَرُهُم بِاللّهِ إِلّا وَهُم مُشْرِكُونَ ﴿ أَفَا أَمِنُواْ أَنَ تَأْتِيَهُمُ عَنْشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ الْآيَهُمُ عَنْشِيةٌ مِنْ اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ التّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ التّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ التّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللللللللللللللللللللللللل

قال (ك): «يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات، وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات وحدائق وجنات، وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات وحيوان (۱) ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفات في الطعوم والروائح والألوان والصفات، فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع المخلوقات المتفرد بالدوام والبقاء، والصمدية ذي الأسماء (۲) والصفات، وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكَنَرُهُم بِاللهِ إِلّا وَهُم مُشْرِكُونَ ﴿ وَمَا لِهُم اللهُ عَلَى السموات؟ ومن خلق البن عباس: من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم: من خلق السموات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون به (۲)، وكذا قال غيره من

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وحيوانات».

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وفي الأصل: «للأسماء».

⁽٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٧٣/١٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٠٧/) رقم (٣) ١٢٠٣٤) وعزاه السيوطي في «الدر» (٤٠/٤) إلى أبي الشيخ.



السلف (۱) وفي «الصحيحين»: إن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك» (۲) وفي «صحيح مسلم» أنهم كانوا إذا قالوا: لبيك، لبيك، لا شريك لك، قال رسول الله على: «قد قد» (۳) أي: حسب، حسب، لا تزيدوا على هذا.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَ الشِّرِكَ لَظُلْرٌ عَظِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٣] وهذا هو الشرك الأعظم، يعبد مع الله غيره كما في «الصحيحين» عن ابن مسعود: «قلت: يا رسول الله، أي: الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» (٤)، وثم شرك آخر خفي لا يشعر به غالباً فاعله كما روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قال: دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيراً فقطعه أو انتزعه، ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكَثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَمُم مُّشْرِكُونَ ﴿ وَفي الحديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه الترمذي وحسنه من رواية ابن عمر.

⁽۱) مثل عطاء، أخرجه بسند صحيح عنه: سعيد بن منصور (١١٤٦)، وابن جرير (١٣/ ٣٧٣)، وابن المنذر وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٩٣٥).

⁽٢) لم أجده في «صحيح البخاري» وإنما هو عند مسلم (١١٨٥) من حديث ابن عباس.

⁽٣) أخرجه مسلم (١١٨٥) من حديث ابن عباس.

⁽٤) سبق تخريجه.

 ⁽۵) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ١٢٠٤٠)، وابن أبي شيبة (٨/ ١٤) رقم (٢٣٨٠٩)
 نحوه.

⁽٦) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) وحسنه، وأحمد (١٢٥/٢)، وابن حبان (٣٥٥)، والحاكم (١٨/١ و ١٨/١٤)، _ وصححه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي!! ويأتي ما فيه _، والبيهقي (٢٩/١٠) عن الحسن بن عبيد الله عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر.

والحسن ثقة، روى له الجماعة؛ خلا البخاري، فإسناده صحيح على شرط مسلم، كما قال الذهبي في «الكبائر» رقم (٧٤ ـ التحقيق الثاني).

وتابعه سعيد بن مسروق، عند الطحاوي في «المشكل» (٨٢٦).

وأخرجه عبد الرزاق (١٥٩٢٦) _ ومن طريقه أحمد (٢/ ٣٤) _، والطيالسي (١٨٩٦)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٢٧٠) رقم (١٥٤ _ بتحقيقي) من طرق عن سعد به. وأخرجه أحمد (٢/ ٨٦، ٨٠)، والطحاوي في «المشكل» (٨٣٠)، والبيهقي (١٠/ ٢٩) من طريق شعبة، عن منصور، عن سعد بن عبيدة، قال: كنت عند ابن عمر، فقمت وتركت رجلاً عنده من كندة، فأتيت سعيد بن المسيب، قال: فجاء الكندي فزعاً، فقال: جاء ابن عمر رجلٌ، فقال: أحلفُ بالكعبة؟ قال: لا، ولكن أحلف برب الكعبة، فإن =



= عمر كان يحلف بأبيه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تحلف بأبيك؛ فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك».

وهذا يقتضي انقطاعه، قال البيهقي عقب روايته الأولى: «وهذا ممّا لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر»، ثم ساق الرواية الثانية التي تبين ذلك، ويأتي جوابه.

وأخرجه أحمد (٢/ ٦٩) من طريق شيبان، عن منصور نحوه، وسمّى الرجل الكندي محمداً. ومحمد الكندي، قال عنه أبو حاتم: «مجهول»؛ كما في «الجرح والتعنيل» (٨/ ١٣٢).

وأخرجه أحمد (٢/ ٥٥، ٦٠)، وابن أبي شيبة (٤/ ١٧٩) عن وكيع، والطحاوي في «المشكل» (٨٢٥) من طريق أبي عوانة؛ كلاهما عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، قال: كنت مع ابن عمر في حلقة، فسمع رجلاً في حلقة أخرى وهو يقول: لا وأبي؛ فرماه ابن عمر بالحصى، وقال: إنها كانت يمين عمر؛ فنهاه النبي عنها، وقال: «إنها شرك»؛ لفظ وكيع.

ولفظ أبيُّ عوانة: «كنت جالساً مع ابن عمر...» نحوه.

فهذا إسناد صحيح، صريح في أن سعد بن عبيدة سمع ذلك من ابن عمر وحضره.

ويدل على ذلك أيضاً رواية أبن حبان المتقدمة، وفيها قول سعد بن عبيدة: «كنت عند ابن عمر، فحلف رجل...».

وأخرجه أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١٤١/٢)، من طريق محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن سعد، عن أبي عبد الرحمٰن، كذا سمع ابن عمر رجلاً يحلف. . . بنحوه والحاصل أن الحديث قد رواه عن سعد بن عبيدة أربعة من الثقات: منصور، والأعمش، والحسن بن عبيد الله، وسعيد بن مسروق والد سفيان، ورواياتهم متفقة، وظاهرها أن سعد بن عبيدة سمع ذلك من ابن عمر وحضره، خاصة وأنه لم يُذكر بتدليس.

ورواه منصور عن سعد بن عبيدة فاختلف عليه فيه: فرواه عنه سفيان الثوري وشعبة ويزيد بن عطاء مثل رواية من سبقه.

بينما رواه شعبة _ أيضاً _ وشيبان وجرير بن عبد الحميد فذكروا فيه الكندي، وفي رواية شيبان التصريح بأن اسمه محمد، وانظر: «مشكل الآثار» (٢٠٠/٣).

وهذه أسانيد صحيحة عن منصور، وعن سعد بن عبيدة، إلا أن رواية من رواه عن سعد، دون ذكر محمد الكندي أكثر، والجمع أحفظ من الواحد، سيما وقد اختلف عليه فيه، ولعل كلاهما صحيح، بأن يكون سعد بن عبيدة بلغه ذلك من الكندي بُعَيدَ أن قام من حلقة ابن عمر، فجاء من يسأله، ثم في مرَّة أخرى سمع ابنُ عمر رجلاً يقول ذلك فنهاه، وهاتان حادثتان منفصلتان، كما تقدم من الروايات، وتكون الرواية الثانية التي فيها ذكر الكندي لمنصور، لم يروها سواه، والله أعلم. والحديث صححه شيخنا الألباني في «إرواء الغليل» (٢٥٦١) وغيره.

(تنبيه): لم يذكر الحسيني في «الإكمال» ولا الحافظ في «تعجيل المنفعة» محمداً الكندي، مع أن روايته عند أحمد!!



وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيره عن ابن مسعود ولله قال: قال رسول الله على: "إن الرقى والتماثم والتولة شرك")، وفي لفظ لهما "الطيرة شرك وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل" (٢) ورواه الإمام أحمد بسنده بأبسط من هذا عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت: وأنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير قالت: فدخل فجلس إلى جانبي، فرأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيط رقى لي فيه، فأخذه فقطعه، ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله على يقول: "إن الرقى والتماثم والتولة شرك» قالت: قلت له: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها؟ فكان إذا رقاها سكنت، فقال: إنما ذلك من الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي على: "أذهب البأس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً" (٢).

والمراد بالشرك هنا: الشرك العملي الذي لا ينتقل المتلبس به عن الملة، وليس الشرك الاعتقادي. قال المناوي في "فيض القدير" (١٢٠/٦): "أي: فَعَلَ فِعْلَ أهل الشرك أو تشبه بهم، إذ كانت أيمانهم بآبائهم وما يعبدون من دون الله، أو فقد أشرك في تعظيم ما لم يكن له أن يعظمه؛ لأن الأيمان لا تصلح إلا بالله، فالحالف بغيره معظم غيره مما ليس فيه، فهو يشرك غير الله في تعظيمه، ورجحه ابن جرير". وانظر: "فتح الباري" ليس فيه، فهو يشرك غير الله في تعظيمه، ورجحه ابن جرير". وانظر: "فتح الباري" العماد الحنبلي.

⁽۱) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤، ١٥٦)، وأبو يعلى (٣/ ١٧٥٩)، وابن عبد الحكم في "فتوح مصر" (ص٢٨٩)، والدولابي في "الكنى" (٢/ ١١٥)، وابن حبان (٢٠٨٦)، وابن عدي في "الكامل" (٢/ ٢٤٦٠)، والروياني في "مسنده" رقم (٢١٧)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٣/ ٣٥٥)، والطبراني في "الكبير" (١٧) رقم (٨٢٠)، والحاكم والطبراني في تقبة بن عامر وقال الحاكم: "صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي، والحديث حسن، وأما حديث ابن مسعود، فسيأتي قريباً وفيه قصة.

⁽۲) أخرجه أحمد (۱/ ۳۸۹، ۴۳۸) والبخاري في «الأدب المفرد» (۹۰۹)، وأبو داود (۲۱۲)، والترمذي (۱۲۱۶)، والطيالسي (۳۵۱)، وابن حبان (۲۱۲۲)، والشاشي (۳۹۱)، والبيهقي (۸/ ۱۳۹)، والبغوي (۳۲۵۷)، من حديث ابن مسعود، وإسناده صحيح، وانظر: «الصحيحة» (۱۲۹۱).

⁽٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣) _ ومن طريقه البيهقي في «الكبري» =



وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد بسنده عن عيسى بن عبد الرحمن قال: دخلت على عبد الله بن عُكيم وهو مريض نعوده، فقيل له: لو تعلّقتَ شيئاً، فقال: أتعلق شيئاً؟! وقد قال رسول الله ﷺ: "من تعلق شيئاً وكِّل إليه"(١)، رواه النسائي عن أبي هريرة(٢)، وفي "مسند الإمام أحمد» من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: "من علق تميمة فقد أشرك" وفي رواية: "من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له،").

وعن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة فله قال: قال رسول الله على:

⁽٩/ ٣٥٠) ـ وابن ماجه (٣٥٠٠) ـ وأبو يعلى (٥٢٠٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٤٠) والحاكم (٤١٧/٤)، ١٤١٥) وقال: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي! وليس كذلك، ففيه يحيى بن الجزار لم يخرج له البخاري، وأحمد بن أبي شعيب لم يخرج له مسلم، وفيه محمد بن مسلمة أخشى أن يكون مقحماً في الإسناد ولم يتبيّن لي من هو، وصححه الحاكم أيضاً (٤/ ٢١٧) من طريق آخر عن ابن مسعود ووافقه الذهبي وهو به ـ إن شاء الله تعالى ـ حسن والحديث صحيح بشواهده، وصححه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (١/ ٣٣١).

⁽۱) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٠)، وابن أبي شيبة (٧/٣) رقم (٢٣٨٠٤)، والترمذي (٢٠٧٢)، والترمذي (٢٠٧١)، والحاكم (٢٠٧٢)، وابن قانع (١١٧/٢)، والطبراني، في «الكبير» (٢٢) رقم (٩٦٠). والبيهقي في «الكبير» (٩٦/ ٣٥١)، وإسناده ضعيف، عبد الله بن عُكيم هو أبو معبد الجهني، صرح بذلك الترمذي، وظنه الهيثمي في «المجمع» (١٠٣/٥) غيره، وكذا أورد الحديث في كتابه، وهو ـ على التحقيق ـ ليس على شرطه.

وابنُ عكيم هذا في صحبته نظر، وفيه ابن أبي ليلى سيئ الحفظ، وذكر له ابن قانع علة ثالثة، إلا أن الحديث حسن لغيره بشواهده، سيأتي منها حديثا أبي هريرة وعقبة.

ومن شواهده أيضاً: حديث عمران بن حصين، أخرجه أحمد (٤/٥٤٤)، وابن ماجه (٣٥٣)، وابن حبان (٢٠٨٥)، والطبراني (١٨) رقم (٣٩١) من طريق الحسن البصري عنه، وفي سماعه منه كلام، وانظر: «غاية المرام» رقم (٢٩٧).

⁽Y) أخرجه النسائي (Y/ ١١٢) (كتاب: تحريم الدم، باب: الحكم في السحرة) من طريق الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً، والحسن لم يسمع من أبي هريرة عند الجمهور، قاله المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٨٥ ـ بعنايتي)، فإسناده منقطع، وفيه عباد بن ميسرة، والحديث حسن بشواهده.

⁽٣) أخرجه أحمد (١٥٦/٤)، والحارث بن أبي أسامة (٥٣٨ ـ زوائده)، والطبراني في «الكبير» (١٨ / ٨٨٥)، والحاكم (٢١٩/٤)، وإسناده قوي، وانظر: «الصحيحة» (١/ ٤٩٢).

⁽٤) سبق تخريجه.



«يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(١) رواه مسلم.

وعن أبي سعيد بن أبي فَضَالَة قال: سمعت رسول الله على يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادي منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» (٢) رواه الإمام أحمد.

وقال أحمد بسنده عن محمود بن لَبيد أن رسول الله على قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغريا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» (٣) وقال الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله على: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طيرك، ولا إله غيرك». وقد روى الإمام أحمد

⁽١) سبق تخريجه.

⁽٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦ و٤/ ٢١٥)، والترمذي (٣١٥٢)، وابن ماجه (٤٢٠٣)، والبخاري في (الكنى) من (التاريخ الكبير» (٣٦/٨)، والدولابي في (الكنى» (١/ ٣٥)، وابن حبان (٧٣٤)، والطبراني في (الكبير» (٢٢) رقم (٧٧٨)، والبيهقي في (الشعب» (٥/ ٦٨١) وإسناده حسن، والحديث صحيح لغيره.

⁽٣) أخرجه أحمد (٤٢٨/٥)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٨١)، وابن خزيمة (٩٣٧)، والبغوي (٤١٣٥)، وذكره الهيشمي في «المجمع» (١٠٧/١) وقال عن إسناد أحمد: «رجاله رجال الصحيح» قلت: نعم ولكنه عنده منقطع: عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب لم يسمعه من ابن لبيد، بينهما عاصم بن عمر بن قتادة، وهو ثقة، ولذا قال شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٩٥١): «إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير محمود بن لبيد، فإنه من رجال مسلم وحده، قال الحافظ: وهو صحابي صغير، وجل روايته عن الصحابة».

وهو عند الطبراني (٤٣٠١) من طريق محمود بن لبيد عن رافع بن خديج، وجوّده المنذري في "الترغيب» وقال: "قيل: إن حديث محمود بن لبيد هو الصواب، دون ذكر رافع بن خديج فيه، والله أعلم»، وفي رواية عند البيهقي (٢/ ٢٩٠، ٢٩١) عن محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله، ورجاله ثقات.

⁽٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠) وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠٨/٥) وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات» =



وأبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث يعلى بن عطاء اسمعت عمرو بن عاصم سمعت "(۱) أبا هريرة قال: قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي قال: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه»(۱).

ورواه ابن وهب في «الجامع» (ص۱۱۰)، ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (۲۸۷) عن ابن لهيعة به، وحديث ابن لهيعة يصحح إذا كان من رواية أحد العبادلة عنه، وانظر: «الصحيحة» (۳/ ۱۰٦٥).

⁽١) في الأصل: «وسمعت»! والصواب حذف الواو.

⁽۲) أخرجه أبو داود (۲۰۷۰)، والترمذي (۳۳۹۲)، والنسائي في «الكبرى» (۱۹۹/۶، ٦/ ۲۰۱۰)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (۱۳۸، ۱۳۹، ۵۸۳)، و«الأدب المفرد» (۱۲۰۳)، والمحمد (۲/۲۹۷)، وابن أبي شيبة (۲/۲۳۷، ۲۳۸)، والطيالسي (۹، ۲۸۷۲)، والمدارمي (۲۸۸۹)، وابن حبان (۹۲۱)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (۵۶)، والحاكم (۱/۲۱۸)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص۲۰، ۲۲)، والخطيب (۱۲۷/۱) وإسناده صحيح.

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لعبده ورسوله».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «شرعي وعقلي».



كَانَ كَلِيمًا غَفُورًا ﴿ إِنَّ الْإِسراء: ٤٤] (١).

فصل

قال محمد تقي الدين: (الرُّقى) _ جمع رُقية، بضم الراء في المفرد والجمع _ وهي ما يقرأ على الإنسان من الأدعية والقرآن وغير ذلك للحفظ من العين أو المرض أو شفاء المرض، فإذا كانت الرقية كلاماً مفهوماً ليس فيه شرك فهي جائزة.

و(التمائم) _ جمع تميمة _ وهي كل ما يفعله الإنسان في عنقه أو عضده للأغراض المتقدمة الذكر، ولا يجوز شيء منها، فكلها شرك، وإن كانت من القرآن. (والتولة) قال ابن الأثير^(٢): «(التولة) _ بكسر التاء وفتح الواو _: ما يحبّب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره، جعله من الشرك؛ لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى».

قوله: «وما منا إلا»... إلخ. هذا من كلام ابن مسعود أدرجه في الحديث، ومعناه: كل واحد منا يعرض له شيء من الطيرة فيدفعه الله عنه بالتوكل، فإذا خرج إنسان من بيته وسمع كلاماً قبيحاً، نحو خاسر أو ضائع أو لا يفلح يقع في نفسه شيء من الكراهية لما سمع، ولكنه يتوكل على الله، ويمضي إلى حاجته، ولا يرجع ويقول: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك» نهذا لا يضره، أما إذا رجع خوفاً مما سمع، فذلك هو الشرك.

و(الحمرة): قال صاحب «اللسان»(٤): «والحُمْرَة داء يعتري الناس فيحمر

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۸/ ۸۳ ـ ۹۲) بتصرف.

⁽٢) في «النهاية» (١/ ٢٠٠).

⁽٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠) قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٥): «رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات».

وقد روى هذا الحديث عن ابن لهيعة: عبد الله بن وهب في «جامعه» رقم (٦٥٥) ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٩٢) فصح الحديث بذلك والحمد لله. وله طرق عن عبد الله بن عمرو قوله، أخرجه ابن وهب في «الجامع» (٢٩٨، ٦٦٠)، وأبو نعيم (١/ ٢١) ولعله أشبه وفي الباب عن روفيع بن ثابت وفضالة بنت عبيد وبريدة بن الحصيب.

وانظر: «الإعلام» (٦/ ٥٦١ ـ ٥٦٢ بتحقيقي).

⁽٤) «اللسان» (٤/ ٢١١): (حمر).



موضعها وتغالب بالرقية، قال الأزهري: الحمرة من جنس الطواعين، نعوذ بالله منها».

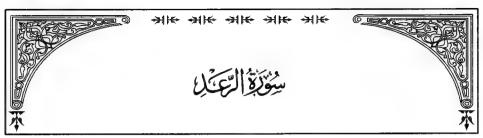
وقوله عليه الصلاة والسلام: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له» دعاء على من يتعلق التمائم أن لا يتم الله له مراده، وقوله: «من تعلق ودعة قلا ودع الله له». قال في «القاموس»(۱): «الودعة، ويُحرَّك، جمع ودعات: خرز بيض تُخرَج من البحر بيضاء، شقَّها كشَقّ النَّواة تُعلّق لدفع العين» اه.

ومعنى: «فلا ودع الله له» أي: فلا ترك له شيئاً يحبه، ودعاء من النبي على على من يتعلَّق ودعة، وودع فعل ماضٍ بمعنى ترك، استعمال الفعل الماضي قليل، والأكثر استعمال الفعل المضارع والأمر.

فصل

⁽١) «القاموس المحيط» (ص٩٩٤): (ودع).





∺ الباب الأول 🔫

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْهُسِمٍّ وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمِ سُوَءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تحول». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لهم مما».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «مصداق».

⁽٤) أُخرجه آبن أبي حاتم (١٢٢٠١/٧) وابن أبي الدنيا في «العقوبات» رقم (٥٧)، وإبراهيم هذا هو ابن يزيد النخعي، وانظر: «تفسير ابن كثير» (١١٨/٨، ١١٩).

⁽٥) بعدها في مطبوع «تفسير الجلالين»: «من المعقبات ولا غيرها».

⁽٦) ليس كذلك، فلا يوجد شيء زائد في القرآن الكريم، فالنكرة في سياق النفي تفيد العموم، وإن سبقت ب(من) كانت نصاً في العموم، فالنكرة تدلل على أي فرد من الأفراد، فإن سبقها نفي لزم عقلاً العموم، وذلك أن العقل يحكم أن انتفاء الفرد المبهم لا يتحقق إلا بانتفاء جميع الأفراد، انظر: «شرحي على الورقات» المسمى «التحقيقات والتنقيحات السلفيات» (ص١٨٧).

ف﴿مِن وَالِ﴾ مَفيدة شيوع وعموم نفي جنس شيء من الولاية، وهو نفي مستغرق لأي جنس من أجناس الولاية وأنواعها، ولو لم تأت (من) لم يكن ليوجد هذا المعنى المستغرق.

⁽٧) انظر: «تفسير الجلالين» (ص٣٢٢، ط. المكتب الإسلامي).



فصل

قال محمد تقي الدين: هذه آية عظيمة، والمسلمون في هذا الزمان في أشد الحاجة إلى تدبرها، فإن التتار هجموا على بلاد الإسلام^(۱) ولم يكن هجومهم في زمن دول الإسلام العظيمة الثلاث، وهي دولة الخلفاء الراشدين، ودولة بني أمية، وصدر دولة بني العباس، وكان هجومهم في زمان لا يخلو فيه المسلمون من ضعف وتفرق، ولكن كانت عندهم بقية من الإيمان وتحكيم شريعة الرحمن، فنصرهم الله على ذلك العدو القوي وبعد ذلك هجم عليهم عدو أقوى من الأول، وهم الصليبيون نصارى أوروبا كلهم بملوكهم وجيوشهم،

فإنّ هذه الفتنة التي جَرتْ _ وإن كانت مُؤلمةً للقلوب _ فما هي _ إن شاء الله _ إلّا كالدواء الذي يُسقَاه المريضُ ليحصل له الشّفاءُ والقوة، وقد كان في النفوس من الكِبْر والجهل والظلم ما لو حَصَل معه ما تشتهيه من العِزّ لأعقبها ذلك بلاءً عظيماً.

فرحم الله عبادة برحمتِه التي هو أرحم بها من الوالدة بولدها، وانكشف لعامة المسلمين شَرْقاً وغَرْباً حقيقة حال هؤلاء المفسدين الخارجين عن شريعة الإسلام، وإن تكلَّموا بالشهادتين، وعَلِمَ مَن لم يكن يعلم ما هم عليه من الجهل والظلم والنفاق والتلبيس والبُعد عن شرائع الإسلام ومناهجه، وحَنَّتْ إلى العساكر الإسلامية نفوسٌ كانت مُعرضة عنهم، ولانت لهم قلوبٌ كانت قاسيةً عليهم، وأنزل الله عليهم من ملائكته وسكينته ما لم يكن في تلك الفتنة معهم، وطابت نفوس أهل الإيمان ببذل النفوس والأموال للجهاد في سبيل الله، وأعدوا العدَّة لجهاد عدوِّ الله وعدوِّهم، وانتبهوا من سِنتِهم، واستيقظوا من رقدتهم. . » في كلام بديع، يستفيد منه أهل البصائر العاملون لتحقيق الولاية لله ورسوله والمؤمنين.

⁽۱) لشيخ الإسلام ابن تيمية «رسالة إلى السلطان الملك الناصر في شأن التتار» أوردتها بتمامها في كتابي «العراق في أحاديث وآثار الفتن» (۲/ ۷۳۷ - ۷۲۲)؛ المتأمل فيها، يتبرهن له صدق شيخ الإسلام، وصفاء سريرته، وحسن ربطه لما يقع في المسلمين من البلايا والمحن (سنة الله الكونية) بما ينبغي أن يكون عليه المسلمون (سنته الشرعية). فاسمع إليه، وانظر حولك، وتفقّد تجد، قال رحمه الله تعالى عن البلاء الذي وقع بالمسلمين آنذاك: «وقد أظهر الله في هذه الفتنة (۱) من رحمته بهذه الأمة وجُنْدِها ما فيه عبرة، حيث ابتلاهم بما يُكفِّر به من خطاياهم، ويُقبِل بقلوبهم على ربهم، ويجمع كلمتهم على ولي أمرهم، ويَنزعُ الفرقة والاختلاف من بينهم، ويُحرِّكُ عَرَّماتِهم للجهاد في سبيل الله وقتال الخارجين عن شريعة الله.

⁽۱) يشير بها إلى وقعة قازان سنة (۲۹۹هـ)، التي انكسر فيها جيش السلطان الملك التناصر أمام التنار بوادي المخزندار، وقُتل فيها جماعة من الأمراء وخلق كثير من العوام، وأبلوا بلاءً حسناً. انظر: «نهاية الأرب» (۳۱/ ۳۸۶)، و«البداية والنهاية» (۷۱۸/۱۷).



واستمرت الحرب بين هذا العدو القوي وبين المسلمين مائة وتسعين سنة، وكانت العاقبة للمؤمنين، فهزم النصارى شر هزيمة على يد الملك الصالح صلاح الدين الأيوبي، وكان يعظم حرمات الله، ويحكم بشرع الله فنصره الله، وفي هذا الزمان هجمت عليهم شرذمة قليلة من اليهود وعددهم يزيد على سبعمائة مليون أن فلم يستطيعوا الانتصار عليها؛ لأنهم لا يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم، وهو الحكم بغير ما أنزل الله، ونبذ كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، ولا يزالون على هذه الحال، ومع ذلك يطمعون في النصر فكأنهم لا يؤمنون بهذه الآية، ونحن منذ عشرات السنين نؤكد لهم أعظم تأكيد أنهم لن ينتصروا إلا إذا رجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله، وحكموا شرع الله.

🖮 الباب الثانى 🔄

قال (ك): «قال علي بن أبي طالب ضَيْنَالهُ: ﴿لَهُ مَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ قال: التوحيد،

⁽۱) أما الآن، فيزيد على المليار ومئتي مليون، اللهم احفظهم، وبارك في عددهم، وخلّصهم مما هم فيه من الهوان، وحسِّن حالهم وجمِّله، بأن تتوب عليهم، وترضى عنهم، وتحبهم، ليحبوك ويرضوا عنك، ويتوبوا إليك، قال أبو زيد: "غَلِطتُ في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله تعالى: ظننت أني أحبّه فإذا هو أحبّني؛ قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُم وَيُجُونُهُم وَظَنْتَ أَني أرضى عنه فإذا هو قد رضِي عني؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكُرُ الله عَمْمُ وَلَنْكُرُ الله وَلَمْ الله تعالى: ﴿وَلَذِكُرُ الله وَلَمْ الله تعالى: ﴿وَلَذِكُرُ الله وَلَمْ الله تعالى: ﴿وَلَذِكُرُ الله وَلَمْ الله وَظنْتَ أَني أَتوب فإذا هو قد تاب عليّ؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُونًا ﴾». نقله وظننت أني أتوب فإذا هو قد تاب عليّ؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُونًا ﴾». نقله القرطبي في «تفسيره» (٨/٨٨٨).



رواه (ع)(١) وقال ابن عباس وبعض من السلف: ﴿لَهُ دَعُوهُ لَلْقَ ﴾ لا إله إلا الله(٢) ﴿وَالَّذِينَ يَدَعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ الآية، ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله ﴿كَنْسِطِ كَلَيْهِ إِلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ إِلَى اللهُ اللهُ أَنْهُ وَاللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ

فإنّي وإيّاكُم وشَوقاً إليكُمُ كقابضِ ماء لم تَسِقْه أنامِلُهُ وقال الآخر(٥):

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها من الودِّ مثلَ القابضِ الماء باليدِ ومعنى الكلام: إن^(١) الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضاً، وإما متناولاً له من بعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره، لا ينتفعون به أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وَمَا دُعَادُ ٱلْكَفِرِينَ إِلّا فِي صَلَالِ﴾.

﴿ وَلِلَّهِ يَسْعُدُ مَن فِي ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ طُوْعًا وَكُرْهَا﴾ الآية.

يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء، ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين وكرهاً من الكافرين ﴿وَظِلْلُهُم وَالنَّاكُمُ وَالنَّاكُمُ وَهُو جَمع أصيل، وهو آخر النهار كقوله تعالى:

⁽۱) في «تفسيره» (۱۳/ ٤٨٦)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٥٣/٤)، لأبي ألشيخ.

⁽۲) أخرجه عبد الرزاق (۱/ ۳۳٤)، وابن جرير (۱۳/ ٤٨٥، ٤٨٦)، والطبراني في «الدعاء» (۳) رقم (۱۰۵، ۱۰۸۱، ۱۰۸۱)، والبيهةي في «الأسماء والصفات» (۲۰٤) من طرق عن ابن عباس، وهو صحيح بمجموعها إن شاء الله تعالى.

وزاد في «الدر المنثور» (٤/ ٥٣) عزوه للفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وأسنده ابن جرير عن قتادة وابن زيد.

⁽٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٤٨٨/١٣) وفي إسناده عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف، قال عنه الحافظ في «التقريب»: «متروك احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه».

 ⁽٤) هو ضابئ بن الحارث البُرجمي، عزاه له في «خزانة الأدب» (٣٢٣/٩) ـ وفيه: «تُطِعْه» بدل «تسقه» ـ، و«مجاز القرآن» (١/٣٢٧).

⁽٥) هو أبو دَهبل الجُمحي، والبيت في (ديوانه) (١١٥).

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هذا».

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «البكر».



﴿ أُوَلَمْ بَرُوا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن ثَيْءٍ يَنْفَيَّوا ظِلْنَالُمُ ﴾ الآية [النحل: ٤٨].

﴿ فَلَ مَن رَّبُّ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَقَفَدْتُم ﴾ الآية.

يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو؛ لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربُّها ومدبِّرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك الآلهة(١) لا تملك لأنفسها(٢) ولا لعابديها بطريق الأولى ﴿نَنْعًا وَلَا مَثِّرًا ﴾ أي: لا [تحمل لهم] (٣) منفعة، ولا تدفع (٤) عنهم مضرة، فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله ومن عبد الله وحده لا شريك له، فهو^(٥) على نور من ربه، ولسهاذا قال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ شَسْتَوِى ٱلظُّلُمَنْتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا بِلَّهِ شُرِّكَآءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِم فَتَشَبَّهُ ٱلْخَلْقُ عَلَيْمٍ ﴾ أي: أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الربُّ وتماثله في الخلق، فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يُدرون مخلوقه(٦) من مخلوق غيره، أي: ليس الأمر كذلك فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله، ولا ند له ولا عدل له ولا وزير له، ولا ولد ولا صاحبة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك "(٧)، وكما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿مَا نَعَبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَيَ ﴾ [الزمر: ٣] فأنكر تعالى عليهم ذلك، حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يشفع أحد عنده (٨) إلا بإذنه ﴿ وَلَا نَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ آذِتَ لَمْ ﴾ [سبأ: ٢٣] ﴿ وَكُم مِّن مَّلَكِ فِي ٱلسَّمَوَتِ ﴾ الآية [النجم: ٢٦]، وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْنَنِ عَبْدًا ١ فَلَدُ أَحْصَلُهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ١ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ١٠ [مريم: ٩٩، ٩٥] فإذا كان الجميع عبيداً له فلم يعبد بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان، بل لمجرد (٩) الرأي والاختراع والابتداع، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هم الآلهة».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لنفسها». (٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تحصل». (٤)

كذا في مطبوع "تفسير ابن كثير"، وفي الأصل: "ترفع" بالراء!

في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهو». (0)

في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أنها مخلوقة».

⁽٧) سبق تخريجه.

⁽A) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عنده أحد».

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بمجرد».



تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم وحالفوهم فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] (١).

فصل

قال محمد تقي الدين: ما أبلغ هذه الآية في إبطال الشرك والترغيب عنه، وبيان خسران المشركين لو كانوا يعقلون، وهذا المثل العظيم الذي ضربه الله لهم في غاية الوضوح قال تعالى: ﴿وَيَلُكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَـَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهُــَاۤ إِلَّا ٱلْعَكْلِمُونَ ﴿ الْعَنْكَبُوتِ: ٤٣] ومن دعا غير الله عابداً أو سائلاً لا يستجيب له أبداً، كما أن من أراد أن يتناول الماء من البئر بيده لا يحصل على طائل، ويبقى ظمآن إلى الأبد، وقلت في قصيدة في هجو سفيه يسمي نفسه فقيهاً:

حُرِمْتَ وُصولاً للحقيقةِ عند ما أضَعْتَ أصُولاً مَنْ يُضِعْها يلْددِ فإنْ تدر معناها إلى الحقّ تهتد فوجّد إله الحقّ لا تدعُ غيرَه لنفعك أو رفع المصائب ترشد فَمَنْ يِدع غيرَ الله يوماً لحاجة يدنس بإشراك ويرْدَى مع الرَّدِي -وذلك توحيد العبادة فادره فمن يجهلنه في التجحيم يخليه سواء أصلَّى قابضاً في صلاته : أم اختار سدلاً نِقْبِلُه لِم يويَّلِهِ : إ فللك كفّارٌ أنسيم ومعتبل وإن يأت للحوض المبارك يطود ويثوى ثواءً في الجحيم ويخلد وكسلٌ تسقيع لسلإلسه مسوحسد لكلِّ صحيح الفهم لم يتبلُّو^(٢)

فكلمة توحيد فقلها محققا ومن ردَّ قولَ المصطفى بعد صحَّة سيُحرمُ في يوم القيام شفاعةً ويسوّد في يوم القيامة وجهه ويبرأ منه ذلك اليوم مالك . وذلك في أصل الشُّهادةِ واضحٌ

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٢٨ ـ ١٣٠).

⁽٢) ذكرها مع (٢٦) بيتاً قبلها و(١٠) أبيات بعدها في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص٦٣ ـ ٦٦) وفي «ديوانه» (ص٤٧، ٤٨ على الآلة الكاتبة) وأرخها فيه بـ١٦/شوال/ ١٣٦٥هـ وقال في آخرها: «انتهت بمدينة مجريط، وقد نظمتها بتطوان إلا الأبيات الستة الأخيرة» وقال في كتابه «الدعوة إلى الله» على إثرها: «انتشرت هذه القصيدة عند أهل تطوان وأعجبوا بها أيما إعجاب؛ لأنهم كانوا حاقدين على ذلك الرجل، وكانت هذه القصيدة مقرونة بسوط عذاب من الله تعالى، صب على ذلك المشرك، فحدثت له حوادث من الخزي...» وذكر بعضها، وقال فيه قبلها: «حدث يوماً أنى كنت جالساً في دكان عند أحد إخواننا =



∺ الباب الثالث 😣

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّةٍ فَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَاۤ أُمَّمُ لِتَتَٰلُواْ عَلَيْهِمُ اللّٰذِي أَوْحَيْنَاۤ إِلَيْهَ إِلَا هُوَ اللّٰهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ اللّٰهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ اللّٰهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ا

قال (ك): «يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة ﴿ لِتَتَلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي: تبلغهم رسالة الله إليهم كذلك أرسلنا في الأمم

الذين تابوا من البدع، وأخوه الأكبر كان حافظاً للقرآن وحافظاً لـ«مختصر خليل»، وكان تجانياً فتاب من التجانية وعمره سبعون سنة، واغتبط بالعقيدة السلفية فجاء سائل عربي وقال لصاحب الدكان: أعطني صدقة لوجه غياث البر والبحر سلطان الأولياء مولاي عبد القادر الجيلاني، فقلت له: إنا نحن عبيد الله ولسنا عبيداً لعبد القادر الجيلاني، فاذهب إلى عبيده فنحن ليس لنا غياث إلا الله في البر والبحر ولا نتخذ من دون الله أولياء. فقال لي: أنت لا تساوي تراب نعل سيدي عبد القادر الجيلاني، فقلت له: أنا لا أساويه ولكنَّى لا أعبده. فقال صاحب الدكان للسائل: اذهب من هنَّا وأرنا قفاك فإن هذا الرجل عندنا أفضل من عبد القادر الجيلاني، فقلت: إنك أخطأت، فقال: أمهلني حتى أشرح لك مرادي ثم احكم عن _ كذا! _. فقلت: قل. فقال: أنت مقيم بين ظهرانينا تعلمنا مما علمك الله ونسألك فتجيبنا وعبد القادر ليس كذلك فقلت له أنا: إن كان هذا مرادك فهو حق، ولما رجعت إلى تطوان علمت أن ذلك الفقيه البياع ذكرني بسوء في درس وعظه. فقال لمستمعيه وهو يحثهم على الصلاة بسدل اليدين وترك سنة وضع اليمني على اليسرى: ماذا تقولون في سيدي محمد السلاوي أكان عالماً بالحديث والفقه أم جاهلاً بهما؟ فقالوا: كان من كبار العلماء، فقال: وماذا تقولون في سيدي أحمد الرهوني وسيدي فلان وفلان. فقالوا: علماء فقهاء، قال: فهل كان أحد منهم يضع اليد اليمني على اليسرى في الصلاة؟ قالوا: لا. قال: فكيف تخالفونهم لقول شخص مجهول لا نعرف من أين خرج؟ فأنشأتُ فيه قصيدة دالية أنقل نخبة منها هنا» ومن الأبيات المحذوفة هنا يظهر أن المهجو كان حداداً». وانظر (٤/ ٨٢).



الماضية الكافرة بالله، وقد كُذِّب الرسل من قبلك فلك بهم(١) أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين، قال الله تعالى: ﴿ تَأْلَلُهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمِ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية [النحل: ٦٣] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ آئِنَهُمْ نَصْرُنَّ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَنتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلْمُرْسَلِينَ ۖ [الأنعام: ٣٤] أي: كيف نصرناهم وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة، وقوله: ﴿ وَهُمَّ يَكُفُرُونَ إِلزَّمْنَ اللَّهِ أَي: هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن لا يقرون به؛ لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أنَّ يكتبوا ﴿ إِنْسِمِ اللَّهِ ٱلرَّجَيْنِ ٱلرَّجَيْنِ ۞ وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم، قاله قتادة والحديث في "صحيح البخاري»(٢) وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أُوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَانُ أَيَّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآةُ ٱلْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠] وفي «صحيح مسلم» (٣) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله على: «إن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله، وعبد الرحمن»، ﴿ قُلْ هُو رَبِّي لَا إِلَهُ إِلَّا هُو ﴾ أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والألوهية(٤)، هو ربي لا إله إلَّا هو ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: في جميع أموري ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ أي: إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه»^(٥).

∺ الباب الرابع 🔫

قال (ك): «يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِتَنَبَ ﴾ وهم قائمون بمقتضاه

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فيهم».

⁽۲) أخرجه البخاري (۲۷۳۱، ۲۷۳۲)، وأحمد (۳۲۸، ۳۲۳)، وأبو داود (۲۷۲۰، ۲۷۳۵)، وأبو داود (۲۷۲۰، ۲۷۳۵)، والنسائي (۱۲۹، ۱۲۹، ۱۷۰) من حدیث المسور بن مخرمة.

⁽٣) أخرجه مسلم (٢١٣٢)، وأحمد (٢/٤٤)، وأبو داود (٤٩٤٩)، والترمذي (٢٨٣٥).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والإلهية».

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٤٩ ـ ١٥٠).



﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنِلَ إِلَيْكُ اَي: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبيشارة به، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ النَّيْنَهُمُ الْكِئْبَ يَتَلُونَهُ حَقَّ يَلاَوَتِيهِ الآية والبقرة: ١١١] وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَايُولُ بِهِ الَّوْ لَا نُوْمِنُوا الله به في كتبنا من إرسال لَمَفُولا الإسراء: ١٠٨، ١٠٠] أي: إن كان ما وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد الله لحقا وصدقاً مفعولاً لا محالة كائناً، فسبحانه ما أصدق وعده، فله الحمد وحده، ﴿وَمَغِرُونَ لِلاَّذَقَانِ يَبَكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعا الله الله الله الله الله الله وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّوْزَابِ مَن يُبَكُرُ بَعْضَمُ أَي: ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك، وقال مجاهد: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْزَابِ أَي : ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك، وقال مجاهد: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْزَابِ أَي الله وَلا الله قتادة وعبد الرحمن بن أنزل إليك، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ إِللَّهِ الله عمران: ١٩٩] الآية، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلاَ أَشْرِكَ بِهِ عَنَا الله عنا المعث عمران: ١٩٩] الآية، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أَشْرِكَ بِهِ عَلَى ﴿ إِلّهِ اللهِ وَلا اللهِ وَالنّهِ أَنْ أَعْبُدُ الله وَلا الله وحده لا شريك له كما أرسل الأنبياء من قبلي ﴿ إِلّتِهِ أَدْعُوا ﴾ أي: إلى سبيله أدعو الناس ﴿ وَإِلْتِهِ مَعَابٍ ﴾ أي: مرجعي ومصيري (٥٠). اه.

فصل

قال محمد تقي الدين: أمر الله نبيه محمداً على أن يقول لجميع الناس: ﴿إِنَّمَا أَرْتُ أَنْ أَعْبُدُ اللّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِدِّء لم يأمرني الله تعالى إلا بعبادته وحده لا شريك له ونهاني عن الشرك به، فمن لم يحقق التوحيد ويتجنب الشرك فالنبي على بريء منه، لا يمكن أن يكون من المتبعين له، وقوله: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَنَابِ اللهِ أَيْ وَاللّهُ مَنَابٍ اللهُ وَلِي اللهُ وَهِي اتباع كتابه ورسوله على فمن دعا إلى اتباع غير ذلك، فقد خاب وخسر.

⁽۱) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

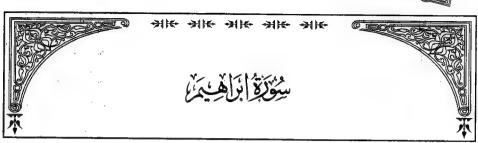
⁽۲) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) انظر: «تفسير مجاهد» (١/ ٣٢٩)، وأسنده عنه ابن جرير (١٣/ ٥٥٦).

⁽٤) أسنده عنهما: ابن جرير (٥٥٦/١٣)، وعزاه في «الدر المنثور» (٦٥/٤) عن قتادة إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وهو عن عبد الرحمٰن بن زيد عند أبي الشيخ، كما في «الدر» أيضاً.

⁽٥) انظر: «تفسير أبن كثير» (٨/ ١٦٠ _ ١٦١).





😝 الباب الأول 🔫

قوله تعالى: ﴿ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُواْ فَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ اللَّهِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَمَّ وَبِئْسَ الْقَرَارُ اللَّهِ وَجَعَلُواْ لِللَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُواْ عَن سَبِيلِهِ مُنْ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ اللهِ المِيمِ ١٨ ـ ٢٠] عَن سَبِيلِهِ مُنْ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ اللهِ المِيمِ ١٨ ـ ٢٠]

قال (ك): «قال البخاري^(۱): قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا فِمْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ ألم تعلم، كقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ [البقرة: ٢١] ﴿ أَلَمْ تَكُو إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ [البقرة: ٣٤٣] ﴿ أَلَبُوا ﴾ [الفرقان: ١٨] هالكين».

وقال بسنده عن عطاء: سمع ابن عباس: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْرًا ﴾ قال: هم كفار أهل مكة (٢) وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: هو جَبَلة بن الأيهم والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم (٣)، والمشهور الصحيح عن ابن عباس (٤) الأول، وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُوا عَن سَبِيلِمِهِ ﴾ أي: عن ابن عباس (٤) الأول، وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُوا عَن سَبِيلِمِهِ ﴾ أي: جعلوا له شركاء عبدوهم معه ودعوا الناس إلى ذلك، ثم قال تعالى: [مهددًا] (٥) لهم ومتوعِّداً على لسان نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ تَمَتَعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّارِ ﴾ أي: مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا فمهما يكن من شيء ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّادِ ﴾ أي:

⁽۱) «صحیح البخاري»، كتاب التفسیر، باب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُثْرًا﴾ قبل رقم (٤٧٠٠).

 ⁽۲) أخرجه البخاري (۳۹۷۷، ٤٧٠٠)، وعبد الرزاق (١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٣)، وابن جرير (١٣/
 (۲) أخرجه البخاري (٣٩٧٧).

 ⁽٣) أخرجه ابن جرير (١٣/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٧/ رقم ١٢٢٧٩) انظر: «زاد المسير»
 (٤/ ٣٦٢)، و«تفسير مبهمات القرآن» (٢/ ٧٩)، و«الدر المنثور» (٤/ ٨٥).

⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هو القول».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «متهدداً».



مرجعكم وموثلكم إليها، كما قال تعالى: ﴿ نُمَنِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطُرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ عَلَيظٍ ﴿ وَمَتَعُ فِي الدُّنِكَ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ فَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤] وقال تعالى: ﴿ مَتَعُ فِي الدُّنِكَ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ فَلَا يَنُوسُ: ٧٠]» (١).

فصل

قال محمد تقي الدين: جبلة بن الأيهم كان أميراً لنصارى بني غسان في الشام، فلما جاء الإسلام أسلم وذهب يطوف بالبيت، فوطئ أعرابي على طرف إزاره فلطمه جبلة، فتخاصما إلى عمر بن الخطاب فحكم للأعرابي بالقصاص، فقال جبلة: يا أمير المؤمنين أنا ملك وهو من سوقة، فقال: الإسلام سوَّى بينكما، فقال: أمهلني يوماً واحداً، فقال: ليس الأمر لي، وإنما هو من خصمك، فاسأله ذلك، فسأل جبلة خصمه الإمهال، فقبل وهرب جبلة إلى قسطنطينية، وقصد ملك الروم وأعطاه قصراً وخدماً وأكرمه غاية الإكرام، فتوجه أحد شعراء المدينة نسيت اسمه إلى قسطنطينية، وزار جبلة فرأى ما هو فيه من الأبهة والنعمة والترف، فلما رآه جبلة سأله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعن حال المسلمين، فأخبر أنهم بخير وأخذ يتحدث معه فذكر ما كان فيه من الهدى والنور، وما رجع إليه من الضلال وظلمة الكفر، فندم وبكي وأنشد:

تنصَّرت الأشرافُ من أجل (٢) لطمةٍ تكنَّفني منها (٣) لجاجٌ ونخوةٌ فيا ليتَ أُمِّي لم تَلِدْني ولَيتني وليتني وليتني ويا ليتني أرْعى المخاضَ بقَفرةٍ ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ

وما كان فيها لو صبرتُ لها ضَررُ فبعت (٤) بها العينَ الصحيحةَ بالعوَرُ رجعتُ إلى الأمر (٥) الذي قاله (٦) عُمرُ وكنت أسيراً في ربيعةَ أو مُضَرُ أجالس قومي فاقد (٧) السَّمع والبَصَرُ (٨)

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲۱۹/۸، ۲۲۱، ۲۲۲) بتصرف.

⁽۲) في مطبوع «الأغاني»: «عار».(۳) في مطبوع «الأغاني»: «فيها».

⁽٤) في مطبوع «الأغاني»: «وبعتُ». (٥) في مطبوع «الأغاني»: «القول».

⁽٦) في مطبوع «الأغاني»: «قال لي». (٧) في مطبوع «الأغاني»: «ذاهب».

⁽٨) انظر: كتاب «الأغاني» (١٥/١٥ ـ ١٦٧)، و«الوافي بالوفيات» (٢١/ ٤٣)، ط. إحياء التراث).



فصل

قال محمد تقى الدين: وكذلك رؤساء المشركين في هذا الزمان، جعلوا لله أنداداً ونصبوا قباباً على القبور التي يعتقدون أن المدفونين فيها صالحون، وأمروا أتباعهم إذا ماتوا أن يبنوا على قبورهم قباباً ويعبدونها، فهم داخلون في معنى هذه الآية، فكم منكرات ترتكب عند هذه الأوثان من اختلاط الرجال والنساء كما تقدم؟! وكتابة كتب الاستجداء وإلقائها في توابيت الأضرحة، يسألون المقبورين حاجاتهم فيجيبهم السدنة إن كانوا أغنياء، وإن كانوا فقراء أهملوا جوابهم، وكم بقر وغنم يُهَلِّ بها لغير الله عند تلك الأوثان؟! وقلت في (القصيدة التائية) من قصيدة أدرجتها برمتها في كتاب «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية»(١):

سفرتُ إلى مصرَ لأحبرَ حبرَها وأنظرُ هل فيها شِفاءٌ لغَلَّتى رأيتُ بها الأوثانَ تُعبدُ جَهْرةً حشا ثلة مستضعفين رأيتهم لها جَعَلوا قسماً بمال وإلّةٍ وهُم صُبرٌ مُستمسكونَ بدينِهم وما صدَّهم إيذاؤهم عن جهادِهم

ومن قبلُ قد أُخْبرتُ أنَّ في ربوعِها رجالاً لنصر الدِّين أصحاب شدَّةِ وصلتُ فلم ألفَ سوى أهل بدعة وشرك والسحاد وشكَّ وردةً سمعتُ بها الإلحادَ يُدرَسُ جهرةً بجامعةٍ للشَّرُّ مع كلِّ فتنةِ قُبوراً عظاماً ناحراتٍ أجنَّتِ ويدْعُون دونَ اللهِ مَنْ لا يُجيبهم وهم عن دعاءِ القوم في عظم غَفلةِ تسومُهم الأعداء سوء الأذيّة فلا عاش مَنْ قد ظنَّهم أهلَ ملَّةِ ويدْعُون مَا اسْطاعوا لِبَيْضَا نقيةِ الأنَّهم أهلُ النَّنفوس الأبيَّةِ

ولو آمنوا بالله حقَّ الإيمان وأيقنوا أنه المعطي المانع القابض الباسط ما قصدوا تلك الأوثان، ولا عبدوها بل يكفيهم الله، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَةً وَيُحَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِيبَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْدِلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَئُرُ مِنْ هَادٍ ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ٱللَّهَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنْفَامِ ١٧١ ﴿ الزمر: ٣٦، ٣٧] بلى يا

⁽١) (ص٩٠ ـ ٩٣) والأبيات المذكورة هنا مع بيتين عقبهما في كتابه «الدعوة إلى الله تعالى» (ص٢٨) وقال فيه: «نظمتها بالهند، وذكرت فيها توبتي من الشرك والبدعة، ورحلتي في طلب العلم. . . » وذكرها برمتها في «ديوانه» (ق٢٦ ـ ٢٧) وقال قبلها: «وقلت بمسجد عليجان بدهلي سنة ١٣٤٢هـ، ضمنتها رجوعي من الابتداع إلى السنة، ورحلتي من بلادي إلى الهند وغير ذلك».



رب إنك عزيز ذو انتقام، تنتقم من الظالمين بأيدي الموحدين المقسطين، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

∺ الباب الثانى 🔫

قَالَ الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ رَبِّ اَجْعَلْ هَاذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنَا وَٱجْنُبْنِي وَبَيْنَ أَنْ لَلْنَ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي وَبَيْنَ أَنْ لَلْنَ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي وَبَيْنَ أَنْ لَكُنْ مَنْ أَلْنَاسٍ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ١٣٥ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ ١٣٥ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ ١٣٥ ١٣٥ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

قال (ك): «يذكر تعالى في هذا المقام محتجاً على مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة، إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه (١) تبرأ ممن عبد غير الله وأنه دعا لمكة بالأمن، فقال: ﴿رَبِّ ٱجْمَلْ هَلْذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنَا﴾ وقد استجاب الله له، فقال تعالى: ﴿ أُولَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَرَمًا ءَامِنًا ﴾ الآية [العنكبوت: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعُ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةً مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَلَمِينَ ۞ فِيهِ مَايَتُ بَيِّنَتُ مَقَامُ إِبْرَهِيمٌ وَمَن دَّخَلَمُ كَانَ مَامِناً ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] وقال في هذه القصة: ﴿رَبِّ أَجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنَا﴾ فعرفه لأنه دعا^(٢) بعد بنائها، ولَهذا قال: ﴿ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَعِيلَ وَإِسْحَنَّ ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة فإنه دعا أيضاً فقال: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦] كما (٣) ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطولاً وقوله (٤): ﴿وَٱجْنُبْنِي وَيَغَ أَن نَعْبُدُ ٱلْأَصْنَامَ﴾ ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته، ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس، وأنه تبرأ (٥) ممن عبدها وردَّ أمرَهم إلى الله: إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، كقول عيسى عَلِيُّهُ: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَّ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿ اللهائدة: ١١٨] وليس فيه (٦) أكثر من

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بسببه آهلة عامرة».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كأنه دعا به».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وفي الأصل: «لما».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال». (٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «برئ».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في هذا».



الرد إلى مشيئة الله تعالى، لا تجويز (١) وقوع ذلك (٢).

فصل

قال محمد تقي الدين: قول (ك): ﴿إِنْ إِسماعيل كَانْ أَكْبَرُ مِنْ إِسحاق بثلاث عشرة سنة» قرأت هذا في «التوراة» باللغة العبرانية، فللَّه در هذا الإمام ما أعظم تحقيقه، وأوسع إطلاعه، وقوله: «ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته ؟؛ يعني: بما دعا إبراهيم لنفسه ولبنيه، ولو قلت لرجل اليوم من عامة المسلمين، وأكثر خاصتهم من الذين يزعمون أنهم علماء: أسأل الله أن يحفظك ووالديك وذريتك من عبادة الأصنام، لغضب غضباً شديداً وظن أنك تسبه فإذا حلم ولم يشتمك ولم يضربك يقول: هل أنت شاك في إسلامي وإسلام والذي وذريتي؟ ونحن نقرأ القرآن ونصلي ونحج ونؤدي الزكاة ونصوم رمضان ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ فاتق الله ولا تكفّر المسلمين، واترك عقيدة الوهابية، فيقال له: هل كان إبراهيم وهابياً حين دعا بهذا الدعاء؟ وهل كان إبراهيم ويعقوب وهابيين إذ حكى الله عنهما وصيتهما لأبنائهما؟ قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا ۚ إِرَاهِ عَمْ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَلَعَى لَكُمُ ٱلدِّينَ كَالَا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَأَتَّشُم مُسْلِمُونَ ١٣٥ [البقرة: ١٣٢] وهل كان يعقوب وهابياً حين سأل بنيه عند موته، وقدال لــهــم: ﴿ مَا تَعَبُّدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ نَعَبُدُ إِلَىٰهَكَ وَإِلَىٰهَ مَا تَأْمِكُ إِبْرَعِيمَ وَإِسْمَعْمِيلُ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَبِهِذَا وَغَنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣]؟ وهل أنت أيها المتعالم وأولادك أفضل من إسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنيه؟ ﴿ كَلَالِكَ يَطْبُعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبٍ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٠٥ [الروم: ٥٩] فيا أيها الموحّد المتَّبع المهتدي المقتدي اصبر إن وعد الله حق، ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوفِئُونَ ﴾ [الروم: ٦٠] اللهم احفظنا وذريتنا وإخوائنا من عبادة الأصنام والأوثان وكل ما سواك، وقول إبراهيم عليه: ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيدٌ ﴾ وكذلك قول عيسى: ﴿ وَإِنْ تَغْفِرُ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْمَزِيرُ لَقُكِيدُ ﴾ [المائدة: ١١٨] ليس فيهما دليل على أن الله يغفر للمشركين الذين ماتوا على الشرك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ إِمِهِ ﴾ [النساء: ٤٨] ولغير ذلك من أدلة السنة والإجماع.

⁽١) كذا في مطبوع اتفسير ابن كثيرًا وفي الأصل: اولا يجوزًا!!

⁽۲) انظر: «تفسير ابن كثير» (۸/ ۲۲۵ ـ ۲۲۲).



🖂 الباب الثالث 😣

قــولــه تــعــالى: ﴿هَاذَا بَالَغُ لِلنَّاسِ وَلِيُسْنَذَرُواْ بِهِـ، وَلِيَعْلَمُوَّا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِدُّ وَلِيَذَكَرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَابِ ﴿ إِلَى الْحَالِمَةِ اللهِ اللهِ عَالَمُ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ ال

فصل

قال محمد تقي الدين: والذين يفتون أو يقضون بالتقليد والتمذهب لا يعملون بمقتضى هذه الآية، فهم يقولون بلسان حالهم ومقالهم أيضاً هذا القرآن ليس بلاغاً لنا، وإنما هو بلاغ للإمام، وكذلك حديث النبي على وإنما هو موجه للإمام، أما نحن فلا نتعدى قول الإمام أبداً، ولا نستدل على حكم بالقرآن ولا بالحديث إلا إذا وافق رأي إمامنا، هذه حال القضاة والمفتين بالتقليد، هذه الآية بالحديث إلا إذا وافق رأي إمامنا، هذه حال القضاة والمفتين بالتقليد، هذه الآية عجة عليهم، وما ذكره (ع) معها، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَشِيكَ بِالذِي الْتِي الْمِي إِلَيْكَ أَوْمَى إِلَيْكَ وَسَوْفَ لُسَنَلُونَ فَى وَسَنَلُ مَنْ أَرْسَلَنَا أَجْعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّمْنِ عَالِهَةً يُعْبَدُونَ فَى السادة)، وفي (قسم آيات العبادة)، وفي (قسم آيات العبادة)، وفي (قسم آيات العبادة)، وفي (قسم آيات العبادة)، إن يسر الله إتمام هذا الكتاب، وفي هذه الآية دليل واضح على أن من أشرك بالله ليس من أولي الألباب، وكذلك المفتي والقاضي بالتقليد ليسا من أولي الألباب، وقد تقدم الكلام على ذلك في آيات التوبة وغيرها.

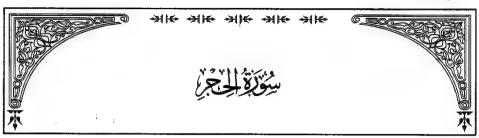
⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وجان».

⁽Y) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يتعظوا».

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «ذوي».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٤٠).





😝 الباب الأول 😣

قال الله تعالى: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَكَ الْمُشْرَدِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَنْهَا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبّح بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السّنَجِدِينَ ۞ وَأَعْبُدُ رَبّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِينُ ۞ اللهجر: ١٤ ـ ١٩ السَنجِدِينَ ۞ وَأَعْبُدُ رَبّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِينُ ۞ اللهجر: ١٤ ـ ١٩ المحر: ١٤ ـ ١٩ المحر: ١٥ ـ ١٩ المحر: ١٥ ـ ١٩ المحر: ١٥ ـ ١٩ المحر: ١٥ ـ ١٩ المحر: ١٩ المحر: ١٩ ـ ١٩ المحر: ١٩ المحر: ١٩ ـ ١٩ المحر: ١٩ المحر: ١٩ ـ ١٩ المحر: ١٩ المحر: ١٩ ـ ١٩ المحر: ١٩ ـ ١٩ المحر: ١٩ ـ ١٩ المحر: ١٩

قال (٧): "يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بإبلاغ ما بعثه به وإنفاذه (١) والصدع به، وهو مواجهة المشركين (٢)، كما قال ابن عباس [في قوله] (٣): ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ أي: أمضه (٤)، وفي رواية: افعل ما تؤمر (٥)، وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة (١). وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود: (ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ فخرج هو وأصحابه (٧) وقوله: ﴿وَأَعْرِضَ عَنِ المُشْرِكِينَ إِنَّا كُفَيْنَكَ ٱلسُّتَهْزِءِينَ ﴿ وَاللهُ عَن رَبِّك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدَوْنُ فَيُدّهِنُونَ

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وبإنفاذه».

⁽۲) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «به».

⁽٣) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٤) أخرجه ابن جرير (١٤٢/١٤)، وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (١٠٦/٤).

⁽٥) أخرجه ابن جرير (١٤/ ١٤٢)، وابن المنذر، كما في «الدر».

 ⁽٦) أخرجه الثوري في «تفسيره» (ص١٦٢)، وعبد الرزاق (١/ ٣٥١)، وابن جرير (١٤/ ١٤٣)، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم ـ كما في «الدر المنثور» (١٠٦/٤) ـ، وهو في «تفسير مجاهد» (١/ ٣٤٤).

⁽٧) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٦١) رقم (٩٧٣٤)، وإسناده منقطع وورد نحوه مطولاً عن ابن عباس، أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص٢٢٤ ـ ٢٢٦)، بسناد والع بمرة.



(ع) [القلم: 9] ولا تخفهم فإن (١) الله كافيك إياهم، وحافظك منهم، كقوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِغٌ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِكٌ وَإِن لَّه تَفْعَلَ فَا بَلَغْتَ رِسَالَتُلُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَن النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٧٦] وقال الحافظ البزار بسنده عن يزيد بن درهم قال: سمعت أنساً وَ الله يقول في هذه الآية: ﴿ إِنَّا كُفَيْنَكُ النَّسْتَهْزِءِينَ ﴿ اللَّهِ اللّهِ عَنْهُ فَعَمْرُهُ بَعضهم فَجاء جبريل يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلَيْهًا ءَاخَرُ ﴾ قال: «مر رسول الله عليه فعمزه بعضهم فجاء جبريل قال: أحسبه. قال: فغمزهم فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا (٢٠).

وقال ابن إسحاق: كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر (٣) وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم: الأول (٤): الأسود بن [المطلب أبو] (٥) زمعة الأسدي، كان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه، واستهزائه فقال: «اللهم اعم بصره وأثكله ولده» [والثاني]: (٦)

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/٧١٧) من طريق محمد بن عثمان القرشي: ثنا يزيد بن درهم به نحوه وقال: «لم يرو هذا الحديث عن أنس إلّا يزيد بن درهم، تفرد به محمد بن عثمان القرشي».

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٤٩/٧) عن ابن عباس! وليس عن أنس وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» والبزار بنحوه وفيه يزيد بن درهم ضعفه ابن معين ووثقه الفلاس» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥٩٨/٥) وقال: «يخطئ كثيراً».

قال أبو عبيدة: أما حديث ابن عباس، فهو بمعناه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥) رقم (٤٩٨٦)، وابن أبي حاتم _ كما في «الجواب الصحيح»، (٤/٢١٥) _ والبيهقي في «الدلائل» (٢١٥/٢) والضياء في «المختارة» (١٠) رقم (٩٤) وإسناده جيد.

وأما قول الهيثمي في «المجمع» (٧/٧٤): «فيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» فهو صحيح، إلا أن النيسابوري توبع في رواية البيهقي والضياء، ولذا حسنه السيوطي في «الدر المنثور» (١٠١/٤)، وزاد في عزوه إلى ابن مردويه وأبي نعيم في «الدلائل»، وصححه الضياء المقدسي.

- (٣) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من قومه» وكذا في مصادر.
- (٤) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "من بني أسد بن عبد العزى بن قصي".
 - (a) من مطبوع «تفسير ابن كثير»: وسقطت من الأصل!

⁽١) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقطت من الأصل.

⁽٢) في «مسنده» (١٦/ ٥١٩ - ٥٢٠) (رقم ٧٣٦٨) أو (٢/ ١٤٧٥ - مختصر الزوائد)، وقال البزار: «ولا نعلم أسند يزيد بن درهم عن أنس إلا هذا الحديث، ولا نعلم رواه عن أنس غيره».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ومن بني زهرة».



الأسود بن عبد يغوث الزهري (١) الثالث (٢): أبو الوليد بن المغيرة [المخزومي] (٣) ورابعهم (٤): العاص بن وائل السهمي (٥) وخامسهم (٦): الحاوث بن الطلاطلة المخزاعي (٧) فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله على الاستهزاء أنزل الله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُوْمَرُ وَآعَرِضْ عَنِ ٱلمُشْرِكِينَ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَكُ ٱلْمُسْتَهْزِهِينَ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَكُ ٱلْمُسْتَهْزِهِينَ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَكُ ٱلْمُسْتَهْزِهِينَ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَكُ ٱلْمُسْتَهْزِهِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٨).

وقوله: ﴿ اَلَّذِي يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهَا ءًاخَرُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلُمُ أَنَكَ يَضِيقُ صَدَّرُكَ بِمَا يَعْوَلُونَ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلُمُ أَنَكَ يَضِيقُ صَدَّرُكَ بِمَا يَعْوَلُونَ ﴿ فَلَ فَسَيِّحَ بِحَمَّدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّيَحِدِينَ ﴿ فَلَى اللهِ اللهِ الله الله الله الله الله عنه صنيق صدر وانقباض (٩) ، فلا يهيدنك ذلك، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل عليه، فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه، وعبادته التي هي الصلاة، ولهذا قال: ﴿ فَسَيِّحَ بِحَمَّدِ رَبِّكَ وَكُن مِن السَّيَحِدِينَ اللهُ كَما جاء في الحديث الذي رواه أحمد بسنده عن نعيم بن مَن الله عنه الله على الله تعالى: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره (١١) ورواه أبو داود والنسائي من طريق أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره (١١) ورواه أبو داود والنسائي من طريق

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بن وهب بن عبد مناف بن زهرة».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ومن بني مخزوم».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بن عبد الله بن عمر بن مخزوم».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤيي».

⁽٥) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم".

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ومن خزاعة».

⁽V) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملكان».

⁽٨) أخرجه ابن جرير (٤٨/١٤)، وأبو نعيم في «الدلائل» (ص٢٢٢ ـ ٢٢٣). وهو موسل، وفيه عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس. ووردت تسميتهم في موسل عكرمة، عند عبد الرزاق في «التفسير» (٢/٢/١) ومن طريقه ابن جرير (٤١/٤)، وإستاده صحيح.

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لك انقباض صدر وضيق».

⁽١٠) تحرف في الأصل إلى «عمار»!

⁽١١) أخرجه أحمد (٢٨٦/٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩٣/٨، ٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٢٨٦/٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة (٣/١٥١ ـ ١٥٢) وابن قانع في «معجم الصحابة (٣/١٥١ ـ ١٥٢) والطبراني في «مسند الشاميين» (١١٦٩)، وابن حبان (٢٥٣٤)، ووقع خلاف في تعيين اسم صاحبيه، وهذا لا يقدح في أصل صحة الحديث، فهو صحيح، وانظر: «تهذيب =



آخر بنحوه (۱) ولهذا كان رسول الله على إذا حزبه أمر صلى (۲) وقوله: ﴿وَأَعْبُدُ رَبِّكَ حَقّى يَأْيِكَ ٱلْيَقِيثُ ﴿ وَالله البخاري (۳) : «قال سالم: الموت». وسالم هذا هو: سالم بن عبد الله بن عمر ويستدل بهذه (٤) الآية الكريمة وهي قوله: ﴿وَأَعْبُدُ رَبِّكَ حَقّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِيثُ ﴿ وَالله على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً ، فيصلي بحسب حاله كما ثبت في «صحيح البخاري» (٥) عن عمران بن حصين الله أن رسول الله على قال: «صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فقلي جنب ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة ، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء على كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد (٦) وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات ، إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين لهنا الموت كما قدمناه (٧) .

فصل

قال محمد تقي الدين: ينبغي للداعي إلى التوحيد إذا جاء قوماً مشركين في هذا الزمان، أن يتلطف في الدعوة فيقيم لهم الدليل تلو الدليل، على أن ما هم

⁼ الكمال» (٢٩/ ٤٩٧ _ ترجمة نعيم).

⁽۱) أخرجه أبو داود (۱۲۸۹)، والنسائي في «الكبرى» (۱/۲۲۷)، والدارمي (۱٤٥٩) وابن حبان (۲/۳۳۶)، وأبو يعلى (۳/۱۷۵۷)، والحديث صحيح.

⁽۲) أخرجه أبو داود (۱۳۱۹)، وأحمد (۳۸۸/۵)، والطبري (۲/ ۲۲۰)، وأبو عوانة (۲) ۱۸۹۶)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (۲/ ۱۸۹)، والبيهقي في «الدلائل» (۳/ ٤٥١ ـ ۲۵۱)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (۲/ ۲۷۲)، وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (۱/ ۲۱۲) من حديث حذيفة وفي إسناده محمد بن عبد الله الدؤلي لم يرو عنه غير عكرمة وله شاهد من حديث صهيب، ولذا حسنه شيخنا الألباني.

⁽٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَعْبُدُ رَبُّكَ حَتَّى يَأْلِيكَ ٱلْيَقِيثُ ۞﴾).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من هذه».

⁽٥) أخرجه البخاري (١١١٧)، وأبو داود (٩٥١) والترمذي (٣٧١)، وأحمد (٤٢٦/٤) وغيرهم.

⁽٦) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الناس».

⁽٧) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٨/ ٢٨٣ ـ ٢٨٧) بتصرف.



عليه شرك، فإن قالوا له: قد جعلتنا كفاراً يقول لهم: أنا أدعوكم إلى ترك هذا العمل الذي عرفتكم حقيقته، ولا أريد أنْ أسبّكم، ولا أن أتنقّصكم، فإن تركتم هذه الأعمال أطعتم الله ورسوله وحققتم التوحيد، وغفر الله لكم ما تقدم منها، فمن أصرَّ على الشرك بعد بيان الدليل فلا حرج عليه أن يسميه مشركاً إذا رأى المصلحة تقتضي ذلك، وقد جربت هذه الطريقة في بلدان مختلفة فنجحت، انظر كتابي: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة»(١).

كما كفى الله رسوله عليه المستهزئين (٢) فإن الله يكفي كل من اتبعه بصلاق،

- (۱) طبع أكثر من مرة، وهو مليء بالقصص والحكايات التي تدل على كلام المصنف هذا، بل تكاد تقول: إن هذا الكتاب خاص بمذكرات الهلالي الدعوية، وأخبرني تلميذ المصنف الشيخ العلامة محمد بو خبرة _ حفظه الله _ في شعبان سنة ١٤٢٦هـ أن له على ما ذكر العلامة الهلالي في هذا الكتاب ملحوظات تخص أسماء الأشخاص وتاريخ بعض المعلومات، قال عن سبب وقوع هذا: "لطول العهد، وتقدمه في السن، فكان الهلالي ينسى بعض الأسماء أو يذكرها محرفة»، ثم طلبتُها، وأرسِلَتْ لي.
- (Y) كفاية الله نبيّه المستهزئين، تشمل في حياته وبعد وفاته، وهذه سنة شرعية وكونية لله كان الله كان عاقب جمعاً ممن استهزأ بسنته بعد وفاته، وقد وقفت على قصص كثيرة من بطون الكتب، وأفردتها في مقالة منشورة في مجلتنا «الأصالة» عند (10 17) بتأريخ 10 ذي القعدة 12ه هر (ص٧ ١٠)، ومما يعجبني غاية ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢٣٣٧/) على إثر ما أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١) من حديث أنس أن رجلاً كان يكتب للنبي أن فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فعرفوه، قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد! فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فوارؤه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، قركوه منبوذاً. قال شيخ الإسلام على فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذاً. قال شيخ الإسلام على

الفهذا الملعون الذي افترى على النبي الله أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفنُ مراراً، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً؛ إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد؛ إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ومظهر لدينه ولكذب الكاذب؛ إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد.

ونظير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما لحصر المسلمون فيها =



المستهزئين بالتوحيد في زمانه، وقد رأينا من ذلك العجب العجاب، نسأل الله أن يزيدنا من فضله، ويحفظنا من شرور أنفسنا.

وقوله: (فغمزه بعضهم) يعني ﷺ، قال ابن الأثير في النهاية: «الغمز: العصر والكبُّس باليد... وبعضهم فسر الغمز في بعض الأحاديث بالإشارة كالرمز بالعين أو الحاجب أو اليد»(١).اه.

وفي «تفسير الجلالين» عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا ﴾ «أي: المؤمنون ﴿بِهِمَ يَنْغَامَنُونَ ﴾ [المطففين: ٣٠] أي: يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء»(٢).

قال محمد تقي الدين: ذكرني الخبر أن بعضهم غمز النبي على وهذا الغمز يحتمل أن يكون بالحاجب والعين يحتمل أن يكون بالحاجب والعين استهزاء والأول أظهر؛ لأن غمز جبريل لأولئك النفر كان فيما يظهر باليد، ولذلك أصابهم الوجع ثم الموت، والجزاء من جنس العمل، والله أعلم.

وقوله: (وكانوا ذوي أسنان وشرف) أي: كانوا شيوخاً متقدِّمين في السِّن، وذوي منازل عالية في قومهم، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَاهًا ءَاخَرُ ﴾ أي: معبوداً آخر، فكل من استغاث بمخلوق لجلب خير أو دفع شر بطريق الهمة والحال لا بطريق الأسباب، أو طلب منه قضاء حاجة، كذلك فقد جعله إلهاً، انظر: ما تقدم في (سورة الأعراف) عند قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَنْمُوسَى ٱجْعَل لَنَا إِلَهُا كُما لَمُمُ اللهَ عَلَى وَبالله التوفيق.

الشهر وهو ممتنع علينا على الحصن الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله على والوقيعة في عِرْضِه، تعجلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكان عَنْوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين».

قال أبو عبيدة: اللهم عذَّب من وقع في نبيَّك محمد ﷺ، واشف صدورنا منه، فإنه لا يعجزك، واجعله عبرة لكل أحد.

⁽۱) «النهاية» (۸۳/ ۳۸۵ ـ ۳۸۳). (۲) «تفسير الجلالين» (ص ۷۹۸).

and the second s

1 × 1 11

.

i i

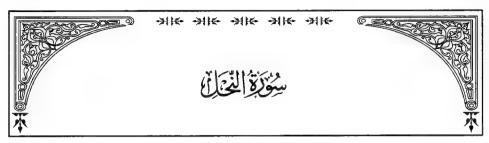
- C - G

1 . .



قال محمد تقي الدين: كل عالم بمعاني آيات التوحيد يرى المشركين في هذا الزمان يعبدون القبور، وشيوخ التصوف والمجانين الذين يسمونهم مجاذيب، ولم يضق صدره بما يفعلون ويقولون، فهو مداهن خائن للأمانة، كاتم للعلم، يلعنه الله ويلعنه اللاعنون، نعوذ بالله من ذلك، كيف وقد أمرنا الله تعالى بالتيرئ من المشركين في سورة الممتحنة، بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوةً حَسَنَةٌ فِي إِبْرِهِيمَ وَاللَّيْنَ مَعَدُ إِذْ قَالُوا لِتَوْمِيمَ إِنَّا بُرَءَوا مِنكُم وَهِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ؟! [الممتحنة: ٤].





∺ الباب الأول 😣

قال الله تعالى: ﴿ بِسَمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ أَنَ أَمَّرُ اللّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَامُ وَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَتِهِكَةَ بِالرَّرِجِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ أَنْ أَنذِرُوٓا أَنَّهُ لَا إِلَنَهَ إِلّاَ أَنَا فَأَتَّقُونِ ﴿ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١-٣]

قال (ك) في تفسير هذه الآية: «يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوِّها معبِّراً بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۞﴾ [الأنبياءُ: ١] وقال: ﴿أَفْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَأَنشَقَ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١] وقوله: ﴿ فَلَا تَسْتَعَجِلُوهُ ﴾ أي: قرب ما تباعد: ﴿ فَلا تَسْتَعُجِلُوهُ ﴾ يحتمل أن يعود الضمير على الله، ويحتمل أن يعود على العذاب وكلاهما متلازم كما قال تعالى: ﴿ وَلَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوَلَآ أَجَلُّ مُّسَمَّى لَِّمَاءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْنِيَتُهُم بَغْنَةً وَهُمْ لَا يَشْعُهُنَ ۞ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ إِلْكَفِرِينَ ١ العنكبوت: ٥٤، ٥٦] ثم أنه تعالى نزَّه نفسه عن شركهم به غيره وعبادتهم معه ما سواه من الأوثان والأنداد، تعالى وتقدس علواً كبيراً، وهؤلاء هم المكذبون بالساعة، فقال: ﴿ سُبَّحَننَهُ وَتَعَكِنَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يقول تعالى: ﴿ يُنْزِلُ ٱلْمَلَتَهِكَةَ بِٱلرُّوحِ ﴾ أي: الوحى كقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِيَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَنَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ، مَن نَشَآهُ مِنْ ْعِبَادِنَأَ﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله: ﴿عَلَىٰ مَن مِيَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهم الأنبياء كما قال تعالى: ﴿ أَلَّهُ أَعْلَمُ حَيَّثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقال: ﴿ اللَّهُ يَصَّطَفِي مِنَ ٱلْمَلَيْكِيَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۗ [الحج: ٧٥] وقال: ﴿ مُلَّقِى ٱلرُّوحَ مِنْ ٱمْرِهِ، عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلنَّلَاقِيَوْمَ هُم بَرِزُونَ لَا يَغْنَى عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُم مَنَيُّ لِمَن



المُلُكُ الْيَوْمِ لِلّهِ الْوَحِدِ الْقَهَارِ ﴿ إِلَهُ إِلّا أَنَا فَاتَقُونِ ﴾ [غافر: ١٥ ـ ١٦] وقوله: ﴿ أَنَ أَنَا فَاتَقُونِ ﴾ أي: فاتقوا عقوبتي لمن خالف أمري (١٠). ﴿ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُوك ﴾ يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات، والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت، وإن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث (٢) بل ﴿ لِيَجْرِي اللَّذِينَ أَسَّعُوا بِمَا عَبِلُوا فِي اللَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحَق لا للعبث (٢) بم نزَّه نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له،

فصل

قال محمد تقي الدين: جميع الملائكة الذين أنزلهم الله على الرسل نزلوا قبل كل شيء بالتوحيد، والرسل كلهم بدؤوا الدعوة إلى الله بالتوحيد وأخبروا قومهم أنه لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق سواه، وكل مَنْ عبد غيره من المخلوقين فعبادته باطلة وسيعذبه الله عليها في الدنيا والآخرة عذاباً سرمداً، فالغرض الأعظم من بعثة الرسل هو توحيد الله تعالى، وهو الأساس لكل عمل يحبه الله ويثيب عليه، والآيات التي بعد هذه دالة على توحيد الربوبية.

∺ الباب الثانى 🔫

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا شَيرُونَ وَمَا تُعُلِنُونَ ﴾ وَاللَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَا يَغْلَقُونَ شَيْعًا وَهُمْ يُغْلَقُونَ ﴿ المَّوْتُ غَيْرُ الْحَيْلَةِ وَمَا يَشْعُرُونَ اللّهِ لَا يَغْمِنُونَ بِالْلَاخِرَةِ يَشْعُرُونَ أَيْلَانَ يُبْعَثُونَ بِالْلَاخِرَةِ فَاللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْلَاخِرَةِ فَاللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْلَاخِرَةِ فَاللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْلَاخِرَةِ فَاللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْلَاخِرَةِ فَاللَّذِينَ لَا يَعْمِنُونَ بِالْلَاخِرَةِ فَاللَّهُ مَنْ مُسْتَكَبِرُونَ ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّا

قال (ک): «یخبر تعالی أنه یعلم الضمائر والسرائر، کما یعلم الظواهر وسیجزی کل عامل بعمله یوم القیامة إن خیراً فخیر، وإن شراً فشر. ثم أخبر

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وعبد غيري».

 ⁽۲) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وهو الصواب، وفي الأصل: «مخلوق بالبعث لا للبعث».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٩ ـ ٢٩١) بتصرف.



فصل

قال محمد تقي الدين: أخبر الله وأنه أنه يعلم كل شيء سراً كان أو جهراً، وهذه صفة خاصة به، فمن لمن تكن فيه هذه الصفة لا يستحق العبادة، وأخبر أن المشركين يعبدون من لا يستحق العبادة من المخلوقين، فيعبدون تماثيل الأنبياء والصالحين وقبابهم وقبورهم والأماكن التي جلسوا فيها، وهذه من الجماد الذي لا يحس، فكيف يسمع أو يبصر؟! فكيف يعلم السر والجهر؟! ويعبدون أرواح الصالحين، وهي لا تسمعهم ولا تبصرهم، ولو سمعتهم ما قدرت أن تنفعهم الصالحين، وهي لا تسمعهم ولا تبصرهم، ولو سمعتهم ما قدرت أن تنفعهم أستَجابُوا لَكُو وَيُوم القينية يَكُفُون بِشرَكِكُم ولا يُنبِئك مِثْلُ خِيرٍ الله [فاطر: ١٤] وقوله تعالى: ﴿ إِلَهُ كُو الله وحده .

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فلا». (۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يرتجي».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٠٢/٨ ـ ٣٠٣).



🚧 الباب الثالث 😣

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِ فَأَتَ ٱللَّهُ مُنْيَنَهُ مِن حَيْثُ لَا الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَنَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشَعُرُونَ ۞ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ يُغْرِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِكَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَشَعُرُونَ ۞ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ يُغْرِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُركَآءِكَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَشَعُونَ وَالسَّوَةَ عَلَى الْمُنَافُّونَ الْمُومِينَ وَالسَّوَةَ عَلَى الْمُنَافِّقِينَ أَنْفُسِمِمٌ فَٱلْقُولُ السَّلَمَ مَا الْمُنتَكِمَةُ ظَالِمِي آنفُسِمِمٌ فَٱلْقُولُ السَّلَمَ مَا السَّلَمَ مَا الْمُنتَكِمِينَ أَنْفُسِمِمٌ فَالْفَولُ السَّلَمَ مَا اللَّهُ عَلِيمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ فَادَخُلُونُ اللَّهُ عَلِيمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ فَادَخُلُونُ اللَّهُ عَلِيمًا فَلَولَ اللَّهُ عَلِيمًا فَلَولَ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ عَلَيمًا الْمُنتَكِمِينَ أَنْ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ عَلَيمًا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ عَلَيمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ الللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّ

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وأصلها».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تجنه».

⁽٣) أخرجه البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٧).



مقرِّعاً لهم وموبِّخاً: ﴿ أَيِّنَ شُرِكَآءِكَ ٱلَّذِينَ كُنتُدْ تُشَرَّقُونَ فِيهِم ﴾ تحاربون وتعادون في سبيلهم أين هم عن نصركم وخلاصكم لههنا؟ ﴿ هَلْ يَضُرُونَكُم ۚ أَوْ يَنْكِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٣]. ﴿فَا لَمُ مِن تُوَوِّ وَلَا نَاسِرٍ ١٠ [الطارق: ١٠] فإذا توجهت عليهم الحجة وقامت عليهم الدلالة، وحقت عليهم الكلمة وأُسكتوا(١) عن الاعتذار حين لا فرار ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾ وهم السادة في الدنيا والآخرة، والمخبرون عن الحق [في الدنيا](٢) والآخرة فيقولون حينئذِ ﴿ إِنَّ ٱلْجِزْى ٱلْيُومَ وَٱلسُّوءَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴾ أي: الفضيحة والعذاب محيط اليوم بمن كفر بالله وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه ﴿ ٱلَّذِينَ تَنُونَنَّهُم الْمُلَتِكُم ﴾ يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة ﴿فَٱلْقُوَّا ٱلسَّكَرَ ﴾ أي: أظهروا السمع والطاعة والانقياد، قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوَّعٌ ﴾ كما يقولون يـوم الـمعـاد ﴿ وَاللَّهِ رَيِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ [الـمـجـادلـة: ٦] فيحلفون له كما يحلفون لكم، قال الله مكذِّباً لهم في قيلهم ذلك: ﴿ بَلَقَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمًا بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ ﴿ فَأَدْخُلُوا أَبُونِ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا فَلَهِ فَسَ مَثْوَى ٱلْمُتَّكَّيِّرِينَ ﴿ أي: بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبراً عن آيات الله واتباع رسله، وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم وينال(٣) أجسادهم في قبورها من حرِّها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم، وخلدت في نار جهنم، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهُمْ فَيَمُونُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦] كما قال تعالى: ﴿ ٱلنَّادُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُواْ ءَالَ فِرْعَوْكَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ١٤٥ [غافر: ٤٦]»(٤).

فصل

قال محمد تقي الدين: فيه فوائد:

الأولى: إن المشركين يمكرون ليوقعوا الموحدين في المهالك فيعود عليهم مكرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّقُ إِلَّا بِأَهْلِمِ ﴾؟ وقال تعالى في

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وفي الأصل: «وسكتوا».

⁽٢) من مطبوع «تفسير ابن كثير» وسقط من الأصل! والسياق يقتضيه.

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: و«يأتي».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٥ _ ٣٠٦).



قال محمد تقي الدين: ولما علم الله ضعف الموحدين وغربتهم وتألب المشركين عليهم نصرهم وأبطل كيد المشركين ومكرهم، فكل داع إلى توحيد الله واتباع سنة رسوله الكريم مخلص في دعوته يرى العجب العجاب من نصر الله، وإبطال كيد المشركين له، هذا في الدنيا، فكيف بالآخرة؟!

ومثال العلم الذي لا ينفع: علم الكلام إذا كان صاحبه يعتقد أنه حق، وقول بعض المتكلمين شعراً:

أيها المغتدي ليطلبَ عِلْماً كلُّ علم عبدٌ لعِلْم الكلام

⁽١) سيأتي تخريجه.

تطلب العلم كي تصحح حُكماً ثم أغفلت منزل الأحكام وجوابه: أن يقال كذبت: علم الكلام ليس سيداً للعلوم، وإنما هو عبد لهو من المتفلسفين، وسخافاتهم وهو بدعة ملعونة، إلا في حق من اضطر إليه ليدافع به عن الحق، ويلجم أهله، ويرميهم بأحجارهم، ويأخذهم بإقرارهم، ثم يقال له: نحن ما أغفلنا منزل الأحكام ولكنا وصفناه بما وصف به نفسه سبحانه وبما وصفه به رسوله الكريم متبعين في ذلك لنبيه على وللصحابة والتابعين.

وأقول في ذلك شعراً معارضاً له(١):

أيها المغتدي لتطلبَ عِلماً اجْتَنِبْ جَاهداً ظلام الكلامِ الكلامِ الْكلامِ الْكلامِ الْكلامِ الْكلامِ الْكلامِ الْعلامِ اللْعلامِ الْعلامِ الْعلام

وكذلك علم الفروع إذا لم يكن معه علم الكتاب والسنة، كعلم الغزالي والبيضاوي والزمخشري، فهؤلاء كلهم جاهلون بالحديث، ومن جهل الحديث لم يستطع أن يفهم القرآن، فيكون محروماً من علم الكتاب والسنة، كهؤلاء الثلاثة الذين حشوا كتبهم بالموضوعات والمتروكات والغرائب التي لا تخفى على المبتدئين في علم السلف، مع أن الغزالي كان عالماً بالفلسفة وبدع المتصوفة، وعلم الفروع وأصول الفقه المبنية على شفا جرف.

الرابعة: إن المشركين جاهلون جهلاً مركباً من جهلين:

الأول: إنهم يجهلون توحيد الله واتباع رسوله الكريم.

الثاني: إنهم يجهلون جهلهم كحمار الطبيب توما النصراني، الذي قال فيه بعضُ الشَّعراء:

قال حمارُ الحكيمِ توما لو أنصفوني ما كنتُ أُرْكبُ لأنَّ جهلي غدا بَسِيطاً وراكبي جَهلُهُ مركَّبُ

ومن جهل هذا الطبيب أنه قرأ في كتاب «الحبة السوداء شفاء من كل داء» (٢) فرأى تحت الباء نقطتين خطأ فقرأها «الحية السوداء» فاصطاد حية سوداء وأحرقها وأخذ يعالج بها الناس، فكل عين عولجت بها عميت، وكل بطن عولج

⁽١) لم أجد البيتين في أي كتاب من كتب المصنف المطبوعة، وفاته كِللهُ أن يذكرهما في «ديوانه» الذي عنَّ له جمعه بعد ضياع قسم من شعره، كما صرح به في أوله.

⁽٢) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥) من حديث أبي هريرة.

بها ازداد صاحبه مرضاً، فضرب به المثل في الجهل، ولجهل المشركين المركب يظنون أن ما هم عليه من الشرك هو الحق، ولذلك إذا جاءتهم الملائكة لتتوفاهم ﴿فَالْتَوْا السّمَةُ أَي أَظهروا السمع والطاعة والانقياد، وقالوا: ﴿مَا حَكُنّا نَعْمَلُ مِن شَوَعٍ فَالاستمداد من أرواح الشيوخ والاستغاثة بهم والهتاف بأسمائهم عند القيام والقعود وعند حدوث حادث مروع: يا سيدي فلان، يا سيدي فلان، يا أولياء الله، والذبح لهم والنذر لهم والخوف منهم بالغيب ورجاؤهم والتوكل عليهم سواء عندهم حتى في وقت الغرغرة، فيكذبهم الله تعالى وتقول لهم الملائكة: ﴿بَلَ مَنهُ مَعْمُونَ فَادْمُلُونَ فَادْمُلُونَ أَنْوَبُ الملائكة : ﴿بَلَ مَنهُ عَملُونَ السّوء ﴿إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْملُونَ فَادْمُلُوا أَبُونَ اللّهُ عَلِيمٌ مِا كُنتُمْ تَعْملُونَ فَادْمُلُوا أَبُونَ مَا كُنتُمْ تَعْملُونَ فَادْمُلُوا أَبُونَ مَا كُنتُمْ تَعْملُونَ فَادْمُلُوا أَبُونَ مَا عَلِيمُ خَلِيرِي فِيماً فَي الله عَليم الله عليم الله تعالى وتقول لهم الملائكة : ﴿بَلَةٍ ﴾ . كنتم تعملون السوء ﴿إِنَّ اللّهَ عَلِيمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْملُونَ فَادْمُلُوا أَبُونَ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَكُ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله الله عَلَا الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَا الله عَلَا الله عَلَا الله عَلَا الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَا الله عَلَا الله عَلَا الله عَلَا الله عَلَا الله عَلَيْ الله عَلَا اله عَلَا الله عَلَ

🖮 الباب الرابع 🗺

وقوله تعالى: ﴿وَشَكُلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن زُسُلِنَا آجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةَ يُعْبَدُونَ ۞﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

⁽١) من مطبوع «تفسير ابن كثير» وسقط من الأصل.

⁽٢) من مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قرن و». (٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «رسولاً».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يدعو». (٥) في مطبوع «تفسير أبن كثير»: «وينهي».



فصل

قال محمد تقى الدين: فيه فوائد:

الأولى: إن كل أمة من أمم الأرض بعث الله إليها رسولاً يدعوها إلى توحيد الله واتباع شرعه، فبعض هذه الأمم استجابت لداعي الله بالسمع والطاعة، ولم تمنعهم أغراض الدنيا الفانية كالجاه والمال أن يستجيبوا لرسل الله، فأدركوا بذلك سعادة الدنيا والآخرة. وبعضهم منعتهم أهواؤهم وأغراضهم الفاسدة، فأبوا أن يستجيبوا لداعيهم، فأضلهم الله، والله حكم عدل، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْبِلَ مَقَا بَعْدَ إِذْ هَدَنهُمْ حَقَّ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَقُونَ الله التوبة: ١١٥ ﴿ وَمَا كُمَا مُعَذِينِ حَقَى الذي مَعْمَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، فإن قلت: فلماذا عذب الله عمرو بن لحي الذي أخبر النبي على أنه رآه يجر قصبه في النار(١٠ كما في «الصحيح»؟ ولماذا عذب الله عبد المطلب جد النبي على بدليل أن أبا طالب لما كان آخر كلامه: «هو على عبد المطلب جد النبي يكلي؟ بدليل أن أبا طالب لما كان آخر كلامه: «هو على

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فمشيئته».

⁽٢) كذا في مطبوع اتفسير ابن كثيراً: وفي الأصل: «الأنهم»!

⁽٣) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "حجة بالغة وحكمة قاطعة".

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عيّر».

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٠٩/٨).

⁽٦) سبق تخريجه.

دين عبد المطلب»، مات كافراً (١) كما في «الصحيح» أيضاً، فالجواب: إن هذين الرجلين اللذين كانا في زمانين مختلفين يعلمان يقيناً أن ملة إبراهيم تتنافى مع عبادة الأصنام، بدليل قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الفُّرُ فِي الْبَحْرِ عَبَلَ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَعْنَكُم إِلَى الْبَرِ أَعْمَفَتُم وَكَان الإسراء: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الفُّرُ فِي الْبَحْرِ عَبَلَ مَن الْمِسركين مَن العرب كانوا يوحدون الله تعالى في الشدة ويشركون في الرخاء، ولا سبيل لهم إلى معرفة التوحيد إلا ما بلغهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل وهو حجة عليهم.

الثانية: قول (ك): «فمشيئة الله تعالى الشرعية عنهم منتفية» المشيئة الله تعالى لعباده بواسطة رسله فقد أراده وأحبه ورضيه، وأما الإرادة الكونية القدرية: فإنها تشمل الكفر والإيمان والمعصية والطاعة (٢)، فإن الله شاء للكفار والعصاة ما اختاروه لأنفسهم، ولم يشأ أن يجبرهم على الإيمان والطاعة، بل استدرجهم بإبقاء نعمه من الجاه والمال والصحة والعافية وسائر ما أعطاهم الله من النعم، فلم يشكروها، بل زادتهم طغياناً ولم يرض الكفر والمعصية، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرُ وَلِن تَشَكُّرُوا يَرْضَهُ لَكُمُ ﴾ [الزمر: ٧] وقد اقتضت حكمته البالغة أن يجزي المؤمنين المطبعين جزاء حسناً في الدنيا والآخرة، وأن يجزي الكافرين والعصاة عذاباً في الدنيا والآخرة.

الثالثة: قول (ك): «نكر (٣) عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل»، معناه أن الله تعالى أنكر عليهم الكفر والمعاصي، بطريقين:

الطريق الأول: بواسطة رسله وما جاؤوا به من الشرائع.

⁽١) سبق تخريجه.

⁽٢) ستأتيك في (١٨/٦) فروق مهمة ودقيقة بين الإرادتين، فانظره هناك، تولى الله هداك.

⁽٣) في مطبوع (تفسير ابن كثير): (عير).



∺ الباب الخامس اخ

قوله تعالى: ﴿ ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا نَنَخِذُوٓا إِلَنهَ يِنِ ٱثْنَايَٰ إِنَمَا هُوَ إِلَّهُ وَحِدُّ فَإِيّنَى فَارْهَبُونِ ۞ وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَعَيْرَ ٱللّهِ نَنْقُونَ ۞ وَمَا يِكُم مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ ٱللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ ٱلضُّرُ فَإِلَيْهِ تَجْعُرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضَّرَ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنكُم بِرَهِم يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَائِينَهُمْ فَكَمَ الضَّرَ فَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ تَاللّهِ فَتَمَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَنهُمْ تَاللّهِ فَتَمَا وَنَ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللللّهُ اللللللللّهُ اللللللللللللللللللللللللللل

قال (٣): "يخبر(١) تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، فإنه مالك كل شيء وخالقه وربه ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ قال ابن عباس وغيره أي: دائماً (٢)، وعن ابن عباس أيضاً أي: واجباً (٣)، وقال مجاهد أي: خالصاً (٤)، أي: له العبادة وحده ممن في السموات والأرض كقوله: ﴿أَفَغَيْرُ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ السّمَمَ مَن فِي ٱلسَّمَواتِ وَٱلأَرْضِ طُوَعًا وَكَرَهًا وَإِيتُهِ وَأَفَغَيْرُ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ السّمَمَ مَن فِي ٱلسَّمَواتِ وَٱلأَرْضِ طُوَعًا وَكَرَهًا وَإِيتِهِ يُرْجَعُونَ مِن اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ اللّهِ عَلَى قول ابن عباس وعكرمة، فيكون من يُرجَعُونَ مِن الخبر(٥). وأما على قول مجاهد: فإنه يكون من باب الطلب، أي: ارهبوا أن تشركوا بي شيئاً، وأخلصوا لي الطاعة (٢) كقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَان ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية [الزمر: ٣] ثم أخبر أنه مالك النفع والضر وأن ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليهم وإحسانه إليهم: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ ٱلفَرُّ فَإِلَيْهِ بَعَنَرُونَ ﴾ أي: لعلمكم أنه لا يقدر على إزالته إلا هو، فإنكم عند الضرورات تلجؤون إليه لعلمكم أنه لا يقدر على إزالته إلا هو، فإنكم عند الضرورات تلجؤون إليه

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يقرر».

⁽۲) أخرجه ابن جرير (۲۱ / ۲٤۷، ۲٤۸، ۲٤۹) عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد، وهو هكذا في «تفسير مجاهد» (۲۱ / ۲۲۷)، وهو عند ابن أبي حاتم (۷/ ۲۲۸) عن ابن عباس ومجاهد، وعزاه في «الدر المنثور» (۲۲۸) لابن المنذر عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد، وزاد ابن أبي شيبة عن مجاهد.

⁽٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٤٩) وعزاه في «الدر المنثور» (٤/ ١٢٠) للفريابي أيضاً.

⁽٤) أخرجه ابن جرير (٣/ ٢٩٩) وعبد بن حميد ـ كما في «الدر» (١/ ٢٠٥) ـ وهو في «تفسير مجاهد» (٢/٢٣/١).

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»: وهو الصواب، وفي الأصل: «الخير».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «له الطلب».



وتسألونه وتلحون في الرغبة مستغيثين به، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الفُّرُ فِي الْبَحْرِ مَلَ مَن تَدَعُونَ إِلَا إِنَّهُ فَلَمَا عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَكُمْ إِذَا فَيِقُ مِنكُمْ إِنَا كَلَفُونَ ﴿ إِلَا الْمِسَاءُ وَقَالَ لَمُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ فَيَنكُمْ بِرَبِّم يُسْرِكُونَ ﴾ [الإسلام] وقال ههنا لام العاقبة، وقيل: لام التعليل، بمعنى (() قضينا لهم ذلك ليكفروا، أي: يستروا ويجحلوا نعم الله عليهم، وإنه المسدي إليهم النعم، الكاشف عنهم النقم ثم توعدهم قائلاً: عليهم، وإنه المسدي إليهم النعم، واكاشف عنهم النقم ثم توعدهم قائلاً: أي عاقبة ذلك ﴿ وَيَهْمَلُونَ لِنَا لا يَقلَنُونَ ﴾ يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد [بغير علم] (())، وجعلوا عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد [بغير علم] (())، وجعلوا كرونان (()) نصيباً مما رزقهم الله، فقالوا: ﴿ هَكذَا لِنَّو فَهُو يَعِيلُ إِلَى اللَّو وَمَا كَانَ لِلْهُ فَهُو يَعِيلُ إِلَى اللَّو وَمَا كَانَ لِلْهُ فَهُو يَعِيلُ إِلَى وفضلوها (٤) على جانبه، فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة، ليسألنهم عن ذلك الذي وفضلوها أنه على جانبه، فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة، ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه واثتفكوه وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم، فقال: افتروه واثتفكوه وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم، فقال: وقالَة لَتُسْتَكُنُ عَمَا كُنْتُمُ تَقْدَونَ ()).

فصل

قال محمد تقي الدين: أنا أختار تفسير مجاهد لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَإِلَهُ الدِّينُ وَإِلَهُ الدِّينُ وَاصِلُهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِن نِعْمَةِ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ علَّه لما تقدمه، أي: وحدوا الله لأنه هو الذي يمنُّ عليكم بالنَّعَم، وغيره لا ينفع ولا يضر فلم تعبدونه؟ وقوله تعالى: ﴿وَيَهْمَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَهُمُّ ﴾ هذه عادة المشركين يجعلون أموالهم لآلهتهم التي يسمونها بالأولياء، وقد زين لهم الشيطان أن يتخذوا أولياء

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «معنى».

⁽۲) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لها».

 ⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: وفضلوهم أيضاً».

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣١٨/٨ ـ ٣١٩)،



من دون الله، ولو اتخذوا الله ولياً لكفاهم، ولكنهم قوم لا يعقلون.

∺ الباب السادس 🗠

قول ه تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلّهِ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَالْتَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلّهِ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَاللّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَدُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنَا فَهُو يُنفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهَرًا هَلْ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَدُ لِللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَهُو صَلَوبَ اللّهُ مَثَلًا مَثَلُا لَكُمُ مَثَلًا مَثَلُونَ اللّهِ وَمُورَبَ اللّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَهُو صَلَابَ اللّهُ مَثَلًا مَثَلُهُ مَثَلًا لَهُ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدَلِ وَهُو اللّهُ وَهُو وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدَالِ وَهُو اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

قال (ك): "يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان (مَا لا يَمَلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ شَيّناً»، أي: لا يقدر على إنزال مطر، ولا إنبات زرع، ولا شجر، ولا يملكون ذلك لانفسهم، أي: ليس لهم ذلك، ولا يقدرون عليه لو أرادوه، ولهذا قال تعالى: وأَنَّمُ لاَ نَقْمُولُوا لِلهِ الْأَمْثالُهُ أي: لا تجعلوا له أنداداً وأشباها وأمثالاً ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْمُ لا تَعْمُونَ ﴾ أي: إنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو وأنتم بجهلكم تشركون به غيره، ﴿مَرَبُ اللهُ مَلَكُ مَبَدًا مَمْلُوكًا ﴾ إلخ قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: وهو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى، فهل يستوي هذا وهذا، ولما كان الفرق(١) بينهما ظاهراً واضحاً بيّناً لا يجهله إلا كلّ غبيّ، قال الله تعالى: ﴿المَمْ لَا يَتَكُمُ وَلا يَقْلَ بَعْلَ وَهِذَا أَلَكُمُ لَا يَعْلَو وَهِذَا أَلْكُمُ لَلْ اللهُ يَعْلَمُ وَلا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال، وهو مع هذا ﴿كُلِ بشر (١) بشر (١) ولا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال، وهو مع هذا ﴿كُلِ بِعِنْهُ ولا يَعْلَ عِنْهُ ولا يَعْلَقُ عِنْهُ أَيْ يَعْلَمُ ولا يَعْلَ عَلَى على مولاه ﴿أَيْنَمَا يُوجِهَهُ أي: يبعثه ﴿لَا يَأْتِ عِنْيَرٍ ولا أَيْ عَيْلُمُ ولا يَعْلَ وكلفة على مولاه ﴿أَيْنَمَا يُوجِهَهُ أَي: يبعثه ﴿لَا يَأْتِ عِنْيَرٍ ولا أَيْ يَعْلِي ولا يَعْلَ وكله قال ولا فعال، وهو مع هذا ﴿كُلُهُ ولا أَيْ عَيالُ وكلفة على مولاه ﴿أَيْنَمَا يُوجِهَهُ أَي: يبعثه ﴿لَا يَأْتِ عِنْيَرٍ ولا أَنْ يَالُونُ ولا يَعْلَ وكلفة على مولاه ﴿أَيْنَمَا يُوجَهُهُ أَي: يبعثه ﴿لَا يَعْلَ وَلَا يُعْلِمُ ولا يَعْلَى ولا يَعْلَ عَلَى مولاه ﴿ أَيْنَمَا يُوجُولُهُ الْمُولِ اللهِ اللهُ ولا يَعْلَى ولا عَلَاهُ ولا عَلَاهُ ولا يَعْلَ ويكرا ولا عَلَاهُ ولا يَعْلَ ولا عَلَاهُ ولا عَلَا اللهُ ا

⁽١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ما».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بشيء».



ينجح (١) مسعاه ﴿ هَلَ يَسْتَوِى ﴾ من هذه صفاته ﴿ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدَٰلِ ﴾ أي: بالقسط، فمقاله حق وفعاله مستقيمة، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

فصل

قال محمد تقى الدين:

فائدة: من عادة الحافظ ابن كثير كَثَلَلُهُ أن يفسر القرآن بالقرآن، ويجمع النظائر ولم يفعل ذلك في هذه الآية والكمال لله، فإن تفسيرها ظاهر في آية الروم، يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَّشَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَكُمْ مِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمُنْتُكُم مِن شُركَآء فِي مَا رَزَقَنكُمْ فَأَنتُم فِيهِ سَوَلَةٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ صَكَلَاكُ نُفَسِلُ الْكُوبَةُ مَا لَكُمْ مِن اللهِ عَلَاكُ نُفَسِلُ اللهِ اللهِ عَلَاكُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُو

ففي الآيتين كلتيهما بيان من الله تعالى أنَّ مَنْ عبد مخلوقاً، وجعله لله نداً بأن استغاث به بغير طريق الأسباب، واستعان به كذلك، أو خافه بالغيب، أو توكل عليه في قضاء حاجة إلى غير ذلك من أنواع العبادة، فإنه لم ينتفع بعقله فلا عقل ولا علم؛ لأنه لا يرضى أبداً أن يكون عبده شريكاً له في ما له يتصرف كتصرفه، فإذا قال المشرك لوثنه أو لروح شيخه: إن ولد لي ولد ذبحت لك شاة، فقد جعل شيخه شريكاً مع الله، يعطي ويمنع ويقبل النذر ويعبد من دون الله؛ لأن شيخه عبد مملوك لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فكيف يشارك الله تعالى ويتصرف في ملكه.

فائلة ثانية: في معنى قوله تعالى: ﴿وَهُو صَلَّ عَلَى مَوْلَنه ﴾ قال مجاهد: أي عيال عليه ؛ ومعنى: العيال المحتاجون إلى نفقة من يعولهم ، فشيخ الطريقة وكل الصالحين محتاجون إلى الله تعالى ، في إيجادهم وإمدادهم وفقراء إليه تعالى ، فمن نسب لهم التصرف يكون في الجهل والحماقة كالذي ينسب الملك والتصرف إلى العبد المملوك الذي لو تركه سيده بلا عشاء لبات يتضور ويتألم من الجوع ، فأحمق الناس وأجهلهم هو الذي يأتي إلى مثل هذا العبد ويلتمس منه عشاء ، والآن حضرتني نادرة مضحكة ، وهي مناسبة للمقام ، يحكى أن راعي غنم من أهل البادية في الجزائر ، جاءه رجل وهو راجع بغنمه إلى الخيمة قبل غروب

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «نجيح».

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۳۳۸ ـ ۳۳۴) بتصرف.



الشمس فقال له: باللغة الجزائرية «أضياف ربي» ومعنى ذلك، أنا ضيف الله عندك، فلم يجد بداً من قبوله وكانت أمه من أبخل الناس، فلما أقبل بالغنم على الخيمة رأت أمه معه رجلاً آخر، فقالت له: من هذا الرجل الذي معك؟ فقال: ضيف، فغضبت غضباً شديداً، وقالت له: «يا خاليها يا طويها» ومعنى ذلك يا أيها المبذر المتلاف الذي سيخلي هذه الخيمة حتى تطوى ولا تنصب، أخوك جاءني بضيف في السنة الماضية، ورأيت ما صنعت به من التنكيل، وإذا بك تأتيني أنت في هذه السنة بضيف آخر، والله لا تأكله لا أنت ولا هو، فتحير الراعي في أمره كيف يطرد هذا الضيف بعدما وصل إلى الخيمة، فقال الراعي اللضيف: كيف تطأ على برنسي بنعليك فقال: ما وطئت عليه، قال: أتكذبني؟ والله لا أكلت طعامي، فهذا الضيف عاجز لا يملك شيئاً، والراعي مثله، ضعف الطالب والمطلوب، فهذا مثل يضرب لمن ينزل حاجته بالمخلوق العاجز الفقير.

قال شيخنا محمد بن العربي العلوي^(۱) كَالله: يا عجباً لهؤلاء الجهال يطعمون شيخهم من جوع، ويسقونه من ظمأ، ويكسونه من عري، ويركبونه على دوابهم أو سياراتهم، ويقونه الحر والقر، ويؤوونه في بيوتهم فهو عيال عليهم ومع ذلك يسألونه أن يرزقهم، ويقضي حاجاتهم فهم يرزقونه رزقاً حقيقياً، ويسألونه رزقاً خيالياً لا وجود له، ولا يكفهم ذلك حتى يسألوه تنوير قلوبهم وهدايتها، وهذا كفر بالله إذ لا يهدي القلوب إلا الله.

والمثل الأوربي يقول: (فاقد الشيء لا يعطيه).

🖮 الباب السابع 🗟

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءًا ٱلَّذِينَ ٱشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَتَوُلَآءِ شُرَكَآوُنَا اللّهِ وَالْقَوَا اللّهِ مَنْ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ ﴿ وَالْقَوَا اللّهِ مَنْ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ ﴿ وَالْقَوَا اللّهِ مَنْ اللّهِ يَوْمَهِذِ ٱلسّالُمُ وَضَلّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ يَوْمَهِذِ ٱلسّالُمُ وَضَلّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

قال (ك): «أخبر تعالى عن تبرؤ آلهتهم منهم أحوج ما يكونون إليها فقال: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ ﴾ أي: الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ﴿وَالْوَا رَبَّنَا

 ⁽١) هو شيخه الذي ناظره في الطريقة التجانية، وخرج منها الهلالي بسببه، وانظر ما زبرناه في مقدمة هذا الكتاب (ص٣٣)، والله الموفق للصواب.



فصل

قال محمد تقي الدين: قد أجاد الحافظ (٧) في تفسير هذه الآيات، وصدق كَثَلَهُ، ففي القرآن آيات كثيرة تدل على أن المعبودين من الملائكة والأنبياء والصالحين يتبرؤون من عابديهم، كما قال تعالى: وقد تقدم ﴿إِذْ تَبَرَّأُ اللَّذِينَ التَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ التَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ التَّبَعُوا مِنَ اللَّينَ اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ مَسَرَتِ التَبَعُوا مَرَاقُوا الْعَكَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ اللَّينَ التَّبِعُوا مِنَ النَّينَ التَّبِعُوا مِنَ النَّهُ أَعْمَلُهُمْ حَسَرَتِ التَبَعُوا لَوَ أَنَ لَنَا كُرَةً فَنَتَبَرًا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّهُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ حَسَرَتِ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَرِجِينَ مِنَ النَّادِ ﴿ ﴿ البقرة: ١٦١، ١٦١].

😕 الباب الثامن 🗠

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ شَ شَاكِرًا لِآنَعُمِيهُ آجْتَبَنَهُ وَهَدَنهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ وَالْيَئْنَهُ فِي اللَّائِيَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ الللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ الللْهُ اللللْلِي الللْهُ الللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ الللْهُ اللللْهُ الللْهُ اللْهُ الللْهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ الللْهُ الللْهُ الللْهُ الللْهُ الللْهُ

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۸/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) بتصرف.

قال (ك): «يمدح الله تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ووالد الأنبياء ويبرئه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَاكَ أُمَّةً فَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ فأما الأمة: فهو الإمام الذي يقتدى به. والقانت: هو الخاشع المطيع. والحنيف: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال: ﴿ وَلَتَ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ قال سفيان الثوري بسنده: عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن الأمة القانت، فقال: «الأمة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله»(١) ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِيِّهِ أي: قائماً بشكر نعم الله عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَإِبْرَهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّ ١٥ النجم: ٣٧] أي: قام بجميع ما أمره (٢٠) الله تعالى به، وقوله: ﴿ أَجْنَبُنُهُ ﴾ أي: اختاره واصطفاه كقوله: ﴿ ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا ٓ إِبْرَهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ، عَلِمِينَ ۞﴾ [الأنبياء: ٥١] ثم قال: ﴿وَهَدَنْهُ إِنَّ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضيٌّ، وقوله: ﴿وَمَاتَيْنَهُ فِ ٱلدُّنيّا حَسَنةً ﴾ أي: جمعنا له خيراً من جميع ما يحتاج المرسل(٣) إليه في إكمال حياته الطيبة ﴿ وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾ وقال مجاهد في قوله: ﴿ وَءَاتَيْنَهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ أي: لسان صدق وقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا ۚ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا ﴾ أي: ومن كماله وعظمته وصحة توحيدُه (١٤)، أنَّا ﴿أَوْحَيْنَا ٓ إِلَيْكَ﴾ يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كقوله في الأنعام: ﴿قُلُ إِنَّنِي هَدَانِي رَقِيٓ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ الْأَنعَامِ: ١٦١]»(٥).

قال محمد تقي الدين: إبراهيم الخليل، صلاة الله عليه إمام الموحدين

⁽۱) أخرجه عبد الرزاق (۱/ ۳۲۰، ۳۲۱)، وابن جرير (۱۶/ ۳۹۶) كلاهما في «التفسير»، والطبراني (۹۹۲، ۲۷۲، ۹۹٤۶)، والحاكم (۲/ ۳۵۸ و۳/ ۲۷۱، ۲۷۲) من طرق عن ابن مسعود.

وزاد في «الدر المنثور» (٩/ ١٣٠) عزوه للفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وقال البيهقي في «المجمع» (٧/ ٤٩): «رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح».

⁽٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» وفي الأصل: «أمر».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المؤمن».

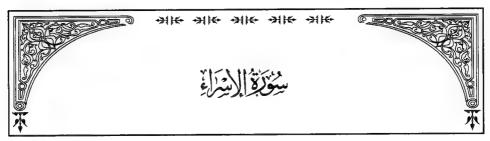
⁽٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وطريقه».

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٦٥ _ ٣٦٦).



الحنفاء وحسبه شرفاً أن الله أمر خير خلقه محمداً، أن يتبعه وأن يكون على ملته ولذلك يجب على كل مسلم أن يكون حنيفاً موحداً لله، وسيأتي قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوّةً حَسَنَةً فِي إِبْرَهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤] إن شاء الله.





∺ الباب الأول 🔫

قوله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَىٰهَا ءَاخَرَ فَنَقَعُدَ مَذْمُومًا تَخَذُولًا ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٢، ٢٣]

وهنا ذكر الله تعالى ثماني عشرة وصية جمعت الخير كله، وسماها الحكمة وَمَن يُؤْتَ الْحِكَمةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْراً كَثِيراً ﴾ [البقرة: ٢٦٩] قدم قبلها النهي عن جعل إله مع الله، وأخبر أن من فعل ذلك يكون ﴿مَذْمُومًا﴾ عند الله والناس والمؤمنين، و﴿قَذُولًا ﴾ ليس له ولي ولا نصير، وقال آخرها: ﴿وَلَا يَجَعَلْ مَعَ الله إلها ءَاخَر فَلُقينَ في جَهَنَم مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩] والملوم، الذي يلومه الله تعالى، ويلومه عباده الصالحون، والمدحور: المطرود من رحمة الله، وهذا يدلنا على عظمة التوحيد عند الله، وأن من لم يأت به فهو شقي خاسر لا يقبل الله منه عملاً ولا يرحمه، ﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ فِدِه وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاهُ ﴾ [النساء: ٤٨] والوصايا التي سماها الله الحكمة:

أولها: توحيد الله تعالى.

وثانيها: بر الوالدين.

وثالثها: الإحسان إلى الأقارب.

ورابعها: الإحسان إلى المساكين.

وخامسها: الإحسان إلى ابن السبيل، وهو المسافر المنقطع عن أهله.

وسادسها: ترك التبذير.

وسابعها: القول الميسور للسائلين إذا لم يجد الإنسان ما يعطيهم.

وثامنها: التوسط في الإنفاق.

وتاسعها: ترك قتل الأولاد خوف الفقر، ويقرب من ذلك ما سماه النبي عليه



بالوأد الخفي^(۱)، وهو عزل المني عن رحم المرأة حتى لا تحمل، ومثله كل ما يمنع الحمل إلا إذا كان لمصلحة كحفظ الحياة وحفظ الصحة.

وعاشرها: ترك الزني.

والحادي عشر: ترك قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والقتل بالحق يكون مشروعاً، كالقصاص ورجم الزاني، وقتل من ارتد عن الإسلام، وقتل قطاع الطريق وما أشبه ذلك.

والثاني عشر: أن لا يقرب مال اليتيم إلا بقصد الإصلاح.

الثالث عشر: الإيفاء بالعهد.

الرابع عشر: إيفاء الكيل.

الخامس عشر: إيفاء الوزن.

السادس عشر: أن لا يتكلم الإنسان في الدين إلا بعلم، ومن ذلك يظهر تحريم الإفتاء بالتقليد والتمذهب.

السابع عشر: ترك الخيلاء والكبر.

والثامن عشر: ترك الشرك بالله.

🖼 الباب الثانى 🔫

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اَدْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ اللَّا يَمْلِكُونَ كُشْفَ الشِّرِ عَنكُمْ وَلا تَعْوِيلًا ﴿ قُلْ اللَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْنَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الشِّرِ عَنكُمْ وَلا تَعْوِيلًا ﴿ قُلْ أُولَتِكَ اللَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْنَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقَرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَ إِلَّا عَذَابَ رَبِّكَ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقَرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَ إِلَّا عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَذَابَ رَبِّكَ الْإسراء: ٥٧]

قال محمد تقي الدين: اختلف السلف في المراد بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَتِكَ ٱلَّذِينَ وَالْمِونَ يَبْنَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]:

فقال ابن مسعود وجماعة: كان المشركون يعبدون جماعة من الجن، فأسلمت الجن ووحدوا الله، وصاروا يبتغون إليه الوسيلة بالعمل الصالح، ولم يشعر بإسلامهم الذين كانوا يعبدونهم من الإنس، واستمروا على عبادتهم،

⁽١) سبق الحديث وتخريجه.



فعاب الله عليهم ذلك (۱) ، وقال ابن عباس (۲) وجماعة: المراد الملائكة وعيسى ، فإن الملائكة وعيسى يعبدون الله ويوخدونه ويتقربون إليه ، والجهال من بني آدم يعبدونهم ، حاصله أن المعبودين من دون الله إما أن يكونوا أبراراً أو فجاراً ، فالأبرار كالملائكة والأنبياء والصالحين ، والفجار: كل من عبد ورضي بذلك من الجن والإنس ، ومن عبد غير الله فهو خاسر سواء كان المعبود من الأبرار أم من الفجار .

🚧 الباب الثالث 🗺

قول على: ﴿ رَبُكُمُ اللَّذِى يُزْجِى لَكُمُ الْفُلُكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْنَغُوا مِن فَصْلِهِ قَالَمُ الفُلُكَ فِي ٱلْبَحْرِ طَلَّ مَن فَصْلِهِ قَالَمُ الفُّرُ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن فَصْلِهِ قَالِمَ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿ وَإِذَا مَسَكُمُ الفُّرُ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَا إِنَّهُ فَلَمَّا نَجَنكُمُ إِلَى ٱلْبَرِ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُل

قال (ك): "يخبر تعالى عن [لطفه بخلقه في] تسخيره لعباده الفُلك في البحر، وتسهيله لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلى إقليم، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ أي: إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلفُتُرُ فِي ٱلْبَحْرِ صَلَ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَنكُم إِلَى ٱلْبَرِ وَرحمته بكم ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلفُتُرُ فِي ٱلْبَحْرِ صَلَ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَنكُم إِلَى ٱلْبَرِ

⁽۱) أخرجه بنحوه: البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٩/ ٣١ ـ ٣٢)، و«تفسير ابن جرير» (٦٢٧/١٤ ـ ٦٣٠).

⁽۲) لم أجد عن ابن عباس أنه قال المراد بذلك: الملائكة وعيسى معاً وإنما وجدت عن ابن عباس أنه قال: «المراد بذلك: «عيسى وأمه وعزير» أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (۱٤/ ۲۳) وابن وهب في «تفسيره» (۲۳/ ۲۳) رقم (۳۵ ، ۳۱) والجمع بينهما معاً ورد عن مجاهد أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (۱۱/ ۱۳۲) والطحاوي في «المشكل» (۲/ عن مجاهد أخرجه ابن جرير مجاهد» (۱۲/ ۳۱۶).

⁽٣) من مطبوع «تفسير ابن كثير» وسقط من الأصل.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أنه إذا مس الناس».



فصل

قال محمد تقي الدين: ومن ذلك تعلم أن جاهلية زماننا أعظم بكثير من الجاهلية الأولى، الذين دعاهم رسول الله على وقاتلهم، والدليل على ذلك أن المشركين في ذلك الزمان يوحدون الله في الشدة، ويشركون في الرخاء، أما مشركو هذا الزمان، فإنهم يشركون في الشدة أكثر مما يشركون في الرخاء.اه.

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يديه».

⁽٢) في مطبوع اتفسير ابن كثير»: (فأسلم وحسن».

⁽٣) أخرجه الدارقطني (٣/ ٥٩ و ٤/ ١٦٧ - ١٦٨)، والحاكم (٢/ ٥٤ و٣/ ٤٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٥٩ - ٦٠)، من طريق أحمد بن المفضل عن أسباط بن نصر الهمداني قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه وذكره، وصححه الحاكم على شرط مسلم، وانظر: «إتحاف المهرة» (٥/ رقم ٥٠٨٢) وعزاه ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٥٣٥ - ٥٣٥) لابن مردويه أيضاً.

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٩/ ٤٢ ـ ٤٣).



الموضوعات والمحتويات

لصفحة	الموضوع
٥	قالوا عن الكتاب
٦	قالوا عن المؤلف قالوا عن المؤلف
٧	مقدمة المحقق
٩	صحة نسبة كتاب «سبيل الرشاد» لمؤلفه ومدحه وثناء العلماء عليه
١.	«سبيل الرشاد» أحب كتب الهلالي إليه
11	تأريخ تأليف الكتاب ومدة تأليفه ألله ألم المسترانين المسترانين الكتاب ومدة تأليفه ألم المسترانين الم
17	أقسام الكتاب الثلاثة
۱۳	هل تم تأليف الكتاب؟
10	طريقة تأليف الكتاب ومصادره فيه
10	اعتناء العلامة الهلالي بـ«تفسير ابن كثير» (ت)
۱۷	مصادره في التفسير ألم المسلم ا
۱۸	مصادره في الحديث والتراجم والتاريخ
19	مصادره في الفقه وأصوله
۲.	أمر الملك الحسن الثاني بطبع كتاب «الصوارم والأسنة في الذب عن السنة» للمرة الثانية
27	كتب اللغة
**	كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم
77	كتب التوحيد
4 8	الغرض من تأليف الكتاب ومنهجه فيه
77	حرص الهلالي على التوحيد
44	قصة واقعية حكاها الهلالي عن نفسه، ووصيته بالرفق والحكمة في الدعوة
٣١	نشأة الطريقة التيجانية ومؤسسها (ت)
	مناظرة العلامة الهلالي مع الشيخ محمد بن العربي العلوي ورجوع الهلالي عن
٣٣	طريقته الصوفية إلى السلفية
٤٠	قصيدة للهلالي فيها تصريح بعداوته للطرقيين
٤٤	شكواه من مظاهر الكفر والشركشكواه من مظاهر الكفر والشرك
٤٨	مظهر شركي يعرف بـ«قرعة الأنبياء» وآخر بـ«الخط بالرمل» وفضح الهلالي لأصحابهما



صفحة	الموضوع
٤٩	نصة الشجرة التي كانت تعبد في زمن أبي شامة
٤٩	قصص واقعية حصلت مع العلامة الهلالي في مظاهر شركية مختلفة
٥٣	حرص الهلالي على الاتباع ونبذه الفرقة والتحرُّب والتعصب والتمذهب
	أسلوب المؤلف في الكتاب، ومادته وموضوعه وردّه على الأخطاء والبواطيل
٥٦	والخرافات والشرك
04	تنبيهات العلامة الهلالي على أخطاء لغوية اشتهرت بين الناس
0 /	تقويمه للشعر
014	تقويمه لقصيدة «البردة»نقويمه لقصيدة «البردة» المستقويمه لقصيدة المستقويمة المستقويمة المستقوم
31	نقل العلامة الهلالي الشعر الذي ينصر عقيدة أهل السنة، وعنون عليه بـ«جيوش الشعر»
3.5	محاربة العلامة الهلالي للخرافات
70	دفاعه عن دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب
77.	قصيدة للهلالي في دفأعه عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب
77 a	محاربته للتعصب المذهبي
٦٨ .	محاربته للقوميات الشعوبية
19	طرف من سیرة بوذاطرف من سیرة بوذا
٧.	تحذيره من أخطاء التبليغيين (الإلياسيين)
۷,۱	ذكر ما حصل للنبي ﷺ في غزوة أحد
٧٢;	حديث: «كفي بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»
۱۳۰	جماعة التبليغ وآثارهم السيئة
٧٤ <u>] .</u>	ادعاء التبليغيين بأن الهلالي مسيحي!!
٤,٧	أصناف الذين يريدون إطفاء نور الله
٧٤	قوة الدولة ـ اقتصادياً ـ التي لا تتعامل مع الربا
٧ ٤	موقف الشيخ الألباني كَظَّلُّهُ من جماعة التبليغ (ت)
٧٦.	العدل سببُ ترقي الأمم وغلبتهاا
/ /	مواد مستغربة ومستملحة
	قصة الطفلة التي تحفظ كتاب الله
/9	الأصل المعتمد في التحقيق وعملي فيه
١٠	عملي في الكتاب "
	تنويه وتقريظتنين المستماري المستماري المستماري المستماري المستماري المستماري
19 /	نبذة من ترجمة المؤلف نبذة من ترجمة المؤلف
	مصادر ترجمة العلامة الهلالي كَظَّلْهُ (ت)
11	تحمة ذاتة الملال خطه (ت)



صفحة	الموضوع
97	نسبه
97	نشأته نشأته
93	دراسته دراسته
٩٧	مؤلفاته
١٠٤	وفاة الهلالي ورثاء العلماء له
۱۰۷	عالم مجتهد، ومحدث حافظ
۱٠۸	جهاده في سبيل الدعوة
۱۱۰	زياراته ورحلاته العلمية
۱۱۳	عوده إلى بلده (المغرب) بعد غيبة طويلة
117	رثاه جمع من تلامیذه
	تعريف عام بكتاب «سبيل الرشاد» بقلم تلميذه وشيخنا في الإجازة العلامة محمد
۱۲۳	بو خبزة حفظه الله
371	نموذج من هذا التفسير
۱۳۱	مقدمة المؤلفمقدمة المؤلف
۱۳۲	مقدمة (القسم الأول) من «سبيل الرشاد»
	نقل العلامة الهلالي من «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» لشيخنا محمد
۲۳۱	نسيب الرفاعي رحمهما الله تعالى (ت)
141	نقدات العلامة الهلالي على مطبوع «تفسير ابن كثير» (ت)
	سورة الفاتحة
١٣٥	 الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿
۱۳۷	حديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»
۱۳۷	حديث: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي) إلى آخره
۱۳۸	فوائد من كلام المؤلف
139	 الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا ٱلصِّرْطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿
٠ ٤ ١	حديث: «اَلمغضوب عليهم: اليهود»
131	حدیث: «الضالون: النصاری»
1 3 1	زيادة بيان من كلام المؤلف
	سورة البقرة • الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾
124	• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾
١٤٥	حديث: «أجعلتني لله نداً»
٥٤١	حديث: «من حلف فليحلف برب الكعبة»



المفجة	الموضوع
١٤٥٠٥٥١	حديث: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلا
180	حدیث رؤیا طفیل بن سخبرة
187 731	حديث: «أي الذنب أعظم»
187	زيادة بيان من كلام المؤلف
إِسْرُهِ بِلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْفَتْ عَلَيْكُرُ ﴾ ١٤٨	• الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿يَنَنِيَ
	فاثدة: تجلَّي البرهان بعموم رسالة النبي
	البشارة بنبينًا محمد ﷺ في الكتب السا
101	زيادة بيان من كلام المؤلف
والعناية بضبطه ووقوعه محرفاً (ت) ١٥٣	ترجمة ابن رَبَّن النصراني الذي أسلم،
يَ فَأَتَّمُونِ ﴾	 الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِيَّا
حبقوق)، وكلام بنحوه لشيخ الإسلام ابن	
108	تيمية (ت)
اِ يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْشُ عَن نَفْسٍ شَيْعًا﴾ ِ ١٥٥	 الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّتُهُ
أَخَذْنَا مِيثَنَقَ بَنِيَ إِسْرَتِهِ بِلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ . ١٥٦	 الباب الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَ
10V	حديث: «أي الأعمال أفضل»
YOV	حديث: «يا رسول الله من أبر؟»
	حديث: «لا تحتقرنّ من المعروف شيئاً
ت	قصة عبد الله بن سلام مع رأس الجالود
177	زيادة بيان من كلام المؤلف
وَلَمَّا جَاآءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنــٰدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا	 الباب السادس: تفسير قوله تعالى:
177"	مَعَهُمْ اللهِ
177	زيادة بيان من كلام المؤلف
178	تحير المؤلف في تفسير هذه الآية
Total Co. A	حكاية هاروت وماروت، والدليل على
	خاتمة هذا البحث: في حكم السحر مر
177	
ارق	لا يشترط في أولياء الله أن تقع لهم خو
178	
١٧٥	
WV	
, الجبت»	-
الرمال الناس المال الناس	بان ما سم بعلم الرما وكيف بخدع



ممعحة	الموصوع الموصوع
۱۸۱	حديث: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر»
۱۸۲	حديث: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر»
۱۸۳	شرح قول النبي ﷺ: «إن من البيان لسحراً»
۱۸٤	جمع المؤلف بين: «إن من البيان لسحراً» وبين النهي عن السحر
۱۸٤	 الباب السابع: تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةُ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَسَنرَئُأَ﴾
71	حديث: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»
۱۸۷	زيادة بيان من كلام المؤلف
۱۸۷	حديث: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»
۱۸۷	ظهور اتباع طوائف الضلال في هذا الزمان لسنن اليهود والنصاري
۱۸۸	ظهور اتباع طوائف الضلال في هذا الزمان لسنن اليهود والنصارى
119	حدیث: «کذبنی ابن ادم»
۱۸۹	حدیث: «لا أحد أصبر علی أذی»
191	زيادة بيان من كلام المؤلف
191	 الباب التاسع: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ أَبْتَكَىٰ إِبْرَهِمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَّمَهُمَّ ﴾
197	زيادة بيان من كلام المؤلف
197	
194	زيادة بيان من كلام المؤلف
	• الباب الحادي عشر. تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرَعَبُ عَنْ مِلْةٍ إِبْرَهِكُمْ إِلَّا مِنْ سَفِهُ :َ:ُ ^ أَنْهُ
391	علسم الأنبياء أولاد علات»
197	إفاضة وإضافة (ت)
199	زيادة بيان من كلام المؤلف
7	• الباب الثاني عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَكَرَىٰ تَهْتَدُواً﴾
7.1	(ومضة): هذه الدعوى التي ادعاها أولئك لم تزل دعواهم إلى يومنا هذا (ت) .
7.7	زيادة بيان من كلام المؤلف
	حديث: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»
۲۰۳	زيادة بيان من كلام المؤلف
۲.۳	إشارات لطيفة في ٰهذه الآية والتي قبلها (ت)
	 الباب الثالث عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿كُمْا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولُا﴾
Y • V	حديث: «من ذكرني في ملأ»
۲ • ۷	حديث: «يا ابن آدم إنّ ذكرتني في نفسك»
Y • V	زيادة بيان من المؤلف



الغيفحة	الموضوع
اِلَةٌ وَحِدُّهُ٢٠٨٠	 الباب الرابع عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَالْهَكُرُ .
Y1.	زيادة بيان من كلام المؤلف
Y1.	مديده وأم الله بأمنا ال
717	فوائد من كلام المؤلف
سَأَلُكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَدِيبًا ﴿ ٢١٣	 البّاب الخامس عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَ
Y1Y	حديث: «اربعوا على أنفسكم»
718	حدیث: «أنا عند ظن عبدی بی»
Y18	حديث: «أنا مع عبدي» «أنا
فيها إثم»ه ۲۱۶	حديث: «ما من مسلم يدعو الله كلق بدعوة ليس
Y10	حديث: «يستجاب الأحدكم ما لم يعجِّل»
Y10	حديث: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجِّل» حديث: «القلوب أوعية»
Y10	حديث: "يا ابن آدم واحدة لك وواحدة لي"
Y10	حديث: «للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة»
Y17	حديث: «ثلاثة لا ترد دعوتهم»
Y17	زيادة بيان من كلام المؤلف
نجِعُوا ٱلمُشْرِكُتِ ﴾ ٢١٧	 الباب السادس عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا نَنْ
Y1A	حديث: «نتزوج نساء أهل الكتاب»
Y14	حديث: «لا تنكحوا النساء لحسنهن»
Y14	حديث: «تنكح المرأة لأربع»
Y14	حديث: «الدنيا متاع»
Y19 1	زيادة بيان من كلام المؤلف
لَٰذِينَ ءَامَنُوٓا أَنْفِقُوا مِنْمًا رُزَقَتَنَكُم ﴾ ٢٢٠	 الباب السابع عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا أَنْ
** 	حديث: «أي آية في كتاب الله أعظم؟»
*** **	حديث أبي هريرة مّع الشيطان
***	صيغة الجزم وصيغة التمريض
TYP /	آية الكرسي تشتمل على اسم الله الأعظم
***	حديث: "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة"
TT2	حديث: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات»
TT& ///////	حديث: «آتي تحث العرش»
TTO	زيادة بيان من كلام المؤلف
	حدیث: «أسلم وإنْ كنت كارهاً»
TTA 200 AND A COLUMN TO THE CO	نادت إن مع كلام المؤلف



الصفحة	الموضوع
779	- رؤيا عبد الله بن سلام في العروة الوثقى
777	فوائد هذا الباب
747	الظلم نوعان
777	الكلام في قطب الجهال
۲۳۳	تفصيل بديع لابن القيم في الشفاعة (ت)
377	مقارنة ابن القيم بين مشركي القبور وعابدي الأصنام (ت)
۲۳٦	فائدة حول: «عُجب ربك مّن قوم يقادون»ٰ
۲۳٦	المسلمون في هذا الزمان أكبر مانع لغيرهم من الدخول في الإسلام
	ترجمة للعلامة المصلح السلفي عبد الكريم الصاعقة (ت)
۲۳۷	معنى الولي والشريعة والحقيقة عند الجهال
۲۳۷	تعلق بعض الجهلة بقصة موسى مع الخضر وبيان ضلالهم مفصلاً (ت)
737	كلام الجنيد في التصوفكلام الجنيد في التصوف
737	تقسيم الأولياء عندهم إلى مجذوب وسالك
737	حكاية مجذوب مع مجذوبة
337	 الباب الثامن عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَهُمْ ﴾
780	زيادة بيان من كلام المؤلف
780	حديث من تصدق على زانية وغني وسارق
737	زعمهم أن الشيخ يتصرف في قلب مريده
	سورة آل عمران
727	• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿ الْمَرْ اللهُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْعَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ذيادة بنان من كلام المؤلف
7 2 9	زيادة بيان من كلام المؤلف
789	 الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِـدَ اللَّهُ أَنَّاهُ لَآ إِلَّهَ إِلَّا هُوَ﴾
707	فوائد من كلام المؤلف
707	 الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثُلِ ءَادَمْ ﴾
408	سبب نزول المباهلة
307	ذكر وفد نصارى نجران على النبي ﷺ
700	ذكر محاجة وفد نجران للنبي ﷺ
YOV	حديث: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»
Y0X	زيادة بيان من كلام المؤلف
۲٦.	فوائد من كلام المؤلف
77.	فائدة في المباهلة



الصفحة	الموضوع
Y7	فائدة في دخول الكافر المسجد
/177	احتجاج وفد نجران على التثليث
177	فائدة في معنى الرب
بِ لِمَ تُعَاجُونَ فِي إِنْكِهِيمَ ﴾ ٢٦٣ ٢٦٣	• الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأَمَّلَ ٱلْكِتَا
T 10:	
أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَنبَ وَالْمُكُمَّ ﴾ ٢٦٥	حديث. "لكل نبي ولا يه"
Y70	حديث جواب النبي ﷺ لليهود والنصارى
Y7A'	بيان معنى الرباني
Y79,	فوائد من كلام المؤلف
۲٦٩ (ت) ﴿	مدح العلامة الهلالي للعلامة الشيخ ابن باز نَعْلَلْهُ
779	قصيدة للهلالي في مدح العلامة الشيخ ابن باز
اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ٢٧٢.	• الباب السادس: تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْغَكُرُ دِينِ
YVY	حديث: «تجيء الأعمال يوم القيامة»
YVY	فائدة من كلام المؤلف
فَأَتَّبِعُوا مِلَّةً إِبْرَهِيمَ ﴾ ٢٧٤	فائدة من كلام المؤلف
1 V Z	المتالية المناه المناها المناه
نُمُوا اَنَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَالِيْهِ﴾ ٢٧٥	رياده بيان من كارم المولك
•	حديث: «من أحب أن يزحزح عن النار»
7V7 FV7	فائدتان من كلام المؤلف
	سورة النساء
لَا تُشَرِيُوا بِهِۦ شَنْيَقًا﴾ ٢٧٧	• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَ
YVV	حديث: «أتدري ما حق الله على العباد»
YVA:	حدیث: «ما زاّل جبریل یوصینی بالجار»
YVA	حديث: «خير الأصحاب عند الله»
YV9	حديث: «لأن يزني الزاني بعشر نسوة»
YV9	حديث: «الجيران ثلاثة»
YA+	حدیث عائشة: «إن لي جارين»
نِرُ أَن يُشْرَكَ بِدِ ﴾ ٢٨١	 الباب الثانى: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْــ
YA) «	ملاحظة من المؤلف حول طبعة «تفسير ابن كثير
YAY _,	حديث: «الدواوين ثلاثة»
YAX	حديث: «الظلم ثلاثة»



صفحة	الموضوع
7.4.7	(ملاحظة) حول طبعة مكتبة أولاد الشيخ لـ «تفسير ابن كثير» (ت)
۲۸۳	
۲۸۳	حديث: «ما من عبد قال لا إله إلا الله»
۲۸۳	زيادة بيان من كلام المؤلف
3 7 7	• الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَّهَ إِلَّا هُوَّ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾
440	زيادة بيان من كلام المؤلف
7.47	• الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾
۲۸۷	حديث: «كيف الفلاح بعد هذه الآية»
۲۸۷	زيادة بيان من كلام المؤلف
7	• الباب الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿ يَكَأَمْلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَمَّـٰ لُواْ﴾
7	حديث: «لا تطروني»
444	حديث: «يا سيدنا وابن سيدنا»
44.	حديث: «من شهد أن لا إله إلا الله»
44.	تفسير قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنَّهُ ﴾
197	ذكر اجتماع مجمع النصاري بأمر الملك قسطنطين
197	نبذة عن تاريخ مذاهب النصاري (ت)
797	خطورة ما يسمى بـ (التقريب بين الأديان) (ت)
797	فتوى اللجنة الدائمة في هذه المسألة (ت)
794	فوائد من كلام المؤلف
397	لماذا سمي عيسى كلمة الله أو روح الله؟
	سورة المائدة الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
	• الماب الأول: تفسد قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَ الَّذِينِ وَالْمَا إِنَّ اللَّهَ هُمَ ٱلْمَسِيهُ
790	أَبِنُ مُرْسِمُ ﴾
797	
	زيادة بيان من كلام المؤلف
797	 الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿ يَكَانُهُا الَّذِينَ مَامَنُوا لَا نَتَخِذُوا النَّهُودَ وَالنَّمَدَى الْوَلِيَّةَ ﴾ .
	قصة عمر مع أبي موسى الأشعري
٣٠١	حديث أبي ذر: «أمرني رسول الله ﷺ بسبع»
٣٠١	حديث: «لا يمنعن أحدكم رهبة الناس»
	حديث: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة»
	حديث: «ما ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»



الصفحة	الموضوع
	زيادة بيان من كلام المؤلف
۳٠٤.	نظرة وبحث فيما تقدم نقله
1.2	• الباب الثالث: درجات تغيير المنكر وإن أيس الآمر من كف فاعل المنكر
۳۰٤.	والحكمة في الأمر والنهي (ت)
	تَفْسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدَّ كَغَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوَّا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْبَيَّمَ ﴾ .
ዅ• ኤ /	مفهوم: الأقانيم الثلاثة
	نقل المؤلف البراهين من الأناجيل
	تعلم العلامة الهلالي الإنجليزية من إرسالية تبشيرية وحواره مع قسيس (ت)
	 الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿مَا جَمَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَعِيرَةِ وَلَا سَلَهَمَةِ ﴾
	حديث: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار»
	زيادة بيان من كلام المؤلف
T 1.2.	ترجمة للشيخ محمد سيدي حبيب الله الشنقيطي (شيخ الهلالي) (ت)
T 10:	عبادة الحيوان الأعجم
	بقر فيها البركة وعجل السيد!!
	قصة ذكرها الشعراني في «الطبقات الكبرى»
	الاحتفال بضريح البدوي
	قصة عبادة حمار وحكاية عبادة قبر
* \.\	قصة عبادة أتمان
	قصة عبادة صخرة اسمها سيدي ميمون
	عبادة بئر
	• الباب الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَكِمِيسَىٓ ﴾
	ريادة بيان من كلام المؤلف، واختلاف نسخ «تفسير ابن كثير»
44, *	التوفّي لا يدل دائماً على الموت
	سورة الأنعام
	• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَا سَكُنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِّ﴾
TTT .	دعاء النبي ﷺ بعد الأكل
TTE	حديث: «بلغوا عن الله»، ووجوب الدعوة على الجميع
179 .	فوائد من كلام المؤلف فوائد من كلام المؤلف فوائد من كلام المؤلف يقرُلُ اللَّذِينَ ٱشْرَكُوا ﴿ وَيَوْمَ غَشْرُكُمْ جَيِمًا ثُمَّ نَقُولُ اللَّذِينَ ٱشْرَكُوا ﴾
177 WYW	• الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيُومَ مُصَرَهُم جَيِعا تُمْ نَقُولَ لِللَّهِينَ اسْرُوا؟
1 TV.	 الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلُ أَرْءَيْنَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾



الصفحة	الموضوع
۳۲۸	فائدة من كلام المؤلف
41	ثلاث قصص وقعت للمؤلف
449	• الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرْءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمَّعَكُمْ وَأَبْصَدَرُكُمْ ﴾
۳۳.	فائدتان من كلام المؤلف
۲۳۱	• الباب الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلُ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَايِنُ اللَّهِ﴾
۱۳۳	فائدة من كلام المؤلف
٣٣٢	تحذير من كتب النبهاني، منها «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» (ت)
٣٣٣	فائدة أخرى من كلام المؤلف في الفرق بين الشفاعة الشرعية والشفاعة الشركية .
3 77	 الباب السادس: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾
٥٣٣	تأسف المؤلف على خيانة ناشري الكتب الدينية والعلمية
٥٣٣	كلمة عن طبعات «تفسير ابن كثير» (ت) «تفسير ابن كثير»
٣٣٧	ما لقيه النبي ﷺ من المشقة يوم العقبة
۳۳۸	فائدة من كلام المؤلف
٣٣٨	حكم ادعاء علم الغيب (ت)
444	• الباب السابع: تُفسير قُوله تعالى: ﴿قُلْ أَندَّعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾
۳٤٠	زيادة بيان من كلام المؤلف
781	• الباب الثامن: تفسير قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ﴾
737	زيادة بيان من كلامِ المؤلف ِ
337	إبراهيم كان مناظراً لقومه مبيناً لهم ضلالهم
750	زيادة بيان من المؤلف
757	• الباب التاسع: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآجَةُمُ قَوْمُهُۥ﴾
454	فوائد من كلام المؤلف فوائد من كلام المؤلف
۳0٠	قصة للمؤلف مناسبة للمقام في شأن الشيخ السعيدي
70 •	• الباب العاشر: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ ۚ إِسْحَاقَ وَيَعْـقُوبَ ۗ ﴾
401	الدليل على أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ
404	الفرق بين الوقف على الذرية والوقف على أبناء الصلب
408	الفرق بين الوقف على الذرية والوقف على أبنّاء الصلب
	حديث: «يقول ابن آدم: مالي مالي»
707	فائدة من كلام المؤلف الم
	• الباب الثاني عُشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَّكَاءَ ٱلْجِنَّ﴾
177	حديث: «إذا حدثتكم عن الله فخذوا به»



سفحة	الموضوع الموضوع
404	فائدة من كلام المؤلف
٣٦٠	• الباب الثالث عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّبِّعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن تَوْكَ ﴾
417	فصل من كلام المؤلف
411	وجوب اتباع الوحي على النبي ﷺ على جميع أمته
411	التمسك بأنواع التوحيد الأربعة فرض على كل مسلم
471	 الباب الرابع عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلا تَأْكُلُواْ مِنَا لَرَ لِنَكْرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْتِهِ ﴾
414:	اختلاف العلماء في أكل لحم متروك التسمية
477	the contract of the contract o
410	المراد بالوحي الذي ينزل على المختار بن أبي عبيد
٥٢٣	زيادة بيان من المؤلف
۲۲۲	اعتراض اليهود على النبي ﷺ وجوابه لهم
٧٢٧	فصل من كلام المؤلف
۳٦٧	 الباب الخامس عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَمَلُوا يَّهِ مِمَّا ذَرَا مِن ٱلْحَـرْثِ وَالْأَنْكَيرِ﴾
۲٦٨	ا الله الله الله الله الله الله الله ال
	• الباب السادس عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلُ تَمَالُوا أَتُلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمَّ
414	عَلِيْتِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَل
419	حديث ابن مسعود من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله
414	أثر ابن عباس: «في الأنعام عشر آيات»
٣٧٠	حدیث أبی ذَر: «مَن مات لا یشرك بالله شیئاً»
۲۷۱	الحديث القدسي: «لو أتيتني بقراب الأرض خطايا»
* V*	حديث ابن مسعّود: «أي الأعمال أفضل»
477	حديث أبي الدرداء: «أطع والديك»
۳۷۴	حديث عبد الله بن مسعود: «أي الذنب أعظم»
474	حديث ابن مسعود: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش»
۳۷۳	حدیث سعد بن عبادة: «لو رأیت مع امرأتي رجلاً»
	حدیث: «لا یحل دم امرئ مسلم»
277	زيادة بيان من كلام المؤلف قتل النطف يؤول بصاحبه إلى شر
475	اشتملت هذه الآية على خمس وصايا
٥٧٣	حديث: «العزل هو الموؤودة الصغرى»
200	تشجيع حكومة هتلر للتناسل
440	إجبار حكومة هتلر الغرباء الذين ليسوا جرمانيين ولا أوربيين في جرمانية على الاختصاء
777	• الياب السابع عشد: تفسد قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّهُ مَكَانِي رَقَّ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَفِيدٍ ﴾



الصفحة	الموضوع
٣٧٧	ما يقال في الصباح
* VV	حديث أحب الأديان إلى الله
٣٧٧	حديث نظر عائشة إلى زفن الحبشة
٣٧٧	حديث: «لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة»
۳۷۸	ما قاله النبي ﷺ عند ذبح الْأضحية
444	حديث: «نحن معاشر الأنبياء أبناء علات»
4	دعاء النبي في استفتاح الصلاة
۳۸۱	فائدة من كلام المؤلف
	سورة الأعراف
" ለፕ	• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِّ ﴾
۳۸۲	شروط قبول العمل
" ለፕ	حديث: «أيها الناس إنكم تحشرون»
۳۸۲	زيادة بيان من كلام المؤلف
۳۸۳	حديث: «يا عبادي كلكم ضال»
۳۸۳	• الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي ٱلْفَوَاحِشَ ﴾
የ ለ٤	زيادة بيان من كلام المؤلف
٥٨٣	أبيات ابن عبد البر في ذم التقليد
۳۸٥	 الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَرْمِهِ.
٥٨٣	أهمية كتاب «إعلام الموقعين» وتحريره مبحث القياس (ت)
7,77	فصل من كلام المؤلف، فيه فائدتان في هذا الباب ي
	• الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَغَاهُمْ هُودًا﴾
٩٨٣	(إيضاح): كل أمة استولى عليها الجهل بالله تبغض دعاة الحق
44.	حجة المشركين والمبتدعين الباطلة
44.	قصيدة عمران اللنجي إ
44.	ترجمة للشيخ عمران اللّنجي (ت)
441	مناقشة المتمذهبين
441	• الباب الخامس: تَفْسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَغَاهُمْ مَسْلِحًا ﴾
	قصة ناقة قوم صالح
	زيادة بيان من كلام المؤلف
397	بيان المقصود من العرب العاربة
₩A.¢	التوحيد أصا الدين وأساسه



الصفحة	الموضوع
440	حديث: «لعن الله اليهود والنصارى»
۲۹۵	حديث: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»
۳۹۵.	 الباب السادس: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَتَ أَخَاهُمْ شُعَيْــبَأَ﴾
۳۹۹ .	فصل من كلام المؤلف: من حقق توحيد الله بأن أفرده بالعبادة
499.	حديث: «من غشنا فليس منا»
٤٠٠	حديث الغامدية
٤٠٠	فصل: قوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ اللَّهِ﴾
٤٠١٠.	فصل: قوله: في توعدهم إياه بالنفي ومن معه
٤٠٠ .	تسمية المشركينُ والمبتدعين الموحدين «وهابية» وجوابهم
٤٠١.	لقاء المؤلف لحبيب الله بن مايابا
٤٠١.	ترجمة للعلامة السلفي المصلح أحمد السركتي (ت)
٤٠٢ .	المناظرة التي حصلت بين الهلالي والشيخ حبيب الله بن مايابا الجكني (ت)
٤٠٥.	· الباب السابع: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَلَّأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ ﴾
٤٠٦ .	• الباب الثامن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزُنَا بِبَنِيَ إِسَرَهِ بِلَ ٱلْبَحْرَ ﴾
٤٠٧ .	نقل كلام من كتاب «تيسير العزيز الحميد» حول التبرك بالشجر والعجر
٤٠٧ .	حدَّيث أَبِي وَاقد اللَّيثي: «يَا رَسُولَ اللهِ! اجعل لنا ذات أنواطُ»
٤١٠ :	كلام الطرَّطوشي في النهي عن التبرك بالأشجار
	حكايات في عبَّادة الأشجَّار والمياه
&\ 1 √.	الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوِثاناً تعبد من دون الله٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
. 713	حديث: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»
	أثر ابن مسعود: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة»
	المنع من الصلاة والدعاء عند قبور الصالحين
	قطع عمر شجرة بيعة الرضوان
	تعمية قبر دانيال عليه الله المستعمية المستعمية المستعمية المستعمية المستعمية المستعمية المستعملة
	لا يجوز تحري نوع من العبادة في المواضع التي كان فيها الأنبياء والصالحون
. 1 V	كراهية قولهم: زرت قبر النبي ﷺ
5 1 V	معنی اللات الله الله الله الله الله الله ا
	سبب اختلاف العلماء في فاريخ مولد ابن جرير الله المسلم المسلم المسلم المسلم المسلم المسلم المسلم المسلم المسلم ا تناقض عباد القبور في ادعائهم حب الصالحين ومخالفتهم لطرقهم المسلم المسلم
14	تاقص عباد العبور في ادعائهم حب الصابحين ومعاصفهم تحريهم المسابدة
۲.	حكم زيارة القبور للنساء
۲۱ .	ه المادي التاسع: تفسد قدله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْتُ فَدُمُ مُسَوَدُ مِنْ يَقِدُمِ ﴾



لصفحة	الموضوع
373	قول السلف: كل صاحب بدعة ذليل
273	فصل: كل من عبد غير الله فهو من الذين لا يعقلون
240	فصل: استدل بهذا السلف على ضلال من ينكر كلام الله
	فصل: في قول ابن كثير: «وهذا دلالة على ما جاء في الحديث: «ليس
270	الخبر»
573	حديث: «ليس الخبر كالمعاينة» ٤٢٥
573	قال محمد تقي الدين: تضمن هذا الحديث أمرين
٤٢٧	 الباب العاشر: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيَ عَادَمَ ﴾
٤٢٧	حديث: «كل مولود يولد على الفطرة»
279	• الباب الحادي عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾
٤٣٠	زيادة بيان من كلام المؤلف
٤٣٠	بسط الكلام في أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب
2773	التزوج أعظم ألفة بين الزوجين
3 3 3	بيان نكرة قصة حواء مع إبليس بتسمية ابنها عبد الحارث، والكلام المفصل عليها (ت)
٤٣٧	بين ابن تيمية وصلاح الدين الصفدي فيما يخص هذه القصة (ت)
٤٤٠	الخلاصة في هذه القصة (ت)
733	فصل من كلام المؤلف: قول ابن كثير: «وهي جماد لا تسمع ولا تبصر»
٤٤٣	 الباب الثاني عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾
٤٤٤	فصل من كلام المؤلف في عجز الأوثان عن الدفاع عن نفسها
وعع	قصة مشاورة النبي ﷺ أصحابه في أسرى بدر
	سورة الأنفال
880	• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾
733	زيادة بيان من كلام المؤلف
٤٤٧	بماذا ينتصر المسلمون؟
	 الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَائِلُوهُمْ حَقَّىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَةٌ ﴾
229	فصلان من كلام المؤلف
	سورة التوبة
٤٥١	 الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةُ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ:﴾
	تعيين الأشهر الحرم
٤٥٧	فصل من كلام المؤلف



عحه	اله	j
20/	الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَحَدُّ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾	•
٤٥/	إشارة إلى معاهدة الحديبية	
809	قصة رسول مسيلمة الكذاب إلى النبي على النبي الله الله النبي الله النبي الله الله النبي الله الله النبي الله الله الله الله الله الله الله الل	
271	حديث: «من فارق الدنيا وهو لا يشرك بالله شيئاً»	
173	فصل: من زعم من المعتزلة والخوارج أن القرآن ليس كلام الله	
277	الباب الثالث: تَفْسَيْر قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَنجِكَ اللَّهِ ﴾	•
277	حديث: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد»	
272	فَصَلَّ: قُولُه تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يَهُمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ دليل على أن كل مسجد	
570	حديث عبّد الله بن مسّعود مع المبتدّعين في مسجد الكوفة	
¥7V	حديث النفر الذين سألوا أزواج النبي ﷺ	
277	قراءة المغاربة الجزب	
279	حكاية للعالم السلفي عبد الله السنوسي	
279	ما يقال عند دخول بلد من البلدان	
٤٧٠		
	ذكر الملك محمد بن يوسف بن الحسن وولي عهده وما جرى بينهما وبين	
٤٧٠	المستعمرين	
274	 الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسُ ﴾ 	•
2743	زيادة بيان من كلام المؤلف	
٥٧٤	فصان نجاسة المشركين معنوية بيرورورورورورورورورورورورورورورورورورورو	
877	 الباب الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُنَارًا اللهِ اللهُ اللهِ الهِ ا	•
٤٧٧	إسلام عدي بن حاتم وبيان شرك المقلدين	
244	حديث: «إن الله زوى لي الأرض»	
£ V 9.	فصل من كلام المؤلف: انظر إلى كرم النبي ﷺ ورحمته	
٤٨٠	سان معنى الأوثان والوثن المعنوي	
٤٨٠	البحث في أكل لحوم السباع وبراءة مالك من تحليلها والأدلة على تحريمها	
£ 14.	 الماب السادس: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلُ لَن يُصِيبَــنَا ۚ إِلَّا مَا كُتُبُ أَلَتُهُ لَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ)
844	فصل من كلام المؤلف: جاء في الحديث: «العلماء ورثة الأنبياء»	
٤٨٤	selection of the select	
113	• الماب السابع: تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَاكَ لِلنَّتِي وَٱلَّذِيكَ مَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾	,
٥٨٤	قصة وفاة أبي طالب	
643	حديث: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»	
۸۸٤	ند ا كلام المنافي في الله نبيه مرسمله رحمة للعالمين	



الصفحة	الموضوع
٤٨٩ .	الأثار التي وردت في أبي طالب وأبوي إلنبي ﷺ
٤٩٠.	أحاديث في النهي عن الاستغفار لمن مات مشركاً
٤٩١ .	زيادة بيان من كلام المؤلف
٤٩٢ .	فصل: قوله: ﴿ إِنَّا اللَّهَ لَهُمْ مُلَّكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من آيات توحيد الربوبية
193	سبب ذل المسلمين في هذا الزمان
٤٩٣	• الباب الثامن: تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَد تَابَ اللَّهُ عَلَ ٱلنَّهِيِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ﴾
294	صفة العسرة في غزوة تبوك
१९१	قصة كعب بن مالك
٥٠٠	حديث: «عليكم بالصدق»
٥٠٠	أثر ابن مسعود: «الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل»
۱۰۰	فصل من كلام المؤلف: قوله: «أقفلهم من غزوتهم»
۱۰٥	معني التورية، واستخدامها
0.4	خطأ شائع باستخدام كلمة «بسيط» (ت)
٥٠٣	بيان وإيضاح من المؤلف: يجب علينا أن نفكر كثيراً في هذا النوع من العقاب.
۳۰٥	حول الهجر والمقاطعة الاقتصادية للأعداء (ت)
٥٠٣	المقاطعة الاقتصادية وفوائدها ومشروعيتها (ت)
٤٠٥	المقاطعة العامة للأعداء من أعظم الجهاد في سبيل الله (ت)
٥٠٥	زيادة بيان من المؤلف
٥٠٦	• الباب الناسع: تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُوا ۗ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾
5.0	حدیث: «خرجت من نکاح ولم أخرج من سفاح»
٥٠٧	حديث: «بعثت بالحنيفية السمحة»
٥٠٧	وحديث: «إن الدين يسر» وشريعته كلها سهلة
٥٠٧	حدیث: «ترکنا رسول الله ﷺ وما طائر»
٧٠٥	حديث: «ما بقي شيء»
	فصل: في هاتينَ الآيتين أخبرنا الله بأن هذا الرسول من صميم العرب
٥٠٨	سبب شقاء العرب في هذا الزمان واستبدالهم الشريعة المحمديَّة بغيرها
	سورة يونس
٥١٠	• الباب الأول: تِفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَا مَشَ ٱلْإِنسَانَ ٱلظُّرُّ ﴾
01.	W. a. 11 . N. 1 - a. N. 1 - a. N. 1 - a.
011	فصل: الذي يظهر لي أن المراد بالإنسان هنا الكافر
	مشركو هذا الزمان أجهل وأضل من السابقين



الصفحة	الموضوع
011	 الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَكَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾
017	فصل: في هذا الزمان يعبد المشركون الأنبياء
017	بناؤهم المساجد على القبور
017	• الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَاۤ أَدْقَنَا ٱلنَّاسَ﴾
ه ۱۳۰۰۰ کی	حدیث: «هل تدرون ماذا قال ربکم»
۰۱۳۰۰۰۰۰	فصل: إن مشركي هذا الزمان ضربوا بحظ وافر في هذا النوع من الكفر
٥١٣٠٠٠٠	غلو مشركي هذا الزمان في أوليائهم
٥١٤٠	
010	تبرؤ المعبودين من العابدين
يشعر	فصل: في هذه الآيات أوضح الأدلة على أن من عبد غير الله لا
۰۱٦	المعبودون بعبادة العابدين
o 1 V	نصيحة للمشركين
0 IV	• الباب الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرَنُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
۰۱۷	حجج الله على المشركين في العبادة المعترفين بتوحيد الربوبية
014'	فصل: ذكر الله في توحيد ربوبيته أموراً
۰۲۰	• الباب السادس: تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلُ لَّا آَمُلِكُ لِنَقْسِي ضَرًّا وَلَا نَقْمًا ﴾
	• الباب السابع: تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَّا إِنَّ أَوْلِيَآهُ ٱللَّهِ لَا خُوْفُ عَلَيْهِمْ ﴾
٠٢١	معنى الأولياء في الكتاب والسنة
۰۲۳	فصل: المشركون يعبدون أشياء كثيرة
٠	• الباب الثامن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوجٍ﴾
٠ ٤٢٥	الأدلة على أن دين جميع الأنبياء هو الإسلام
۰۲۰	حديث: «نحن معاشر الأنبياء بنو علات»
040	فصل من كلام المؤلف
٠ ٥٢٥	فصل: في هذه الآيات فوائد
٠٠ ٢٦٥	تغرير شيوخ الطرائق لأتباعهم مستعمل المستعرب المعتمد ال
	تغرير شيوخ الطرائق لأتباعهم
لمدعون	فصل: هذا الذي خافه قوم موسىٰ وسأل الله أن يحفظهم منه وقع فيه ال
P T A	للإسلام في هذا الزمان ويوري مراه مراه مراه مراه مراه مراه مراه مراه
PTA	• الباب العاشر: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنُّمْ فِي شَكِّ﴾
P7 4	حدیث: «تعرضوا لنفحات الله»
75	فصل: يجب على كل داع أن يتأمل هذه الآيات



الموضوع
سورة هود
• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿الَّمْ كِنَابُ أُحْكِمَتْ ءَايَنُكُمْ ﴾ ٥٣٢
حديث إنذار النبي ﷺ عشيرته الأقربين٥٣٢
فصل: اختلف العلماء في الحروف التي بدئت بها السور ٣٣٥
• الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عَندِى خَزَايِنُ ٱللَّهِ ﴾ ٥٣٣
فصل: أمر الله سيد الخلق أن يقول مثل هذا الكلام ٥٣٥
• الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ ثُوحٌ رَّبَّتُهُ﴾ ٥٣٥
عدم ورود تسمية قابيل وهابيل في الكتاب وصحيح السنة (ت) ٥٣٧
فصل: في هذا الكلام فوائد ٥٣٨
كلام نفيس يبطل اعتماد الجاهلين على النسب ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
عصمة نساء الأنبياء من الفاحشة ٥٣٥
• الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾
حديث: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً» ٥٤٠
فصل: أفكار المشركين وأقوالهم متشابهة في كُل زمان ٥٤٢
حكاية خرافية شعرانية ٢٤٥
بيان دمج لقصتين ذكرهما الشعراني في «الطبقات الكبرى» (ت) ٥٤٢
في كتاب «الطبقات الكبرى» للشعراني طامات وأوابد (ت) ١٤٥ هـ الله ما الماد الخاد من تأم
• الباب الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ تَتُمُودَ أَغَاهُمْ صَدْلِحًا ﴾ 85 مناه في الماد ا
فصل: وهذا بعينه موجود في مشركي هذا الزمان
المال الم
with the state of
-1.11 1 4
and the state of t
and the their state of the light and and
• الباب الثامن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ٥٥١
فصل: هذه الآية جمعت بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ٥٥٢
سورة يوسف
• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمُا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۗ ،
قَصَلُ: قُولُ يُوسُفُ: ﴿ إِنِي تَرَكْتُ مِلْهُ قُوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾
حكاية للمؤلف وقعت له في زمان الطريَّقة التجانية ٥٥٥



الصفحة	الموضوع
لِه تعالى: ﴿ وَقَالَ يَنْبَنِيَ لَا تَدَّخُلُواْ مِنْ بَابٍ وَيَجِدٍ ﴾ ٥٥٦	• الباب الثاني: تفسير قو
ن: في الإصابة بالعين والوقاية منها ٥٥٧	فصل من كلام المؤلف
وله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ ٥٥٨	• الباب الثالث: تفسير ق
	تلبية المشركين وما يقو
اي الذنب أعظم» أعظم المسلم الم	حديث ابن مسعود: «أ
له: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثُرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ٥٥٩	قطع حذيفة السير وقوأ
ير الله فقد أشرك أشرك الله فقد أشرك الله فقد أشرك الله فقد أشرك الله فقد أشرك المستمرد الله فقد أشرك المستمرد الله فقد أشرك المستمرد الله فقد أشرك المستمرد المستمرد الله فقد أشرك المستمرد	حديث: «من حلف بغ
ئم شرك» ١٦٥	حديث: «الرقى والتما
(170	حديث: «الطيرة شرك
مع العجوز التي ترقي من الحمرة١٥٠	قصة امرأة ابن مسعود
حلف بغير الله) (ت)	المراد بالشرك في (ال
يئاً وكل إليه» كان الله الله الله الله الله الله الله ال	حديث: «من تعلُّق شب
	حديث: «من علق تمي
يمة فلا أتم الله له» ٢٦٥	حذيث: «من تعلق تم
	حديث: «من كان أشر
ما أخاّف عليكم الشرك الأصغر»٥٦٠	
ليرة عن حاجته» ١٦٥	حديث: «من ردته الع
السلموات والأرض» ١٠٠٠ ١٠٠٠ ١٠٠٠ ١٥٥	حديث: «اللهم فاطر
ل في توضيح غريب الأحاديث٥٦٥	فصل من كلام المؤلف
: ﴿ قُلْ هَاذِهِ - سَبِيلِينَ أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهُ ﴾	فصل: في قوله تعالى
ىذه الآية (ت)٢٥٥	كلمة لابن القيم في ٥
سورة الرعد	
يُولُه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ﴾ ٧٥٥	• الباب الأول: تفسد ة
ر القرآن (ت) ۱۷۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	لا يوجد شيء زائد ف
ي ب: حروب التتار والحروب الصليبية	فصل من كلام المؤلف
في شأن التتار (ت) ۲۸۰۰	كلمة قيمة لاين تيمية
قُولُه تعالى: ﴿لَمُ دَعْوَةُ الْحَقِّيُّ ﴾	• الباب الثاني: تفسير
سلف: غلطت في أربعة أشياء في الابتداء مع الله ٢٠٠٠٠٠	مقولة مهمة لبعض ال
لآية في إيطال الشرك والترغيب عنه ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	فصل: ما أبلغ هذه ا
وسبب إنشائها وإعجاب أهل تطوان بها وانتشارها (ت) ٢٧٠٠	قصيدة دالية للهلالي،
قه له تعالى: ﴿ كُذَاكَ أَرْسَلْنَكَ فَيْ أُمَّةٍ فَدْ خَلَتْ ﴾ ٧٣٠	مالل الغالث تفسي



الصفحة	الموضوع
٥٧٤	حديث: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»
٥٧٤	• الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ مَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزِلَ إِلْيَكُ ﴾
٥٧٥	فصل: أمر الله نبيه أن يقول لجميع الناس: ﴿ إِنُّمَا أَيْرَتُ ﴾
	سورة إبراهيم
۲۷٥	• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾
٥٧٧	فصل: جبلة بن الأيهم كان أميراً لنصارى بني غسان
٥٧٨	فصل: وكذلك رؤساء المشركين في هذا الزمان جعلوا لله أنداداً
٥٧٨	أنداد المشركين في هذا الزمان
049	 الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِنْرَهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَلَاا ٱلْبَلَدَ عَامِنَا﴾
۰۸۰	فصل: إن إسماعيل كان أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة
٥٨١	• الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلَا اللَّهُ لِلنَّاسِ وَلِيُمُنذَرُوا بِدِ. ﴾
011	فصل: والذين يفتون أو يقضون بالتقليد والتمذهب لا يعلمون بمقتضى هذه الآية
	سورة الحجر
۲۸٥	• الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضَ عَنِ ٱلشَّمْرِكِينَ ﴿ ﴾
٥٨٤	حديث: «لا تعجز عِن أربع ركعات من أول النهار»
٥٨٥	حديث: «صل قائماً»
0 \ 0	فصل: ينبغي للداعي أن يتلطف بالدعوة
۲۸٥	كفاية الله نبيه المستهزئين وأمثلة على ذلك (ت)
٥٨٧	توضيح المؤلف معاني بعض الأحاديث
	نقل ابن تيمية عن بعضهم قوله: كنا نتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون
٥٨٧	بالنبي ﷺ (ت)
٥٨٨	كل عالم بمعاني آيات التوحيد يرى المشركين في هذا الزمان يعبدون القبور
-,,,,	
	سورة النحل
٥٨٩	 الباب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿ أَنَّ أَمْرُ اللَّهِ فَلا نَسْتَعْجِلُونُ ﴾
09.	فصل: جميع الملائكة نزلوا قبل كل شيء بالتوحيد
09.	 الباب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعَكُمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿
091	فصل: أخبر تعالى أنه يعلم كل شيء سرّاً كان أو جهراً
097	 الباب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكْرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾
097	حدیث: «ینصب لکل غادر لواء»
	فصل من كلام المؤلف فيه فوائد



الصفحة			الموضوع
090	• • • • • • •	رِن جاهلون جهلاً مركباً	المشركو
090		توما وحماره	الطيب
۰۹۷		نوابع. تفسير قوله تعالى. ووقفه بعث في تنصي المتو رضوه به المدينة الشرعية والكونية	
09V	•••••	به فوائل	فصل ف
094		نَّذُ الله عمرو بن لحي؟	لماذا ء • الياب اا
7 e e	• • • • • • •	ان من كلام المؤلف في المناف المؤلف المؤ	
7 4 4		لسادس: تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ يه الفوائد قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	
7 • Y		يه الفوائد	زیادة ب
٦٠٤	• • • • • • •	ان من کلام المؤلف	
7·8	• • • • • • •	لثامن: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَهِيـمَ كَانَ أُمَّةً فَانِتًا﴾	• الباب ا
- C p	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	يان من كلام المؤلفيان من كلام المؤلف	زیادة ب
		سورة الإسراء	
٦٠٧٠		الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَاهًا ءَاخَرَ﴾ .٠٠٠	• الباب ا
٠٠٧		- 2	1 11
٠٠٨		الثانيُّ: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِيهِ ﴾ ٠٠٠	• الباب
7 . 9		الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلُ ٱدْعُوا الَّذِينَ زَعَتْتُم مِن دُونِيهِ ﴾ الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿ زَيُكُمُ ٱلَّذِي يُرْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكِ ﴾ الله المحددة الثالث: ﴿ زَيُكُمُ ٱلَّذِي يُرْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكِ ﴾ الله الدين المادة الم	• الباب
٠١٠		يان من كلام المؤلف	٠٠. زيا د ة ب
111			